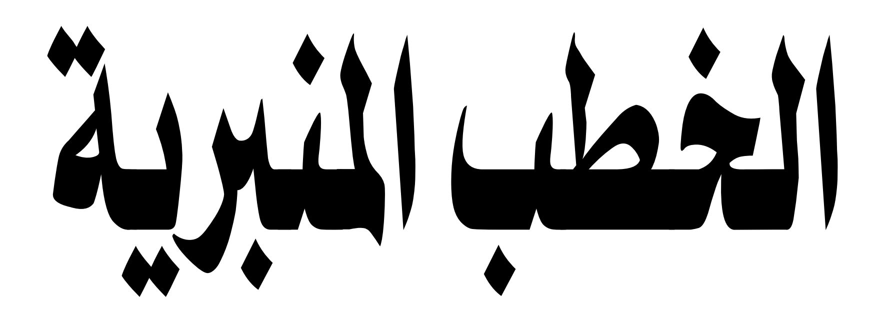
# الخُطَبُ المنبَرِيَّة

للحَبيب الأَدِيب حُسَين بن عَيدرُوس عَيدِيد



١




للسيد العلامة
حسين بن عيدروس بن أحمد عيديد
رحمه اللّه تعالى

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ..

فإن تريم اسم لبلد حضرمي تميز بمشاركة علمائه في مختلف العلوم وإننا الآن أمام فن من الفنون الذي قد طرقه علماء تريم وخاضوا لجحه ألا وهو فن الخطابة فلا شك أن في تريم خطباء مصقعين حتى لعله لشدة لصوق عائلة من عائلات تريم بالخطابة سميت بآل الخطيب ، لكن لو فتشنا في تاريخ هذه البلدة قد لا تجد ديوان خطب منبرية ، صاغتها يراعة عالم تريمي فلعلنا وعلى حسب علمي نقف الآن أمام أول ديوان جمع الخطب المنبرية لعالم من علماء تريم .

إن مؤلف هذه الخطب لمشارك في جملة من العلوم كعلوم اللغة و الفقه و التفسير وهو السيد الحبيب الحسين بن عيدروس بن أحمد عيديد قد صنف كتابه هذا الذي أسماه الخطب المنبرية وهو الذي بين يديك فهو نتاج لخلفيته العلمية .

إن هذا الكتاب قد جمع بين الرصانة في الألفاظ و الجزالة في المعنى والسلاسة في الأسلوب كيف وقد احتوت على عدة من الموضوعات المتميزة والمفيدة فقهاً و وعظاً .

لعل أهم ما يميز هذه الخطب أنها كتبت بقلم الواقع ولسان الماضي و شيء من اللسان العصري الحديث .

لقد من الله علينا وكم له من منن أن قمنا بالاعتناء بهذا الكتاب ، ولقد قمت بتقسيم هذه الخطب إلى ثلاث مجموعات ، مجموعة أعطيت للأستاذ الفاضل المجد في طلب العلم الأخ علي بن عيدروس الحداد و مجموعة أعطيت للأستاذ الفاضل النبيه المجد في طلب العلم الأخ علوي بن عبدالقادر العيدروس فقاما بالتصحيح و تخريج الآيات و الأحاديث والتعليق عليها بما سنحت لهم به الفرصة . والمجموعة الثالثة عملت على تصحيحها وتهذيبها وتخريجها والتعليق عليها بما يناسب حسب الإمكان .

وبعد ذلك جمعت كل المجموعات وقمت بمراجعتها وترتيبها وتنسيقها وجعلتها على خمسة أجزاء ليسهل على الخطيب و الواعظ حملها وإلقاء الخطب منها .

أسأل الله أن ينفع بها وأن يقر بها عين مؤلفها وأن يثيبه بها الفردوس الأعلى وأن يعم بها النفع القاصي والدان .

**كتبه / عبدالرحمن طه بن عبدالقادر الحبشي**

**محاضر بكلية الشريعة جامعة الأحقاف**

**مدير رباط مدرسة الفتح والامداد**

**حوطة الإمام أحمد بن زين الحبشي**

بسم الله الرحمن الرحيم

**ترجمة موجزة عن المؤلف:**

هو السيد الفاضل المتواضع المشارك في العلوم الشاعر البليغ والناثر المبدع الخطيب المصقع الحبيب الحسين بن عيدروس بن أحمد بن سالم بن حسين بن أبي بكر بن حسين بن زين بن محمد بن عبدالرحمن بن شيخ بن عبدالرحمن بن علي بن الفقيه(محمد مولى عيديد) بن علي(صاحب الحوطة) بن محمد بن عبدا الله بن أحمد بن عبدالرحمن بن (علوي عم الفقيه المقدم)بن محمد (صاحب مرباط) بن علي (خالع قسم) بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن(أحمد المهاجر) بن عيسى النقيب بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي وفاطمة بنت الرسول ﷺ.

**ميلاده ونشأته:**

كان ميلاده بمسقط رأسه ـ عيديد تريم ـ يوم الاثنين الثالث عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٥هـ الموافق ٢٠/ ٩/ ١٩٢٦م من أبوين كريمين تربى ونشاء في أحضان العلم في ذلك الوادي المنير المبارك عيديد الذي يعتبر مصيف تريم يقصده العلماء الأفاضل من المقيمين والمهاجرين وتعقد فيه المجالس العلمية حيث الحدائق الغناء ورياضه الفيحاء وتقام فيه الحفلات الدينية والأدبية حيث المناظر الخلابة والطبيعية الجذابة وتطيب الأسمار وتغريد الأطيار وتبتسم الأزهار وتحلو الأثمار.

تربى تحت رعاية والديه وبجوار الحبيب الوجيه محمد بن حسن مولى عيديد كانت له عناية خاصة من جده لأمه السيد العلامة المتفنن علوي بن أبي بكر خرد باعلوي قرأ القران وختمه في أحد كتاتيب تريم(معلامة بارشيد) كعادة أهله وأسلافه كما حظي بالعناية من مدرسي مدرسة الكاف بعيديد التي أسسها المفلح الوجيه السيد عبدالرحمن بن شيخ الكاف واختار لادارتها ذلك الرجل الشديد اللاجئ السياسي(حسن بيك شيبه) من أهل مكة المكرمة وكانت مدرسة نموذجية.

**تحصيله العلمي:**

مر المترجم له بمراحل التعليم كغيره تسع آنذاك وفي حوالي عام ١٩٤٠م ضم في سلك طلبة مدرسة جمعية الأخوة والمعاونة مع إخوانه وأبناء عمومته وكانت مدرسة جمعية الأخوة والمعاونة حينها في عنفوان شبابها وفي أوج نشاطها ، اختير للتدريس بها رجالات البلد المبرزين وعلمائها المتميزين من أمثال رئيس الجمعية الدائم الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري والسيد عيديد محمد بن سالم السري والسيد علي بن شيخ بلفقيه والسيد علوي بن زين بلفقيه والسيد محمد بن عبدالله بن حسين العيدروس والسيد سالم بن علوي خرد والسيد محمد بن سالم بن حفيظ والشيخ توفيق فرج أمان والشيخ مبارك عمير باحريش والسيد عبدا لله بن علي بن الشيخ أبي بكر بن سالم والسيد أحمد بن زين بلفقيه والسيد محمد بن علي بلفقيه

وغيرهم وتعتبر جمعية الأخوة ومؤسساتها العلمية حينها مركز إشعاع ومشعل نور في هذه البقعة النائية من العالم وتدرج المترجم له في صفوفها حتى نهايتها كما أنه لم يفته قسطه من التبرك والأخذ من مشايخ المؤسسة العلمية العريقة ـ المعهد الديني ـ رباط تريم ـ فقد انضم في سلك حلقاته في الصباح والعصر وأوقات الإجازات وذلك في عهد إدارة شيخه العلامة الحبيب عبدا لله بن عمر الشاطري فدرس فيه بعض مختصرات الفقه الشافعي ومن مشايخه في الرباط عمر بصفر من أهالي دوعن.

**حياته العلمية وقيامه بمهام التدريس**

عندما أناخت الحرب العالمية الثانية بكلاكلها على العالم كله أوصدت أبواب المدارس والمعاهد عندنا في أوجه طلابها وضاقت أسباب العيش ذهب الشباب أيدي سبا هنا وهناك يبحثون عن لقمة العيش فالكثير فيهم هاجر إلى شرق افريقيا كينيا وبوغندا وتنزانيا والحبشة وصوماليا ومنهم أخوا المترجم له وعمه وبعضهم تفرق على سواحل البحر العربي ـ في إمارات الجنوب ـ آنذاك ريثما تخف الوطأة وكان نصيب المترجم له لم يذهب به بعيداً بل اختير ليكون مدرساً في بلدة قسم فارتضى بها قسماً كما قال فيها قبله الحبيب العلامة احد العبادلة السبعة المعروفين (عبدا لله بن حسين بلفقيه) في مدح شيخه احد آل السقاف بقسم

رضينا بالقسم ان تصفوا لنا قسم    لو كان تقسم في ذا العصر بلدان

وبالغدّير أحباب لنا سكنوا    فأكرم بأحباب قلبي أينما كانوا

فمكث بقسم مدة خمس سنوات تقريبا من عام ١٩٤٥م إلى عام ١٩٤٩م وهو في مقتبل حياته العلمية دونما خبرة بشون الحياة كلها فما بالك بحياة التدريس والتعليم ومن حسن الحظ أن استقدم الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف ليكون مديراً للمدرسة فعاش المترجم له بجانبه جنباً إلى جنب واستفاد من علمه وثقافته وتجاربه حتى في شؤون الحياة لأنه سكن معه في منزل واحد وعزبة واحدة كما استفاد من استقدام الشيخ العلامة محمد أحمد زاكن باحنان بعد ذهاب الحبيب عبدالقادر وكذا الحال احتكاكه بالسيد والعلامة عالم قسم وفقيهها الحبيب علوي بن أحمد عقيل مطهر باعلوي وغيرهم من العلويين وغيرهم.

وفي نهاية عام ١٩٤٩م قدم استقالته للمسؤليين مع ممانعتهم منها لرغبتهم معتذرا بعزمه على الحج والعمرة والزيارة ، إلا أن أستاذه القدير ناظر المعارف في السلطنة الكثيرية علي بن شيخ بلفقيه أقنعه بالعمل عنده في المدرسة النوذجية بسيؤن فوافق واستمر معه سنتين ١٣/ ١/ ١٩٥٠م إلى ٣١/ ١٢/ ١٩٥٢م و بإلحاح شديد من أهل قسم وتوسط بعض الشخصيات التي لا ترد وساطتها عاد ثانية إلى قسم ليقوم بإدارة مدرستها الحديثة حسب الشروط التي أملاها عليهم لمدة ثلاث سنوات من عام ١٩٥٢م إلى ١٩٥٥م وعندما عاوده داعي الحج والعمرة والزيارة للحبيب الأعظم ﷺ وبقية المشاعر جدد

تأشيرة الجواز فرحل في رحلة متعبة بطريق البر الجوف ثم نجران في قافلة سيارات نقل في أيام صيف فيها كثير من المتاعب والأخطار وعلى كل حال وصل إلى الحرمين الشريفين بحمد الله بخير و أدى المناسك والزيارة ثم استقر به المقام بجده من عام ١٩٥٦م إلى عام ١٩٦٢م واشتغل طيلة هذه المدة محاسبا في مؤسسة المشاريع التجارية الأهلية حينما كان مديرها السيد عبدالله بن مصطفى العيدروس غير انه اشتاق الجو الذي يعشقه ألا هو جو العلم والتعليم فعمل مدرسا في المساء بالإضافة إلى عمله الرسمي في مدرسة الإصلاح الأساسية بجدة في حي العيدروس بجوار سوق العلوي وقضى ثماني سنوات في الحرمين الشريفين يحج كل عام وتعرف بكثير من أهل البلد والمقيمين هناك وبعد مضي هذه المدة في الاغتراب اشتاق إلى ارض الوطن ومسقط الرأس والوالدين والأولاد والأهل والأقارب واستقال من العمل وحجز تذكرة له في الباخرة الضخمة (المحمدي) باخرة حجاج هندية وأبحر فيها إلى عدن صباح يوم الخميس الموافق ٢٦/ سبتمبر/ ١٩٦٢م رست به الباخرة في ميناء عدن البحري وأقام بها عدة أيام بمعرفة الشيخ الفاضل سالم بن عبدالله الخطيب المقيم بعدن حجز له في الطائرة إلى مطار الغرف بحضرموت واستقبله بعض الأهل بالمطار ووجد والده في الانتظار

بعدها ألقى عصا التسيار في أرض الوطن مقتنعا بها مستشهدا بقول الشاعر عبدالله بن أبي بكر عيديد ، عندما غادر أرض جاوة (اندونيسيا)

فسافرنا بعون الله تجري سفيننا بنا خببا وهشلا

تركنا ارضا منبتها نضار لارض نبتها اغلى واغلى

رضيناها ولو ألقت علينا ترابا صار للعينين كحلا

ثم فكر في العمل ليستقر بها ولم يكن ثمة مجال لمثله إلا وزارة المعارف والتربية والتعليم وفعلا عين مدرسا في معارف الدولة القعيطية حسب برقيتهم له المحررة ١٨/ ٣/ ١٩٦٤م وبموجبها تحرك إلى مقر عمله بدوعن في المدرسة الوسطى في الجحي و أقام بها سنتين بعدها نقل إلى قسم عام ١٩٦٦م / ١٩٦٧م ثم نقل إلى وسطى الشحر عام الاستقلال ١٩٦٧/ ١٩٦٨م وهكذا دواليك كل عام دراسي فيبلد كما هي عادتهم في التنقلات وانتقل إلى مدرسة تاربة ١٩٦٨/ ١٩٦٩م ثم بعد الاستقلال وتوحيد أمارات الجنوب اليمني نقل إلى تريم عامين بين ١٩٦٩/ ١٩٧١م ثم إعدادية الجماهير بالمكلا ثم إعدادية ثانية ثم إعدادية (قعوضة الكسر) عام ١٩٧٥ـ ١٩٧٦م ثم نقله إلى مدرسة سيؤن الثانوية ١٩٧٦/ ١٩٧٨م ثم أخيرا إلى ثانوية تريم ١٩٧٩ إلى ١٩٨٩م لمدة عشر سنوات بها وفي هذا العام أحيل للمعاش وتقاعد عن العمل وأقيم له حفل تكريم متواضع أنشأ

وانشد قصيدته بهذه المناسبة ساخرا بهذا التقليد إليك طرفا منها:ـ

| | |
|---|---|
| قالوا نكرم كل شخص مخلص | متقاعـد ياحبـذا التكـريم |
| قـالوا نكرمـه بحفـل سـاعة | عجبا فهل هذا هو التكريم؟ |
| اسـتنزفوا دمـه و مـاء شـبابه | قـالوا لهـذا يمـنح التكـريم |
| هل هكذا الدنيا ترى تكريمها | في بعض يوم ينتهي التكريم؟ |
| أم أن تكـريم الرجـال يـدوم | طول حياتهم أنعم بذا تكريم |

وفي هذا العام قام برحلته الثانية إلى الحرمين الـشريفين وقـد افـرد لها كتيبا خاصا ففي صباح يوم السبت تحرك بالطائرة بتاريخ ٢٣/ ١١/ ١٤١٠هـ الموافق ١٦/ ٦/ ١٩٩٠م ومكث هناك إلى تاريخ ٧/ ربيع ثـاني/ ١٤١١هـ الموافق ٢٥/ أكتوبر/ ١٩٩٠م أي مدة ١٣٢ يوما وبعد عودته قام بالتدريس في بعض المساجد مدة خمس سنوات مهتما بكتب التفسير خاصة واللغة فقرأ تفسير القرطبي مع بعض تلاميذه بمسجد حسين مولى خيلة في مـدة خمـس سنوات وأسس جمعة في مسجد جده محمد بن علي مولى عيديد وتولى الخطبة هو بنفسه ابتداء من شهر رمضان عام ١٤١١هـ.

ولما فتحت جامعة الأحقاف كليـة الـشريعة بـتريم عـين المـترجم لـه مدرسـا رسـميا فيهـا حـسب العقـد المحـرر ٦/ ٤/ ١٤١٦هـ الموافـق ١/ ٩/ ١٩٩٥م وهو لا يزال يقوم بالتدريس في الكلية المذكورة حتى كتابـة

هذه السطور بتاريخ يوم الأحد ٢٦/ جمادى الآخرة/ ١٤٢٤هـ الموافق ٢٤/ أغسطس/ ٢٠٠٣م حفظه الله تعالى ومتع به وأمد في عمره في عافية آمين ز وصلى اله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم أجمعين.

**له مجموعة مؤلفات:**

١. خطب منبرية: تناول فيها المناسبات الدينية والاجتماعية مخطوطة.

٢. رسالة المدخل في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع لطلبة كلية الشريعة.

٣. كتاب مختصر في الصرف والنحو يثبت أنهما توءمان لا ينفصم أحدهما عن الآخر.

٤. الرحلات الثلاث إلى الحرمين ........... مخطوط .

٥. ديوان شعر ............ مطبوع

٦. والأرض وضعها للأنام : كتاب اهتم فيه بالآيات القرآنية التي تبحث وتهتم بزراعة الأرض (تحت الطبع) يشتمل على ستة وثلاثين نصا قرآنيا.

# الفهرس

# استقبال عام ووداع آخر

## الخُطْبَـــةُ الأُوْلَى

الحَمْدُ للهِ الذي تُسَبِّحُهُ الأَفْلاكُ الدَّائِرَةُ، والكَوَاكِبُ السَّائِرَةُ، ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾[1]. وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَـهُ وَهُـوَ القائِـلُ سُبْحانَهُ وَتَعالَى ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[2]، جَعَلَ اللَيلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسابِ، ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾[3]، فَيا لَهَا مِنْ قُدْرَةٍ، وأَعْظِمْ بِها مِنْ قُوَّةٍ.

وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدَ الخَلِيقَةِ وَمِسْكَ الخِتامِ، شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ وَرَفَعَ ذِكْرَهُ. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّد وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ اعْتَزَّتْ بِهِمْ الأُبُوَّةُ، وَشَرُفَتْ بِهِمْ البُنُوَّةُ، وَعَلَى صَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسانٍ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[4]. **أَمَّا بَعْدُ:** فأُوصِيكمْ أَيُّها المُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى اللهِ تَعالَى، فَإِنَّها نِعْمَ الشِّعارُ وَنِعْمَ الدِّثارُ، فادَّخِرُوها زاداً لَكُمْ فِي رِحْلَتِكُمْ مَعَ قافِلَةِ الأَيَّامِ وَاحْتَقِبُوها ذُخْراً لَكُمْ لِمآلِكُمْ فَإِنَّها نِعْمَ الزَّادُ لِيَومِ المَعادِ.

---

(١) الفرقان ٦١-٦٢.

(٢) النور ٤٤.

(٣) الرحمن ٥ -٦.

(٤) العنكبوت (٥٨).

أيُّها المُسْلِمُونَ: نَعِيشُ هَذِهِ اللَّحَظاتِ وَنَحْنُ نَـشْهَدُ انْـسِلاخَ عـامٍ مَـضَى مِـنْ حَياتِنا ، كَما نَرْقُبُ إطْلالَةَ عامٍ جَدِيدٍ يَطِـلُّ عَلَينَـا بِغُرَّتِـهِ ، وَكُـلُّ مَفْقُـودٍ يُمْكِـنُ أَنْ نَسْتَرْجِعَهُ إلا الوَقْتُ فَهُوَ إنْ ضاعَ لَمْ يَعُدْ فِي اسْتِرْجاعِهِ أَمَلٌ وَلا فِي إعادَتِهِ وَلَو ثانِيَـةً رَجاءٌ ، وَلِذَلِكَ كانَ الوَقْتُ أَنْفَسَ ما نَمْلِكُهُ نَحْنُ بَنِي الإِنْسانِ ، وَعِنْـدَ مـا نُـوَدِّعُ العامَ الهِجْرِيَّ الَّذِي سَيَرْحَلُ عَمَّا قَلِيلٍ حامِلاً مَعَهُ وَفِي حَقِيبَتِهِ كَثِيراً مِـنَ الـذِّكْرِيَّاتِ الحُلْوَةِ وَالمُرَّةِ ، بَلْ وَلَو أَلْقَى أَحَدُنا نَظْرَةً عـابِرَةً وَراءَهُ ، وَمـا مَـرَّ مِـنْ حَياتِـهِ ، مُنْـذُ اللَّحْظَةِ الأُولَى الَّتِي بَدَءَ مِنها السَّيْرَ فِي هَذِهِ الحَياةِ لِيَسْتَعْرِضَ أَيَّامَهُ وَأَعْوامَهُ الماضِـيَةَ ، فَإِنَّهُ لا يَرَى إلا بِدايَةً غامِضَةً ثُمَّ تَتَجَمَّعُ السِّنُونَ الطِّوالُ وَاللَّيالِي العِـراضُ ، فَـإِذا بِها وَكَأَنَّها يومٌ وَاحِدٌ قَصِيرٌ فَـلا طُـولَ وَلا عَـرْضَ ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [1] .

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ: وَإذا كُنَّا نُوَدِّعُ هذا العامَ بِكَثِيرٍ مِـنَ الغُـصَصِ وَالمَـآسِي الَّتِي تَجَرّعناها وَتَجَرَّعَها مَعَنا العالَمُ الإِسْلامِيُّ وَالعَرَبِيُّ بَلِ العالَمُ كُلُّـهُ شَرْقُـهُ وَغَرْبُـهُ وَشِمالُهُ وَجَنُوبُهُ ، لِذا عَلَينا أَنْ نَأْخُذَ العِبْرَةَ وَالعِظَةَ ، وَنَسْتَفِيدَ مِنَ الدُّرُوسِ وَنَعِيَها جَيِّدًا وَنَحْنُ نَسْتَقْبِلُ العامَ الهِجْرِي الجَدِيدَ الَّذِي يَقِفُ عَلَى الأَعْتابِ عام بِما يَلِيقُ بِهِ وَبِنا نَسْتَقْبِلُهُ بِقُلُوبٍ عامِرَةٍ بِالمَحَبَّةِ وَالتَّسامُحِ وَإِنْكارِ الذَّاتِ وَالتَّواضُعِ فَلا جَفْوَةَ ، وَلا بَغْضاءَ ، وَلا تَنافُرَ ، وَلا خِصامَ.

هَلُمَّ نَتَساءَلُ أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ، وَلْنُحاسِبْ أَنْفُسَنا وَلْنُفَتِّشْ كِتـابَ أَعْمالِنـا كَيفَ طَوَيْناهُ ، وفِيهِ كُلَّما أَسْلَفْناهُ ، وَنَتَذَكَّرُ ما قَدَّمْناهُ ، فَإِنْ كانَ خَيراً حَمِدْنا الله تَعالَى

(١) المؤمنون ١١٢ – ١١٤.

وَشَكَرْناهُ ، وَإِنْ كانَ غَيرَ ذَلِكَ تُبْنا إِلَى اللهِ وَاسْتَغْفَرْناهُ ، وَعَمِلْنا مِنَ الحَسَناتِ ما يَأْتِي عَلَى السَّيِّئاتِ فَيَمْحُها ، وَرَبَّكَ يَغْفِرُ وَيَمْحُو ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ.

وَهَكَذا تَمُرُّ عَلَينا الأَيَّامُ وَالشُّهُورُ ، وَتَكِرُّ عَلَينا الأَعْوامُ وَالدُّهُورُ ، فَنَغْدُوا وَنَرُوحُ ، وَنَتْعَبُ وَنَسْتَرِيحُ ، وَنَنامُ وَنَسْتَيْقِظُ ، وَنَمْرَضُ ونَشْفَي ، وَنُصْبِحُ وَنُمْسِي ، وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَنْ يومِنا وَغَدِنا، وَنَظَلُّ نَعْبَثُ وَنَسْتَرْسِلُ فِي عَبَثِنا وَكَأَنَّما نَحْنُ نِيامٌ حَتَّى إِذا اسْتَرْخَتْ أَجْفانُنا عَلَى أَعْيُنِنا، وَدَخَلَ ظَلامُ المَوتِ تيَقَّظنا مَذْعورينَ ، وَالناسُ نِيامٌ فَإِذا ماتُوا انْتبَهُوا وَلَكِنْ هَيْهاتَ هَيْهاتَ لَقَدْ صَحَوْنا بَعْدَ فَواتِ الأَوانِ.

يا بْنَ أَدَمَ مَهْما عِشْتَ فَإِلَى الثَّمانِينَ أَوِ التِّسْعِينَ وَهَبْكَ بَلَغْتَ المِئِينَ فَما أَقْصَرَها مِنْ مُدَّةٍ ، وَما أَقَلَّهُ مِنْ حِينٍ، أَما تَسْمَعُ وَتَقْرَأُ قِصَّةَ شَيْخِ الأَنْبياءِ نُوحٍ عَلَيهِ السَّلامِ ، وَقَدْ لَبِثَ فِي قَوْمِهِ داعِياً أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عاماً قِيلَ لَهُ كَيْفَ رَأَيْتَ هَذِهِ الدُّنْيا ؟ وَعُمْرُكَ الطَّوِيلُ فَقالَ عَلَيهِ السَّلامُ:(( إِنَّها كَداخِلٍ مِنْ بابٍ وَخارِجٍ مِنْ آخَرَ )).

إِنَّ شَأْنَ الناسِ مَعَ الدُّنْيا الخَداعَةِ المَكَّارةِ غَرِيبٌ وَعَجِيبٌ يلهونَ وَالقَدَرُ يَرْقُبُهُمْ ، يمْزَحُونَ وَالقَدْرُ جادٌّ ، يَنْسَونَ وَالمُحاسِبُ لا يَنْسَى ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ ﴾ (١).

إِنَّ المُسْلِمَ الحَقَّ يُغالِي بِالْوَقْتِ مُغالاةً شَدِيدَةً لأَنَّهُ يَعْرِفُ حَقَّ المَعْرِفَةِ أَنَّ الوَقْتَ عُمْرُهُ ، فَإِذَا سَمَحَ بِضياعِهِ وَتَرْكِهِ لِلتُّرُهَّاتِ ، وَأَمْضاهُ فِي البطالاتِ عَرَفَ أَنَّ عُمْرَهُ ضاعَ وَخَسِرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ .

---

(١) المجادلة (٦).

فَيَا ضَيْعَةَ الأَعْمارِ تَمْـضِي سَـبَهلَلَا ... وَدَرَّتُهَا تَعْلُـو عَـلَى أَلْـفِ دُرَّةِ

مَن أَشْغَلَ الأَيَّامَ بِـالخَيرِ أَثمَـرَتْ ... بِخَيرٍ وَإِلَا أَشْـغَلَتْهُ بِحَـسْرَةِ[1]

وَالإِسْلامُ دِينٌ يَعْرِفُ قِيمَةَ الوَقْتِ ، وَيُقَدِّرُ خُطُورَةَ الـزَّمَنِ وَيُؤَكِّـدُ الحِكْمَـةَ العالِيَةَ الغالِيَةَ (( الوَقْتُ كالسَّيفِ إِنْ لَمْ تَقْطَعْهُ قَطَعُكَ )) وَيَجْعَلُ مِنْ دَلائِلِ الإِيـمانِ ، وَأَماراتِ التُّقَى أَنْ يَعِيَ المُسْلِمُ هَذِهِ الحَقِيقَةَ وَيَسِيرَ عَـلَى مِنْوالِهـا وَهُـداها ، ﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾[2] . وَيَعْتَـبِرُ الإِسْلامُ الناسَ الذَاهِلِينَ عَنْ غَدِهِمْ ، الغارِقِينَ فِي حاضِرِهِمْ ، المَسْحُورِينَ بِبَرِيـقِ الدَّارِ العاجِلَةِ وَزَخارِفِهَا الزَّائِفةِ ، يَعْتَبِرُهُمْ قَوماً خاسِرِينَ كُلَّ الخُسْرانِ سُفَهاءَ كُـلَّ الـسَّفاهَةِ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[3].

أَيُّها الأَخُ المُسْلِمُ: مَنْ عِلِمَ أَنَّ المَوتَ حَقٌّ ، و هُوَ سُـنَّةُ الله فِي خَلْقِـهِ ، فَكَيـفَ يَطْمَعُ فِي البَقاءِ ، وَهُوَ يَرَى كَثْرَةَ الرَّاحِلِينَ، وَما لَكَ لا تَسْتَعِدُّ لِلرَّحِيلِ أَيُّها المِـسْكِينُ وَأَنْتَ تَعْلَمُ وَتَسْمَعُ قَولَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ " لِبَعْضِ المُـؤْمِنينَ (( كُـنْ فِي الدُّنْيا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عابِرُ سَبِيلٍ )) [4].

---

(١) من البحر الطويل للحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر با علوي.

(٢) يونس(٦).

(٣) يونس(٧ -٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقائق باب قول النبي صلى الله عليـه وسـلم كـن في الـدنيا كأنـك غريب أو عابر سبيل عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليـه وسـلم بمنكبـي

إِنَّ الإِنْسانَ يَسِيرُ سَيْراً حثِيثاً إِلَى الله تَعالَى ، وَكُلُّ دَوْرَةٍ لِلْفَلَكِ تُسْفِرُ عَنْ صَباحٍ جَدِيدٍ لَيْسَتْ إِلا مَرْحَلَةً مِنْ مَراحِلِ الطَّرِيقِ الَّذِي لا تَوَقُّفَ فِيهِ أَبَداً ، بَلْ تُقَرِّبُهُ مِنَ الآخِرَةِ وَتُبْعِدُهُ عَنِ الدُّنْيا ، وَمِنَ الغَباءِ أَنْ يَظُنَّ المَرْءُ نَفْسَهُ واقِفاً ، وَالزَّمَنُ يَسِيرُ، إِنَّهُ خِداعُ النَّظَرِ كَما يُقالُ حِينَ يُخَيَّلُ لِراكِبِ السَّيارَةِ السَّرِيعَةِ أَنَّ الأَشْياءَ حَوْلَهُ تَجْرِي وَهُوَ واقِفٌ.

وَالسُّفَهاءُ الحَمْقاءُ مِنَ الناسِ تَمُرُّ بِهِمْ الأَحْوالُ الحَسَنَةُ وَالسَّيِّئَةُ فَلا يَسْتَفِيدُونَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً وَفِي الحَدِيثِ: (( إِنَّ المُنافِقَ إِذا مَرِضَ ثُمَّ عُوفِيَ كانَ كالْبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ ثُمَّ أَرْسَلُوهُ فَلَمْ يَدْرِ لِمَ عَقَلُوهُ ، وَلَمْ يَدْرِ لِمَ أَرْسَلُوهُ)) (1) أَجَلْ وَالله لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ مَنْ لَمْ تُهَذِّبْهُ التَّجارُبُ ، وَتُقَوِّمْهُ الأَيامُ ، وَهَلْ تَعْتَرِضُ الأَلآمُ الناسَ إِلا لِيَتَعَلَّمَ بِها الجاهِلُ وَيَصْحُو بِها الغافِلُ ، وَيَتُوبَ إِلَى الله مِنْ بُعُدَ عَنْهُ ، وَقَبِيحٌ بِالناسِ أَنْ يَظُنُّوا أَنَّ مَحْياهُمْ فِي هَذا الوُجُودِ العَجِيبِ الرَّتِيبِ سُدًى، إِنَّ عُمْرَكَ أَيُّها الإِنْسانُ هُوَ رَأْسُ مالِكَ الضَّخْمِ ، فَحافِظْ عَلَيهِ .

---

فقال كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكان ابن عمر يقول إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك.

(1) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجنائز باب باب الأمراض المكفرة للذنوب وابن أبي الدنيا في كتابه المرض والكفارات والبيهقي في شعب الإيمان الباب السابع والأربعون من شعب الإيمان عن عامر الرام أخي الخضر من حديث طويل وفيه: إن المؤمن إذا أصابه السقم، ثم أعفاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه، وموعظة له فيما يستقبل، وإن المنافق إذا مرض ثم أعفي كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه، فلم يدر لم عقلوه، ولم أرسلوه ».

إِنَّمَا رَأْسُ مَالِكَ العُمْرُ فَاعْمُرْهُ ... بِفِعْلِ الجَمِيلِ وَالمَكْرُمَاتِ[1]
وَاتَّخِذْهُ مَطِيَّةً تَمْتَطِيهَا ... لِبُلُوغِ السَّبِيلِ لِلدَّرَجاتِ

وَلَسَوفَ تَسْأَلُ عَنْ إِنْفاقِهِ وَتَصَرُّفِكَ فِيهِ ، قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ (( لا تَزُولُ قَدَما عَبْدٍ يومَ القِيامَةِ حَتَّى يُسْأَلُ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْناهُ ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيما أَبْلاهُ؟ وَعَنْ مالِهِ مِنْ أَيْنَ اِكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ ماذا عَمِلَ بِهِ ؟)) [2]

وَمِنْ كَلِماتِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ (( ما مِنْ يَومٍ يَنْشَقُّ فَجْرُهُ إِلا نادَى مُنادٍ مِنْ قِبَلِ الحَقِّ ـ جَلَّ جَلالُهُ ـ يا بْنَ أَدَمَ أَنا خَلْقٌ جَدِيدٌ ، وَعَلَى عَمَلِكَ شَهِيدٌ ، فَتَزَوَّدْ مِنِّي بِعَمَلٍ صالِحٍ فَإِنِّي لا أَعُودُ إِلَى يَومِ القِيامَةِ)).

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ: لِنَأْخُذَ الدَّرْسَ وَالعِبْرَةَ وَلْنَتَّعِظ وَنَحْنُ نُشَيِّعُ العامَ ١٤١٨هـ وَنَسْأَلُ كَمْ وُلِدَ فِيهِ مِنْ عَظِيمٍ، وَكَمْ ماتَ فِيهِ مِنْ زَعِيمٍ ، وَكَمْ وَلِيَ فِيهِ وَعُزِلَ مِنْ كَرِيمٍ وَلَئِيمٍ ، وَكَمْ غَنِيَ فِيهِ مِنْ فقير ، وَافْتَقَرَ فِيهِ مِنْ غَنِيٍّ كَبِيرٍ ، وَكَمْ عَزَّ فِيهِ مِنْ ذَلِيلٍ ، وَذَلَّ فِيهِ مِنْ عَزِيزٍ، وَحَوادِثُ الزَّمانِ لا تُحْصَى بِحُسْبانٍ ، وَرَبُّكَ

---

(١) هذه الأبيات من قصيدة الإمام الحداد التي مطلعها:
البِدَارَ البِدَارَ قَبْلَ الفَوَاتِ ... إِنَّما أَنْتَ عُرْضَةُ الآفَاتِ

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب صفة القيامة باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص وقال هذا حديث حسن صحيح والدارمي في سننه كتاب المقدمة باب من كره الشهرة والمعرفة من طريق أبو بكر عن الأعمش عن سعيد بن عبد الله بن جريج عن أبى برزة الأسلمى قال قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-:« لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه.

الرَّحْمَنُ كُلَّ يومٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ، فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ ، وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ ، يَرْفَعُ قَوْماً وَيَضَعُ آخَرِينَ ، فَيُؤْتِي الملك مَنْ يَشاءُ ، وَيَنْزِعُهُ عَمَّنْ يَشاءُ ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشاءُ ، وَبِيَدِهِ المَوتُ وَالحَياةُ ، وَالتَّأْخِيرُ وَالتَّقْدِيمُ ، حَوادِثُ الدَّهْرِ كَثِيرَةٌ وَالناسُ عَنْها مَشْغُولُونَ وَعِبَرُ الأَيَّامِ جَمَّةٌ وَنَحْنُ عَنْها غافِلُونَ ، فَطُلُوعٌ وَأُفُولٌ ، وَمَمالِكُ تُبْنَى وَأُخْرَى تَزُولُ ، وَمَدَائِنُ تُعَمَّرُ وَأُخْرَى تُدَمَّرُ ، وَإِذا أَرَادَ الله أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، وَإِنَّ الدَّارَ هَذِهِ لِلْفَناءِ ، وَسُكَّانُها لِلْمَوتِ وَالبلاءِ ، وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ لَو كانُوا يَعْلَمُونَ ، وَالعاقِلُ بِما يُشاهِدُهُ فِي هَذِهِ مُتَّعِظٌ وَمُعْتَبِرٌ، وَالجاهِلُ مَيِّتُ الضَّمِيرِ لا يُبالِي بِالأَحْداثِ الَّتِي تَمُرُّ بِهِ ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (1) .

عِبادَ الله: وَنَحْنُ فِي مَقامِنا هَذا نُوَدِّعُ عاماً وَنُشَيِّعُهُ بِما فِيهِ ، وَما مَضَى بِهِ بِخَيْرِهِ وَشَرِّهِ وِيُسْرِهِ وَعُسْرِهِ ، وَبِرِبْحِهِ وَخُسْرِهِ ، وَنَسْتَقْبِلُ عاماً يَكادُ يَطِلُّ عَلَيْنا بِرَأْسِهِ وَلا أَحَدَ إِلا الله تَعالَى يَعْرِفُ ماذا يَحْمِلُهُ لَنا و لِلْعالَمِ ، وَمَا تُكِنُّهُ لَنا فِيهِ الأَقْدارُ ، وَفِي طَيِّ الأَقْدارِ أَسْرارٌ ، غَيرَ أَنَّ الله تَعالَى، جَعَلَ لَنا شَيْئاً مِنَ القُدْرَةِ وَأَعْطانا بَعْضاً مِنَ الإِرَادَةِ ، لِكَي نُصْلِحَ وَنُغَيِّرَ ما يُمْكِنُ إِصْلاحُهُ وَتَغْيِيرُهُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (2) حَيثُ جَعَلَ الله الخِلافَةَ فِي أَرْضِهِ لَنا نَحْنُ بَنِي آدَمَ لِنُعَمِّرَها وَنُطَوِّرَها مادِياً وَرُوحِيًّا.

---

(1) الذاريات: ٢٠ – ٢١.

(2) الرعد(١١).

أَسْعَفَنا الله وَإِياكُمْ بِتَسْدِيدِهِ ، وَأَتْحَفَنَا وَإِيَّاكُمْ بِتُحَـفِ مَزِيـدِهِ وَحَمَّلَنـا وَإِيَّـاكُمْ بِزِينَةِ تَوْحِيدِهِ ، وَجَعَلَنا مِنْ صالِحِ عَبِيدِهِ ، إِنَّ أَفْصَحَ المَقالَةِ بياناً ، وَأَوْضَحَ الدَّلالَـةِ بُرْهاناً ، كَلامُ سَيِّدِنا وَمَولانا.

وَاللهُ يَقُـولُ وَبِقَولِـهِ يَهْتَـدِي المُهْتَـدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١) وَقالَ عَزَّ منْ قائِلٍ كَرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (٢).

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ (٣).

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِـي وَإِيـاكُمْ مِـنَ الآيـاتِ وَالـذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولِي قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) الأعراف: ( ٢٠٤ ) .

(٢) النحل: (٩٨).

(٣) الشعراء٢٠٥– ٢٠٩

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَـيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَتْ لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَ أَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلَائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَـرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَ بَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيـلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَـلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

عِبَادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعـالى اتَّقُـوا الله مِـنْ سَمَـاعِ اللَّغْـوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِـزَّاءُ: جـاءَ فِي الأَثَـرِ (( اِرْتَحَلَـتْ الـدُّنْيا مُـدْبِرَةً ، وَارْتَحَلَـتْ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً ، وَلِكُلٍّ مِنْهُما بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْناءِ الـدَّارِ المُقْبِلَـةِ ، وَلا تَكُونُـوا مِـنْ أَبْناءِ الدَّارِ المُدْبِرَةِ ، فَإِنَّ اليَومَ عَمَلٌ وَلا حِسابٌ ، وَغَداً حِسابٌ وَلا عَمَلَ ))[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقائق باب في الأمل وطوله وقول الله تعالى معلقا وموقوفا عن سيدنا علي.

أَجَلْ: تَمُرُّ بِمَراحِلِ حَياتِنَا الدُّنْيا كَسَفْرٍ عابِرٍ فِي طَرِيقِهِ إِلَى حَيثُ يَحُطُّ رِحالَـهُ، وَيُبْلِغُ آمالَهُ، وَتُغَيِّرُ الأَحْداثُ نَضارَتَهُ وَأَحْوالَهُ، إِنَّ الحَياةَ كُلَّها كَطَيفِ حُلْـمٍ يَمُـرُّ سَرِيعاً، أَوْسَرابٍ بِقِيعَةٍ.

فَما أَسْرَعَ مُرُورَ الأَيامِ نَطْوِيها وَتَطْوِينا، نَقْطَعُها وَهِيَ تَقْطَعُ أَعْمارَنا قَطْعَ السُّيُوفِ البَواتِرِ، وَنَحْنُ نَضْحَكُ بِمِلْءِ أَفْواهِنا غَيرَ عابِئِينَ بِما نُهْرِقُهُ مِنْ زَمَنٍ عَزِيزٍ غالٍ، وَرَحِمَ الله امْرَأً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ، قَبْلَ أَنْ يَنْدَمَ وَلاتَ ساعَةَ مَنْدَمٍ، وَلَكِنْ هَيْهاتَ، فَلَنْ يَعُودَ ما فَاتَ، كَيفَ يَسْتَعْجِلُ المَرْءُ ما أَقْبَلَ مِنْ دَهْرِهِ، وَيَتَمَنَّى الإِسْراعَ فِي انْقِضاءِ أَيَّامٍ شَهرَهِ لِيَسْتَلِمَ شَيْئاً مِنْ مُرتَّبِهِ وَأَجْرِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ يَنْقُصُ مِنْ عُمْرِهِ، وَأَنَّها مَراحِلُ يَقْطَعُها مِنْ سَفَرِهِ وَصَفَحاتٌ يَطْوِيهَا مْن دَفْتَرِهِ.

يُسِرُّ المَرْءَ ما ذَهَبَ اللَّيالِي    وَكانَ ذَهابُهُنَّ لَهُ ذِهاباً

فَهَلْ يُسَرُّ أَحَدٌ بِوُصُولِهِ إِلَى قَبْرِهِ، وَمُفَارَقَتِهِ لِمالِهِ وَأَهْلِهِ وَمَعْشَرِهِ، إِلا عَبْداً اسْتَعَد لِلْقُدُومِ عَلى الله بِامْتِثالِ أَمْرِهِ، فَأَحْسَنَ فِيما أَتاهُ الله مِنْ صِحَّةٍ وَمالٍ، وَعِلْمٍ وَعَقْلٍ، وَمَكانَةٍ عالِيَةٍ، وَرَاقَبَ الله فِي فِعْلِهِ وَتَرْكِهِ وَسِرِّهِ وَجَهْرِهِ.

قالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ (( ما مِنْ ساعَةٍ تَمُرُّ بِابْنِ آدَمَ لَمْ يَذْكُرِ الله فِيهَا إِلا حسِرَ عَلَيهَا يَومَ القِيامَةِ )) [1]

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٣٦١) وقال: غريب. والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٩٢، رقم ٥١١) وقال: في هذا الإسناد ضعف غير أن له شواهد من حديث معاذ.

وَقالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ (( أَعْمارُ أُمَّتِي ما بَينَ السِّتِّينَ وَالـسَّبْعِينَ وَأَقَلُّهُـمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ )) (١). وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قالَ(٢):

أَيا مَنْ عاشَ فِي الدُّنْيا طَـوِيلاً ... وَأَفْنَـى العُمْـرَ فِي قِيـلٍ وَقـالِ
وَأَتْعَـبَ نَفْـسَهُ فِـيما سَـيَفْنَى ... وَجَمَّـعَ مِـنْ حَـرامٍ أَوْ حَـلالِ
هَبِ الدُّنْيا تُقـادُ إِلَيـكَ عَفْـواً ... أَلَـيْسَ مَـصِيرُ ذَلِـكَ لِلـزَّوالِ

كَمْ مِنَ السَّاعاتِ وَالأَيَّامِ وَالـسِّنِينَ تَـضِيعُ فِي حَياتِنـا وَحَيـاة أُمَّتِنـا فِي اللَّهْـوِ وَالنَّومِ وَالكَسلِ وَالثَّرْثَرَةِ، داخِلَ بُيُوتِنا وَخارِجِها فِي الشَّوارِعِ ، وَمَقَـرِّ العَمَـلِ ، فِي الدَّوائِرِ وَالمَكاتِبِ وَالمَصانِعِ ، وَحَتَّى فِي المَدارِسِ وَالمَساجِدِ ، نُضِيعُ الوَقْتَ مجَّانًا بَـلْ نخْسرُهُ فِي الدُّنْيا وَالأُخْرَى عَلَى حِينِ يَسْهَرُ أَعْداؤُنا وَيكَدحُونَ فِيـهِ وَلا تفـوتهمْ دَقِيقَـةٌ وَلا ثانِيَةٌ مِنْ أَجْلِ تَحْصِيلِ أَسْبابِ القُوَّةِ وَمِـنْ أَجْـلِ فَـرْضِ سَـيْطَرَتِهِمْ عَـلَى مَـصائِرِنا فالزَّمَنُ جُزْءٌ مِنْ تَقَدُّمِهِمْ وَنَجاحِهِمْ لأَنَّهُمْ عَمَّرُوهُ وَاسْـتَفَادُوا مِنْـهُ كَـما أَنَّـهُ جُـزْءٌ مِـنْ ضياعِنا وَفَشْلِنَا لأَنَّنا أَهْمَلْناهُ وَضَيَّعْناهُ وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ عَلِيِّ العَظِيمِ.

واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلاَئِكَتِهِ المُـسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَـالَ مُخْـبِرَاً وآمِـرَاً لَكُـمْ تَكْـرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الدعوات باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي هريـرة قـال قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلـك قـال الترمـذي: هذا حديث حسن غريب وقد روي عن أبي هريرة من غير هذا الوجه.

(٣) قاله الأبشيهي في المستظرف.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَـحْبِهِ ومَـنْ نَـصَرَهُ ، خُـصُوصَاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي، والـمَقَامِ الأَفْـضَـلِ: سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْـرٍ وعُمَـرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَـبَابِ أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُسَينِ، وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْـرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُـبْرَى ، و عَـنْ عَائِـشَةَ الرِّضَـا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُـولِكَ خَـيرِ النَّـاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَـشَرَةِ الـمُبَـشَّرَةِ الَّـذِينَ بَايَعُوا نَبِيَّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَـعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْــمَنِ وأَبِــي عُبَيْدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَانُ الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجَلِيَ الظُّلْمَـةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَـا بالإِسْـلَامِ والإِيمَـــانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَـا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَــا بِــالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانَنَـا ، وابْـسُطِ الأَمْــنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرَ بِـلادَ الـمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبِنَا ،

وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَ وَلِّ عَلَينا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عونَاً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَوِّكَ أَجْمَعِينَ.اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثَاً مُغِيثَاً هَنِيئَاً مَرِيئَاً ، سَحَّاً عَامَّاً دَائِمَاً مُبَارَكَاً فِيهِ ، نَافِعَاً غيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1] .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

عِبَادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ ؛ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ والله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

(١) البقرة آية:٢٠١.

# الهجرة النبوية الشريفة

## الخطبة الأولى

الحَمْدُ لله رَبِّ العالَمِينَ ، ناصِرِ عِبادِهِ المُسْتَضْعَفِينَ ، وَحامِي حَوزَةِ الدِّينِ، شَرَعَ الهِجْرَةَ وَالجِهادَ ، لِحِمايَةِ الدِّينِ وَدَرْءِ المَفاسِدِ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ ، نَحْمَدُهُ تَعالَى ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَهْدِينَا سَبِيلَ الرَّشادِ.

وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المُهاجِرُ بِدِينِهِ ، وَالقائِلُ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى الله عَنْهُ»[1].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ، أَثْبَتِ كُلِّ مُجاهِدٍ وَصابِرٍ ، وَسَيِّدِ الأَوَائِلِ وَالأَوَاخِرِ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسانٍ.

أَمَّا بَعْدُ: فَيا عِبادَ الله أُوصِيكُمْ أَيُّها المُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله وَطاعَتِهِ، فَهِيَ ذَرْوَةُ المَجْدِ وَالشَّرَفِ ، إِذْ لا فَضْلَ لِذِي عَرَبِيَّةٍ عَلَى ذِي عُجْمَةٍ إِلاَّ بِتَقْوَى الله تَعَالَى ، فَفِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الله قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا فَالنَّاسُ رَجُلَانِ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى الله وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى الله وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَخَلَقَ الله آدَمَ مِنْ تُرَابٍ قَالَ الله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾))[1].

أَيُّها المُسْلِمُونَ: نِعَمُ الله عَلَى عِبادِهِ كَثِيرَةٌ جَمَّةٌ ، وَأَجَلُّها نِعْمَةُ الإِسْلامِ ، وَكَفَى بِها مِنْ نِعْمَةٍ ، وَهِيَ دِينُ نَبِيِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله سَيِّدِ أَهْلِ العِصْمَةِ ، وَكِتابُهُ القُرْآنُ كِتابُ النُّورِ وَالْهُدَى وَالْحِكْمَةِ ، وَدُسْتُورِ العَدْلِ وَالْمُساواةِ بَينَ جَمِيعِ أَفْرادِ الأُمَّةِ ، أَرْسَلَهُ الله بَشِيراً وَنَذِيراً ، وَداعِيًا إِلَى الله بِإِذْنِهِ وَسِراجاً مُنِيراً ، وَأَنْذَرَ الكافِرِينَ يَومًا عَبُوساً قَمْطَرِيراً ، وَقَرَأَ عَلَيهِمْ قَولَ رَبِّهِ تَعالَى: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴾[2]، وَجَاهَدَ فِي الله حَقَّ جِهادِهِ لا يَخافُ دُونَ الله أَحَداً، مُؤَيَّداً بِقَولِهِ تَعالَى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾[2].

فَآذاهُ قَومُهُ المُشْرِكُونَ ، وَقالَوا ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ، أَوْ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيبَ المَنُونِ ، وَقالَ لَهُ رَبُّهُ تَعالَى ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[3] وَبَلَغَ المُشْرِكُونَ مِنْ أَصْحابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ مِنَ الأَذَى ما بَلَغُوا حَتَّى فُتِنَ الْبَعْضُ ، وَثَبَتَ عَلَى الحَقِّ آخَرُونَ ، فَصارُوا يَفِرُّونَ بِدِينِهِمْ وَإِلَى الله يُهاجِرُونَ ،

---

(١) ( الحجرات ١٣ ) والحديث أخرجه الترمذى (٥/ ٣٨٩، رقم ٣٢٧٠) وقال: غريب. والبيهقي فى شعب الإيمان (٤/ ٣٠٤، رقم ٥١٩٣).

(٢) سورة الإنسان (الآية ٤ والآية ٢٣-٢٤).

(٣) النحل (١٢٧-١٢٨).

حَتَّى جَمَعَ الله شَمْلَهُمْ فِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ وَظَهَرَ أَمْـرُ الله، فَهـاجَرَ سَـيِّدُ المُرْسَـلِينَ مِـنَ البَلَدِ الأَمِينِ، إِلَى دارِ إِخْوانِهِ وَأَنْصارِهِ فِي الـدِّينِ، بَعْـدَ أَنْ جـاءَهُ الأَمْـرُ وَحْيًـا مِـنَ السَّماءِ عَلَى لِسانِ جِبْرِيلَ الأَمِـينِ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (١).

أَيُّهـا الإِخْـوَةُ المُسْلِمُونَ: إِنَّ مِـنَ الأَحْـداثِ الَّتِـي أَثَّـرَتْ فِي مَـسارِ الـدَّعْوَةِ الإِسْلامِيَّةِ ، وَغَيَّرَتْ وَجْهَ التَّارِيخِ: هِجْرَةُ الرَّسُولِ الأَعْظَـمِ وَأَصْـحابِهِ المُهـاجِرِينَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ ، فَقَدْ مَكَثَ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ثَلاثَ عَـشَرَ سَـنَةً يَـدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ ، وَيَهْدِي النَّاسَ إِلَى الحَقِّ فِي تَؤَدَةٍ وَمَهَلٍ ، داعِيًا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلفًا مَأْلُوفًا ، سَهْلاً واضِـحًا ، أَبْعَـدَ النَّـاسِ فِي دَعْوَتِـهِ إِلَى الإِسْـلامِ عَـنِ التَّنْفِـيرِ ، وَالإِغْراءِ وَالإِغْواءِ ، إِنَّ خُصُومَ الإِسْلامِ لجَأُوا إِلَى وَسائِلَ دنِيئَـةٍ رَخِيـصَةٍ فِي النَّيْـلِ مِنَ الدَّعْوَةِ وَصَاحِبِهَا ، فَلَجَأُوا أَوَّلاً إِلَى التَّـشْوِيشِ عَـلَى القُـرْآنِ الكَـرِيمِ ، وَإِثـارَةِ الـشَّغبِ فِي مجَـالِسِ قِراءَتِـهِ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾(٢) ثُـمَّ لَـجَأُوا إِلَى الـسُّخْرِيَّةِ وَالاسْتِـهْزاءِ بِالمُـسْلِمِيـنَ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ۝٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾ (٣)، وَتَنَـوَّعَ الأَذَى عَـلَى صَحَابَةِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ صابِرُونَ مُحْتَـسِبُونَ ، حَتَّـى ارْتَفَعَـتْ

---

(١) الأنفال ٣٠.

(٢) فصلت ٣٦

(٣) المطففين ٢٩-٣٣.

صَرَخـاتُهُمْ إِلَى الـسَّماءِ ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[1] وَكانَتْ خاتِمَةُ الـصراعِ بَـينَ جَبـابِرَةِ الكُفـرِ وَالْوَثَنِيَّـةِ ، وَبَينَ الحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ ، أَنْ يُدَبِّرُوا مُؤامَرَةً لِاغْتِيالِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ فاجْتَمِعُوا فِي لَيْلَةٍ حالِكَـةِ الـسَّوادِ ، لِلـتَّخَلُّصِ مِـنْ صَـاحِبِ الـدَّعْوَةِ ، فَتَرَصَّـدُوا بِسُيُوفِهِمْ الآثِمَةِ عَلَى بابِ الرَّسُولِ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ لِيَفْتِكُوا بِهِ ، فَيَا لله ما أَجْرَمَ القَومَ ، وَمَا أَهْوَلَ المَوقِفَ ، لَقَدْ كانَ قَلْبُ الدَّهْرِ خافِقًـا ، وَعَـيْنُ الزَّمـانِ سـاهِرَةٌ ، وَلَو تَمَّ لِلْمُشْرِكِينَ مَا أَرادُوهُ تِلْكَ الَّيلَةِ لَقَضْي عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ وَهِيَ لَمْ تَـزَلْ فِي أَوَّلِ خطواتِهَا ، وَلَنْطفَأَ ذَلِكَ النُّورُ الَّذِي انْبَثَقَ لِيُبَدِّدَ الظَّـلامَ ، وَلِيَنْـشُرَ الهُـدَى وَالأَمْـنَ وَالسَّلامَ ، وَلَكِنَّ الله غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ، وَأَيْنَ مَكْرُ القَومِ مِنْ رَقَابَةِ الله.

وَلَقَدْ أَعْلَمَ الله رَسُولَهُ بِما يضمره القَـومُ المُـشْرِكُونَ، فَـأَمَرَ رَسُـولَهُ صَـلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ بِالْهِجْرَةِ فَخَرَجَ وَمَعَهُ صاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ الله عَنْهُ وَاخْتَبَـأَ فِي غارِ ثَورٍ فِي الجَبَلِ بَأَسْفَلَ مَكَّةَ ،وأقام به ثَـلاثَ لَيـالٍ ، وَقُـرَيشٌ لم تَجِـد فِي البَحْـثِ عَنْهُمَا وَلَمْ تَنْجَحْ حِيلَتُهَا ، وَلَمْ تَصِلْ إِلَى ما تُرِيدُ ، وَكانَتْ الفَتاةُ الصَّغِيرَةُ ، أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ تَذْهَبُ إِلَيهِما فِي الغَارِ كُلَّ مَساءٍ فِي خَفاءٍ، تَقْطَـعُ فِي جَـوفِ الّلَيـلِ الطَّرِيـقَ الشَّاقَّ، تَحْمِلُ إِلَيْهِمَا الزَّادَ وَالْماءَ ، وَبَلَغَ مِنْ شَجاعَةِ هَذِهِ الفَتاةِ ، أَنْ يُقابِلَهَا عَـدُوُّ الله أَبُو جَهْلٍ الأَحْمَقُ ، فَيَسْأَلُهَا ما شَأْنُ أَبِيهَـا ؟ وَأَيْـنَ هُـوَ فَتَتَجاهَـلَ الأَمْـرَ ، فَيلْطِمُهَـا الأَثِيمُ عَلَى وَجْهِهَا لَطْمَةً يطِيرُ لَهَا قُرطُهَا مِنْ أُذُنِهَا ، وَهِيَ مَـعَ هَـذا لم تُـبْح بِمَكْنُـونِ سِرِّهَا.

---

(١) النساء ٧٥.

اِنْطَلَقَ الْمُشْرِكُونَ فِي كُلِّ مَكانٍ فِي الصَّحْراءِ وَالجِبالِ يَبْحَثُونَ عَنْ مُحَمَّدٍ وَصاحِبِهِ ، وَعِنْدَ الغارِ تَنْتَهِي أَثارُ السَّيْرِ فَأَحْدَقُوا به أَيْ حاصَرُوهُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ، وَيَسْمَعُ أَبُو بَكْرٍ وَقْعَ أَقْدامِهِمْ فَيَخافُ وَيَضْطَرِبُ قَلْبُهُ ، إلاَّ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَبْقَى ثابِتُ الجَنَانِ ، واثِقًا بِنَصْرِ الله وَتَأْيِيدِهِ ، مُعَلِّقًا قَلْبَهُ بِرَبِّهِ وَخالِقِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ لأَبِي بَكْرٍ: « يا أَبَا بَكْرٍ ما ظَنُّكَ بِاثْنَينِ الله ثالِثُهُما، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ وَأَرْسَلَ الله زَوْجًا مِنَ الحَمامِ الوَحْشِيِّ فَباضَ وَأَفْرَخَ عَلَى بابِ الغارِ، وَنَسَجَتِ العَنْكَبُوتُ عَلَى بابِ الغَارِ نَسْجَهَا» وَلله دَرُّ القَائِلِ [1]:

نسج داود لم يفد ليلة الغا ... ر وكان الفخار للعنكبوت

وَقالَ أَخَرُ [2]:

ظَنُّوا الحَمامَ وظَنُّوا العَنْكَبُوتَ على ... خَيْرِ البَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ ولمْ تَحُمِ
وِقايةُ الله أغنَتْ عَنْ مُضاعَفَةٍ ... مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عالٍ مِنَ الأُطُمِ

وَرَدَّ الله الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً ، وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ما كانُوا يُرِيدُونَ ، وَارْتَدُّوا عَلَى أَعْقابِهِمْ خائِبِينَ وَوَصَلَ الرَّسُولُ صَلَّى الله عَلَيه وَسَلَّمَ وَمَعَهُ صاحِبُهُ إِلَى المَدِينَةِ وَقَدْ سَبَقَهُما بَقِيَّةُ الصَّحابَةِ إِلَيها فِي حِفْظِ الله وَرِعايَتِهِ ، وَتَخْرُجُ طِيبَةُ الطَّيِّبَةُ عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهَا فِي أَكْرَمِ اسْتِقْبالٍ يُنْشِدُونَ:

---

(١) وهو قول ابن صابر المنجنيقي وهو من البحر الخفيف.

(٢) وهو لشرف الدين البوصيري وهو من البحر البسيط.

طَلَعَ البَدْرُ عَلَينَا     مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَداعْ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَينَا     ما دَعَا للهِ داعْ
أَيُّهَا المَبْعُوثُ فِينَا     جِئْتَ بِالأَمْرِ المُطَاعْ

وَيَجِدُ بِهَا قُلُوبًا تَفَتَّحَتْ لِدَعْوَةِ الحَقِّ ، فَآزَرَتْهَا وَأَيَّدَتْهَا وَتَكَوَّنَتْ حِيْنَئِذٍ الدَّولَةُ المُؤْمِنَةُ المُسْلِمَةُ المُجاهِدَةُ ، وَالأُمَّةُ المُؤْتَلِفَةُ المُتَحَابَّةُ ، الَّتِي لا تَعْرِفُ عَصَبِيَّةً لِجِنْسٍ أَوْ قَبِيلَةٍ أَوْ لِحِزْبٍ ، فالجَمِيعُ قَدِ انْصَهَرَ فِي بَوْتَقَةٍ واحِدَةٍ ، وَانْتَظَمَ فِي مَسْلَكٍ وَاحِدٍ ، وَأَصْبَحُوا جِسْمًا واحِداً ، وبِناءً مُتَرَاصًّا شامِخًا مُتَّحِداً مُتَماسِكاً ، يَعْمَلُ فِيهِ كُلُّ فَرْدٍ لِصالِحِ هَذا المُجْتَمَعِ ، وَلإِعْزازِ هَذا الدِّينِ ، وَأَحَبَّ أَهْلُ المَدينَةِ إِخْوَانَهُمْ المُهاجِرِينَ مَحَبَّةً لَمْ يُسَجِّلِ التَّارِيخُ مِثْلَهَا فَآثَرُوهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَقاسَمُوهُمْ الأَمْوالَ وَالْعَقارَ عَنْ طِيب خاطِرٍ ، فَلا قَسْرَ وَلا جَبْرَ كَمَا يَكُونُ فِي نِظامِ بَعْضِ المُتَسَلِّطِينَ ، فَجاءَ القُرْآنُ مُبارِكاً لَهُمْ هَذا الصَّنِيعَ الجَمِيلَ حَيثُ يَقُولُ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[1].

وَهُناكَ فِي دارِ الهِجْرَةِ، فِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، ظَهَرَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ ، وَانْتَصَرَ المُسْلِمُونَ فَتَمَّ المُرادُ ، وَشُرِعَ الجِهادُ ، وَظَهَرَ الإِسْلامُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهُ وَلَو كَرِهَ المُشْرِكُونَ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفْواجًا ، وَدانَ لِسُلْطانِ هَذا الدِّينِ دانُونَ وَقاصُونَ ، وَرَأَوْا فِيهِ سَعادَةَ الدَّارَيْنِ ، وَأَنَّهُ خَيرُ دُسْتُورٍ وَقانُونٍ ، وَأَصْبَحَ العَرَبُ

(١) الحشر ٩.

حُكَّامَ الأَرْضِ وَسـاداتِها ، حَتَّـى إِذا تَنكَّـرُوا لِـدِينِهِمْ ، وَهَجَـرُوا تَعالِيمَـهُ القَيِّمَـةَ السَّمْحَةَ كَما هِيَ حالُهُمْ الْيَـومَ ، إِرْتَـدَّوا عَـلَى أَعْقـابِهِمْ ، وَانْهَزَمُـوا أَمـامَ أَعْـدائِهِمْ وَضَعُفَتْ شَوْكَتُهُمْ، وَقَلَّتْ هَيْبَتُهُمْ ، وَفُلَّ حَدُّهُمْ ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِالله.

لَو نَظَرَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ الْيَومَ إلى الْمُسْلِمِينَ مِنْ أُمَّتِـهِ ، وَرَآهُـمْ مِنْ خَلْفِ أَلْفٍ وَمِئاتٍ مِنَ السِّنِينَ ، وَقَدْ تَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ ، وَتَمَزَّقَ صَـفُّهُمْ ، وَتَـشَتَّتَ شَمْلُهُمْ، لَقالَ لَهُمْ أَيْنَ ما تَرَكْتُكُمْ عَلَيهِ مِنَ العِزِّ وَالتَّمْكِينِ ، وَالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ المُبِينِ ، وَلَقالَ لَهُمْ ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾[1] وَما لَـهُ لا يَقُـولُ ذَلِـكَ ، ونَحْنُ ما نَحْنُ، نُعَدُّ بِالمَلايِينَ ، وَقَدْ تَداعَتْ عَلَينَا الأُمَمُ، وَأَصْبَحْنَا طُعْمَةً لِلظَّـالِمِينَ ، نُحِبُّ الحَياةَ وَنَكْرَهُ المَوتَ ، فَمَعْـذِرَةً إِلَى الله، وَسَـلامٌ عَلَيـكَ يـا رَسُـولَ الله ، إِنَّ حالَتَنَا نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ الْيَومَ حالَةٌ تُدْمى لَها القُلُوبُ ، وَتُفَتَّتُ لَهَا الأَكْبـادُ ، كَيـفَ لا يَكُونُ ذَلِكَ وَقَدْ أَذَلَّنَا الاسْتِعْبادُ ، وَصَرَعَنا الاسْتِبْدادُ ، بَعْدَ أَنْ خَضَعَتْ لَنَـا رِقـابُ العِبادِ ، وَرَفْرَفَتْ رايَتُنَا عَلَى كُلِّ البِلادِ ، فَأَيْنَ سَـلَفُنَا الأَمْجَـادُ ، وَآباؤُنَـا وَالأَجْـداد، مِـــنْ أَبْنَـــائِهِمْ وَالأَحْفَــاد،﴿ قَلِيلًا ۚ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ وَاتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾[2] أَجارَنِي الله وَإِيَّاكُمْ مِنَ الخِذْلانِ ، وَجنَّبَنَـا مَـوارِدَ الطُّغْيـانِ ، وَخَـتَمَ لَنَـا بِالإِسْـلامِ وَالإِيمانِ ، وَأَبْعَدَنَا عَنِ الخِزْيِ وَالنِّيرانِ.

(١) الأعراف: ١٥٠

(٢) مريم: ٥٩

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَـدِي المُهْتَـدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [1] وَقـالَ عَـزَّ مِـنْ قَائِـلٍ كَـرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [2].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطان الرَّجِيمِ

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [3].

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِيـاكُمْ مِـنَ الآيـاتِ وَالـذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) التوبة ٤٠.

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَــهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الـصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَــهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَــهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَـرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، جَمِيـلِ المُحَيَّـا والمَنْظَـرِ ، وعَـلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

أما بعدُ: فيا عِبَادَ الله: أُوصِـيكُمْ وَنَفْـسِيَ بِتَقْـوَى الله تَعـالى، اتَّقُـوا الله مِـنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أَيُّها المُسْلِمُونَ: إِذا أَمْعَنَّا النَّظَرَ فِي حادِثِ الهِجْرَةِ هَـذِهِ ، وَسَـأَلْنَا أَنْفُـسَنَا لِمـاذَا كانَتْ الهِجْرَةُ النَّبَوِيَّةُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ ؟ هَلْ كانَـتْ لِمُجَـرَّدِ الانْتِقـالِ مِـنْ بَلَـدٍ إِلَى آخَرَ أَوِ السِّياحَةِ ؟ أَوْ كانَتْ لِلْبَحْثِ عَنْ مَصْلَحَةٍ ذاتِيَّةٍ كَـمَا هُـوَ الحـالُ فِي هِجْراتِنَـا الْيَومَ ؟ أَوْ كانَتْ فِراراً مِنَ المَوتِ ، أَوْ طَلَبا لِلنَّجَاةِ كَمَا هِيَ حالَةُ كَثِيرٍ مِـنَ المغترِبِـينِ الهَارِبِينِ مِنَ الكَوارِثِ ، كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ سَبَبًا لِلْهِجْرَةِ، وَإِنَّمَا الإِجابَـةُ الْحَقَّـةُ الْفَـذَّةُ عَلَى هَذَا السُّؤالِ هِيَ أَنَّ الهِجْرَةَ كانَتْ انْتِقالاً وَفِراراً بِالْعَقِيدَةِ الإِسْلامِيَّةِ، مِنْ وَطَـنٍ

كَثُرَ فِيهِ البَاغِي وَقَلَّ فِيهِ النَّاصِرُ ، إِلَى وَطَنٍ آخر تَأْمَنُ فِيهِ عَلَى نَفْسهَا ، وَيَسْتَطِيعُ المُؤْمِنُونَ أَنْ يَجِدُوا تُرْبَةً طَيِّبَةً خَصْبَةً فَيَغْرِسُوا فِيهَا شَجَرَةَ التَّوحِيدِ وَيَبْنُوا صَرْحَ الإِسْلامِ شامخًا ، وَيُشَيِّدُوا بُنْيانَهُ ، وَيُرسخوا أَرْكانَهُ بِإِقامَةِ الدَّولَةِ الإِسْلامِيَّةِ الفتيَّةِ لأَوَّلِ مَرَّةٍ ، لَمْ تَكُنْ الهِجْرَةُ فِراراً أَوْ هَزِيمَةً وَخُنوعًا ، بَلْ كَانَتْ انْتِصاراً وَقُوَّةً وَشَمُوخًا ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ (١).

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: إِنَّ سَلَفَكُمْ الصَّالِحَ حِينَمَا أَرادُوا أَنْ يَجْعَلُوا لأُمَّتِهِمْ تارِيخًا ، اسْتَعْرَضُوا أَعْظَمَ ذِكْرياتِهِمْ حادِثَةً حادِثَةً ، فَلَمْ يَجِدُوا إِلاَّ الهِجْرَةَ بِدْأً لِلتَّارِيخِ الإِسْلامِيِّ وَمُفْتَتَحًا لِكُلِّ عامٍ جَدِيدٍ ، وَلَقَدْ كانُوا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُؤَرِّخُوا بِمِيلادِ النَّبِيِّ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَوْ بِبِعْثَتِهِ إِلَى النَّاسِ كافَّةً ، وَلَكِنَّهُمْ أَدْرَكُوا فِقْهَ الإِسْلامِ حِينَمَا جَعَلُوا الهِجْرَةَ بِدايَةَ تَارِيخِهِمْ الحَافِلِ بِأَمْجادِ الذِّكْرياتِ، فَهِيَ لا تُكَرَّمُ بِوَصْفِهَا سَفَراً مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ ، فَنَحْنُ الْيَومَ قَدْ نُسافِرُ مَسَافَةً أَطْوَلَ مِنْ هَذِهِ المَسَافَةِ لأَغْراضٍ مُخْتَلِفَةٍ فِيهَا شَيءٌ مِنَ الوَجاهَةِ وَحُبِّ الشَهْوَةِ ، وَالتَّاجِرُ يَقْطَعُ المَسافاتِ الطِّوالَ بَحْثًا وَسَعْيًا وَراءَ رِبحٍ دُنْيَوِيٍّ قَلَّ أَوْ كَثُرَ ، وَإِنَّمَا كُرِّمَتْ هِجْرَةُ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ ؛لأَنَّهُمْ أَرْخَصُوا مَصَالِحَهُمْ الخَاصَّةَ بِجَانِبِ العَقِيدَةِ وَالدِّينِ ، فَكانَ هَذَا يَعْنِي أَنَّ الفَرْدَ لا يَعِيشُ لِنَفْسِهِ فَحَسْبُ ، بَلْ عَلَيهِ أَنْ يَحْيَا لأُمَّتِهِ وَدِينِهِ ، وَلِيثبِّتَ مَا تُقَدِّسُهُ الأُمَّةُ مِن فَضَائِلَ ، وَمَا يَحُثُّ عَلَيهِ

---

(١) الصافات (١٧١-١٧٣).

الدِّينُ مِنْ عِزَّةٍ وَحُرِّيَـةٍ وَكَرامَـةٍ ، وَهَـذا مَـا يَعْنِيـهِ قَولُـهُ تعَـالَى ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ (1) .

فَهَذِهِ ذِكْرَى الهِجْرَةِ العِشْرِينَ بَعْدَ الأَرْبَع مِائَةٍ وَالأَلْفِ (2) تَطِلُّ عَلَى المُسْلِمِينَ الْيَومَ وَتَهِيبُ بِهِمْ فِي قُوَّةٍ وَشِدَّةٍلأَخْذِ العِبْرَةِ وَالْموعِظَةِ الحَسَنَةِ ، قالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ (( لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا )) (3) ، لَقَدْ جاءَ وَقْتُ الاسْتنفَارِ ، إِنَّهُ لا عُذْرَ لأَحَدٍ مِنْ أُمَّتِكَ الْيَومَ مِنَ الاسْتنفارِ فِي سَبيلِ الله فِي اسْتِرْدادِ الأَقْصَى، الأَسِيرِ فِي أَيْدِي أَعْداءِ الإِسْلامِ وَالْمُسْلِمِينَ، أَعْدائُكَ أَعْداءُ الله الَّذِينَ اسْتَحَقُّوا لَعْنَةَ الله الْمُتَّصِلَةِ بِهِمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ حَيثُ قالَ فِيهِمْ أَعَزُّ القَائِلِينَ ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴾(4) .

---

(١) البقرة (٢١٨).

(٢) على الخطيب أن يراعي السنة الذي هو فيها.

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٨٨، رقم ١٨٦٤)، وابن أبى شيبة (٧/ ٤٠٨، رقم ٣٦٩٣٢) عن عائشة و أخرجه أحمد (٣/ ٤٠١، رقم ١٥٣٤١)، والنسائى (٧/ ١٤٥، رقم ٤١٦٩).. حديث ابن عباس: أخرجه أحمد (١/ ٢٢٦، رقم ١٩٩١)، وابن أبى شيبة (٧/ ٤٠٧، رقم ٣٦٩٣٠)، والترمذى (٤/ ١٤٨، رقم ١٥٩٠) وقال: حسن صحيح. والنسائى (٧/ ١٤٦، رقم ٤١٧٠). وأخرجه أيضًا: البخارى (٣/ ١٠٢٥، رقم ٢٦٣١)، وأبو داود (٣/ ٣، رقم ٢٤٨٠).

(٤) المائدة ٧٨-٨٠.

نَعَمْ لقَدْ جاءَ يَومُ النَّفِيرِ يَومُ اسْتنفارِ الرِّجالِ وَالْمَالِ والطَّاقـاتِ والإِمْكانـاتِ لِاسْتِرْجاعِ القُدْسِ وَمُناصَرَةِ الإِخْوَةِ الفِلَسْطِينِيينَ وَانْتِفَاضَةِ الأَقْـصَى الَّتِـي تُنَـادِي أَنْ حَيَّ عَلَى الجِهادِ حَيَّ عَلَى خَيرِ العَمَـلِ، إِنَّ تَفْرِيطَنَـا نَحْـنُ الْمُسْلِمِينَ فِي القُـدْسِ يَكُونُ تَفْرِيطًا فِي كُلِّ مُقَدَّساتِنَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مَعْلُومٌ أَنَّنَا نَعِيشُ هَذِهِ الأَيَّامِ الفَاضِلَةَ وَهِـيَ العَـشْرُ الأَوَائِـلِ مِنَ الْمُحَرَّمِ ، إِنَّهُ يُطْلَبُ شَرْعًا صِيامُ يومَي التَّاسِعِ وَالعَاشِرِ ، لِمَا رَواهُ عَـنْ عُبَيْـدِ الله بْنِ أَبِي يَزِيدَ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا وَسُئِلَ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ فَقَـالَ: «مَا عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَامَ يَوْمًا يَطْلُبُ فَضْلَهُ عَلَى الْأَيَّـامِ إِلَّا هَذَا الْيَوْمَ وَلَا شَهْرًا إِلَّا هَذَا الشَّهْرَ يَعْنِي رَمَضَانَ»[1].

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ سُـئِلَ عَـنْ صِيَامِ يومَ عاشُوراءَ ، فَقالَ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ»[2] وَعَـنْ اِبْـنِ عَبَّـاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قالَ: قال رَسُولُ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ: لَئِنْ بَقِيـتُ إِلَى قَابِـلٍ لَأَصُـومَنَّ التَّاسِـعَ (أَيْ مَعَ العَاشِرَ) رَواهُ مُسْلِمٌ[3].

كَمَا يُسَنُّ فِي العَاشُوراء التَّوسِعَةُ عَلَى العِيَالِ ـ وَصِلَةُ الأَرْحامِ وَالْعَطْـفُ عَـلَى الأَيْتامِ ، وَزِيَارَةُ الصُّلَحاءِ وَالْعُلَمَاءِ ، وَأَهْلِ الفَضْلِ وَعِيادَةُ المَرْضَى.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصيام باب صوم يوم عاشوراء.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصيام باب استحباب صيام ثلاثة أيام مـن كـل شـهر وصـوم يـوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس.

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ٧٩٨، رقم ١١٣٤)، وابن ماجه (١/ ٥٥٢، رقم ١٧٣٦).

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ الْمُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِرَاً وآمِرَاً لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِـي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ، وأَبِـي عَبْدِالله الـحُسَينِ وعَلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ. اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجْلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا. نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُـؤْمِنِينَ والـمُــؤْمِنَاتِ ، والـمُـسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ والـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ. اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَـا ، وابْـسُطِ الأَمْــنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ. اللَّهُـمَّ أَصْـلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَـا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبِنَـا، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا، وعَـافِ مُبْتَــلانَا، و أَرْخِـصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَـلَ الـسُّفَهَاءُ مِنَّـا ، واجْعَـلْ وِلَايَتَنَـا فِـيمَنْ خَافَـكَ واتَّقَـاكَ واتَّبَـعَ رِضَـاكَ يَـا أَرْحَـمَ الرَّاحِـمِينَ.اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَونَاً ومُعِينَاً لَـهُ ، واخْـذُلْ مَـنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْـرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ. اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْــمَةَ ولَا تَجْعَلْنَـا مِـنَ القَـانِطِينَ ، اللَّهُـمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

عِبَــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَ اللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# مُقَدِّماتٌ وَإرْهَاصَاتٌ لميلاد الرسول الأعظم

## الخطبة الأولى

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَشْرَقَتْ بِنُورِهِ مَصَابِيحُ القُلُوبِ بَعْدَ انْطِفَائِهَا، وَظَهَرَتْ لِلْبَشَرِيَّةِ آيَاتُهُ بَعْدَ اخْتِفَائِهَا، فأَرْسَلَ سُبْحَانَهُ رُسُلَهُ تَتْرَى فِي أَصْقَاعِ المَعْمُورَةِ وَأَنْحَائِهَا، فَانْتَعَشَتْ بِهِم الأَرْضُ فِي جَمِيعِ أَرْجَائِهَا، وَاخْتَصَّنَا نَحْنُ وَلَهُ الحَمْدُ بِخَيرِ رُسُلِهِ وَصَفْوَةِ أَنْبِيَائِهَا، مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ خَيْرِ مَنِ الْتَحَفَ الأَرْضَ وَاسْتَظَلَّ بِسَمَائِهَا. وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً أَكْمَلَ اللهُ بِهَا الْفَرْضَ، وَأَقَامَ بِهَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّيْنِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي اخْتَارَهُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الذِّرْوَةِ العَلْيَاءِ، فِي صَمِيمِ العَرَبِ العَرْبَاءِ، أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ الجَهْلَاءِ، فَشَرَعَ لَهُمْ سُبُلَ النَّجَاءِ، وَقَوَّمَهُمْ عَلَى المَحَجَّةِ البَيْضَاءِ، وَأَنْقَذَهُمْ مِنْ ضِلَّةِ السُّفَهَاءِ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ أصحاب العَبَاءِ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ البَرَرَةِ الأَتْقِيَاءِ، صَلاةً تَدُومُ دَوَامَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ.

أَمَّا بَعْدُ: فأُوصِيكُمْ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى اللهِ تَعَالَى، فَإِنَّهَا المَنْهَجُ القَوِيمُ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ إِلَى رِضَا الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَتَبَوُّءِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾[1]،فَوَرِّثُوهَا أَوْلَادَكُمْ،وَغَذُّوا بِلِبَانِهَا أَطْفَالَكُمْ ؛ لِتَكُونَ العَاقِبَةُ الحُسْنَى لَهُمْ وَلَكُمْ.

(١) الطلاق آية (٤).

عِبَادَ اللهِ: عَاشَتْ الإِنْسانِيَّةُ قَبْلَ بُـزُوغِ نُـورِ الإِسْـلَامِ وَرِسَـالَةِ سَـيِّدِ الأَنَـامِ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، تَائِهَةً فِي صَـحْرَاءِ الـضَّلَالَةِ وَالأَوْهَـامِ، تَطْحَنُهَا الحُرُوبُ، وَتُمَزِّقُهَا الثَّارَاتُ وَالغَارَاتُ، فَلَا تَكَادُ تَخْمُدُ نَـارُ حَـرْبٍ هُنَـا، إِلَّا وَيَنْفَجِـرُ بُرْكَانُهَـا هُنَـاكَ، وَعَـاشَ العَـرَبُ مُتَفَـرِّقِينَ لَا دِيـنَ يَجْمَعُهُـمْ، وَلَا كِتَـابَ يُوَحِّـدُهُمْ، وَلَا رَابِطَـةَ تَـرْبُطُهُمْ، تَتَجَـاذَبُهُمْ دولَتَـانِ كَبِيرَتَـانِ، هُمَـا الإِمْبَرَاطُورِيَّـةُ الفَارِسِيَّةُ المَجُوسِيَّةُ مِنْ جِهَةِ المَشْرِقِ، وَالإِمْبَراطُورِيَّةُ الرُّومَانِيَّةُ المَسِيحِيَّةُ مِـنْ جِهَـةِ المَغْـرِبِ، عَـاكِفِينَ عَـلَى عِبَـادَةِ الأَصْـنَامِ، وَيَسْتَقْـسِمُونَ بـالأَزْلَامِ وَيَحْتَكِمُـونَ فِي خِلَافَاتِهِمْ لِلْكَهِنَةِ اللِّئَامِ، وَأَهْلِ الكُتُبِ الـسَّمَاوِيَّةِ مِـنَ اليَهُـودِ وَالنَّـصَارَى، حَرَّفُـوا كُتُبَهُمْ وَغَيَّرُوا تَوْرَاتَهُمْ وَإِنجِيلَهُمْ حَسْبَ أَهْـوَائِهِمْ وَأَمْـزِجَتِهِمْ، وَالجَزِيـرَةُ العَرَبِيَّـةُ تَغْلِي كَالمِرْجَلِ، وَأَهْلُهَا لَمْ يَكُنْ لَهُـمْ دورٌ يُـذْكَرُ، فَكَـانَ الْـيَمَنُ إِذْ ذَاكَ يَعِـيشُ تَابِعـاً لِلْفُرْسِ أَحْيَانًا، وأُخْرَى تَابِعاً لِلرُّومِ وَالأَحْبَاشِ، وَفِي شِمَالِ الجَزِيـرَةِ كَانَـتْ الـشَّامُ يُسَيْطِرُ عَلَيهِ الرُّومَانُ وَلَمْ يَنْجُ مِنَ الاسْتِعْمَارِ إِلا قَلْبُ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّـةِ مَكَّـةُ المُكَرَّمَـةُ وَمَا حَوَالَيْهَا مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ، فَقَدْ حَمَى اللهُ بَيْتَهُ العَتِيقَ مِنْ دَنَسِ الحُكْمِ الأَجْنَبِـيِّ، وَلَكِنَّهُ ظَلَّ فِي تَخَلُّفٍ وَتَمَـزُّقٍ وَتفَكُّـكٍ، حُـرُوبٌ تَأْكُـلُ الأَخْـضَرَ وَالْيَـابِسَ، قَبَلِيَّـةٌ تَطْحَنُهُمْ وَتهْلِكُ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ، غَيرَ أَنَّهُ مَعَ هَذا كُلِّـهِ حَمَـى اللهُ بَيْتَـهُ المُقَـدَّسَ مِـنْ دَنَسِ الحُكْـمِ الأَجْنَبِـيِّ، وَإِذَا حَـاوَلَ أَحَـدٌ مِـنْ هَـؤُلَاءِ المُـسْتَعْمِرِينَ ذَلِـكَ رَدَّهُ اللهُ مَهْزُوماً وَخَائِباً مَدْحُوراً.

وَبَيْنَمَا العَالَمُ هَكَذا فِي تَخَبُّطِهِ وَجَهَالَتِهِ، وَقَدْ بَلَغَتْ الحَالَةُ السَّيِّئَةُ أَقْصَى مَـدَاهَا، أَرَادَ اللهُ أَنْ تكُونَ لِلْعَرَبِ حِينَئِذٍ الرِّيَادَةُ، وَيكُونَ لِمَكَّةَ المُكَرَّمَةَ وَسُكَانِهَا حَقُّ السِّيَادَةِ

وَالْقِيَادَةِ، فَحَانَ وَقْتُ بُزُوغ الفَجْرِ الصَّادِقِ، بِظُهُورِ الرَّسُولِ الأَمِينِ الصَّادِقِ، وإِشْرَاقِ النُّورِ السَّمَاوِيِّ ؛ لِيُنْقِذَ البَشَرِيَّةَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَظَهَرَتْ فِي العَالَمِ مُقَدِّماتٌ وَإِرْهَاصَاتٌ تُبَشِّرُ بِمَولِدِ المُنْقِذِ الأَعْظَمِ، وَبَرَزَتْ آيَاتٌ وَاضِحَاتٌ تُنْبِئُ أَنَّهُ قَدْ حَانَ الحِينُ لِلتَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ المُبِينِ، وَسُنَّةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَبِأَخْلَاقِ مَنْ يَمْدَحُهُ رَبُّ العَالَمِينَ، بِقَولِهِ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (١).

مِنْ هَذِهِ العَلَامَاتِ عَلَى قُرْبِ وُجُودِ المُنْقِذِ الأَعْظَمِ ﷺ : قِصَّةُ الفِيلِ الَّتِي حَكَاهَا لَنَا القُرْآنُ الكَرِيمُ، وَخُلاصَتُهَا أَنَّ أَبْرَهَةَ حَاكِمُ اليَمَنِ مِنْ قِبَلِ حُكُومَةِ الحَبَشَةِ بَنَى كَنِيسَةً فِي اليَمَنِ لَمْ يُبْنَ مِثْلُهَا، وَأَرَادَ أَنْ يَصْرِفَ العَرَبَ إِلَى حَجِّهَا بَدْلاً عَنْ حَجِّ بَيتِ اللهِ(الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ) بِمَكَّةَ المُكَرَّمَةِ، فَاسْتَاءَ العَرَبُ مِنْ ذَلِكَ أَبْلَغَ الاسْتِيَاءِ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ عَرَبِ الحِجَازِ مِنْ كِنَانَةَ (٢)إِلَى اليَمَنِ، وَدَخَلَ الكَنِيسَةَ لَيْلاً فِي غَفْلَةِ الحَرَسِ وَلَطَّخَهَا بِالْقَاذُورَاتِ، وَفِي الصَّبَاحِ بَلَغَ الخَبَرُ أَبْرَهَةَ ؛ فَغَضِبَ وَتَوَعَّدَ بِالوَيلِ وَالثُّبُورِ وَعَظَائِمِ الأُمُورِ، وَجَهَّزَ جَيْشاً كَبِيراً بِقِيَادَتِهِ وَجَعَلَ أَمامَهُ الفِيَلَةَ، وَتَوَجَّهَ نَحْوَ الحِجَازِ لِيُدَمِّرَ الكَعْبَةَ، وَلَمَّا قَرُبَ مِنْ مَكَّةَ حَبَسَ اللهُ الفِيَلَةَ مَكَانَهَا فَلَمْ تَتَحَرَّكْ وَعَسْكَرَ هُنَاكَ، فَخَافَ سُكَانُ مَكَّةَ، وَخَرَجَ زَعِيمُهَا وَسَيِّدُهَا آنَذاكَ (عَبدُ المُطَّلِبِ بِنْ هَاشِمٍ) وَكَانَ وَسِيماً ذَا طَلْعَةٍ جَمِيلَةٍ، فَلَمَّا رَآهُ أَبْرَهَةُ أَجَلَّهُ وَأَجْلَسَهُ بِجَانِبِهِ وَقَالَ لَهُ ما حَاجَتُكَ ؟ قالَ: عَبْدُ المُطَّلِبِ حَاجَتِي أَنْ تَرُدَّ عَلَيَّ مِئَتَيْ

---

(١) سورة القلم آية ( ٤).

(٢) وفي تفسير الطبري أنه رجل من النسأة أحد بني فقيم ثم أحد بني مالك(٣٠/ ٣٠٠) وفي السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٦٣) الكناني.

بَعِيرٍ الَّتِي أَخَذْتَهَا وَهِيَ لِي فَتَعَجَّبَ مِنْهُ أَبْرَهَةُ، وقَالَ لَهُ أَتُكَلِّمُنِي فِي جِمَالِـكَ، وَتَـتْرُكُ الكَلَامَ فِي بَيْتٍ هُوَ دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ قَدْ جِئْتُ لأَهْدِمَهُ، فَقَالَ عَبْـدُ المُطَّلِـبِ قَوْلَتَـهُ المَشْهُورَةَ: إنِّي أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ، وَإِنَّ لِلْبَيْتِ رَبّـا سَـيَمْنَعُهُ، فَـرَدَّ عَلَيـهِ إِبِلَـهُ، وَخَافَـتْ قُرَيْشٌ فَانْطَلَقُوا إِلَى شُعُفِ الجِبَالِ خَوْفاً مِنَ العَـدُوِّ، وَأَرَادَ الله صِـيَانَةَ بَيْتِـهِ الحَـرَامِ، فَحَبَسَ الفِيلَ وَأَصْحَابَ الفِيْلِ، وأَرْسَلَ عَلَيهِمْ طَيراً أَبَابِيلَ تَـرْمِيهِمْ بِحِجَـارَةٍ مِـنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ، وَهَلَـكَ أَصْـحَابُ الفِيْـلِ وَمُزِّقُـوا فِي الـصَّحْرَاءِ وَالْجِبَالِ شَرَّ مُمَزَّقٍ[1]، تَكْرِيمًا لِبَيْتِهِ العَتِيقِ، وَتَمْهِيداً وَتَـشْرِيفَاً لِرَسُـولِهِ المُنْتَظَـرِ الَّـذِي وُلِدَ فِي هَذَا العَامِ، فَقَدْ رُوِيَ عَنهُ عَلَيهِ الـصَّلَاةُ وَالـسَّلَامُ أَنَّـهُ قَـالَ: «وُلِـدْتُ عَـامَ الفِيْلِ»[2]، وَجَاءَ فِي بَعْضِ الأَخْبَارِ أَنَّهُ وُلِدَ رَسُولُ الله ﷺ يَـومَ الاثْنَـينِ الثَّـانِي عَـشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ وَكَانَ بَعْدَ الفِيْل بِخَمْسِينَ يَوْماً»[3].

أَلَا فَاعْتَبِرُوا يَا أَهْلَ الإِسْلَامِ وَالإِيْمَانِ بِهَذَا القَصَصِ القُرْآنِي وَلْنَنْظُـرْ حِكْمَـةَ الله تَعَالَى أَنَّهُ لَمْ يُقَدِّرْ لأَهْـلِ الكِتَـابِ مِـنَ المَسِيحِيِّينَ، أَبْرَهَـةَ وَجُنُـودِهِ أَنْ يُدَنِّـسُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ بِأَقْدَامِهِمْ، فَضْلاً أَنْ يَسْتَعْمِرُوهَا أَوْ يَـسْتَحِلُّوا بَيْتَـهُ الحَـرَامَ، حَتَّـى وَإِنْ كَانَ الشِّرْكُ يُدَنِّسُهُ وَالمُشْرِكُونَ هُمْ سَدَنَتُهُ وَحُجَّابُهُ لِيَبْقَى هَذَا البَيتُ عَتِيقاً مِـنْ سُلْطَانِ المُتَسَلِّطِينَ، مَصُونًا مِنْ كَيدِ الكَائِدِينَ، وَقَبْلَ أَنْ يَعْلَـمَ أَحَـدٌ مِـنَ النَّـاسِ أَنَّ نَبِي الله قَدْ آنَ أَوَانُ مَولِدِهِ فِي هَذَا العَامِ، وَجَاءَ لِيُهَيْمِنَ عَـلَى الأَدْيَـانِ وَالْعِبَـادِ بِـإِذْنِ

(١) قصة أبرهة رواها الطبري بتمامها في تفسيره (٣٠/ ٢٩٩، وما بعدها).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره فقال (روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ولدت عام الفيل وروي عنه أنه قال يوم الفيل حكاه الماوردي في التفسير له) (٢٠/ ١٩٤).

(٣) انظر أقوال العلماء في وقت مولده صلى الله عليه وآله وسلم في كتاب المسلك السوي للحبيب أحمد بن زين الحبشي.

رَبِّ العِبادِ، وَنَحْنُ الْيَومَ نَسْتَبْشِرُ بِإِيحَاءِ هَذِهِ الدَّلَالَةِ، وَنَطْمَئِنُّ إِزَاءَ مَا نَعْلَمُهُ مِنْ أَطْمَاعٍ فَاجِرَةٍ مَاكِرَةٍ تَرِفُّ حَوْلَ الأَمَاكِنِ المُقَدَّسَةِ مِنَ الصَّلِيبِيَّةِ الاسْتِعْمَارِيَّةِ وَالصُّهْيُونِيَّةِ العَالَمِيَّةِ، فَاللهُ قَدْ حَفِظَ بَيْتَهُ وَحَمَاهُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَسَدَنَتُهُ المُشْرِكِينَ، وَسَيَحْفَظُهُ الْيَومَ وَغَداً وَيَحْفَظُ مَدِينَةَ رَسُولِهِ وَمَضْجَعَهُ ﷺ مِنْ كَيْدِ الكَائِدِينَ، وَمَكْرِ المَاكِرِينَ، قَرَاصِنَةِ القَرْنِ العِشْرِينَ وَالحَادِي وَالْعِشْرِينَ وَيُعِيدُ لِلْمُسْلِمِينَ أُولَى القِبْلَتَينِ وَثَالِثَ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ بَيْتَ المَقْدِسِ وَتَحْتَ رَايَةِ الإِسْلَامِ، وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي تَارِيخِ العَرَبِ أَصْبَحَ لَهُمْ دورٌ عَالَمِي يُؤَدُّونَهُ نَحْوَ الإِنْسَانِيَّةِ المُعَذَّبَةِ، وَأَصْبَحَتْ لَهُمْ قُوَّةٌ دَوْلِيَّةٌ يُحْسَبُ لَهَا حِسَابٌ، قُوَّةٌ تَكْتَسِحُ المَمَالِكَ القَيْصَرِيَّةَ وَالْكِسْرَوِيَّةَ، وَتَدُكُّ عُرُوشَ الظُّلْمِ وَالطُّغْيانِ، ثُمَّ تَتَوَلَّى قِيادَةَ البَشَرِيَّةِ، وَالَّذِي هَيَّا لَهُمْ ذَلِكَ كُلَّهُ هُوَ أَنَّهُمْ نَسَوا نَعْرَةَ الجِنْسِ وَعَصَبِيَّةَ العُنْصُرِ وَنَخْوَةَ الجَاهِلِيَّةِ وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ مُسْلِمُون، وَمُسْلِمُونَ فَقَطْ، وَرَفَعُوا رَايَةَ الإِسْلَامِ وَحْدَهَا فَحَسْبُ، وَحَمَلُوا فِكْرَةً سَمَاوِيَّةً يُعلِمُونَ النَّاسَ بِهَا، لَا مَذْهَباً أَرْضِيّاً يُخْضِعُونَ النَّاسَ لِسُلْطانِهِ، وَخَرَجُوا مِنْ جَزِيرَتِهِمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِ اللهِ وَحْدَهُ، وَلَمْ يَخْرُجُوا لِيُأَسِّسُوا لَهُمْ إِمْبَرَاطُورِيَّةً عَرَبِيَّةً يَنْعَمُونَ وَيَرْتَعُونَ فِي ظِلِّهَا،وَيتَكَبَّرُونَ تَحْتَ سُلْطَانِهَا وَهَيْبَتِهَا، وَيُخْرِجُونَ النَّاسَ مِنْ حُكْمِ الرُّومِ وَالْفُرْسِ إِلَى حُكْمِ العَرَبِ، كَمَا قَالَ المُسْلِمُ العَرَبِيُّ الشُّجاعُ رِبَعِيُّ بْنُ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ رَسُولُ المُسْلِمِينَ فِي مَجْلِسِ مَلِكِ الفُرْسِ يَزْدَجِرْ قَالَ: بِشَجَاعَتِهِ: «اللهُ بَعَثَنَا لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ عِبَادَةِ العِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَةِ الآخِرَةِ، وَمِنْ جَوْرِ الأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الإِسْلَامِ»[1].

(١) ذكره الطبري في تاريخه وسمى قائد جيوش الفرس الذي دخل عليه ربعي رستم (٢/ ٤٠١)

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: لَقَدْ كَانَ لِحَادِثِ الفِيْلِ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي زِيادَةِ حُرْمَةِ البَيْتِ الحَرَامِ عِنْدَ العَرَبِ فِي جَمِيعِ دِيَارِهِمْ، وَزِيَادَةٌ وَمَكَانَةٌ مَرْمُوقَةٌ لأَهْلِهِ وَسَدَنَتِهِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَعَاشُوا بَعْدَ ذَلِكَ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ حَيْثُمَا حَلُّوا أَوْ رَحَلُوا وَجَدُوا الكَرَامَةَ وَالرِّعَايَةَ، هَذِهِ المِنَّةُ الَّتِي يُذَكِّرُ الله بِهَا قُرَيْشاً بَعْدَ بِعْثَةِ رَسُولِهِ كَمَا ذَكَّرَهُمْ مِنَّةَ إِيْلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ إِلَى اليَمَنِ، وَرِحْلَةَ الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ، وَالرِّزْقَ الَّذِي أَفَاضَهُ عَلَيهِمْ مِنْ هَاتَيْنِ الرِّحْلَتَيْنِ بِوَاسِطَةِ التِّجَارَةِ، وَهُمْ طَاعِمُونَ هَانِئُونَ مِنْ فَضْلِ الله، وَمِنَّةَ أَمْنِهِمْ الخَوْفَ مِنَ الأَعْداءِ، سَوَاءً أَكَانَ فِي دِيارِهِمْ بِجِوَارِ بَيْتِ الله، أَمْ فِي أَسْفَارِهِمْ وَتِرْحَالِهِمْ، فَقَالَ لَهُمُ الله مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [1].

أَجَلْ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: فَلْنَتَذَكَّرْ جَيِّداً كَيفَ اخْتَارَ الله رَسُولَهُ الكَرِيمَ مِنْ قُرَيْشٍ الَّتِي أَفْرَدَ الله لَهَا سُورَةً كَامِلَةً مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ ؛ لأَنَّهُمْ سَدَنَةُ بَيْتِهِ الحَرَامِ وَحُجَّابُهُ ؛ وَلأَنَّ مِنْهُمْ يَنْبَثِقُ النُّورُ المُبِينُ، وَسَيِّدُ المُرْسَلِينَ، وَحَبِيبُ رَبِّ العالَمِينَ، وَلْنَتَذَكَّرْ لِمَاذَا اخْتَارَ الله لِقُرَيشٍ هَذَا المَكَانَ المُقَدَّسَ الأَمِينَ، وَاخْتَارَ الله لِمَولِدِهِ ﷺ ذَلِكَ الزَّمَانَ وَذَلِكَ المَكَانَ، وَكَيفَ اخْتَارَ مُحَمَّدًا صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ مِنْ هَاشِمٍ، وَهَاشِماً مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيشاً مِنْ كِنَانَةَ، وَكِنَانَةَ مِنْ عَدْنَانَ، وَعَدْنَانَ مِنَ العَرَبِ، فَلِذَا قَالَ عَلَيهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «فَأَنَا خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ مِنْ خِيَارٍ» [2] صَلَّى الله عَلَيْكَ

---

(١) سورة قريش( ٣ـ٤)

(٢) هو جزء من حديث أخرجه الطبراني في الكبير وفيه ( فأنا من خيار إلى خيار )(١٢/ ٤٥٥) رقم (١٣٦٥٠) وفي الأوسط (٦/ ١٩٩، ٢٠٠) رقم (٦١٨٢) والبيهقي في الشعب بلفظ الطبراني (٢/ ١٣٩،)رقم (١٣٩٣)وحسنه في الأمالي (١/ ٦٨) وفي مجمع الزوائد بعد أن نسبه للطبراني في الكبير

يَا رَسُولَ الله، يَا مَنْ أَنْقَذْتَنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَهَالَةِ وَالْعَمَى إِلَى المَحَجَّةِ البَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، فَيَا لَكَ مِنْ مَولُودٍ عَظِيمٍ، وَبُورِكْتَ مِنْ رَضِيعٍ وَفَطِيمٍ، فَجَزَاكَ الله عَنَّا وَعَنْ سَائِرِ أَتْبَاعِكَ وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ خَيرَ الجَزَاءِ.

يَا صَاحِبَ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ، وَالصِّفَاتِ العَلِيَّةِ، وَالأَخْلَاقِ المَرْضِيَّةِ، إِنَّنَا مَعَ احْتِفَالِنَا بِمِيلَادِكَ المَيْمُونِ هَذَا العَامَ مَا يُنَغِّصُ عِيدَنَا، فَإِنَّ لَنَا إِخْوَاناً مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَرْضِ فِلَسْطِينَ وَبِجِوَارِ بَيْتِ المَقْدِسِ، يُسَامُونَ سُوءَ العَذَابِ، يُذَبَحُونَ وَيُقْتَلُونَ وَتُنْتَهَكُ أَعْرَاضُهُمْ وَحُرُمَاتُهُمْ، وَالعَالَمُ كُلُّهُ وَدُوَلُهُ الكُبْرَى تَتَفَرَّجُ، بَلْ وَتَتَمَتَّعُ بِهَذِهِ المَأْسَاةِ، وَالأَكْبَرُ مِنْ هَذَا أَنَّ الدُّوَلَ الإِسْلَامِيَّةَ وَالعَرَبِيَّةَ بِالذَّاتِ لَا تُبْدِي حِرَاكاً؛ لِكَوْنِهَا ضَعِيفَةً مُسْتَضْعَفَةً ذَلِيلَةً مُسْتَذَلَّةً فَأَنَّى لَهَا أَنْ تَعْمَلَ شَيْئًا..!

فَلأَنْتَ يَا رَسُولَ الله أَكْرَمُ البَرِيَّةِ، وَخَيرُ الوَرَى سَجِيَّةً، وَأَمْثَلُهُمْ رُجُولَةً وَعَبْقَرِيَّةً، وَعَلَيكَ مِنَّا وَمِنْهُمْ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّحِيَّةِ، وَنَسْأَلُ الله أَنْ يَجْعَلَنَا لَكَ قُرَّةَ عَيْنٍ يومَ يَقُومُ الأَشْهَادُ، وَيُشَفِّعَكَ فِينَا يومَ التَّنَادِ، وَيُسْقِينَا مِنْ حَوضِكَ المَوْرُودِ يومَ عَطَشِ الأَكْبَادِ، يومَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا أَوْلَادٌ، رَوَى مُسْلِمٌ وَأَبُو داودَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يومَ القِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُنْشَقُّ عَنهُ القَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»(١).

---

والأوسط ( وفيه حماد بن واقد وهو ضعيف يعتبر به وبقية رجاله وثقوا )(٨/ ٢١٥) وفي إسناد الشعب حماد المذكور، ضعفه ابن معين،وقال البخاري منكر الحديث،وقال أبو زرعة وغيره لين،ينظر ميزان الاعتدال (٢/ ٣٧) رقم(٢٢٨٠ ٢٧٦٨)، الكامل في ضعفاء الرجال (٢/ ٢) رقم(٤٢٢).

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٨٢)،(٢ باب تفضيل رآه صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق)،رقم (٢٢٧٨)، وأبو داود في سننه(٤/ ٢١٨)،(١٤ باب التخيير في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام) رقم(٤٦٧٣).

إِنَّ أَحْسَنَ الكَلامِ لَفْظاً وَوَقْعاً ، وَأَحْـلَى البَيـانِ سَـمْعاً وَنَفْعـاً ، كَـلامُ مَـنْ عَنَـتِ الوُجُوهُ لَهُ كَرْهاً وَطَوعاً.

وَاللهُ يَقُـولُ وَبِقَولِـهِ يَهْتَـدِي الْمُهْتَـدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (1) وَقالَ عَـزَّ مِـنْ قَائِـلٍ كَـرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (2).

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِالله شَهِيداً * مُّحَمَّدٌ رَّسُـولُ الله وَالَّـذِينَ مَعَـهُ أَشِـدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ الله وَرِضْوَاناً سِـيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَـثَلُهُمْ فِي التَّـوْرَاةِ وَمَـثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيـلِ كَـزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّـارَ وَعَدَ الله الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (3).

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِيـاكُمْ مِـنَ الآيـاتِ وَالـذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْـبٍ فاسْـتَغْفِرُوهُ إِنَّـهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

(1) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(2) سورة النحل الآية (٩٨).

(3) سورة الفتح آية (٢٨ـ٢٩).

# الخطبة الثانية

الحَمَدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتْقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَــهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَــهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الـصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَــهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَــهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيْرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَـشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

أما بعدُ: فيا عِبَادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْـوَى الله تَعـالى، اتَّقُـوا الله مِـنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، يَا أَتْبَاعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيـهِ وآلـه وسَـلَّمَ: وَمِـنْ إِرْهَاصَـاتِ النُّبُوَّةِ وَعَلَامَتِهَا أَنَّ مَرَدَةَ الجِنِّ كَانُوا قَبْلَ بِعْثَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَـلَّمَ يَصْعَدُونَ إِلَى السَّمَاءِ لِيَلْتَمِسُوا أَخْبَارَ الغَيْبِ فَيُلْقُونَهَا إِلَى الكَهَنَةِ، وَلَمَّا بُعِثَ صَـلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ حَرَسَهَا الله تَعَالَى بِالشُّهُبِ المُحْرِقَةِ، وَلَمْ تَكُنْ تُحْرَسُ فِي الفَـتْرَةِ بَـينَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلَيهِمَا طِيْلَةَ خَمْسِ مَائَةِ عَامٍ تَقْرِيباً، فَقَـالَ تَعَـالَى

فِي حَقِّ هَؤُلَاءِ الجِـنِّ وَعَـلَى لِـسَانِهِمْ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾[1].

فَقَالَ هَؤُلَاءِ الجِنُّ عِنْدَئِذٍ:أَيْ لَا نَدْرِي ما سَبَبُ هَذَا المَنْعِ لَنَـا هَـلْ أَرَادَ الله أَنْ يُنْزِلَ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ عَذاباً أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً، وَلَكِنْ تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ الله تَعَالَى مَـنَعَهُمْ حِراسَةً لِلْوَحْيِ، وَحِفْظاً لِلْقُرْآنِ لَا يَتَنَاوَلُهُ هَؤُلَاءِ المَرَدَةُ ويَسْتَرِقُونَ السَّمْعَ.

إِنَّ قُصَارَى مَا يَبْلُغُهُ اللِّسانُ وَالْقَلَمُ أَنْ يُشِيرَ فِي هَيْبَـةٍ _ يَـا رَسُـولَ الله _ إِلَى مَقَامِكَ الأَسْمَى، وَالَى مَحَلِّكَ الأَسْنَى، وَالَى مَكَانِكَ الرَّفِيـعِ، وَجَاهِـكَ الوَسِـيعِ، فَقَـدْ جَاءَ مَوْلِدُكَ الأَغَرُّ مُشِيراً بِمِيلَادِ الحَقِّ الَّذِي طَالَ انْتِظارُهُ، فَعَلَيـكَ أَفْـضَلُ الـصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ يَا رَسُولَ الله.

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُـسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُـــمْ تَكْرِيمـــاً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْـضَـلِ: سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَــــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَـلَّمَ

---

(١) سورة الجن آية (٨ـ١٠).

سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّـــةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُـسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُـبْرَى ، و عَـنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَـاتِ الــمُؤْمِنِينَ ، وعَـنْ عَمَّـي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقــيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيِّـكَ تَحْـتَ الـشَّجَرَةِ، طَلْحَـةَ والزُّبَيــرِ ، وسَـعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْـحَابِ رَسُـولِ الله رِضْـوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَـةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلَيـهِ مَصِيرُنَا ، وعَلَيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلَيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.

نَسْـــأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَــنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَـنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْتِـمَ لَـنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَـا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـــا بِـالعَفْوِ والغُفْـرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَـا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَـا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُـمَّ أَصْـلِحْ ذَاتَ بَينِنَـا ، وأَلِّـفْ بَـينَ قُلُوبنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَانَا، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِـصْ أَسْـعَارَنَا و غَــزِّرْ أَمْطَارَنَـا، وَوَلِّ عَلَينَـا خِيَارَنَـا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَـلْ وِلَايَتَنَـا فِـيمَنْ خَافَـكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْـلامَ والـمُـسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْـذُلْ مَـنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَـانِطِينَ ، اللَّهُـمَّ اسْـقِنَا غَيْثَـاً مُغِيثاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

عِبَــــــــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# ذكرى المولد النبوي

## الخطبة الأولى

الحَمْدُ لله الَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّداً فأَرْسَلَهُ بَشِيراً وَنَذِيراً، وَجَعَلَهُ لِلْعَالَمِينَ سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً، وَقَدَّرَ لَنَا أَنْ نَكُونَ مِنْ أُمَّتِهِ خَيرِ الأُمَمِ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً، وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُهُ الكَافِرُونَ وَالْمُلْحِدُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ الْمُنْقِذُ لِلْأُمَّةِ، وَالْكَاشِفُ لِلْغُمَّةِ، وَالْمَاحِي لِلظُّلْمَةِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيرِ مَوْلُودٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الرُّكَّعِ السُّجُودِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسانٍ إِلَى اليَومِ المَوعُودِ.

أَمَّا بَعْدُ: فأُوصِيكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعَالَى، فَهِيَ زادُ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِضَاعَةُ الْمُتَّقِينَ، يومَ القُدُومِ عَلَى رَبِّ العالَمِينَ.

عِبادَ الله: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ .[1]

يَا أَتْبَاعَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِالله، وَحَمَلَةَ دِينِهِ: نَعِيشُ الْيَومَ ذِكْرَى مِن أَعَزِّ وَأَغْلَى وَأَعْلَى ذِكْرَيَاتِنَا الإِسْلَامِيَّةِ الخَالِدَةِ، كَمَا يَعِيشُهَا الْمُسْلِمون فِي كُلِّ بِقَاعِ المَعْمُورَةِ شَرْقاً وَغَرْباً، وَشِمَالاً وَجَنُوباً، أَلَا وَهِيَ ذِكْرَى مِيلَادِ الْمُنْقِذِ الأَعْظَمِ، وَالرَّسُولِ الأَكْرَمِ، مُحَمَّدٍ ﷺ ، مِيْلَادُهُ الَّذِي مَضَى عَلَيهِ مَا يُقَارِبُ خَمْسَةَ عَشَرَ قَرْناً تَغَيَّرَ بَعْدَهُ مَجْرَى حَيَاةِ

(١) سورة التوبة آية (١٢٨)

البَشَرِيَّةِ، حَيثُ كَانَ مُنْعَطَفاً كَبِيراً شَهِدَتْهُ مَكَّةُ، ثُمَّ الجَزِيرَةُ العَرَبِيَّةُ، ثُمَّ البِلَادُ العَرَبِيَّةُ الأُخْرَى، ثُمَّ العَالَمُ كُلُّهُ.

وَلَقَدْ جَرَتْ سُنَّةُ المُسْلِمِينَ فِي كُلِّ دِيَارِهِمْ وَأَمْصارِهِمْ بَعْدَ قُرُونِهِمْ الأُولَى أَنْ يَحْتَفِلُوا بِذِكْرَى مِيلَادِهِ عَلَيهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ فِي الْيَومِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ مِنْ كُلِّ عَامٍ هِجْرِيٍّ ؛ لأَنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ ؛ وَلِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الاحْتِفَالَاتُ فِي مِثْلِ هَذِهِ المُنَاسَباتِ سِوَى تَذْكِيرِ النَّاسِ بِمِيْلَادِ مُعَلِّمِهِمْ الأَوَّلِ وَشَمَائِلِهِ العَطِرَةِ، وَأَخْلَاقِهِ المُشْتَهرَةِ، بَلْ وَحَيَاتِهِ كُلِّهَا، فِي أَيَّامٍ شَطَّتْ بِنَا الحَيَاةُ عَنْ أَيَّامِ النُّبُوَّةِ، وَصَدْرِهَا الأَوَّلِ، حَتَّى يَكَادَ الكَثِيرُ مِنَّا أَنْ يَنْسَاهَا فِي غَمْرَةِ الحَيَاةِ المَادِيَّةِ الصَّاخِبَةِ، وَفِي خِضَمِّ مُعْتَرَكِ المَدَنِيَّةِ الحَدِيثَةِ، الَّتِي نَقِفُ الْيَومَ عَلَى أَعْتَابِهَا، وَنَقْرَعُ أَبْوَابَهَا، غَيرَ عَابِئِينَ بِمَا يَعِجُّ فِي غَابِهَا، وَمَا يُهَدِّدُنَا مِنْ مَخْلَبِهَا وَنَابِهَا، وَإِذَا كَانَ قَدْ مَضَى عَلَى المُسْلِمِينَ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ وَهُمْ لَا يُفَكِّرُونَ فِي إِقامَةِ حَفْلٍ خاصٍّ يُذَكِّرُونَ النَّاسَ شَمَائِلَ رَسُولِهِمْ وَسِيْرَتِهِ العَظِيمَةِ، الَّتِي تَجَلَّتْ فِيهَا حَيَاتُهُ كُلُّهَا بِأَطْوَارِهَا ؛ ذَلِكَ لأَنَّهُمْ كَانُوا يَعِيشُونَ عَهْداً قَرِيباً مِنْ عَهْدِهِ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَيَغْتَرِفُونَ مِنْ نَبْعِ رِسَالَتِهِ الصَّافِي، وَمَعِينِهِ العَذْبِ، قَبْلَ أَنْ تَشُوبَهُ الشَّوَائِبُ، وَتُكَدِّرَهُ المَصَائِبُ وَالنَّوَائِبُ، الَّتِي أَصَابَتْنَا وَانْتَابَتْنَا، فَإِنَّ ﷺ ، يَجِبُ أَنْ تَبْقَى مُسْتَقِرَّةً فِي قُلُوبِنَا، مَنْقُوشَةً فِي نُفُوسِنَا، مَحْفُورَةً فِي مُخَيِّلَتِنَا لَا تَنْمَحِي، وَلَيْسَتْ مُجَرَّدَ ذِكْرَى سَرِيعَةٍ عَابِرَةٍ تَمُرُّ بِنَا مَرَّ السَّحَابِ، وَتَتَلَاشَى مَعَ مُرُورِ الأَيَّامِ وَاللَّيَالِ، نَعَمْ لَمْ تَكُنْ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ لَا تَكُونَ حَيَاةُ رَسُولِنَا العَظِيمِ، وَالاحْتِفَالُ بِمَولِدِهِ مِنْ نَوعِ الاحْتِفَالَاتِ وَالنَّدَوَاتِ وَالمُحَاضَرَاتِ العَادِيَّةِ، وَيَجِبُ أَنْ لَا تَكُونَ مِنْ نَوعِ العَظَمَةِ الزَّائِفَةِ وَالاحْتِفَالَاتِ الَّتِي أَلِفَهَا النَّاسُ وَيَأْلَفُونَهَا، وَتُقِيمُهَا الشُّعُوبُ المُعَاصِرَةُ

لِنَوابِغِهَا وَرِجَالَاتِهَا وَأَبْطَالِهَا ؛ لِأَنَّهُمْ يَخْشَوْنَ عَلَى هَؤُلَاءِ وَأُولَئِكَ التَّلَاشِيَ وَالنَّفَادَ، بَلْ إِنَّ احْتِفَالَاتِنَا بِحَيَاةِ رَسُولِنَا عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَخْتَلِفُ تَمَاماً ؛ لأَنَّهَا لَا تَقِفُ آثَارُهَا عِنْدَ مَدىً مُعَيَّنٍ، أَوْ حَدٍّ مَعْلُومٍ، بَلْ يَمْتَدُّ سُلْطَانُهَا، وَيَتَلَأْلأُ لَمَعَانُهَا إِلَى أَنْ يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، لَيْسَتْ ذِكْرَى مَولِدِهِ ﷺ مِنْ جِنْسِ الذِّكْرَيَاتِ الْبَشَرِيَّةِ الْمَأْلُوفَةِ وَلَيْسَتْ عَظَمَتُهُ مِنْ نَوعِ عَظَمَةِ الْمُلُوكِ الطُّغَاةِ، وَلَا الحُكَّامِ الْمُتَجَبِّرِينَ، وَالْقَادَةِ الْمُتَطَلِّعِينَ وَالْمُتَلَهِّفِينَ لِنَشْوَةِ التَّسَلُّطِ وَالتَّحَكُّمِ، وَلَا الأَثْرِيَاءِ الْمُوسِرِينَ الْمُتَرَفِينَ الْمُتْخَمِينَ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيرِ الحَقِّ، بَلْ إِنَّ عَظَمَتَهُ ﷺ عَظَمَةُ رَحْمَةٍ وَعَطْفٍ، عَظَمَةُ هِدَايَةٍ وَإِرْشَادٍ، عَظَمَةُ تَثْقِيفٍ وَتَرْبِيَةٍ وَتَهْذِيبِ نُفُوسٍ، وَإِصْلَاحٍ وَتَعْمِيرٍ مَادِيٍّ وَرُوحِيٍّ، عَظَمَةُ سِلْمٍ وَأَمانٍ، لَا ذِلَّةٍ وَاسْتِسْلَامٍ، عَظَمَةُ تَهَيُّءٍ لِلْحَيَاةِ الفَاضِلَةِ، يَسْتَمِدُّ مِنْهَا العَالَمُ غِذاءَ حَيَاتِهِ الرُّوحِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالْاقْتِصَادِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالتَّرْبَوِيَّةِ، تَتَمَثَّلُ فِي تِلْكَ التَّعَالِيمِ الإِسْلَامِيَّةِ الحَقَّةِ، وَالتَّرَابُطِ الأَخَوِيِّ الإِسْلَامِيِّ المَتِينِ، هَذِهِ التَّعَالِيمُ الَّتِي وَحَّدَتْ بَينَ قُلُوبٍ مُتَنَافِرَةٍ، وَرَبَطَتْ بَينَ قَبَائِلَ مُبَعْثَرَةً، وَاسْتَلَّتْ مِنْ قُلُوبِهَا الْأَحْقَادَ وَالأَضْغَانَ، وَكَوَّنَتْ مِنهَا أُمَّةً إِسْلَامِيَّةً مُوَحَّدَةً، مَهِيبَةَ الجَانِبِ، عَزِيزَةَ المَنَالِ، مَتِينَةَ البُنْيَانِ، قَوِيَّةَ الشَّخْصِيَّةِ، اسْتَطَاعَتْ بَعْدَ مُدَّةٍ قَصِيرَةٍ مِنْ ظُهُورِهَا أَنْ تَسُوسَ شُعُوبَ الْأَرْضِ عَلَى دَعائِمَ قَوِيَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْحِكْمَةِ وَالْعَدْلِ، هَذِهِ التَّعَالِيمُ الَّتِي حَمَلَهَا لَنَا مُعَلِّمُنَا الْأَوَّل عَلَيهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكى التَّسْلِيمِ، فَأَسَّسَ بِهَا أَعْظَمَ بِنَاءٍ إِنْسَانِيٍّ عَالَمِيٍّ لِتَحقِيقِ أَرْقَى مَا وَصَلَتْ إِلَيهِ الْإِنْسَانِيَّةُ مِنَ الْمُسَاوَاةِ الَّتِي سَوَّتْ بَينَ الحَاكِمِ وَالْمَحْكُومِ، وَالْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ، وَالْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ، وَقَرَّرَتْ أَنَّ النَّاسَ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ، وَأَنَّهُ لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى.

أَبَعْدَ هَذَا كُلِّهِ أَلَا يُرَغَّبُ أَبْنَاءُ الإِسْلَامِ فِي إِقَامَةِ الاحْتِفَالَاتِ بِمُنَاسَبَةِ مِيلَادِ هَذَا الْمُنْقِذِ الأَعْظَمِ ﷺ ، وَقَدْ أَقَامَهَا قَبْلَنَا سَلَفُنَا الصَّالِحُ فِي جَمِيعِ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ الكَبِيرِ، وَلَيْسَ فِي يَمَنِنَا فَحَسْبُ، فَقَدْ نُقِلَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ أَعْلَامِ الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ اسْتِحْسانُهُمْ بِعَمَلِ المَولِدِ، فَهَذَا ابْنُ تَيْمِيَّةَ العَلَّامَةُ الإِسْلَامِيُّ الَّذِي يَحْتَجُّ بِهِ بَعْضُ الْإِخْوَانِ مُنْتَقِدُوا الْاحْتِفَالَاتِ بِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ يَقُولُ عَنِ المَولِدِ لَمَّا سُئِلَ عَنْ إِقامَتِهِ فِي عَصْرِهِ قَالَ: (( فَتَعْظِيمُ المَولِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ وَاتِّخَاذِهِ مَوْسِماً قَدْ يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ، وَيَكُونُ لَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ لِحُسْنِ قَصْدِهِ وَتَعْظِيمِهِ لِرَسُولِ الله ﷺ ))[1].

فَلْنُرَاجِعْ تَارِيخَنَا جَيِّداً ولَا نَأْخُذْهُ بِالسَّطْحِيَّةِ السَّاذِجَةِ، وَكُلُّ عُلَمَاءِ الإِسْلَامِ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ الاحْتِفَالَ بِالْمَولِدِ النَّبَوِيِّ مَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لله تَعَالَى فَيَقْرَأُونَ شَيْئاً مِنَ القُرآنِ، وَيَذْكُرُونَ الله تَعَالَى، وَيَسْرِدُونَ سِيرةَ الرَّسُولِ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ عَلَى شَرْطِ خُلُوِّهَا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ الَّتِي قَدْ تَكُونُ فِي بَعْضِ البِلَادِ، كَاخْتِلَاطِ الرِّجَال بِالنِّسَاءِ وَالرَّقْصِ الخَلِيعِ، وَبَعْضِ الهَوْسِ وَالمَجُونِ.

نَعَمْ إِنَّ الاحْتِفَالَ بِالْمَولِدِ الشَّرِيفِ اسْتُحْدِثَ بَعْدَ عَصْرِ النُّبُوَّةِ حَيثُ لَمْ يَظْهَرْ إِلَّا فِي القَرْنِ السَّادِسِ الهِجْرِيِّ، أَفَيَكُونُ ذَلِكَ وَحْدَهُ كَافِيَا لِتَسْمِيَتِهِ بِدْعَةً، وَإِلحَاقِهِ بِمَا قَالَ عَنْهُ الْمُصْطَفَى صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ: (( منْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ))[2] قَالَ الإِمَامُ أَبُو شَامَةَ شَيخُ الْإِمَامِ النَّوَوِيِّ رَحِمَهُ الله تَعَالَى: (( وَأَحْسَنُ مَا

---

(١) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢ / ٨٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٩٥٩) ( باب إذا صولحوا على صلح جور فالصلح مردود )رقم(٢٥٥٠)، ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٣)(٨ باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور )رقم (١٨١٧).

ابْتُدِعَ فِي زَمَانِنَا ـ أَيْ زَمَنِهُ هُوَ ـ مَا يُفْعَلُ كُلَّ عَامٍ فِي الْيَومِ الْمُوَافِـقِ لِيَـومِ مِـيلَادِهِ ﷺ مِنَ الصَّدَقَاتِ، وَالْمَعْرُوفِ، وَإِقَامَةِ الزِّينَاتِ وَالسُّرُورِ، فَإِنَّ ذَلِـكَ مَـعَ مَـا فِيـهِ مِـنَ الْإِحْسَانِ إِلَى الفُقَرَاءِ مُشْعِرٌ بِمَحَبَّتِهِ ﷺ وَتَعْظِيمِهِ فِي قَلْبِ فَاعِـلِ ذَلِـكَ، وَشُـكراً لله تَعَالَى عَلَى مَا مَنَّ بِهِ عَلَينَا مِنْ إِيْجاد رَسُوله ﷺ الذي أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ»[1].

وَقَالَ العلَّامَةُ السَّخاوِيُّ رَحِمَهُ الله تَعَالَى: «إِنَّ عَمَلَ المَولِدِ حَدَثَ بَعْدَ القُرُونِ الثَّلَاثَةِ، ثُمَّ لَا زَالَ أَهْلُ الإِسْلَامِ فِي سَائِرِ الأَقْطَـارِ يَعْمَلُـونَ المَولِـدَ وَيَتَـصَدَّقُونَ فِي لَيَالِيهِ بِأَنْوَاعِ الصَّدَقاتِ، وَيَعْتَنُونَ بِقِرَاءَةِ المَولِدِ، وَيظْهَرُ عَلَيهِمْ مِنْ بَرَكَاتِهِ كُلُّ فَضْلٍ عَمِيمٍ»[2].

---

(١) ذكر ذلك في السيرة الحلبية (١ / ١٨٢) وإعانة الطالبين (٣/ ٤١٤)، وقـال الـصالحي في سـبل الهـدى والرشاد في سيرة خير العباد (١ / ٣٦٥): ومن أحسن ما ابتدع في زماننا هذا من هذا القبيل مـا كـان يفعـل بمدينة " إربل " جبرها الله تعالى، كل عام في اليوم الموافق ليوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور، فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مشعر بمحبة النبي صـلى الله عليه وسلم وتعظيمه وجلالته في قلب فاعله وشكر الله تعالى على مَن مَنَّ به من إيجاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين. وكان أول من فعل ذلك بالموصل الشيخ عمر بن محمد الملا أحد الصالحين المشهورين وبـه اقتـدى في ذلـك صـاحب إربـل وغـيرهم رحمهم الله تعالى. وقال الشيخ الإمام العلامة صدر الدين موهوب بن عمر الجزري الشافعي رحمه الله تعـالى: هذه بدعة لا بأس بها ولا تكره البدع إلا إذا راغمت السنة، وأما إذا لم تراغمها فـلا تكـره، ويثـاب الإنـسان بحسب قصده في إظهار السرور والفرح بمولد النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) قال ذلك السخاوي في فتاويه كـما نقلـه عنـه الـصالحي في سـبل الهـدى والرشـاد (١ / ٣٦٢). وقـال السيوطي كما في كتابه الحاوي للفتاوي (١ / ٢٨٢) : وقد سئل شيخ الإسلام حافظ العصر أبو الفـضل بـن حجر عن عمل المولد فأجاب بما نصه: أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عـن أحـد مـن الـسلف الـصالح مـن القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها فمن تحرى في عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة وإلا فلا قال وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت وهو ما ثبت في الـصحيحين مـن أن النبـي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هـو يـوم أغـرق الله فيـه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكرا لله تعالى فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما من به في يوم معين مـن

أَبَعْدَ هَذَا يَبْقَى لِمُنْكِرٍ إِنْكَارٌ ؟! بَلْ إِنَّنَا قَدْ نُقَصِّرُ تجاهَ هَـذَا الحَـدَثِ الْإِسْـلَامِيِّ تَقْصِيراً كَبِيراً، فَلَا يَكْفِي أَنْ تَمُرَّ بِنَا هَذِهِ الذِّكْرَى مُرُوراً سَرِيعـاً فِي يَـومٍ وَلَيلَـةٍ، بَـلْ يَجِبُ أَنْ نَتَزَوَّدَ مِنْهَا زَاداً لِمُسْتَقْبَلِ حَيَاتِنَا، وَنَدَّخِرَ مِنْهَا ذُخراً لِدَارِ الْآخِرَةِ، عَلَى أَنَّهُ لَا يَكْفِينَا مُجَرَّدُ الْاحْتِفَالَاتِ فِي يَوْمٍ أَوْ شَهْرٍ أَوْ حَتَّى سَنَةٍ، بَلْ لَا يَكْفِي أَنْ نُكَرِّرَ شَمَائِلَهُ وَسِيرَتَهُ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَنَحْنُ نَتَمَايَلُ يَمْنَـةً وَيَـسْرَةً، وَنَفْـرَحُ فَرْحَةً عابِرَةً ثُمَّ نَنْساهَا بَعْدَ فَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ، بَلْ عَلَينا مَعَ ذَلِكَ وَقَبْلَـهُ وَبَعْـدَهُ أَنْ نَأْخُـذَ العِبْرَةَ النَّافِعَةَ، وَالقُدْوَةَ الحَسَنَةَ مِنْ حَيَاتِهِ صَـلَّى الله عَلَيـهِ وَسَـلَّمَ، وَنُحَـصِّل مِنْهَـا الْأُسْوَةَ الطَّيِّبَةَ فِي كُـلِّ حَيَاتِنَـا قَـالَ تَعَـالَى﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1] نَحْـنُ بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ الْيَومَ إِلَى ما يُثَبِّتُ أَفْئِدَتَنَا الخَاوِيَـةَ الخَالِيَـةَ مِـنَ الإِيْـمَانِ، الْمُـضْطَرِبَةَ فِي مهامـه الحَيَـاةِ وَالخُـسْرَانِ ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾

---

إسداء نعمة أو دفع نقمة ويعاد ذلك في نظير ذلـك اليـوم مـن كـل سـنة والـشكر لله يحـصل بـأنواع العبـادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلـك اليـوم وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر بل توسع قوم فنقلوه إلى يوم من السنة وفيه ما فيه – فهذا ما يتعلـق بأصـل عمله، وأما ما يعمل فيه فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره مـن الـتلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة وأما ما يتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك فينبغي أن يقال ما كان من ذلك مباحا بحيث يقتضي الـسرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به وما كان حراما أو مكروها فيمنع وكذا ما كان خلاف الأولى انتهى.

(٢) سورة هود آية (١٢٠).

(١) سورة الأحزاب آية ( ٢١).

فَمَعْذِرَةً إِلَيكَ يَا رَسُولَ الله، فَلَو نَظَرْتَ إِلَيْنَا مِنْ خَلفِ القُرُونِ وَقَدْ تَفَرَّقَ جَمْعُنَا وَتَمَزَّقَ صَفُّنَا، وَتَشَتَّتَ شَمْلُنَا لَقُلْتَ لنا بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي وَلَقُلْتَ لَنَا أَيْنَ مَا تَرَكْتُكُمْ عَلَيهِ مِنَ العِزِّ وَالتَّمْكِينِ وَالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ المُبِينِ وَمَا لَهُ لا يَقُولُ ؟!

سَيِّدِي يَا رَسُولَ الله هَا أَنْتَ ذَا فِي حَيَاتِكَ الْأُسْوَةُ الحَسَنَةُ وَالْقُدْوَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي قَولِكَ وَعَمَلِكَ،وَفِي بَيْتِكَ وَبَيْنَ قَومِكَ، وَفِي سِلْمِكَ وَفِي حَرْبِكَ، كُنْتَ كَمَا قَالَ عَنْكَ، بَابُ مَدِينَةِ العِلْمِ، وَوَصِيُّكَ الْإِمَامُ عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ الله وَجْهَهُ: «كُنتَ أَجْوَدَ النَّاسِ كَفًّا، وَأَشْرَحَهُمْ قَلْباً، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثاً، وَأَوْفَاهُمْ ذِمَّةً، وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً، وَأَكْرَمَهُمْ عِشْرَةً، مَنْ رَآكَ بَدِيهَةً هَابَكَ، وَمَنْ خَالَطَكَ أَحَبَّكَ»[1] وَقَالَتْ عَنْهُ زَوْجُهُ الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ عَائِشَةُ رَضِيَ الله عَنْهَا: «إِذا خَلَا فِي بَيْتِهِ كان أَلْيَنَ النَّاسِ، بَسَّامًا ضَحَّاكًا»[2].

---

(١) رواه الترمذي في سننه بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسن غريب ليس إسناده بمتصل (٥/ ٥٩٩) رقم(٣٦٣٨) وفيه (....وهو خاتم النبيين أجود الناس كفا وأشرحهم صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله )، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٢٨) رقم (٣١٨٠٥).

(٢) رواه اسحاق بن راهويه في مسنده (٢/ ٤٣٤) رقم (١٠٠١)، (٣/ ١٠٠٨) رقم (١٧٥٠) عن عائشة أنها سئلت كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في بيته فقالت( كان ألين الناس وأكرم الناس كان رجلا من رجالكم إلا أنه كان ضحاكا بساما)، وهناد في الزهد (٢/ ٥٩٨) رقم( ١٢٦٩) وفي إسنادهما حارثة بن أبي الرجال ضعفه أحمد وابن معين،وقال النسائي متروك،وقال البخاري منكر الحديث لم يعتد به أحد، وقال ابن المديني لم يزل أصحابنا يضعفونه، وقال ابن عدي عامة ما يرويه منكر، ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٢/ ١٨٣) رقم الترجمة (١٦٦٢ ٢٥٧٣).

وَلَقَدْ كُنْتَ يَا رَسُولَ الله أَشَدَّ النَّـاسِ عُزُوفَـا وَبُعْـداً عَـنِ الزَّهْـوِ وَالْخُـيَلَاءِ، وَمَتَاعِ الدُّنْيَا، جَاءَتْ إِلَيكَ هَدَايَا الْمُلُوكِ وَالْأُمَراءِ، وَالْغَنَائِمُ وَالصَّدَقاتُ فَلَمْ تَسْتَأْثِرْ مِنْهَا بِشَيءٍ، بَلْ بَذَلْتَهُ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى إِنَّكَ آثَرْتَ أَهْلَ الصُّفَّةِ مِـنْ فُقَـرَاءِ الصَّحَابَةِ، عَلَى فَلْذَةِ كَبِدِكَ، وَحَبَّةِ قَلْبِكَ، إِذْ شَكَتْ إِلَيكَ ابْنَتُكَ فَاطِمَةُ الزَّهْراء، مَـا تُعَانِيهِ مِنْ عَنَتٍ وَتَعَبٍ فِي عَمَلِ بَيْتِهَـا، وَتَرْبِيَـةِ أَطْفَالِهَـا، وَسَـأَلَتْكَ خَادِمـاً يَكْفِيهَـا بَعْضَ الْمَشَقَّةِ، قُلْتَ لَهَا لَا أُعْطِيكِ وَادَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تُطْـوَى بُطُـونُهُمْ مِـنَ الجُـوعِ[1]، وَكُنْتَ أَشْجَعَ النَّاسِ دِفَاعًا عَـنْ دِينِـكَ وَطَالَمَـا سَـبَقتَ الْأَبْطَـالَ مِـنْ أَتْبَاعِـكَ إِلَى الصَّدَارَةِ، حَتَّى قَالَ عَلِيٌّ قَولَتَهُ الْمَشْهُورَةَ: « كُنَّا إِذا حَمِيَ البَأْسُ اتَّقَيْنَـا _أَيِ احْتَمَيْنَـا _ بِرَسُولِ الله ﷺ فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى العَدُوِّ »[2]، نَعَمْ هَكَـذَا كُنْـتَ يَـا رَسُـولَ الله فَإِذَا انْتَصَرْتَ لَمْ يُبْطِرْكَ ظَفَـرٌ، وَانْ كَانَـتْ الْأُخْـرَى لَمْ تَبْتَـئِسْ وَلَمْ تَيْـأَسْ، وَالْيَـوْمَ تَـسْتَعْرِضُ مِئَاتُ الْمَلَايِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أُمَّتِكَ تَسْتَعْرِضُ لَمَحَاتٍ مِنْ سِيرَتِكَ العَطِـرَةِ، فَيَجِـدُونَ فِيهَـا الْمَثَلَ الْأَعْلَى، وَالْأُسْوَةَ الحَسَنَةَ، وَالْقُدْوَةَ الصَّالِحَةَ لِكُلِّ زَمـانٍ وَمَكَـانٍ لَـوْ رَجَعُـوا إِلَيهَـا وَصَدَق الله العَظِيمُ إِذْ يَقُولُ فِيكَ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[3].

---

(١) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٣/ ٢٥٩، رقم ٣٤٨٠). وأخرجه أيضًا: أحمد (١/ ٧٩، رقـم ٥٩٦)، قال الهيثمى (١٠،٨/ ١٠٠،١٦٨): فيه عطاء بن السائب وقد سمع منه حماد بن سـلمة قبـل اختلاطـه وبقيـة رجاله ثقات. وأخرجه أيضا أبو نعيم في الحلية (٢/ ٤١) والضياء (٢/ ٨٨ رقم ٤٦٥).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك عن علي رضي الله عنه بلفظ( كنا إذا حمي البـأس ولقـي القـوم القـوم اتقينـا برسول الله صلى الله عليه و سلم فلا يكون أحد منا أدنى إلى القوم منـه) قـال الحـاكم هـذا حـديث صـحيح الإسناد ولم يخرجاه(٢/ ١٥٥)رقم(٢٦٣٣)وأحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه بلفظ مقارب للفظ الحاكم(١/ ١٥٦)رقم(١٣٤٦)كما أخرجه أيضا فيه بلفظ(لما حضر البأس يوم بدر اتقينا برسول الله صـلى الله عليه وسلم وكان من أشد الناس ما كان أو لم يكن أحد أقرب المشركين منه)(١/ ١٢٦)رقم (١٠٤٢).

(٣) سورة القلم آية (٤).

وَنَحْنُ نَعِيشُ هَذِهِ الذِّكْرَى الخَالِدَةَ نَمُدُّ أَيْدِينا إِلَى الله تَعَالَى ضَارِعِينَ سَائِلِينَ أَنْ يَنْفَعَنَا بِهَذِهِ الذِّكْرَى وَبِصَاحِبِهَا ؛ لِكَيْ نَأْخُذَ العِبْرَةَ وَالموعِظَةَ وَالإِدِّكَارَ فِي حَيَاتِنَا الَّتِي تَعَقَّدَتْ مَسَالِكُهَا وَكَثُرَتْ مَزَالِقُهَا حَتَّى لَا نَكَادُ نَرَى فِيهَا مَوَاضِعَ أَقْدَامِنَا، وَأَنْ يَحْفَظَنَا وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ فِتَنِ هَذِهِ الدَّارِ، دَارِ البَوَارِ وَالْعَارِ، وَأَنْ تُسْكِنَنَا بَعْدَ طُولِ الْأَعْمَارِ فِي طَاعَتِكَ يَا غَفَّارُ فِي جَنَّتِكَ دَارَ القَرَارِ وَالِاسْتِقْرَارِ، فِي أَحْسَنِ جِوَارٍ، جِوَارِ حَبِيبِكَ الْمُخْتَارِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ،وَأولِيَائِكَ الْأَبْرَارِ، إِنَّكَ كَرِيمٌ عَزِيزٌ غَفَّارٌ، وَنَحْنُ نَسْتَعْرِضُ سِيرَتَكَ _ يَا رَسُولَ الله _ نَرْجُو البَعْثَ،بَعْثَ قُلُوبِنَا لِنَصْحُوَ مِنْ سُبَاتِنَا، وَنَثُورَ مِنْ عِثارِنَا، وَنُصْلِحَ مِنْ قُلُوبِنَا وَنُفُوسِنَا مِنَ الدَّاخِلِ. وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [1]وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [2].أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطان الرَّجِيم﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [3].بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) سورة الفتح آية (٨-٩).

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِـمِينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَــهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَــهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الـصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَــهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَــهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَـشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَـرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

أما بعدُ: فيا عِبَادَ الله: أُوصِـيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْـوَى الله تَعـالى، اتَّقُـوا الله مِـنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

عِبَادَ الله: كَيفَ لَا نَفْرَحُ، كَيْفَ لَا نَحْتَفِلُ، وَاللهُ أَمَرَنَا أَنْ نَفْرَحَ بِفَضْلِهِ عَلَينَا وَرَحْمَتِهِ، وَأَيُّ فَضْلٍ أَعْظَمُ ؟ وَأَيَّةُ رَحْمَةٍ أَشْمَلُ وَأَفْخَمُ ؟ وَأَيُّ نِعْمَةٍ أَجَلُّ وَأَكْرَمُ مِـنْ مِيْلَادِ رَسُولِنَا الْأَعْظَمِ ؟! وَمُنْقِذِنَا وَمُخْرِجِنَا مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [1].

(١) سورة يونس(٥٨).

كَيفَ لَا يَفْرَحُ كُلُّ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ دِيَارِهِمْ وَأَمْصَارِهِمْ بِمِيلَادِ الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ لِكُلِّ العَالَمِينَ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [1]. فَجَعَلَهُ الله عَينَ الرَّحْمَةِ.

رُوِيَ أَنَّ امْرَأَةً صَحَابِيَّةً صَالِحَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ إِحْدَى غَزَوَاتِهِ الَّتِي أُبْتُلِيَ فِيهَا عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ( لَعَلَّهَا غَزْوَةُ أُحُدٍ) فَقَالَتْ هَذِهِ المَرْأَةُ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي كُنْتُ قَدْ نَذَرْتُ إِنْ أَعَادَكَ الله إِلَيْنَا سَالِماً أَنْ أَضْرِبَ عَلَى رَأْسِكَ بِالدفِّ ( أَيِ الطَّارِ ) فَقَالَ لَهَا عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَوْفِي بِنَذْرِكَ[2].وَالحَدِيثُ مَشْهُورٌ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الضَّرْبَ بِالدُّفِّ مِنْ أَنْوَاعِ اللَّهْوِ، وَالنَّذْرُ

---

(١) سورة الأنبياء آية(١٠٧).

(٢) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٠/ ٢٣١) بسنده عن بريدة عن أبيه قال رجع رسول الله ﷺ من بعض مغازيه فجائت جارية سوداء فقالت يا رسول الله إني نذرت إن ردك الله سالما أن اضرب على رأسك بالدف فقال رسول الله ﷺ ( إن نذرت فافعلي وإلا فلا قالت إني كنت نذرت فقعد رسول الله ﷺ فضربت بالدف)،والترمذي في سننه بسنده عبد الله بن بريدة قال سمعت بريدة يقول (خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت يا رسول إني كنت نذرت إن ردك الله صالحا أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى فقال لها رسول الله ﷺ إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحت أستها ثم قعدت عليه فقال رسول الله ﷺ إن الشيطان ليخاف منك يا عمر إني كنت جالسا وهي عملا فدخل أبو بكر وهي عملا ثم دخل علي وهي عملا ثم دخل عثمان وهي عملافلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث بريدة وفي الباب عن عمر وسعد بن أبي وقاص وعائشة )(٥/ ٦٢٠)،(١٨ باب في مناقب عمر بن الخطاب ﷺ)، رقم (٣٦٩٠) وأبو داود في سننه بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبي عن جده أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت يا رسول الله إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف قال أوفي بنذرك قالت إني نذرت أن أذبح بمكان كذا وكذا مكان كان يذبح فيه أهل الجاهلية قال لصنم قالت لا قال لوثن قالت لا قال أوفي بنذرك)(٣/ ٢٣٧) (٢٧ باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر)،رقم(٣٣١٢) وغيرهم.

لَا يَكُونُ إِلاَّ فِي قُرْبَةٍ وعِبَادَةٍ، وَالنَّبِيُّ هُوَ الْمُشَرِّعُ بَعْدَ الله أَمَرَهَا بِالْوَفَـاءِ بِنَـذْرِهَا، لمـا رَآهُ مِنْهَا بِفَرْحِهَا بِسَلَامَتِهِ.

وَوَرَدَ فِي حَدِيثٍ نَبَوِيٍّ مَا مَعْنَاهُ: «لَا يَكْمُلُ إِيْـمانُ أَحَـدِكُمْ _وَهُـوَ يُخَاطِـبُ أَصْحَابَهُ_ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، وَأَولَادِهِ، وَنَفْسِهِ، الَّتِي بَينَ جَنْبَيـهِ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ _وَكَـانَ صَرِيحًـا لَـيْسَ فِيـهِ نِفَـاقٌ_، أَنْـتَ يَـا رَسُولَ الله أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَأَوْلَادِي وَمَالِي، أَمَّا نَفْسِي الَّتِي بَينَ جَنْبِي فَـلَا، فَقَـالَ النَّبِيُّ: إِذاً لَمْ يَكْتَمِلْ إِيمَانُكَ بَعْدُ يَا عُمَرُ، فَاعْتَرَتْ عُمَرَ حَالَةٌ نَفْسِيَّةٌ، قَالَ بَعْدَهَا أَنْـتَ يَا رَسُولَ الله الْآنَ أَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَأَولَادِي وَمَـالِي وَمِـنْ نَفْـسِي الَّتِـي بَـينَ جَنْبِي، فَقَالَ له النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «إِذاً الْآنَ كَمُلَ إِيْمَانُكَ يَا عُمَرُ»[1].

(١) هما حديثان، أخرجها البخاري ومسلم وغيرهما،فقد أخرج البخاري من حيث أبي هريرة رضي الله عنـه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال( فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحـب إليـه مـن والده ) ومن حديث أنس بلفظ (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين )(١/ ١٤) (٧ باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان ) رقم (١٤،١٥) ومسلم من حـديث أنس (١/ ٦٧) (١٦باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مـن الأهـل والولـد والوالـد والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبه) رقم (٤٤)، وأخرج البخاري أيضا مـن حديث عبد الله بن هشام قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقـال لـه عمر يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسـلم لا والـذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال له عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقـال النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر )(٦/ ٢٤٤٥) رقم(٦٢٥٧)وهو عند أحمد في مسنده من حـديث زهرة بن معبد عن جده قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بـن الخطـاب رضي الله عنه فقال والله لأنت يا رسول الله أحب الي من كل شيء الا نفسي فقال النبـي صـلى الله عليـه وسـلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون عنده أحب إليه من نفسه فقال عمر فلأنت الآن والله أحب الي من نفسي فقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر)(٤/ ٢٣٣،٣٣٦)،(٥/ ٢٩٣) رقم(٢٢٥٥٦).

وَهَذَا مِصْدَاقٌ لِقَولِ الله تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾(١).

وَاحْتَكَمَ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقِيرٌ مِنْ صَحَابَتِهِ وَابْنُهُ المُوسِرُ ذُو المَالِ فَشَكَا الوَالِدُ بُخْلَ وَشُحَّ وَلَدِهِ وَأَنْشَأَ أَبْيَاتاً مِنَ الشِّعْرِ مُرْتَجِلًا فِي حَضْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِلا:

غَذَوْتُكَ مَوْلُودًا وَعِلْتُكَ يَافِعًا ... تَعَلُّ بِمَا أُدْنِي إِلَيْكَ وَتَنْهَلُ
إِذَا لَيْلَةٌ بَاتَتْكَ بِالشَّكْوِ لَمْ أَبِتْ ... لِشَكْوَاكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلْمَلُ
كَأَنِّي أَنَا المَلْدُوغُ دُونَكَ بِالَّذِي ... لُدِغْتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنَايَ تَهْمَلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ السِّنَّ وَالغَايَةَ الَّتِي ... إِلَيْهَا مَدَى الأَزْمَانِ كُنْتُ أُؤَمِّلُ
جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفَظَاظَةً ... كَأَنَّكَ أَنْتَ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ

فَأَجَابَهُ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ وَفِيهِ الحُكْمُ الفَصْلُ: «أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ»(٢)، فَعَلَيْكَ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَا رَسُولَ العَدْلِ اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَإِمَامِ المُتَّقِينَ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ إِمَامِ الخَيْرِ

(١) سورة التوبة آية (٢٤).

(٢) رواه بطوله الطبراني في الصغير وقال عقبه (لا يروى هذا الحديث عن محمد بن المنكدر بهذا التمام والشعر إلا بهذا الاسناد تفرد به عبيد بن خلصة (٢/ ١٥٢)رقم (٩٤٧)قال في مجمع الزوائد (رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه من لم أعرفه ومحمد بن المنكدر ضعيف وقد وثقه أحمد والحديث بهذا التمام منكر) (٤/ ١٥٥).

وَرَسُولِ الرَّحْمَةِ اللّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَغْبِطُـهُ فِيْـهِ الْأَوَّلُـونَ وَالآخِـرُونَ، اللّهُـمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمّدٍ.

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِنِّهِ و انْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِرَاً وآمِرَاً لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصَاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِـي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْدِالله الـحُسَينِ وعَلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيِّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجَلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـس هَـمَّنَا. نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ،

وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ.اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَافِرِ الذُّنُوبِ و الـخـَطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ. اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوع بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِر بِـلاد الـمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عونَاً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ. اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثَاً مُغِيثَاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ . ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ . عِبَـــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# فَضَائِلُ شهرِ رَجَبٍ والأَشْهُرِ الحُرُم

## الـخُطْبَة الأُولَى

الحَمْدُ لله الذِي فَضَّلَ الأَيَّامَ بَعْضَها عَلىَ بَعْضٍ ، وَهُوَ تَعالىَ بِيَدِهِ الإِبْرامُ وَالنَقْضُ ، وَلَهُ الأَمْرُ كُلُّهُ فِي السَّماواتِ والأَرْضِ ، تَعالىَ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَالجَاهِلونَ عُلُواً كَبِيراً.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ نَصَبَ لَنا أَعْلامَ الرَّشادِ ، وَأَوْضَحَ لَنا سُبُلَ السَّدادِ ، مَنّاً مِنْهُ وَتَفَضُّلاً عَلىَ العِبادِ ، وَأشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ إِلى أُمّةٍ كَثِيرٌ ضَلالُها ، قُساةٌ جُهَّالُها ، مَلَئُواْ الأَرْضَ فَسَاداً و عِنَاداً ، وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ الله أَنْداداً ، فَدَلَّهُمْ عَلىَ الشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ ، وَالمَحَجَّةِ البَيْضاءِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمَ عَلىَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الداَّعِي إِلى النَّهْجِ القَوِيمِ ، وَالْهادِي إِلى الصِّراطِ المُسْتقِيم ، وَعَلى آلِهِ وَأَصْحابِهِ الأَئِمَّةِ الأَعْلامِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ إِلى أَنْ يَرِثَ الله الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيها.

أما بعدُ: أُوصِيكُمْ أَيُّها المُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى ، فَإِنَّها شِعارُ المُؤْمِنِينَ، وَدِثارُ المُتَّقِينَ ، وَوَصِيَّةُ رَبِّ العالَمِينَ ، لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، جَعَلَها الله لِمَنْ لَزِمَها ذُخْراً ، وَأَحْسَنَ لَهُ فِي نَصِّ كِتابِهِ ذِكْراً ، فَقالَ جَلَّ فِي عُلاهُ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴾[1].

---

(١) سورة الطلاق آية (٥).

عِبادَ الله: إنَّ الله تَبارَكَ وَتَعالىَ جَعَلَ لَنا مَواقِيـتَ لِلْعِبـادَةِ ، وَمَواسِـمَ عَرَّفَهـا وَشَرَّفَها ، وَأَنْعَمَ عَلَينا تَفَضُّلاً وَتَكَرُّماً مِنْـهُ بِـنِعَمٍ لا تُعَـدُّ وَلا تُحْـصَى ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]. وَمِـنْ أَجَـلِّ نِعَمِـهِ أَنْ وَفَّقَنـا لِعِبادَتِهِ ، سِيَّما فِي أَفْضَلِ أَيامِهِ وَأَوْقاتِهِ.

أَيُّها المُسْلِمُونَ: أَلا وَإِنَّ شَهْرَكُمْ هَذا الَّذِي أطَلَّ عَلَيكُمْ هلالُه، شَهْرٌ مُبـارَكٌ، شهرُ رَجَبِ الحَرامُ ، فَضَّلَتْهُ الجاهِلِيَّةُ وَشَرَّفَهُ الإِسْلامُ ، افْتَـتَحَ الله بِـهِ ثَلاثَـةَ أَشْـهُرٍ كِرامٍ ، فَضَّلَها عَلىَ سائِرِ الشُّهُورِ فِي الأَعْوامِ ، فَرَجَبٌ أَوَّلُ الشُّهُورِ الحُـرُمِ الأَرْبَعَةِ ، وَهُوَ شَهْرُ الله الأَصَبُّ الَّـذِي تُـصَبُّ فِيـهِ البَرَكـاتُ عَـلىَ البَرايـا، وَتُـضاعَفُ فِيـهِ الحَسَناتُ لِمَنْ أَقْلَعَ عَنِ الخَطايا ، وَيُقالُ لَهُ شَهْرُ الله الأَصَمُّ ؛ يُصَمُّ فِيهِ السِّلاحُ ، بَعْدَ حُرُوبٍ ضرُوسٍ تُبْدأُ بِانْتِهاءِ المُحَرَّمِ حَتَّـى انْتِهـاءِ جُمـادى الآخِـرَةِ ، خَمْـسَةُ شُـهُورٍ مُتَتَالِيَةٍ يُقَعْـقِعُ فِيها السِّلاحُ ، وَالإِسْلامُ أَقَرَّ فِيما أُقِرَّ مِـنْ عـاداتِ الجاهِلِيَّـةِ احْـتِرَامَ الأَشْهُرِ الحُــرُمِ ، فالْعِبـادَاتُ فِي هَـذِهِ الأَشْـهُرِ أَفْـضَلُ مِـنَ العِبـاداتِ فِي غَيْرِهـا ، فَعَظِّمُوا عِبادَ الله ما عَظَّمَ الله مِنْ حُرُمـاتٍ ؛ لِتَفُـوزُوا بِأَجَـلِّ المَـثُوباتِ ، فالـصِّيامُ وَالاسْتِغْفَارُ وَالدُّعاءُ ، وَالصَّدقَةُ، وَالذِّكْرُ ، مُسْتَحَبَّةٌ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِـينٍ ، وَلَكِنَّهـا أَشَدُّ اسْتِحْباباً فِي الأَشْهُرِ الفُضْلىَ ، وَهِيَ الأَشْهُرُ الحُـرُم.

---

(١) سورة النحل آية (١٨).

عِبادَ الله: إِنَّ شَهْرَكُمْ هَذا لَهُ شَرَفٌ يَمْتازُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ لِما أَوْلاهُ الله مِنْ أَفْضَلِيَّةٍ مِنْهـا: تَـسْمِيَتُهُ بِرَجَـب لِعَظَمَتِـهِ وَهَيْبَتِـهِ ، لأَنَّهُـمْ كـانُوا يُعَظِّمُونَـهُ فِي الجاهِلِيَّـة ، وَالمُرَجَّبُ المُعَظَّمُ المَهِيبُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ العَرَبِ فِي المَثَلِ وَالفَخْرِ: أَنَا جُذَيْلُها المُحَكَّـكُ ، وَعُذَيْقُها المُرَجَّبُ[1] ، أَيِ المَصُونُ المَحْفُوظُ.

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ الشَّهْرُ الفَرْدُ مِنَ الأَشْهُرِ الحُـرُمِ ، لَهُ مِنَ الأَفْضَلِيَّةِ وَالمكانَةِ فِي المُبادَرَةِ بِالأَعْمالِ الصالِحَةِ ، وَقَفَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيـهِ وآلِـهِ وَسَـلَّمَ فِي حَجَّـةِ الَوداعِ مُعَلِّماً وَمُوصِياً لأُمَّتِهِ فِي آخِرِ تَعالِيمِهِ وَوَصاياهُ ، وَبَعْدَ أَنْ حَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيـهِ بِما هُوَ أَهْلَهُ: أَوْصَى الأُمَّـةَ بِـالتَّقْوَى وَطاعَـةِ الله تَعـالَى ، ثُـمَّ قـالَ فِي أَثْنـاءِ خُطْبَتِـهِ المَـشْهُورَةِ: (( أَيُّهَـــا النَّـــاسُ: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [2]، وَإِنَّ الزَّمانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ الله الـسَّماواتِ وَالأَرْض ، الـسَّنَةُ اثنَـا عَشَرَ شَهْرَاً، مِنهَا أَربَعَةٌ حُرُمٌ ؛ ثَلاثَـةٌ مُتَوَالِيَـاتٌ: ذُو القَعْـدَةِ وذُو الحِجَّـةِ والمُحَـرَّمُ ورَجَبُ مُضَر الَّذِي بَينَ جُمَادَى وشَعْبَانَ...أَلا هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ))[3].

---

(١) جُذيلها المُحكَّك: أي ذو الخبرة والحصافة الذي يُعتمد عليه و يؤخذ برأيـه، و أصـل الجُـذَيل المُحكَّـك: عود يُنصَب لتحتكَّ به الإبل الجرباء. انظر العين للخليل، لسان العرب، المحيط في اللغة مادة (جـذل)و عُذيقها:أصل العذيق: تصغير عذق و هو النخلة، و المراد هنا خيرها و سيِّدها. انظـر المراجـع الـسابقة مادة (عذق) أو (رجب)..

(٢) سورة التوبة من الآية (٣٧).

( ٣) روى بعض هذا الحديث البخاري في كتاب (المغازي) باب (حجة الوداع) جزء من حديث طويل برقم (٤٠٥٤) فيه: عن أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قـال:" الزمـان قـد اسـتدار كهيئـة يـوم خلـق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم؛ ثلاثة متواليات: ذو القعـدة وذو الحجـة والمحـرم

وَمِماَّ جَعَلَ لَهُ الأَفْضَلِيَّةَ أَنَّ فِيهِ لَيْلَةً عَظيمَـةً عَـلىَ أَصَـحِّ الأَقْـوالِ ، التَقَـتْ فِيْهـا السَّمَوَاتِ بِالأَرْضِ ، لَيْلَةَ السابع والعِشْرِينَ مِنْهُ تُوافِقُ لَيْلَةَ الإِسْراءِ وَالمِعْراجِ بِالحَبِيـبِ الأَعْظَمِ ﷺ مِنْ مَكَّـةَ المُكَرَّمَـةِ ، وَالْبَيْـتِ العَتِيـقِ إِلىَ أُولَى القِبْلَتَـينِ ، وَثالِـثِ الحَـرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ ، خَلَّصَهُ الله مِنْ أَيْدِي أَعْـداءِ الإِسْـلامِ وَالمُسْلِمِينَ ، فَسُبْحانَ مَـنْ أَسْرَى ، وَبُورِكَ مَنْ سَرَى ، ثُمّ عُرِجَ بِهِ إِلىَ السَّبْعِ الطِّباقِ سَماءً بَعْدَ سَـماءٍ، وَمَعَـهُ جِبْرِيـلُ عَلَيْـهِ السَّلامِ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلىَ حَظِيرَةِ القُدْسِ ، ثُمَّ إِلىَ حَيْثُ يُسْمَعُ صَرِيفُ الأَقْلامِ، وَتَـأَخَّرَ عَنْهُ جِبْرِيلُ ، وَرَأَى مِنْ آياتِ ربِّهِ الكُبْرَى ، وَكَلَّمَهُ الله تَعالىَ ، وَفَرَضَ عَلَيهِ وَعَـلىَ أُمَّتِـهِ خَمْسِينَ صَلاةً، ثُمَّ خُفِّضَتْ إِلَى خَمْسٍ بِأَجْرِ الخَمْسِينَ.

وَمِماَّ فَضَّلَ الله بِهِ هَذا الشَّهْرِ المُرَجَّبِ المُعَظَّم: ما حَـصَلَ فيـه مِـنْ تَـشْرِيعاتٍ وَعِبَرٍ وَمَواعِظَ، فَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الهِجْـرَةِ وَقَعَـتْ سرِيَّـةُ عَبْـدِ الله بْـنِ جَحْـشٍ الأَسَدِيِّ، أَرْسَلَهُ فِي جَماعَةٍ مِنَ الصَّحابَةِ المُهاجِرينَ، وَكَتَـبَ لَـهُ كِتابـاً وَأَمَـرَهُ أَنْ لا يَفْتَحَهُ إِلاَّ بَعْدَ يَوْمَيْنِ ، وَلَمَّا مَضَتْ اليَوْمانِ فَتَحَهُ فَإِذا فِيهِ: إِذا نَظَرْتَ فِي كِتـابِي هَـذا فامْضِ حَتَّى تَنْزِلَ نخْلَة ( بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِف ) فَتَرَصَّد فِيْها قُرَيْشاً وآتِنا بِأَخْبـارِهِمْ، وَلَمْ يَأْمُرْهُ بِالقِتالِ، فَمَرَّتْ بِهِ عيرٌ لِقُرَيْشٍ تَحْمِلُ زَبِيباً وَأُدُماً وَتِجارَةً ، وَفِيها عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ الحَضْرَمِيِّ الكِنْدِيِّ ، وَكانَ ذَلِكَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِـنْ رَجَـب ، فَتَـشاوَرَ عَبْـدُ الله وأَصْحابُهُ فِي قِتالِهِمْ، فَقالَ القَوْمُ: وَالله لَئِنْ تَرَكْتُمْ القَوْمَ هَذِهِ اللَّيْلَـة لَيَـدْخُلُنَّ حَـرَمَ مَكَّةَ وَتَفُوتُ الفُرْصَةُ عَلَينا ، وَلَئِنْ قَتَلْتُمُوهُم لتَقْتُلُـنَّهم فِي الـشَّهْرِ الحَـرامِ رَجَـب ،

ورجب مضر الذي بـين جُمادى وشـعبان...." الحـديث، و رواه مـسلم في كتـاب (القـسامة و المحـاربين و القصاص و الديات) باب (تغليظ تحريم الدماء و الأعراض و الأموال) برقم (٣١٧٩).

وَلَكِنَّهُمْ أَخِيراً أَجْمَعُواْ عَلَىَ القِتالِ فَهَجَمُوْا عَلَيْهِمْ وَقَتَلُواْ عَمْرَو بْنَ أَوْسٍ الحَضْرَمِيِّ ، وّاسْتَأْسَرُوا اثْنَيْنِ مِنْهُمْ ، وَساقُوا العِيْرَ غَنِيمَةً.

وَلَمَّاَ وَصَلوُا وَقَدِمُوا عَلىَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(( ما أَمَرْتُكُمْ بِقِتالٍ فِي الشَّهْرِ الحَرامِ)) فَوَقَفَ العِيْرُ وَالأَسِيرِينَ و أَمَرَ بِدِيَةٍ لِعَمْرٍو ، فَتَأَسَّفَ عَبْدُ الله وَجَماعَتُهُ لِما حَصَلَ مِنهُمْ ، وَقالَتْ قُرَيْشٌ: قَدِ اسْتَحَلَّ مُحَمَّدٌ وَأَصْحابُهُ الشَّهْرَ الحَرامَ ، وَسَفَكُوا فِيْهِ الدَّمَ ، وَأَخَذُوا فِيهِ الأَمْوالَ وَالأَسْرَى، وَكَثُرَ القالُ وَالْقِيلُ مِنْ أَعْداءِ الإِسْلامِ فَأَنْزَلَ الله عَلَى رَسُولِهِ وَحْياً تَأْيِيداً لِما قامَ بِهِ عَبْدُ الله بْنِ جَحْشٍ وَجَماعَتُهُ قَوْلَهُ تَعالَى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ﴾[1] وَفَرَّجَ الله عَنِ المُسْلِمِينَ ما كانُوا فِيْهِ مِن الإِشْفاقِ[2].

وَفِي شَهْرِ رَجَب فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْهِجْرَةِ وَقَعَتْ غَزْوَةُ تَبُوكٍ وَتُسَمَّى غَزْوَةَ العُسْرَةِ ، تَهَيَّأَ رَسُولُ الله صَلىَّ الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَ أَصْحابَهُ بِالتَّهَيُّؤِ لِغَزْوِ الرُّومِ، وَذَلِكَ فِي زَمانٍ مِنْ عُسْرَةِ النَّاسِ ، وَشِدَّةٍ مِنَ الحَرِّ ، وَجَدْبِ البِلادِ ، وَحِيْنَ طابَتْ الثِّمارُ ، وَالنَّاسُ بِطَبْعِهِمْ يُحِبُّونَ المَقامَ فِي ثِمارِهِمْ وَظِلالِهِمْ ، زِيادَةً عَلىَ ذَلِكَ كُلِّهِ بُعْدُ المَشَقَّةِ ، وَكَثْرَة العَدُوِّ ، وَكانَ هَذا امْتِحاناً لِلْمُسْلِمِينَ وَلِمَدى إِيْمانِهِمْ

(١) سورة البقرة آية (٢٦٧).

(٢) انظر القصة في تفسير الطبري (٢/ ٣٤٨-٣٤٩)، والسيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٤٧-١٤٨)، وسنن البيهقي الكبرى (٩/ ٥٨-٥٩).

وَامْتِثالِهِمْ الأَوامِرَ ، فانْكَشَفَ أَعْداءُ الإِسْلامِ المُنْدَسِّينَ فِي صُفُوفِ المُسْلِمِينَ مِنَ المُنافِقِينَ وَنَزَلَ فِيهِمْ وَحْيٌ نَجِدُهُ فِي سُورَةِ ( التوبة )، وَنَزَلَتْ آياتٌ أُخْرَى تُبْرِئُ المُؤْمِنِينَ الصادِقِينَ.

تَخَلَّفَ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكٍ جَماعاتٌ مِنَ المُنافِقِينَ، مِنْ هَؤُلاءِ الجَدُّ بْنُ قَيْسٍ ، قالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ يَتَجَهَّزُ لِلْمَسِيرِ إِلَى تَبُوكٍ: هَلْ لَكَ الْعَامَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ (يُرِيدُ الرُّومَ) ؟ فَقَالَ يَا رَسُول الله أَوَ تَأْذَنُ لِي وَلَا تَفْتِنّي ؟ فَقالَ يا رَسُولُ الله: أَوَ تَأْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي فَوَاللهِ لَقَدْ عَرَفَ قَوْمِي أَنَّهُ مَا مِنْ رَجُلٍ بِأَشَدّ عُجْبًا بِالنّسَاءِ مِنّي، وَإِنّي أَخْشَى إِنْ رَأَيْت نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَنْ لَا أَصْبِرَ فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ الله ﷺ وَقالَ: قَدْ أَذِنْت لَك، وَفِيهِ أَي الجَدِّ بْنِ قَيْسٍ نَزَلَتْ هذِهِ الآياتِ[1]﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2].

وَقالَ قَوْمٌ مِنَ المُنافِقِينَ: بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لا تَنْفِرُوا فِي الحَرِّ ، تَخَوُّفاً مِنَ الجِهادِ ، وَإِرْجافاً بِرَسُولِ الله ﷺ فَأَنْزَلَ الله تَبارَكَ وَتَعالَى فِيهِمْ:﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[3]، وَبَلَغَ الرَّسُولَ ﷺ أَنَّ نَاسَاً مِنَ المُنافِقِينَ يَجْتَمِعُونَ فِي دارِ (سُوَيْلِمٍ الْيَهُودِيّ) يُثْبِطُونَ النَّاسَ عَنِ الخُرُوجِ مَعَ الرَّسُولِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكٍ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ الرَّسُولُ ﷺ الصَّحابِيَ الجَلِيلَ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحابِهِ وَأَمَرَهُ

(١) انظر تفسير الطبري (١٠/ ١٤٩)، تفسير القرطبي(٨/ ١٥٨)، السيرة النبوية لابن هشام (٥/ ١٩٦).

(٢) سورة التوبة آية (٤٩).

(٣) سورة التوبة آية (٨١-٨٢).

أَنْ يَحْرِقَ عَلَيْهِمْ بَيْتَ سُوَيْلِمَ فَفَعَلَ طَلْحَةُ ما أَمَرَهُ رَسُولُ الله ﷺ[1]، هَـذا بَعْـضَ مـا كَشَفَهُ الله فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مِنْ جِهَةِ الْمُنافِقِينَ.

أَما الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَخَلِّفُونَ بِعُذْرٍ: مِنْهُمْ السَّبْعَةُ البَكَّاءُونَ، وَكانُوا فُقَراءَ لا يَسْتَطِيعُوْنَ تَجْهِيزَ أَنْفُسِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمْ رَواحِلُ يَرْكَبُونَها فِي الرَّحْلَةِ الطَّوِيلَةِ، جاءُوا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ طَلَبُوا مِنْهُ ما يَحْمِلُهُمْ فَقالَ لَهُمْ: ﴿**وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ**﴾[2].

وَمِمَّنْ تَخَلَّفَ ثُمَّ نَدِمَ الثَّلاثَةُ المَشْهُورُونَ: كَعْبُ بْنِ مالِكٍ، وَمَرارَةُ بْنِ الرَّبِيعِ، وَهِلالُ بْنِ أُمَيَّةَ، وَاعْتَذَرُوا لِلرَّسُولِ وَلَمْ يَقْبَلْ عُذْرَهُمْ، وَقاطَعَهُمْ الرَّسُولُ والصَّحابَةُ حَتىَّ أَهْلُهُم وَزَوجاتُهُمْ وَلَمْ يَقْبَلْ عُذْرَهُمْ حَتىَّ نَزَلَ فِيهِمْ وَحْيٌ يَقْبَلُهُ[3] قالَ تَعالَى: ﴿**لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ الله إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ الله هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[4].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٥/ ١٩٦).

(٢) سورة التوبة آية (٩٢)، وانظر القصة في السيرة النبوية لابن هشام(٥/ ١٩٧)، تفسير الطبري (١٠/ ٢١٣)، تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨٣).

(٣) راجع قصتهم في صحيح البخاري كتاب المغازي باب (حديث كعب بن مالك) رقم (٤٠٦٦)، مسند الإمام أحمد بن حنبل (مسند المكيين) حديث كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه رقم (١٥٢٢٩).

(٤) سورة التوبة آية (١١٧-١١٨).

عِبادَ الله: هَذا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ مِـنْ كَـلامِ رَبِّ العـالَمِينَ ، وَسِـيْرَةِ سَـيِّدِ المُرْسَـلِينَ ، وأَصْحابِهِ المُقْتَفِينَ، و لِنَتَدَبَّر التَّعـالِيمَ الإلَهِيَّـةِ ، وَالتَّوجِيهـاتِ المُحَمَّدِيَّـةِ ، وَالإِرْشـاداتِ الإِسْلامِيَّةِ يَجِبُ أَنْ نَعْرِفَ كَلامَ الله ، وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ ، فِي عَـصْرٍ تَغَلَّبَـتْ فِيـهِ المادِيـاَّتُ عَلَى الرُّوحِياَّتِ ، وَكَثُرَتْ فِيهِ النِّزاعاتُ وَالخِلافاتُ.

فَأَكْثِرُوا مِنَ الأَعْمالِ الصاَّلِحَةِ فِي هَذا الشَّهْرِ الحَرامِ ، يُضَاعَفُ لَكُم الأَجْرُ وَالثَّوابُ ، فاللهُ فَضَّلَ الأَيَّامَ بَعْضَها علَىَ بَعْضٍ ، وَفَضَّلَ الشُّهُورَ بَعْضَها عَلى الأُخَرَ وَفَضَّلَ الأَمـاكِنَ كَذَلِكَ ، كَما فَضَّلَ النَّاسَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَفَضَّلَ الرُّسُلَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ.

إِن أَشْرَفَ الوَعْظِ مَنْظُوماً وَمَنْثُوراً ، وَأَصْدَق اللَّفْظِ مقروءاً وَمَزْبُوراً ، كَـلامُ مَـنْ لَمْ يَـزَلْ عفُـواًّ غفُـوراً . وَاللهُ يَقُـولُ وَبِقَولِـهِ يَهْتَـدِي المُهْتَـدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [1] وَقالَ عَزَّ مِـنْ قَائِـلٍ كَـرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [2]. أَعُـوذُ بـالله مِـنَ الشَّيْطان الرَّجِيمِ ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِّ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِّ يَوْمَ خَلَـقَ السَّماَوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُـواْ فِـيهِنَّ أَنفُـسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَما يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَّ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [3]. بـارَكَ الله لِي وَلَكُمْ فِي القُرْانِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِـيمِ ، أَقُـولُ قَـولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) سورة التوبة آية (٢٦).

# الخطبة الثانية

الحَمْدُ لله الَّذِي قَدَّرَ الأَزْمـانَ وَفَـصَّلَ الفُـصُولَ ، وَأَغْـرَقَ فِي بَحْـرِ مَعْرِفَتِـهِ الأَفْكارَ وَالْعُقُولَ ، وَحَيَّرَ فِي كُنْهِ ذاتِهِ الأَفْهامَ فَما لَهَا إِلَى مَعْرِفَةِ صَمَدِيَّتِهِ وُصُولٌ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يُبَلِّغُنا بِها أَقْصَى الغاياتِ ، وَيَرْفَعُنا بِها أَعْلى الدَّرَجاتِ، وَالْفَوزَ بِسُكْنَى جَناتِهِ، فَنكُونُ مِمَّنْ قالَ فِيهِمْ فِي مُحْكَمِ آياتِهِ: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (١).

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، المَبْعُوثُ بِالقَولِ السَّدِيدِ ، وَالفِعْلِ الحَمِيدِ ، وَالأمر الرَّشِيدِ ، فَما أَحْسَنَ ما جاءَ بِهِ مِنَ العِبادَةِ ، وَما أَعْظَمَ ما جاءَ بِهِ مِنَ التَّوحِيدِ ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيء شَهِيدٍ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ المُخْتارِ ، إمامِ المُتَّقِينَ وَسَيِّدِ الأَبْرارِ ، صَلى الله علَيهِ وَعَلَى آلِهِ الأَطْهارِ ، وَصَحابَتِهِ الأَخْيارِ ، ما تَعاقَبَ اللَّيلُ وَالنَّهارُ ، وَعَلَى التابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسان فِي الصَّومِ وَالإِفْطارِ ، وَعَلَينا مَعَهُمْ و فِيهِمْ بِرَحْمَةٍ مِنْكَ يا عَزِيزُ يا غَفَّارُ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ** ﴾ (٢).

أما بعدُ: فيا عِبَادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

(١) سورة ق آية (٣٥).

(٢) سورة الأحقاف آية (١٦).

عَبادَ اللهِ: كانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذا رَأَى الهِلالَ أَيّ هِـلالٍ قالَ: « اللهُ أَكْبَرُ اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنا بِالأَمْنِ وَالأَمانِ ، وَالسَّلامَةِ وَالإِسْـلامِ وَالتَّوفِيـقِ لِما تُحِبُّ وَتَرْضَى رَبُّنا وَرَبُّكَ اللهُ » [١].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِذا دَخَـلَ شَـهْرُ رَجَـبٍ زادَ رَسُـولُ اللهِ عَـلَى ذَلِكَ: « اللَّهُمَّ بارِكْ لَنا فِي رَجَبٍ وَشَعْبانَ وَبَلِّغْنا رَمَضانَ» [٢].

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّ الدُّعاءَ مُخُّ العِبادَةِ ، فَإِنَّهُ مُسْتَحَبٌّ فِي جَمِيعِ الأَوْقـاتِ إِلاَّ أَنَّهُ أَشَدُّ اسْتِحْباباً فِي أَفْضَلِ الأَوْقاتِ وَأَفْضَلِ الأَماكِنَ مِنْهُ فِي غَيْرِها وَكَـذا بَقِيَّـةُ الأَذْكارِ وَالاسْتِغْفارِ ، وَأَفْضَلُ الدُّعاءِ الأَدْعِيَةُ المَذْكُورَةُ فِي القُرْآنِ،ومَا دَعا بِهِ النَّبِـيُّ ﷺ ، ثبت فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قـالَ: كـانَ أَكْثَـرُ دُعـاءِ النَّبِـيِّ ﷺ « اللَّهُمَّ آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّارِ » [٣].

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي أُمامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: دَعَا رَسُولُ اللهِ صَـلَّى اللهُ علَيـهِ وآلِـهِ وَسَلَّمَ بِدُعاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئاً ، قُلْـتُ يـا رَسُـولَ اللهِ دَعَـوْتَ بِـدُعاءٍ كَثِـيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئاً فَقَالَ: « أَلا أَدُلُّكُمْ عَلىَ ما يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلهِ ؟ تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نسْأَلُكَ

---

(١) الحديث أخرجه الدارمي في سننه في كتاب الصوم باب (ما يقوله عند رؤية الهـلال)بـرقم (١٦٢٥) عـن ابن عمر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال قال:" الله أكـبر اللهـمَّ أهلَّـه علينـا بـالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما يحبُّ ربُّنا ويرضى ربُّنا وربُّك الله".

(٢) روى هذا الحديث الإمام أحمد في مسنده في مسند بني هاشم باب (بداية مسند عبدالله بن عبـاس) بـرقم (٢٢٢٨) عن أنس بن مالك قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل رجب قـال:" اللهـم بـارك لنـا في رجبٍ وشعبانَ وبارك لنا في رمضان" وكان يقول:" ليلة الجمعة غرَّاء ويومها أزهر".

(٣) رواه البخاري في كتاب الدعوات باب (قول النبـي ربنـا آتنـا في الـدنيا حسنة) بـرقم (٥٩١٠)، و رواه مسلم في كتاب (الذكر والدعاء و التوبة و الاستغفار) باب (فضل الدعاء بـاللهمَّ آتنـا في الـدنيا حـسنة و في الآخرة) برقم (٤٦٥٥).

مِنْ خَيْرِ ما سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، و نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما اسْتَعاذَكَ مِنْـهُ نَبِيُّـكَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، وَأَنْتَ المُسْتَعانُ ، وَعَلَيكَ البَلاغُ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِالله»[1].

وَمِمَّا يَنْبَغِي الاِعْتِناءُ بِهِ وَالاِهْتِمامُ كَثْرَةُ الاِسْتِغْفارِ آناءَ اللَّيلِ وَالنَّهارِ يَقُـولُ الله تَعـالَى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾[2]، و قـالَ تَعـالَى ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3].

وَأَخْرَجَ الإِمَامُ البُخارِي عَنْ شَـدَّادِ بْـنِ أَوْسٍ رَضِيَ الله عَنْـهُ عَـنِ النَّبِّـي ﷺ قالَ:« سَيِّدُ الاسْتِغْفارِ أَنْ يَقُولَ العَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِـي وَأَنـا عَبْدُكَ ، وَأَنا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شِّر ما صَنَعْتُ ، أَبُـوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، و أَبُوءُ بِذَنْبِي ، فاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لا يْغْفِرُ الـذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْـتَ ، قَـالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنْ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ قَالَهَا مِنْ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[4].

---

(١) رواه الترمذي في سننه (كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) برقم (٣٤٤٣) و قال عقبه: هذا حديث حسن غريب. وعند الإمام أحمد في مسنده باب (باقي مسند الأنـصار) بـرقم (٢٣٨٧٠)، و ابـن ماجة في سننه كتاب الدعاء باب (الجوامع من الدعاء) من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسـول الله صـلى الله عليه وسلم علَّمها هذا الدعاء: (اللهمَّ إني أسألك من الخير كلِّه عاجلِهِ وآجِلِه ما علمتُ منه وما لم أعلـم. اللهمَّ إني أسألكَ من خيرِ ما سألك عبدُك ونبيُّك محمد صلَّى الله عليه وسلَّم وأعوذ بك مـن شرِّ مـا عَـاذَ منـه عبدُك ونبيُّك. اللهمَّ إني أسألك الجنة وما قرَّب إليها من قولٍ أو عملٍ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وأسألك أن تجعل كلَّ قضاءٍ تقضيه لي خيراً).

(٢) سورة غـافر آية (٥٥).

(٣) سورة آل عمران آية (١٢٥)

(٤) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب(أفضل الاستغفار) رقمه(٥٨٣١).

وَفِيما يَرْوِيْهِ رَسُولُ الله صلى الله عليهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ الله عَزَّ وَجَـلَّ ، قـالَ الله تَعالَىَ: (( يا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ ما دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ ما كانَ مِنْكَ وَلا أُبالِي ، يا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ... )) الحديث(١).

فَأَكْثِرُوا رَحِمَكُمُ الله فِي هَذا الشَّهْرِ مِـنَ الـدُّعاءِ وَالـذِّكْرِ وَالِاسْـتِغْفارِ لاسِـيَّما وَقْتَ الأَسْحارِ، وَآناءَ اللَّيْلِ وَأَطْرافَ النَّهارِ تَفُوزُوا برضا المَلِكِ الجَبَّارِ.

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و انْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِرَاً وآمِرَاً لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصَاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِـي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَــــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ ﷺ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْدِالله الـحُسَينِ وعَلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيِّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله

---

(١) رواه الترمذي في السنن كتاب (الدعاء عن رسول الله ) باب (فضل التوبة و الاستغفار و ما ذكر من رحمة الله) برقم (٣٤٦٣) و قال عقبه: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجـلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشف كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُـسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَـا ، وابْـسُطِ الأَمْــنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوع بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلادَ الـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْـلِحْ ذَاتَ بَينِنَـا ، وأَلِّـفْ بَـينَ قُلُوبنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِـمَا فَعَـلَ الـسُّفَهَاء مِنَّـا ، واجْعَـلْ وِلَايَتَنَـا فِـيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُـزَاةِ والمُـسَافِرِينَ في بَـرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْـقِنَا غَيْثَـاً مُغِيثَاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

عِبَـــادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# ذِكْرَى الإِسْرَاءِ والـمِعْرَاج

## الخُطْبَــةُ الأُولَى

الحمدُ لله الذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَـرامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْـصَى ، وامتَنَّ عَلَيهِ بِنِعَمٍ فِي إِسْرائِهِ وَمِعْراجِهِ لا تُعَدُّ وَلا تُحْصَى ، فَأَراهُ مِنْ آياتِـهِ الكُـبْرَى ، وَأَفاضَ عَلَيهِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَتَشْرِيفِهِ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى؛ عِنْدَها جَنَّةُ المَأْوَى ما أَفـاضَ، فَسُبْحانَ مَنْ أَسْرَى وَبُورِكَ مَنْ سَرَى.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيء ، وَمـا شـاءَ الله كانَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، المُؤَيَّـدُ بـِالقُرْآن ، أَرْسَـلَهُ إِلَى الإِنْـسِ وَالجانِّ ، وَأَظْهَرَ عَلَى يَدَيهِ مِنْ الْمُعْجِزاتِ الباهِراتِ، ما يُرْغِمُ بِهِ أَنْفَ كُلِّ شَيْطانٍ.

اللَّهمَّ صلِّ وَسَلِّمْ علَى عَبدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ ، الَّذِي شرَّفتَهُ بِالعُبُودِيَّةِ ، كَـما شرَّفْتَهُ بِالرِّسالةِ الإِلَهِيَّةِ ، وَسَرَيْتَ بِهِ ليلاً مِنْ حَرَمٍ إِلَى حَرمٍ ، ثُمَّ أَدْنَيْتَهُ مِن حَضْرَتِكَ القُدْسِيَّةِ ، بَعْدَ أن تَجاوَزَ السَّبْعَ الطِّبـاقِ ، وَوَصَـلَ إِلَى حَـضْرَةِ الإِطـلاقِ ، وَكَلَّمْتَـهُ وَأَرَيْتَهُ مِن آياتِكَ الكُبْرَى ، ما يُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَهُ ، وَما كَذَبَ الفُؤادُ ما رَأَى.

أما بعدُ: فيأَيُّها الْمُسْلِمُونَ أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتقوَى الله وطاعَتِهِ ، فـاتقُوا الله فَإِنَّهـا أَساسُ الأَمْرِ كُلِّهِ ، وَفِيها سَعادَةُ الـدَّارَينِ ، والجَمْـعُ بَيْنَ الحُسْنيَـينِ فِي الحَياتيْنِ.

عِبـادَ الله: يقُـولُ الله سُـبحانَه وتعَـالَى فِي كِتابِـهِ الكَـرِيمِ: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَـرَامِ إِلَى الْمَـسْجِدِ الأَقْـصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾ صدقَ الله العَظيمُ

أَيُّها المُسلِمُونَ: تَمُرُّ بِنا هَذِهِ الأيَّامُ ذِكْرَى غالِيَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، فِي أَقْطارِ المَعْمُورَةِ ،أَلا وَهِيَ ذِكْرَى الإِسْراءِ وَالمِعْراجِ ، وَلَقَدْ شاءَتْ إِرادةُ الله تعالَى أَنْ يَجْعَلَ مَكانَ هَذَا الحادِث العَظِيم بَيْتَهُ المُقَدَّسِ - خَلَّصَهُ مِنْ أَيْدِي أَعْداءِ الإِسْلام وَالمُسلِمِينَ- وَهُو أُولى القِبْلَتَينِ ، وَثالِث الحَرَمَينِ الشَّرِيفَيْنِ ، وَمَجْمَعُ الأَدْيانِ السَّماوِيَّةِ ، وَمُلْتَقَى الأَنْبياءِ ، لِيُثَبِّتَ فِي قُلُوبِنا وَيَقِينِنا نَحْنُ أُمةَ مُحمَّدٍ صلَّى الله عليه وآلِه وسلَّمَ الارْتِباطَ الوَثِيقَ أَيْنما كُنَّا وَكانَتْ دِيارُنا ، وَشَطَّ مَزارنا ، بِمَسْرَى نَبِيِّنا الكَرِيمَ وَمِعْراجِهِ ، وَهُمَا مِنْ أَهَمِّ مُعجِزاتِهِ بَعْدَ القُرْآنِ الكريم.

إِنَّ الإِعْجازَ فِي حادِثِ الإِسْراءِ والمِعْراجِ لِنَبِيِّنا صلى الله عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ هُوَ أَنَّ المُعجِزَة المُحَمِدية هَذِهِ تُخاطِبُ العَقْلَ دائِماً بِعَكْسِ مُعْجِزاتِ الأَنبياءِ قَبْلَهُ ، حَيثُ كانَتْ تُخاطِبُ الإِحْساسَ وَالجَوارِحَ ، فَمُعْجِزَةُ مُوسَى عليهِ السلام حِيْنَ أَلْقَى عصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ ، وَنَزَعَ يَدَهَ فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنَّاظِرِينَ ، هِيَ مُعْجِزَةٌ بَصَرِيَّةٌ ، رآها النَّاسُ بِأَعْيُنِهِمْ وَشاهَدُوا حُدُوثَها فَبَهَرَتْهُمْ ، وَتُؤَدِّي إِلى الإِيمانِ أَوْ إِلى العِنادِ ، وَمُعْجِزَةُ عِيسَى عليهِ السَّلامِ فِي إِحْياءِ المَوْتىَ وَإِبراءِ الأَكْمَه والأَبْرَص هِيَ أَيْضاً مُعْجِزةٌ بَصَرِيَّةٌ تُؤَدِّي بِالنَّاسِ إِلى الاِقْتِناعِ أَوْ إِلى الإِنْكارِ ، فأَما مُعْجِزةُ محمدٍ صلى الله عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ فَإِنَّ الله سُبْحانهُ لَمْ يُرِدْ لَها هَذا المُسْتَوَى المادِيَّ ، وَإِنَّما جعلَها تخاطِبُ العَقْلَ ، وَتُثِيرُ التَّفْكِيرَ عِنْدَ المُؤْمِن بِها وَغَيرَ المُؤْمِنِ ، وَامْتِحاناً لِمَدَى إِيْمانِ المُؤْمنِينَ ، وَتَمْحِيصاً لِمَدارِكِهِمْ وَثَباتِهِمْ ، فَكانَتْ آياتُ القرآنِ فِي إِعجْازِها الخالِدِ لِكُلِّ الأَجْيالِ مِنَ البَشَرِ ، فِي كُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ ، أَعْظَمُ مِصْداقٍ لِنُبُوَّةِ محمدٍ صلَّى الله علَيهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَهِيَ مُعْجِزَةٌ لا تَنْتَهِي بِمُجَرَّدِ حُدُوثِها ،

شَأْنُ المُعْجِزاتِ الأُخْرَى لَهُ وَلِلأَنْبياءِ قَبْلَهُ ، وَلَكِنَّها مُـسْتَمِرَّةٌ مُتَجَـدِّدَةٌ أَبَدِيَّـةٌ إِلى أَنْ يَقُومَ النَّاسُ لِرَبِّ العالَمِينَ.

فَإِذا تَأَمَّلْنا فِي مُعْجِزَةِ الإِسْراءِ والمِعْراجِ بِالنِّسْبَةِ لِنَبِيِّنا محمدٍ صلى الله علَيهِ وآلِهِ وَسلَّمَ قُلْنا إِنَّها مُعْجِزَةٌ ؛ لأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أُسْرِيَ بِـهِ مِـنَ المَـسْجِدِ الحَـرامِ إِلَىَ المَـسْجِدِ الأَقْصَى ، وَهُوَ الذِي عُرِجَ بِهِ إِلَىَ السَّماواتِ العُلا ، وَهُوَ الذِي رَأَى مِنْ جَـلالِ الله ، وَعَظَمَةِ الكَوْنِ وَحَقائِق الوُجُودِ ، أما النَّاسُ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَرَوا شَيْئاً ، وَإِنَّـما سَـمِعُوا مِـنَ الرسُولِ إِخْباراً بِالغَيْبِ الذِي لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيهِ أَحَدٌ سِواهُ بَعْدَ الله تَعالَى ، وَكانَ علَـيهِمْ فِي هَذا الوَقْتِ أَنْ يُصَدِّقُوا إِنْ كانُوا مُؤْمِنِينَ ، فَلِهَـذا كانَـت مُعْجِـزَةُ الإِسْراءِ وَالمِعْـراجِ تُخاطِبُ العُقُولَ السَّلِيمَةِ ، وَالأفكارَ النَيِّرَةِ.

وَالواجِبُ المُحَتَّمُ عَلَى المُؤْمِنِ الإِيـمانُ بـالإِسْراءِ وَالمِعْـراجِ حَيْـثُ تَـمَّ بِـرُوحِ وجَسَد الحَبِيبِ الأَعْظَمِ مُحمدٍ صلى الله علَيهِ وآلِهِ وسلَّمَ فِي لَيْلَةِ الـسَّابِعِ والعِـشْرِينَ مِن شَهْرِ رَجَب عَلىَ أَصَحِّ الأَقْوالِ ، نَعَمْ بِالرُّوحِ وَالجَسَدِ مَعاً وهَذا ما يَطْمَئِنُّ إِلَيـهِ العَقْلُ وَيَعْتَقِدُهُ القَلْـبُ ، وَوَرَدَ هَـذا فِي القُـرآنِ فِي صَرِيـحِ الآيَـةِ ﴿ سُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلًا... ﴾ الآيَة وَلَمْ يَقُلْ « بِرُوحِ عَبْدِهِ » وعَبْدُهُ هُـوَ مُحمـدٌ صـلى الله علَيهِ وآلِه وسلم بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ مَعاً.

أَمَّا قِصَّةُ المِعْراجِ جاءَتْ فِي أَحادِيثِ النَّبِيِّ صلى الله علَيهِ وآلِهِ وسلَّمَ مُطَوَّلَـةً وَمُفَصَّلَةً ، وَخُلاصَتُها أَنَّهُ جاءَهُ جِبْرِيـلُ و مِيكائِيـلُ، ذاتَ لَيْلَـةٍ مِـنْ لَيـالِي رَجَـب الحَرامِ وَهِيَ لَيْلَةُ السَّبْعِ وَالعِشْرِينَ مِنْـه ، وَهُـوَ نـائِمٌ فِي بَيْتِـهِ بِمَكَّـةَ ، أَوْ فِي حِجْـرِ إِسْماعِيلَ فِي الحَرَمِ فَشَقُّوا صَدْرَهُ ، وَغَسَلُوا قَلْبَهُ بِماءِ زَمْزَمَ ، وَأَرْكَبُوهُ البُراقَ ، فَـسارَ

بِهِ يَقْطَعُ الآفاقَ ، حَتَّى بَلَغَ المَسْجِدَ الأقصى المُبارَكَ ، وَصَلَّى فِيهِ ما كُتِبَ لَهُ، وَشاهَدَ مِنْ عَجائِبِ الكَوْنِ ما جاءَتْ بِهِ السنَّةُ مُفَـصَّلاً ، وَالقُـرْانُ مُجْمَـلاً ، ثُـمَّ نُـصِبَ لَـهُ المِعْراجُ وَصَعَدَ إِلَى السَّماواتِ العُلا ، وإِلى سِـدْرَةِ المُنْتَهَـى ، وَإِلى حَظِـيرَةِ القُـدْسِ ، وَأَوحَى إِلَيهِ رَبهُ ما أَوْحَى ، مَا كَذَبَ الفُؤادُ ما رَأَى ، وَلَقِـيَ فِي هَـذِهِ الرِّحْلَـةِ آدَمَ ، وَعِيسَى ، وَيَحْيَى ، وَيُوسُفَ ، وَإِدْرِيـسَ ، وَمُوسَـى، وَهـارُونَ، وَإِبْـراهِيمَ الخَلِيـلَ عَلَيهِمُ السَّلامُ ، وَكُلُّهُمْ سَلَّمَ عَلَيـهِ وَهَنَّـأَه بِـما أَكْرَمَـهُ رَبُّـهُ مِـنْ الفَـضْلِ العَظِـيم ، وَالعَطـاءِ الجَزِيـلِ ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [1].

وَفِي تِلْكُمُ اللَّيْلَةِ المُبارَكَةِ العَظِيمَةِ شاهَدَ سَيِّدُ الكائِناتِ كَثِيراً مِمَّا أَعَدَّهُ الله مِـنَ النَّعِيمِ ،لِيُبَشِّرَ بِهِ المُؤْمِنِينَ ، وَشاهَدَ الشَّيْءَ الكَثِيرَ مِنَ الأَهْوالِ وَالنِّيرانِ ، مِمَّـا تَوَعَّـدَ الله بِهِ المُجْرِمِينَ وَالْكافِرِينَ ، وَمِنْ ذَلِكَ مـا رُوِيَ عَـنْ أَبِي هُرَيـرَةَ رَضِيَ الله عَنـهُ أَنَّ رَسُولَ الله صلَّى الله عَلَيهِ وآلِهِ وَسـلَّمَ قـالَ:« رَأَيْـتُ لَيْلَـةَ أُسْرِيَ بِي لَمَّـا انْتَهَيْـتُ إِلَى السَّماءِ السَّابِعَةِ ، فَنَظَرْتُ فَوْقِي ، فَإِذا أَنا بِرَعْدٍ وَبرقٍ وَصَـواعِقَ قـالَ: فَأَتَيْـتُ عَـلَى قَومٍ بُطُونُهُمْ كالبُيُوتِ فِيها الحَيّاتُ ، تُرَى مِنْ خارِجِ بُطُونِهِمْ فَقُلْتُ: يا جِبْرِيلُ ! مَنْ هَؤُلاءِ...؟ قالَ: أَكَلَـةُ الرِّبـا » [2]، وَغَيْرَهـا مِـنَ الـصُّوَرِ الرَّهِيبَـةِ لِكَثِـيرٍ مِـنْ أَهْـلِ

(١) سورة البقرة آية (٢٨٥).

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ( باقي مسند المكثرين ) مـن حـديث أبي هريـرة رضي الله عنـه بـرقم (٨٢٨٦)، و رواه ابن ماجة في سننه (كتاب التجارات ) برقم (٢٢٦٤).

العِصْيانِ ، فَرَأىَ المُفْطِرينَ فِي شَهْرِ رَمَضانَ بِغَيْرِ عُذْرٍ مُعَلقِينَ بِعَراقِيبِهِمْ ، مَشَقَّقَةً أَشْداقُهُمْ وَهِيَ تسيْلُ دَماً[١]، وَالزُّناةَ مُنْتَفِخِينَ مُنْتِنِينَ ، كَأَنَّ رِيْحَهُمْ المَراحِيضُ ، يَأْتِيهِمْ اللَّهَبُ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ[٢]، وَلا رَيْبَ أَنَّ هَذِهِ الصُّوَرَ مُسْتَمدَّةٌ كَذَلِكَ مِنْ تَعْبِيرِ القُرْانِ نَفْسِهِ ، الَّذِي حَبَّبَ إِلَيْنا الإِيْمانَ ، وَزَيَّنَهُ فِي قُلوُبِنَا، وَكَرَّهَ إِلَينا الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيانَ وَصَوَّرَهُ أَبْشَعَ تَصْوِيرٍ ، فالمُغْتابُ يَأْكُلُ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً[٣]، وَالَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ اليَتامَى ظُلْماً؛ إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً[٤]، وَمَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيرِ نَفْسٍ أَو فَسادٍ فِي الأَرْضِ فكَأَنَّما قتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً[٥]، لَقَدْ حَضَرَتْ هَذِهِ الصُّوَرُ أَمامَ النَّبِيِّ صلَّى الله عليهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الإِسْراءِ وَالمِعْراجِ.

قالَ رَسُولُ الله صَلىَّ الله عَلَيهِ وآلِهِ وسلَّمَ:(( رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلى بابِ الجَنَّةِ مَكتُوباً الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أَمْثالِها ، وَالقَرْضُ بِثَمانِيَةَ عَشَرَ )) [٦].

---

(١) حديثهم أخرجه ابن حبان في صحيحه(١٦/ ٥٣٦)برقم(٧٤٩١)، و الحاكم في مستدركه(١/ ٥٩٥) برقم (١٥٦٨) و قال: صحيح على شرط مسلم و لم يخرِّجاه، ورواه الطبراني في معجمه الكبير (٨/ ١٥٧).

(٢) الحديث في المراجع السابقة و أصل الحديث في صحيح البخاري ذكره في مواضع منها: كتاب الجنائز باب (ما قيل في أولاد المشركين) برقم (١٢٩٧)، و في كتاب التعبير باب(تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح) برقم (٦٥٢٥).

(٣) دليله آية سورة الحجرات رقم ١٢(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ).

(٤) دليله آية سورة النساء رقم١٠ (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً )

(٥) دليله آية سورة المائدة رقم ٣٢. (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ).

(٦) رواه ابن ماجة في سننه(٢/ ٨١٢) كتاب الأحكام، باب القرض، برقم (٢٤٢٢).

وَقالَ صلى الله علَيهِ وآلِهِ وسلَّمَ: « رَأَيْتُ إِبْـرَاهِيمَ لَيْلَـةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَـالَ: يَـا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ المَاءِ وَأَنَّهَا قِيعَـانٌ وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَ اللهُ أَكْبَرُ »[1]، وَقـالَ صـلى الله علَيهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: « مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِالمَلَا الأَعْلَى ، وَجِبْرِيلُ كـالحِلْسِ[2] البـالِي مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَعالَى »[3].

وَفُرِضَ عَلَيهِ وَعَلىَ أُمَّتِهِ خَمْسِينَ صَلاةً فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، ثُمَّ خُفِّفَـتْ رَحْمَـةً بِنـا إِلَى خَمْسٍ بِأَجْرِ الخَمْسِينَ ، وَهِيَ صِلَةٌ بَيْنَ العَبْدِ وَربِّهِ ، وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْـزَى إلاَّ مِثْلَها ، وَمَنْ جاءَ بِالحَسَنَةِ كانَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَناتٍ تَكَرُّماً عَلَى أُمَّةِ مُحمدٍ صـلَّى الله علَيهِ وَآلِهِ وسـلَّمَ، فَـسُبْحانَ مَـنْ أَسْرَى وَبُـورِكَ مَـنْ سَرَى فَكانَـتْ هَـذِهِ القِـصَّةِ تَمْحِيصاً لِلْمُؤْمنِينَ ، وَ غرْبَلَةً لِضُعَفاءِ الإِيمانِ ، وَتَنْقِيَةً لِلصُّفُوفِ ، وَهَذا هُـوَ مَعْنَـى قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ أَمَّا وَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾[4].

(١) رواه الترمذي في سننه كتاب الدعوات، بـاب (فـضل التـسبيح و التكبـير والتهليـل و التحميـد) بـرقم (٣٣٨٤).

(٢) الحِلس: كسا غليظ يلي ظهر البعير يوضع تحت الرحل.

(٣) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٣٩٤) وقال العراقي في تخريجه: أخرجه محمد بن نـصر في كتـاب تعظيم قدر الصلاة و البيهقي في دلائل النبوة مـن حـديث أنـس؛ وفيـه الحـارث بـن عبيـد الإيـادى ضـعَّفه الجمهور، وقال البيهقي: ورواه حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بـن عمـير بـن عطـارد وهـذا مرسل.اهـ المغني عن حمل الأسفار.

(٤) سورة التوبة الآيتين (١٢٤-١٢٥).

وَقالَ ابْنُ عَباَّسٍ رَضِيَ الله عنهُ: فِي تَفْسِيرِ قَولِـهِ تعَـالَى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾[1] ، قالَ:(( وَهِيَ رُؤْيا عَيْنٍ أُرِيَها رَسولُ الله صلى الله عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بهِ إِلىَ البَيْتِ المُقَدَّسِ )) رواه البخاري[2]. صدَقَ الله وصَدَقَ رَسُولُهُ صلى الله عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ.

فَقَدْ رَأَى علَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ما لَمْ تَرَهُ عَيْنٌ ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْـبِ بَـشَرٍ ، فَلَـمَّا جاءَ يُخْبِرُ قَوْمَهُ بِما رَأَى، كانُوا بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ، وَكانَ أَبُو بَكْرٍ أَثْبَتَ النَّـاسَ إِيمانـاً، وَأَرْسَخَهُمْ عَقِيدَةً، صَدَّقَ ما سَمِعَهُ عَنِ النَّبِيِّ صـلى الله علَيـهِ وآلِـهِ وَسَـلَّمَ ، تَـصْدِيقاً مُطْلَقاً فَسُمِّيَ مُنْذُ ذلِكَ اليَوْمِ بِالصِّدِّيقِ ، وَشَكَّ فِي ذَلِكَ آخَرُونَ ، وَكَذَّبَ كَثِيرُوْنَ مِمَّـنْ لَمْ يَتَحَمَّلُوا رَوْعَةَ الاختبار حِيْنَ تَحَدَّثَ النَّبِيُّ صلَّى الله علَيهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَيهِمْ.

يا أَتْباعَ مُحَمَّدٍ صلَّى الله علَيهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: والحَقُّ أَنَّ مِـنَ المَعـانِي الَّتِـي تَتَّـصِلُ بِهَذَا الحَدَثِ وَالحَدِيثِ عَنهُ تَوْقِيتُهُ الغَرِيبُ، فَقَدْ كـانَ الإِسْراءُ بَعْـدَ أَنْ ذَهَـبَ نَبِيُّنـا محمدٌ صلى الله علَيهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ إِلىَ ثَقِيفٍ بِالطَّائِفِ يَعْرِضُ عَلَـيهِمْ الإِسْـلامَ، عَلَّـهُ يَجِدْ عِنْدَهُمْ مَنْ يُجِيبُ الدَّعْوَةَ ؛ بَعْدَ أَنْ صَبَرَ علىَ أَذَى قُرَيشٍ مـا يَقْـرُبُ مِـنْ عَـشْرِ سِنِينَ ، وَلَكِنْ لَمْ يَجِدْ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ إِلاَّ الأَذَى الشَّدِيدِ.

وَبَعْدَ ما ضاقَتْ بِهِ الحالُ عَقِبَ وَفاةِ عَمِّهِ أَبِي طالِبٍ الَّذِي كـانَ يُـدافِعُ عَنْـهُ، ووَفاةُ زَوْجَتِهِ خَدِيجَة الَّتِي كانَتْ تُواسِيهِ وتُؤانِـسُهُ عِنْـدَ المِحَـنِ وَالـشَّدائِدِ ، فكَـانَ

(١) سورة الإسراء (٧٠).

(٢) صحيح البخاري كتاب المناقب، باب المعراج حديث برقم (٣٥٩٩).

الإِسْراءُ وَالمِعْراجُ تَثْبِيتاً وَطُمَأْنِينَةً لَهُ ، فَإِنَّ القُدْرَةَ الإِلَهِيَّةَ كُلَّها تَقِفُ مَعَـهُ وَبِجانِبِـهِ ، و إِنَّ عِنايَةَ الله أَرْحَمُ مِنْ أَنْ تَتْرُكَهُ عُرْضَةً لِلانْهِيارِ أَو ضَحِيَّةً لِلتَّـآمُرِ ، مَهْـما حَـدَثَ مِنْ عِنادِ المُشْرِكِينَ ، فَكأَنَّ قُدْرةَ الله تُخاطِبُهُ فِي رِحْلَتِهِ قائِلَةً: يـا مُحَمَّـدُ سَـوْفَ تَجْتـازُ الصِّعَابَ بِرِعايَتِنا وَرَحْمَتِنا ، كَما تَتَخَطَّى الأَرْضَ وَالسَّماواتِ بِقُدْرَتِنا وعِنايَتِنا.

وَإِذا احْتَفَلَ المُسْلِمُونَ بِلَيْلَةِ الإِسْراءِ وَالمِعْراجِ فِي كُلِّ عامٍ فَإِنَّما ذَلِـك شُـكْراً للهِ عَلى ما أَولَى بِهِ نَبِيَّهُمْ الأَعْظَمَ صلَّى الله عليهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ احْتَفَلَ أَهْلُ الكِتـابِ بِيَومِ نَجاةِ مُوسَى وَهلاكِ فِرْعَونَ ، وَصـامُوهُ شُـكْراً لِمَـنْ تَفَـضَّلَ عَلَـيهِمْ وَأَنْعَـمَ ، كَذَلِكَ يَحْتَفِلُ النَّصارَى بِيَومِ وِلادَةِ عِيْسَى ابْنِ مَـرْيَمَ؛ وَمـا أَنْكَـرَ عَلَـيهِمُ الإِسْـلامُ شَيْئاً بَلْ قالَ نَبِيُّنا محمدٌ صلَّى الله عليهِ وآلِهِ وسَـلَّمَ: « نحَـنُ أَوْلَى بِمُوسَـى مِـنْكُمْ » فَصامَ وَأَمَرَ بِصِيامِ يَوْمِ العاشِرِ مِن مُحَرَّمٍ[1].

و لَكنِ الَّذي يَحُزُّ فِي النُّفوسِ و تُطَأْطَأُ لَهُ الرءُوسُ أَنَّنا مـن عـامِ ١٩٦٧م يحتفـل العالم الإسلامي في كلِّ أنحاءِ المعمُورَةِ بِذِكْرَى الإِسْرَاءِ و المِعْرَاجِ و مَحَلُّ مَـسْرَى مُحَمَّـدٍ صلَّى الله عليه و سلَّم و أُولَى القِبْلَتَينِ أَسِيرٌ في أَيْـدِي الأَعـدَاءِ خَلَّـصَهُ الله مِـن أَيـدِيهِم عَاجِلاً غَيرَ آجِلٍ. آمِينَ ؛ و قَدْ حَصَلَ أَنْ احْتَلَّ الصَّلِيبِيونَ المَسْجِدَ الأَقْـصَى مُـدَّةَ رُبـعِ قَرْنٍ فَقَـيَّظَ الله لهُ صَـــلاحَ الدِّينِ الأَيُّوبِي و استَعَادَهُ مِنهُم بِقُدْرَةِ قَادِرٍ.

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصوم، باب (صوم يوم عاشورا) برقم (١٨٦٥)، و مسلم في كتاب الصيام، باب (صيام يوم عاشورا) برقم (١٩١٠).

إِنَّ أَجْمَلَ ما تَحَرَّكَتْ بِهِ الأَلْسُنُ وَالشِّفاةُ، وَأَحْسَن ما تَناقَلَتْهُ الحُفَّاظُ وَالـرُّواةُ ، كَلامُ مَنْ خَضَعَتْ لِعَظَمَتِهِ الجِباهُ.

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَـدِي الْمُهْتَـدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [1] وَقـالَ عَـزَّ مِـنْ قَائِـلٍ كَـرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [2].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾[3].

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِيـاكُمْ مِـنَ الآيـاتِ وَالـذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) سورة النجم الآيات ( ١-١٢).

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الـصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيْرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَـرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

أما بعدُ: فيا عِبَادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْـوَى الله تَعـالى، اتَّقُـوا الله مِـنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: وَفِي هَذِهِ المُنَاسَبَةِ يَسْتَعْرِضُ مِئَاتُ المَلايِـين مِـنَ المُسْلِمِينَ فِي أَنْحاء المَعْمُورَةِ ذِكْرَى الإِسْراءِ والمِعْراجِ لِيَأْخُذُوا مِنْهَا العِبْرَة، وَيُجَـدِّدُوا صِـلَتَهُمْ بِصاحِبِ الذِّكْرَى ، لِيُواصِلُوا سَيْرَهُمْ علَى نَهْجِهِ القَوِيمِ، وَصِراطِه المُسْتَقِيمِ.

وَفِيما رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَـسْعُودٍ رَضِي الله عنـهُ يَقُـولُ: أُتِيَ رَسُـولُ الله بِـالْبُراقِ ـ وَهِيَ الدابَّةُ الَّتِي كانَتْ تُحْمَلُ عَلَيها الأَنْبِياءُ قَبْلَهُ ، تَضَعُ حافِرَها فِي مُنْتَهَى طَرَفِهـا ـ فَحُمِلَ عَلَيها حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَيْتِ المَقدسِ، فَوَجَدَ فِيهِ جمعاً مِنَ الرُّسُلِ فَـصَلَّى بِهِـمْ ،

ثُمَّ أُوْتِيَ بِثَلاثَةِ آنِيَةٍ: إِناءٍ فِيهِ لَبَنٌ وَإِناءٍ فِيهِ خَمْرٌ ، وَإِناءٍ فِيهِ مـاءٌ ، قـالَ صَـلَّى الله عَلَيـهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (( فَسَمِعَتُ قائِلاً يَقُولُ: إِنْ أَخَذَ الماءَ غَـرِقَ وَغَرِقَـتْ أُمَّتُـهُ ، وإِن أَخَـذَ الخَمْرَ غَوَى وَغَوَتْ أُمَتُهُ ، وَإِنْ أَخَذَ اللَّبَنَ هُدِيَ وَهُدِيَتْ أُمَّتُهُ، قالَ: فَأَخَـذْتُ إِنـاءَ اللَّبَنِ فَشَرِبْتُ مِنْهُ ، قالَ جِبْرِيلُ: هُدِيتَ وَهُدِيَتْ أُمَّتُكَ يا مُحَمَّدُ ))[1].

وَفِيما يُرْوَى عَنْهُ عليهِ الـصَّلاةُ وَالـسَّلامُ أَنَّـهُ قـالَ: (( لَمَّـا دَنَـوتُ مِـنَ الـبُراقِ لأَرْكَبَهُ شَمَسَ أي( نَفَرَ) فَوَضَعَ جِبْرِيلُ يَدَهُ عَلَى مَعْرَفَتِهِ -أَيْ رَقَبَتِـهِ- ثُـمَّ قـالَ: أَلا تَسْتَحِي يا بُراقُ مِماَّ تَصْنَعُ؛ فَوالله ما رَكِبَكَ عَبدٌ لله قَبْلَ مُحَمَّدٍ أَكْرَمُ عَلَيهِ مِنْـهُ ، قـالَ: فاسْتَحْيا - أَيِ البُراق- حَتَّى ارْفَضَّ عَرَقاً أي ( سالَ عَرَقاً ) ثُمَّ قَرَّ حَتَّى رَكِبْتُهُ))[2].

وَوَصَفَ رَسُولُ الله لأَصْحابِهِ إِبراهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى عَلَيهِمُ السَّلامُ حِـيْنَ رآهُما تِلْكَ اللَّيْلَة فَقالَ:(( أَماَّ إِبْراهِيمُ فَلَـمْ أَرَ رَجُـلاً أَشْـبَهَ قَـطُّ ـ بِـصاحِبِكُمْ ، وَلا صاحِبَكُمْ أَشْبَهُ بِهِ مِنْهُ - يعني نَفْسَهُ عَلَيهِ الصّلاةُ وَالسلامُ -، وَأَمَّا مُوسَـى فَرَجُـلٌ أَدَمُ طَوِيلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ أَقْنَى كَأَنَّهُ مِنْ رِجالِ شَنْوَةَ ( شَنْوَةُ قَبِيلَـةٍ مِـنَ الأَزْدِ )، وَأَمَّـا عِيسَى بنُ مَرْيَمَ فَرَجُلٌ أَحْمَرُ بَيْنَ القَصِيرِ وَالطَّوِيلِ ، تَخالُ رَأْسَهُ يَقْطُرُ ماءً وَلَـيْسَ بِـهِ ماءٌ ، أَشْبَهُ رِجالِكُمْ بِهِ عُرْوَةُ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ ))[3].

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٤٣)، وذكره القرطبي في تفسيره (١٠/ ٢٨٤).

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٤٤)، والقرطبي في تفسيره (١٠/ ٢٨٥).

(٣) ذكره بلفظه ابـن هـشام في سـيرته (٢/ ٢٤٧)، والطـبري في تفـسيره (١٥/ ١٥)، وأصـله في صـحيح البخاري مختصراً ذكره في عدة مواضع منها: كتاب أحاديث الأنبياء باب (قولـه تعـالى: وهـل أتـاك حـديث موسى)، و عند مسلم في كتاب الإيمان باب (الإسراء برسول الله صلّى الله عليه وسلم).

وَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ الله صلى الله عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ إِلىَ قَومِهِ وَأَخْبَرَ النَّاس بِـما رآه تَعَجَّبُوا وَقالُوا ما آيَةُ ذَلِكَ يا مُحمدُ ؟ قالَ: (( آيةُ ذَلِكَ أَنَّني مَـرَرْتُ بِعِـيْرِ بنِـي فُـلانٍ بوادِي كَذا وَكَذا ، فأنْفَرَهُمْ حِسُّ الدابَّةِ ( أَيِ الـبُرَاقِ ) فَنَـدَّ لهُـمْ بَعِـيرٌ ( أَيْ شَرَدَ ) فَدَلَلْتُهُمْ عَلَيهِ ، وَأَنا مُوَجَّهٌ إِلىَ الشَّامِ ثُـمَّ أَقْبَلْـتُ حَتَّـى إذا كُنْـتُ بِـضَحْنَانَ ( جَبـلُ تِهامَةَ) مَرَرْتُ بِعَيرِ بَنِي فُلانٍ فَوَجَدْتُ القَومَ نِيَاماً وَلَهُمْ إِنـاءٌ فِيـهِ مـاءٌ قَـدْ غَطَّـوهُ ، فَكَشَفْتُ غِطاءَهَ وَشَرِبْتُ مِنْهُ... وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ عِيْرَهُمْ الْآنَ تَصُوبُ مِـنْ الْبَيْـضَاءِ ( ثَنِيَّة التَّنعِيمِ) ، يَقْدُمُها جَمَلٌ أَوْرَقُ – أيْ لَونُهُ بَيْنَ الغُبْرَةِ والـسَّوادِ – علَيـهِ غِرارَتـانِ أَحَدُهُما سَوْداءُ والأُخْرَى بَرْقاءُ – أي فِيها سَـوادٌ يخالِطُـهُ بَيَـاضٌ – فَخَـرَجَ القَـومُ فَأَوَّلُ ما لَقِيَهُمْ الجَمَلُ الأَوْرَقُ الَّذِي يَتَقَدَّمُ العِيْرَ وَسَـأَلُوهُمْ عَـمَّا حَـصَلَ لَهُـمْ مِـنَ الإِناءِ الَّذِي فِيهِ ماءٌ مُغَطَّى ، وَعَنِ البَعِيرِ الَّذِي نَدَّ قالُوا سَمِعْنا صَوتَ رَجُلٍ يَدْعُونا إِلَيهِ حَتَّى أَخَذْناهُ ؛ ذَلِكَ هُوَ صَوتُ مُحمدٍ !! فَقالُوا كُلُّهُمْ ـ صَدَقَ والله ))[1].

صلَّى الله عَلَيكَ يَا رَسُولَ الله ياصَاحِبَ الإِسرَاءِ والمِعْرَاجِ والبُرَاقِ وَالقُـرآنِ والعِلْمِ ، شَمْسُ الضُّحَى بَدْرُ الدُّجَى مِصْبَاحُ الظَّلامِ.

سَرَيتَ مِـن حَـرَمٍ لَـيْلاً إِلى حَـرَمٍ  كَما سَرَى البَرْقُ فِي داجٍ مِنَ الظُلَـمِ
وبِـتَّ تَرْقَـى إِلى أَنْ نِلْـتَ مَنزِلَـةً  مَنْ قَابَ قَوسَيْنِ لم تُدْرَكْ ولَمْ تُرَمِ[2]

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و انْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِرَاً

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٤٩)، تفسير ابن كثير (٣/ ٧-٨).

(٢) البيتان للشيخ محمد بن سعيد بن حمَّاد البوصيري الصنهاجي (ت:٦٩٦هـ) في قصيدته المشهورة بالبُردة.

لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصَاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَـلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُـبْرَى ، و عَـنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَـاتِ الــمُؤْمِنِينَ ، وعَـنْ عَمَّـي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيِّـكَ تَحْـتَ الـشَّجَرَةِ، طَلْحَـةَ والزُّبَيـرِ ، وسَـعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْـحَابِ رَسُـولِ الله رِضْـوَانَ الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَـةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.نَـسْأَلُكَ يَـا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُـودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَـا بالإِسْـلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِ حْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْـرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الــجِنَانِ.اللَّهُـمَّ اغْفِـرْ لِلْمُـؤْمِنِينَ والـمُـــؤْمِنَاتِ ، والـمُـسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِـنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و

الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ. اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوع بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْـلِحْ ذَاتَ بَينِنَـا ، وأَلِّـفْ بَـينَ قُلُوبنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِـمَا فَعَـلَ الـسُّفَهَاء مِنَّـا ، واجْعَـلْ وِلَايَتَنَـا فِـيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عونَاً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُـزَاةِ والمُـسَافِرِينَ في بَـرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَـانِطِينَ ، اللَّهُـمَّ اسْـقِنَا غَيْثَـاً مُغِيثَاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

عِبَـــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# لَيلَةُ النِّصْفِ مِن شَعْبَانَ وتَحَوُّلُ القِبْلَةِ

## الخُطْبَةُ الأُولَى

الحَمْدُ لله الَّذِي عَلا فِي ارْتِفاعِ مَجْدِهِ ، وَعَمَّنا بِاتِّساعِ كَرَمِهِ وَرِفْدِهِ ، وَوَفَّقَنا تَعالَى إِلى طَرِيقِ رُشْدِهِ ، وَهَدانا سُبْحانَهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى شُكْرِهِ وَحَمْدِهِ ، نَسْأَلُهُ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ وَالمُعَافَاةَ الدَّائِمَةَ ، فِي الحالِ والمالِ والمَآلِ ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيا والمَماتِ ، وَفِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجالِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ أَرْسَلَ مُحمداً رَسُولَهُ بِالهُدَى و دِيْنِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُون ، وَلِيُنْقِذَنا مِنَ الضَّياعِ وَالضَّلالِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الخَلائِقِ أَجْمَعِينَ ، وَقائِدُ الغُرِّ المُحَجَّلِينَ ، وَحامِلُ لِواءِ الدَّعْوَةِ وَالدِّينِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ، المُنَزَّلِ عَلَيهِ ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1].

أما بَعْدُ: فيا أَيّها المُسْلِمونَ أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى فَهِيَ وِقايَةٌ مِنْ عَذابِ الله ، وَسَعادَةٌ لِلإِنْسانِ فِي حَياتِهِ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ ، وَفِي هَذِهِ الحَياةِ ، فَتَزَوَّدُوا مِنْها بِأَوْفَرِ حَظٍّ وَأَكْبَرِ نَصِيبٍ ، وَالمُتَزَوِّدُ بِها قَطُّ لا يَنْدَمُ وَلا يَخِيبُ.

---

(١) سورة الأنعام آية (١٥٣).

عِبادَ الله: لَقَدْ أَكْرَمَنا الله و لَهُ المِنَّـةُ وَالْفَـضْلُ بِـنِعَمٍ لا تُعَـدُّ و لا تُحْـصَى ، وَأَتْحَفَنا نَحْنُ أُمَّةَ حَبِيْبِهِ مُحمدٍ صَـلَّى الله علَيـهِ وآلِـهِ وَسَـلَّمَ بِمَواسِـم الخَـيْرِ ، وَأَيَّـامِ نَفَحاتٍ وَبَرَكاتٍ لا تُحْصَرُ وَلا تُسْتَقْصَى ، فَما نَكادُ نُوَدِّعُ مناسَبَاتٍ إِسْلامِيَّةً ، حَتَّـى نَسْتَقْبِلَ غَيْرَها ، فَهَذا شَهْرُ شَـعْبانَ المُبَـارَكِ قَـدْ مَـضَى مِنْـهُ النِّـصْفُ الأَوَّلُ تَقْرِيبـاً فاغْتَنِمُوا بَاقِيَــهُ ، وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْـلِمُوا لَـهُ وَراقِبُـوهُ ، تَتَـشَعَّبُ عَلَـيكُمْ مِـنَ السَّماءِ خَيرَاتُهُ و بَرَكاتُهُ ، وَتُزَكِّي أَعْمالُكُمْ أَوْقاتهُ وَساعاتهُ ، فَتَأَهَّبُوا رَحِمَكُـمُ الله وَلا تَفُوتَكُمْ الفُرَصُ.

إِذا كانَ لِشَهْرِ رَجَب الحَرامِ ما لَهُ مِنَ الفَضائِلَ، كَذَلِكَ فَإِنَّ لِشَهْرِ شَعْبانَ مِنَ الفَضائِلَ ما لَهُ ، فَفِيهِ لَيلَةُ النِّصْفِ المُبارَكِ وَاسْمُها لَيْلَةُ البَراءَةِ ، وَلَيْلَةُ الصَكِّ ، وَوَصَفَها الله بِالْبَرَكَةِ لِـمَا يُنَزِّلُ فِيها عَلَى عِبادِهِ مِنَ البَرَكاتِ وَالخَيْراتِ و الـمَثُوباتِ، قال الله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [1] قَالَ عِكْرِمَةُ [2]: (اللَّيْلَةُ المُبارَكةُ ها هُنا لَيْلَةُ النِّصْفُ مِنْ شَعْبانَ ) ، وَقالَ: فِي تَفْسِيرِ قَوْلَهُ تَعالَى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [3]: أَيْ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبانَ عَلَى بَعْضِ الأَقْوالِ يُبْرِمُ فِيها أَمْرُ السَّنَةِ ، و يُنسَخُ الأَحياءُ مِنَ الأَمْواتِ ، وَيُكْتَبُ الحُجَّاجُ فَلا يُزادُ فِيهِمْ أَحَدٌ وَلا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

---

(١) سورة الدخان آية (٣).

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٥/ ١٠٨)، تفسير القرطبي (١٦/ ١٢٦)، والذي عليه الجمهور أنَّ الليلة المباركة في الآية هي ليلة القدر كما قامت الأدلة الصحيحة على ذلك.

(٣) سورة الدخان آية (٤).

ورَوَى عُثْمانُ ابْنُ الْمُغِيرَةِ قالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (( تُقْطَعُ الآجالُ مِنْ شَعْبانَ إِلَى شَعْبانَ حَتَّى أَنَّ الرَّجُلَ لَيَنْكِحُ وَيُولَدُ لَهُ وَقَدْ خَرَجَ اسْمُهُ فِي المَوْتَى ))[1]، وَوَرَدَ عَنْهُ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أَنَّهُ قالَ: ((إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَقُومُوا لَيْلَهَا وَصُومُوا نَهَارَهَا فَإِنَّ الله يَنْزِلُ فِيهَا لِغُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ أَلَا هل مِنْ مُسْتَغْفِرٍ لِي فَأَغْفِرَ لَهُ أَلَا مُسْتَرْزِقٌ فَأَرْزُقَهُ أَلَا مُبْتَلًى فَأُعَافِيَهُ أَلَا كَذَا أَلَا كَذَا حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ))[2] كَما خَرَّجَ البَيْهَقِيُّ[3] بِإِسْنادِهِ عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْها:أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قالَ: (( أَتانِي جِبْرِيلُ عَلَيهِ السَّلامِ فَقالَ: هَذِهِ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبانَ وَلله فِيها عُتَقاءُ مِنَ النَّارِ بِعَدَدِ شُعُورِ غَنَمِ كَلْبٍ لا يَنْظُرُ الله فِيها إِلَى مُشْرِكٍ ، وَلا إِلى مُشَاحِنٍ ، وَلا إِلَى قاطِعِ رَحِمٍ ، وَلا إِلَى مُسْبِلٍ وَلا إِلَى عاقٍ والِدَيْهِ ، وَلا إِلَى مُدْمِنِ خَمْرٍ)). قَوْلُهُ: (( بِعَدَدِ شُعُورِ غَنَمِ كَلْبٍ )): يَعْنِي غَنَمَ قَبِيلَةِ بَنِي كَلْبٍ وَهِيَ قَبِيلَةٌ مَعْرُوفَةٌ أَكْثَرُ قَبائِلِ العَرَبِ غَنَماً أَوْ مَنْ أَكْثَرِها غَنَماً. وَخَرَّجَ التِّرْمِذِيُّ[4] بِمَعْناهُ عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْها.

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره (٢٥/ ١٠٩)، تفسير القرطبي (١٦/ ١٢٧)، وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٢/ ٧٣) عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس مرسلاً.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه(١/ ٤٤٤) باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان حديث(١٣٧٨) وفي سنده أبوبكر بن عبدالله بن محمد القرشي متروك الحديث.

(٣) خرَّجه في شعب الإيمان(٣/ ٣٨٤) في حديث طويل وقال عقبه: وهذا إسناد ضعيف وروي من وجه آخر.

(٤) رواه الترمذي في سننه كتاب الصوم، باب (ما جاء في ليلة النصف من شعبان) رقم (٦٧٠)عن عائشة رضي الله عنها بلفظ " قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فخرجت فإذا هو بالبقيع فقال:" أكنتِ تخافين أن يَحيفَ اللهُ عليك ورسولُه قلت: يا رسول الله إني ظننت أنك أتيتَ بعض نسائك فقال:" إن الله عزَّ وجلَّ ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب" ثم قال عقبه: حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الحجاج و سمعت محمداً – يعني البخاري- يُضعِّفُ

وَفِيها- أَيْ لَيلةِ النِّصْفِ من شَعْبَانَ- انْشَقَّ القَمَرُ لِلنَّبِيِّ مُعْجِزَةً مِنَ الله تَعَالَى ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾ (١).

وَمِمَّا يُذْكَرُ فِي هَذِهِ المُناسَبَةِ -أَيْ لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبانَ- تَحْوِيلُ القِبْلَةِ عَنْ بَيْتِ المَقَدسِ إِلَى الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ ، فَقَدْ كانَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ مُتَّجِهٌ وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ إِلَى بَيْتِ الـمَقْدِسِ فِي صَلاتِهِمْ و بَعْدَ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْراً وَثَلاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ هِجْرَتِهِ صَلَّى الله عَلَيهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ أَمَــرَه الله عَزَّ وَجَلَّ بِاسْتِقْبالِ الكَعْبَةِ يَوْمَ الثُّلاثاءِ لِلنِّصْفِ مِنْ شَعْبانَ ، كَما كانَ طَلَبُهُ أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى قِبْلَةِ أَبِيهِ إِبراهِيمَ مُخالَفَةً لِلْيَهُودِ أَعْداءِ الإِسْلامِ فَجاءَ الأَمْرُ بِالتَّحَوُّلِ فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾ (٢) نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي فِي مَسْجِدِ بَنِي سَلَمَةَ وَهُوَ فِي صَلاةِ الظُّهْرِ بَعْدَ رَكْعَتَينِ مِنْها فَتَحَوَّلَ فِي الصَّلاةِ فَسُمِّيَ هَذا المَسْجِدُ مَسْجِدَ القِبْلَتَينِ ، وَتَحَوَّلَ الرِّجالُ مَكَانَ النِّساءِ ، وَتَحَوَّلَ النِّساءُ مَكانَ الرِّجالِ ، وَهَذا المَسْجِدُ مَعْرُوفٌ حَتَّى

---

هذا الحديث و قال: يحيى بن أبي كثير لم يسمع من عروة والحجاج بن أرطاة لم يسمع من يحيى بن أبي كثير. ورواه الأمام أحمد في مسنده في باقي مسند الأنصار حديث (٢٤٨٢٥)، وابن ماجة في سننه كتاب إقامة الصلاة و السنة فيها باب(ما جاء في ليلة النصف من شعبان) رقم (١٣٧٩).

(١) القمر: آية(١).

(٤) سورة البقرة آية (١٤٤).

اليَوْمَ بِمَسْجِدِ القِبْلَتَينِ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ أَيْ أَنَّ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي غَيْرِ صَلاةٍ ، وَكانَ أَوَّلُ صَلاةٍ صَلاَّها إِلَى الكَعْبَةِ هِيَ صَلاةُ العَصْرِ وَاللهُ أَعْلَمُ[1].

وَكانَ تَحْوِيلُ القِبْلَةِ امْتِحَاناً لِلْمُسْلِمِينَ وَفِتْنَةً لِلْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُود وَالْمُنافِقِينَ ، قالَ تَعالَى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ... ﴾الآيَةَ[2] ؛ فَأَطْلَقَ أَعْداءُ الإِسْلامِ أَلْسِنَتَهُمْ فَسَمَّاهُمُ الله سُفَهاءَ، جَمْعُ سَفِيهٍ وَهُوَ الخَفِيفُ العَقْلِ ، والمُرادُ بِالسُّفهاءِ هُنا هُمُ اليَهُودُ الَّذِينَ بِالْمَدِينَةِ وَالْمُنافِقُونَ ، وَكُفَّارُ مَكَّةَ لَمَّا أَنْكَرُوا تَحْوِيلَ القِبْلَةِ قالُوا: قَدِ اشْتاقَ مُحمدٌ إِلَى مَوْلِدِهِ ( أَيْ مَكانَ وِلادَتِهِ و هُوَ مَكَّةُ) وَعَنْ قَرِيبٍ يَرْجِعُ إِلَى دِيْنِكُمْ ، وَقالَت اليَهُودُ: قَدِ الْتبَسَ الأَمْرُ عَلَى مُحمدٍ وَتَحَيَّرَ ، وَقالَ المُنافِقُونَ: ما وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِم الَّتِي كانُوا عَلَيها و اسْتَهْزَءُوا بِالْمُسْلِمِينَ ، فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعالَى ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3].

يا عِبَادَ الله: إِنَّ اليَهُودَ وَهُمْ أَهْلُ الكِتابِ لَمْ يَكُونُوا يَوْماً مِنَ الأَيَّامِ أَصْدِقاءَ و لا حَتَّى مُسَالِمِينَ أَوْ مُحايِدِينَ لِلإِسْلامِ وَالْمُسْلِمِينَ بَلْ أظهَرُوا عِدَاهُمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ حِيْنَما وَضَعَ

---

(١) هذا هو أصحّ الأقوال و الله أعلم إذ ثبت في صحيح البخاري في كتاب الإيمان باب (الصلاة من الإيمان) رقم(٣٩) عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الأنصار وأنه صلَّى قِبَل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَلَ البيت وأنه صلَّى أَوَّل صلاة صلاها صلاة العصر وصلَّى معه قوم فخرج رجل ممَّن صلى معه فمرَّ على أهل مسجد وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قِبَلَ البيت وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب فلما ولَّى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك.

(٢) سورة البقرة آية ( ١٤٢ ).

(٣) سورة لبقرة آية ( ١٤٣ ).

قَدَمَهُ عَلَى أَرْضِ يَثْرِبَ المَدِينَةِ، فَكانَ مِنْ حِكْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ حالَ مَقْدَمِهِ لِلْمَدِينَةِ أَنْ أَبْرَمَ مُعاهَداتٍ ثَلاثٍ مَعَ قَبائِلِ اليَهُودِ الثَّلاثِ المَوْجُودَةِ بِالمَدِينَةِ آنذاكَ خَوْفاً مِنْ شَرِّهِمْ وَهَذِهِ القَبائِلُ الثَّلاثُ هِيَ بَنُو قُرَيْظَةَ، وبَنُو النَّضِيرِ، وبَنُو قَيْنَقاعَ و لَكِنَّهُمْ خانُوا العُهُودَ وَالمَواثِيقَ وَتَنكَّرُوا الإِسْلامَ وتَواطَئُوا و تَآمَرُوا مَعَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ عَلَى حَرْبِ المُسْلِمِينَ وَتَآمَرُوا عَلَى اغْتِيالِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقامُوا مَعَ مُنافِقِي المَدِينَةِ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ الإِسْلامَ وَيُخْفُونَ الكُفْرَ، وَقامُوا بِدَورٍ فِي إِيْذاءِ النَّبِيِّ وَالمُسْلِمِينَ بِإِشاعَةِ البَلْبَلَةِ وَالْفِتَنِ ، فَنَزَلَ حُكْمُ اللهِ فِي يَهُودِ المَدِينَةِ بَعْدَ هَزِيمَةِ الكُفْرِ يَوْمَ الأَحْزابِ ، وَتَمَكَّنَ الرَّسُولُ مُحمدٌ ﷺ مِنْ إِجْلاءِ بَعْضِهِمْ عَنِ المَدِينَةِ وَقَتْلِ آخَرِينَ ، وَاسْتِئْصالِ شافَتِهِمْ عَنْ طَيْبَةَ الطَّيِّبَةِ ، فَهُمْ ما زالُوا وَلا يَزالُونَ يَكْتُمُونَ الحِقْدَ الأَسْوَدَ الدَّفِينَ عَلَى أُمَّةِ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ ، فَيَقْطَعُونَ الأَيْدِي الَّتِي تَمْتَدُّ إِلَيهِمْ لِلسَّلامِ ؛ لأَنَّهُمْ دُعاةُ حَرْبٍ وَالمُسْلِمُونَ دُعاةُ سَلامٍ، وَالْيَوْمَ تَرونَ أَنَّا نَمُـدُّ أَيدِينا لِمُصالحَتِهِمْ وَالْعَيْشِ مَعَهُمْ، و للهِ فِي الخَلْقِ شُئُونٌ، فَإِنَّنا لَمْ نُعادِهِمْ لأَنَّهُمْ يَهُودٌ فَحَسْبُ ؛ بَلْ لأَنَّهُمْ عادُونا وَاحْتَلُّوا أَراضِينا وَدَنَسُوا مُقَدَّسَاتِنا ؛ وَصَدَقَ اللهُ إِذْ يَقُولُ ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾[١].

هُمُ الأُمَّةُ المُتطَرِّفَةُ، وَنَحْنُ الأُمَّةُ الوَسَطُ، (( نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ ))[٢]، وَكَما أَنَّ قِبْلَتَنا الكَعْبَةَ تَقَعُ فِي مَرْكَزِ وَسَطِ الأَرْضِ ، كَذلِكَ جُعِلْنا أُمَّةً وَسَطاً دُوْنَ

(١) سورة المائدة من الآية (٨٢).

(٢) أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له قال يوم الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى.

الأَنْبياءِ وفَوقَ الأُمَمِ ، وَالوَسَطُ: العَدْلُ ، وَإِنَّ أَوْسَطَ الأَشْياءِ هُوَ أَعْدَلُهـا وأَحْمَدُها ، وَرَوَى التّرمِذِيِّ [١] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ الله عَنهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ فِي قَولِهِ تَعالَى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ [٢] قالَ: (( عَدْلاً ))، وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ ﴾[٣]: أَيْ أَعْدَلُهُمْ وَخَيرُهُمْ، وَفِي الحَدِيثِ (( خَيْرُ الأُمُورِ أَوْسَطُها ))[٤] وَعَنْ سَيِّدِنا عَليِّ ابْنِ أَبِي طالِبٍ رَضِي الله عَنهُ: عَلَيكُمْ بِالنَّمْطِ الأَوْسَطِ ؛ فَإِلَيهِ يَنْزِلُ العَالِي ، وَإِلَيهِ يَرْتَفِعُ النَّازِلُ ))[٥] وهَذا الوَسَطُ العَدْلُ هُوَ الَّذِي أَهَّلَنا لِكَرَمِ الله لِنكُونَ شُهَداء عَلَى النَّاسِ فِي المَحْشَرِ وعِنْدَ الحِسابِ.

ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الإمامِ البُخارِي[٦] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (( يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ ؛ فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ! فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ؛ فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ وَيَكُونَ الرَّسُولُ

---

(١) سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن (بابٌ من سورة البقرة) رقم (٢٨٨١)، وهو بعض حديثٍ في صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن باب (قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} ) كما سيأتي.

(٢) سورة البقرة آية (١٤٣).

(٣) سورة القـلم من الآية (٢٨).

(٤) قال عنه العجلوني في كشف الخفا(١/ ٤٧٠): قال ابـن الغـرس ضـعيف، وقـال في المقاصـد: رواه ابـن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد لكن بسند فيه مجهول عن علي مرفوعـاً وللـديلمي بـلا سـند عـن ابـن عبـاس مرفوعاً: خير الأعمال أوسطها، في حديث أوله: دوموا على أداء الفرائض.اهـ و ذكره ابن أبي شيبة في مـصنفه (٧/ ١٧٩) والبيقهي في شعب الإيمان(٥/ ٢٦١) من قول مطرف بن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه.

(٥) ذكره ابن أبي شيبة في مصنفه(٧/ ١٠٠) من كلام سيدنا عـلي رضي الله عنـه بلفـظ: " خـير النـاس هـذا النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي". و ذكره بلفظه القرطبي في تفسيره (٢/ ١٥٤).

(٦) صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن باب (قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً } ) رقم (٤١٢٧).

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)) ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾، وَالْوَسَطُ: الْعَدْلُ.

وذُكِرَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ بِمَعْنَاهُ وَفِيهِ (( فَتقُولُ تِلْكَ الأُمَمُ: كَيفَ يَشْهَدُ عَلَينا مَنْ لَمْ يُدْرِكنا ، فَيَقُولُ لَهُمْ الرب سُبْحانَهُ: كَيْفَ تَشْهَدُونَ عَلَى مَنْ لَمْ تُدْرِكُوا ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنا بَعَثْتَ إِلَينا رَسُولاً ، وَأَنْزَلْتَ إِلَينا عَهْدَكَ وَكِتابَكَ وَقَصَصْتَ عَلَينا أَنَّهُم قَدْ بَلَّغُوا ؛ فَشَهِدْنا بِما عَهِدْتَ إِلَينا، فيَقُولُ الرَبُّ صَدَقُوا ، فَذَلِكَ قَولُهُ عَزَّ وَجَلَّ:، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾، والوَسَطُ: العَدْلُ [1].

وَخَرَّجَ التِّرمِذِيُّ الحَكِيمُ [2] عَنْ عُبادَةَ بْنِ الصاَّمِتِ رضِيَ الله عنهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ:(( أُعْطِيَتْ أُمَّتِي ثَلاثاً لَمْ تُعْطَ إِلاَّ الأَنْبِياء ، كانَ الله إِذا بَعَثَ نَبِياًّ قالَ لَهُ: اُدْعُنِي أَسْتَجِبْ لَكَ وَقالَ لِهَذِهِ الأُمَّةِ: أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ، وَكانَ الله إِذا بَعَثَ النَّبِيَّ قالَ لَهُ: ما جَعَلَ عَلَيكَ الدِّينَ مِنْ حَرَجٍ ، وَقالَ لِهَذِهِ الأُمَّةِ: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾، وَكانَ الله إِذا بَعَثَ النَّبِيَّ جَعَلَهُ شَهِيداً عَلَى قَوْمِهِ ، وَجَعَلَ هَذِهِ الأُمَّةَ شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ)).

وَقالَ عُلَماؤُنا: أَنْبَأَنا رَبُّنا تَبارَكَ وَتَعالَى فِي كِتابِـهِ العَزِيـزِ بِـما أَنْعَـمَ عَلَينـا مِـنْ تَفْضِيلِهِ لَنا بِاسْمِ العَدالَةِ ، وَتَوْلِيَةِ خَطِيرِ الـشَّهادَةِ عَـلَى جَمِيـعِ خَلْقِـهِ، فَجَعَلنـا أَوَّلاً مَكاناً ، وَإِنْ كُناَّ آخِراً زَماناً ، كَما قـالَ عَلَيـهِ الـصَّلاةُ وَالـسَّلامُ: (( نَحـنُ الآخِـرُونَ

(١) ذكره الطبري في تفسيره (٢/ ١٠).

(٢) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٤/ ١٢٤)، و ذكره القرطبي في تفسيره (٢/ ١٥٥).

الأَوَّلُونَ »[1]، فَنَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ ، وَنَسْأَلُكَ التَّوفِيقَ لِشُكْرِكَ عَلَيها وَالإِقْتِداءَ بِنَبِّيكَ وَرَسُولِكَ مُحمدٍ ، حَتَّى نَلْقاكَ وَأَنْتَ راضٍ عَنَّا يا رَبَّ العالَمِينَ.

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [2]وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [3].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [4].

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الجمعة باب(هداية هذه الأمة ليوم الجمعة) برقم (١٤١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نحن الآخرون الأوَّلون يوم القيامة ونحن أوَّلُ من يدخل الجنة بَيدَ أنهم أُوتوا الكتابَ من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحقِّ فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له قال يوم الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى).

(٢) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٣) سورة النحل الآية (٩٨).

(٤) سورة البقرة آية (١٤٣).

# الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ الَّذِي قَدَّرَ الأَزْمـانَ وَفَـصَّلَ الفُـصُولَ ، وَأَغْـرَقَ فِي بَحْـرِ مَعْرِفَتِـهِ الأَفْكارَ وَالْعُقُولَ ، وَحَيَّرَ فِي كُنْهِ ذاتِهِ الأَفْهامَ، فَما لَهَا إِلَى مَعْرِفَةِ صَمَدِيَّتِهِ وُصُولُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ شَهادَةً يُبَلِّغُنا بِها أَقْصَى الغاياتِ ، وَيَرْفَعُنا بِها أَعْلى الدَّرَجاتِ، وَالْفَوزَ بِسُكْنَى جَناتِهِ، فَنكُون مِمَّنْ قالَ فِيهِمْ فِي مُحْكَمِ آياتِهِ: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[1].

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، المَبْعُوثُ بِالقَولِ السَّدِيدِ ، وَالفِعْلِ الحَمِيدِ ، وَالأمر الرَّشِيدِ ، فَما أَحْسَنَ ما جاءَ بِهِ مِنَ العِبادَةِ ، وَما أَعْظَمَ ما جاءَ بِهِ مِنَ التَّوحِيدِ ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيء شَهِيدٍ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ المُخْتارِ ، إِمامِ المُتَّقِينَ وَسَيِّدِ الأَبْرارِ ، صَلى الله علَيهِ وَعَلَى آلِهِ الأَطْهارِ ، وَصَحابَتِهِ الأَخْيارِ ، ما تَعاقَبَ اللَّيلُ وَالنَّهارُ ، وَعَلَى التابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسان ، وَعَلَينَا مَعَهُمْ و فِيهِمْ بِرَحْمَةٍ مِنْكَ يا عَزِيزُ يا غَفَّارُ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾[2].

أما بعدُ: فيا عِبَادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

---

(١) سورة ق آية (٣٥).

(٢) سورة الأحقاف آية (١٦).

اعْلَمْ يا أَخِي المُسْلِمَ أَنَّهُ قَدْ طالَ الكَلامُ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ عَلَى ما يَظْهَرُ فِي بادِئِ الرَّأْيِ مِنَ التَّعارُضِ بَيْنَ الآياتِ الشَّرِيفَةِ كَقَوْلِهِ تَعالَى: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾[1]، وَقَوْلُهُ تَعالَى ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾[2]. مَعَ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[3] وقَوْلُهُ تعَالَى ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾[4] فَقَدْ يَقُولُ القائِلُونَ إِنَّ العُمْرَ لا يَزِيدُ وَلا يَنْقُصُ اسْتِدْلالاً بالآياتِ المُتَقَدِّمَةِ ، وَالأَحادِيثِ الصَّحِيحَةِ كَحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ الله عَنهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قالَ:« إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يوماً نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ الله مَلَكاً وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِماتٍ ، وَيُقالُ: لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ ، وَشَقِيٌّ أو سَعِيدٌ »[5]، صَدَقَ الله وصدقَ رَسُولُه ، وَقَدْ فَهِمَ عُلَماؤُنا رَحِمَهُمُ الله تعالى ذلِكَ وَذَهَبُوا إِلَى أَنَّ العُمْرَ يَزِيدُ و يَنْقُصُ[6] ، وَكَذَلِكَ الرِّزْق ، وَالسَّعادَةَ

---

(١) سورة المنافقون من الآية (١١).

(٢) سورة نوح من الآية (٤).

(٣) سورة الرعد الآية (٢٩).

(٤) سورة الأنعام من الآية (٢).

(٥) رواه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة رقم (٢٩٦٩)، و مسلم كتاب القدر باب (كيفية خلق الآدمي في بطن أمه) رقم (٤٧٨١).

(٦) قال الإمام ابن حجر العسقلاني في الجمع بين هذا الذي يظهر من التعارض: والجمع بينهما من وجهين أحدهما أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة وصيانته عن تضييعه ذلك ؛ ومثل هذا ما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر. و حاصله أن صلة الرحم تكون سبباً للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر الجميل فكأنه لم يمت ؛ ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذي ينتفع به من بعده والصدقة الجارية عليه والخلف الصالح، ثانيهما: أن الزيادة على حقيقتها وذلك بالنسبة إلى علم الملك

وَالشَّقاوَةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ جَماعَةٍ مِنَ السَّلَفِ مِنَ الصَّحابَةِ وَمَنْ بَعْـدَهُمْ ، أَنَّهُمْ كانُوا يَقُولُونَ فِي أَدْعِيَتِهِمْ: « اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنِي فِي أَهْلِ الـسَّعادَةِ فـأَثْبِتْنِي فِيهِمْ ، وَإِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنِي فِي أَهْلِ الشَّقاوَةِ فامْحُنِي ، وَأَثْبِتْنِي مِـنْ أَهْـلِ الـسَّعادَةِ »[1]، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ بمْنَعِ زِيادَةَ العُمُرِ وَنُقْصانِهِ ، وَيَدُلُّ عَلَى هَذا ما رُوِيَ عَـنْ جَماعَـةٍ مِـنَ الصَّحابَةِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيهِ وآلِهِ وسَلَّمَ: أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي العُمُرِ؛ فقـد وَرَدَ: « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَـصِلْ رَحِمَـهُ »[2] وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمُدَّ الله لَهُ فِي عُمُرِهِ وَأَجَلِهِ ، وَيَبْسَط لَهُ فِي رِزقِهِ فَلْيَتَّـقِ الله وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ »[3] وفِي لَفْظٍ « صِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الجِوَار وَحُسْنُ الخُلُقِ يُعْمِـرَانِ الدِّيارَ، وَيَزِيدانِ فِي الأَعْمارِ »[1].

---

الموكَّل بالعمر، و أما الأول الذي دلَّت عليه الآية فالبنسبة إلى علم الله تعالى كأن يقال للملـك مـثلاً أن عمـر فلان مائة مثلاً أن وصل رحمه وستون إن قطعها وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع؛ فالذي في علم الله لا يتقدَّم ولا يتأخَّر، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص ؛ و إليـه الإشـارة بقولـه تعـالى:( يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) فالمحو الإثبات بالنسبة لما في علم المَلَكِ، ومـا في أم الكتـاب هـو الذي في علم الله تعالى فلا محو فيه البتة ويقال له: القضاء المبرم ويقال للأول: القضاء المعلق. اهـ فتح البـاري (١٠/ ٤١٥).

(١) ذكر الإمام الطبري في تفسيره (١٣/ ١٦٨) و القرطبي في تفسيره (٩/ ٣٣٠) ذلك عن سيدنا عمـر ابـن الخطاب و عبدالله بن مسعود، و روى الطبراني في معجمه الكبير(٩/ ١٧١) عن أبي قلابة عـن ابـن مـسعود رضي الله عنه أنه كان يقول: اللهمَّ إن كنت كتبتني في أهـل الـشقاء فـامحني وأثبتنـي في أهـل الـسعادة. قـال الهيثمي في مجمعه بعد ذكره: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أنَّ أبا قلابة لم يدرك ابن مسعود.

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب (البيوع)، باب(من أحبَّ أن يبسط له في رزقه) برقم (١٩٢٥)، ومسلم في كتاب البرِّ و الصلة والآداب، باب (صلة الرحم و تحريم قطيعتها) برقم (٤٦٣٩) عن أنس رضي الله عنـه واللفظ له.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (مسند العشرة المبشرين بالجنة) باب (مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنـه) حديث (١١٥٠) بلفظ: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" من سرَّه أن يمدَّ الله في عمره ويوسِّع له في رزقه

وَإِذا كانَ الدُّعاءُ لا يُفِيدُ شَيْئاً، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِلإِنْسانِ إِلاَّ ما قَدْ سَبَقَ كَما يَفْهَمُهُ الآخَرُونَ ، لَكانَ أَمْرُهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالدُّعاءِ لَغْواً لا فائِدَةَ فِيهِ ، وَكَذَلِكَ وَعْدَهُ بِالإِجابَةِ لِلْعِبادِ الدَّاعِينَ ، وَهَكَذا تَكُونُ اسْتِعاذَةُ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيهِ وآلِهِ وسَلَّمَ لَغْواً!! وَالأَحادِيثُ المُشْتَمِلَةُ عَلَى الأَمْرِ بِالدُّعاءِ لَغْواً ، وَقَدْ وَرَدَ فِيها أَنَّ الدُعاءَ يَدْفَعُ البَلاءَ وَيَرُدُّ القَضاءَ [٢]، وَوَرَدَ مِنْها «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ سُوءِ القَضاءِ » [٣] وَقالَ: وَقِنِي شَرِّ ما قَضَيْتَ » [٤] وَقالَ تَعالَى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[١] ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾ [٢]

---

ويدفع عنه ميتةَ السوء فليتقِ الله وليصل رحمه"، و الحاكم في مستدركه (٤/ ١٧٧)،و كذا رواه الطبراني في معجمه الأوسط (٣/ ٢٣٣)، و البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٨٥)، و ذكره بلفظه القرطبي في تفسيره(٩/ ٣٣٠).

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (باقي مسند الأنصار) حديث(٢٤٠٩٨) عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها:(إنه من أُعطِيَ حظَّه من الرفق فقد أُعطِيَ حظَّه من خير الدنيا والآخرة، وصلةُ الرَّحِم وحسنُ الخُلُق وحسنُ الجوار يُعمِرَانِ الديارَ ويَزيدانِ في الأعمار).

(٢) روى الترمذي في سننه كتاب( القدر)، باب (ما جاء لا يردُّ القدرَ إلا الدعاء) عن أبي عثمان النهدي عن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يردُّ القضاء إلا الدعاءُ ولا يزيد في العمر إلا البرُّ).قال أبو عيسى وفي الباب عن أبي أسيد وهذا حديث حسن غريب، و رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٤٨) عن ثوبان رضي الله عنه بلفظ: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ الدعاءَ يردُّ القضاءَ و إن البرَّ يزيد في الرزق وإنَّ العبدَ ليُحرَمَ الرِّزقَ بالذنب يصيبه".

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه كتاب (الذكر والدعاء والتوبة الاستغفار) (بابٌ في التعوّذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره) برقم (٤٨٨٠)عن أبي هريرة بلفظ: " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من سوءِ القضاء ومن دَرَكِ الشَّقاء ومن شماتة الأعداء ومن جَهْدِ البلاء"، ورواه النسائي في سننه كتاب التعوذ باب( التعوذ من دَرَك الشَّقاء) برقم (٥٣٩٧).

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ( مسند آل البيت)(حديث الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم)برقم(١٦٢٥)بلفظ: عن الحسن بن علي رضي الله عنهم قال:" علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في قنوت الوتر: اللهمَّ اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولَّني فيمن تولَّيت وبارك لي

عِبادَ اللهِ: في كُلِّ عامٍ وَالنَّاسُ هُنا يَتَّجِهُونَ وَيَتَجَهَّزُونَ لِزِيارَةِ نَبِيِّ اللهِ هُودٍ عَلَيهِ وَعَلَى نَبِيِّنا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالتَّسْلِيمِ وزِيارَةُ القُبُورِ سُنَّةٌ مُسْتَحَبَّةٌ ، وَلا سِيَّما قُبُورُ الأَنْبياءِ وَالأَوْلِياءِ وَالصَّالِحِينَ ، فَإِنَّها تُذَكِّرُ المَوتَ ، وَتُزْهِدُ فِي الدُّنْيا ، وَتُرَغِّبُ فِي الآخِرَةِ ، وَلِذَلِكَ أَمَرَ بِها سَيِّدُ المُرْسَلِينَ، وَعَلَى الزَّائِرِ أَنْ يَتَواضَعَ ، وَيَتَخَلق بِالأَخْلاقِ الفاضِلَةِ ، الَّتِي دَعَا إِلَيْها الرسُلُ الأَكْرَمُونَ فَلا تَباهَي وَلا تَفاخُرَ وَلا كِبْرِياءَ ، وَفِي الحَدِيثِ القُدْسِي: «الكِبْرِياءُ رِداءِي وَالْعَظَمَةُ إِزارِي فَمَنْ نازَعَنِي فِيهِما قَصَمْتُهُ»[٣] وَمَنْ تَواضَعَ رَفَعَهُ اللهُ ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللهُ ، كَما يَجِبُ أَنْ نَتَذَكَّرَ جَيِّداً مَنْ مَضَى مِنَ الرِّجالِ الأَكابِرِ وَالصاَّلِحِينَ مِمَّنْ قامُوا وَرَتَّبُوا لَنا هَذِهِ الزِّيارَةِ النَّظِيفَةِ النَّقِيَّةِ مِنْ كُلِّ الشَّوائِبِ الَّتِي تُشاهَدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الزِّياراتِ فلا اخْتِلاطَ بَيْنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ ، وَلا مَلاهِيَ وَمفَاسِدَ؛ إِنَّها خالِصَةٌ مُخْلَصَةٌ للهِ تَعالَى.

وَلِلزِّيارَةِ آدابٌ يَجِبُ التَّخَلُّقُ بِها ؛ فَإِيَّاكَ أَنْ تُقَبِّلَ قَبْراً ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَأَدِّباً كَما جاءَ فِي آدابِ زِيارَةِ أَفْضَلِ الخَلْقِ مُحمدٍ صَلَّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وَسلَّمَ

---

فيما أعطيت وَقِني شرَّ ما قضيت فإنك تقضي ولا يُقضَى عليك إنه لا يذلُّ من واليت تباركت ربنا وتعاليت"، و رواه الترمذي في كتاب الصلاة باب( ما جاء في القنوت في الوتر) برقم (٤٢٦)، و النسائي في سننه، كتاب( قيام الليل والتطوع في النهار)، باب( الدعاء في الوتر) برقم (١٧٢٥) و أبو داود في سننه كتاب الصلاة، باب( القنوت في الوتر) برقم(١٢١٤).

(١) سورة النمل آية (٦٢).

(٢) سورة البقرة آية (١٨٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (باقي مسند المكثرين)باب(مسند أبي هريرة رضي الله عنه) رقم (٧٠٧٨) بلفظ:" قال الله عزَّ وجلَّ الكبرياءُ ردائي والعزَّةُ إزاري فمن نازعني واحداً منهما أُلقِيهِ في النار"، و في رواية له برقم(٨٥٣٩) لفظها:" قال الله تعالى: الكبرياءُ ردائي والعظمةُ إزاري فمن نازعني واحداً منهما أدخلته جهنم"، ورواه أبو داود في سننه كتاب اللباس، باب (ما جاء في الكِبْر) برقم(٣٥٦٧)، و ابن ماجة في سننه كتاب الزهد، باب( البراءة من الكِبْر) برقم (٤١٦٤).

، تَزُورُهُ مَيْتاً كَما تَزُورُهُ حَياً ، وَلا تَقْرُبْ مِنَ القَبْرِ إلاَّ كَما كُنْتَ تَقْرُبُ مِنْ شَخْصِهِ الكَرِيمِ لَوْ كانَ حَياًّ، فَمِنْ بَابِ أَوْلَى زِيارَةُ غَيْرِهِ مِنَ الأَنْبياءِ وَالأَوْلِياءِ والصاَّلِحِينَ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الأَدَبُ الإِسْلامِيُّ ، وَلَيْسَ فِيهِ انْتِقاصٌ فِي حَقِّهِمْ، بَلْ تَكْرِيمٌ لَهُمْ ؛ لأَنَّ الله كَرَّمَهُمْ.

اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ حَياةٍ تَمْنَعُ خَيْرَ الـمَمَـاتِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَمَلٍ يَمْنَعُ خَيْرَ العَمَلِ.

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و انْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصَاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِــي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَــــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَـلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُـسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُـبْرَى ، و عَـنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَـاتِ الــمُؤْمِنِينَ ، وعَـنْ عَمَّـي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِــيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيِّـكَ تَحْـتَ الـشَّجَرَةِ، طَلْحَـةَ والزُّبَيْــرِ ، وسَـعْدٍ

وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْـحَابِ رَسُـولِ الله رِضْـوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَـةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشِفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّسْ هَـمَّنَا.

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَــا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ فَـرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَـا ، وابْـسُطِ الأَمْــنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْـلِحْ ذَاتَ بَينِنَـا ، وأَلِّـفْ بَـينَ قُلُوبِنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِـمَا فَعَـلَ الـسُّفَهَاء مِنَّـا ، واجْعَـلْ وِلَايَتَنَـا فِـيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ

، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَوِّكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثَاً مُغِيثَاً هَنِيئَاً مَرِيئَاً ، سَحَّاً عَامَّاً دَائِمَاً مُبَارَكَاً فِيهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

عِبَادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ ؛ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# فِي صِيَامِ رَمَضَانَ و قِيَامِهِ

## الخُطْبَةُ الأُوْلَى

الحَمْدُ للهِ الَّذِي قَدَّرَ الأَزْمانَ وَفَصَّلَ الفُصُولَ ، وَأَغْرَقَ فِي بَحْرِ مَعْرِفَتِهِ الأَفْكارَ وَالْعُقُولَ ، وَحَيَّرَ فِي كُنْهِ ذاتِهِ الأَفْهامَ فَما لَها إِلَى مَعْرِفَةِ صَمَدِيَّتِهِ وُصُولٌ ، وَخَصَّ شَهْرَ رَمَضان بِالْعَفْوِ وَالْغُفْران وَالْبُشْرَى والرِّضْوانِ وَالسُّرُورِ وَالْقَبُولِ ، وَوَعَدَ مَنْ صامَهُ بِبُلُوغِ المَقْصُودِ و المَأْمُولِ ، فَشَهْرُ رَمَضانَ شَهْرٌ جَلِيلٌ ، وَفَضْلُهُ مَوْفُورٌ جَزِيلٌ ، كَما جاءَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يُبَلِّغُنا بِها أَقْصَى الغاياتِ ، وَيَرْفَعُنا بِها أَعْلى الدَّرَجاتِ، وَالْفوزَ بِسُكْنَى جَناتِهِ، فَنكُونُ مِمَّنْ قالَ فِيهِمْ فِي مُحْكَمِ آياتِهِ: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [1].

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، المَبْعُوثُ بِالقَولِ السَّدِيدِ ، وَالفِعْلِ الحَمِيدِ ، وَالأمر الرَّشِيدِ ، فَما أَحْسَنَ ما جاءَ بِهِ مِنَ العِبادَةِ ، وَما أَعْظَمَ ما جاءَ بِهِ مِنَ التَّوحِيدِ ، وَمِنْ ذَلِكَ صَوْمُ شَهْرِ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ ، هُدًى لِلنَّاسِ و بَيِّناتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقان ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْء شَهِيدٍ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ المُخْتارِ ، إِمامِ المُتَّقِينَ وَسَيِّدِ الأَبْرارِ ، وَالقَائِلِ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: "الصَّومُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ

---

(١) سورة ق آية (٣٥).

الخَطِيئَةَ كَما يُطْفِئُ الماءُ النارَ "[1] صَلى الله علَيهِ وَعَلَى آلِهِ الأَطْهارِ ، وَصَحابَتِهِ الأَخْيارِ ، ما تَعاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ ، وَعَلَى التابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسانٍ فِي الصَّومِ وَالإِفْطارِ ، وَعَلَينا مَعَهُمْ و فِيهِمْ بِرَحْمَةٍ مِنْكَ يا عَزِيزُ يا غَفَّارُ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾[2].

أَمَّا بَعْدُ: فأُوصِيكُمْ أَيُّها المُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى ، فَإِنَّهـا عُـرْوَةٌ وُثْقَى لا تَنْفَصِمُ ، وَذِرْوَةٌ شـامِخَةٌ لا تَنْهَـدِمُ، وَقُـدْوَةٌ يَـأْتَمُّ بِهـا الكِـرامُ ، و جَـذْوَةٌ تَستضيءُ بِها الأَفْهامُ.

عِبادَ الله: فَضِيلَةُ الصَّومِ مَعْرُوفَةٌ ، وَالجَزَاءُ عَلَيهِ عَظِـيمٌ ، وَثَوابُـهُ جَزِيـلٌ ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثالِها إِلا الصَّومُ فَإِنَّهُ للهِ المَلِكِ الجَلِيلِ ، يَتَقَبَّلُـهُ مِـنْ الـصَّائِمِ وَيُثِيبُـهُ عَلَيهِ،﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴾[3]، يَدَعُ الإِنْسَانُ طَعامَهُ وَشَرابَهُ لله ، فَيُطْعِمُهُ مِنْ ثِمارِ الجَنَّةِ ، وَيَسْقِيه مِنَ السَّلْسَبِيلِ ، وَيَمْنَعُ نَفْسَهُ مِـنْ شَـهْواتِها ، وَيَكُـفُّ نَفْـسَهُ عَـنِ القَالِ وَالقِيلِ ، وَما عِنْدَ الله مِنَ النَّعِيمِ لِلصُّوَّامِ وَالقُوَّامِ كَثِيرٌ وَما نَعْلَمُهُ قَلِيلٌ ، عِنْدَهُ مالا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَـلى قَلْـبِ بَـشَرٍ ، وَلخُلُـوفُ فَـمِ

---

(١) جزء من حديث رواه الإمام أحمد في المسند (باقي مسند المكثرين)(مـسند جـابر بـن عبـدالله الأنـصاري رضي الله عنه) برقم (١٣٩١٩)،و رواه الترمذي في سننه كتاب الإيمان، باب (ما جاء في حرمة الصلاة) برقم (٢٥٤١) من حديث طويل لمعاذ بن جبل رضي الله عنه وقال بعده: هذا حديث حسن صـحيح، و رواه ابـن ماجة في سننه كتاب الفتن، باب (كف اللسان في الفتنة) برقم (٣٩٦٣).

(٢) سورة الأحقاف آية (١٦).

(٣) عمران(١٩٥)

الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ ، وَاللهُ جَمِيلٌ ويُحِبُّ الجَمِيلَ ، وَفِي الجَنَّةِ بـابٌ يُقالَ لَهُ الرَّيَّانُ ؛ لا يَدْخُلُ مِنْهُ إلا الصائِمُونَ ، فَإِذا دَخَلُوا مِنْهُ أُغْلِقَ وَاللهُ تَعالَى يَقُـولُ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(1).

اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ يَسَّرَنا اللهُ وَإِياكُمْ لِلْيُسْرَى ، وَجَنَّبْنا العُسْرَى ، وَغَفَرَ لَنا فِي الآخِرَةِ وَالأُوْلَى: أَنَّ شَهْرَ رَمَضانَ شَهْرٌ عَظِيمُ القَدْرِ وَالْمَنْزِلَةِ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ، وَهُوَ سَيِّدُ الشُّهُورِ ، فَرَضَ اللهُ صِيامَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، و كَتَبَـهُ عَلَيهِمْ فَقالَ تَعالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(2)، وَفِيهِ أَنزَلَ اللهُ كِتَابَهُ القُرْآنَ الكَرِيمَ ، وَجَعَلَ مِنْ لَيَالِيهِ لَيْلَةَ القَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، وَالأَلْفُ شَهْرٍ أَكْثَرُ مِنْ ثَلاثٍ وَثَمانِينَ سَنَةً ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾.

انْزِلَ القُرْآنُ فِي رَمَضان ، وَهَذا الإِنْزالُ مِنَ اللَّوحِ المَحْفُوظِ إِلى بَيْتِ العِزَّةِ مِنَ السَّماءِ الدُّنْيا جُمْلَةً وَاحِدَةً ، ثُمَّ بَدَأَ نُزُولُهُ إِلَى الأَرْضِ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ بِواسِطَةِ جِبْرِيلَ عَلَيهِ السَّلامُ، ثُمَّ اسْتَمَرَّ فِي النُّزُولِ

(1) سورة المرسلات الآيات ( 41-43 ).

(2) سورة البقرة آية (183).

مُنَجَّماً وَمُفَرَّقاً حَسْبَ الوَقائِعَ خَلالَ ثَلاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً بِمَكَّــةَ و الـمَدِينَةِ حَرَسَهُما الله تَعالى.

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ أَبْوابَ السَّماءِ وَأَبْوَابَ الجَنَّـةِ تُفْـتَحُ كُلُّهـا فِي رَمَـضانَ ، وَتُغْلَـقُ أَبْوابُ النِّيرَانِ ، وَتُقَيَّدُ مَرَدَةُ الشَّياطِينِ، وَيُنادِي مُنادٍ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمضَان يـا بـاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ و يا باغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ[1].

وَقالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: « مَنْ صامَ رَمَضانَ و قَامَهُ إِيماناً وَاحْتِساباً غُفِـرَ لَهُ ما تَقَـدَّمَ مِـنْ ذَنْبِـهِ »[2] وَالإِيْـمان هُنـا التَّـصْدِيقُ بِوَعْـدِ الله ، وَالاحْتِـسابُ هُـوَ الإِخْلاصُ ، وَالمَقْصُودُ بِقِيامِهِ صَلاةُ التَّراوِيح.

وَللصِّيامِ آدابٌ لا يَكْمُلُ الصِّيامُ إِلا بِها، مِنْ أَهَمِّها: حِفْظُ اللِّسانِ عَنِ الكَذِبِ ، وَالْغِيبَةِ ، وَالنَّمِيمَةِ ، وَالخَوْضِ فِيما لا يَعْنِيهِ ، كَما يَجِبُ حِفْظُ العَيْنِ وَالأُذُنِ عَنِ الاسْتِماعِ وَالنَّظَرِ إِلَى ما لَا يَحِلُّ ، وَإِلَى ما يُعَدُّ فُضُولاً ، وَحِفْظُ البَطْنِ عَنْ تَناوُلِ الحَرامِ بَلْ وَالشُّبْهَةِ وَخُصُوصاً عِنْدَ الإِفْطارِ يَجْتَهِدُ الصَّائِمُ أَنْ لا يَكُونَ فِطْرُهُ إِلا حَلالاً ، قالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذا صُمْتَ فانْظُرْ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُفْطِرُ ، وَعِنْدَ مَنْ تُفْطِرُ ؟ إِشارَةً إِلَى الـحَثِّ عَلَى التَّحَرِّي وَالاحْتِياطِ فِيما يُفْطِرُ عَلَيهِ.

---

(١) تقدَّم ذكرُ الحديث الدال على ذلك.

(٢) الحديث بلفظه رواه الإمام أحمد في مسنده (باقي مسند المكثرين) برقم(١٠١٣٣)من حـديث أبي هريـرة رضي الله عنه بزيادة " ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه "، و كـذا رواه الترمـذي في سننه كتاب الصوم، باب (مـا جـاء في فـضل شـهر رمـضان) بـرقم (٦١٩)، و رواه البخـاري في صـحيحه كتاب(صلاة التراويح)، بـاب(فـضل ليلـة القـدر) بـرقم (١٨٧٥)، ومـسلم في كتـاب (صـلاة المـسافرين وقصرها) باب(الترغيب في قيام رمضان و هو التراويح) برقم (١٢٦٨) بلفـظ " مـن صـام رمـضان إيمانـاً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ومن قام ليلةَ القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه".

يا عِبادَ الله لا تَحْسَبُنَّ الصِّيامَ فِي الإِمْساكِ عَنِ الْمُفْطِراتِ الحِسِّيَّةِ فقَطْ ؛ وَلَكِنَّهُ ذَلِكَ وَالإمْساكُ عَنِ الْمُفْطِراتِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، وَمِنْها الكَذِبُ وَالغِيْبَةُ وَالنَّمِيمَةُ وَشَهادَةُ الزُّورِ ، وَالنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ وَلَوْ إِلَى امْرَأَتِكَ، «وَرُبَّ صائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنَ صِيامِهِ إِلا الجُوعُ وَالْعَطَشُ »[1]؛ كَما ثَبَتَ عَنْ سَيِّدِ البَرِيَّةِ ، « وَمَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لله حاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعامَهُ وَشَرابَهُ »[2]، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْ لِسانَهُ عَنْ فُضُولِ الكَلامِ وَيَغُضَّ بَصَرَهُ عَنِ الحَرامِ وَيَدَعِ الفَواحِشَ وَالآثامَ ؛ فَما أَفْطَرَ وَلا صامَ، وَلَكِنَّهُ أَتْعَبَ نَفْسَهُ وَفاتَهُ الأَجْرُ ، و فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: « الصَّومُ جُنَّةٌ وَإِذا كَانَ يَومُ صَومِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ وَلا يَفْسُقْ ، فَإِنِ امْرُؤٌ سابَّهُ أَوْ قاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صائِمٌ إِنِّي صائِمٌ »[3] دُوْنَما عُجْبٌ وَلا رِياءٌ ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[4].

مَنْ صامَ رَمَضان إِيْماناً وَاحْتِساباً غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَمَنْ قامَ لَيْلَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاةِ الله وَتَعَرَّضاً لِرَحْماتِهِ فازَ بِالخَيْرِ العَظِيمِ ، وَلَيْسَ مِنَ القِيامِ المَجالِسُ الفارِغَةُ وَالسَّهَراتُ الَّتِي تَكُونُ عاقِبَتُها خُسْرَاناً، أَلا وَهِيَ مَجالِسُ اللَّهْوِ وَالْغِيْبَةِ

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (باقي مسند المكثرين) برقم (٨٥٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" رُبَّ صائمٍ حظُّه من صيامه الجوعُ والعطشُ و رُبَّ قائمٍ حظُّه من قيامه السهرُ"، و رواه ابن ماجة في سننه كتاب الصوم، باب (ما جاء في الغيبة والرفث للصائم) برقم (١٦٨٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الصوم، باب (من لم يدعْ قولَ الزُّورِ و العملَ به في الصوم) برقم (١٧٧٠)من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الصوم، باب (فضل الصوم) برقم (١٧٦١)، و مسلم في صحيحه كتاب الصيام، باب (حفظ اللسان للصائم) برقم (١٩٤١).

(٤) سورة البقرة من الآية (١٨٧).

وَالشَّتْمِ وَالسَّبِّ وَالسُّخْرِيَةِ، وَاسْتِباحَةِ أَعْراضِ المُسْلِمِينَ ، وَإِنَّما القِيامُ هُوَ القِيامُ بِالصَّلاةِ، وَتِلاوَةِ القُرْآن، وَمُذاكَرَةِ العِلْمِ النافِعِ، وَالتَّفَكُّرِ فِي مَخْلُوقاتِ الله، وَذِكْرِه، وَشُكْرِهِ بِاللِّسان وَالقَلْبِ، وَلَيْسَ مَعْنَى هَذا أَنَّنا نُضايِقُ النَّاسَ فِي متعِهِمْ المُباحَةِ، وَحَياتِهِمْ المَعاشِيَّةِ، ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾ (١).

وَكان السَّلَفُ الصالِحُ يَعْمُرُونَ المَساجِدَ فِي لَيالِيَ رَمَضان بِذِكْرِ الله وَالصَّلاةِ وَتِلاوَةِ القُرْآن ، وَلَهُمْ بِذَلِكَ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ ، و تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ مِنَ الله الفَضْلَ وَالرِّضْوان ، وَكان بَعْضُهُمْ يَخْتِمُ القُرْآنَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ، قانتاً لله يَحْذَرُ الآخِرَةَ ، وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ ، فَيا أَهْلَ التَّراوِيحِ وَصَلاة الوِتْرِ وَالتَّسْبِيحِ، وَعِمارَة المَساجِدِ بِالتِّلاوَةِ، وَأَنارَتِها بِالمَصابِيحِ ، أَنْتُمُ الَّذِينَ يَقُولُ الله فِيكُمْ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (٢)، و أَنْتُمْ المَعْنِيُّونَ بِقَولِهِ تَعالَى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٣).

بِالصَّومِ تُزَكَّى النُّفُوسُ ، وَتَصِحُّ أَجْسامُ الصائِمِينَ ، وَالإِنْسانُ وَسْطٌ بَيْنَ المَلائِكَةِ المُقَرَّبِينَ، والبَهائِمِ التي يُطعِمُونَها للحَملِ عليها والتَّسمِين ، وَعَلَى قَدْرِ

---

(١) سورة الأعراف من الآية ( ٣٢).

(٢) سورة الذريات الآيات ( ١٦-١٨).

(٣) سورة السجدة الآيتين ( ١٦-١٧).

عِبادَتِهِ يَكُونُ إلْتِحاقُهُ بِالرُّوحانيِّينَ، لا هَمَّ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ إلا رِضاءُ الله ، وَمُرافَقَةُ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصالِحِينَ ، وَكُلَّما اعْتَنَى المَرْءُ بِبَطْنِهِ وَفَرْجِهِ وَأَتْبَعَ نَفْسَهُ هَواها تَحَكَّمَتْ فِيهِ الشَّياطِينُ ، فاخْتَرْ لِنَفْسِكَ يا ابْنَ آدَمَ أَيَّ الحالَتَيْنِ شِئْتَ ، فَإِمَّا لِهَذِهِ الدُّنْيا الفانيَةِ وَمَتاعِها ، وَإِما لِعَظِيمِ الجَزاءِ يَوْمَ الدِّينِ، ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(1).

أَيُّ صابِرٍ هُوَ عِنْدَ الله أَعْظَمُ أَجْراً مِنَ الَّذِي يَدَعُ طَعامَهُ وَشَرابَهُ طِيْلَةَ النَّهارِ، فِي البَلَدِ الحارِّ ، وَالزَّمَنِ الحارِّ ، وَلَيْسَتْ لأَحَدٍ عَلَيهِ دُونَ الله مَسْؤُولِيَّةٌ وَلا رَقابَةٌ ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتان يَفْرَحُهُما ، فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ ، وَفَرْحَةٌ إِذا لَقِيَ رَبَّهُ فَوَفاهُ حِسابَهُ ، وَدَعْوَتُكَ أَيُّها الصائِمُ مَقْبُولَةٌ مُسْتَجابَةٌ ، فَعَلَيْكَ الدُّعاءُ وَعَلَى الله الإِجابَةُ ، فَإِنَّهُ تَعالَى كَرِيمٌ لا يَمْنَعُ مِنْ فَضْلِهِ أَحْبابَهُ ، وَلا يَغْلِقُ فِي وُجُوهِ السائِلِينَ أَبْوابَهُ ، بَلْ أَمَرَ سُبْحانهُ وَتَعالَى عِبادَهُ بِالدُّعاءِ وَتَوَعَّدَهُم عَلَى تَرْكِهِ ، وَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ ثَوابَهُ وَعِقابَهُ قالَ عَزَّ مِنْ قائِلٍ: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ (2).

فَجُدُّوا يا عِبادَ الله فِي طاعَةِ الله وَلا تُقَصِّرُوا وَاذْكُرُوا الله قِياماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ، وَفِي مَلَكُوتِ الله تَفَكَّرُوا ، وَإِذا دُعِيتُمْ إِلَى الخَيْرِ فَلَبُّوا وَبادِرُوا ، وَلا تَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ إِذا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلا الله اسْتَكْبَرُوا ، وَوَلَّوا عَلَى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً ، وَلَمْ يَسْتَغْفِرُوا، و صُومُوا نَهارَ رَمَضانَ ، وَقُومُوا لَيالِيَهُ ، وَاتْلُوا كِتابَ الله وَتَدَبَّرُوا ، وَلا يَغُرَّنَّكُمْ الَّذِينَ

---

(١) سورة النحل آية ( ٩٦ ).

(٢) سورة البقرة آية ( ١٨٦ ).

تَهاوَنُوا بِالدِّينِ فَأَفْطَرُوا ، بَلْ كُونُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحاتِ ، وَاتَّقُوا الله وَرابِطُوا وَاصْبِرُوا وصابِرُوا ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ** ﴾ [1]. أَنهَضَنَا الله و إِياكُمْ لأَداءِ النَّوافِلِ وَالْفَرائِضِ ، وَسَلَّمَ قُلُوبَنا مِنَ الشَّكِّ وَالمَعارِضِ ، وَوَفَّقَنا وَإِياكُمْ لِلْعَمَلِ بِما يَرْضاهُ ، وَاخْتارَ لَنا وَلَكُمْ فِيما قَدَّرَهُ وَقَضاهُ.

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [2] وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [3].

أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطان الرَّجِيم

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [4].

بارَكَ الله لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

(١) سورة الأنفال آية (٢٤).

(٢) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٣) سورة النحل الآية (٩٨).

(٤) سورة البقرة آية (١٨٥).

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَــهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَــهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الـصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَــهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَــهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلَائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

أما بعدُ: فيا عِبَادَ الله: أُوصِـيكُمْ وَنَفْـسِيَ بِتَقْـوَى الله تَعـالى، اتَّقُـوا الله مِـنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أَما بَعْدُ: فَإِنَّ الصَّومَ رُبُعُ الإِيمَانِ، بِمُقْتَضَى قَولِهِ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَـلَّمَ: (( الصَّومُ نِصْفُ الصَّبْرِ ))[1] وَبِمُقْتَضَى قَولِهِ ﷺ: (( الصَّبْرُ نِصْفُ الإِيْمانِ ))[1]

---

(١) جزء من حديث رواه الإمام أحمد في مسنده (أول مسند الكوفيين)(حديث رجل مـن بنـي سـليم)بـرقم (١٧٥٧١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" سبحانَ الله نصفُ الميزان والحمدُ لله تملأ الميزانَ و الله أكـبرُ تملأ ما بين السماء والأرض والطُّـهُور نصفُ الإيمان والصَّومُ نصفُ الصَّبر"، و رواه الترمذي في سننه كتاب الدعوات برقم(٣٤٤١).

ثُمَّ هُوَ مُتَمَيِّزٌ بِخاصِيَّةِ النِّسْبَةِ إِلَى الله تَعالَى مِن بَيْنَ سائِرِ الأَركَانِ ، إِذْ قالَ الله تَعالَى فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ فِيما حَكاهُ عَنْهُ نَبِيُّهُ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ وَالصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)) [٢]. وَقَدْ قالَ الله تَعالَى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [٣]. فَقَدْ جاوَزَ ثَوابُ الصَّومِ قانونَ التَّقادِيرِ وَالحِسابِ ، وَيَكْفِي فِي مَعْرِفَةِ فَضْلِهِ قَولُهُ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: (( وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيحِ المِسْكِ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: يترك طَعامَهُ وَشَرابَهُ و شَهْوَتَهُ مِن أَجْلِي الصِّيامُ لِي وَأَنا أَجْزِي بِهِ )) [٤]. وَقالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: (( لِلْجَنَّةِ بابٌ يُقالَ لَهُ الرَّيان لا يَدْخُلُهُ إِلا الصائِمُونَ )) [٥] و الصَّائِمُ مَوْعُودٌ بالفَرَحِ عِندَ لِقاءِ الله تَعالَى جَزاءً لصَومِهِ قالَ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (( لِلصائِمِ فَرْحَتان ، فَرْحَةٌ عِنْدَ إِفْطارِهِ وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقاءِ رَبِّهِ )) [٦].

---

(١) رواه بلفظه الترمذي في سننه كتاب الصوم باب(ما جاء في فضل الصوم) برقم (٦٩٥)، و رواه بلفظ قريب منه الإمام أحمد في مواضع من مسنده منها في (باقي مسند المكثرين)(مسند أبي هريرة رضي الله عنه) برقم (٧١٨١)، والنسائي في سننه كتاب الصيام برقم(٢١٨٥)، و ابن ماجة في سننه كتاب الصوم، باب(ما جاء في فضل الصوم) برقم (١٦٢٨).

(٢) تقدّم تخـريجه.

(٣) سورة الزمر آية (١٠).

(٤) الحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب الصوم، باب( فضل الصوم) برقم (١٧٦١)، و مسلم في صحيحه كتاب الصيام باب (فضل الصوم) برقم (١٩٤٤).

(٥) رواه البخاري في صحيحه كتاب الصوم، باب( الريان للصائمين) برقم (١٧٦٣)، و مسلم في صحيحه كتاب الصيام، باب (فضل الصوم) برقم (١٩٤٧).

(٦) الحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب الصوم، باب(باب هل يقول إني صائم إذا شُتِمَ) برقم (١٧٧١)، و مسلم في صحيحه كتاب الصيام باب (فضل الصوم) برقم (١٩٤٤).

وَقالَ وَكِيعٌ فِي قَولِهِ تَعالَى: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ (1): هِيَ أَيامُ الصِّيام إِذْ تَرَكُوا فِيهَا الأَكْلَ وَالشُّرْبَ.

وَقَدْ جَمَعَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي رُتْبَةِ المُباهاةِ بَيْنَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيا وَبَيْنَ الصَّومِ فَقالَ: (( إِنَّ الله تَعالَى يُباهِي مَلائِكَتَهُ بِالشابِ العابِدِ، فَيَقُولُ أَيُّها الشابُ التَّارِكُ شَهْوَتَهُ لأَجْلِي، المُبْتَذِلُ شَبابَهُ لِي أَنْتَ عِنْدِي كَبَعْضِ مَلائِكَتِي ))(2).

عبادَ الله: و الْيَومَ و قَدْ مَضَى مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ ما يُقارِبُ رُبُعَهُ فَلْيَسْأَلْ كُلٌّ مِنَّا نَفْسَهُ، وَكُلٌّ أَدْرَى بِما عَمِلَهُ فِي شَهْرِنا هَذا، فَهَلْ عَرَفْنا حَقَّ الله فِي هَذا الشَّهْرِ الكَرِيمِ ؟! وَحَقَّ أَنْفُسِنا فِيهِ ، هَلْ عَرَفْنا حَقَّ المَساجِدِ ، وَحَقَّ المُسْلِمِينَ مِنْ إِخْوانِنا ، هَلْ قُمْنا بِصِلَةِ أَرْحَامِنا ، هَلْ تَهَذَّبَتْ نُفُوسُنا مِنَ رُعُوْنَاتِها ، هَلْ قُمْنَا بِإِصْلاحِ ذاتِ بَيْنِنا ، وَإِبْعادِ الجَفْوَةِ الَّتِي جَرَّحَتْ نُفُوسَنا وَكَدَّرَتْ صَفْوَنا ، و نكَدَّتْ عَيْشَنا ، هَلْ ذهَبَ ما فِيهَا مِنْ حَقْدٍ وَحَسَدٍ وَغِلٍّ وَبُغْضٍ وَغَيْرِها مِنْ أَمْراضِ القُلُوبِ. اللَّهُمَّ وَفِّقْنا لِما تُحِبُّهُ وَتَرْضاهُ يا رَبَّ العالَمِينَ.

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و انْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ .

---

(1) سورة الحاقة آية (٢٤).

(2) أخرجه ابن المبارك في كتاب الزهد صفحة (١١٧)، و ابن أبي عاصم في الزهد صفحة (١٠٦)، و الديلمي في مسند الفردوس (٤/ ١١٢)، و أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٣٩).

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصَاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِــي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَـلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُـبْرَى ، و عَـنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَـاتِ الــمُؤْمِنِينَ ، وعَـنْ عَمَّـي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِــيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيِّـكَ تَحْـتَ الـشَّجَرَةِ، طَلْحَـةَ والزُّبَيــرِ ، وسَـعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْـحَابِ رَسُـولِ الله رِضْـوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَـةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَــا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِـنَ العَـذَابِ والنِــيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ فَـرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَـافِر الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوع بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِلاد الـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِـمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَوِّكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئاً ، سَحّاً عَامّاً دَائِماً مُبَارَكاً فِيهِ ، نَافِعاً غيرَ ضَارٍّ.﴿

رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

عِبَادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ ؛ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# فِقْهُ الصَّومِ و مَا يَتَعَلَّقُ بِرَمَضَانَ

## الخُطْبَـــةُ الأُوْلَى

الحَمدُ لله الَّذِي أَعْظَمُ عَلَى عِبادِهِ المِنَّـــةَ ، بِما دَفَعَ عَنْهُمْ كَيدَ الشَّيْطان وَفَنَّـهُ ، و بدَّدَ أَمَلَهُ وَخَيَّبَ ظَنَّهُ ، إِذْ جَعَلَ الصومَ حِصْناً لأَوْلِيائِهِ وَجُنَّةً ، وَفَتَحَ لَهُـمْ أَبْـوابَ الجَنَّةِ ، وَعَرَّفَهُمْ أَنَّ وَسِيلَةَ الشَّيْطان إِلى قُلُوبِهِمْ الشَّهَواتُ المُسْتَكِنَّةُ ، وَأَخْبَرَهُمْ بِـأَنَّ بقَمْعِهَا تُصْبِحُ النَّفْسُ مُطْمَئِنَّة.

وَأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلا الله وَحْـدَهُ لا شَرِيـكَ لَـهُ بِيَـدِهِ وَحْـدَهُ زِمـامُ نُفُوسِـنا والأعِنَّة، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنا محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ قائِدُ الخَلْقِ وَمُمَهِّد السُنَّةِ

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ، مَنْهَل الشَّرِيعَةِ وَمَنْبَع عَيْنِ اليَقِينِ القائِلِ: « مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ »[1] وَعلَى آلِهِ وَصَـحْبِهِ ذَوِي الأَبْـصارِ الثاقِبَةِ ، المُسْتَمْسِكِينَ بِحَبْلِ الله المَتِينِ.

أَما بَعْدُ: فأُوْصِيكُمْ أَيُّها المُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى فَإِنَّها مـلاكُ الأَمْـرِ كُلِّهِ ، وَمَصْدَرُ السَّعادَةِ فِي الدَّارَيْنِ ، فَتَزَوَّدُوا مِنْها بِأَوْفَرِ زادٍ ، لاسِيَّما فِي هَذا الـشَّهْرِ ، شَهْرُ الصَّلاحِ وَالْفَلاحِ ، شَهْرُ العِتْقِ وَالنَّجاحِ.

عِبادَ الله: وَنَحْنُ نَعِيشُ هَذا الشَّهْرَ المُبارَكَ ، لابُدَّ أَنْ نَفْقَهَ مالَـهُ عَلَيْنـا فِي فِقْـهِ الصَّومِ ؛ كَي تَكُونَ عَبادَتُنا فِيهِ صَحِيحَةً ، فَنَعْمَلَ مـا يَجِـبُ وَنَـتْرُكَ مـا يُفْـسِدُ مِـنْ

(١) حديث صحيح مشهور رواه الإمام البخاري في مواضع من صحيحه أوّلها في كتاب العلم، باب (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) برقم (٦٩)، و رواه الإمام مسلم في مواضع من صحيحه منها: كتاب الزكاة باب (النهي عن المسألة) برقم (١٧١٩).

أَقْوالٍ وَأَفْعالٍ ، كَما عَلَّمَنا إِيَّاها مُعَلِّمُنا الأَوَّلُ مُحمدٌ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَـلَّمَ، ثُـمَّ مَنْ بَعْدَهُ مِنَ العُلَماءِ:(( العُلَماءُ وَرَثَةُ الأَنبياءِ ))[1].

أَيُّها الإِخوَةُ الأَعِزَّاءُ: فُرِضَ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ الصَّومُ كَما فُرِضَ عَلَى غَيْرِها مِـنَ الأُمَمِ إلا أَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ امْتـازَت بِـصَومِ شَـهْرِ رَمَـضان ، فُـرِضَ الـصَّومُ فِي شَـهْرِ شَعْبانَ فِي الـسَّنَةِ الثانيَـةِ مِـنَ الهِجْـرَةِ ، فَـصامَ صَـلَّى الله عَلَيـهِ وَآلِـهِ وَسَـلَّمَ تِـسْعَ رَمَضاناتٍ ، وَاحِداً كامِلاً ( ثَلاثِينَ يَوْماً ) و ثَمانِيَـةً نَـواقِصَ تِـسْعَةً وَعِـشْرِينَ يَوْمـاً لِحِكْمَةٍ أَرادَها الله تَعالى.

وَلِلصَّومِ بَعدَ امتثالِ أمرِ الله تَعَالى حِكَمٌ كَثِـيرةٌ مِنْهَـا: قَهْـرُ الـنَّفْسِ ، وَكَـسْرُ الشَّهْوَةِ ، وَإِذاقَةُ الأَغْنِياءِ أَلَمَ الجُوعِ لِيَلْتَفِتُوا نَحْـوَ الفُقَـراءِ ، وَشُـكْرُ الله عَـلَى نِعْمَـةِ الصَّومِ وَما مُنِعَ عَنهُ لأَجْلِهِ ، وَالتَّحَرُّزُ عَنِ المَعاصِي.

وَلِلصَّومِ أَرْكانٌ وَشُرُوطٌ وَسُنَنٌ وَمُفْسِداتٌ يَجِبُ أَنْ نُلِمَّ بِها ، فَمِـنْ أَرْكانـهِ: النِّيَّةُ وَمَحَلُّها القَلْبُ لِكُلِّ يَوْمٍ ؛ لِقَولِهِ صَـلَّى الله عَلَيـهِ وَآلِـهِ وَسَـلَّمَ: ((إِنَّـما الأَعْـمالُ بِالنِيَّة))[2] ولأَنَّ صَوْمَ كُلِّ يَـوْمٍ عِبـادَةٌ مُـسْتَقِلَّةٌ ، ولا تَكْفِـي بِاللِّـسان، وَلا يُـشْتَرَطُ

(١) جزء من حديث رواه الإمام أحمد في مسنده(مسند الأنصار رضي الله عنهم) ( باقي حديث أبي الـدرداء رضي الله عنـه) برقم(٢٠٧٢٣)، و أبو داود في سننه كتاب العلم، باب(الحث على طلب العلم) برقم (٣١٥٧)، والترمـذي في سـننه كتـاب العلم، باب(ما جاء في فضل العلم على العبادة) برقم(٢٦٠٦)، و ابن ماجة في مقدمة سننه، باب(فضل العلماء والحـث على طلب العلم) برقم(٢١٩).

(٢) جزء من الحديث الصحيح المشهور فقد افتتح به الإمام البخـاري صـحيحه و رواه في مواضـع منـه عـن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إنما الأعمال بالنيَّة و إنما لكل لامرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرتـه إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه" و في رواية" إنما الأعمال بالنيَّات" و في رواية" العمل بالنيَّة"، ورواه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب(قوله صلى الله عليه وسلم: إنـما الأعـمال بالنيـة ) بـرقم

النُّطْقُ بِها لَكِنَّهُ يُنْدَبُ – أَيْ يُسَنُّ – ؛ لِتُساعِدَ الِّلسانُ القَلْبَ ، فَإِنْ كانَ الصَّومُ فَرْضاً كَرَمَضان فَلا بُدَّ مِنْ تَبْيِيتِها أَيْ إِيقاعُ النِّيَّةِ فِي أَيِّ جُزْءٍ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلى الفَجْرِ ، لِلخَبَرِ المَرْوِيِّ: ((مَنْ لَمْ يُبَيِّتْ النِّيَّةَ قَبْلَ الفَجْرِ فَلا صِيامَ لَهُ))[1] ، وَيَجِبُ التَّعْيِينُ فِي صَوْمِ الفَرْضِ ؛ لأَنَّهُ عِبادَةٌ مُضَافَةٌ إِلى وَقْتٍ، كالصَّلَواتِ الخَمْسِ ، وَأَكْمَلُها أَنْ يَقُولَ: ((نَوَيْتُ صَومَ غَدٍ عَنْ أَداءِ فَرْضِ رَمضان هَذِهِ السَّنَةِ إِيْماناً وَاحْتِسَاباً لِوَجْهِ الله الكَرِيم)).

وَلْيَحْذَر الصائِمُ أَنْ يُفْسِدَ صِيامَهُ بشَيءٍ مِنَ المُفْطِراتِ المُفْسِداتِ لِلصَّومِ وَهِيَ تِسْعَةٌ: (الأَوَّل ): وُصُولُ عَيْنٍ إِلَى جَوْفِ الصائِمِ مِنْ مَنْفَذٍ مَفْتُوحٍ مَعَ العَمْدِ والْعِلْمِ بِالتَّحْرِيمِ و الاخْتِيارِ ، وَالمَقْصُودُ بِالْعَينِ هُنا:الأَشْياءُ الَّتِي يُمْكِنُ التَّحَرُّزُ عَنْها ، وَإِنْ قَلَّتْ كَسِمْسِمَةٍ ، وَإِنْ لَمْ تُؤْكَلْ كَحَصاةٍ.

وَمِنْها: الدُّخَان المَعْرُوفُ ( السَّجَائِر ) وَأَمَّا مَا لا يُمْكِنُ التَّحَرُّزُ عَنْهُ فَلا يُفْسِدُ الصَّومَ كَغُبارِ الطَّرِيقِ ، وَغَرْبَلَةِ الدَّقِيقِ ، وَذُبَابٍ ، و بَعُوضٍ ، وَلا يُفَطِّرُ ما دَخَلَ مِنَ الأَعْيان مِنْ مَنْفَذٍ غَيرِ مَفْتُوحٍ كالدُّهْنِ وَالْكُحْلِ إِذَا وَصَلا إِلَى الجَوْفِ مِنَ المَسامِّ وَالْعَيْنِ.

---

(٣٥٣٠).

(١) رواه بلفظه النسائي في سننه كتاب الصيام برقم (٢٢٩١) من حديث حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، و رواه= =الإمام أحمد في مسنده (باقي مسند الأنصار)(حديث حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها) رقم (٢٥٢٥٢) بلفظ" مَن لم يجمع الصيامَ قَبْلَ الفجر فلا صيامَ له"، و كذا أبو داود في سننه كتاب الصوم، باب (النية في الصوم) برقم(٢٠٩٨)، ورواه الترمذي في سننه كتاب الصوم باب (ما جاء لا صيام لمن لم يعزم من الليل) برقم (٦٦٢).

( الثاني ): القَيءُ مَعَ العَمْدِ وَالْعِلْمِ بالتَّحَرِيمِ و الاختِيَارِ فَلَـو غَلَبَـهُ القَـيءُ لَمْ يَضُرَّ إنْ لَمْ يَعُدْ مِنْهُ شَيءٌ إِلَى جَوْفِهِ ؛ لِخَبَرِ ابْنِ حِبان: (( مَنْ ذَرَعَـهُ القَـيءُ -أَيْ غَلَبَـهُ وَهُوَ صائِمٌ - فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضاءٌ وَمَنْ اسْتَقاءَ- أَيْ طَلَبَ القَيءَ - فَلْيَقْضِ ))[1].

(الثالِثُ ): مِنَ الْمُفْطِراتِ مَعَ الإِثْمِ وَالكَفارَةِ: العَمَلِيَّةُ الجِنْسِيَّةُ ، أَيِ الجِماعُ فِي فَرْجٍ قُبُلاً كان أَوْ دُبُراً، وإِنْ لَمْ يُنْزِلْ، مَعَ العَمْدِ وَالْعِلْمِ بِالتَّحْرِيمِ ، والاختِيارِ و يُفْطِرُ بِهِ الوَاطِئُ وَالمَوْطُوءُ ( أَيِ الفاعِلُ وَالْمَفْعُولُ بِهِ )، وَمِمَّا يَجْدُرُ بِالإِشارَةِ لَـهُ هُنـا قَـولُ الرَّسُولِ ﷺ : (( مَنْ حَام حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ ))[2] أَيْ إِنَّ كَثِيراً مِـنَ النَّـاس فِي نَهارِ شَهْرِ رَمَضان يَخْتَلُونَ بِزَوْجاتِهِمْ وَقْتَ النَّومِ فِي نَهارِ رَمَـضان ، وَقَـدْ يَكُونَـا فِي فِراشٍ وَاحِدٍ، بِحَيْثُ تَكُونُ أَحْياناً الْمُلامَسَةُ وَالْمُباشَرَةُ ثُمَّ الْمُداعَبَةُ ثُـمَّ... ؛ لأَنَّ البَـشَرَ قَدْ يَصِلُونَ إِلَى حالَةٍ يَفْقِدُونَ فِيهَا شُعُورَهُمْ، والتَّنبيهُ أَكْثَرُ لِلشَّبابِ وَبِخاصَّةٍ مَنْ كـان قَرِيْبَ عَهْدٍ بِالزواجِ ، أَوْ مَنْ كان غائِباً مُهاجِراً وَجاءَ إِلَى أَهْلِهِ قُـرْبَ شَـهْرِ رَمَـضان، هَؤُلاءِ قَدْ تَزِلُّ أَقْدامُهُمْ، لِذا خَيْرٌ لَهُمْ الابْتِعادُ عَنِ الاخْتِلاءِ بِزَوْجـاتِهِمْ فِي نَهـارِ شَـهْرِ رَمَضان لِقَولِ الرَّسُولِ ﷺ : (( دَعْ ما يَرِيبُكَ إِلَى مالا يَرِيبُكَ ))[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (باقي مسند المكثرين ) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم(١٠٠٥٨)، و رواه أبو داود في السنن كتاب الصيام، باب (الصائم يستقي عمداً) برقم(٢٠٣٢)، والترمذي في سننه كتـاب الصوم، باب(ما جاء فيمن استقاء عمداً) برقم(٦٥٣).

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب (فضل من استبرأ لدينـه) بـرقم (٥٠) و رواه في كتاب البيوع باب (الحلال بيِّن و الحرام بيِّن و بينهما مشتبهات) برقم (١٩١٠) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ، و رواه مسلم في صحيحه كتاب المساقاة، باب (أخذ الحلال و ترك الشبهات) برقم (٢٦٦٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في المـسند (مـسند أهـل البيـت )(حـديث الحـسن بـن عـلي بـن أبي طالـب رضي الله عنهم)برقم(١٦٣٠)، و رواه الترمذي في سننه كتاب(صفة القيامة و الرقائق و الورع) برقم (٢٤٤٢) و قال عقبه: و هذا حديث حـسن صـحيح، و رواه النـسائي في سـننه كتـاب الأشربـة، بـاب ( الحـث عـلى تـرك

(الرَّابِعُ ) مِنَ المُفْطِراتِ: نُزُولُ المَنِيِّ بِمُباشِرٍ كالاسْتِمْناءِ بِالْيَدِ- أَيْ ما يُسَمَّى بِالعادَةِ السِّرِّيَّةِ - ، وَلَيْسَ مِنْهُ الاحْتِلامُ.

(الخامِسُ وَالسادِسُ): الجُنُونُ وَالرِّدَّةُ -أَعاذَنا الله مِنْها- و هِيَ الخُـرُوجُ مِـنَ الدِّينِ بِاعْتِقادٍ ، أَوْ قَولٍ ، أَوْ عَمَلٍ وَالعِياذُ بِالله.

(السَّابِعُ و الثَّامِنُ و التاسِعُ ): وَهي مُبْطِلاتٌ ثَـلاثٌ تَخْـتَصُّ بِالنِّـساءِ فَقَـطْ: الحَيْضُ وَالنِّفاسُ وَالوِلادَةُ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي مَعْرِفَتُهُ بَعْدَ هَذِهِ المُفْسِداتِ لِلصَّومِ ما يَتَرَتَّبُ عَلَى مَنْ أَفْطَرَ بِـشيءٍ مِنْها وَهِيَ خَمْسَةُ أَنْواعٍ انتَبِهُوا إِلَيْها جَيِّداً:

١- مِنَ المُفْطِرِينَ فِي رَمَضان مَنْ لا يَجِبُ عَلَيهِ شيءٌ إِطْلاقـاً لا قَـضاءٌ ولا فِدْيَـةٌ وَلا كَفارَةً مِثْلُ المَجْنُونِ ، وَالسَّكْرانِ الَّلذِينِ لَمْ يَتَعَدَّيا بِالجُنُونِ وَالسُّكْرِ ، كَأَنَّ جُـنَّ بِغَـيْرِ سَبَبٍ ارْتَكَبَهُ يُؤَدِّي إِلى الجُنُونِ ، وَالسكْر كَأن شَرِبَ مُسْكِراً و هُوَ لا يَعْرِفُ أَنَّه مُـسْكِرٌ ، أَمَّا إِذا تَعَدَّيا فَعَلَيْهِما القَضاءُ وَالإِثْمُ ، وَمِنْ هَذا النَّوْعِ الصَّبِيُّ وَالكافِرُ الأَصْلِيُّ.

٢- مِنَ المُفْطِرِينَ مَنْ يَجِبُ عَلَيهِ القَضاءُ فَقَطْ ، وَهُمْ كَثِيرُونَ مِنهم: مَنْ تَعَمَّدَ الفِطْرَ بِغَيْرِ جِماعٍ لِغَيْرِ عُذْرٍ ، و مَنْ لَمْ يُبَيِّت النِيَّةَ ، وَمَنْ تَسَحَّرَ ظَانّــاً بَقاءَ الَّلَيْلِ فَبان خِلافُهُ ، وَمـن أَفْطَـرَ ظَانّــاً الغُـرُوبَ فَبـان نَهـاراً ، وَالحـائِضُ و النُّفَـساءُ ، وَكَـذَا السَّكْرَانُ وَالمَجْنُونُ المُتَعَدِّيانِ ، والمُسافِرُ ، وَالمَرِيضُ الَّذِي يُرْجَى بُرْؤُهُ ، وَحامِـلٌ أو مُرْضِعٌ خافَتا عَلَى نَفْسَيْهِما فَقَطْ ، أَوْ عَلَى نَفْسَيْهِمَا وَعَلَى المَولُودِ مَعاً.

---

الشبهات) برقم (٥٦١٥).

٣- مُوجِبٌ للْفِدْيَةِ فَقَطْ و هِيَ مُدُّ طَعَامٍ عَنْ كُلِّ يَومٍ ؛ عن الشَّيخِ الهَرِمِ وَالمَرِيضِ الَّذِي لا يُرْجَى بُرؤُهُ - أَيْ مُصابٍ بِمَرَضٍ عُضالٍ مُزْمِنٍ لا شِفاءَ مِنْهُ -.

٤- مُوجِبٌ لِلْقَضاء وَالْفِدْيَةِ مَعاً عَلَى الحامِلِ وَلَو مِنْ زِناً ، و مُرْضِعٍ وَلَو مُسْتَأْجَرَةً أَوْ مُتَبَرِّعَةً أَفْطَرَتا خَوفاً عَلَى الوَلَد وَحْدَهُ ، وَكَذَا عَلَى مَنْ أَخَّرَ قَضاءَ رَمَضان أَوْ شيءٍ مِنْهُ بِغَيْرِ عُذْرٍ حَتَّى دَخَلَ رَمَضَان آخَرُ ، و تَتَكَرَّرُ الفديةُ بِتَكَرُّرِ السِّنِينَ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مُدُّ طَعامٍ.

٥- مَا يُوجِبُ القَضاءَ وَالْكَفَّارَةَ مَعاً: وَهُوَ الجِماعُ فِي نَهارِ رَمَضان ، وَالْكَفارَةُ هُنا مُرَتَّبَةٌ عَلَى ثَلاثِ دَرَجاتٍ أَوَّلاً: عِتْقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ سَلِيمَةٍ مِنْ العُيُوبِ المُضِرَّةِ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْها- وَهِيَ قد لا تُوجَدُ فِي زَمانِنا هَذَا - أَوْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ثَمَنِها ؛ فَصِيامُ شَهرَينِ هِلالِيَّيْنِ مُتَتابِعَيْنِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً مِنْ أَهْلِ الزَّكاةِ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُدٌّ ، وَلَو عَجَزَ عَنْ جَمِيعِ الخِصالِ الثَّلاثِ، اسْتَقَرَّتْ الكَفارَةُ فِي ذِمَّتِهِ ؛ لِما ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَينِ(١) أَنَّ رَجُلاً مِنْ سُكان المَدِينَةَ جاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقالَ: هَلَكْتُ يا رَسُولَ الله، قالَ: (( وَما أَهْلَكَكَ ؟)) قالَ: واقَعْتُ امْرَأَتِي فِي نَهارِ رَمَضان، فقالَ له رَسُولُ الله: (( هَلْ تَجِدُ ما تَعْتِقُ رَقَبَةً ؟)) قالَ: لا، قالَ: ((فَهَلْ تَجِدُ ما تُطْعِمُ بِهِ سِتِّينَ مِسْكِيناً ؟)) قالَ: لا، ثُمَّ جَلَسَ فَأُتِيَ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ( مِكْتَل مِنْ خُوصِ النَّخِيلِ) فِيهِ تَمْرٌ فَقالَ لَهُ النَّبِي صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : ((تَصَدَّقْ بِهَذا )) ؛ فَقالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنَّا يا

---

(١) صحيح البخاري كتاب الصوم، باب (إذا جامع الرجل في نهار رمضان و لم يكن له شيء فتصدَّق)رقم(١٨٠٠) و ذكره في مواضع أخرى، صحيح مسلم كتاب الصوم، باب (تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم) برقم(١٨٧٠).

رَسُولَ الله ؛ فَوَ الله مَا بَيْنَ لابَتَيْها ( أَيْ جَبَلَي المَدِينَة ) أَهْـلُ بَيْـتٍ أَحْـوَجُ إِلَيـهِ مِنَّـا ؛ فَضَحِكَ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَواجِذُهُ ثُمَّ قالَ: «اِذْهَبْ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَـكَ » ؛ فَأَخَـذَ الفُقَهـاءُ مِن قَولِ النَّبِيِّ ﷺ هَذَا مَآخِذَ عِدَّةً مُفَصَّلَةً فِي كُتُبِ الفِقْهِ المُخْتَلِفَةِ.

فَعَلَيكَ الصَّلاةُ والسَّلامُ يا رَسُولَ الله ، لَقَدْ عَلَّمَنا كَيْفَ نُقابِلُ الفُقَـراءَ البائِـسِينَ وَنَمْسَحُ دُمُوعَهُمْ ، وَنَجْبُرُ خَواطِرَهُمْ فِي رَمَضان ، وَلَكِنَّا تَلَوَّثْنَا بِداءِ الـشُّحِّ وَالبُخْـلِ ، وَالأَثْرَةِ ، فتَنَكَّرَتْ أَخْلاقُنا ، وَفَسَدَتْ طِباعُنا ، وَصِرْنـا عَبِيـداً لِلـدِّينارِ وَالـدِّرْهَمِ كَـما قُلتَ فِي حَدِيثِكَ يا رَسُولَ الله: «تَعِسَ عَبْـدُ الـدِّينارِ وَالـدِّرْهَمِ و الخَمِيـصَةِ»[1] فَفِـي الوَقْتِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَرْحَمَ الغَنِيُّ الفَقِيرَ ، وَالقَوِيُّ الضَّعِيفَ، يَلْبَسُ التُّجَّارُ الكِبارُ مِنَّا فِي مُقَدَّمِ شَهْرِ رَمَضانَ المُبارَكِ جُلُودَ النّمُورِ ، وَيُكَشِّرُونَ عَـن أَنيـابِ الوُحُـوشِ بِرفْـعِ أَسْعارِ المَوادِّ التَّمْوِينِيَّةِ ارْتِفاعاً فاحِشاً ؛ لِيَمْتَصُّوا دِماءَ الفُقَراءِ، وَيَبْتَزُّوا مـا بِأَيْـدِيهِمْ مِـن دُرَيهِماتٍ ، فَلا يَخْسَرُ إِلا الفَقِيرُ المُدقعُ ذُو العِيالِ قَلِيلُ المالِ.

أَيُّها الإِخْوَةُ الصائِمُونَ القائِمُونَ: بَعْدَ أَنْ عَرَفْنا مُفسِداتِ الصَّومِ عَلَينـا أَنْ نَعْرِفَ سُنَنَهُ ومَنْدُوباتِهِ ؛ لِنَعْمَلَ بِها ما اسْتَطَعْنا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً وَهِـيَ كَثِـيرَةٌ، مِنْهـا: السَّحُورُ: لِلْخَبَرِ الصَّحِيحِ: «تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي الـسَّحُورِ بَرَكَـةً»[2] و الْبَرَكَـةُ الأَجْـرُ وَالثَّوابُ و الاسْتِعَانَةُ على الصَّومِ و يُؤَيِّدُ ذلك خَبَرُ: «اِسْتَعِينُوا بِطَعامِ السَّحَرِ عَـلَى

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب( الجهاد والسير) باب (الحراسة في الغزو في سبيل الله) بـرقم (٢٦٧٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" تَعِسَ عبدُ الـدينارِ والـدرهمِ و القَطيفـةِ و الخميصةِ إن أُعطِيَ رضي وإن لم يُعْطَ لم يَرضَ ".

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الصوم، باب (بركة السُّحور من غير إيجـاب) بـرقم (١٧٨٩)، و رواه مسلم في صـحيحه كتـاب الـصيام،باب (فـضل الـسَّحور و تأكيـد اسـتحبابه و اسـتحباب تـأخيره) بـرقم (١٨٣٥).

صِيامِ النَّهارِ ، وَبِالْقَيْلُولَةِ عَلَى قِيامِ اللَّيلِ »[1] وَيَدْخُلُ وَقْتُ السُّحُورُ بِنِصْفِ اللَّيْلِ ، وَيُسَنُّ تَأْخِيْرُهُ و تَقْرِيْبُهُ مِنَ الفَجْرِ ؛ لِما صَحَّ عَنْ زَيْدِ بن ثابِتٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قالَ: « تَسَحَّرْنا مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قُمْنا إِلَى الصَّلاةِ ( أَيْ صَلاةِ الصُّبْحِ ) وَكان قَدْرُ ما بَيْنَهما خَمْسِينَ آيَةً »[2] وَهُوَ ما يَقْرُبُ مِنْ عِشْرِينَ دَقِيقَةً ، مَا لَمْ يَكُنْ شَكٌّ فِي الوَقْتِ ، وَيَحْصُلُ السَّحُورُ بِقَلِيلِ المَأْكُولِ وَالمَشْرُوبِ فَقَد رَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ[3] حَدِيثَ: « تَسَحَّرُوا وَلَو بِجُرْعَةِ ماءٍ »، وَلَو أَخَّرَ السَّحُورَ فَطَلَعَ الفَجْرُ وَفِي فَمِهِ طَعامٌ فَرَماهُ حالاً صَحَّ صَوْمُهُ ، وَإِنْ سَبَقَ مِنْهُ شيء إِلَى جَوْفِهِ ، وَكَذا لَو كان مُجامِعاً فَطَلَعَ الفَجْرُ فَنَزَعَ حالاً عَقِبَ طُلُوعِ الفَجْرِ لَمَّا عَلِمَ بِهِ و إِنْ أَنزَلَ.

وَمِنْ سُنَنِ الصَّومِ: تَعْجِيلُ الفِطْرِ عِنْدَ تَيَقُّنِ الغُرُوبِ ، فَإِنْ شَكَّ فَلا يُعْجِّلْ ؛ لِخَبَرِ الصَّحِيحَينِ[4]: « لا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ ما عَجَّلُوا الفِطْرَ » ؛ وَلِما صَحَّ : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يُفْطِرُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى رُطَباتٍ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَعَلَى تَمَراتٍ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَسَا حَسوَاتٍ مِنْ ماءٍ »[5] وَيَحْصُلُ الفُطُورُ بِتَناوُلِ شيءٍ مِنَ المُفَطِّرَاتِ غَيْرِ الجِماعِ.

---

(١) رواه ابن ماجة في سننه كتاب الصيام، باب (ما جاء في السحور ) برقم (١٦٨٣) و في سنده زَمْعَة بن صَالح وهو ضعيف.

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب (الصوم )باب (قدر كم بين السحور وصلاة الفجر) برقم(١٧٨٧).

(٣) صحيح ابن حبان (٨ / ٢٥٣ )، و روى الإمام أحمد في مسنده (باقي مسند المكثرين) برقم (١٠٩٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" السُّحورُ أَكلَةٌ بَرَكَةٌ فلا تدعوه و لو أن يجرع أحدُكم جرعةً من ماءٍ فإنَّ اللهَ وملائكَتَه يُصلون على المتسَحِّرين".

(٤) رواه البخاري في صحيحه كتاب الصوم، باب (تعجيل الإفطار) برقم (١٨٢١)، و رواه مسلم في صحيحه كتاب الصيام، باب (فضل السَّحور و تأكيد استحبابه و استحباب تأخيره) برقم (١٨٣٨).

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده (باقي مسند المكثرين)( مسند أنس بن مالك رضي الله عنه) برقم (١٢٢١٥)، و أبو داود في سننه كتاب الصوم، باب (ما يفطر عليه) برقم (٢٠٠٩)، و الترمذي في سننه كتاب الصوم،

وَيَحْرُمُ الوِصالُ وَهُوَ عَدَمُ الفِطْرِ وَوَصلُ الصِّيامِ ، وَيُسَنُّ أَنْ يَقُولَ الصائِمُ عِنْدَ فِطْرِهِ:( اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ ، وَعَلَيكَ تَوَكَّلْتُ ، ذَهَبَ الظَّمأ وَابْتَلَّتْ العُرُوقُ وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شاءَ اللهُ، يا واسِعَ الفَضْلِ اِغْفِرْ لِي، الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَعَانني فَصُمْتُ ، وَرزَقَنِي فَأَفْطَرْتُ ، اللَّهُمَّ وَفِّقْنا لِلصِّيامِ ، وَبَلِّغْنا فِيهِ القِيامَ ، وَأَعِنَّا عَلَيهِ وَالناسُ نِيامٌ وَأَدْخِلْنَا الجَنَّةَ بِسَلامٍ ).

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي المُهْتَدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [1] وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [2] .أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [3] .

بارَكَ الله لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

باب (ما جاء ما يُستَحَبُّ الإفطارُ عليه) برقم (٦٣٢).

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) سورة البقرة الآيتين (١٨٢-١٨٣).

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الـصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَـشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَـرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ الْمُحَيَّا والْمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

أما بعدُ: فيا عِبَادَ الله: أُوصِـيكُمْ وَنَفْـسِيَ بِتَقْـوَى الله تَعـالى، اتَّقُـوا الله مِـنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

اعْلَمْ أَيُّها الصائِمُ وَفَّقَنِي الله وَإِياكَ أَنَّ لِلصَّومِ مَكْرُوهاتٍ يُثَابُ تارِكُها ، وَقَدْ تَذْهَبُ بِأَجْرِ الصَّومِ، فَرُبَّ صائِمٌ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِـيامِهِ إِلا الجُـوعُ وَالْعَطَـشُ وَهِـيَ كَثِيرَةٌ، بينها أُمُورٌ مُحَرَّمَـةٌ يَجِـبُ اجْتِنَابُهـا في كُـلِّ وَقـتٍ، و لَكِـنْ في رَمَـضَانَ أَشَـدَّ الاجْتِنَابِ منها: السَبُّ وَالشَّتْمُ ، وَهُوَ مُشافَهَةُ الغَيْرِ بِما يَكْرَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُـنْ فِيـهِ حَـدُّ القَذْفِ، كَيا أَحْمَقُ، وَيا ظَالِمُ ، فَإِنْ شَتَمَكَ أَحَـدٌ فَلْتَقُـلْ: إِنِّي صـائِمٌ مَـرَّتَيْنِ أَوْ أَكْثَـرَ بِلِسانِكَ بِنِيَّةٍ كَفِّ نَفْسِكَ وَوَعْظِ الشاتِمِ ، ؛ لِقَولِـهِ صَـلَّى الله عَلَيـهِ وَآلِـهِ وَسَـلَّمَ :((

الصِّيامُ جُنَّةٌ فَإِذا كان أَحَدُكُمْ صائِماً فَلا يَرْفُثْ وَلا يَجْهَلْ ، فَإِنْ امْرَأً قَاتَلَـهُ أَوْ شـاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صائِمٌ مَرَّتَيْنِ » [1]، وَمِـن هَـذِهِ الأُمُـورِ الْمُنْكَـرَةِ الكَـذِبُ: وَهُـوَ الإِخْبـارُ بِخِلافِ الواقِعِ و هُوَ دَاءٌ انْتَشَرَ في النَّـاسِ انتِـشَار النَّـارِ في الهَـشِيمِ و العِيَـاذُ بِـالله، وَمِنْها الغِيْبَةُ: وَهِيَ ذِكْرُكَ أَخاكَ الْمُسْلِمَ بِمَا يَكْرَهُ وَلَو كُنْتَ صـادِقاً ، أَمَّـا إِنْ لَمْ يَكُـنْ فِيهِ ما قلتَ فَقَدْ بَهَتَّهُ ، وَمِنْها: النَّمِيمَةُ: وَهِيَ السَّعْيُ بَيْنَ النَّاس بِالفَسادِ.

و مِنَ الأُمُورِ المكْرُوهَةِ للصَّائِمِ: الحِجَامةُ ؛ لِـخَبَرِ « أَفْطَرَ الحاجِمُ وَالمَحْجُـومُ» [2]: أَيْ تَعَرَّضَا لِلإِفْطارِ ، و منها تَأْخِيرُ الإِفْطارِ وَتَقْدِيمُ السَّحُورِ ، وَ الاسْتِياكُ بَعْدَ الزَّوالِ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي المُحافَظَةُ عَلَيهِ فِي شَـهْرِ رَمَـضان الكَـرِيم صَـلاةُ الـتَّراوِيحِ وَهِـيَ عِشْرُونَ رَكْعَةً بِعَشْرِ تَسْلِيماتٍ، أَيْ أَنَّها تُصَلَّى مَثْنَـى مَثْنَـى كُـلُّ رَكْعَتَـيْنِ بِتَـسْلِيمَةٍ، وَهِيَ مِنْ خَصائِصِ شَهْرِ رَمَضان ، وَمَنْ فاتَهُ شيء فَلْيَقْضِهِ فِيما تَبْقَّـى مِـنْ رَمَـضان وَكَذا صَلاةُ الوِتْرِ جَماعَةٌ فِيهِ ، وَهُوَ المَقْصُودُ بِقَولِهِ عَلَيْـهِ الـصَّلاةُ وَالـسَّلامُ: « مَـنْ صامَ رَمَضان وَقامَهُ إِيْماناً وَاحْتِساباً غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » [3].

وَلا تَنْسَ يا أَخِي الصائِم القَائِم تِلاوَةَ القُرْآنِ فِي شَهْرِ القُرْآنِ فَإِنَّ فِيهَا الأَجْرَ الكَبِـيرَ ، وَكان رَسُولُ الله ﷺ يَتَدارَسُ القُرْآنَ مَعَ جِبْرِيلَ عَلَيهِ السَّلامُ فِي شَهْرِ رَمَضان [4].

---

(١) سبق تخريجـه.

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في مواضع من مسنده منها في (مسند المكيين) (حديث رافع ابـن خـديج رضي الله عنه ) برقم(١٥٢٦٨) ورواه عن عدد من الصحابة أيضاً منهم أبو هريـرة و ثوبـان و شـدَّاد بـن أوس و أسامة بن زيد و معقل بن سنان رضي الله عنهم أجمعين، وذكره الإمام البخاري في صحيحه معلَّقاً في كتـاب( الصوم) باب ( الحجامة والقيء للصائم)، و رواه بقية أهل السنن إلا النسائي.

(٣) تقدَّم تخريجـه.

(٤) رواه الإمام البخاري في مقدمة صحيحه كتاب بدء الوحي برقم (٥) عن ابن عباس قال:" كـان رسـول الله ﷺ أجودَ الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كـل ليلـة مـن رمـضان

كَمَا لا تَفُوتَنَّكَ الصَّدَقَةُ وَأَعْمالُ البِرِّ ، وَأَفْعالُ الخَيْرِ ما اسْتَطَعَتْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً ، وَعَلَيْكَ بِتَعَهُّدِ الضُّعَفاءِ ، مِنَ الفُقَراءِ وَالأَرامِلِ وَالأَيْتامِ وَالعَجَزَة وَمُواساتِهِمْ لاسِيَّما الأَرْحامُ ، فَقَدْ وَرَدَ:(( أنه كان عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَجْوَدُ ما يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَان ))وَيَنْبَغِي الإكْثارُ مِن الاعْتِكافِ فِي المَساجِدِ لاسِيَّما فِي العَشْرِ الأَواخِرِ مِنْهُ لِطَلَبِ لَيْلَةِ القَدْرِ.

اللَّهُمَّ بارِكْ لَنا فِي شَهْرِ رَمَضانَ ، وَاجْعَلْنا مِنْ عُتَقائِهِ وَنُقَذائِهِ مِنَ النارِ يا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ ، وَأَهِلَّهُ عَلَيْنا وَعَلَى العَالَمِ الإِسْلامِي بَلِ العَالَمِ أَجْمَع بِالْيُمْنِ وَالْبَرَكَةِ وَالسِّلْمِ وَالسَّلامِ وَالأَمْنِ وَالأَمان وَالإِيْمان ، و الطُّمَأْنِينَةِ والاطْمِئْنَانِ يا كَرِيمُ يا عَزِيزُ يا حَنَّانُ.

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و انْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصَاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَلِي ، والمَقَامِ الأَفْضَلِ:

سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِي ، وعَنْ رَيْحَانَتَي نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّةِ ، أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ ،

---

فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجودُ بالخير من الريح المرسلة"، و رواه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل، باب(كان النبي صلى الله عليه وسلم أجودَ الناس) برقم (٤٢٦٨).

(٤) انظر الهامش السابق.

وأَبِـي عَبْدِالله الـحُسَينِ وعَلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُـولِ ، و عَـنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُـبْرَى ، و عَـنْ عَائِـشَةَ الرِّضَـا، و سَـائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِـكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَـيرِ النَّـاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّـذِينَ بَـايَعُوا نَبِيِّـكَ تَحْـتَ الشَّجَرَةِ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيـدَةَ، و عَـنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَـةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ فَـرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُـمَّ اغْفِـرْ لِلْمُـؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَـاتِ، والـمُـسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَانَا ، وعَـافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَـا

، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَوِّكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئاً ، سَحّاً عَامّاً دَائِماً مُبَارَكاً فِيهِ ، نَافِعاً غيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

عِبَادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَإِيتَآيِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ ؛ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# رَمَضَانُ و القُرْآنُ

## الخطبة الأولى

الحَمْدُ لله المُبْتَدِئِ بِحَمْدِ نَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَحْمَدَهُ حامِدٌ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، الرَبُّ الصَّمَدُ الوَاحِـدُ الحَـيُّ القَيُّـومُ ذُو الجَـلالِ وَالإِكْـرامِ ، وَالمَواهِبِ العِظامِ ، وَالخالِقِ لِلإِنْسانِ، وَالمُرْسِـلِ رَسُـولَهُ محمـداً بِالْبَيـانِ وَالحِكْمَـةِ وَالقُــرْآنِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَـيِّدَنا مُحمـداً عَبْـدُهُ وَرَسُـولُهُ صَـلَّى الله عَلَيـهِ مـا اخْتَلَـفَ المَـلَـوانِ ، وَتَعاقَبَ الجَدِيدانِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ: فيا أَيُّها المُسْلِمُونَ أُوصِيكُمْ وَ نَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى.

عِبـادَ الله: لَـيْسَ لِرَمَـضانَ فِي الـشُّهُورِ عِـوَضٌ وَلا كَمُفْتَرَضِـهِ مُفْـتَرَضٌ ، فَأَوْجَبَ الله عَلَينَا صِيامَهُ ، وَنَدَبَ لَنا قِيامَهُ ، وَالمَقْصُودُ مِنَ الـصِّيامِ حَـبْسُ الـنَّفْسِ مِنَ الشَّهَواتِ، وَفِطَامُهَا عَنِ المَأْلُوفَاتِ ، وَتَعْدِيلُ قُوَّتِها الشَّهْوانِيَّةِ، لِتَـسْتَعِدَّ لِطَلَـبِ ما فِيهِ غايَةُ سَعادَتِها وَنَعِيمِها ، وَقَبُولُ ما تَزْكُو بِهِ مِمَّا فِيـهِ حَياتُهـا الأَبَدِيَّـةُ ، وَيَكْـسِرُ الجُوعُ وَالظَّمَـأُ مِنْ حِدَّتِها وَسَوْرَتِها ، وَيُذَكِّرُها بِحَالِ الأَكْبادِ الجائِعَةِ دائِماً ، وَتَضِيقُ مَجارِي الشَّيْطانِ مِـنَ العَبْـدِ بِتَـضْيِيقِ مَجـارِي الطَّعـامِ وَالـشَّرابِ ، وَلِلـصَّوم تَـأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ الجَـوارِحِ الظَّـاهِرَةِ ، وَالقُـوَى البَاطِنَـةِ ، وَحِمَايَتِهَـا عَـنِ التَّخْلِـيطِ الجالِبِ لَهَا ما يُفْسِدُها؛ لأَنَّ المَعِدَّةَ بَيْتُ الدَّاءِ ، وَالحِمْيَةُ رَأْسُ كُلِّ دَواءٍ ، وَأَصْلُ كُلِّ داءٍ البُرَدَاءُ وَهِيَ إِدْخالُ الطَّعامِ على الطَّعَامِ.

وَقَدْ عَرَفْنا مِمَّا تَقَدَّمَ الكَثِيرَ عَنِ الصَّومِ ، وَ يَجْدُرُ بِنا أَنْ نُلِمَّ به.

وَمِما يَخْتَصُّ بِهِ شَهْرُ رَمَضانَ تِلاوَةُ القُرْآنِ ، وَهُوَ كِتـابُ الله المُبِـينُ ، الفَـارِقُ بَيْنَ الشَكِّ وَاليَقِينِ ، الَّذِي أَعْجَزَ الفُصحَاءَ ، وأعيى الأَلِبَّاءَ ، وَأَخْرَسَ البُلَغاءَ ، فَلا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَو كانَ بَعْـضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِـيراً ، جَعَـلَ أَمْثالَـهُ عِـبَراً لِمَـنْ تَـدَبَّرَها ، وَأَوامِرَهُ هُدىً لِمَنْ اسْتَبْـصَرَها ، وَشَرَحَ فِيـهِ وَاجِبـاتِ الأَحْكـامِ ، وَفَـرَّقَ فِيـهِ بَـيْنَ الحَـلالِ وَالحَـرامِ ، فَقَـالَ تَعـالَى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ﴾[1] خاطَـبَ بِـهِ أَوْلِياءَهُ فَفَهِمُوا ، وَبَيَّنَ لَهُمْ فِيـهِ مُـرادَهُ فَعَلِمُـوا ، فَقُـرَّاءُ القُـرْآنِ هُـمْ حَمَلَـةُ سِرِّ الله المَكْنُونِ ، وَحَفَظَةُ عِلْمِهِ المَخْزُونِ ، وَخُلَفاءُ أَنْبِيائِهِ وَأُمَناؤُهُ ، وَهُمْ خاصَّـتُهُ وَخِيرَتُـهُ وَأَصْفِياؤُهُ ، قالَ رَسُولُ الله ﷺ : (( إِنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنَّا، قالُوا: يا رَسُـولَ الله مَـنْ هُـمْ ؟ قال: أَهْلُ القُرْآنِ هُمْ أَهْلُ الله وَخاصَّتُهُ ))[2]، فَما أَحَقَّ مَنْ عَلِمَ كِتابَ الله بِأَنْ يَزْدَجِرَ بِنَواهِيهِ ، وَيَتَذَكَّر ما شَرَحَ لَهُ فِيهِ ، وَيَخْشَى الله وَيَتَّقِيهِ ، وَيُراقِبهُ وَيَـسْتَحْيِي مِنـهُ ، أَلا وَإِنَّ الحُجَّةَ عَلَى مَنْ عَلِمَهُ فَأَغْفَلَهُ أَوْكَدُ مِنْها عَلَى مَنْ قَصُرَ عَنْهُ وَجهِلَـهُ، وَمَـنْ أُوتِيَ عِلْمَ القُرْآنِ فَلَمْ يَنْتَفِعْ ، وَ زَجَرَتْهُ نَواهِيهِ فَلَـمْ يَرْتَـدِعْ ، كـانَ القُـرْآنُ حُجَّـةً عَلَيـهِ ، وَخَصْماً لَدَيْهِ ، كَما قالَ عَلَيهِ الـصَّلاةُ وَالـسَّلامُ: (( القُـرْآنُ حُجَّـةٌ لَـكَ أَوْ عَلَيـكَ ))[3] أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) سورة الأنعام من الآية (٣٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده: (باقي مسند المكثرين ) (باقي مسند أنس بن مالك ﷺ) رقم الحديث (١١٨٤٤)، و رواه ابن ماجة في مقدمة سننه: باب(فضل من تعلم القرآن وعلّمه) رقم الحديث (٢١١).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب(فضل الوضوء) برقم (٣٢٨) و لفظه " الطهور شطر الإيمان، و الحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، و الصبر ضياء، و القرآن حجة لك أو عليك ؛ كلُّ الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها".

فالْواجِبُ إذاً عَلَى مَنْ خَصَّهُ الله بِقِرَاءَةِ كِتابِهِ أَنْ يَتْلُوهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ وَيَرْعاهُ حَقَّ رِعايَتِهِ ، وِيَتَدَبَّرَ عِبَارَاتِهِ ، وَيَتَفَهَّمَ عجَائِبَهُ ، وَيَتبَيَّنَ غَرائِبَهُ ، فَقَد قَالَ تَعالَى فِي عُلاهُ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[1].

فَيا حَامِلَ القُرْآنِ: اِعْلَمْ عِلْمَ اليَقِينِ بَلْ عَيْنَ اليَقِينِ ، بَلْ حَقَّ اليَقِينِ ، أَنَّ هَذا القُرْآنَ الَّذِي تَحْمِلُهُ هُوَ ما رُوِيَ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قالَ: قالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ هَذا القُرْآنَ مَأْدَبَةُ الله فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ ما اسْتَطَعْتُمْ ، إِنَّ هَذا القُرْآنَ حَبْلُ الله ، وَهُوَ النُّورُ المُبِينُ ، وَالشِّفاءُ النافِعُ ، عِصْمَةً لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ ، وَنَجاةً لِمَنِ اتَّبَعَهُ ، لا يَعْوَجُّ فَيَتَقَوَّمُ ، وَلا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ ، وَلا تَنْقَضِي عَجائِبُهُ ، وَلا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ ، فاتْلُوهُ فَإِنَّ الله يؤجِرُكُمْ عَلَى تِلاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسنَاتٍ ، أَمَّا إِنِّي لا أَقُولُ آلم حَرْفٌ ، وَلا أَلْفِيَنَّ أَحَدَكُمُ واضِعاً إِحْدَى رِجْلَيْهِ يَدَعُ أَنْ يَقْرَأَ سُورَةَ البَقَرَةِ ؛ فَإِنَّ الشَّيْطانَ يَفِرُّ مِنَ البَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ ، وَإِنَّ أَصْفَرَ البُيُوتِ مِنَ الخَيْرِ - أَيْ أَفْقَرَها - البَيْتُ الصِّفْرُ مِنْ كِتابِ الله أَيْ الخالِي »[2].

وَمِمَّا رَواهُ البُخارِيُّ عَنْ عُثْمانَ ابْنِ عَفانَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ »[3]، وَ رَوَى البُخارِيُّ و مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِي رَضِيَ الله عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ: « مَثَلُ المُؤْمِنِ يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ رِيحُها طَيِّبٌ وَطَعْمُها طَيِّبٌ ، ومَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ

---

(١) سورة مُحَمَّد الآية (٢٤).

(٢) رواه الدارمي مختصراً في سننه: كتاب(فضائل القرآن) باب(فضل من قرأ القرآن) رقم الحديث(٣١٨١).

(٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب (خيركم من تعلَّم القرآن و علَّمه) رقم الحديث (٤٦٣٩).

مَثَلُ التَّمْرَةِ لا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُها حُلْوٌ ، وَمَثَلُ المُنافِقِ الَّـذِي لا يَقْـرَأُ القُـرْآنَ كَمَثَـلِ الحَنْظَلَةِ لا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُها مُرٌّ ›› [1]

وَكانَ مِنْ عادَةِ بَعْضِ السَّلَفِ الصَّالِحِ إِذا خَتَمَ عَلَيهِ الخـاتِمُ القُـرْآنَ أَجْلَـسَهُ بَينَ يَدَيْهِ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَقالَ لَهُ: يا هَذا: اِتَّقِ الله فَما أَعْرِفُ أَحَداً خَيراً مِنْـكَ إِنْ عَمِلْتَ بِالَّذِي عَلِمْتَ، وَيُشْهِدُ عَلَيهِ الناسَ.

وَرَوَى الدَّارِمِيُّ عَنْ وَهْبٍ الذَّمَارِي رَحِمَهُ الله قَالَ: ‹‹ مَنْ آتاهُ الله القُرْآنَ فَقامَ بِـهِ آنـاءَ الليْلِ وَآناءَ النَّهارِ وَعَمِلَ بِما فِيهِ وَماتَ عَلَى الطَّاعَةِ بَعَثَهُ الله يَومَ القِيامَةِ مَعَ الـسَّفَرَةِ وَالأَحْكامِ ›› ( السَّفَرَةُ المَلائِكَةُ ، والأَحْكامُ أَيْ ذَوُو الأَحْكامِ و هُمُ الأَنْبِياءُ) [2]، وَثَبَـتَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: ‹‹ مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مَنْ كُرَبِ الـدُّنْيا نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عَلَيـهِ فِي الـدُّنْيا وَالآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ الله فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ ، وَاللهُ فِي عَـونِ العَبْـدِ مـا كـانَ العَبْدُ فِي عَونِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ الله طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ ، وَمـا اجْتَمَعَ قَومٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله يَتْلُونَ كِتابَ الله وَيَتَدارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلا نَزَلَـتْ عَلَـيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ المَلائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ الله فِيْمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَـنْ أَبْطـأَ بِـهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ ›› [3].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الأطعمة، باب (ذكر الطعام ) رقم الحديث (٥٠٠٧)، صـحيح مـسلم: كتـاب (صلاة المسافرين و قصرها) باب (فضيلة حافظ القرآن) رقم الحديث (١٣٢٨).

(٢) سنن الدارمي: كتاب(فضائل القرآن) باب(فضل من يقرأ القرآن و يشتد عليه) رقم الحديث(٣٢٣٥).

(٣) رواه مسلم في صحيحه: كتاب (الذكر والدعاء و التوبة والاستغفار) باب (فضل الاجتماع على تـلاوة القرآن و الذكر) رقم الحديث(٤٨٦٧).

وَفِيما رَواهُ أَبُو دَاودَ وَالتِّرْمِذِي[١] عَنْ عُقْبَةَ ابْنِ عامِرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ يَقُولُ: ((الجاهِرُ بِالقُرْآنِ كالْجاهِرِ بِالصَّدَقَةِ، وَالمُسِرُّ بِالقُرْآنِ كالمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ))، وَ فِيما رَواهُ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنهُما قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((يُقالُ لِصاحِبِ القُرْآنِ اِقْرَأْ وَ ارْتَقِ وَ رَتِّلْ كَما كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُها))[٢].

وَعَلَى قارِئِ القُرْآنِ أَنْ يُحَسِّنَ صَوتَهُ بِالقُرْآنِ وَتَجْوِيدِهِ ما اسْتَطاعَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً؛ لأَنَّهُ أَشَدُّ وَقْعاً فِي النُّفُوسِ، وَأَسْمَعُ فِي القُلُوبِ لِقَولِهِ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: ((زَيِّنُوا القُرْآنَ بِأَصْواتِكُمْ))[٣]، وَلِقَولِهِ: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرْآنِ))[٤] وَلِلْحَدِيثِ ((ما أَذِنَ الله لِشَيْءٍ ما أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوتِ يَتَغَنَّى بِالقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ))[٥]، وَقَدْ كَانَ الصَّحابِي الجَلِيلُ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ رَضِيَ الله عَنهُ مِمَّنْ يُجَوِّدُ القُرْآنَ وَيُحَسِّنُهُ فَمَرَّ بِهِ ذاتَ يَومٍ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ يُرَتِّلُ القُرْآنَ فِي دارِهِ فَأَقامَ رَسُولُ الله ﷺ مُنْتَظِراً مُسْتَمْتِعاً بِتَرْتِيلِهِ ثُمَّ

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب(في رفع الصوت بالقرآن في صلاة الليل)رقم الحديث(١١٣٦)، سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب(ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر) رقم الحديث(٢٨٤٣)، و رواه أيضاً الإمام أحمد في مسنده و النسائي.

(٢) رواه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب(استحباب الترتيل في القراءة)رقم الحديث(١٢٥٢)، و رواه الترمذي في سننه: كتاب فضائل القرآن، باب(ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر) رقم الحديث(٢٨٣٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسند:(أول مسند الكوفيين)(حديث البراء بن عازب رضي الله عنه) برقم(١٧٧٦٣)، و رواه أبو داود في سننه:كتاب الصلاة، باب (استحباب الترتيل في القراءة) رقم الحديث (١٢٥٦)، و رواه النسائي في سننه: كتاب الافتتاح، باب (تزيين القرآن بالصوت) رقم الحديث (١٠٠٥).

(٤) رواه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب(قوله تعالى: {وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ}) رقم الحديث (٦٩٧٣).

(٥) رواه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب(قول النبي صلى الله عليه وسلم: " الماهر بالقرآن...) رقم الحديث (٦٩٨٩)، ورواه مسلم: كتاب (صلاة المسافرين و قصرها) باب (استحباب تحسين الصوت بالقرآن) رقم الحديث (١٣١٩).

لَمَّا قابَلَهُ قالَ لَهُ قَوْلَتَهُ المَشْهُورَة: ((لَقَدْ أُتِيْتَ مِزْماراً مِنْ مَزامِيرِ آلِ داوُدَ)) [١] فَقالَ أَبُو مُوسَى لِلنَّبِيِّ ﷺ: ((إِنِّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَتَسَمَّعَ لِقِراءَتِي لَحَسَّنْتُ صَوْتِي بِالقُرْآنِ وَزَيَّنْتُهُ وَرَتَّلْتُهُ وَحَبَّرْتُهُ تَحْبِيراً))، وَلَيْسَ هَذا الكَلامُ مِنَ الصَّحابِي الجَلِيلِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رِياءً أَوْ سُمْعَةً وَحاشا لِمِثْلِهِ ذَلِكَ ؛ وَإِنَّما ابْتِهاجاً وَفَرحاً لِسماعِ النَّبِيِّ ﷺ لِقِراءَتِهِ، وَهَذا - وَاللهُ أَعْلَمُ - كَمِثْلِ الطَّالِبِ الَّذِي يُعْجَبُ بِهِ أُسْتاذُهُ ؛ فيَقُولُ لَهُ: لَو أَعْرِفُ أَنَّكَ تَسْمَعُ لِدَرْسِي لَجَوَّدْتُهُ وَحَسَّنْتُهُ ؛ وَإِعْجابُ الأُسْتاذِ بِهِ تَشْجِيعاً عَلَى الإِتْقانِ وَالإِجادَةِ ؛ فَعَلَيكَ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَيُّها المُعَلِّمُ وَالمُرَبِّي وَالمُرْشِدُ الحَكِيمُ كَمْ عَلَّمْتَنا مِنْ حِكَمٍ ، وَكَمْ أَسْدَيْتَ لَنا مِنْ أَخْلاقٍ وَعِبَرٍ لَو وَعَيْناها وَعَرَفْناهَا حَقَّ المَعْرِفَةِ ، لَقَدْ كُنْتَ فِيما رَوَتْهُ الأَخْبارُ الصَّحِيحَةُ عَنْكَ تَقْرَأُ القُرْآنَ وَتُصَلِّي وَلِصَدْرِكَ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَلِ مِنَ البُكاءِ [٢]،

وَسَمِعْنا ما رَواهُ الأَئِمَّةُ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: (( اِقْرَأْ عَلَيَّ القُرْآنَ، قُلْتُ لَهُ: كَيفَ أَقْرَأُهُ عَلَيكَ وَعَلَيكَ أُنْزِلَ ؟ قالَ: إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعُهُ مِنْ غَيْرِي، قالَ عَبْدُ الله: فَقَرَأْتُ عَلَيهِ سُورَةَ النِّساءِ ، حَتَّى إِذا بَلَغْتُ ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيداً** ﴾، قالَ عَبْدُ الله فَنَظَرْتُ إِلَيهِ فَإِذاً عَيْناهُ تَذْرِفَانِ - أَيْ تَدْمَعَانِ - )) [٣] أَوْ كَما ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه بدون ذكر القصة: كتاب فضائل القرآن، باب(حسن الصوت بالقراءة للقرآن) رقم الحديث (٤٦٦٠)، و رواه مسلم: كتاب (صلاة المسافرين و قصرها) باب (استحباب تحسين الصوت بالقرآن) رقم الحديث (١٣١٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده(أول مسند المدنيين) (حديث مطرف بن عبدالله عن أبيه رضي الله عنه)، و أبو داود في سننه كتاب الصلاة: باب ( البكاء في الصلاة)، و النسائي في سننه:كتاب السهو، باب (باب البكاء في الصلاة).

(٣) رواه البخاري في مواضع من صحيحه منها:كتاب تفسير القرآن،باب(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ..)، وكتاب فضائل القرآن: باب(البكاء عند قراءة القرآن).

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ، أَيُّها الصَّائِمُونَ القائِمُونَ ، أَيُّها الُمجَوِّدُونَ الُمرَتِّلُونَ: إِحْذَرُوا الرِّياءَ فِيما تَعْمَلُونَ ؛ فَإِنَّهُ مُحْبِطٌ لِلأَعْمالِ الصَّالِحَةِ، وَمُمْحِقٌ لِلْحَسَناتِ ، وَإِنَّهُ مُتَربِّصٌ بِأَهْلِ القُـرْآنِ وَأَهْـلِ العِلْـمِ، ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[1]؛ فَقَدْ رُوِيَ عَنِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الُمطَّلِبِ رَضِيَ الله عَنـهُ قـالَ: قـالَ رَسُولُ الله ﷺ :(( يَظْهَرُ هَذا الدِّينُ حَتَّى يُجاوِزَ البِحارَ، وَحَتَّى تُخاضَ البِحـارُ بِالخَيْـلِ فِي سَبِيلِ الله تَبارَكَ وَتَعالَى ؛ ثُمَّ يَأْتِي أَقْوامٌ يَقْرَؤُنَ القُرْآنَ يَقُولُونَ: مَنْ أَقْرَأُ مِنَّا مَنْ أَعْلَـمُ مِنَّـا ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَصْحابِهِ فَقَالَ: هَلْ تَرَونَ فِي أُولَئِكَ مِنْ خَيْرٍ ؟ قالُوا:لا، فقال: أُولَئِكَ مِنْكُم مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ أُولَئِكَ هُم وَقُودُ النَّارِ ))[2]، وَفِي حَدِيثٍ: ((مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِـهِ وَجْـه الله لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنْ الدُّنْيا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيامَةِ)) أَيْ رِيحَها[3] ، وَفِيما رَواهُ أَبُو هُرَيْرَةَ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ : (( تَعَوَّذُوا بِالله مِنْ جُـبِّ الحَـزَنِ، قـالُوا: يـا رَسُولَ الله وَما جُبُّ الحَزَنِ ؟ قالَ: وادٍ فِي جَهَنَّمَ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ فِي كُلِّ يَـومٍ مِائَـةَ مَـرَّةٍ، قِيلَ: يا رَسُولَ الله وَمَنْ يَدْخُلُهُ ؟ قالَ: القُرَّاءُ الُمراءُونَ بِأَعْمالِهِمْ ))[4].

---

(١) سورة الكهف الآية (١١٠)

(٢) أخرجه البزار في مسنده ج٤/ ١٤٩، و أبو يعلى في مسنده ج١٢/ ٥٢، و الطبراني فيالأوسط(ج٦/ ٢٢١) من حديث عمر بـن الخطـاب رضي الله عنـه، وذكـره الهيثمـي في مجمـع الزوائـد(ج١/ ١٨٦) و قـال: رواه الطبراني في الأوسط و البزار و رجال البزار موثَّقون.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده: مسند المكثرين،(باقي مسند أبي هريرة رضي الله عنه) برقم (٨١٠٣)، و أبـو داود في سننه: كتاب العلم:(بـابٌ في طلـب العلـم لغـير وجـه الله)، ورواه ابـن ماجـة في في مقدمـة سـننه: باب(الانتفاع بالعلم و العمل به).

(٤) رواه الترمذي في سننه: كتاب الزهد، باب(ما جاء في الرياء و السمعة) و قال عقبه: هذا حـديث حـسن غريب، ورواه ابن ماجة في مقدمة سننه: باب(الانتفاع بالعلم و العمل به) ألا أن فيه " أربعمائة مرة " بـدل " مائة مرة".

فَيَجِبُ عَلَى حامِلِ القُرْآنِ وَطالِبِ العِلْمِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ فِي نَفْسِهِ، وَيُخْلِصَ العَمَلَ للهِ وَحْدَهُ ، فالَّذِي يَلْزَمُ حامِلُ القُرْآنِ مِنَ التَّحَفُّظِ أَكْثَر مِمَّا يَلْزَمُ غَيْرُهُ ، كَما أَنَّ لَهُ مِنَ الأَجْرِ ما لَيْسَ لِغَيْرِهِ.وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] وَقالَ عَزَّ مِنْ قائِلٍ كَرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[2].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[3].

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) سورة يونس الآيتان (٥٧-٥٨).

# الخطبة الثانية

الحَمْدُ لله الَّذِي قَدَّرَ الأَزْمـانَ وَفَـصَّلَ الفُـصُولَ ، وَأَغْـرَقَ فِي بَحْـرِ مَعْرِفَتِـهِ الأَفْكارَ وَالْعُقُولَ ، وَحَيَّرَ فِي كُنْهِ ذاتِهِ الأَفْهامَ فَما لَها إِلَى مَعْرِفَـةِ صَـمَدِيَّتِهِ وُصُـولٌ ، وَخَصَّ شَهْرَ رَمَضانَ بِالْعَفْوِ وَالْغُفْران وَالْبُشْرَى والرِّضْـوانِ وَالـسُّرُورِ وَالْقَبُـولِ ، وَوَعَدَ مَنْ صامَهُ بِبُلُوغِ المَقْصُودِ و المَأْمُولِ ، فَشَهْرُ رَمَضانَ شَـهْرٌ جَلِيـلٌ ، وَفَـضْلُهُ مَوْفُورٌ جَزِيلٌ ، كَما جاءَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً يُبَلِّغُنا بِها أَقْصَى الغاياتِ ، وَيَرْفَعُنا بِها أَعْلَى الدَّرَجاتِ، وَالْفَوزَ بِسُكْنَى جَناتِهِ، فَنَكُونُ مِمَّنْ قالَ فِيهِمْ فِي مُحْكَمِ آياتِهِ: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (١).

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، المَبْعُوثُ بِالقَولِ السَّدِيدِ ، وَالفِعْلِ الحَمِيدِ ، وَالأمر الرَّشِيدِ ، فَما أَحْسَنَ ما جاءَ بِهِ مِنَ العِبادَةِ ، وَما أَعْظَمَ ما جاءَ بِهِ مِنَ التَّوحِيدِ ، وَمِنْ ذَلِكَ صَوْمُ شَهْرِ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ ، هُدًى لِلنَّاسِ و بَيِّناتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقان ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيء شَهِيدٍ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ المُخْتارِ ، إِمامِ المُتَّقِينَ وَسَيِّدِ الأَبْرارِ ، وَالقَائِلِ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: « الصَّومُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَما يُطْفِئُ الماءُ النارَ » (٢) صَلى الله علَيهِ وَعَلَى آلِهِ الأَطْهارِ ، وَصَحابَتِهِ الأَخْيارِ ، ما

---

(١) سورة ق آية (٣٥).

(٢) جزء من حديث رواه الإمام أحمد في المسند (باقي مسند المكثرين) (مسند جـابر بـن عبـدالله الأنـصاري رضي الله عنه) برقم (١٣٩١٩)،و رواه الترمذي في سننه كتاب الإيمان، باب (ما جاء في حرمة الصلاة) برقم

تعاقَبَ اللَّيلُ وَالنَّهارُ ، وَعَلَى التابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسان فِي الصَّومِ وَالإِفْطارِ ، وَعَلَينَا مَعَهُمْ و فِيهِمْ بِرَحْمَةٍ مِنْكَ يا عَزِيزُ يا غَفَّارُ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَـٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾[1].

أما بعدُ: فيا عِبَادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

يا حامِلَ القُرْآنِ وَ يا قارِئَ القُرْآنِ: عَظِّمِ القُرْآنَ وَاحْتَرِمْهُ، فَمِنْ حُرْمَةِ القُرْآنِ أَلا تَمَسَّهُ إِلَّا وَأَنْتَ طاهِرٌ ، وَلا تَقْرَأْهُ إِلا وَأَنْتَ عَلَى طَهارَةٍ ، وَأَنْ تَسْتاكَ وَتَخَلَّلَ فَيَطِيبُ فَمُكَ ؛ إِذِ الفَمُ طَرِيقُ القُرْآنِ ، وَقَدْ قِيلَ: ((إِنَّ أَفْواهَكُمْ طُرُقٌ مِنْ طُرُقِ القُرْآنِ فَطَهِّرُوها وَنَظِّفُوها ما اسْتَطَعْتُمْ))[2]، وَمِنْ حُرْمَتِهِ أَنْ تَلْبَسَ لِقِراءَتِهِ أَحْسَنَ اللِّباسِ كَما تَلْبَسُ لِلدُّخُولِ عَلَى الأَمِيرِ وَالوَزِيرِ، وَمِنْ حُرْمَتِهِ أَنْ تَسْتَقْبِلَ القِبْلَةَ لِقِراءَتِهِ ، وَكانَ بَعْضُ السَّلَفِ إِذا أَرادَ أَنْ يَقْرَأَ القُرْآنِ اعْتَمَّ وَلَبِسَ أَحْسَنَ الثِّيابِ وَارْتَدَى وَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ ، وَمِنْ حُرْمَتِهِ إِذا تَثاءَبَ القارِئُ أَنْ يُمْسِكَ عَنِ القِراءةِ ؛ لأَنَّهُ مُخاطِبٌ رَبَّهُ ، وَالتَّثاؤُبُ مِنَ الشَّيْطانِ ، وَأَنْ يَسْتَعِيذَ بِالله عِنْدَ ابْتِدائِهِ لِلْقِراءَةِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ ، وَيَقْرَأُ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنْ كانَ يَبْتَدِئُ قِراءَتَهُ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ أَوْ مِنْ حَيْثُ بَلَغَ، وَإِذا أَخَذَ فِي القِراءَةِ لَمْ يَقْطَعْها ساعَةً فَساعَةً بِكَلامِ

---

(٢٥٤١) من حديث طويل لمعاذ بن جبل رضي الله عنه وقال بعده: هذا حديث حسن صحيح، و رواه ابن ماجة في سننه كتاب الفتن، باب (كف اللسان في الفتنة) برقم (٣٩٦٣).

(١) سورة الأحقاف آية (١٦).

(٢) أخرج الديلمي في مسند الفردوس(ج١/ ٢٢١) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال:" إن أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك " و فيه:(ج٤/ ٢٤٨) عن أنس رضي الله عنه:" نظفوا أفواهكم فإنها طرق القرآن ".

الآدَمِيِّينَ مِنْ غَيرِ ضَرُورَةٍ ، وَأَنْ يَقِفَ عَلَى آيَةِ الوَعْدِ فَيَرْغَبُ إِلَى الله تَعالَى وَيَسْأَلَهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَأَنْ يَقِفَ عَلَى آيَةِ الوَعِيدِ فَيَسْتَجِيرَ بِالله مِنْهُ ، وَأَنْ يُؤَدِّيَ لِكُلِّ حَرْفٍ حَقَّهُ مِنَ الأَداءِ حَتَّى يَبْرُزَ الكَلامُ بِاللَّفْظِ تَماماً ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْطِيَ القارِئُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِ العَيْنَ وَالأُذُنَ حَظَّها فِي التِّلاوَةِ ؛ لِلْخَبَرِ المَرْوِيِّ: « أَفْضَلُ عِبادَةِ أُمَّتِي قِراءةُ القُرْآنِ نَظْراً »[1].

وَيَنْبَغِي أَنْ يَفْتَتِحَهُ كُلَّما خَتَمَهُ حَتَّى لا يَكُونُ كالمَهْجُورِ بَأَنْ يَقْرَأَ عِنْدَ خَتْمِهِ قَدْرَ خَمْسَ آياتٍ مِنْ أَوَّلِهِ ، لِما رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُما قالَ: جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقالَ يا رَسُولَ الله: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قالَ: « عَلَيكَ بِالحالِ المُرْتَحِلِ، قالَ: وَما الحالُ المُرْتَحِلُ ؟ قالَ رَسُولُ الله ﷺ : صاحِبُ القُرْآنِ يَضْرِبُ مِنْ أَوَّلِ القُرْآنِ إلى آخِرِهِ و مِن آخِرِهِ إلى أَوَّلِهِ كُلَّما حَلَّ ارْتَحَلَ »[2] فَعَلَيكَ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ يا رَسُولَ الله.

وَمِمَّا يُؤَسِّفُ لَهُ أَنَّ الكَثِيرَ مِنا يُدْمِنُ القُرْآنَ فِي شَهْرِ رَمَضانَ ، وَلَكِنَّهُ يَهْجُرُهُ بِالمَرَّةِ بَعْدَ رَمَضانَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:« تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ فَوَا الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنْ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا» [3].

---

(١) ذكره الحكيم الترمذي (٣/ ٢٥٥) عن عبادة بن الصامت ورمز السيوطي له بالضعف. وأخرج الديلمى عن بعض الصحابة (٣/ ١٢٧، رقم ٤٣٤٢)، وقال الحافظ فى الفتح (٩/ ٧٨، رقم ٤٧٤١): وأبو عبيد فى فضائل القرآن وإسناده ضعيف (( فضل قراءة القرآن نظرا على من يقرؤه ظاهرا كفضل الفريضة على النافلة )).

(٢) رواه الترمذي في سننه: كتاب القراءات، باب(ما جاء أن القراءن أنزل على سبعة أحرف) و قال عقبه: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه وإسناده ليس بالقوي، ورواه بلفظه الدارمي في سننه:كتاب فضائل القرآن، (بابٌ في ختم القرآن) رقم الحديث (٣٣٤١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا وجواز قول أنسيتها.

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و انْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِرَاً وآمِرَاً لَكُمْ تكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصَاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَـلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُـبْرَى ، و عَـنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَـاتِ الـــمُؤْمِنِينَ ، وعَـنْ عَمَّـي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيِّـكَ تَحْـتَ الـشَّجَرَةِ، طَلْحَـةَ والزُّبَيـرِ ، وسَـعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْـحَابِ رَسُـولِ الله رِضْـوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـــهِ مَفْزَعُنَـا ؛ اكْـشفْ كَرْبَنَـا ، ونَفِّـــسْ هَـمَّنَا.نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـــا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِك فَـرَادِيسَ الـجِنَانِ.اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ

مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَـافِر الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ. اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوع بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَـا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِـصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِـمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَـكَ واتَّقَـاكَ واتَّبَـعَ رِضَـاكَ يَـا أَرْحَـمَ الرَّاحِـمِينَ.اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُـزَاةِ والمُـسَافِرِينَ فِي بَـرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَـاً فِيـهِ ، نَافِعَـاً غَـيرَ ضَارٍّ.﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾.

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

عِبَـادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِـهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# ذِكْرَى غَزْوَةِ بَدْرٍ الكُبْرَى

## الخُطْبَةُ الأُوْلَى

الحَمْدُ للهِ، وَعَدَ عِبادَهُ المُخْلَصِينَ بِالنَّصْرِ وَالتَأْيِيدِ ، وَجَعَلَ الجِهادَ فِي سَبِيلِهِ ذُرْوَةَ سَنامَ صَرْحِهِ المَشِيدِ ، فَقالَ عَزَّ منْ قائِلٍ وَهُوَ ذُو العَرْشِ المَجِيدِ ، فَعالٌ لِما يُرِيدُ: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (١).

وَأَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ أَكْمَلَ لَنا الدِّينَ ، وَأَتَمَّ عَلَيْنا نِعْمَتَهُ، وَرَضِيَ لَنا الإِسْلامَ دِيناً ، أَمَرَنا أَنْ نَحْرِصَ عَلَى دِيْنِنا أَشَدَّ مِنْ حِرْصِنا عَلَى الحَياةِ ، وَأَنْ نُكافِحَ فِي سَبِيلِ حِفْظِهِ ، وَالتَّمْكِينِ لَهُ فِي الأَرْضِ ، حَتَّى يَرْضَى عَنَّا وَيَهَبَ لَنا التَّوفِيقَ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، سَيِّدُ المُجاهِدِينَ ، وَإِمامُ الصابِرِينَ ، أَرْسَلَهُ رَبُّهُ بِالْهُدَى ، وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المُشْرِكُونَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحابِهِ الَّذِينَ جاهَدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ فَأَيَّدَهُمْ بِنَصْرِهِ ، وَكَتَبَ لَهُمْ عِزَّ الدُّنْيا وَسَعادَةَ العُقْبَى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٢).

(١) سورة الحج آية (٤٠).

(٢) سورة البقرة (٥).

أَمَّا بَعْدُ: فأُوصيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى ، تَحَصَّنُوا بِها ؛ فَإِنَّها الحِصْنُ الحَصِينُ ، وَتَمَسَّكُوا بِها ؛ فَإِنَّها حَبْلُ الله المَتِينِ و﴿ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1].

عِبادَ الله: شَهْرُ رَمَضانَ كَما عَرَفْنا شَهْرُ الصَّبْرِ وَالجِهادِ الأَكْبَرِ والأَصْغَرِ ، أَما الجِهادُ الأَكْبَرُ فَهُوَ جِهادُ النَّفْسِ الأَمارَةِ بِالسُّوءِ ، وَتَرْوِيضُها بِالصَّومِ والامْتِناعِ عَنِ المُفَطِّراتِ الحِسِيَّةِ وَالمَعْنَوِيَّةِ ، حَتَّى تَكُونَ نَفْساً مُطْمَئِنَّةً ، وَهُوَ المَقْصُودُ بِقَولِهِ تَعالَى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾[2]. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَكُونُ النَّفْسُ اللَّوَّامَةُ الَّتِي تَرْتَفِعُ بِصاحِبِها عَنِ الدَّنايا ، وَهِيَ الَّتِي أَقْسَمَ الله بِها فِي مُحْكَمِ آياتِهِ فِي قَولِهِ تَعالَى: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾[3]. أَيْ تَلُومُ وَتُعاتِبُ صاحِبَها عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ حَتَّى يُصْبِحَ طَاهِراً نَزِيهاً.

ثُمَّ بَعْدَ النَّجاحِ فِي جِهادِ النَّفْسِ -وَهُوَ أَصْعَبُ الجِهادِ- يَأْتِي الجِهادُ الأَصْغَرُ ، وَهُوَ جِهادُ الأَعْداءِ المُشْرِكِينَ وَمُواجَهَتُهُمْ بِالحَدِيدِ وَالسِّلاحِ وَالنَّارِ فِي مَعارِكِ الشَّرَفِ وَالبُطُولَةِ ، دِفاعاً عَنِ الدِّين وَالوَطَنِ وَالمُقَدَّساتِ ، وَلا نَصْرَ لَنا نَحْنُ المُسْلِمِينَ اليَوْمَ عَلى أَعْدائِنا ، حَتَّى نَنْتَصِرَ عَلَى أَنْفُسِنا أَوَّلاً ، هَذا العَدُوِّ اللَّدُودِ الَّذِي بَيْنَ جَنْبَيْنا فَنَقْهَرُهُ، وَلِذا قَالَ سَيِّدُ المُجاهِدِينَ ، وَقائِدُ الغُرِّ المُحَجَّلِينَ عِنْدَ ما عَادَ مِنْ

(١) سورة آل عمران آية (٢٠٠).
(٢) سورة الفجر الآيات (٢٧-٣٠).
(٣) سورة القيامة الآيتين (١-٢).

غَزْوَةٍ ضِدَّ أَعْداءِ الإِسْلامِ: (( رَجَعْنَا مِنَ الجِهـادِ لأَصْـغَرِ - أَي جِهـادِ العَـدُوِّ - إِلَى الجِهادِ الأَكْبَرِ - أَيْ جِهادِ النَّفْسِ - ))[1] وَلْنَأْخُذ دَرْساً مِنْ حَيـاةِ الرَّسُـولِ صَـلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وَنَحْنُ كَما نَحْنُ فِيهِ اليومَ من ضَعفٍ و تَفَكُّكٍ و انْحِطَاطٍ لم يَسْبِقْ لَـهُ مَثِيلٌ فِي التَّارِيخِ، و تارِيخُنا الإسلاميُّ حَافِلٌ بالأَمْجَادِ و مَعَارِكِ الشَّرَفِ التَّـي تَجْـرِي ذِكْرَيَاتُها - في إِحْدَى المَعارِكِ الفاصِلَةِ بَيْنَ الحَقِّ وَالْباطِلِ ، وَالكُفْرِ وَالإِيْـمان ، الَّتِـي وَقَعَتْ فِي يَومِ السَّابعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضان مِنَ السَّنَةِ الثَّانيَةِ مِنَ الهِجْرَةِ ، أَلا وَهِيَ (غَزْوَةُ بَـدْرٍ الكُـبْرَى)

فَلَطالَمَا اشْتاقَ أَصْحَابُ رَسُـولِ الله صَـلَّى الله عَلَيـهِ وَآلِـهِ وَسَـلَّمَ وَبِخاصَّـةٍ الشَّبابِ الَّذِينَ ذاقُوا الذُّلَّ وَالهَوان مِـنَ المُشْرِكِينَ، طالَمَـا اشْـتاقُوا لِلِّقـاءِ أَعْـدائِهِمْ بِالسِّلاحِ ، وَلَكِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يُصَبِّرُهُمْ وَيُطَمْئِنُهُمْ رَيْـثَما يَأْتِي الأَمْرُ بِالْقِتالِ مِنْ عِنْدِ الله تَعالَى وَلَمَّا اشْتَدَّ بَأْسُ المُسْلِمِينَ بَعْدَ الهِجْرَةِ وَأَصْـبَحُوا قُوَّةً قِتالِيَّةً آنَذَاكَ نَزَلَتْ آيَاتُ الإِذْنِ بِالْقِتالِ لأَخْذِ حَقِّهِمْ مِنْ أَعْدائِهِمْ وَالدِّفاعِ عَـنِ الدِّينِ: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾[2].

---

(١) قال في الإحياء (٣/ ٢٨ ): وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد: (( مرحباً بكم قـدمتم من الجهاد الأصغر.. وذكر الحديث، وذكره في الإحياء في موضع آخر (٣/ ٧) بلفظ: (( رجعنـا مـن الجهـاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)) وقال العراقي في تخريجه: أخرجه البيهقي في الزهد من حديث جـابر وقـال هـذا إسناد فيه ضعف. اهـ وأخرجه الخطيب في تاريخه (١٣/ ٤٩٨ رقم الترجمة ٧٣٤٥ ) من حـديث جـابر وفيـه (وما الجهاد الأكبر يا رسول الله ؟ قال مجاهدة العبد هواه ) وعزاه المتقي الهندي في الكنـز ( ٤/ ١١٧٧٩ ) إلى الديلمي وانظر الحديث في كشف الخفاء ١/ ٥١١) وزوائد تاريخ بغداد، د/ خلدون الأحـدب (٩/ ٣١١). انتهى هذا التخريج من كتاب بداية العناية في تخريج كتاب سبيل الرشد والهداية.

(٢) سورة الحج آية (٣٩).

وَقَولُهُ تَعالَى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1]. فَصارَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِتَعَقُّبِ المُشْرِكِينَ وَقَوافِلِهِمْ العائِدَةِ مِنَ الشَّامِ المُحَمَّلَةِ بِالْبَضَائِعِ الثَّمِيْنَةِ، ولَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اعْتِداءً أَوْ طَمعاً فِي المالِ، كَما ادَّعَى أَعْداءُ الإِسْلامِ وَإِنَّما رَدّاً للظُّلْمِ الَّذِي تَعَرَّضَ لَهُ هُوَ و أَصْحابَهُ مِن مُشْرِكِي مَكَّةَ؛ قَالَ تَعَالى في ذلك: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾[2] و قَالَ جلَّ شَأْنُهُ: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾[3] فَعِنْدَما بَلَغَ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَبا سُفْيان بْنِ حَرْبٍ عَائِدٌ مِنَ الشام فِي قافِلَةٍ عَظِيمَةٍ لِقُرَيْشٍ وَتِجارَةٍ مِنْ تِجَارَاتِهِمْ، وَمعَها ثَلاثُونَ رَجُلاً مِنْ قُرَيْشٍ أَوْ أَرْبعُونَ، رَأَى رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِيْنَها بِثاقِبِ رَأْيِهِ أَنَّها الفُرْصَةُ المُواتِيَةُ لأَخْذِ حَقِّهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فانتَدَبَ النَّاسَ لِمُلاقَاةِ القَافِلَةِ فَخَفَّ بَعْضُهُمْ وَثَقُلَ بَعْضُهُمْ؛ وَذَلِكَ لأَنَّهم لَمْ يَظُنُّوا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَلقَى حَرْباً.

خَرَجَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَومَ الاثْنَينِ لِثَمانٍ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضان مِنَ السَّنَةِ الثَّانيَةِ مِنَ الهِجْرَةِ فِي جَيْشٍ صَغِيرٍ قِوامُهُ ثَلاثُ مِائَةٍ وثَلاثَةَ عَشَرَ أَوْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ مُقاتِلاً مِنَ المُهاجِرينَ والأَنصارِ، لا يُرِيدُ حَرْباً وَلَكِنْ يُرِيدُ الغَنِيمَةَ

(١) سورة التوبة آية (٣٦).

(٢) سورة الحج من الآية (٤٠).

(٣) سورة الأنفال آية (٥).

وَالمالَ ، وَلَكِنْ أَرادَ الله لَهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ غَيْرَ ذَلِـكَ أَرادَ لَـهُ الرِّجـالَ لا المـالَ ، مِـصْدَاقاً لِقَولِــــهِ تَعـــالَى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (١)

و لِذَلِكَ فَاتَتِ القافِلَةُ عَلَى المُسْلِمِينَ ؛ لأَنَّ أَبـا سُـفْيان الرَّجُـلَ المُحَنَّـكَ لَمـا عَلِـمَ بِخُرُوجِ النَّبِيِّ مُحمدٍ وَأَصْحابِهِ مَرَّ بِطَرِيقٍ ساحِلِيٍّ و أَرْسَلَ قَبْلَ ذَلِكَ رَسُولاً مُسْرِعاً إِلَى مَكَّةَ يَسْتَنْفِرُ قُرَيْشاً ، فَخَرَجَتْ بِصَنَادِيدِها وَأَبْطَالِها ، وَلما نَجا أَبُو سُفْيان بـالِعيْرِ قالَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ إِنَّما خَرَجْتُمْ لِتَمْنَعُوا عِيرَكُمْ فَقَـدْ نَجاهـا الله ، فـارْجِعُوا فَقـالَ: أَبُـو جَهْلِ بن هِشامٍ ، وَالله لا نَرْجِعُ حَتَّى نَرِدَ بَدْراً ، فَنُقِيم فِيهـا ثَلاثـاً فَنَنْحَـرَ الجـزُورَ ، وَنُطْعِمَ الطَّعامَ ، وَنسْقيَ الخَمْـرَ ، وَتَعْـزِفَ عَلَيْنـا القِيَـانُ، وَتَـسْمَعَ العَـرَبُ بِنـا و بِمَسِيرِنا وَجَمْعِنَا ، فَلا يَزالُـون يَهابُونَنـا أَبَـداً بَعْـدَها ، وَبَلَـغَ عَـدَدُ المُقـاتِلِينَ الَّـذِينَ خَرَجُوا ما يَقْرُبُ مِنْ أَلْفِ مُقاتِلٍ، كُلُّهُمْ مِنْ أَشاوِسِ وَصَـنادِيدِ قُـرَيْشٍ ، وَمَـضَوا حَتَّى نَزَلُوا بِالعُدْوَةِ القُصْوَى مِنْ وَادِي بَدْرٍ.

وَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى بَدْرٍ، وَدَفَعَ اللِّواءَ إِلَى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيرِ بْنِ هاشِمٍ من بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، فاسْتَشَارَ النَّاسَ فِي القِتالِ أَوَّلاً ؛ لأَنَّهم ما خَرَجُوا أَساسَاً لِلْقِتالِ وَإِنَّما للعِـيْرِ ، فَقامَ أَبُو بَكْرِ الصِّدِّيقِ فَقالَ و أَحْسَنَ ، ثُمَّ قامَ عُمَرُ ابْنُ الخَطَّابِ فَقالَ و أَحْسَنَ ، ثُـمَّ قـامَ المِقْدادُ بنُ عَمْرو ، فَقالَ يا رَسُولَ الله: امْضِ لِما أَراكَ الله فَنَحْنُ مَعَكَ وَالله لا نَقُولُ لَكَ كَما قالَتْ بَنُو إِسْرائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ (٢)

(١) سورة الأنفال آية (٧).

(٢) سورة المائدة آية ( ٢٤).

ولَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ و رَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا مَعَكُما مُقاتِلُونَ ؛ فَوَا الَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَوْ سِرْتَ بِنا إِلَى بَرْكِ الْغِمادِ[1] لجَالَدْنا مَعَكَ مَن دُونَهُ حتَّى تبلُغَهُ ، فَقالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ خَيْراً وَدَعا لَهُ ، ثُمَّ قالَ رَسُولُ الله ﷺ أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّها الناسُ - يُرِيدُ الأَنصارَ- فَأَجابَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ بِالنِّيابَةِ عَنِ الأَنصارِ فَقالَ: وَالله لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنا يا رَسُولَ الله ، قالَ: أَجَلْ قالَ: فَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْناكَ وَشَهِدْنا مَعَكَ أَنَّ ما جِئْتَ بِهِ هُوَ الحَقُّ ، وَأَعْطَيْناكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنا وَمَواثِيقَنا عَلى السَّمْعِ وَالطاعَةِ ، فَوَا الَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَوِ اسْتَعْرَضْتَ بِنا هَذا البَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْناهُ مَعَكَ ما تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ واحِدٌ ، إِنا لَصُبُرٌ فِي الحَرْبِ ، صُدُقٌ فِي اللِّقاءِ ، لَعَلَّ الله يُرِيكَ مِنَّا ما تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ ، فَسُرَّ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ قالَ: (( سِيرُوا و ابْشِرُوا ؛ فَإِنَّ الله تَعالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدى الطائِفَتَيْنِ - أَيِ النَّصْرَ أو الشَّهادَةَ - وَالله لَكَأَنِّي الآن انظُرُ إِلَى مَصارِعِ القَوْمِ))[2] ثُمَّ ارْتحَلَ وَنَزَلَ قَرِيباً مِنْ بَدْرٍ ، وَتَقابَلَ الفَرِيقان عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ بَيْنَهُما لِلْحَرْبِ ﴿ **إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتَّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَـكِن لِّيَقْضِيَ الله أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾[3] .وَثَبَّتَ الله جُنْدَهُ ، وَأَرْعَبَ عَدُوَّهُ قَبْلَ المَعْرَكَةِ فَقالَ تعالَى: ﴿ **إِذْ يُرِيكَهُمُ الله فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ**

---

(١) موضع على الجنوب من مكة بينه و بينها مسيرة خمس ليال على جهة الساحل، و قيل: موضع باليمن و قيل غير ذلك. اهـ شرح صحيح مسلم للإمام النووي (١٢/ ١٢٤-١٢٥).

(٢) انظر القصة في السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٦٢)، تفسير الطبري (٩/ ١٨٥)، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٠)، تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٦).

(٣) سورة الأنفال آية ( ٤٢).

أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1].

ثُمَّ تَزاحَفَ الفَرِيقان، وَدَنا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَكانتِ المُبارَزَةُ أَوَّلاً فَلَمَّا كان يَومُ الجُمْعَةِ صَبِيحَةَ سَبْعَ عَشَرَةَ مِنْ رَمَضان مِنَ السَّنَةِ الثانيَةِ لِلْهِجْرَةِ ، عَدَّلَ النبيُّ ﷺ الصُّفُوفَ، وَأَوْصَى أَصْحابَهُ وَدَعا لَهُمْ، ثُمَّ رَجَعَ إِلى العَرِيشِ الَّذِي أُعِدَّ لَهُ ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ؛ و جَعَلَ رَسُولُ الله يُناشِدُ رَبَّهُ ما وَعَدَهُ مِنَ النَّصْرِ.

وَبَدَأَتْ الحَرْبُ بِتَبادُلِ النَّبالِ ، وَحَرَّضَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَصْحابَهُ عَلَى القِتَالِ ، وَقالَ: (( وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لا يُقاتِلُهُمْ اليَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صابِراً مُحْتَسِباً مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ إِلا أَدْخَلَهُ الله الجَنَّةَ ))[2] وَعَرَفَ رَسُولُ الله عَدَدَ مَنْ حَضَرَ مِنْ أَشْرافِ قُرَيْشٍ الكافِرَةِ مِنْ أَمْثالِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَحَكِيمِ بْنِ حِزامٍ ، وَالنَّضْرِ بنِ الحارِثِ ، و أَبِي جَهْلِ بْنِ هِشامٍ ، وعَمْرو بْنِ عَبْدِ وُدٍّ وغَيْرِهِمْ فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ و قالَ: (( هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلاذَ كَبِدِهَا ))[3].

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَخَذَ حَفْنَةً مِنَ الحَصْباءِ فاسْتَقْبَلَ قُرَيْشاً بِها ثُمَّ قالَ: (( شاهَتِ الوُجُوهُ )) ثُمَّ نَفَخَهُمْ بِها ، فَما مِنْ عَيْنٍ مِنْ عُيُونِ الأَعْداءِ إِلا أَصابَها قَذىً مِنْها[4]، ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ ﴾[1].

---

(١) سورة الأنفال آية (٤٣).

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٧٥)، التمهيد لابن عبد البر (٢٤/ ٩٩)، الإصابة (٤/ ٧١٥).

(٣) ذكره ابن هشام في سيرته (٣/ ١٦٢)، و ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣١٥) و عزاه لابن إسحاق، و ذكره الرامهرمزي في أمثال الحديث صفحة (٦٢).

(٤) الحديث رواه مسلم في كتاب( الجهاد والسير) ( بابٌ في غزوة حنين ) برقم (٣٣٢٨) لكن كان ذلك في

وَالْتَحَمَ الفَرِيْقان فِي مَعْرَكَةٍ فاصِلَةٍ ، أَبْلَى فِيها المُؤمِنُونَ بَـلاءً حَـسَناً حَتَّـى تَحَقَّـقَ لَهُمْ النَّصْرُ المُؤَزَّرُ ، وَقُتِلَ مِنْ صَنادِيدِ قُرَيْشٍ سَبْعُونَ ، وَأُسِرَ مَـنْ أُسِرَ ، فَكانَـتْ هَـذِهِ المَعْـرَكَةُ قاصِمَةَ الظَّهْـرِ، وَأَمَـدَّ الله المُسْلِمِينَ بِمَدَدٍ مِنَ المَلائِكَةِ ضِدَّ أَعْـداءِ الإِسْـلامِ، ﴿ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾[٢]. وَرَوَى مُـسْلِمٌ[٣] عَـنْ عُمَـرَ بْـنِ الخَطابِ قالَ: لَمَّا كان يَومُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى المُـشْرِكِينَ وَهُـمْ أَلْـفٌ وَأَصْـحابُهُ ثَلاثُ مِائَةٍ وَسَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً ، فاسْـتَقْبَلَ النَّبِـي ﷺ القِبْلَـةَ وَهُـوَ فِي العَـرِيشِ فَجَعَـلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُـمَّ آتِ مَـا وَعَـدْتَنِي اللَّهُـمَّ إِنْ تَهْلِـكْ هَـذِهِ الْعِصابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْـهِ مُـسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَـذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَـاهُ عَـلَى مَنْكِبَيْـهِ ثُـمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَـيُنْجِزُ لَـكَ مَـا وَعَـدَكَ ؛ فَـأَنْزَلَ الله تَعـالَى قَـولَهُ:﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴾[٤].

---

غزوة حنين، و كذا رواه الإمام أحمد في مسنده (باقي مسند الأنصار) (حديث أبي عبدالرحمن الفهري رضي الله عنه) برقم (٢١٤٣٠)، و ذكر حصوله في بدر ابن هشام في السيرة النبوية (٣/ ١٧٦)، والطبري في تفسيره (٩/ ٢٠٥)، و ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٩٦)، و غيرهم و ذكره الهيتمي في مجمع الزوائد(٦/ ٨٤) و قال: رواه الطبراني و إسناده حسن.

(١) سورة الأنفال آية (١٢).

(٢) سورة الدخان آية (١٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم.

(٤) سورة الأنفال آية ( ١٠).

و أَخَذَتِ النبيَّ ﷺ سِنةٌ مِنَ النَّومِ ثُمَّ انتبَهَ فَقالَ: أَبْشِرْ يا أَبا بَكْرٍ أَتاكَ نَصْرُ الله ، هَذا جِبْرِيلُ ، آخذٌ بِعِنان فَرسٍ يَقُودُهُ عَلَى ثَناياهُ النَّقْعُ)) (١).

وَأَنْزَلَ الله المَطَرَ فكانتْ نِعْمَةً عَلَى المُؤْمِنِينَ بِتَثْبِيتِ أَقْدامِهِمْ فِي المَعْرَكَةِ ، وَكانتْ نِقْمَةً عَلَى الأَعْداءِ إِذْ كانتْ وَحْلاً لا تَثْبُتُ عَلَيهِ أَقْدامُهُمْ ، وَفِي حالِ التِقَاءِ الصَّفَّيْنِ نامَ المُحارِبُونَ المُسْلِمُونَ نَوْماً عَجِيباً ماعَدَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَنَمْ ، أَمَنَةً وَرَحْمَةً لَهُمْ وَفِيهِ يَقُولُ تَعالَى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ (٢). وَمِمَّنْ لَقِيَ حَتْفَهُ مِنَ المُشْرِكِينَ يَوْمِئِذٍ أُمَيَّةُ بْنِ خَلَفٍ فِرْعَوْنُ هَذِهِ الأُمَّةِ ، وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنا رَبيعَةَ ، وَالوَلِيدُ بْنُ عُتبَةَ ، و أَبُو جَهْلٍ عَمْرُو بنُ هِشامٍ ، أُلْقُوْا فِي القَلِيبِ (٣) ، وَسُمِعَ رَسُولُ الله يُنادِيهِمْ بِأَسمَائِهِم قَائِلاً: يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةُ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةُ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةُ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ

---

(١) ذكره ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (٧/ ٣١٣) و عزاه لابن إسحاق في مغازيه، و ذكره ابن كثير في تفسيره(٢/ ٢٩٢) و قال عنه: صحيح، و ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٧٤)، سيرة ابن هشام - (١ / ٦٢٦)، الروض الأنف للسهيلي (٣ / ٦٨).ولعل النقع هو الغبار.

(١) سورة الأنفال آية ( ١١).

(٢) القليب: البئر القديمة.

(٣) الحديث بلفظه رواه مسلم في صحيحه كتاب (الجنة وصفة نعيمها و أهلها)باب(عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه) برقم (٥١٢١)، و رواه البخاري في صحيحه بلفظ قريب في كتاب المغازي، باب (قتل أبي جهل) برقم (٣٦٧٩).

جَيَّفُوا ؟! قَالَ:(( وَالَّذِي نَفْسِي بِيَـدِهِ مَـا أَنْـتُمْ بِأَسْـمَعَ لِمَـا أَقُـولُ مِـنْهُمْ وَلَكِـنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا))[1] و نَعَتْ قُـرَيْشٌ مَوْتـاهُمْ ، و بَلَـغَ مَـنْ بالمدِينَـةِ النَّـصْرُ بِبَـدْرٍ فَفَرَحُوا ، وأَسِفَ الكَثِيرُ مِمَّنْ لَمْ يَحْضُرُوا المَعْرَكَةَ ، و أُخِذَ الأَسْرَى إِلَى المَدِينَةِ.

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَـدِي المُهْتَـدُونَ ﴿ وَإِذَا ٱلْقُرْءَانُ قُرِئَ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾. وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[2].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[3].

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِيـاكُمْ مِـنَ الآيـاتِ وَالـذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) سورة الأنفال الآيات ( ٤٤ –٤٧).

# الخطبة الثانية

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَـمِينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الـصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْـفَ كُـلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَـرَ. اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَـرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ. أما بعـدُ: فيـا عِبَـادَ اللهِ: أُوصِـيكُمْ وَنَفْـسِيَ بِتَقْوَى اللهِ تَعالى، اتَّقُوا اللهَ مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْـهُ و زَجَرَ. عِبَادَ اللهِ: إِنَّ غَزْوَةَ بَدْرٍ الكُبْرَى دَرْسٌ مُفِيدٌ اسْـتَفَادَ مِنْـهُ المُـسْلِمُونَ ، وَنَـصْرٌ فِي أَوَّلِ عَمَلِيَّةٍ حَرْبِيَّةٍ مُسَلَّحَةٍ بَيْنَ الإِيمانِ وَالكُفْرِ ، غَيَّرَتْ مِنْ مَجْرَيـاتِ الحَيـاةِ ﴿ وَلَقَـدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ* إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِـيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ* بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَـوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُـسَوِّمِينَ* وَمَـا جَعَلَـهُ اللهُ إِلاَّ بُـشْرَى لَكُـمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [1].

(١) سورة آل عمران الآيات (١٢٣ – ١٢٦).

فَمَوقِفُ المُسْلِمِينَ قَبْلَ بَدْرٍ كان مَوْقِفَ الاسْتِضْعافِ وَالذِّلَّةِ ، حَيْثُ لَمْ يَقِفُـوا أَمامَ أَعْدائِهِمْ مَوْقِفاً يُحْسَبُ لَهُ حِسابٌ ، أَمَّا بَعْـدَهَا فَقَـدْ تَبَـدَّلَتْ الحـالُ ، بَعْـدَ مـا تَوَحَّدَت العَزائِمُ عَلَى القِتالِ ، فازْدادَ المُؤْمِنُونَ تَوَجُّهاً إِلَى الله ، وَحِرْصاً عَلَى المَـوْتِ وَالاسْتِشْهادِ مِنْ أَجْلِ الدَّعْوَةِ ، عَلَى حِينٍ تَراخَتْ عَزائِمُ المُـشْرِكِينَ حِـينَ اسْـتَهَانوا بِالمؤْمِنِينَ ، وَزَادَهُمْ البَطَرُ وَالكِبْرِياءُ ضَعْفاً عَلَى ضَعْفٍ ، كَـما لَعِـبَ بِهِـم الـشَّيْطانُ لِعْبَتَـهُ ، وَغَـرَّهُمْ و أَوْعَـدَهُمْ بِالنَّـصْرِ ثُـمَّ تَـبْرَأَ مِـنْهُمْ، ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (١).

فَيَا أَيُّها المُسْلِمُونَ: اذْكُرُوا هَذِهِ الـدُّرُوسَ التَّارِيخِيَّـةَ الإِسْـلامِيَّةَ جَيِّـداً ، وَلا تَنْسَوا هَذِهِ العِظاتِ البالِغَةَ العَمِيقَةَ فِيْما كانتْ عَلَيهِ مَواقِـفُ نَبِيِّكُمْ صَـلَّى الله عَلَيـهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَصَحابَتِهِ ، وَهِيَ صُورَةٌ لِما يَقَعُ الآن بَـيْنَ الـضُّعَفاءِ وَالأَقْوِيـاءِ ، وَبَـيْنَ قِوَى الشَّرِّ وَالْبَغْيِ ، و قِوَى الخَيْرِ والتَّقَدُّمِ ، وَلَيْسَ لَنَا مِنْ سِلاحٍ مَعَ أَعْـدائِنا إِلا مـا تَسَلَّح بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَـلَّمَ وَصَـحابَتُهُ مِـنْ إِيْـمان بـالله لا يَتَزَعْـزَعُ ، وَصَبْرٍ عَلَى الـمَكَارِهِ لا يَنْفُذُ ، وَعَزْمٍ عَـلَى المُواجَهَـةِ لا يَلِـينُ ، وَهَـذِهِ كُلُّهـا كانـتْ المُقَوِّماتِ لِلنَّصْرِ لِعِبادِهِ المُؤْمِنِينَ فِي أَوَّلِ مَعارِكِهِمْ ضِدَّ الباطِلِ ، وَلَـنْ يَـصْلُحَ آخِـرُ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلا بِما صَلُحَ بِهِ أَوَّلُها أَلا وهُوَ الإِسْلامُ الحقُّ.

(١) سورة الأنفال آية (٤٨).

عَلَيكَ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ يا رَسُولَ الله لَقَدْ أَوْضَحتَ لَنا المَنْهَجَ، وَمَهَّـدَتْ لَنـا الطَّرِيقَ وَلَكِنَّا حِدْنا عَنْ طَرِيقِكَ ، وَمِلْنَـا عَـنْ نَهْجِـكَ ؛ فَتَوالَـتْ عَلَينـا المَـصائِبُ وَالنَّكَباتُ وَهُنَّـا عَلَى أَعْدائِنا حَتَّى هُنَّـا عَلَى أَنفُسِنا فَهـا نَحْـنُ أَيُّهـا المُنْقِـذُ الأَعْظَـمُ وَنحْنُ نَعِيشُ ذِكرَى بَدْرٍ وَالانتِصاراتِ العَظِيمَة نُطَـأْطِئُ رُؤُوسَـنا أَمامَهَـا خَجـلاً وَنَقِفُ أَمامَها كالأَقْزَامِ الحَقِـيرَةِ الذَّلِيلَـةِ أَمَـامَ الطَّـودِ الـشَّامِخِ الأَشَـمِّ، صـاغِرِينَ مُحْتَقَرِينَ، لا نُبْدِي حِرَاكاً ، لا نُحَرِّكُ سَاكِناً وَلا نُسَكِّنُ مُتَحَرِّكاً، فَمَعـذِرةً إِلَيـكَ يـا رَسُولَ الله، إِنَّ الجُرْحَ فِينا اليَومَ غائِرٌ، وَالْعَدُوَّ منَّا ساخِرٌ ، فَرُحمَاكَ يا رَبَّ العالَمِينَ و يا ناصِرَ المُسْتَضْعَفِينَ.

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و انْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِرَاً وآمِرَاً لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصَاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَادَاتِنا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَــــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَـلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُـبْرَى ، و عَـنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَـاتِ الــمُؤْمِنِينَ ، وعَـنْ عَمَّـي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِــيَّةِ

العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيَّـكَ تَحْـتَ الـشَّجَرَةِ، طَلْحَـةَ والزُّبَيـرِ ، وسَـعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْـحَابِ رَسُـولِ اللهِ رِضْـوَان اللهِ تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَـةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِك فَـرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُـسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَـا ، وابْـسُطِ الأَمْــنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْـلِحْ ذَاتَ بَينِنَـا ، وأَلِّـفْ بَـينَ قُلُوبنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِـمَا فَعَـلَ الـسُّفَهَاء مِنَّـا ، واجْعَـلْ وِلَايَتَنَـا فِـيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَونَاً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُـزَاةِ والمُـسَافِرِينَ في بَـرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْـقِنَا غَيْثَـاً مُغِيثاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

عِبَـــادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# ذِكْرَى فَتْحِ مَكَّةَ

## الخُطْبَــــةُ الأُوْلَى

الحَمْدُ لله، يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ المُخْلِصِينَ ، وَيُحِقُّ الحَقَّ وَيَقْطَعُ دابِرَ المُبْطِلِينَ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَلِيُّ الَّـذِينَ آمَنُـوا يَهْـدِيْهِمْ إِلَى صِرَاطِهِ المُسْتَقِيمِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ جاهَدَ فِي الله حَـقَّ جِهَـادِهِ حَتَّى أَتاهُ اليَقِينُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِـينَ ، جُنْـدِ الحَقِّ وَحِزْبِ الإِيمان ، الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِحَبْلِ الله المَتِينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فأُوْصِيكُمْ أَيُّها المُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى، بِها تَكُونُوا مِـنْ عِبادِ الله الصَّالِحِينَ ، وَالمُخْلِصِينَ لله المُتَّقِينَ ؛ لأَنَّها خَيْرُ زَادٍ ، لِيَوم المِيعادِ.

عِبادَ الله: يَقُولُ الله تَبارَكَ وَتَعالَى: ﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ (١).

شاءَ الله سُبْحانهُ وَتَعالى أَنْ تَكُونَ الحَياةُ مَيْدَاناً للصِّراع بَيْنَ الحَقِّ وَالْباطِلِ ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَشاءَ الله أَنْ يُظْهِرَ الحَقَّ عَلى الباطِلِ بَعْدَ صَوْلَتِهِ فِي الأَرْضِ ، وَأَرَادَ الله لِهَذِهِ الأَرْضِ أَنْ تَتَشَرَّفَ بِبِعْثَةِ أَكْرَمِ الخَلْقِ، صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِيُقِيمَ فِي النَّاسِ مَوَازِينَ العَدْلِ ، وَيَقْضِي بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ، حِيْنَمَا تَنَكَّرَتْ لَهُ الدُّنْيا ، وَصالَ الباطِلُ صَوْلَتَهُ ، فَإِنَّ لِلْباطِلِ صَوْلَةً وَجَوْلَةً ثُمَّ يَضْمَحِلُّ و يَزْهَقُ.

---

(١) سورة الصافات آية ( ١٧١ – ١٧٣ ).

تَربَّصَ المُشْرِكُونَ بِمُحمدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالمُؤْمِنِينَ الدَّوَائِرَ ، حَتَّى أَخْرَجُوهم جَمِيعاً مِنْ بَلَدِهِمْ وَمَسْقَطِ رَأْسِهِمْ مَكَّةَ بِغَيرِ حَقٍّ إلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنا اللهُ، وَوَعَدَ الله رَسُولَهُ بِالْعَوْدَةِ إِلَى أَرْضِهِ مُنْتَصِراً ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [1]. وَمِنْ بَعْدِ يَومِ بَدْرِ الَّذِي يُعْتَبَرُ المَعْرَكَةُ الفاصِلَةُ بَيْنَ الإِسْلامِ وَالْكُفْرِ ، وَالهَزِيمَةُ الكَبِيرَةُ الَّتِي لَحِقَتْ بِأَئِمَّةِ الباطِلِ وَالشِّرْكِ ، بَعْدَ ذَلِكَ اسْتَمَرَّتْ الحُرُوبُ سِجَالاً فَحَصَلَتْ غَزْوَةُ أُحدٍ ؛ وَابْتُلِيَ المُسْلِمُونَ فِيهَا بَلاءً حَسَناً، و وَقَعَتْ غَزْوَةُ الأَحْزابِ المَشْهُورَةِ بِالْخَنْدَقِ ، الَّتِي أَرْعَبَتْ المُسْلِمِينَ، ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالاً شَدِيدًا ﴾ [2].

و ظَلَّ القِتالُ بَيْنَ جُنْدِ الله وَحِزْبِ الشَّيْطان مُسْتَمِرًّا ، وَلَقَدْ كان النَّصْرُ حِيناً بِجانبِ الحَقِّ ، وَفِي حِينٍ آخَرَ ، يُمْتَحَنُ المُسْلِمُونَ بِالابْتِلاءِ بِما لا يُحِبُّونَ ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [3] ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [4] و رَأَى رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : رُؤْياً أَنَّهُ دَخَلَ مَكَّةَ مُحْرِماً مَعَ أَصْحابِهِ ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ

---

(١) سورة القصص من الآية (٨٥).

(٢) سورة الفتح الآيتان(٢٧-٢٨).

(٣) سورة آل عمران آية (١٤١).

(٤) سورة آل عمران من الآية (١٤٠).

ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾[1] ؛ فاشْتَاقَ إِلَى زِيارَةِ بَيْتِ الله الحَرامِ بَعْدَ طُولِ فِرَاقٍ ، فَأَسْرَعَ يَدْعُو أَصْحابَهُ إِلَى زِيارَتِهِ مُعْتَمِرينَ ، وَكَمْ كان فَرَحُ المُسْلِمِينَ بِهَذِهِ البِشَارَةِ الَّتِي طَالَـما تَمَنَّوها مِنْ قَبْلُ ، وَلَكِنَّ الباطِلَ أَبى إِلا أَنْ يَظْهَرَ بِعِدائِهِ وَطُغْيانِهِ ؛ لأَنَّ شِيْمَتَهُ الظُّلْمُ وَالاسْتِعْلاءُ ، فَكَشَفَ عَنْ طَوِيَّتِهِ ، وَوَقَفَ المُبْطِلُونَ مِنْ قُرَيْشٍ ضِدَّ رَسُولِ الله وَصَحْبِهِ، وَمَنَعُوهُمْ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى مَكَّةَ وَهُمْ بِثِيابِ الإِحْرامِ ؛ وَلَكِنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسَلَّم رَغْبَةً فِي السِّلْمِ وَتَعْظِيماً لِلْبَيْتِ الحَرَامِ أَنْ تُنتَهَكَ حُرْمَتُهُ، اسْتَجابَ لِرَغْبَةِ قُرَيْشٍ وَرَجَعَ إِلَى المَدِينَةِ مَعَ أَصْحابِهِ وَلأَوَّلِ مَرَّةٍ يَعْتَرِفُ الباطِلُ بِالْوُجُودِ الإِسْلامِي ، وَتَلْتَزِمُ لَهُ قُرَيْشٌ بِما لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلُ تَسْمَحُ أَنْ تَمْنَحَ مِنْهُ قَلِيلاً ولا كَثِيراً ، و ذَلِكَ مِنْ خَلالِ مُعَاهَدةِ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ ؛ فاسْتَطاعَ رَسُلُ الإِسْلامِ وَبُعُوثُهُ أَنْ يَحْمِلُوا دَعْوَتَهُ إِلَى آفاقٍ كَثِيرَةٍ، ووَفَّرَ المُسْلِمُونَ وَقْتاً مِنَ الزَّمَنِ آمِنِينَ اسْتَطَاعُوا فِيهِ أَنْ يَجْمَعُوا شَمْلَهُمْ و تَقْوَى شَوْكَتُهُم.

وَيَأْبَى الله إِلا أَنْ يَكْشِفَ عَنْ زَيْفِ الباطِلِ وَوَجْهِهِ الكالِحِ ، حِيْنَ نَكَثَتْ قُرَيْشٌ العَهْدَ الَّذِي تَمَّ يومَ الحُدَيْبِيَةِ ، وَتَنَكَّرَتْ لِما بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّسُولِ مِنْ عَقْدٍ ، وَنَقَضَتْ بِيَدِها مَا الْتَزَمَتْ بِهِ ، و هَجَمَتْ عَلَى حُلَفاءِ الرَّسُولِ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمُسَاعَدَةِ أَعْدَائِهِمْ ، وَهُنا كان لابُدَّ لِلْحَقِّ -وَهُوَ الَّذِي لا يَرْضَى الدَّنِيئَةَ وَلا يَقبَلُ الضَّيْمَ - أَنْ يَنْتَصِرَ لِلْمَغْلُوبِينَ ، وَأَنْ يَأْخُذَ بِحَقِّ المَظْلُومِينَ ، فخَرَجَ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي جَيْشٍ قَوِيٍّ مِنْ أَبْطالِ الإِسْلامِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ الله بِقَولِهِ: ﴿

(١) سورة الفتح من الآية (٢٧).

أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [1] ، وَكان عَدَدُهُمْ عَشَرَةَ آلافِ مُقاتِلٍ ، مِنَ المُهاجِرِينَ وَالأَنصارِ وَغَيْرَهم مِنْ قَبائِلِ العَرَبِ المُسْلِمَةِ ، خَرَجَ مُتَوَجِّهاً إِلَى مَكَّةَ لِيُؤَدِّبَ أَهْلَها ، وَيَضْرِبَ عَلَى يَدِ البُغاةِ مِنْ أَبْنائِها ، لَقَدْ أَعْلَمَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَصْحابَهُ أَنَّـه مُتَوَجِّهٌ إِلَى مَكَّةَ لِيَفْتَحَها ، وَأَمَرَهُمْ بِالجِدِّ وَالتَّهَيُّؤِ وَقالَ: « اللَّهُمَّ خُذِ العُيُونَ وَالأَخْبارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبَغَتْها فِي بِلادِها » [2]وَاسْتَمَعَ المُسْلِمُونَ لأَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَمَضَوا خَلْفَهُ وَهُمْ مُشْتاقُونَ لِلِقاءِ العَدُوِّ المُنْتَظَرِ ، وَهُمْ مُدْرِكُونَ أَنَّ السَّاعَةَ الفَاصِلَةَ مَعَ أَهْلِ مَكَّةَ قَدْ دَنَتْ ، وَسارَ الجَيْشُ يَطْوِي الوِهادَ والنجادَ حَتَّى بَلَغَ مَرَّ الظَّهْرانِ قَرِيباً مِنْ أُمِّ القُرَى ، وَقَدْ قَيَّدَ الرُّعْبُ حَرَكَتَهَا وَاسْتَسْلَمَتْ لِلْقَدرِ المُنْساقِ إِلِيها ، عَلَى حِيْنٍ كان الجَيْشُ الزَّاحِفُ يَتَقَدَّمُ ، ورَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى ناقَتِهِ ، وَقَدْ انحَنَى عَلَى رَحْلِهِ وَبَدَا علَيهِ التَّواضُعُ الجَمُّ حَتَّى كادَ يَمَسُّ وَاسِطَةَ رَحْلِهِ لانحِنائِهِ عَلَيهِ اعْتِرافاً بِفَضْلِ الله ، وَدَخَلَها مَعَ أَصْحابِهِ ظافِرِينَ مُنْتَصِرينَ ، لِعَشْرِ لَيالٍ بَقَيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضان سَنَةَ ثَمانٍ مِنَ الهِجْرَةِ.

وَشاءَ الله لِهَذا البَلَدِ الَّذِي شَهِدَ مُحَمَّداً صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَـلَّمَ وَأَصْـحابَهُ وَهُمْ يُسامُونَ سُوءَ العَذابِ ، و يُرْمَونَ بِما لا قِبَلَ لِلدُّنْيا بِاحْتِمالِـهِ ، أَنْ يَـرَى مُحَمـداً صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَتَقَدَّمُ المُسْلِمِينَ دُونَ أَنْ يَرَى مُقاوَمَـةً تُـذْكَرُ مِـنْ هَـؤُلاءِ المُشْرِكِينَ ، الَّذِينَ كانوا بِالأَمْسِ لا يُطِيقُونَهُ ، وَلا يُطِيقُونَ أَحَداً مِنْ أَصْحابِهِ يَمْـشِي

(١) سورة الفتح آية (٢٩).
(٢) السيرة النبوية لابن هشام – (ج ٢ / ص ٣٩٧).

عَلَى الأَرْضِ مُطْمَئِناً ، شَهِدَ الأَصْنامَ وَهِيَ تُمْتَهَنُ وَتُحَطَّمُ ، و تُوطَأُ بِالأَقْـدامِ ، شَـهِدَ القَومَ الَّذِينَ انتَفَخَتْ أَرْوَاحُهُـمْ بِـالكِبْرِ وَالْغَطْرَسَـةِ ، وَهُـمْ يُطَـأْطِئُونَ رُؤُوسَـهُم صاغِرِينَ ، وَيَنْتَظِرُونَ بَيْنَ رَسُولِ الله مَصِيرَهُمْ ، كَما شَهِدَتْ الكَعْبَةُ المُؤمِنِينَ الَّـذِينَ كانوا لا يَسْتَطِيعُونَ الاسْتِقْرارَ بِجانِبِها ، أَوْ الاطْمِئْنـانَ مِـنْ جَوانِبِهـا أَوِ الـصَّلاةِ إِلَيْها، شَهِدَتْهُمْ اليَومَ يَطُوفُونَ وَيُـصَلُّونَ ، وَيَـذْكُرُونَ الله ، وَيَـدْعُونَ وَهُـمْ آمِنُـونَ مُطمَئِنُّونَ ، وَأَهْلُ مَكَّةَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَكادُونَ يَنْطِقُونَ ، لَقَدْ شَـهِدَ هَـذِا البَلَـدُ ( مَكَّةُ ) بِلالاً الحَبْشِيَّ ، وَهُوَ الإِنْسانُ الَّذِي طالَـما أُهِـيْنَ وَعُـذِّبَ ، وَسُـحِبَ عَـلَى وَجْهِهِ فِي بِطْحَاءِ مَكَّةَ فِي حَرِّ الظَّهِيرَةِ ، وَسُلِّطَ عَلَيهِ الأَطْفـالُ وَالـصِّبْيانُ يَـضْرِبُونَهُ وَيَسُبُّونَهُ وَقَدْ أَعَزَّهُ الله اليَومَ بِالإِسْلامِ ، وَبَوَّأَهُ المُسْلِمُونَ مَكـان الـصَّدارَةِ مِـنْهُمْ ، وَاخْتارَهُ النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِيَصْعَدَ فَوقَ الكَعْبَةِ مُعْلِناً عَقِيدَةَ التَّوحِيـدِ لله رَبِّ العَالَمِينَ. فِي أَذانِهِ لِلصَّلاةِ:( الله أَكْبَرُ ، الله أَكْبَرُ ، الله أَكْبَرْ ، الله أَكْبَرْ).

وَهَكَذَا فَتَحَتْ مَكَّةُ أَبْوابَها ، وَاسْتَسْلَمَ سادَتُها وَكُبَراؤها ، وعَلَتْ كَلِماتُ الله فِي جَنَباتِها ، ونادَى صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُحَطِّمُ الأَوْثانَ يَقُولُ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (١).

لَقَدْ عَلَتْ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ ، وَارْتَفَعَ صَوْتُ الحَقِّ وَتَرَدَّدَ فِي شِعابِ مَكَّةَ وَفِي أَوْدِيَتِها صَداهُ ، وَمَكَّنَ الله لِنَبِيِّهِ ، وَمَلَّكَهُ الزِّمامَ ، وَأَدَّى المُؤْمِنُونَ شَعائِرَ دِيْنِهِمْ بِجِوارِ بَيْتِ الله الحَرامِ فِي أَمْنٍ وَطُمَأْنينَةٍ وَسَلامٍ.

---

(١) سورة الإسراء آية (٨١).

لَقَدْ اسْتَطاعَ مُحمدٌ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالمُسْلِمُونَ بِفَتْحِ مَكَّةَ أَنْ يُعِيدُوا لِلْبَيتِ الحَرامِ أَمْنَهُ وَسَلامَهُ وَهَيْبَتَهُ ، وَأَنْ يُعَظِّمُوا حُرُماتِ الله وَشَعائِرَهُ ، وَأَنْ يُيَسِّرُوا لِلناسِ حَجَّهُ وَزِيارَتَهُ ، وَأَنْ يُطَهِّرُوه لِلطَّائِفِينَ وَالْقائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ، كَما اسْتَطاعَ أَنْ يُؤَمِّنَ ظَهْرَهُ مِنْ أَعْدائِهِ ، فانطَلَقَتْ كَتائِبُ الإِيْمان بِاسْمِ الله تَنْشُرُ الحَقَّ ، وَتَرْفَعُ رَأْيَتهُ ، وَتُمَكِّنُ مَبادِئَ الخَيْرِ فِي الأَرْضِ ، وَصَدَقَ الله وَعْدَهُ المُؤْمِنِينَ حِينَ قالَ: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ.﴾ (١).

وَلَقَدْ كان صَلَوَاتُ الله وَسَلامُهُ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهُ ، وَبَعْدَ ما لاقَى مِنْ قُرَيْشٍ هُوَ وَأَصْحابُهُ مِنْ طُغْيانها وَجَبَرُوتِها فِي حِلٍّ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ بِالثَّأْرِ ، أَوْ يَأْخُذَ بِحَقِّ هَؤُلاءِ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ هَذا البَلَدِ ظُلْماً وَعُدْواناً ، وَصُودِرَتْ أَمْوالُهُمْ ، وَاحْتُلَّتْ دِيارُهُمْ ، وَلَكِنَّهُ ضَرَبَ لِلدُّنْيا أَكْرَمَ المَثَلِ حِيْنَ تَوَجَّ ذَلِكَ النَّصْرَ العَظِيمَ بِالعَفْوِ عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَالصَّفْحَ عَمَّنْ أَجْرَمَ فِي حَقِّهِ ، وَفِي حَقِّ صَحبِهِ ، وَالإِحْسان إِلى الَّذِينَ لَمْ يَدَّخِرُوا وُسْعاً فِي الإِضْرارِ بِهِ حَتَّى بَعْدَ هِجْرَتِهِ ، لَقَدْ أَقْبَلَ عَلَى قُرَيشٍ وَهُمْ صُفُوفٌ يَرْقُبُونَ قَضاءَ الله فِيهِمْ أَمامَ الكَعْبَةِ ، وَقَدْ أَمْسَكَ بِعُضادَتَي بابِ الكَعْبَةِ وَهُمْ تَحْتَهُ فَقالَ: «لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الأَحْزابَ وَحْدَهُ »، ثُمَّ قالَ:« يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ الله قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الجاهِلِيَّةِ وَتَعْظِيمِها بالآباءِ ، النَّاسُ لآدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تُرابٍ »، ثُمَّ تَلا قَوْلَهُ تَعالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ

---

(١) سورة القصص آية (٥-٦).

أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١)، ثُمَّ قالَ لَهُمْ قَوْلَتَهُ المَشْهُورَة: (( يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ما تَظُنُّونَ إِنِّي فاعِلٌ بِكُمْ، قالَوا: خَيْراً أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ ، قالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ ))(٢).

أَيُّها المُؤْمِنُونَ: شاءَ الله جَلَّتْ قُدْرَتُهُ أَنْ يَكُونَ طَرِيقُ الحَقِّ فِي الدُّنْيا مَفْرُوشاً بِالأَشْواكِ ، مَلِيئاً بِالمتاعِبِ وَالعَقَباتِ ، كَما سَبَقَتْ كَلِمَتُهُ أَنَّــهُ مَهْما طالَ لَيْلُ الطُّغْيانِ ، وَتَعاظَمَ الباطِلُ وَبَطْشُهُ فَإِنَّ العاقِبَةَ لِلتَّقْوَى لِكُلِّ ذَلِكَ فَإِنَّ عَلَى دُعاةِ الحَقِّ أَنْ يُوَطِّنُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى البَذْلِ وَالتَّضحِيَةِ ، وَاحْتِمالِ المَكارِهِ ، وَتَقَبُّلِ البَلاءِ بِنَفْسٍ مُطْمَئِنَّةٍ راضِيَةٍ مَرْضِيَّةٍ ، حَتَّى تَبْلَغَ الأُمُورُ غايَتَها وَيَقْضِي الله فِي الباطِلِ قَضاءَه ، وَتَعْلُوا رَايَةُ الحَقِّ خَفَّاقَةً فِي العالَمِينَ ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَتَأَسَّوا بِدُعاةِ الخَيْرِ وَالمُصْلِحِينَ مِنَ الأَنْبياءِ وَالمُرْسَلِينَ ، وَأَوْلِياءِ الله الصَّالِحِينَ ،أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَحْكِي الله عَنْهُمْ فِي كِتابِهِ ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (٣).

فَاتَّقُوا الله عِبادَ الله: وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ ، وَتَأَسُّوا بِحَمِيدِ سِيْرَتِهِ ، وَجَمِيلِ خِصَالِهِ ، وَتَعَلَّمُوا مِنْها ما يُصْلِحُ شَأْنَكُمْ فِي دِيْنِكُمْ وَدُنْياكُمْ وَآخِرَتِكُمْ ، وَاذْكُرُوا قَوْلَ الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ

(١) سورة الحجرات آية (١٣).

(٢) راجع ذلك في كتاب الأم للإمام الشافعي (٧/ ٣٦١)، سنن البيهقي الكبرى (٩/ ١١٨)، والسيرة النبوية لابن هشام (٥/ ٧٤).

(٣) سورة آل عمران آية ( ١٤٦ ).

ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [1]، ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2].

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي المُهْتَدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [3]وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [4].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ [5].

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

(١) سورة الأحزاب (٢١).

(٢) سورة النور من الآية (٣١).

(٣) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٤) سورة النحل الآية (٩٨).

(٥) سورة النصر.

# الخطبة الثانية

## وَدَاعُ رَمَضَانَ

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيـكَ لَـهُ ، سُبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَــهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْوَاتُ ، وَكَلَّتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَــهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْـصَارُ ، لَا يَقْــضِي فِــي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

أما بعدُ: فيا عِبَادَ الله: أُوصِـيكُمْ وَنَفْـسِيَ بِتَقْـوَى الله تَعـالى، اتَّقُـوا الله مِـنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أَيُّها المُسْلِمُونَ يا أَتْبَاعَ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لا شَكَّ أَنَّكم كُلَّكُمْ تَعرِفُونَ وَتَفهَمُونَ ما لِهَذِهِ الأَيَّـامِ وَاللَيَـالِي الَّتِـي نَعِيـشُها مِـنَ الفَـضْلِ وَالشَّرَفِ عِنْدَ الله تَعالَى ، أَلا وَهِيَ العَشْرُ الأَواخِرُ مِنْ شَهْرِ رَمَضان المُبـارَكِ الَّـذِي

أَزْمَعَ الرَّحِيلَ ، وَسَيُفارِقُنا عَمّا قَلِيلٍ ، حامِلاً مَعَـهُ شَـهادَتَهُ لَنـا أَوْ عَلَيْنـا إِلَى المَلِـكِ الجَلِيلِ ، فَيا سَعادَةَ مَنْ كان رَمَضانُ شَاهِداً لَهُ عَـلى مـا قَدَّمَـهُ فِيـهِ مِـنَ الخَـيْراتِ و المَبَرَّاتِ، وَ يا فَوْزَ مَنْ شَهِدَ لَهُ بِقَبُولِ صِيامِهِ وقِيامِهِ ، وَيا تَعاسَةَ مَنْ كان له العَكْـسُ مِنْ ذَلِكَ فَيَشْهَدُ عَلَيهِ بِتَقْصِيرِهِ وَتَفْرِيطِهِ فِي الأَعْمالِ الصالِحَةِ ، وَيا شقَاوَةَ مَـنْ كـان خَصْمُهُ شَهْرَ رَمَضان فِي مَحْكَمَةِ العَدْلِ الإِلَهِيَّةِ ، الَّتِي لا تَفُوتُها صَغِيرَةٌ وَلا كَبِيرَةٌ مِنْ أَعْمالِنا فَنـسْأَلُهُ تَعـالَى أَنْ يَجْعَلَنـا مِـنَ المُـوَفقِينَ المَقْبُـولِينَ فِي هَـذَا الـشَّهْرِ العَظِـيمِ ، وَلْنَتَدارَكْ البَقِيَّةَ الباقِيَةَ مِنْهُ ، وَلْنُوَدِّعهُ بِمَزِيدٍ مِنَ الأَسَى وَالأَحْزانِ ، وَدُمُوعٍ تَـسِيلُ عَلَى الخُـدُودِ وَالأَجْفـان ، أَلا و إِنَّـهُ لَـيْسَ فِي الـشُّهُورِ عَـنْ سَـيِّدِها عِـوَضٌ ، وَلا كَمُفْتَرَضِهِ مُفْتَرَضٌ ، فَشَمِّرُوا عَنْ ساعِدِ الجِدِّ وَالاجْتِهادِ فِيما بَقِيَ مِنْهُ، فَلَعَلَّهُ يَعُـودُ عَلَيْنا أَوْ لا يَعُودُ ، وَ يا لَيْتَنَا عَرَفْنا مَنِ المَقْبُولُ مِنَّا وَمِـنَ المَطْـرُودُ ، وَاقْتَـدُوا بنَبِـيِّكُمْ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قالَـتْ:(( كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَـل العَـشْرُ - الأَواخِـرُ مِـنْ رَمَـضَان - شَـدَّ مئْزَرَهُ ، و أَحْيا لَيْلَهُ ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ )) [1].

أَخِي المُسْلِمِ: مِما يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَيهِ إِخْراجُ زَكاةِ الفِطْرِ وَهِيَ صاعٌ مِنْ بُـرٍّ ، أَوْ مِن غَالِبِ ما يُقْتاتُ بِهِ، عَلى كُلِّ مَنْ أَدْرَكَ جُزْءاً مِنْ رَمَضان وَجُزْءاً مِنْ شَـوَّالَ، عَنه وعَن مَنْ تَلْزَمُهُ نَفَقَتُهُ.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب (صلاة التراويح) باب (العمل في العشر الأواخر من رمضان) برقم (١٨٨٤).

وَمِما يُوَدَّعُ بِهِ هَذَا الشَّهْرُ صِيامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ، وَالسِّتَّةُ الأُوْلَى أَفْـضَلُ مِمَّـا بَعْدَها ، وَلا تُنْسِيَنَّـكَ يا أَخِي المُسْلِمَ فَرْحَةُ العِيـدِ وَنَـشْوَتُهُ وَمـا تَلْبَـسُهُ مِـنْ فـاخِرِ الثِّيابِ وَأَغْلاها ، وَأَحْلا المَتَعِ وَأَشْهاها ؛ لا يُنْسِيَنَّكَ كُلُّ هَذا شُكْرَ الله المُنْعِمِ عَلَيكَ ، كَما لا تَنْسَى مِنْ حَوالَيكَ مِنْ الفُقَراءِ وَبِخاصَّةٍ مِنَ الأَرْحامِ وَالأَيتـامِ وَالجِـيرَانِ ، مِمَّنْ تَزْدادُ حَسْرَتُهُمْ ، وَتَسِيلُ دُمُوعُهُمْ إِذا فَرِحَ النَّاسُ ، لأَنَّهم لا يَجِدُونَ مَنْ يَمْـسَحُ دُمُوعَهُمْ ويَجْـبُرُ خَواطِرَهُمْ المَكْسُوفَةَ ، وَبِخاصَّةٍ أَطْفالَهَمْ المَحْرُومِينَ ، فَتزْدَادُ فِـيهِمْ الجِراحُ أَيَّامَ الأَعْيادِ وَالأَفْراحِ.

فَنَسْأَلُ الله تَعالَى أَنْ يُلْهِمَنَا رُشْدَنَا فِي أَداءِ وَاجِباتِنَا ، وَيُطَهِّـر أَجْسامَنَا وَقُلُوبَنَا ، وَيُوَفِّقَنا لِما فِيهِ صَلاحُنا فِي الدُّنْيا وَالأُخْرَى إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبُ الدَّعَواتِ.

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَـالَ مُخْـبِرَاً وآمِـرَاً لَكُـمْ تَكْـرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصَاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْـضَـلِ: سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَـلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُـبْرَى ، و عَـنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَـاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَـنْ عَمَّـي

رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِــيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيِّـكَ تَحْـتَ الـشَّجَرَةِ، طَلْحَـةَ والزُّبَيــرِ ، وسَـعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْـحَابِ رَسُـولِ الله رِضْـوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَـةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَــا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِـنَ العَـذَابِ والنِــيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِك فَـرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُــؤْمِنَاتِ ، والـمُـسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَـا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلادالـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبِنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَـا ، وأَبْعِـدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ الـسُّفَهَاءِ مِنَّـا ، واجْعَـلْ وِلَايَتَنَـا فِـيمَنْ خَافَـكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَونَاً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُـزَاةِ والمُـسَافِرِينَ في بَـرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْـقِنَا غَيْثَـاً مُغِيثاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

عِبَـادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِـهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# وَدَاعُ رَمَضَانَ و اسْتِقْبَالُ لَيلَةِ القَدْرِ و عِيدِ الفِطْرِ

## الخُطْبَـــــــــةُ الأُوْلَى

الحَمْدُ لله رَبِّ العالَمِينَ ، حَمْداً يَرْفَعُنا بِهِ إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّيْنَ ، خَلَقَ الخَلْقَ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، فاضَلَ بَيْنَ الأَيَّامِ و اللَّيَالي ، وَاخْتَصَّ بَعْضَها بالمَزِيدِ مِنَ التَّكْرِيمِ عَلَى سائِرِ الأَوْقاتِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنا محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، شَرَّفَهُ رَبُّهُ بِكِتابِهِ الكَرِيمِ ، وأَنْزَلَهُ عَلَيهِ فِي لَيْلَةٍ اخْتَصَّها بِالْمَزِيدِ مِنَ الفَضْلِ وَالشَّرَفِ وَالتَّكْرِيمِ.اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتابِعِينَ لِسُنَّتِهِ ، الْمُهْتَدِينَ بِهَدْيِهِ إِلَى يَومِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فأُوْصِيكُمْ أَيُّها الْمُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله ؛ فَإِنَّها نِعْمَ الزَّادُ لِيَومِ المَعادِ لِقَوْلِهِ تَعالَى ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [1]. وَخَيْرُ لِباسٍ يُرْتَدَى ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [2].

يا أَتْباعَ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الله ﷺ : وَنَحْنُ عَلَى مَشارِفِ نِهايَةِ رَمَضان الْمُبارَكِ وَتَودِيْعِهِ، وَاسْتِقْبالِ يَومِ عِيدِ الفِطْرِ الْمُبارَكِ وَهُوَ إِجازَةٌ لِلصُّوَّامِ وَالقُوَّامِ ، وَفَرْحَةٌ لَهُمْ عَلَى أَداءِ وَاجِباتِهِمْ كامِلَةً غَيْرَ مَنْقُوصَةٍ ﴿ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [3].

---

(١) سورة البقرة من الآية (١٩٧).

(٢) سورة الأعراف من الآية ( ٢٦).

(٣) سورة البقرة من الآية (١٨٥).

إِنَّ يومَ عِيدِ الفِطْرِ يومٌ مِنْ أَيامِ الله المُبارَكَةِ تَجْتَمِعُونَ فِي صَباحِهِ المُبارَكِ عَلَى طَهارَةٍ وَتَقْوَى ، بَعْدَ أَنْ أَدَّيْتُمْ فَرِيضَةَ الصَّومِ خَلالَ شَهْرٍ كامِلٍ ، وَأَنْتُمْ فِي صَباحِ يَومِ العِيْدِ تَضَعُونَ أَيْدِيَكُمْ فِي يَدِ الله تَتَسَلَّمُونَ مِنْهُ جائِزَةَ التَّوفِيقِ فِي أَدَائِكُمْ صِيامَ رَمَضانَ، وَتَبْتَهِجُونَ بِفَرْحَتِكُمْ العَظِيمَةِ الَّتِي أَنْعَمَ الله بِها عَلَيْكُمْ عَنْ جَدارَةٍ وَاسْتِحْقاقٍ، فهَنِيئاً لَكُمْ عَلَى صِيامِكُمْ وَعَلَى فِطْرِكُمْ ، وَعَلَى فَرْحَتِكُمْ بامْتِثالِ أَمْرِ رَبِّكُمْ ، وَهَنِيئاً لَكُمْ اقْبالَكُمْ فِي صَباحِ يَومِ العِيْدِ عَلَى تَكْبِيرِ الله وَشُكْرِهِ ، وَإِنَّهُ لأَمْرٌ عَظِيمُ الحِكْمَةِ أَنْ يَجْعَلَ الله سُبْحانهُ وَتَعالَى شِعارَ العِيدِ هَذا التَّكْبِير الَّذِي تُرْفَعُ بِهِ أَصْواتُ المُؤْمِنِينَ فِي مَشارِقِ الأَرْضِ وَمَغارِبِها ، الجَمِيعُ هُتافُهُمْ وَاحِدٌ ، وَوِجْهَتُهُمْ وَاحِدَةٌ ، وَإِحْساسُهُمْ بالرِّضا وَاحِدٌ ، وَدَعْوَاتُهُمْ إِلَى الله سُبْحانهُ حَامِلَةً أَسْمَى مَعاني الخُضُوعِ لِجَبَرُوتِهِ ، وَالإِذْعان لِحُكْمِهِ وَتَقْدِيرِهِ ، وَلَيْسَ كَهَذا الشِّعارِ ( الله أَكْـبَرُ ) تَعْبِيرٌ عَنْ إِيْمانِ الأُمَّةِ بِرَبِّها يَومَ عِيدِهَا المُبارَكِ، وَذَلِكَ اخْتِيارٌ مِنَ الله سُبْحَانهُ وَتَعالَى حِينَ خاطَبَ عِبادَهُ بِقَولِهِ : ﴿ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ وَلَعَلَّ مِنْ أَعْظَمِ ما امْتازَ بِهِ يَومُ العِيدِ أَنَّ الدُّعاءَ فِيهِ مُتَقَبَّلٌ مُسْتَجابٌ ؛ فَقَدْ عَقَّبَ الحَقُّ سُبْحَانهُ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ التَّكْبِيرِ لِاسْتِقْبالِ العِيْدِ بِقَولِهِ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [1]. وَلَيْسَ تَرْتِيبُ الآياتِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ بِخالٍ مِنَ الحِكْمَةِ وَإِنَّما هُوَ تَرْتِيبُ يُعَبِّرُ عَنِ اسْتِحْقاقِ الدَّاعِينَ لأَنْ يَسْتَجِيبَ الله لَهُمْ ؛ أَلَيْسُوا قَدْ صَامُوا الشَّهْرَ كُلَّهُ وَقامُوهُ ؟ أَلَيسُوا قَدْ

---

(١) سورة البقرة آية ( ١٨٦ ).

أَحْسَنُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ حِينَ عَصَمُوا جَوارِحَهُمْ مِنِ ارْتِكابِ المَعاصِي ؟ أَلَيْسُوا قَدْ لَبُّوا نِداءَ الله سُبْحانَهُ وَتَعالَى حِينَ هَبُّوا مِنْ رقادِهِمْ.

فَالْمُؤْمِنُ فِي الوَاقِعِ حَياتُهُ كُلُّها عِبادَةٌ، وَهُوَ فِي شُغْلٍ شاغِلٍ عَنْ مَعاني الدُّنْيا بِمَعاني الآخِرَةِ ، بِكُلِّ مَا يُقَرِّبُهُ إِلَى الله سُبْحانَهُ ، فَهُوَ إِذا صامَ صَامَ للهِ وَحْدَهُ ، وَإِذا صلَّى صلَّى للهِ ، وَإِذَا حَجَّ حَجَّ للهِ ، وَإِذَا زَكَّى زَكَّى للهِ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَاللهُ يُجازِيهِ عَلَى حَسَناتِهِ الجَزاءَ الأَوْفَى ، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [(١)].

الْمُؤْمِنُ فِي فِكْرٍ دَائِمٍ فِيما يُقَرِّبُهُ مِنْ رِضْوان الله ، فَإِذا عَبَدَ الله عِبادَةً مُوَفَّقَةً كان لَهُ أَنْ يَفْرَحَ بِما أَتاهُ الله مِنْ فَضْلِهِ ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾ [(٢)] إِذْ لَيْسَ فِي حَياتِهِ ما يَفْرَحُ لَهُ سِوَى أَنْ يُحِسَّ بِأَنَّهُ أَدَّى واجِبَهُ وامْتَثَلَ أَمْرَ رَبِّهِ وَمِنْ هُنا كانَ العِيدُ لِلْمُؤْمِنِ إجازَةً رَبَّانِيَّةً يَسْتَرِيحُ خِلالَهَا مِنْ مَشَقَّةِ الرِّحْلَةِ التَّعَبُّدِيَّةِ ، فَجاءَ عِيدُ الفِطْرِ المُبارَكِ بَعْدَ صِيامِ رَمَضانَ يَفْرَحُ بِهِ الصَّائِمُونَ بَعْدَ أَداءِ واجِبِهِمْ ، وَيَجِيءُ عِيدُ الأَضْحَى المُبارَكِ بَعدَ مَناسِكِ الحَجِّ.

مِنْ أَجْلِ هَذا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ احْتِفالُنا بِالْعِيدِ مَوصُولاً بِالله وَالآخِرَةِ غَيرَ مُقْتَصِرٍ عَلَى مَظاهِرِ الزِّيْنَةِ وَالمَتِعِ وَالتَّسْلِيَةِ المُؤَقَّتَةِ ، وَلَيْسَ مَعْنَى هَذا أَنَّنا نحْرِمُ أَنْفُسَنَا وَأَوْلادَنا وَالناسَ الآخَرِينَ مِنْ مِتَعِ الحَياةِ المُباحَةِ وَلَهْوِها البَرِيءِ ؛ لأَنَّ تِلْكَ

---

(١) سورة الأنعام الآيتين (١٦٢-١٦٣).

(٢) النحل (١٢١).

المِتَعَ تُرِيحُ النَّفْسَ ، وَتُخَفِّفُ جَوَّ الحَياةِ الخَشِنِ، وَتُعِينُ عَلَى امْتِثالِ أَوامِـرِ اللهِ فِي كُـلِّ حالٍ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ [1].

غَيْرَ أَنَّهُ مِما يُؤَسفُ لَهُ أَنَّ بَعْضَ الشَّبابِ لَهُمْ أَيَّامَ الأَعْيادِ تَصَوُّرٌ خاطِئٌ مُنـافٍ لِلتَّعالِيمِ الإِسْلامِيَّةِ، فَمِنْ هَؤُلاءِ الشَّبابِ مَنْ يَفْهَمُ العِيدَ عَلَى أَنَّـهُ انْطِـلاقٌ لِلْغَرائِـزِ المَكْبُوتَةِ فِي شَهْرِ رَمَضانَ ، وَمُمارَسَةُ السُّلُوكِ الغَيرِ اللائِقِ مِنْ غَيرِ تَحَرُّجٍ وَلا حَيـاءٍ ، وَتَنَكُّرٌ لِعادَاتِنا وَتَقالِيدِنا الإِسْلامِيَّةِ المَوْرُوثَةِ الَّتِي تُعَدُّ بِحَقٍّ مِنْ أَهَمِّ سِماتِ مُجْتَمَعِنـا الإِسْلامِيِّ ، وَلَقَدْ أَعانَ هَؤُلاءِ عَـلَى التَّمَـرُّدِ عَـلَى المُثُـلِ العُلْيـا ، مـا تَنْقُلُـهُ وَسـائِلُ الإِعْلامِ المُخْتَلِفَةِ أَيامَ الأَعْيادِ هُناكَ ، فالْعِيدُ هُنا لَيْسَ العِيدُ هُنـاكَ ، فَـإِنَّ لِمُجتَمَعِنـا تَقالِيدُهُ وَشِعارَتُهُ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَى دِيْنِهِ وَأَخْلاقِهِ ، فَأَعْيادُنا لَيْسَتْ مُناسَـباتٌ تارِيخِيَـةٌ فَحَسْبُ، بَلْ هِيَ أُمُورٌ دِيْنِيَّةٌ مَرْبُوطَةٌ بِدِينِنا الَّذِي لَمْ يَتَزَمَّتْ فِي تَكْلِيفِنا مـالا نُطِيـقُ ؛ لأَنَّـهُ الـدِّينُ الوَسَـطُ ، وَنَحْـنُ الأُمَّـةُ الوَسَـطُ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [2].

كُلٌّ مِنَّا أَيُّها المُسْلِمُونَ رَقِيبٌ عَلَى أَوْلادِهِ ، رَاعٍ ومَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، اغْرِسُـوا فِي قُلُوبِهِمْ العِفَّةَ وَالأَخْلاقَ الإِسْـلامِيَّةَ الـصَّحِيحَةَ فِي كُـلِّ الأَيَّـامِ - فِي رَمَـضان - وَأَيَّامِ العِيدِ ، وَالأَيَّامِ العادِيَةِ ، فَالأَخْلاقُ الإِسْلامِيَّةُ لَيْـسَتْ ثَوبـاً مُـسْتعَاراً نَلْبَـسُهُ اليَومَ لِنَخْلَعَهُ غَداً.

(١) سورة الأعراف الآية (٣٢).

(٢) سورة البقرة الآية (١٤٣)

أَجَلْ: إِنَّ يَومَ العِيدِ تَكُونُ وُجُوهُ الصائِمِينَ مُسْفِرَةً، ضاحِكَةً مُسْتَبْشِرَةً، وَعَلَى وُجُوه العُصاةِ غَبَرَةٌ تَرْهَقُها قَتَرَةٌ، فَما شَرَعَ الله عِيدَ الفِطْرِ إلا لِيَفْرَحَ الصَّائِمُونَ بِتَمامِ أَعْمالِهِمْ الصَّالِحَةِ، وَما نَدَبَهُمْ فِيهِ إِلَى الصَّلاةِ إلا لِيَجْتَمِعُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فَيُوَفِيهِمْ أُجُورَهُمْ.

وَمِمَّا يُؤسفُ لَهُ أَيْضاً أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ تَراهُ فِي شَهْرِ رَمَضان يُشَمِّرُ فِي طاعَةِ الله لَيْلَ نَهارَ، فَيَصُومُ النَّهارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ فِي الصَّلاةِ، وَيَتْلُو القُرْآن، وَيُطِيلُ الجُلُوسَ فِي المَساجِدِ وَيَحْضُرُ الجُمُعَةَ وَالجَماعَةَ، فَإِذا كَان لَيْلَةُ العِيدِ طَلَّقَ التَّقْوَى وَعافَ المَساجِدَ، وَأَعْطَى نَفْسَهُ مِنَ الشَّرِّ ما تُرِيدُ، وَعَقَدَ حِلْفاً مَعَ الشَّيْطانِ وَأَعْوانِهِ.

فَيا هَؤُلاءِ الحَمْقى: أَنْبِئُونِي مِن الَّذِي تَعْبُدُونَهُ فِي رَمَضانَ، وَتَعْصُونَهُ فِي شَوَّالٍ، أَلَيْسَ هُوَ الله الواحِدُ الكَرِيمُ المَنَّان، وَمُسْبِغُ عَلَيكُمْ نِعَمَهُ وَالإِحْسان، فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَأَوان، فَطُوبَى لِمَنْ أَقْبَلَ عَلَى الله وَشَمَّرَ وَخالَفَ الشَّيْطان، فِي شَهْرِ رَمَضان وَفِي غَيْرِ رَمَضان.

أَيُّها المُسْلِمُونَ: لَقَدْ حَدَّثَنا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ عَنْ هَذَا الْيَومِ أَيْ يَومِ عِيدِ الفِطْرِ، عَلَى أَنَّه حَفْلَةٌ مُقامَةٌ بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ، تَشْتَرِكُ فِيها المَلائِكَةُ مِنَ المَلإِ الأَعْلَى، وَالطَّائِعُونَ مِنْ عِبادِ الرَّحْمَنِ، وَهِيَ حَفْلَةٌ يُقَدِّمُ فِيها الصائِمُونَ مَحْصُولَ عِبادَتِهِم طِيْلَةَ شَهْرِ رَمَضان، وَيُقَدِّمُ الله لَهُمْ جَوائِزَ التَّوفِيقَ فِي عَمَلِهِمْ، فَالأَفْراحُ فِي الأَرْضِ، وَالأَفْراحُ فِي السَّماءِ، وَإِذَا شِئْتُمْ فاسْتَمِعُوا إِلَى هَذَا الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: عَنْ سَعْدِ بْنِ أَوسٍ الأَنْصارِي عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ الله عَنْهُما قالَ: قالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: « إِذَا كان يَومُ عِيدِ

الفِطْرِ وَقَفَتْ المَلائِكَةُ عَلَى أَبْوابِ الطُّرُقِ فَتَنادَوا: اغْدُوا يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ إِلَى رَبٍّ كَرِيمٍ، يَمُنُّ بِالخَيرِ، ثُمَّ يُثِيبُ عَلَيهِ الجَزِيلَ، لَقَدْ أُمِرْتُمْ بِقِيامِ اللَّيْلِ فَقُمْتُمْ، وَأُمِرْتُمْ بِصِيامِ النَّهارِ فَصُمْتُمْ، وَأَطَعْتُمْ رَبَّكُمْ، فاقْبَضُوا جَوائِزَكُمْ، فَإِذَا صلَّوا نَادَى مُنادٍ: أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ، فارْجِعُوا رَاشِدِينَ إِلَى رِحالِكُمْ فَهُوَ يَومُ الجائِزَةِ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ اليَومُ فِي السَّماءِ يَومَ الجائِزَةِ » رواه الطبراني (1).

يا عِبادَ اللهِ: هَلْ تَدْرُونَ كَيفَ تَقْضُونَ هَذا اليَوْمَ السَّعِيدَ، وَهَلْ تَعْلَمُونَ مَا يُباحُ لِلْمُسْلِمِ مِنَ الانْبِساطِ يَومَ العِيدِ، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (2) فَقَابِلُوا رَبَّكُمْ بِكُلِّ نَظِيفٍ مِنَ الثِّيابِ وَجَدِيدٍ، وَلا تَلْبَسُوا الذَّهَبَ وَالحَرِيرَ، وَلا يَتَشَبَّهُ الرِّجالُ بِالنِّساءِ، وَلا بَأْسَ بِشَيءٍ مِنَ اللَّهْوِ، وَاللَّعْبِ وَالمِزاحِ الَّذِي لا يُخِلُّ بالآدابِ، وَأَظْهِرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَاشْكُرُوهُ عَلَيْها، وَلا تَجْعَلُوا مَجالِسَكُمْ يَوْمَ العِيدِ عَلَى الغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَاسْتَقِيمُوا كَما أُمِرْتُمْ، وَعَظِّمُوا اللهَ بِالتّكبِيرِ و التَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ، وَاسْأَلُوهُ تَعالَى صَلاحَ المُسْلِمِينَ وَتَوفِيقَ المُؤْمِنِينَ لِما يُحِبُّهُ وَيَرْضاهُ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيا وَالدِّينِ.

---

(1) ذكره الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٩٨)، و الهيثمي في مجمع الزوائد(٢/ ٢٠١) و قال عقبه: رواه الطبراني في الكبير وفيه جابر الجعفي وثقه الثوري وروى عنه شعبة وضعفه الناس وهو متروك.
(2) سورة البقرة آية (١٧٢).

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَـدِي المُهْتَـدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [1] وَقَـالَ عَـزَّ مِـنْ قَائِـلٍ كَـرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [2].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطان الرَّجِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [3].

بارَكَ الله لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِيـاكُمْ مِـنَ الآيـاتِ وَالـذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمِ.

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) سورة يونس الآيتين (٥٧-٥٨).

# الخطبة الثانية

الحَمْدُ لله الَّذِي قَدَّرَ الأَزْمـانَ وَفَـصَّلَ الفُـصُولَ ، وَأَغْـرَقَ فِي بَحْـرِ مَعْرِفَتِـهِ الأَفْكارَ وَالْعُقُولَ ، وَحَيَّرَ فِي كُنْهِ ذاتِهِ الأَفْهامَ فَما لَها إِلَى مَعْرِفَـةِ صَـمَدِيَّتِهِ وُصُـولٌ ، وَخَصَّ شَهْرَ رَمَضان بِالْعَفْوِ وَالْغُفْران وَالْبُشْرَى والرِّضْـوانِ وَالـسُّرُورِ وَالْقَبُـولِ ، وَوَعَدَ مَنْ صامَهُ بِبُلُوغِ المَقْصُودِ و المَأْمُولِ ، فَشَهْرُ رَمَضانَ شَـهْرٌ جَلِيـلٌ ، وَفَـضْلُهُ مَوْفُورٌ جَزِيلٌ ، كَما جاءَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ شَهادَةً يُبَلِّغُنا بِها أَقْصَى الغاياتِ ، وَيَرْفَعُنا بِها أَعْلى الدَّرَجاتِ، وَالْفوزَ بِسُكْنَى جَناتِهِ، فَنكُونُ مِمَّنْ قالَ فِيهِمْ فِي مُحْكَمِ آياتِهِ: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (١).

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، المَبْعُوثُ بِالقَولِ السَّدِيدِ ، وَالفِعْلِ الحَمِيدِ ، وَالأمر الرَّشِيدِ ، فَما أَحْسَنَ ما جاءَ بِهِ مِنَ العِبادَةِ ، وَما أَعْظَمَ ما جاءَ بِهِ مِنَ التَّوحِيدِ ، وَمِنْ ذَلِكَ صَوْمُ شَهْرِ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ ، هُدًى لِلنَّاسِ و بَيِّناتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقان ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيء شَهِيدٍ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ المُخْتارِ ، إِمامِ المُتَّقِينَ وَسَيِّدِ الأَبْرارِ ، وَالقَائِلِ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: "الصَّومُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَما يُطْفِئُ الماءُ النارَ " (٢) صَلى الله علَيهِ وَعَلَى آلِهِ الأَطْهارِ ، وَصَحابَتِهِ

---

(١) سورة ق آية (٣٥).

(٢) جزء من حديث رواه الإمام أحمد في المسند (باقي مسند المكثرين)(مسند جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه) برقم (١٣٩١٩)،و رواه الترمذي في سننه كتاب الإيمان، باب (ما جاء في حرمة الصلاة) برقم

الأَخْيارِ ، ما تَعاقَبَ اللَّيلُ وَالنَّهارُ ، وَعَلَى التابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسانٍ فِي الصَّومِ وَالإِفْطارِ ، وَعَلَينَا مَعَهُمْ و فِيهِمْ بِرَحْمَةٍ مِنْكَ يا عَزِيزُ يا غَفّارُ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾[1].

أما بعدُ: فيا عِبَادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أَخِي المُسْلِم: لا يُنْسِيَنَّكَ العِيدُ وَفَرْحَتُهُ ، وَما تَلْبَسُهُ مِنْ أَغْلَى الّلباسِ وَأَفْخَرِهِ ، وَأَحْلَى المِتَعِ الفانيَةِ، لا يُنْسِيَنَّكَ كُلُّ هَذَا شُكْرَ الله المُنْعِمِ عَلَيكَ ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾[2]، كَمَا لا تَغْفَل عمَّنْ حَوَالَيْكَ مِنَ الأَرْحامِ ، وَالجِيرَانِ ، وَالأَيْتامِ ، وَمَنْ أَتَى عَلَيْهِمْ الدَّهْرُ ، مِمَّنْ تَزْدادُ أَحْزانُهُمْ أَيَّامَ الأَعْيادِ ، وَتَسِيلُ دُمُوعُهُمْ إذا فَرِحَ الناسُ ؛ لأَنَّهم لا يَجِدُونَ مَنْ يَمْسَحُ دُمُوعَهُمْ ، وَيُجْبِرُ خَوَاطِرَهُمْ المَكْسُوفَةَ ، وَبِخاصَّةٍ أَطْفالِهِمْ الأَبْرِياءِ ، الَّذِينَ يُنْكِئُونَ جِراحَهُمْ ، وَيَهِيِّجُونَهم ببُكائَهُمْ ، عَنْدما يَرَونَ زُمَلائَهُمْ مِنْ أَبْناءِ جِيرانِهِمْ ، وَقَدْ لَبِسُوا أَفخَرَ الثِّيابِ ، وَيَحْمِلُونَ اللُّعَبَ ، وَيَأْكُلُونَ ما لَذَّ وَطابَ عَلَى مَسْمَعٍ وَمَرْأَى مِنْ هَؤُلاءِ المَحْرُومِينَ ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِهِمْ باكِينَ ، لِيُصَيِّرُوا أَعْيادَهُمْ حَسْرَةً وَحُزْناً.

---

(٢٥٤١) من حديث طويل لمعاذ بن جبل رضي الله عنه وقال بعده: هذا حديث حسن صحيح، و رواه ابن ماجة في سننه كتاب الفتن، باب (كف اللسان في الفتنة) برقم (٣٩٦٣).

(١) سورة الأحقاف آية (١٦).

(٢) سورة العلق آية ( ٦-٧).

أَلا فَلْـتَتَنَبَّـه يا عِبادَ الله لَمواضِع الضَّعْفِ وَالفاقَةِ فِي مُجْتَمَعِنا الصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ ، وَلْنَبْحَثْ بِدِقَّةٍ عمَّنْ حَوْلَنَا مِمَّنْ يَعِيشُ فِي شَظَفٍ مِنَ العَيْشِ مِنَ الأَيْتامِ ، وَالأَرامِلِ وَالعَجائِزِ ، وَذَوِي العاهاتِ ، وَالمَرْضَى وَالمَنْكُوبِينَ ، فَنُدْخِل عَلَيْهِمُ الفَرْحَةَ ، وَنُعِيد لِشَفاهِهِمْ البَسْمَةَ ، وَقَدْ يَعِيشُونَ قَرِيباً مِنَّا وَلَكِنَّنا لا نَعْرِفُهُمْ لِجَهْلِنَا بِأَحْوالِهِمْ ، لِعِفَّتِهِمْ وَأَنفَتِهِمْ وَتَرفُعِهِمْ عن المَسْأَلَةِ ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (1).ولله درّ من قال:

وَطَنِي أَسِفْتُ عَليكَ في عِيدِ المَلى وبكيتُ من وَجْدٍ ومن إِشْفَاقِ
لا عِيدَ لي حتَّى أَرَاكَ بأُمَّةٍ شَمَّاءَ رَاوِيَةٍ مِنَ الأَخلاقِ
ذَهَبَ الكرامُ الجامعون لأَمرِهِم و بَقِيتُ في خَلَفٍ بغيرِ خَلاقِ(2)

وَمِمَّا يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَيهِ اليَومَ إِخْراجُ زَكاةِ الفِطْرِ ، وَهِيَ صاعٌ مِنْ بُرٍّ أَوْ مِمَّا يُقْتاتُ بِهِ، عَلَى كُلِّ مَنْ أَدْرَكَ جُزْأً مِنْ رَمَضان وَجُزْأً مِنْ شَوَّالٍ.

وَمِمَّا يُوَدَّعُ بِهِ رَمَضانَ صِيامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ وَالأُوْلَى أَيْ السِّتُّ الأُولى أَفْضَلُ مِنَ الثانيَةِ وَالثَّانيَةُ أَفْضَلُ مِمَّا بَعْدَها و هَكَذَا.

اللَّهُمَّ وَفِّقْنا لِما تُحِبُّ وَتَرْضَى يا رَبَّ العالَمِينَ.

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و انْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِرَاً وآمِرَاً

---

(١) سورة البقرة آية ( ٢٧٣).

(٢) الأبيات لأمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله تعالى.

لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصَاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِــي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَـلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُـبْرَى ، و عَـنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَـاتِ الــمُؤْمِنِينَ ، وعَـنْ عَمَّـي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِــيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيِّـكَ تَحْـتَ الـشَّجَرَةِ، طَلْحَـةَ والزُّبَيــرِ ، وسَـعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْـحَابِ رَسُـولِ الله رِضْـوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجْلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَصِيرُنَا و إِلَيهِ مَصِيرُنَا، وعَلَيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلَيــهِ مَفْزَعُنَـا ؛ اكْـشفْ كَرْبَنَـا ، ونَفِّــسْ هَـمَّنَا.نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَــا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ فَـرَادِيسَ الـجِنَانِ.اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَـا ، وابْـسُطِ الأَمْــنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُــوع بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِر بِـلاد الـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْـلِحْ ذَاتَ بَينِنَـا ، وأَلِّـفْ بَـينَ قُلُوبنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِـمَا فَعَـلَ الـسُّفَهَاء مِنَّـا ، واجْعَـلْ وِلَايَتَنَـا فِـيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عونَاً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُـزَاةِ والمُـسَافِرِينَ في بَـرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثَاً مُغِيثَاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

عِبَـــادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# فرحة عيد الفطر

## الخطبة الأولى

الحَمْدُ لله مُعِيدِ الأَعْيادِ ، كَثِيرِ المَدَدِ وَالإِمْدادِ ، هَدانا سُبْحانَهُ إِلَى طُرُقِ الهُدَى وَالرَّشادِ ، فَأَرْسَلَ إِلَينا أَفْضَلَ رَسُولٍ وَخَيرِ هادٍ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، سَنَّ لَنا الأَعْيادَ ، وَجَعَلَها مَواسِمَ أَفْراحِ الطَّائِعِينَ ، وَأَيامَ سُرُورِ المُتَعَبِّدِينَ ، فَما أَعْظَمَ سُرُورِ الصَّائِمِ إِذا أَفْطَرَ ، وَما أَكْبَرَ فَرَحَهُ وَقَدْ أَكْمَلَ صَومَ رَمَضانَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَهُوَ القائِلُ ((لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ حِينَ يُفْطِرُ وَفَرْحَةٌ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ))[1].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّد وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَالمُتَّبِعِينَ لِسُنَّتِهِ ، المُهْتَدِينَ بِهَدْيِهِ ، إِلَى يَومِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فأُوصِيكمْ أَيُّها المُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى ؛ فَإِنَّها أَعْظَمُ القُرُباتِ ، إِلَى الله تَعالَى ، وَالسَّبِيلُ إِلَى المَثُوباتِ وَرِضاهُ تَعالَى ، فَخُذُوا مِنْها بِأَوْفَرِ حَظٍّ وَأَكْبَرِ نَصِيبٍ ، تَنالُوا السَّعادَةَ فِي اليَومِ الرَّهِيبِ العَصِيبِ.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ الترمذي (٣/ ١٣٧، رقم ٧٦٦)، وقال: حسن صحيح، وأخرجه البخاري (٢/ ٦٧٠، رقم ١٧٩٥)، ومسلم (٢/ ٨٠٧، رقم ١١٥١)، والنسائي (٤/ ١٦٤،رقم٢٢١٧)، وابن حبان (٨/ ٢٠٥) عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه.

يا أَتْباعَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبدِ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ: وَنَحْنُ جَمِيعاً نَعِيشُ أَيَّـامَ انْسِلاخِ رَمَضانَ، وَعَلَى مَشارِفَ عِيْدِ الفِطْرِ المُبارَكِ ، وَهُوَ إِجازَةٌ لِلصَّوامِ وَالقُـوَّامِ ، وَفَرْحَةٌ لَهُمْ عَلَى أَداءِ واجِباتِهِمْ فِي شَهْرِ رَمَضانَ كامِلَةً غَيرَ مَنْقُوصَةٍ ، يَجِـبُ الـشُّكْرُ عَلَيها، وَأَنْتُمْ غَداً أَوْ بَعْدَ غَدٍ سَتَـضَعُونَ أَيْـدِيَكُمْ فِي يَـدِ الله تَعـالَى ، وَتَـسَلَّمْتُمْ مِنـهُ جائِزَةَ التَّوفِيقِ فِي أَدائِكُمْ صِيامَ رَمَـضانَ ، وَتَبْتَهِجُـونَ بِفَـرْحَتِكُمْ العَظِيمَـةِ ، الَّتِـي أَنْعَمَ الله بِها عَلَيكُمْ عَنْ جَدارَةٍ وَاسْتِحْقاقٍ ، فَهَنِيئاً لَكُمْ عَلَى صِيامِكُمْ وَعَلَى فِطْرِكُمْ وَعَلَى فَرْحَتِكُمْ بِامْتِثالِ أَمْرِ رَبِّكُمْ ، وَسَتَرْفَعُونَ شِعارَ التَّكْبِـيرِ ( الله أَكْـبَرُ الله أَكْـبَرُ ) وَذَلِكَ تَعْبِيرٌ صادِقٌ عَنْ إِيمانِ الأُمَّةِ بِرَبِّها يَومَ عِيدِها المُبارَكِ ، وَذَلِكَ اِخْتِيارٌ مِـنَ الله سُبْحانَهُ حِيْنَ خاطَبَ عِبادَهُ بِقَولِـهِ﴿ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1]. وَلَعَلَّ مِنْ أَعْظَمِ مـا امْتـازَ بِـهِ يَـومُ العِيـدِ أَنَّ الدُّعاءَ فِيهِ مُتَقَبَّلٌ مُسْتَجابٌ ، فَقَـدْ عَقَّـبَ الحَـقُّ سُـبْحانَهُ عَـلَى مَـشْرُوعِيَّةِ التَّكْبِـيرِ لِاسْتِقْبالِ العِيـدِ بِقَولِـهِ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[2].

أَلَيْسُوا قَدْ صامُوا الشَّهْرَ كُلَّهُ وَقامُوهُ ؟ أَلَيْسُوا قَدْ أَحْـسَنُوا إِلَى أَنْفُـسِهِمْ حِـينَ عَصَمُوا جَوارِحَهُمْ عَنِ ارْتِكابِ المَعاصِي ؟ أَلَيْسُوا قَدْ لَبُّوا نَـداءَ الله سُـبْحانَهُ حِـينَ هَبُّو مِنْ رُقادِهِمْ.

(١) سورة البقرة الآية (١٨٥)

(٢) سورة البقرة الآية (١٨٦)

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ: المُؤْمِنُ فِي الواقِعِ حَياتُهُ كُلُّها عِبادَةٌ، وَهُوَ فِي شُغْلٍ شاغِلٍ عَنْ مَعانِي الدُّنْيا بِمَعانِي الآخِرَةِ، بِكُلِّ ما يُقَرِّبُهُ مِنَ اللهِ سُبْحانَهُ، فَهُوَ إِذا صامَ صامَ للهِ وَحْدَهُ، وَإِذا عيَّدَ عيَّدَ للهِ، وَإِذا حَجَّ حَجَّ للهِ، وَإِذاً زَكَّى زَكَّى للهِ، وَإِذا صَلَّى صَلَّى للهِ، لا شَرِيكَ لَهُ، وَاللهُ يُجازِيهِ عَلَى حَسَناتِهِ الجَزاءَ الأَوْفَى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (١).

المُؤْمِنُ فِي فِكْرٍ دائِمٍ فِيما يُقَرِّبُهُ مِنْ رِضْوانِ اللهِ تَعالَى، فَإِذا عيَّدَ عِيادَةً مُوَقَّتَةً كانَ لَهُ أَنْ يَفْرَحَ بِما آتاهُ اللهُ مِنْ فَضلِهِ ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾ (٢) إِذْ لَيْسَ فِي حَياتِهِ ما يَفْرَحُ لَهُ سِوَى أَنْ يُحِسَّ بِأَنَّهُ أَدَّى واجِبَهُ وامْتَثَلَ أَمْرَ رَبِّهِ وَمِنْ هُنا كانَ العِيدُ لِلْمُؤْمِنِ إِجازَةً رَبَّانِيَّةً يَسْتَرِيحُ خِلالَها مِنْ مَشَقَّةِ الرِّحْلَةِ التَّعَبُّدِيَّةِ، فَجاءَ عِيدُ الفِطْرِ المُبارَكِ بَعْدَ صِيامِ رَمَضانَ يَفْرَحُ بِهِ الصَّائِمُونَ بَعْدَ أَداءِ واجِبِهِمْ، وَيَجِيءُ عِيدُ الأَضْحَى المُبارَكِ بَعدَ مَناسِكِ الحَجِّ.

مِنْ أَجْلِ هَذا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اِحْتِفالُنا بِالْعِيدِ مَوصُولاً بِاللهِ وَالآخِرَةِ غَيرَ مُقْتَصِرٍ عَلَى مَظاهِرِ الزِّينَةِ وَالمِتَعِ وَالتَّسْلِيَةِ المُؤَقَّتَةِ، وَلَيْسَ مَعْنَى هَذا أَنَّنا نحْرِمُ أَنْفُسَنَا وَأَوْلادَنا وَالناسَ الآخَرِينَ مِنْ مِتَعِ الحَياةِ المُباحَةِ وَلَهْوِها البَرِيءِ؛ لأَنَّ تِلْكَ

(١) سورة الأنعام الآية (١٦٢-١٦٣)

(٢) النحل (١٢١).

المِتَعَ تُرِيحُ النَّفْسَ ، وَتُخَفِّفُ جَوَّ الحَياةِ الخَشِنِ، وَتُعِينُ عَلَى امْتِثالِ أَوامِرِ اللهِ فِي كُلِّ حالٍ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ ﴾ (١).

غَيْرَ أَنَّهُ مِمّا يُؤَسفُ لَهُ أَنَّ بَعْضَ الشَّبابِ لَهُمْ أَيَّامَ الأَعْيادِ تَصَوُّرٌ خاطِئٌ مُنافٍ لِلتَّعالِيمِ الإِسْلامِيَّةِ، فَمِنْ هَؤُلاءِ الشَّبابِ مَنْ يَفْهَمُ العِيدَ عَلَى أَنَّهُ انْطِلاقٌ لِلْغَرائِزِ المَكْبُوتَةِ فِي شَهْرِ رَمَضانَ ، وَمُمارَسَةُ السُّلُوكِ الغَيرِ اللائِقِ مِنْ غَيرِ تَحَرُّجٍ وَلا حَياءٍ ، وَتَنَكُّرٌ لِعادَاتِنا وَتَقالِيدِنا الإِسْلامِيَّةِ المَوْرُوثَةِ الَّتِي تُعَدُّ بِحَقٍّ مِنْ أَهَمِّ سِماتِ مُجْتَمَعِنا الإِسْلامِيِّ ، وَلَقَدْ أَعانَ هَؤُلاءِ عَلَى التَّمَرُّدِ عَلَى المُثُلِ العُلْيا ، ما تَنْقُلُهُ وَسائِلُ الإِعْلامِ المُخْتَلِفَةِ أَيامَ الأَعْيادِ هُناكَ ، فالْعِيدُ هُنا لَيْسَ العِيدُ هُناكَ ، فَإِنَّ لِمُجتَمَعِنا تَقالِيدُهُ وَشِعارَتُهُ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَى دِيْنِهِ وَأَخْلاقِهِ ، فَأَعْيادُنا لَيْسَتْ مُناسَباتٌ تارِيخِيَةٌ فَحَسْبُ، بَلْ هِيَ أُمُورٌ دِيْنِيَّةٌ مَرْبُوطَةٌ بِدِينِنا الَّذِي لَمْ يَتَزَمَّتْ فِي تَكْلِيفِنا مالا نُطِيقُ ؛ لأَنَّهُ الدِّينُ الوَسَطُ ، وَنَحْنُ الأُمَّةُ الوَسَطُ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ (٢).

أَجَلْ: إِنَّ يَومَ العِيدِ تَكُونُ وُجُوهُ الصائِمِينَ مُسْفِرَةً ، ضاحِكَةً مُسْتَبْشِرَةً ، وَعَلَى وُجُوه العُصاةِ غَبَرَةٌ تَرْهَقُها قَتَرَةٌ ، فَما شَرَعَ اللهُ عِيدَ الفِطْرِ إِلا لِيَفْرَحَ الصَّائِمُونَ بِتَمامِ أَعْمالِهِمْ الصَّالِحَةِ، وَما نَدَبَهُمْ فِيهِ إِلَى الصَّلاةِ إِلا لِيَجْتَمِعُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فَيُوَفِيهِمْ أُجُورَهُمْ.

---

(١) سورة الأعراف الآية (٣٢)

(٢) سورة البقرة الآية (١٤٣)

وَمِمَّا يُلاحَظُ مَعَ الأَسَفِ أَنَّ بَعْضَ الناسِ تَراهُمْ فِي شَهْرِ رَمَضانَ يُشَمِّرُونَ فِي طاعَةِ اللهِ لَيْلَ نَهارَ، فَيَصُومُ النَّهارَ وَيَقُومُ الليْلَ فِي الصَّلاةِ وَتِلاوَةِ القُرْآنِ، وَيُطِيلُ الجُلُوسَ فِي المَساجِدِ ، وَيَحْضُرُ الجُمْعَةَ وَالجَماعَةَ، فَإِذَا كانَ لَيْلَةُ العِيدِ طَلَّقَ التَّقْوَى، وَعَافَ المَساجِدَ ، وَأَطْلَقَ لِنَفْسِهِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ الحَبْلَ عَلَى الغارِبِ ، وَعَقَدَ حِلْفاً وَعَهْداً مَعَ الشَّيْطانِ وَأَعْوانِهِ مِنْ قُرَناءِ السُّوءِ.

فَيا هَؤُلاءِ الحَمْقاءُ: أَنْبِئُونِي مِنَ الَّذِي تَعْبُدُونَهُ فِي شَهْرِ رَمَضانَ وَتَعْصُونَهُ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ ؟ أَلَيْسَ هُوَ اللهُ الوَاحِدُ الكَرِيمُ المَنَّانِ ، وَمُسْبِغُ عَلَيكُمْ نِعَمَهُ وَالإِحْسانَ ، فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَأَوانٍ ، فَطُوبَى لِمَنْ أَقْبَلَ عَلَى اللهِ وَشَمَّرَ، وَخالَفَ الشَّيْطانَ فِي شَهْرِ رَمَضانَ وَفِي غَيرِ رَمَضانَ.

وَبِمُناسَبَةِ حُلُولِ أَيامِ عِيدِ الفِطْرِ المُبارَكِ وَنَحْنُ نَعِيشُ يَوْمَهُ الثانِي، يَجِبُ أَنْ نَنْسَى أَوْ نَتَناسَى كُلَّ تَنازُعٍ وَتَخاصُمٍ بَيْنَنا ، وَبِمُناسَبَةِ العِيدِ، يَجِبُ أَنْ يَتَقارَبَ المُتَباعِدُونَ ، ويَصْطَلِحَ المُتَخاصِمُونَ حَتَّى يَكْتَمِلَ العِيدُ فِي صُورَتِهِ المِثالِيَّةِ الَّتِي عَبَّرَ عَنْها الرَّسُولُ ﷺ أَصْدَقَ تَعْبِيرٍ ، فِيما رَواهُ النُّعْمانُ بْنُ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى»(١).

وَإِنَّ هَذا التَّعاطُفَ وَالمَحَبَّةَ فِي أَيامِ العِيدِ يَفِيضُ مِنَ المُسْتَوَى الأَعْلَى إِلَى المُسْتَوَى الأَدْنَى، مِنْ مُسْتَوَى الكِبارِ إِلَى مُسْتَوَى الصِّغارِ ، دَعُوهُمْ يَلْعَبُونَ

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٣٨، رقم ٥٦٦٥). وأخرجه أيضًا: أحمد (٤/ ٢٦٨، رقم ١٨٣٨١)، والطبراني في الشاميين (١/ ٢٩٣، رقم ٥١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٠٢، رقم ٧٦٠٩).

وَيَمْرَحُونَ فِي حُدُودِ اللَّهْـوِ الـبَرِيء ، الَّـذِي لا يُفْـسِدُ الأَخْـلاقَ ، وَلا يَتَنـافَى مَـعَ الآدابِ الإِسْلامِيَّةِ العامَّةِ ، وَأَهَمُّ ما يُمْكِنُ أَنْ يحُس بِهِ أَطْفالُنـا فِي العِيـدِ أَنَّنـا نَهْـتَمُّ بِهِمْ وَنُشْرِكُهُمْ فَرْحَتَنا، فَلا نَتْرُكُهُمْ فِي الشَّوارِعِ كالسَّوائِمِ الـضالَّةِ وَلَكِـنْ يَجِـبُ أَنْ نَصْحَبَهُمْ مَعَنـا فِي زِيـارَةِ الأَهْـلِ وَالأَقـارِبِ ، فَاصْـحِبُوهُمْ حَيْـثُ تَنـازَلُونَ عَـنْ خُصُوماتِكُمْ ؛ لِيَـشْهَدُوا بِـأَعْيُنِهِمْ كَيـفَ تَتَـصافَحُ الأَيْـدِي ، وَتَتَـصافَى القُلُـوبُ ، وَكَيفَ يَتَبادَلُ الناسُ التَّهانِي وَالتَّبْرِيكـاتِ بِالعِيـدِ واليَـومِ الجَدِيـدِ ؛ فَتَنـتَقِشَ هَـذِهِ الأَفْراحُ فِي مُخَيَّلاتِهِمْ وَتَنْطَبِعَ فِي طَبائِعِهِم.

هَذِهِ هِيَ الأَعْيادُ الإِسْـلامِيَّةُ الَّتِـي نَعِيـشُها، فُـرَصٌ رَبَّانِيَّـةٌ أَرادَهـا اللهُ لَكُـمْ سَعَادَةً وَصَفاءً وَإِحْساناً ، فَلا تَدَعُوا لَحْظَةً مِنْ لَحَظاتِها بِدُونِ صَفاءٍ وبِـدُونِ إِسْـعادٍ لِلآخَرِينَ وَلأَنْفُسِكُمْ ، وَكُلُّنا يَطْلُـبُ الـسَّعادَةَ فِي حَياتِـهِ ولْـيَعِشْ الجَمِيـعُ سُـعَداءَ مُطْمَئِنِّينَ، تُخَيِّمُ عَلَينا رُوحُ المَحَبَّةِ وَالوِئامِ ، وَتُرَفْرِفُ عَلَينا رَايَةُ الصَّفاءِ وَالاحْتِرامِ ، بَعِيدِيْنِ عَنِ الشِّجارِ وَالخِصامِ ، وَالْقَطِيعَةِ وَالتَّباعُدِ وَالانْفِصامِ ، إِذاً فَلْنَتَـسامَحْ مَـعَ إِخْوانِنا أَيامَ العِيدِ ، وَنَغُض الطَّرفَ عَنْ هَفَوات قَدْ تَصْدُرُ مِنا تُجاهَ بَعْضِنا مِمَّـنْ يَعِـزُّ عَلَينا مِنْ أَهالِينا وَأَقْرِبائِنا وَجِيرانِنا ، فَما أَجْدَرَنا اليَومَ جَمِيعاً بـالحِلْمِ وَالتَّـسامُحِ ، لا تَتْرُكُوا فُرْصَةَ العِيدِ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ دُونَ فائِدَةٍ ، أَوْصِلُوهُمْ وَإِنْ قَطَعُـوكُمْ ، أَقْرُبُـوا مِنْهُمْ وَإِنْ بَعُدُوا ، وَاتَّبِعُوا سَنَنَ نَبِيِّكُمْ الَّذِي لا يَنْطِقُ عَـنِ الهَـوَى إِنْ هُـوَ إِلا وَحْـيٌ يُوْحَى ، فَقَدْ سَأَلَهُ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَحَدُ أَصْحابِهِ قَائِلاً:

يَا رَسُولَ الله إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِـلُهُمْ وَيَقْطَعُـونِي وَأُحْـسِنُ إِلَـيْهِمْ وَيُـسِيئُونَ إِلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنْ الله ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» رَواهُ مُسْلِمٌ[1].

وَبِهَذِهِ التَّوجِيهاتِ وَأَمْثالِها يَتَحَدَّثُ إِلَينا رَسُولُنا الأَعْظَمُ لِتَبْقَى رَوابِطُ الأُسْرِ مُتَماسِكَةً ، لا تُمَزِّقُهَا حَماقاتُ البُغْضِ مِمَّنْ لا يَقْدِرُها حَقَّ قَدْرِها ، فِي حِينِ غابَ مِـنْ بَيْنِنا رِجالُ الـصُّلْحِ وَالْمُـصْلِحِينَ الْمُـوَفَّقِينَ لِحِـلِّ الْمُـشْكِلاتِ العائِلِيَّـةِ الْمُسْتَعْـصِيَةِ ، وَافْتَقَدْنا رِجالَ الحَلِّ وَالعَقْدِ الْمُخْلِصِينَ ، بَلْ قَدْ يُوْجَدُ العَكْسُ مِمَّنْ يَزِيدُ الطِّينَ بَلَّـةً ، وَالنَّارَ وَقْدَةً ، إِلا مَنْ حَفِظَ الله ، قالَ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِي حَقِّ رِجـالِ الـصُّلْحِ بَيْنَ النَّاسِ، مُخاطِباً الصَّحابِيَّ الجَلِيلَ أَبا أَيُّـوبَ الأَنْـصارِي رَضِيَ الله عَنْـهُ: «يـا أَبـا أَيوبَ، أَلا أَدُلَّكَ عَلى صَدقَةٍ يَرضَي الله ورسـولُه مَوضِـعَهَا ؟ » قَـال: بَـلَى. قَـالَ: « تُصلِحُ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تباغـضوا، وَتُقَـرِّبُ بيـنهم إذا تباعـدوا»[2] فعليـك الـصلاة والسلام يا نبي الهدى ويا بحر الندى.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٢، رقم ٢٥٥٨)، وابن حبان (٢/ ١٩٥، رقم ٤٥٠).

(٢) أخرجه الطيالسي (ص ٨١، رقم ٥٩٨، ص ١٠٥، رقم ٢٣٢)، والطبراني (٤/ ١٣٨، رقم ٣٩٢٢) قـال الهيثمي (٨/ ٧٩): فيه ابن عبيدة وهو متروك. وأخرجه أيـضًا: البيهقـي في شـعب الإيـمان (٧/ ٤٩٠، رقـم ١١٠٩٤).

(٢) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَـدِي الْمُهْتَـدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] وَقَـالَ عَـزَّ مِـنْ قَائِـلٍ كَـرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[2].

أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطان الرَّجِيمِ

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[3].

بارَكَ الله لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِيـاكُمْ مِـنَ الآيـاتِ وَالـذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمِ.

---

(٣) سورة النحل الآية (٩٨).

(٤) سورة يونس الآية ( ٥٧ـ٥٨).

# الخطبة الثانية

الحَمْدُ لله الَّذِي قَدَّرَ الأَزْمـانَ وَفَـصَّلَ الفُـصُولَ ، وَأَغْـرَقَ فِي بَحْـرِ مَعْرِفَتِـهِ الأَفْكارَ وَالْعُقُولَ ، وَحَيَّرَ فِي كُنْهِ ذاتِهِ الأَفْهامَ فَما لَها إِلَى مَعْرِفَةِ صَمَدِيَّتِهِ وُصُولٌ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ شَهادَةً يُبَلِّغُنا بِها أَقْصَى الغاياتِ ، وَيَرْفَعُنا بِها أَعْلى الدَّرَجاتِ، وَالْفَوزَ بِسُكْنَى جَناتِهِ، فَنكُونُ مِمَّنْ قالَ فِيهِمْ فِي مُحْكَمِ آياتِهِ: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (١).

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، المَبْعُوثُ بِالقَولِ السَّدِيدِ ، وَالفِعْلِ الحَمِيدِ ، وَالأمر الرَّشِيدِ ، فَما أَحْسَنَ ما جاءَ بِهِ مِنَ العِبادَةِ ، وَما أَعْظَمَ ما جاءَ بِهِ مِنَ التَّوحِيدِ ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيء شَهِيدٍ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ المُخْتارِ ، إِمامِ المُتَّقِينَ وَسَيِّدِ الأَبْرارِ، صَلى الله علَيهِ وَعَلَى آلِهِ الأَطْهارِ ، وَصَحابَتِهِ الأَخْيارِ ، ما تَعاقَبَ اللَّيلُ وَالنَّهارُ ، وَعَلَى التابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسانٍ فِي الصَّومِ وَالإِفْطارِ ، وَعَلَينا مَعَهُمْ و فِيهِمْ بِرَحْمَةٍ مِنْكَ يا عَزِيزُ يا غَفَّارُ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ (٢).

أما بعدُ: فيا عِبادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

(١) سورة ق آية (٣٥).

(٢) سورة الأحقاف آية (١٦).

عِبادَ اللهِ: شَرَعَ الله جَلَّ جَلالُهُ لَنا نَحْنُ المُسلِمِينَ فِي كُلِّ عامٍ عِيْدَيْنِ عَظِيمَـيِنِ ؛ لِنُظْهِرَ فِيهِما شِــعارَ دِيْنِنا ، وجَعَلَهُما جائِـزَةً لَنا فِي مَواسِـمَ دِيْنِيَّـةٍ ، فَعِيـدُ الفِطْـرِ عَقِبَ شَـــهْرِ رَمَضانَ

المُبارَكِ ، وَعِيدُ الأَضْحى بَعْدَ الوُقُوفِ بِعَرَفاتٍ ، لِنَطِيبَ بِهِما نَفْساً، وَنَقَرَّ عَيْناً.

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءِ: فِي فَرْحَةِ العِيدِ وَنَشْوَتِهِ، قَدْ يَنْسَى الإِنْسانُ نَفْسَهُ فَيُقَصِّرَ فِي واجِباتِهِ الدِّينيَّةِ ، فَلا يَذْكُرُ الله تَعالَى إِلا قَلِيلاً ، وَلا يَشْكُرُهُ عَلَى نَعْمائِـهِ ، وَيَنْـسَى مَنْ حَولَهُ مِنَ الفُقَراءِ البائِسِينَ ، وَالأَيْتامِ وَالمَكْفُوفِينَ ، مِمَّنْ لا يَعْرِفُ لِلْعِيدِ مَعْنًـى ، وَلا يَذُوقَ لِفَرْحَتِهِ طَعْماً ، فَتَراهُمْ يَبْكُونَ حِـينَ يَـضْحَكُ النـاسُ، وَيَبْتَئِـسُونَ حِـينَ يَفْرَحُ غَيْرُهُمْ.

أَلا فَلْنَنتَبِهْ يا عِبادَ الله لِمَواضِعَ الضَّعْفِ فِي مُجْتَمَعِنا الصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ ، فَنُـدْخِلُ عَلَيهِمْ الفَرْحَةَ ، وَنُعِيدُ لِشَفاهِهِمْ البَسْمَةَ ، وَقَدْ يَعِيشُونَ قَرِيباً مِنَّـا وَبَـيْنَ ظَهْرانِينـا، وَلَكِنَّا نَجْهَلُهُمْ لِعَدَمِ مَعْرِفَتِنا بِأَحْوالِهِمْ ، لِعِفَّتِهِمْ وأَنْفَتِهِمْ كَما وَصَفَهُمْ جَـلَّ جَلالُـهُ بِقَولِهِ﴿ **يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّـفِ تَعْـرِفُهُم بِـسِيمَاهُمْ لاَ يَـسْأَلُونَ النَّـاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ الله بِهِ عَلِيمٌ** ﴾[1].

يا إِخْوَةَ الإِيمانِ: كَيفَ يَطِيبُ لَنا عِيدٌ وَعالَمُنا الإِسْلامِيُّ وَالعَـرَبِيُّ مُمَـزَّقٌ عَـلَى نَفْسِهِ، لا جامِعَةَ تَجْمَعُهُمْ ، وَلا رابِطَـةَ تَـرْبَطُهُمْ ؟ أَمْ كَيـفَ يَقِـرُّ لَنـا قَـرارٌ وَالـبِلادُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ تَنتابُها الاهْتِزازَتُ، الواحِـدَةُ تِلْـوَا الأُخْـرَى ، وَتُكَـدِّرُ صَـفاءَهَا الاضْطِراباتُ الدَّاخِلِيَّةُ ، وَتَعْصِفُ بِها الخِلافاتُ الحُدُودِيَّةُ ، وَيَكِيدُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

(١) سورة البقرة الآية (٢٧٣).

، بَلْ كَيفَ يَطِيبُ لَنا عِيدٌ أَوْ يَـومٌ جَدِيـدٌ وَنَحْـنُ نُعـاني مِـنَ التَّخَلُّـفِ مـا نُعانِـي ، تَخَلُّفٌ عِلْمِيٌّ، وَتَخَلُّفٌ حَضارِيٌّ ، وَتَخَلُّفٌ تَرْبَوِيٌّ ، وَتَخَلُّفٌ اِقْتِصادِيٌّ ، وَلَقَدْ أَجادَ مَنْ قالَ (١):

وَطَني أَسِفتُ عَلَيكَ في عيدِ المَلا    وَبَكَيتُ مِن وَجدٍ وَمِن إِشفاقِ

لا عيـدَ لي حَتّـى أَراكَ بِأُمَّـةٍ    شَـمّاءَ راوِيَـةٍ مِـنَ الأَخـلاقِ

وَاذْكُرُوا دائِماً أَنَّ عِيدَكُمْ الأَكْـبَرُ هُـوَ يَـومَ تَتَحَقَّـقُ لِـوَطَنِكُمْ العَـرَبِيِّ المُـسْلِمِ وَحْدَتُهُ الشَّامِلَةُ ، وَتَنْتَفِي مِنْ أَرْجائِهِ عَوامِلُ الفُرْقَةِ وَتَلْتَقِي جُهُودُ المُسْلِمِينَ فِي كُـلِّ دِيارِهِمْ وَأَمْصارِهِمْ ؛ لإِعْلاءِ كَلِمَةِ الله وَاسْتِعادَةِ قُدْسِنا السَّلِيبِ الأَسِيرِ مِنْ أَيْـدِي الأَعْداءِ، وَتَرْتَفِعُ حَناجِرُهُمْ بِذَلِكَ الهُتافِ الحَبِيبِ مَدَوِياً: الله أَكْبَرُ الله أَكْـبَرُ لا اِلَـهَ إِلا الله وَحْدَهُ صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصرَ عَبْدَهُ وَأَعَزَّ جُنْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ.

وَكُلّ عامٍ وَأَنْتُمْ بِخَيرٍ وَالعالَمُ الإِسْلامِيُّ بِخَيرٍ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ علَيهِ اليَومَ ، إِخْراجُ زَكاةِ الفِطْرِ، وَهِيَ صاعٌ مِـنْ بُـرٍّ أَوْ مِمـا يُقْتَاتُ بِهِ، عَلَى كُلِّ مَنْ أَدْرَكَ جُزْءاً مِنْ رَمَضَانَ وَجُزْءاً مِنْ شَوَّالَ.

وَمِمَّا يُوَدِّعُ بِهِ رَمَضانُ صِيامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالَ ، وَالـسِّتَّةُ الأُولَى مِنـهُ أَفْـضَلُ مِنَ الثَّانِيَةِ، وَهَكَذَا الثَّانِيَةُ أَفْضَلُ مِما بَعْدَها.

اللَّهُمَّ وَفِّقْنا لِما تُحِبُّهُ وَتَرْضاهُ يا رَبَّ العالَمِينَ، وَكُلُّ عامٍ وَأَنْـتُمْ بِخَـيرٍ، وَالعـالَمُ الإِسْلامِيُّ بِخَيرٍ، لَبَّيكَ لا شَرِيكَ لَبَّيكَ إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَـكَ وَالمُلْـكَ لا شَرِيـكَ لَكَ، وَسَتَظَلُّ هَذِهِ الـشِّعاراتِ مَرْفُوعَـةُ التّكْبِـير كُـلَّ عـامٍ دائمـة إِلَى أَنْ يَـرِثَ الله الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيها، وَكُلُّ عامٍ وَنَحْنُ والعالَمُ الإِسْلامِيُّ بِخَيرٍ.

(١) وهو أمير الشعراء أحمد شوقي من البحر الكامل.

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ الْمُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِرَاً وآمِرَاً لَكُمْ تكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَـلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُـبْرَى ، و عَـنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَـاتِ الــمُؤْمِنِينَ ، وعَـنْ عَمَّـي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِــيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيِّـكَ تَحْـتَ الـشَّجَرَةِ، طَلْحَـةَ والزُّبَيـرِ ، وسَـعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْـحَابِ رَسُـولِ الله رِضْـوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيــهِ مَفْزَعُنَـا ؛ اكْـشفْ كَرْبَنَـا ، ونَفِّــسْ هَـمَّنَا .نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَــا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ فَـرَادِيسَ الـجِنَانِ.اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ

مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْـسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ.اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَـا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِـصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِـمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَـكَ واتَّقَـاكَ واتَّبَـعَ رِضَـاكَ يَـا أَرْحَـمَ الرَّاحِـمِينَ.اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عونَاً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُـزَاةِ والمُـسَافِرِينَ فِي بَـرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَـاً فِيــهِ ، نَافِعَـاً غَـيرَ ضَارٍّ.﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

عِبَـادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# الحَجُّ و الحِكْمَةُ مِنهُ في الإِسْلامِ

## الخُطْبَةُ الأُوْلَى

الحَمْدُ لله الَّذي وَحَّدَنا بكَلِمَةِ التَّوحِيدِ ، وَدَعانا لِلالْتِفافِ تَحْتَ رَايَــةِ دِينِـهِ العَتِيدِ المَجِيدِ ، وَرَبَطَنا بِرابِطَتِه المَتِينَةِ ، فَشَرَعَ لَنا شَرِيعَتَهُ الغَرَّاءَ المَصُونَةَ وَجَعَـلَ لَنـا مَوَاسِمَ عِبادَةٍ تَجْمَعُ شَـتَاتنا مِـنْ أَنْحـاءِ المَعْمـورَةِ ، وَتَـرْأَبُ صَـدْعَنا وَتَلـمُّ شَـمْلَنا وشَعْثَنا بَعْدَ فِرْقَةٍ وَتَمَزُّقٍ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَـهُ ، جَعَـلَ حَـجَّ بَيْتِـهُ الحَـرامِ مِـنَ الشَّرِيعَةِ رُكْناً ، وَصَرفَ وُجُوهَنا إلى قِبْلَتِهِ فكان ذَلِكَ مِنْ نِعَمِهِ العُظْمَـى وَجَمَعَنـا فِي رِحَابِهِ الوَاسِعَةِ تَلْبِيَةً لِنِدائِهِ ، وَاقْتِداءً بِسَيِّدِ أَنبِيائِهِ ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَوْلِيائِهِ.

و أَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَفْضَلُ مَنْ لَبَّى النِّداءَ ، وَأَكْرَمُ مَنْ رَفَـعَ الدُّعاءَ ، وَأَفْضَلُ مَنْ هَدَى.اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحمـدٍ قائِـدِ الغُـرِّ المُحَجَّلِـينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الهُداةِ الأَكْرَمِينَ، صَلاةً وَسَلاماً دائِمَيْنِ مُتَلازِمَيْنِ إِلى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فأُوْصِيكُمْ أَيُّها المُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله،فإِنَّها الحَبْلُ المَتِينُ الَّـذِي لا تَنْفَصِمُ عُراهُ ، وَالحِصْنُ الحَصِينُ الَّذِي لا يَضِلُّ مَنْ اهْتَدَى بِهُداهُ.

عَبادَ الله: هَذِهِ أَيَّامُ فَرِيضَةٍ مِنْ أَعْظَمِ فَرائِضِ الإِسْلامِ ، فَرِيضَةُ الحَجِّ إِلى بَيْتِ الله الحَرامِ ، و هِيَ دَيْنٌ عَلَى الـمُسْتَطِيعِ مِنَ الأَنامِ ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران آية ( ٩٧).

و مِنَ المَعْلُومِ لَدَى كُلِّ مُسْلِمٍ أنَّ فَرائِضَ هَذا الـدِّين الحَنِيـفِ قَـدْ رُوْعِـيَ فِي تَشْرِيعِها دائِماً أَنْ تَكُونَ ذَاتَ نَفْعٍ فَـرْدِيٍّ دُنْيَـوِيٍّ وَأُخْـرَوِيٍّ ، وَذاتَ نَفْـعٍ جمـاعِيٍّ ، يَتَحَقَّقُ لِلْجماعَةِ المُسْلِمَةِ، مَتَى ما أُدِّيتْ الفَرِيضَةُ عَـلَى وَجْهِهـا ، كَـما أَمَـرَ الله ، ولا رَيْبَ أَنَّ هَذا النَفْعَ الجماعِيَّ مَعَ النَّفْعِ الفَرْدِيِّ ، هُوَ ضِمْنُ المَقْصُودِ مِـنْ قَولِـهِ صَـلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِشَأْنِ صَلاةِ الجَماعَةِ: « صَلاةُ الجَماعَةِ أَفْضَلُ مِـنْ صَـلاةِ الفَـذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً »[١].

وَالحَجُّ كَذَلِكَ مِنَ العِبادَاتِ الَّتِي يَتَحَقَّقُ بِها للمُسْلِمِ الفَذِّ وَلِلْجَماعَةِ المُـسْلِمَةِ مَنافِعُ كَثِيرَةٌ مَتَى الْتَزَمَ النَّاسُ فِي أَدائِهِ بِآدابِهِ وَشَعائِرِهِ ، فَأَمَّا ما يَعُودُ عَلَى المُسْلِمِ مِـنَ الحَجِّ إِلَى جانبِ أَدائِهِ لِلْفَرْضِ فَإِنَّنا نَقِفُ مِنهُ عَلَى أُمُورٍ ثَلاثَـةٍ أَوَّلها: تِلْـكَ المُعايَنَـةُ المُثِيرَةُ ، وَالمُشاهَدَةُ المُنِيرَةُ ، لِوُجْدانِ المُـؤْمِنِينَ ، حِـينَ يُواجِهـونَ بَيْـتَ الله الحَـرامِ ، الَّذِي طالَمَا اشْتاقُوا وَتَطَلَّعُوا لرُؤْيَتِهِ ، وَعِنْدَ ما يُطالِعُونَ قَبْرَ حَبِيبِهِمْ الأَعْظَـمِ عَلَيـهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، وبَقِيَّة المَشاعِرِ وَالمُشاهِدِ الإِسْلامِيَّةِ ، وَهُمُ الَّـذِينَ طالَمَـا تَوَجَّهـوا إِلَى الكَعْبَةِ وَتَخَيَّلُوا مَشْهَدَها ، وَتَشَوَّقُوا إِلَى الطَّوافِ حَوْلَها ، كُلَّما وَقَفُوا بَيْنَ يَدَيِ الله فِي صَلاتِهِمْ ، هَذِهِ المُعايَنَةُ تَرْبطُ المُؤْمِنَ رَبْطاً قَوِيّاً مُباشِراً بِشعائِرِ دِيْنِهِ ، و هِي تَـتِمُّ فِي جَوٍّ رَائِعٍ حَيْثُ أَقْبَلَتْ مِئَاتُ الأُلُوفِ مِنَ المُـؤْمِنِينَ مِـنْ أَنْحـاءِ المَعْمـورَةِ مُبْتَهِجِـينَ بِأَداءِ مَناسِكِهِمْ ، مُلَبِّينَ دَعْوَةَ رَبِّهِمْ.

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأذان: باب (فضل صلاة الجماعـة) بـرقم (٦٠٩)، و مـسلم في صحيحه كتاب (المساجد و مواضع الصلاة) باب (فضل صلاة الجماعة و بيـان التـشديد في التخلـف) بـرقم (١٠٣٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ثانيها: إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَقْضِي فَتْرَةً طَوِيلَةً أَيَّامَ الحَـجِّ لا هَـمَّ لَهُ إِلا ذِكْرُ الله وَالتَّلْبِيَةُ وَالتَّجَرُّدُ لِلْعِبادَةِ مِنْ كُلِّ شَواغِلِ الحَياةِ الدُّنْيا ، لَقَدْ قَضَى كلُّ حاج عُمْراً طَوِيلاً فِي أُمُورِ مَعاشِهِ العاجِلِ ، و آنَ لَهُ أَنْ يَهتمَّ بِتَقْـدِيمِ شَيْءٍ لِمَصِيرِهِ الآجِلِ ، وَلَيْسَ كالذِّكرِ وَالتَّلْبِيَةِ وَسِيْلَةٌ إِلَى التَّقَرُّبِ مِنْ حَضْرَةِ ذِي الجَلالِ ، وَهُوَ ذِكْرٌ يَحْدُثُ فِي أَطْهَرِ وَأَكْـرَمِ بُقْعَةٍ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ ، وَفِي ظُرُوفِ تَجَرُّدٍ تامٍّ يَرْفَـعُ الدُّعـــاءَ إِلَى مُسْـتَوَى الإِجـابَةِ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾ [1] . ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ ﴾ [2]. ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ ﴾ [3].

وَمِنَ المَأْثُورِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ الله عَنْهُ فِي هَذَا: أَنَّ رَسُـولَ الله صَـلَّى الله عَلَيـهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قالَ: (( إِنَّ دَاودَ النَّبِيَّ عَلَيه السَّلامُ قالَ: إِلَهِي ما لِعِبادِكَ عَلَيـكَ إِذا هُـمْ زَارُوكَ فِي بَيْتِكَ ؟ قالَ: إِنَّ لِكُلِّ زائِرٍ حَقاً عَـلَى الْمَـزُورِ، يـا داودُ: لَهـمْ عَـلَيَّ حَـقٌّ أَنْ أُعافِيهَمُ فِي الدُّنْيا ، وَأَغْفِرَ لَهُمْ إِذا لَقِيتُهُمْ ))[4].

وَثالِثُها: ما يَعُودُ عَلَى الْمُسْلِمِ مِنَ الحَجِّ من الفائِدَةِ الفَرْدِيَّةِ والتَجْرِبَـةِ التَرْبوِيَّـةِ التي لا يَتَعَرَّضُ لِمِثْلِها طِيْلَةَ حَياتِهِ أَبَداً ، ذَلِكَ أَنَّ الدِّينَ يَفْرِضُ عَلَى سُـلُوكِ الْمُـؤْمِنِ رَقابَةً صارِمَةً ، لا تَفُوِّتُ لَهُ أَدْنَى مُخالَفَةٍ ، بَلْ إِنَّها لَتُحَاسِبُهُ وتُحَاسِبُ ضَـمِيرَهُ الحَـيَّ

---

(١) سورة البقرة آية (١٨٦).

(٢) سورة الغافر آية ( ٦٠).

(٣) سورة الشورى آية (٦).

(٤) ذكره الحافظ المنذري في الترغيب و الترهيب (٢/ ١١٠)، و الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائـد (٣/ ٢٠٨) و قال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن حمزة الرقي وهو ضعيف.

حِساباً عَسِيراً عَلَى كُلِّ ما يَرْتَكِبُ مِنْ مُخالَفاتٍ وَلَو يَسِيرَةً ، وَقَدْ حَدَّدَت الآيَةُ القُرْآنيَّةُ المَحْظُورات فِي الحَجِّ فِي قَولِهِ تَعالَى: ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾[1]. وهَذِهِ المَحْظُوراتُ قَدْ يَسْتَوْجِبُ فِعْلُها فَرْضَ عُقُوبَةٍ عَلَى مُرْتَكِبِها مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ إِهْراقِ دَمٍ، غَيرَ أَنَّ ذَلِكَ يَتِمُّ ضَبْطُهُ بِوَاسِطَةِ المُؤْمِنِ نَفْسِهِ ، لا بِواسطةِ سُلَطَةٍ دِيْنِيَّةٍ أَوْ دُنْيَوِيَّةٍ ، وَيَتَّفِقُ هَذا مَعَ قَولِ النَّبِيِّ صَلَى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ ، وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَومَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ))[2].

وَهُناكَ مَنافِعُ أُخْرَى أَبَاحَها الله لِلْحاجِّ مِنْ تِجارَةٍ نافِعَةٍ مَثَلاً فِي المَوْسِمِ ، فَلا تَسْتَقِيمُ حَياةُ هَذا التَّجَمُّعِ العَظِيمِ بِدُونِ تِجارَةٍ تُوَفِّرُ لِكُلِّ فَرْدٍ احْتِياجَاتِهِ مِنَ الطَّعامِ وَالشَّرابِ وَالمَلْبَسِ وَالمَسْكَنِ لِقَولِهِ سُبْحانهُ وَتَعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[3]، و قَولُهُ تَعالَى: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة آية ( ١٩٧ ).

(٢) رواه البخاري في مواضع من صحيحه منها: في كتاب الحج: باب (فضل الحج المبرور) برقم (١٤٢٤)، و مسلم في صحيحه كتاب الحج، باب (فضل الحج و العمرة و يوم عرفة) برقم (٢٤٠٤) .

(٣) البقرة (١٩٨).

(٤) الحج ( ٢٧-٢٨).

أَيُّها المُسْلِمُونَ: هَذَا التَّجَمُّعُ العَظِيمُ فِي تِلْكَ البَقاعِ المُقَدَّسَةِ هُوَ فِي الواقِعِ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ مُؤْتَمَرٍ ، وَأَصْدَقُ حَشْدٍ يُمَثِّلُ الأُمَّةَ الإِسْلامِيَّةَ اليَومَ وَمِنَ المُسْتَحِيلِ فِي أَيِّ مَكان آخَرَ أَنْ يَجْتَمِعَ مِثْلُ هَذَا العَدَدِ الهائِلِ مِنْ ذَوِي القُلُوب النَّقِيَّةِ ، وَالمَشاعِرِ التَّقِيَّةِ ، فِي مَكان واحِدٍ ، لِهَدَفٍ واحِدٍ ، وَبِوَجْهَةٍ واحِدَةٍ ، يَهْتِفُونَ بِنِداءٍ واحِدٍ مُتَصاعِدٍ إِلَى عَنان السَّماءِ، تُرَدِّدُهُ الأَوْدِيَةُ وَالجِبالُ (( لَبَّيكَ اللَّهُمَّ لَبَّيكَ ، لَبَّيكَ لا شَرِيكَ لك لَبَّيكَ ، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ لا شَرِيكَ لَكَ )).

إِنَّ هَذا التَّجَمُّعَ الضَّخْمَ كَفِيلٌ بِحِلِّ مُشْكِلاتِنا نَحْنُ المُسْلِمِينَ [١] اليَومَ عَلَى كُلِّ المُسْتَوَياتِ إِذا نَحْنُ عَرَفْنا نَسْتَفِيدُ مِنْهُ اِجْتِماعِياً، فَإِنَّ مُشْكِلاتِنا تَزْدادُ يَوماً عَنْ يَومٍ، وَتَتَّسِعُ رِقْعَتُها، وَتَكْثُرُ أَطْرافُها وَتَعْقِيداتُها، لَنا مُشْكِلَةٌ مَعَ أَعْدائِنا الحَقِيقِيِّيْنِ مِنْ مُسْتَعْمِرِينَ وَيَهُود ، وَلَنا مُشْكِلاتٌ يُؤْسَفُ لَها مَعَ إِخْوانٍ لَنا فِي الإِسْلامِ وَالعُرُوبَةِ، وَهِيَ أَشَدُّ وَقْعاً وَتَأْثِيراً عَنْ سابِقَتِها ، وَلَنا أَيْضاً مشْكِلَةُ المُشْكِلاتِ القاصِمَةُ للظهْرِ مُشْكِلَتُنا مَعَ أَنْفُسِنا وَفِي داخِلِ وَطَنِنا وَصَفِّنا.

أَمَّا مُشْكِلَتُنا مَعَ الأَعْداءِ الحَقِيقِيِّيْن تَتَمَثَّلُ فِي الغَزْوِ العَسْكَرِيِّ وَالثقافِي وَالاقْتِصادِيِّ، وَيُحارِبُنا اليَومَ الأَعْدَاءُ بِالأَسْلِحَةِ الثَّلاثَةِ، فَإِذا فَشِلَ سِلاحٌ اتَّخَذُوا غَيْرَهُ ، فاحْتِلالُ الأَرْضِ مَوجُودٌ فِي أَرْضِ القُدْسِ المُشَرَّفَةِ أُولى القِبْلَتَينِ وَثالِثِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ ، وَبَقِيَّةِ الأَرَاضِي المُحْتَلَّةِ ، وَالْغَزْوُ الثَّقافِي قَدْ لا يَشْعُرُ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ، فَهُوَ مَوْجُودٌ فِي بُيُوتِنا و فِي مَلابِسِنا و فِي مَدارِسِنا ، و فِي أَفْكارِنا ، و فِي إِعْلامِنا.

---

(١) النصب هنا على تقدير فعل التخصيص أعني.

وَأَما الغَزْوُ الاقْتِصادِيُّ يَتَمَثَّلُ فِي السَّيْطرَةِ عَلَى خَيْراتِنَـا المادِيَّـةِ وَثَرْواتِنـا ، وَأَسْواقِنا وَعُمَلاتِنا ، فَيُجِيعُنا مَتَى أَرادَ ، وَيَتَكَرَّمُ عَلَيْنا مَتى شـاءَ ، وَيُـشْغِلُ بَعْـضَنا بِبَعْضٍ ، حَتَّى لا نَتَّحِدَ وَنَتَحَدَّاهُ، هَكَذا شِعارُهُ دَائِماً ( فَـرِّقْ تَـسُدْ ) وَلا يَـسْتَطِيعُ أَنْ يَعِـيشَ بَيْنَنَـا إِلا فِي المِيـاهِ العَكِـرَةِ وَالأَسـالِيبِ المُلْتَوِيَّـةِ ، فَهَـلْ فَهِمْنـا هَـذا نَحْـنُ المُسْلِمون ؟

وَأَما مُشْكِلاتُنا مَعَ أَشِقائِنا ـ وَما أَكْثَرُها هُنا وَهُناكَ وَقَدْ بَلَغَ الـسَّيلُ الزُّبَـى كَما يُقالَ ـ كُلُّها أَوْجُلُّهـا مِـنْ إِعْـدادِ وَإِخْـراجِ العَـدُوِّ الحَقِيقِـي وَنَحْـنُ نُبَارِكهـا ، فالحُرُوبُ الَّتِي وَقَعَتْ بَيْنَ جُيُوشٍ إِسْلامِيَّةٍ أَوْ عَرَبِيَّةٍ كانـتْ أَكْثَـرُ عَـدَداً وَفَتْكـاً فِي جِسْمِ العُرُوبَةِ وَالإِسْلامِ مِنْ حُرُوبِنا مَعَ أَعْدائِنا وَالخِلافاتُ الجانبِيَّةُ وَالـصراعاتُ الَّتِي نشْهَدُها اليَومَ، أَنْكَأُ جُرْحاً ، وَأَشَدُّ وَقْعاً فِي نُفُوسِنا مِنْ قَنابِلِ العَدُوِّ وَحِرابِـهِ ، فَقَدْ مَزَّقَتْ صُفُوفَنا شَرَّ تَمْزِيقٍ وَنَغَّصَتْ عَيْشَنا أَشَدَّ تَنْغِيصٍ ، وَللهِ دَرُّ مَنْ قَالَ[1]:

وَظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى النَّفْسِ مِنْ وَقْعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ

لَقَدْ اسْتَعْمَلْنا فِي مَعارِكِنا الجانبِيَّةِ كُلَّ وَسـائِلِ التَّـدْمِيرِ والتَّخرِيـبِ الوَسَـائِلِ الرُّوحِيَّةِ وَالوَسائِلِ المادِيَّةِ عَلَى اخْتِلافِ أَنْوَاعِها، لا نَحْسِبُ لِلآخِـرَةِ حِـساباً ، وَلا نُدْرِكُ أَوْ نَقْدِرُ لِلْعاقِبَةِ القَرِيبَةِ أَوِ البَعِيدَةِ أَيَّ تَقْدِيرٍ أَوْ تَقْيِيمٍ إِنَّ فِي مُؤْتَمَرِ الحَجِّ كِفايَـةً لأَنْ يُناقِشَ المُـسْلِمُونَ عَـلَى كُـلِّ مـسْتَوَياتِهِمْ وَاخْـتِلافِ آرائِهِـمْ وَبُعْـدِ دِيـارِهِمْ ، وَيُطَهِّرُوا نُفُوسَـهُمْ فِي أَرْضِ الطَّهـارَةِ ، و فِي رِحـابِ بَيْـتِ الله العَتِيـقِ المُقَـدَّسِ، و

(١) البيت للشاعر الجاهلي طرفة بن العبد في معلقته المشهورة وهو من البحر الطويل.

يَطْرَحُ الكُلُّ ما في حَقائِبِهِمْ ويَتَنَفَّسُ كُلٌّ عَمَّا فِي نَفْسِهِ، فِي جَوٍّ حُـرٍّ إِسْـلامِيٍّ صـادِقٍ بِعِيدٍ عَنِ السِّياسَةِ وَالْكَذِبِ وَالخِداعِ ، صـافٍ خـالِصٍ عَـنِ الأَحْقـادِ و الأَضْـغَانِ وَحُبِّ الذَّاتِ ، وَالأَنانِيَّاتِ ، بِتَوجِيهـاتِ العُلَـماءِ الأَعْـلامِ ، وَمُفَكِّـرِي الإِسْـلامِ، مُتَجَرِّدِينَ عَـنْ نَظَـراتِهِمْ الـضَّيِّقَةِ وَعَـواطِفِهِمْ الإِقْلِيمِيَّـةِ وَالْعَـشائِرِيَّةِ ، وَالجِنْـسِيَّةِ وَالحِزْبِيَّةِ وَنَزَعاتِهِمْ ، فَهَل نُدْرِكُ هَذا ؟

أَيُّها المُسْلِمُونَ: إِنَّ فِي أَيدِيكُمْ أَنْتُمْ وَحْدُكُمْ المِفْتاحَ لِحَلِّ مُـشْكِلاتِكُمْ الـسِّياسِيَّةِ و الاقْتِصادِيَّةِ الملحَّة، عَلَى أَساسٍ مِنَ العَدالَةِ الَّتِي امْتازَ بِهـا دِيـنُكُمْ، ذَلِـكَ الـدِّينُ الَّـذِي حَضَّ عَلَى التَّعاوُنِ ، وَدَعا إِلَى التَّكافُلِ ، وَلَيْسَ كالحَجِّ مُناسَبَةٌ لِبَحْثِ هَـذِهِ المُـشْكِلاتِ فِي الإِطارِ الإِسْلامِي لِمُحاوَلَةِ إِيجادِ حلٍّ لَهـا، فَالمُـشْكِلَةُ لا تَتَعَـدَّى أَنْ تَكُـونَ: مُـشْكِلَةً مادِيَّةً: حِرْمانٌ وَجُوعٌ وَخِواءُ البُطُونِ، فَناسٌ يَمُوتُونَ جُوعاً، بِالمُقابِلِ آخَرُونَ يَمُوتُـونَ تُخْمَـةً مِـنْ كَثْـرَةِ الأَكْـلِ ، أَوْ مُـشْكِلَةً رُوحِيَّـةً وَهُـوَ: خَـرابُ الـضَّمائِرِ وَالنُّفُـوسِ، و الصِّراخاتُ الَّتِي تَصُمُّ الآذَان الآن إِمَّا: صَرَخاتُ مَعِدةٍ خاوِيَةٍ مَحْرُومَةٍ تَطْلُـبُ طَعامًـا وَغَداءً، وَإِما صَرَخاتُ ضَمِيرٍ مُعَذَّبٍ يَطْلُبُ إِيماناً وَيَقِيناً.

ولا شَـكَّ أَنَّ دِينَنـا لَدَيـهِ عَـلاجُ المـشْكِلَتَينِ النـاجِعُ إِذا مـا رَجَعْنـا إِلَيـهِ ، وَرَاجَعْنَا حِسابَاتِنا وَأَنْفُسَنا ، عَلَى أَساسٍ مِنَ الهُدَى وَالإِيمان بِالله ، وَنَـشَرِ مـا حَـوَاه تُراثُ دِينِنا مِنْ عِلْمٍ نافِعٍ وَخُلُقٍ مَتِينٍ ، وَأَمْرٍ بِالمَعرُوفِ وَنَهْيٍ عَنِ المُنْكَرِ ، وَلَـسَوفَ تَدُومُ هَذِهِ الحالُ طالَمَا وَضْعُنا الرَّاهِنُ مِنَ التَّناحُرِ وَالفُرْقَةِ لا يَزَالُ مَوْجُوداً.

فَهَلْ يَأْذَنُ الله لَنا أَنْ نَلْتَقِي عَلَى خَيْرٍ فِي مَوَاسِمِ الحَـجِّ المُبارَكَـةِ فِي كُـلِّ عـامٍ لِتُعْرَضَ مُـشْكِلاتُنا عَـلَى جَمـاهِيرِ المُـسْلِمِينَ ؛ لِيَفْهَمهـا الجَمِيـعُ وَيُناقِـشها وَيَـزْداد المُسْلِمُونَ وَعْيًا بِها ؛ وَلِيُشارِكَ الجَمِيعُ فِي حِلِّها.

تِلْكَ يا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ دُرُوسٌ مُسْتفَادَةٌ مِنَ الحَجِّ عَـلَى مُـسْتَوَى الأَفْـرادِ ، وَعَلَى مُسْتَوَى الجَماعَةِ ، وَهِيَ دُرُوسٌ تَصْلُحُ لِلتَّأَمُّلِ ، فِي سَبِيلِ اسْـتِخْراجِ مـا فِيهَـا مِنْ خَيرٍ ، يَتَحَوَّلُ عِندَ صِدْقِ النِّيَّاتِ إِلَى عَمَلٍ نافِعٍ وَإِحساسٍ بِالرِّضـا يَمْـلأُ نَفْـسَ المُؤْمِنِ.

أَسْأَلُ الله تَعَالى أَنْ يَكْتُبَ لَنا أَداءَ هَذِهِ الفَرِيضَةِ ، وَأَنْ يُمَتِّعَنا بِزِيارَةِ رَسُـولِهِ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ حَتَّى تَتَزَوَّدَ قُلُوبُنا إِيماناً بـالله ، وَتَعِـيشَ جَوارِحُنـا سَـاعَاتِ جِهادٍ فِي سَبِيلِ الله، وما ذَلِكَ علَى الله بِعَزِيـزٍ ، عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ الله عَنْـهُ قـالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيـهِ وَسَـلَّمَ « أَيُّ العَمَـلِ أَفْـضَلُ ؟ قـالَ: إِيـمانٌ بِـالله تَعَـالى وَرسُولِهِ، قِيلَ: ثُمَّ ماذَا ؟ قـالَ: الجِهَـادُ فِي سَـبِيلِ الله قِيـلَ: ثُـمَّ مـاذَا ؟ قـالَ: حَـجٌّ مَبْرَورٌ » [1] و في روايةٍ « الحـجُّ المَبْرُورُ لَيسَ لَهُ جَزاءٌ إِلا الجَنَّةُ » [2].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الحج: باب (فضل الحج المبرور) برقم (١٤٢٢)، و مسلم في صـحيحه كتاب الإيمان: باب (بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل العمال ) برقم (١١٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في مواضع من مسنده منها في (باقي مسند المكثرين) (مسند جابر بـن عبـدالله رضي الله تعالى عنه) بزيادة: قالوا يا نبي الله ما الحج المبرور ؟ قال:" إطعام الطعام وإفشاء السلام".

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي المُهْتَدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١) وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (٢).

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾. وقوله ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣).

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) سورة آل عمران الآيتان (١٠٤-١٠٥).

## الخطبة الثانية

## الحَـجُّ و حِكْمَتُهُ الإِسْلامِيَّة

الحَمْدُ لله الذي جَعَلَ البَيتَ الحَرام مَثابَةً للناس وَأَمْناً، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيـكَ لَـهُ، سُـبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَــهُ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ، خَـشَعَت لَـهُ الأَصْوَاتُ، وَكَلَّتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ، وُلَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه خَيرُ مَنْ طـافَ بِالبَيْـتِ العَتِيـقِ وَهُـوَ القائِلُ: (( الحُجَّاجُ وَالعُمَّارُ وَفْدُ الله يُعْطِيهِمْ ما سَأَلُوا، وَيَـسْتَجِيبُ لَهُـمْ مـا دَعَـوا، وَيُخْلِفُ عَلَيهِمْ ما أَنْفَقُوا ))[1].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ما حَجّ حاجٌ وَاعْتَمَر وَلَبَّى وَحَلَقَ وَنَحَرَ، وَطافَ بِالبَيتِ العَتِيقِ وَقَبَّلَ الحَجَرَ، وَعَلَى آلِـهِ وَصَـحْبِهِ الهُـداةِ الأَكْـرَمِينَ، وَالتَّابِعِينَ إِلَى يَومِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فأُوصِيكمْ أَيُّها المُـسْلِمُونَ وَنَفْـسِيَ بِتَقْـوَى الله تَعـالَى فَخُـذُوا مِنْهـا بِأَوْفَرِ حَظٍّ وَنَصِيبٍ، وَاحْتَقِبُوها زَاداً لَكُمْ لِلْيَومِ الرَّهِيبِ العَصِيبِ.

يا عبدَ الله: إِذا وَفَّقَكَ الله لِحَجِّ بَيْتِهِ وَزِيارَةِ قَـبْرِ نَبِيِّـهِ صَـلَّى الله عَلَيـهِ وَآلِـهِ وَسَلَّمَ، وَمَتَّعْتَ نَفْسَكَ وَعَيْنَكَ بِرُؤْيَةِ تِلْكَ المَشاعِرِ المُعَظَّمَـةِ، وَالْبَقـاعِ المُقَدَّسَـةِ،

---

(١) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٣/ ٤٧٦، رقم ٤١٠٥) وقال: ثمامة غير قوى. وضعفه المنذرى (٢/ ١١٣). وقال المناوى (٣/ ٤٠٥): فيه محمد بن عبد الله بن سليمان أورده الذهبى فى الضعفاء وقال ابن منده مجهول.

تَذْكَّرْ كَيفَ مَشَى بِها رَسُـولُ الله صَـلَّى الله عَلَيـهِ وَآلِـهِ وَسَـلَّمَ وَأَصْـحابُهُ رَضِيَ الله عَنْهُم، و ما لاقاهُ مِنَ العَنَتِ وَالأَذَى وَالشِّدَّةِ فِي رِحابِ البَيْتِ الحَرامِ ، وَكَيفَ نَـشَرَ الدَّعْوَةَ الإِسْلامِيَّةَ ، ثُمَّ كَيفَ هَاجَرَ وَصَحْبُهُ إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ بِطِيبَـةِ الطَّيِّبَـةِ زَادَهـا الله تَكْرِيماً وَتَعْظِيماً وَتَشْرِيفاً ، وَكَيفَ تَمَّ قِيـامُ دَوْلَـةِ الإِسْـلامِ ، وَتَحَرَّكَـتْ جُيُوشُـهُ وَبُعُوثُهُ، وَما أَحْرَزَتْهُ مِنْ نَصْرٍ ، وَتَذْكَّرْ كَيفَ حَجَّ رَسُولُ الله حَجَّـةَ الـوَداعِ واقْتَـد بِـهِ و فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ قالَ:(( اعْتَمَرَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ عُمَرٍ كُلُّهُنَّ فِي ذِي القَعْدَةِ إِلا الَّتِي كانتْ مَعَ حَجَّـتِهِ ))[1].

وَحَجَّ رَسُولُ الله ﷺ حَجَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ بَعْدَ الهِجْرَةِ هِيَ حَجَّةُ الوَداعِ سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ الهِجْرَةِ ، لأَنَّ الحَجَّ لَمْ يُفرَضْ إِلا فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ ، وَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ وَرَأَى البَيْتَ قالَ: (( اللَّهُمَّ زِدْ هَذا البَيْتَ تَشْرِيفاً وَتَعْظِيماً وَتَكْرِيماً وَمَهابَةً))[2]، ثُمَّ طافَ وَلَمَّا حَاذَى الحَجَرَ الأَسْوَدَ اسْتَلَمَهُ وَلَمْ يُزاحِمْ عَلَيهِ وَرَمَلَ فِي الأَشْواطِ الثَّلاثَةِ الأُوَّلِ ، وَ اضْطَبَعَ بِرِدائِهِ[3] ، وَإِذا حاذَى الرُّكْنَ اليَمانِي اسْتَلَمَهُ وَلَمْ يُقَبِّلْهُ وَقالَ: (( بِسْمِ الله وَاللهُ أَكْبَرُ ))، وَكُلَّما أَتَى عَلَى الحَجَرِ الأَسْوَدِ قالَ: (( الله أَكْبَرُ))، وَثَبَتَ عَنهُ أَنَّـه اسْتَلَمَهُ وَقَبَّلَهُ ، وَوَقَفَ خَلْفَ المَقَامِ وَصَلَّى رَكْعَتَيِ الطَّوافِ وَأَتَمَّ بَقِيَّةَ الأَعْمالِ بِمَكَّةَ ، وَكان يُصَلِّي مُدَّةَ إِقامَتِهِ بِمَكَّةَ بِمَنْزِلِهِ مُدَّةَ أَرْبَعَةِ أَيامٍ يَقْصُرُ الصَّلاةَ الرُّباعِيَّةَ وَتَوَجَّهَ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الحج: باب (كم اعتمر النبي صلّى الله عليه وسلم) برقم (١٦٥٥)، و مسلم في صحيحه كتاب الحج: باب( بيان عدد عمر النبي صلّى الله عليه وسلم) برقم (٢١٩٧).

(٢) روى هذا الحديث الإمام الشافعي في مسنده (١/ ١٢٥) و في كتابه الأم (٢/ ١٦٩) عن ابن جريج منقطعاً. و رواه البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٧٣).

(٣) الاضطباع هو أن يلفَّ الحاج رداءه تحت إبطه الأيمن و يجعل طرفيه على كتفه الأيسر.

يَومَ التَّرْوِيَةِ أَي اليَومَ الثَّامِنَ مِنْ ذِي الحِجَّةِ إِلَى مِنَى مُحْرِماً بِالحَجِّ وَباتَ بِهَا ، وَلَمَّا طَلَعَتْ الشَّمْسُ مِنَ اليَومِ التَّاسِعِ سَارَ إِلَى عَرَفَةَ ، وَتَذَكَّرْ خُطَبَ رَسُولِ اللهِ فِي حَجَّةِ الوَداعِ ، خَطَبَ يَومَ السَّابِعِ بِمَكَّةَ عَلَّمَ أَصْحابَهُ أَعْمالَ الحَجِّ وَنُسُكَهَ قالَ فِيهَا: (( خُذُوا عَنِّي مَناسِكَكُمْ لَعَلِّي لا أَلْقاكُمْ ))[1] ، الثَّانِيَةُ خَطَبَ وَهُوَ عَلَى ناقَتِهِ القَصْوَاءِ بِوادِي عُرَنَةَ قُرْبَ عَرَفَةَ خُطْبَةً عَظِيمةً قَرَّرَ فِيهَا قَواعِدَ الإِسْلامِ ، وَوَقَفَ بِعَرَفَةَ وَخَطَبَ خُطْبَةً وَاحِدَةً ثُمَّ أَتَى المَوْقِفَ فِي ذَيْلِ الجَبَلِ عِنْدَ الصَّخْراتِ وَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ عَلَى بَعِيرِهِ وَدَعا اللهَ وَمِنْ دُعائِهِ فِي المَوْقِفِ، (( اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كَالَّذِي نَقُولُ، وَخَيْرًا مِمَّا نَقُولُ، اللَّهُمَّ لَكَ صَلاتِي و نُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي وَإِلَيْكَ مَآبِي ))[2]، وَهُناكَ نَزَلَ عَلَيهِ ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾[3].

وَلَمَّا اسْتَحْكَمَ الغُرُوبُ أَفاضَ مِنْ عَرَفَةَ إِلَى المُزْدَلِفَةِ وَصَلَّى بِها المَغْرِبَ وَالعِشاءَ جَمْعَ تَأْخِيرٍ ، ولَمَّا طَلَعَ الفَجْرُ أَتَى المَشْعَرَ الحَرامِ وَدَعا اللهَ هُناكَ وَأَخذَ حَصَى الجِمارِ ، وَلَمَّا أَتَى وادِي مُحَسِّرٍ حَرَّكَ ناقَتَهُ وَأَسْرَعَ فَإِنَّ هُناكَ أَصابَ أَصْحابَ

---

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه كتاب الحج: باب ( استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً) عن جابر رضي الله عنه يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يرمي على راحلته يوم النحر ويقول: (لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعليَّ لا أحجُّ بعد حجَّتي هذه).

(٢) الحديث رواه الترمذي في سننه في كتاب الدعوات برقم (٣٤٤٢) عن علي بن أبي طالب قال: " أكثر ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة في الموقف: " اللهمَّ لك الحمد كالذي نقول وخيراً مما نقول اللهمَّ لك صلاتي و نسكي ومحياي ومماتي وإليك مآبي ولك ربِّ تراثي اللهمَّ إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر اللهمَّ إني أعوذ بك من شرِّ ما تجيء به الريح " و قال عقبه: هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي.

(٣) سورة المائدة من الآية ( ٣ ).

الفَيْلِ ما قَصَصَهُ الله عَلَيْنا ، وَلَمَّا وَصَلَ مِنَى أَتَى جَمْرَةَ العَقَبَةِ وَرَماها رَاكِبًا بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَخَطَبَ بِمِنَى خُطْبَةً بَلِيغَةً، ثُمَّ جاءَ إِلَى المَنْحَرِ فَنَحَرَ ثَلاثًا وَسِتِّينَ بَدَنَةً بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ، عَدَدَ سِنِيِّ عُمْرِهِ قائِمَةً مَعْقُولَةً ، وَأَمَرَ عَلِياً بِنَحْرِ باقِي المِائَة، ثُمَّ حَلَقَ وَتَحَلَّلَ، وَحَلَقَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحابَةِ وَقَصَّرَ بَعْضُهُمْ مِصْداقاً لِقَولِهِ تَعالَى: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾[1].

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَلِي ، والمَقَامِ الأَفْضَلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِي ، وعَنْ رَيْحَانَتَي نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّةِ ، أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ ، وأَبِي عَبْدِالله الحُسَينِ وعَلَى أُمِّهِمَا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ المُخْتَارِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِي عَمَارَةَ الحَمْزَة ، وأَبِي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِيَّةِ العَشَرَةِ المُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيَّكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، طَلْحَةَ والزُّبَيرِ ، وسَعْدٍ

(١) سورة الفتح من الآية (٢٧).

وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْـحَابِ رَسـولِ اللهِ رِضْـوَان اللهِ تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَـةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ فَـرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَـافِر الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَـا ، وابْـسُطِ الأَمْـــنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوع بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِر بِـلاد الـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْـلِحْ ذَاتَ بَينِنَـا ، وأَلِّـفْ بَـينَ قُلُوبنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِـمَا فَعَـلَ الـسُّفَهَاء مِنَّـا ، واجْعَـلْ وِلَايَتَنَـا فِـيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عونَاً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ

، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُـزَاةِ والمُـسَافِرِينَ في بَـرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْـقِنَا غَيْثـاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئـاً ، سَحّاً عَامّاً دَائِمـاً مُبَارَكاً فِيـهِ ، نَافِعاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

عِبَـــادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# في الترغيب في حج بيت الله الحرام

## الخطبة الأُولَى

الحَمْدُ لله الَّذِي نَدَبَنَا إِلَى حَجِّ بَيْتِهِ الحَرَامِ، وَشَوَّقَنَا إِلَيهِ بِالْآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ وَأَحَادِيثَ سَيِّدِ الْأَنَامِ، ثُمَّ جَعَلَهُ رُكْناً مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ، وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيك لَهُ وَهُوَ القَائِلُ: إنَّ ﴿ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾[1]، وأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَهُوَ القَائِلُ: «الحُجَّاجُ وَالعُمَّارُ وَفْدُ الله يُعْطِيهِمْ مَا سَأَلُوا، وَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ مَا دَعَوا، وَيُخْلِفُ عَلَيهِمْ مَا أَنْفَقُوا»[2]، فَهَيَّا إِلَى الحَجِّ يَا عِبَادَ الله.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله أَفْضَلِ قَانِتٍ وَأَوَّاهٍ، وَخَيرِ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى الله بَالحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَالصَّلَاةِ وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ الله، صَلَّى الله عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا عَظَّمَ الحَاجُّ رَبَّهُ بَالتَّكْبِيرِ وَالتَّلْبِيَةِ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة آية (١٥٨).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان باللفظ المذكور وزاد (الدرهم ألف ألف) وقال عقبه قوي (٣/ ٤٧٦) رقم (٤١٠٥)، وفي فيض القدير بعد أن ذكره (ثم قال أعني البيهقي قوي اه فحذف المصنف لذلك من الصواب،وثمامة هذا قال أبو حاتم منكر الحديث وفيه أيضا محمد بن عبد الله بن سليمان أورده الذهبي في الضعفاء وقال ابن منده مجهول.إ.هـ) (٣/ ٤٠٦).

(٣) سورة الفتح آية (٢٧)

أَمَّا بَعْدُ: فيا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعَالَى، مُمْتَثِلِينَ قَولَ الله عَزَّ وَجَلَّ ذِكْرُهُ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾(١).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: هَذِهِ أَيَّامُ فَرِيضَةٍ مِنْ أَعْظَمِ فَرَائِضِ الإِسْلَامِ، فَرِيضَةُ الحَجِّ إِلَى بَيْتِهِ الحَرَامِ، وَهِيَ دَيْنٌ عَلَى الْمُسْتَطِيعِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَاجِبُ الْأَدَاءِ لله وَاهِبِ النِّعَمِ، وَلِذَلِكَ قَالَ سُبْحَانَهُ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾(٢).

وَمِنَ المَعْلُومِ لَدَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنَّ فَرَائِضَ هَذَا الدِّيْنِ قَدْ رُوعِيَ فِي تَشْرِيعِهَا دَائِمًا أَنْ تَكُونَ ذات نَفْعٍ فَرْدِيٍّ دُنْيَوِيٍّ وَأُخْرَوِيٍّ، وَذاتَ نَفْعٍ جَمَاعِيٍّ يَتَحَقَّقُ لِلْمُجْتَمَعِ الإِسْلَامِيِّ، مَتَى أُدَّتِ الفَرِيضَةُ عَلَى وَجْهِهَا المَطْلُوبِ، كَمَا أَمَرَ الله تَعَالَى، وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا النَّفْعَ الجَمَاعِيَّ مَعَ النَّفْعِ الفَرْدِيِّ هُوَ ضِمْنُ المَقْصُودِ مِنْ قَولِهِ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ:(( صَلَاةُ الجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً ))(٣).

وَالحَجُّ مِنَ العِبَادَاتِ الَّتِي يَتَحَقَّقُ بِهَا لِلْمسْلِمِ الفَرْدِ ( الفَذِّ ) وَلِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ مَتَى الْتَزَمَ النَّاسُ فِي أَدَائِهِ بِآدَابِهِ وَشَعَائِرِهِ.

فَأَمَّا مَا يَعُودُ عَلَى المُسْلِمِ مِنَ الحَجِّ إِلَى جَانِبِ أَدَائِهِ لِلْفَرْضِ فَإِنَّنَا نَقِفُ مِنْهُ عَلَى أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ:

أَوَّلُهَا: تِلْكَ الْمُشَاهَدَةُ الْمُثِيرَةُ وَالشُّعُورُ الفَيَّاضُ عِنْدَمَا يُوَاجِهُ الْمُؤْمِنُ الحَاجُّ بَيتَ الله الحَرَامِ (الكَعْبَةَ الْمُشَرَّفَةَ) الَّذِي طالمَا اشْتَاقَ لِرُؤْيَتِهِ وَالْاسْتِمْتَاعِ الرُّوحِيِّ

---

(١) سورة البقرة آية (١٩٧)

(٢) سورة آل عمران آية ( ٩٧)

(٣) الحديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٢٣١) رقم(٦١٩)، ومسلم (١/ ٤٥٠) رقم(٦٥٠).

بِزِيَارَتِهِ، وَمُطالَعَةُ قَبْرِ النَّبِيِّ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْمُشَاهِدِ الْمُقَدَّسَةِ، وَالرُّبُوعِ الَّتِي نَشَأَ فِيهَا الحَبِيبُ الْأَعْظَمُ صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ، وَتَرَعْرَعَ فِي جَنبَاتِهَا أَصْحَابُ رَسُولِ الله وَأَهْلُ بَيْتِهِ الْأَوَائِلُ قَبْلَ الهِجْرَةِ وَبَعْدَهَا، وَنَحْنُ كُلُّنَا طالَمَا تَشَوَّقْنَا إِلَيهَا وَتَخَيَّلْنَا مَشَاهِدَهَا، وَتَمَنَّيْنَا الطَّوَافَ حَولَهَا كُلَّمَا وَقَفْنَا بَينَ يَدَي الله فِي صَلَاتِنَا، هَذِهِ الْمُشَاهَدَةُ تَرْبِطُ الْمُؤْمِنَ رَبْطاً مُبَاشِراً بِشَعَائِرِ الله وَدِينِهِ، وَهِيَ تَتِمُّ فِي جَوٍّ رَائِعٍ، أَقْبَلَتْ فِيهِ مِئاتُ الْأُلُوفِ، بَلِ المَلَايِينِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لأَدَاءِ شَعَائِرِ الحَجّ لِبَيْتِ الله.

ثانِيهَا: أَنَّ الْمُؤمِنَ يَقْضِي فَتْرَةً طَوِيلَةً فِي الْأَرَاضِي الْمُقَدَّسَةِ لَا هَمَّ لَهُ إِلَّا الذِّكْرُ وَالتَّلْبِيَةُ وَالتَّجَرُّدُ لِلْعِبَادَةِ، وَتَرْكُ شَوَاغِلِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، لَقَدْ قَضَى كُلُّ حَاجٍّ عمراً طَوِيلاً فِي أُمُورِ مَعَاشِهِ العَاجِلِ، وَآنَ لَهُ الآنَ أَنْ يَهْتَمَّ بِتَقْدِيمِ شَيءٍ لِمَصِيرِهِ الْآجِلِ، وَلَيْسَ كَذِكْرِ الله وَالتَّلْبِيَةِ وَسِيلَةٌ إِلَى التَّقَرُّبِ مِنْ حَضْرَةِ ذِي الجَلَالِ، وَهُوَ ذِكْرٌ يَحْدُثُ فِي أَطْهَرِ بُقْعَةٍ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ، وَفِي ظُرُوفِ تَجَرُّدٍ تَامٍّ يُرْفَعُ الدُّعَاءُ إِلَى مُسْتَوَى الْإِجَابَةِ، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2] ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾[3].

(١) سورة البقرة آية (١٨٦).

(٢) سورة الغافر آية (٦٠).

(٣) سورة الشورى آية(٢٦).

وَمِنَ المَأْثُورِ فِي هَذَا عَـنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ الله عَنـهُ أَنَّ رَسُـولَ الله صَـلَّى الله عَلَيـهِ وآله وَسَلَّمَ قَالَ: (( إِنَّ دَاودَ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِلَهِي، مَا لِعِبَادِكَ عَلَيـكَ إِذَا هُمْ زَارُوكَ فِي بَيْتِكَ؟ قَالَ إِنَّ لِكُلِّ زَائِرٍ حَقًّا عَلَى المَزُورِ، يَا دَاودُ، لَهُمْ عَلَيَّ حَقٌّ أَنْ أُعَافِيَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَأَغْفِرَ لَهُمْ إِذَا لَقِيتُهُمْ ))(1).

وَثالِثُ مَا يَعُودُ عَلَى المُسْلِمِ مِنَ الحَجِّ: التَّجْرِبَةُ التَّرْبَوِيَّةُ الَّتِي يَمُـرُّ بِهَـا الحَـاجُّ الَّتِي لَا يَتَعَرَّضُ لِمِثْلِهَا مُدَّةَ حَيَاتِهِ أَبداً، فَالمُؤْمِنُ فِي الحَجِّ مَعَ نَفْسِهِ وَرَبِّهِ فِي مُرَاقَبَتِهِ لله وَحْدَهُ، لَا يَقْتَرِفُ أَدْنَى مُخَالَفَةٍ قَدْ تُفْـسِدُ عَلَيـهِ حَجَّـهُ، فَهُـوَ فِي شُـغْلٍ شَـاغِلٍ عَـنِ ارْتِكَابِ مُحَرَّمٍ مِنْ مُحَرَّمَاتِ الْإِحْرَامِ، بَلْ إِنَّهُ لَيُحَاسِبُ نَفْسَهُ حِسَاباً عَسِيراً عَـلَى كُـلِّ مَا يَرْتَكِبُ مِنْ مُخَالَفَاتٍ وَلَو يَسِيرَةٍ، وَقَـدْ حَـدَّدَتِ الْآيَـةُ الكَرِيمَـةُ المَحْظُـورَاتِ فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿: ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾(2)، وَهَذِهِ المَحْظُورَاتُ وَالمُحَرَّمَاتُ بِالْإِحْرَامِ، قَدْ يَسْتَوجِبُ فِعْلُهَا فَرْضَ عُقُوبَةٍ عَلَى مُرْتَكِبِهَا، مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ إِهْرَاقِ دَمٍ ( ذَبِيحَةٍ )، غَـيرَ أَنَّ ذَلِـكَ يَـتِمُّ ضَبْطُهُ بِوَاسِطَةِ المُؤْمِنِ نَفْسِهِ، لَا بِوَاسِطَةِ سُـلْطَةٍ دِينِيَّـةٍ أَوْ دُنْيَوِيَّـةٍ، وَهَكَـذا يَنْـصِبُ الإِسْلَامُ مِنَ المُؤْمِنِ رَقِيباً عَلَى نَفْـسِهِ يُحَاسِـبُهَا وَيَـضْبِطُ أَهْوَاءَهَـا وَيُقَـرِّرُ عُقُوبَتَهَـا، فَالْعَبْدُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ مُتَّهَمٌ وَقَاضٍ وَمُنَفِّذٌ، وَاللهُ وَحْدَهُ المُطَّلِعُ عَلَيهِ فِي ذَلِكَ، يَنْظُـرُ

---

(1) رواه الطبراني في الأوسط(٦/ ١٤٤) رقم(٦٠٣٧) وفيه محمد بن حمزة الرقي وهو ضعيف، قاله في مجمع الزوائد (٣/ ٢٠٨)، كما رواه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٦٦) وفي اسناده محمد بن حمزة المذكور.
(2) سورة البقرة آية ( ١٩٧ ).

تَصَرُّفَاتِهِ وَيُسَجِّلُ نَزَاهَةَ عَمَلِهِ فِي مَوْسِمِ الذِّكْرِ وَالتَّقَرُّبِ، وَفِي ذَلِكَ أَعْظَمُ تَرْبِيَةٍ لِضَمِيرِهِ، وَيَتَّفِقُ مَعَ الآيَةِ السَابِقَةِ وَقَولِهِ صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ: (( مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ مِن ذُنُوبِهِ كَيَومِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ))[1].

وَبَعْدَ أَنْ يُؤَدِّيَ الحَاجُّ مَنَاسِكَهُ كَامِلَةً أَبَاحَ الله لَهُ أَنْ يُمَارِسَ الْأَعْمَالَ الدُّنْيَوِيَّةَ مِنْ تِجَارَةٍ نَافِعَةٍ فِي المَوْسِمِ، وَعَقْدِ صَفْقَةٍ تِجَارِيَّةٍ فِيمَا أَبَاحَ الله لَهُ، فَلَيْسَ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ تَسْتَقِيمَ حَيَاةُ هَذَا التَّجَمُّعِ العَظِيمِ بِدُونِ تَبَادُلِ المَنَافِعِ، وَالتِّجَارَةُ تُوَفِّرُ لِكُلِّ فَرْدٍ احْتِيَاجَاتهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالمَلْبَسِ وَالمَسْكَنِ، وَفِي ذَلِكَ مَنَافِعُ عَظِيمَةٌ تَفَضَّلَ الله سُبْحَانَهُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ فِي مَوَاسِمِ الحَجِّ وَهُوَ مَا تُفِيدُهُ الْآيَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[2]، وَقَولِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ ﴾[3].

وَقَدْ تُدْرَكُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ حِكْمَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ مِنْ تَقْدِيمِ المَنَافِعِ عَلَى ذِكْرِ الله ؛ لأَنَّ هَذِهِ المَنَافِعَ التِّجَارِيَّةَ، تَتَوَقَّفُ عَلَيهَا حَيَاةُ الْأُلُوفِ مِنَ الحُجَّاجِ حَتَّى يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُؤَدُّوا مَا طُلِبَ مِنْهُمْ مِنْ ذِكْرِ الله فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ، وَمَا لَا يَتِمُّ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في مواضع أولها بلفظ(من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) (٢/ ٥٣٣)( ٤ باب فضل الحج المبرور )رقم(١٤٤٩)، ومسلم في صحيحه بلفظ (من أتى هذا البيت فلم يرفث....الحديث ) (٢/ ٩٨٣) رقم(١٣٥٠).

(٢) سورة البقرة آية ( ١٩٨ )

(٣) سورة الحج آية (٢٧)

الوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ، كَمَا يَقُولُونَ، غَيرَ أَنَّ أَعْظَمَ مَا يَتَحَقَّقُ فِي مُنَاسَبَةِ هَـذِهِ الفَرِيضَةِ العَظِيمَةِ مِنْ فَرَائِضِ الإِسْلَام هُوَ اجْتِمَاعُ الحُشُودِ الضَّخْمَةِ مِـنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ سَائِرِ أَنْحَاءِ المَعْمُورَةِ، وَهِيَ فَائِدَةٌ تَعُودُ بِبَرَكَتِهَا وَخَيْرِهَا عَلَى جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ دِيَارِهِمْ إِلَى جَانِبِ مَا تَحَقَّقَ لِكُلِّ فَرْدٍ مِنْهُمْ.

وَمِنَ الْمُسْتَحِيلِ فِي أَيِّ مَكَانٍ آخَرَ مِـنَ العَـالَمِ غَـيرِ هَـذِهِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَـةِ أَنْ يَجْتَمِعَ هَذَا العَدَدُ الهَائِلُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ذَوِي القُلُوبِ التَّقِيَّةِ، وَالْمَشَاعِرِ النَّقِيَّةِ فِي مَكَـانٍ وَاحِدٍ، لِهَدَفٍ وَاحِـدٍ، وَبِوِجْهَـةٍ وَاحِـدَةٍ يَهْتِفُـونَ بِنِـدَاءٍ وَاحِـدٍ مُتَـصَاعِدٍ إِلَى عَنَـانِ السَّمَاءِ، تُرَدِّدُهُ مَعَهُمْ الْأَوْدِيَـةُ وَالـسُّهُولُ وَالْجِبَـالُ ( لَبَّيْـكَ اللَّهُـمَّ لَبَّيْـكَ، لَبَّيْـكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ).

هَذَا التَّجَمُّعُ، وَفِي أَقْـدَسِ بِقَـاعِ الْأَرْضِ، وَجِـوَارِ بَيْـتِ اللهِ الحَـرَامِ، هُـوَ فِي الوَاقِعِ أَصْدَقُ مَا يُمَثِّلُ الْأُمَّةَ الإِسْلَامِيَّةَ الْيَومَ، وَيُمَهِّدُ وَيسَاعِدُهَا لِحَلٍّ جَذْرِيٍّ عَـامٍّ لِمُشْكِلَاتِهَا، عَلَى اخْتِلَافِ الْأَوْطَـانِ وَالْأَلْـوَانِ، لَـوْ أَنَّنَـا عَرَفْنَـا كَيْـفَ نَـسْتَغِلُّ هَـذَا التَّجَمُّعَ، فَإِنَّ أَكْبَرَ مُشْكِلَةٍ تُعَانِيهَا هَذِهِ الْأُمَّةُ فِي عَصْرِهَا، لَيْـسَتْ إِلَّا فِي بُعْـدِهَا عَـنْ عَقِيدَتِهَا، وَكِتَابِ رَبِّهَـا، وَسـنَّةِ نَبِيِّهَـا، وَدسَـائِسِ الأَعْـدَاءِ مِـنَ الـشَّرْقِ وَالغَـرْبِ، وَتَـدَخُّلِهِمْ فِي كُـلِّ شُـئُونِنَا، وَتَفْـرِيقِهِمْ لِـصُفُوفِنَا، فَتَمَزَّقَـتْ وحْـدَتُنَا، وَاخْتَلَفَـتْ وِجْهَاتُنَا، وَتَصَدَّعَ بُنْيَانُنَا، فَإِذَا جَاءَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى البِقَـاعِ الْمُقَدَّسَـةِ مُخَلِّفِـينَ وَرَاءَهُـمْ الدُّنْيَا، حَامِلِينَ مَعَهُمْ آمَالَ أُمَّتِهِمْ وَهُمُومِ أَوْطَانِهِمْ، لَمْ يَكُـنْ خَـيْراً مِـنْ أَنْ يَعْرِضُـوا هَذِهِ الهُمُومَ لِلْمُنَاقَشَةِ وَالتَّذَاكُرِ فِي مُؤْتَمَرِهِمِ الكَبِيرِ العَظِـيمِ، وَمُحَاوَلَـةِ التَّوَصُّـلِ إِلَى حَلٍّ لَهَا فِي هَذَا الجَوِّ الرُّوحَانِيِّ الرَّبَانِيِّ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مُشْكِلَاتِ الوَطَنِ العَرَبِيِّ وَالإِسْلَامِيِّ تَزْدَادُ عَلَى مَرِّ الْأَيَّـامِ تَضَخُّماً، وَيَزِيدُ مِنْ تَعْقِيدِهَا اتِّصَالُهَا بِمُشْكِلَاتِ العَالَمِ الْمُعَاصِرِ مِنْ حَوْلِهَـا، وَجَـوْهَرُ هَذِهِ الْمُشْكِلَاتِ فِي الوَاقِعِ: إِمَّا رُوْحِيٌّ مُتَمَثِّلٌ فِي مَوْجَـاتِ الْإِلْحَـادِ الكَاسِـحَةِ الَّتِـي غَطَّتْ مَسَاحَاتٍ كَبِيرَةً مِنَ الْأَرْضِ، وَأَخَذَتْ مَلَايِينَ هَائِلَةً مِنَ النَّاسِ، حَاسِبِينَ أَنَّهُ سَيحلَ مُشْكِلَاتِهِمْ الْمُعَاصِرَةَ، بَلْ إِنَّهُ نَـتَجَ انْحِـلَالٌ فِي الْأَخْـلَاقِ، وَتَعْطِيـلُ أَحْكَـامِ قَدَّسَ اللهُ أَمْرَهَا، وَأْتَمَنَ عِبَادَهُ عَلَيهَـا، وَبِـذَلِكَ عَـمَّ الـشَّكُّ فِي قِيمَـةِ الـدِّيْنِ كَحَـلٍّ لِمُشْكِلَاتِ البَشَرِ؛ لأَنَّ أَصْحَابَ الدِّيْنِ لَمْ يُعْطُوا القُدْوَةَ الصَّالِحَةَ مِـنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلَمْ يُقَدِّمُوا التَّجْرِبَةَ الحَيَّةَ لِتَطْبِيقِ تَعَالِيمِهِ، فَبَرَزَتْ نَتِيجَةً لِذَلِكَ الْإِهْمَـالِ مَوجَـةٌ عَارِمَـةٌ مِنَ التَّطَرُّفِ وَالتَّزَمُّتِ فِي الدِّيْنِ فَنَحْنُ الْآنَ بَينَ طَرَفَيْنِ مُتَنَاقِضَيْنِ، طَرَفٌ عِلْـمَانِيٌّ لَا يَرَى فِي شَرِيعَتِهِ الإِسْلَامِيَّةِ حَلٌّ لِمُشْكِلَاتِ الحَيَاةِ الْمُعَاصِرَةِ؛ فَصَارَ يَخْلِطُ فِيهَا غَيرَهَـا مِنَ التَّشْرِيعَاتِ، وَطَرَفٌ آخَرُ وُجِدَ نَتِيجَةً لِهَذَا التَّطَرُّفِ مُحَارِباً لِكُـلِّ طَـارِئٍ جَدِيـدٍ دُونَمَا تَمْيِيزٍ بَينَ الغَثِّ وَالسَّمِينِ، وَالضَّارِّ وَالنَّافِعِ.

وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ الْمُشْكِلَاتُ ذاتَ طابَعٍ اقْتِصَادِيٍّ مُجَسَّمٍ فِي المَجَاعَـةِ الَّتِـي تُـدَاهِمُ البَشَرَ، مِنْ جَرَّاءِ التَّكَاثُرِ السُّكَانِيِّ، أَوْ سُـوءِ تَوْزِيـعِ الثَّـرَوَاتِ، حَيـثُ تَـتَرَاكَمُ كَمِّيَّـاتٌ ضَخْمَةٌ مِنْهَا فِي مَنَاطِقَ مِنَ العَالَمِ، عَلَى حِينٍ يَقِلُّ وُجُودُهَا أَوْ يَنْعَدِمُ فِي مَنَـاطِقَ أُخْـرى، وَهَذِهِ مُشْكِلَةٌ لَا تُعَالَجُ إِلَّا عَلَى أَسَاسٍ إِنْسَانِيٍّ دَعَا إِلَيهِ الإِسْلَامُ، فَـالْحَجُّ خَـيرُ مُنَاسَـبَةٍ لِبَحْثِ هَذِهِ الْمُشْكِلَاتِ فِي إِطارِهَا الإِسْلَامِيِّ وَالْإِنْسَانِيِّ لِمُحَاوَلَةِ إِيْجَادِ حَلٍّ لَهَا.

وَفِي أَيْدِيكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ حَلُّ هَذِهِ الْمُشْكِلَاتِ الرُّوحِيَّةِ وَالاقْتِصَادِيَّةِ الْمُلِحَّةِ بَعْدَ اللهِ، عَلَى أَسَاسٍ مِنَ العدَالَةِ الَّتِي امْتَازَ بِهَا دِيْنُنَا، ذَلِكَ الدِّيْنُ الَّذِي حَضَّ عَلَى التَّعَاوُنِ، وَدَعَا إِلَى التَّكَافُلِ، وَرَغَّبَ فِي العَمَلِ، وَنَدَبَكُمْ إِلَى الْاجْتِمَاعِ دَائِماً مِنْ أَجْلِ مُرَاجَعَةِ النَّفْسِ وَمُنَاقَشَةِ الحِسَابِ، كَمَا أَنَّ فِي أَيدِيكُمْ حَلَّ الْمُشْكِلَةِ الرُّوحِيَّةِ الْمُتَأَزِّمَةِ عَلَى أَسَاسٍ مِنَ الهَدْيِ الإِسْلَامِيِّ، وَنَشْرِ مَا حَوَى تُرَاثُ دِينِكُمْ مِنْ عِلْمٍ نَافِعٍ، وَخُلُقٍ مَتِينٍ، وَحِكْمَةٍ وَخِبْرَةٍ وَدِرَايَةٍ، وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ، وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ، وَإِذَا كَانَتِ الْمُؤْتَمَرَاتُ الإِسْلَامِيَّةُ الكَثِيرَةُ الَّتِي عُقِدَتْ وَسَتُعْقَدُ هُنَا وَهُنَاكَ أَثْبَتَتْ فَشَلَهَا الذَّرِيعَ فِي حَلِّ أَدْنَى مُشْكِلَةٍ ؛ لأَنَّهَا تَتِمُّ تَحْتَ إِمْرَةِ حُكَّامٍ لَا يَهُمُّهُمْ مِنَ الأَمْرِ إِلَّا مَرَاكِزَهُمْ وَسُلْطَانَهُمْ، إِذًا فَلْنُجَرِّبِ الْآنَ أَنْ نَتْرُكَ لِلشُّعُوبِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي مُؤْتَمَرِهَا الكَبِيرِ فِي الحَجِّ أَنْ يَجْتَمِعَ رِجَالَاتُهَا وَعُلَمَاؤُهَا لِيَطْرَحُوا آرَاءَهُمْ بِحُرِّيَّةٍ كَامِلَةٍ بَعِيدِيْنَ عَنِ المَرَاسِيمِ وَالرَّسْمِيَاتِ وَالتَّعْقِيدَاتِ الَّتِي ابْتُلِينَا بِهَا فَأَخَّرَتْنَا وَفَرَّقَتْنَا، أَمَا آنَ الْأَوَانُ لأَنْ نَسْتَفِيدَ نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّجَمُّعِ الإِسْلَامِيِّ الحَاشِدِ فِي الحَجِّ، أَمْ أَنَّهُ حَرَامٌ عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ الحَجُّ تَعَبُّدِيًّا فَحَسْبُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَمُدُّ أَكُفَّنَا إِلَيكَ ضَارِعِينَ، مُعْتَرِفِينَ بِتَقْصِيرِنَا، مُقِرِّينَ بِذُنُوبِنَا، وَلَيْسَ لَنَا سِوَاكَ، أَنْتَ وَحَّدْتَنَا بِعَقِيدَةِ الإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ، وَنَحْنُ بِأَنْفُسِنَا قَصَمْنَا عُرَاهَا، وَأَضْعَفْنَا قُوَاهَا فَأَلْهِمْنَا رُشْدَنَا، وَبَصِّرْنَا بِعُيُوبِنَا، وَوَفِّقْنَا لِإِصْلَاحِهَا إِنَّكَ سَمِيعُ الدَّعَوَاتِ.

وَاللهُ يَقُـولُ وَبِقَولِـهِ يَهْتَـدِي المُهْتَـدُونَ ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١) وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَـرِيمٍ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ (٢).

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ۝٢٨ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ (٣).

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيـاكُمْ مِـنَ الآيـاتِ وَالـذِّكْرِ الحَكِيمِ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) سورة الحج آية (٢٧ـ٢٨ـ٢٩)

# الخطبة الثانية

الحَمْدُ لله الَّذِي قَدَّرَ الأَزْمـانَ وَفَـصَّلَ الفُـصُولَ ، وَأَغْـرَقَ فِي بَحْـرِ مَعْرِفَتِـهِ الأَفْكارَ وَالْعُقُولَ ، وَحَيَّرَ فِي كُنْهِ ذاتِهِ الأَفْهامَ فَما لَها إِلَى مَعْرِفَةِ صَمَدِيَّتِهِ وُصُولٌ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ شَهادَةً يُبَلِّغُنا بِها أَقْصَى الغاياتِ ، وَيَرْفَعُنا بِها أَعْلى الدَّرَجاتِ، وَالْفَوزَ بِسُكْنَى جَناتِهِ، فَنكُونُ مِمَّنْ قالَ فِيهِمْ فِي مُحْكَمِ آياتِهِ: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (١).

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، المَبْعُوثُ بِالقَولِ السَّدِيدِ ، وَالفِعْلِ الحَمِيدِ ، وَالأمر الرَّشِيدِ ، فَما أَحْسَنَ ما جاءَ بِهِ مِنَ العِبادَةِ ، وَما أَعْظَمَ ما جاءَ بِهِ مِنَ التَّوحِيدِ ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيء شَهِيدٍ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ المُخْتارِ ، إِمامِ المُتَّقِينَ وَسَيِّدِ الأَبْرارِ، صَلى الله علَيهِ وَعَلَى آلِهِ الأَطْهارِ ، وَصَحابَتِهِ الأَخْيارِ ، ما تَعاقَبَ اللَّيلُ وَالنَّهارُ ، وَعَلَى التابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسان ، وَعَلَينَا مَعَهُمْ و فِيهِمْ بِرَحْمَةٍ مِنْكَ يا عَزِيزُ يا غَفَّارُ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ (٢).

أما بعدُ: فيا عِبَادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

(١) سورة ق آية (٣٥).

(٢) سورة الأحقاف آية (١٦).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: هَذَا التَّجَمُّعُ العَظِيمُ، فِي أَقْدَسِ بِقَاعِ الْأَرْضِ، فِي رِحَابِ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، وَمَرْقَدِ نَبِيِّهِ عَلَيهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، وَحَيثُ نَشَأَ وَتَرَعْرَعَ الإِسْلَامُ، هُوَ فِي الوَاقِعِ أَفْضَلُ وَأَصْدَقُ مَا يُمَثِّلُ الْأُمَّةَ الإِسْلَامِيَّةَ فِي كُلِّ دِيَارِهَا، وَيسَاعِدُهَا فِي حُلُولِ مُشْكِلَاتِهَا عَلَى اخْتِلَافِ أَوْطَانِهَا وَأَلْوَانِهَا، لَوْ هِيَ عَرَفَتْ سِرَّ إِسْلَامِهَا فَبِيَدِهَا وَحْدَهَا حَلُّ كُلِّ مُعْضِلَةٍ رُوْحِيَّةٍ أَوِ اقْتِصَادِيَّةٍ، عَلَى أُسسٍ مِنَ العدَالَةِ الَّتِي امْتَازَ بِهَا دِينُنَا هَذَا الدِّيْنُ الَّذِي حَضَّ عَلَى التَّعَاوُنِ، وَالتَّكَافلِ، وَإِذَا كَانَتِ الْمُؤْتَمَرَاتُ الإِسْلَامِيَّةُ الْمُكَثَّفَةُ الَّتِي عُقِدَتْ وَسَتُعْقَدُ هُنَا وَهُنَاكَ قَدْ أَثْبَتَتْ فَشَلَهَا الذَّرِيعَ، وَلَو فِي حَلِّ أَقَلِّ وَأَدْنَى مُشْكِلَاتِنَا ؛ لأَنَّهَا لا تُقَامُ وَلَا تُعْقَدُ إِلَّا تَحْتَ إِمْرَةِ وَنَظَرِ حُكَّامٍ سِيَاسِيِّينَ لَا يَهُمُّهمْ مِنَ الأَمْرِ غَيْرَ مَرَاكِزِهِمْ وَسلْطَانِهِمْ، إِذاً فَلْنُجَرِّبِ الْآنَ وَلَو مَرَّةً وَاحِدَةً أَنْ نَتْرُكَ لِلشُّعُوبِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي مُؤْتَمَرِهَا الكَبِيرِ ( الحَجِّ ) الحُرِّيَّةَ التَامَّةَ لأَنْ يَجْتَمِعَ عُلَمَاءُ الإِسْلَامِ الخُلَّصِ وَرِجَالَاتُهُ الْأَوْفِيَاءُ لِيَقُولُوا كَلِمَتَهُمْ، وَيُنَاقِشُوا مَوَاضِيعَ السَّاعَةِ وَمُشْكِلَاتِ الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَيَضَعُوا لَهَا الحُلُولَ الْمُنَاسبةَ بَعِيدِيْنِ عَنِ المَرَاسِيمِ وَالرَّسْمِيَاتِ، مُتَجَرِّدِينَ مِنْ كُلِّ الْمُؤَثِّرَاتِ وَالتَّعْقِيدَاتِ الَّتِي ابْتُلِينَا بِهَا فَأَخَّرَتْنَا وَفرَّقَتْنَا، أَمَا آنَ الْأَوَانُ يَا اتْبَاعَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ لأَنْ نَسْتَفِيدَ مِنَ التَّجَمُّعِ الإِسْلَامِيِّ الحَاشِدِ فِي الحَجِّ، أَمْ أَنَّهُ حَرَامٌ عَلَينَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ الحَجُّ تَعَبُّدِياً فَحَسْبُ، وَعِنْدَهَا نَقُولُ أَينَ المَنَافِعُ الَّتِي يَشْهَدُونَهَا ؟! اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ.

واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ الْمُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً

لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَـلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُـبْرَى ، و عَـنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَـاتِ الــمُؤْمِنِينَ ، وعَـنْ عَمَّـي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِــيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْـتَ الـشَّجَرَةِ، طَلْحَـةَ والزُّبَيــرِ ، وسَـعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْـحَابِ رَسُـولِ الله رِضْـوَانَ الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجْلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَصِيرُنَا و إِلَيهِ مَصِيرُنَا، وعَلَيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلَيــهِ مَفْزَعُنَـا ؛ اكْـشفْ كَرْبَنَـا ، ونَفِّــسْ هَـمَّنَا.نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَــا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَـا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ فَـرَادِيسَ الـجِنَانِ.اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمسْلِمِينَ والـمسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوع بِلادِنَـا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُـسْلِمِينَ. اللَّهُـمَّ أَصْـلِحْ ذَاتَ بَينِنَـا ، وأَلِّـفْ بَـينَ قُلُوبنَـا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَانَا ، وعَـافِ مُبْتَــلانَا، و أَرْخِـصْ أَسْـعَارَنَا و غَــزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّـا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْـلامَ والـمـسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَونَاً ومُعِينَاً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُـزَاةِ والمُـسَافِرِينَ فِي بَـرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ. اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئـاً ، سَحّاً عَامّــاً دَائِمـاً مُبَارَكـاً فِيــهِ ، نَافِعـاً غَـيرَ ضَارٍّ. ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

عِبَــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَ الله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# في العشر ذي الحجة

## الخطبة الأولى

اَلْحَمْدُ لله اَلْمَعْبُودِ فِي كُلِّ زَمانٍ وَمَكانٍ ، اَلْمَحْمُودِ بِكُلِّ لِسانٍ ، جَعَلَ البَيْتَ الحَرَامَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً ، وَدَعاهُمْ إِلَى رِحابِهِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله القائِلُ سُبْحانَهُ ،﴿ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[1] جَعَلَ لِكُلِّ عِبادَةٍ وَقْتاً وَزَمَناً ، وَصِفَةً تُؤَدَّى بِها تَحْوِي سُنَّةً وَواجِباً وَرُكْناً ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَيهِ سِراً وَعَلناً ، وَالَّذِي كانَ لِحَجِّهِ الأَثَرُ اَلْعَظِيمُ فِي تَبْيينِ أَحْكامِهِ حِسًّا وَمَعْنًى.

اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى رَسُولِكَ مُحَمَّدٍ مَولاَنَا وَسَيِّدِنا ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحابِهِ الَّذِينَ حَمَلُوا أَمانَةَ العِلْمِ لَنَا ، وَسَلِّم تَسْلِيماً كَثِيراً ما تَكَرَّرَ مُوْسِمُ الحَجِّ وَدَنَا

أَمَّا بَعْدُ: فأُوصِيكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى ، فَإِنَّهَا نِعْمَ الزَّادُ لِيَومِ المَعادِ ،﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[2].

عِبادَ الله: إِنَّ مُوسِمَ الحَجِّ صارَ كَقابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، وَالْوَقْتُ يَمْضِي مُسْرِعاً لاَ يَلْوِي عِنانَهُ لَنَا ، وَقَدْ تَحَرَّكَتْ جُمُوعُ الحَجِيجِ مِنْ كُلِّ أَصْقاعِ المَعْمُورَةِ مُلَبِّينَ دَعْوَةَ الله عَلَى لِسانِ أَبِينا إِبْراهِيمَ أَبِي الأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمِ ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ

(١) الأنبياء: ٢٥.

(٢) البقرة(١٩٧).

لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾ [1].

فَيا أَيُّهَا الحُجَّاجُ القَاصِدُونَ إِلَى بَيْتِ الله الحَرَامِ ، وَالمُتَطَلِّعونَ إِلَى تِلْكَ المَشاعِرِ العِظَامِ ، يَجِبُ عَلَى كُلٍ مِنكُمْ عِنْدَ وُصُولِه أَرْضَ مِيقَاتِـهِ أَوْ مُحَاذَاتِـهِ جَـوًّا أَوْ بَـراً أَوْ بَحْراً أَنْ يَنْوِيَ الحَجَّ وَالإِحْرامَ بِهِ إِنْ كَانَ مُفْرِداً ، وَالرَّسُولُ صَـلَّى الله عَلَيـهِ وَسَـلَّمْ فِي حَجَّةِ الوَداعِ أَحْرَمَ مُفْرِداً كَمَا ورد فِي صَحِيحِ أَحادِيثِهِ [2]، أَوْ يَنْوِيَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ مَعاً بِنِيَّةٍ وَإِحْرامٍ واحِدٍ إِنْ كَانَ قَارِناً ، أَوْ يَحْرُمَ بِالْعُمْرَةِ أولاً وبعد الفراغ من أعمالها يحرم بالحج إِنْ كَانَ مُتَمَتِّعاً ، وَمَنْ أَحْرَمَ قَارِناً أَوْ مُتَمَتِّعاً لَزِمَهُ الهَـدْيُ ، وَيَجِـبُ عَـلَى الحَاجِّ أَنْ يَتَجَرَّدَ مِنْ ثِيابِهِ المُخِيطَةِ وَالمُحِيطَة ، وَأَنْ يَسْتَشْعِرَ بِقَلْبِهِ وَعَقْلِهِ مِنَ الثِّيـابِ رَمْزٌ لِمَا يُطْلَبُ مِنْهُ مِنَ التَّجَرُّدِ عَنِ الدُّنْيا وَالابْتِعادِ عَـنْ تَرَفِهَـا وَشَـهَواتِهَا وَلَـذَّاتِهَا ، فالْحَاجُّ أَشْعَثُ أَغْبَرُ ، وَأَنْ يَسْتَعْمِلَ فِكْرَهُ وَحَوَاسَّهُ فِـيمَا يُقرِبُـهُ إِلَى الله تَعَـالَى ابْتِغـاءَ وَجْهِ الله وَمَرْضاتِهِ ، وَأَنْ تَكُونَ إِرادَتُهُ الرُّوحِيَّةُ وَقْفًا عَلَى الـصِّلَةِ وَالمَحَبَّـةِ وَحَقِيقَـةِ المَعرفةِ بِالله تَعَالَى مُعْرِضاً عن كُلِّ شَيْءٍ سِوَى الله، جـاعِلاً حُظُـوظَ نَفْسِهِ الأَمَّـارَة بِالسُّوءِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ مُتَحَمِّلاً لِلأَذَى، صابِراً عَلَى ما يُلاَقِيـهِ مِـنْ أَتْعـابٍ وَازْدِحـامٍ ، مُعامَلَةَ إِخْوانِهِ الحُجَّاجِ حَيْثُ يَدْخُلُ فِي أَمْواجٍ مِنَ المُسْلِمِينَ عَلَى اخْتِلاَفِ أَخْلاَقِهِمْ وَتَبايُنِ أَمْـزِجَتِهِمْ وَتَباعُـدٍ فِي أَفْكـارِهِمْ وَتَـرْبِيَّتِهِمْ، وَالْحَقِيقَـةُ أَنَّ فِي مُوسِـمِ الحَـجِّ

(١) الحج (٢٧ـ٢٨).

(٢) روى ذلك مسلم في صحيحه (٢/ ٩٠٤) (٢٧ باب في الإفراد والقران بـالحج والعمـرة) رقـم (١٢٣١) وغيره.

تُعْرَضُ نَماذِجٌ شَتَّى لِكُلِّ شُعُوبِ المُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ دِيارِهِمْ وَأَمْصارِهِمْ وَقَدْ يَأْسَفُ الحاجُّ الفاهِمُ الْواعِي لِمَا قَدْ يُشاهِدُهُ وَيُعْرَضُ أَمامَهُ مِنْ مَناظِرَ مِنَ التَّخَلُّفِ الخُلُقِيِّ ، وَعَدَمِ فَهْمِ الحَجِّ وَأَسْرارِهِ لَدَى كَثِيرٍ مِنْ أُمَّةِ الإِسْلامِ ، وَيَتَمَنَّى لَهُمْ فِي تِلْكَ الأَماكِنِ المُقَدَّسَةِ أَنْ يُعِيدَ لَهُمُ الله أَمْجادَهُمْ ، وَيَرُدَّ لَهُمْ ماضِيهِمْ العَرِيقَ المَجِيدَ ، وَتارِيخَهمْ الطَّرِيفَ وَالتَّلِيدَ ، فَالإِسْلامُ قَوِيٌّ بِذاتِهِ وَإِنْ ضَعُفَ أَتْباعُهُ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ: إِنَّ فِي شَعائِرِ الحَجِّ دُرُوسٌ عَظِيمَةٌ لَوْ وَعَيْناهَا ،وفَوائِدُ وَمَنافِعُ جَمَّةٌ لَوْ عَقَلْناهَا ، وَإِنَّ وَحْدَتَنا المَنْشُودَةَ وَحْدَةَ الإِسْلامِ ، تَبْرُزُ أَوَّلُ ما تَبْرُزُ ، فِي هَذا التَّجَمُّعِ الإِسْلامِي الضَّخْمِ فِي أَرْضِ القَداساتِ ، حَيْثُ بَيْتُ الله الحَرامِ ، وَبَقِيَّةُ المَشاعِرِ العِظامِ ، وَمَوْطِنُ الإِيْمانِ وَالإِسْلامِ ، وَمَحَلُّ مَرْقَدِ حَبِيبِ الله عَلَيهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلامِ ، وَآل بَيْتِهِ الأَئِمَّةِ الكِرامِ وَصَحابَتِهِ الأَعْلامِ ، هَذِهِ مِنْ أَهَمِّ المَنافِعِ الَّتِي ذَكَرَها الله فِي مُحْكَمِ آياتِهِ ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ [1]، يا هَلْ تَرَى ما هَذِهِ المَنافِعُ الَّتِي قَدَّمَها الله فِي الآيَةِ عَلَى ذِكْرِهِ اسْمِهِ، إِنَّها مَنافِعُ لا حَصْرَ لَهَا، إِنَّها مَنافِعُ دِينِيَّةٌ وَدُنْيَوِيَّةٌ ، فَرْدِيَّةٌ وَجَماعِيَّةٌ ، عاجِلَةٌ وَآجِلَةٌ ، اجْتِماعِيَّةٌ وَاقْتِصادِيَّةٌ ، أَخْلاقِيَّةٌ وَسِياسِيَّةٌ ؛ لِتَرْفَعَ مِنْ مُسْتَوَانا فِي كُلِّ مجالاَتِ الحَياةِ ، وَتَنتَشِلَنَا مِنْ وَهْدَةِ الجَهْلِ وَالتَّخَلُّفِ ، وَمِنَ الانْحِطاطِ وَالذُّلِّ وَالاسْتِكانَةِ فِي عَصْرٍ انْقَلَبَتْ فِيهِ المَعايِرُ ، وَانْعَكَسَتِ المَقايِيسُ ، وَإِنَّ اعْتِزازَ المُسْلِمِ بِرَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَفْسِهِ هُوَ كِبْرِياءُ إِيمانِهِ، وَكِبْرِياءُ الإِيْمانِ غَيْرُ كِبْرِياءِ الطُّغْيانِ، إِنَّها أَنَفَةُ المُؤْمِنِ أَنْ يُصْغِّرَ نَفْسَهُ لِسُلْطانٍ ، أَوْ يُحْتَقَرَ فِي مِكانٍ ، أَوْ يَكُونُ ذَنَباً تابِعاً لإِنْسانٍ ، فاقرؤا إِنْ شِئْتُمْ قَولَ الله

---

(١) الحج (٣٨).

رَفِيعِ الشَّأْنِ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، فَهَذا هُوَ حَدِيثُ رَبِّ العِزَّةِ عَنْ نَفْسِهِ ، وَعَنْ أَحْبابِهِ ، وَصَفَ نَفْسَهُ بِالعِزَّةِ فَهُوَ العَزِيزُ اَلْقَوِيُّ الَّذِي لاَ يُقْهَرُ ، وَوَصَفَ رَسُولَهُ ﷺ بِالعِزَّةِ ، وَوَصَفَ عِبادَهُ اَلْمُؤْمِنِينَ بِالعِزَّةِ ؛ لأَنَّ عِزَّةَ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِزَّةِ الله تَعَالَى، فَهُمْ حِيْنَ اعْتَزُّوا بِهِ أَعَزَّهُمْ ، وَرَفَعَ شَأْنَهُمْ فِي العالَمِينَ ، وَمَنْ طَلَبَ العِزَّةَ مِنْ غَيْرِهِ أَذَلَّهُ الله ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2].

رُوِيَ عَنْ أَنَسِ ابْنِ مالِكٍ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمْ قَالَ: (( مَنْ أَصْبَحَ حَزِيناً عَلَى الدُّنْيا أَصْبَحَ ساخِطاً عَلَى رَبِّهِ ، وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَإِنَّمَا يَشْكُو الله تَعَالَى ، وَمَنْ تَضَعْضَعَ لِغَنِيٍّ لِيَسْأَلَ مِمَّا فِي يَدَيْهِ أَسْخَطَ الله عليه، وَمَنْ أُعْطِيَ اَلْقُرْآنَ فَدَخَلَ النَّارَ أَبْعَدَهُ الله )) رواه الطبراني[3]، وَفِي

(١) المنافقون ( ٨).

(٢) الجاثية ( ٢٦ـ٢٧).

(٣) في الصغيرمن حديث أنس بن مالك مرفوعا(٢/ ٣٠)رقم(٧٢٦)وقال عقبه لم يروه عن ثابت إلا وهب الله وكان من الصالحين.إ. هـ، ووهب الله بن راشد البصري صاحب ثابت متروك، قاله في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٤٨)، كما رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢١٣) رقم (١٠٠٤٤) وفي اسناده وهب المذكور، و رواه أيضا باسناد آخر ليس فيه= =وهب وضعفه عن ابن مسعود مرفوعا(٧/ ٢١٣، ٢١٤ )رقم (١٠٠٤٥)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد من حديث ابن مسعود مرفوعا(٤/ ٣٨٦)،ينظر ترجمة وهب في ميزان الاعتدال (٧/ ١٤٧) رقم الترجمة ( ٩٤٣٦ ٩١٣٠)، المجروحين لأبي حاتم البستي (٣/ ٧٥) رقم الترجمة (١١٣٠).

(١) رواه الطبراني في الأوسط بسنده عن أبي ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم( من أصبح وهمه الدنيا فليس من الله في شيء ومن لم يهتم بالمسلمين فليس منهم ومن أعطى الذل من نفسه غير مكره فليس منا ) وقال لا يروى هذا الحديث إلا بهذا الإسناد تفرد به يزيد بن ربيعة (١/ ١٥١) رقم (٤٧١)،ويزيد بن ربيعة الرحبي متروك، قاله في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٤٨).

حَدِيثٍ آخَرَ قَالَ عَلَيهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: (( مَنْ أَعْطَى الذِّلَّـةَ مِـنْ نَفْسِهِ طَائِعـاً غَـيْرَ مَكْرُوهٍ فَلَيْسَ مِنَّا ))(١).

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ: سُؤَالٌ يُطْرَحُ عَلَيْنَا نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ اَلْيَومَ وَنَحْنُ نَتَحَـرَّكُ لِلحَجِّ عَلَى لِسانِ حالِ أَعْداءِنا مِـنْ مُـسْتَعْمِرِينَ وَيَهُـودَ ، وَشَرْقِـيٍّ وَغَـرْبِيٍّ وَأُورُبِيٍّ وَأَمْرِيكِيٍّ ، بَلْ وَعَلَى لِسانِ مقاهِمْ يَقُولُ لَناَ: أَيْـنَ هَـذِهِ العِـزَّةُ يـاَ مُـسْلِمُونَ ؟ أَيْـنَ أَمْجَادُكُمْ، أَيْنَ تَعالِيمُ رَسُولِكُمْ الَّتِي تَتَبَجَّحُونَ بِهـاَ، أَيْـنَ يَقِـينُ أَبِي بَكْـرٍ الـصِّدِّيقِ ؟ وَغَيْرَةُ عُمَر بْنُ الخَطَّابِ ؟ أَيْنَ هَيْبَةُ عـثْمَانَ ابْـنِ عَفَّـانَ ؟ أَيْـنَ بُطُولَـةُ عَـلِيِّ ابْـنِ أَبِي طالِبٍ ؟ أَيْنَ أَيْنَ أَيْنَ أَمْجَادُكُمْ الَّتِي تَتَشَدَّقُونَ بِهَا ؟

إِنَّ الإِجابَةَ عَلَى هَذِهِ الأَسْئِلَةِ مُجْتَمِعَـةً بِكُـلِّ خَجَـلٍ عَمَلِيًّـا مَوْجُـودَةٌ فِي واقِعِنـاَ المَرِيرِ نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ الْيَومَ، فِي تَمَزُّقِنا، فِي اخْتِلاَفِنا، فِي هزائِمِنَا الْمُتَكَرِّرَةِ أَمامَ عَـدُوٍّ لَـدُودٍ شَرَسٍ اسْمُهُ ( إِسْرائِيلُ )، لَقَدْ وَقَفْناَ أَمامَهُ صـاَغِرِينَ فِي عِـدَّةِ حُـرُوبٍ عـاَمَ ٤٨ و٦٧ الخ نَحْنُ لَمْ نُهْزَمْ أَمامَ أَعْدائِنا منْ قِلَّةٍ عَدَدٍ أَوْ عُـدَّة، وَإِنَّـما هُزِمْنـاَ أَخْلاَقِيًّـا ، وَالْقاعِـدَةُ اَلْمَعْرُوفَةُ تقُولُ: لاَ يَنْهَزِمُ جَيْشٌ فِي مَيادِينِ القِتالِ مَعَ أَعْدائِهِ إِلاَّ إِذاَ انْهَزَمَ خُلُقِيًّا.

وَكَمْ عِشْناهاَ هَزائِم وَيُعادُ الـدَّرْسُ اَلْيَـومَ عَلَيْنـاَ مُكَـرَّراً مِـراراً وَتِكْـراراً فِي جَنُوبِ لبَنَانَ حَيْثُ تقِـفُ جَمَاعَـةٌ مُـسْلِمَةٌ ضِـدَّ اليَهُـودِ الْمُعْتَـدِّينَ وُقُـوفَ الأُسُـودِ الضَّارِيَةِ ، صامِدِينَ صُمُودَ الجِبالِ الشُّمِّ ، مُسْتَمِيتِينَ فِي مَيادِينِ الشَّرَفِ كُلُّ هَذاَ يَتِمُّ وَالـدُّوَلُ الإِسْـلاَمِيَّةُ لاَ تُحَـرِّكُ سـاَكِناً وَلاَ تُـسَكِّنُ مُتَحَرِّكـاً، اللَّهُـمَّ إِلاَّ بَعْـضَ

الاتِّصالاَتِ هُناَ وَهُناَكَ عَبْرَ أَسْلاَكِ التليفُون وَاللاَّسلِكِي وَالْبَرْق، ياَ هَلْ تَرَى هَـلْ يَكْفِي هَذاَ وَالأَبْرِياَءُ يُشَرَّدُونَ مِنْ دِياَرِهِمْ وَالأَطْفاَلُ وَالـشُّيُوخُ وَالنِساَءُ فِي العَـراَءِ تُدَكُّ بُيُوتُهُمْ عَلَى رُؤُسِهِمْ وَيُقْتَلُونَ باِلْجُمْلَةِ أَماَمَ سَمْعِ العاَلَمِ وَبَصَرِهِ وَبِعِلْـمِ الهَيْئـاَتِ الدَّوْلِيَّةِ وَمُنَظَّماَتِ حُقُوقِ الإِنْساَنِ ، وَذَوِي الأريحية واَلكَرَمِ مِمَّنْ مَدَّ يَدَ العَوْنِ بِشَيء مِنَ الأَغْذِيةِ ، وَالأَغْطِيةِ ، وَالأَدْوِيةِ ، وَهَذاَ جَهْدُ المقَلِّ ، أَمَّا أَنَّـهُ هـل يَجِـبُ إِيقـاَفُ الحَرْبِ أَوْ لاَ يَجِبُ ،أو هل تحِلُّ الْمُـشْكِلاَتُ الْمُسْتَعْـصِيَّةُ فهـا أمـر لَـسْناَ نَحْـنُ عَـلَى مُسْتَواَه، إِنَّماَ حلُّهاَ بِطَرِيقَةٍ أَوْ بِأُخْرَى بِأَيْدٍ تَحِلُّهاَ كَيْفَماَ شـاَءَتْ وَأَنَّـى شـاَءَتْ ، وَبِـماَ شاَءَتْ وَأَيْنَماَ شاَءَتْ ، وَحَيْثُماَ شـاَءَتْ﴿ أَمَّنۡ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَـٰنِۚ ﴾[1] .

لَكُمْ الله أَيُّهاَ الصامدون المستبسلون الَّذِينَ نَزَلَتْ المِحْنَـةُ بِـساَحَتِهِمْ لَكُـمُ الله وَحْدَهُ، إِذْ خَذَلَكُمْ أَهْلُ الأَرْضِ، وَتَبَرَّأَ مِنْكُم القَرِيبُ وَالبَعِيدُ.

اَللَّهُمَّ إِنَّا نَمُدُّ أَكُفَّنَا إِلَيْكَ ضاَرِعِينَ ، مُعْتَرِفِـينَ بِتَقْـصِيرِنَا ، مُقِـرِّينَ بِـذُنُوبِنَا ، فَلَيْسَ لَنَا سِواَكَ أَنْتَ وَحَّدْتَناَ بِعَقِيدَةِ الإِسْـلاَمِ ، وَنَحْـنُ بِأَنْفُسِناَ فَـصَمْنَا عُرَاَهَـا ، وَأَضْعَفْناَ قُواَهَا فَأَلْهِمْنَا رُشْدَناَ ، وَبَصِّرْناَ بِعُيُوبِنَا، وَوَفِّقْنـاَ لإِصْـلاَحِها ، وَزَهِّـدْنَا فِي الدُّنْياَ ، وَرَغِّبْنَا فِي الآخِرَة ، وَخُذْ بِنواَصِينَا لِمَا فِيـهِ خَيْرُنـاَ وَصَـلاَحُناَ فَإِنَّـكَ سَـمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعواَتِ ياَ رَبَّ العاَلَمِينَ.

(١) الملك ٢٠.

وَاللهُ يَقُـولُ وَبِقَولِـهِ يَهْتَـدِي المُهْتَـدُونَ ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (1) وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ (2).

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (3).

وَقَالَ تَعَالَى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (4).

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ، وَنَفَعَنِـي وَإِيـاكُمْ مِـنَ الآيـاتِ وَالـذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

(1) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(2) سورة النحل الآية (٩٨).

(3) آل عمران( ٩٦-٩٧).

(4) يونس ( ٢٦-٢٧).

# الخطبة الثانية

الحَمْدُ لله الذي جَعَلَ البَيتَ الحَرام مَثابَةً للناس وَأَمْناً ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيـكَ لَـهُ ، سُـبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَــهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَــهُ الأَصْوَاتُ، وَكَلَّتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه خَيرُ مَنْ طـافَ بِالبَيْـتِ العَتِيـقِ وَهُـوَ القائِلُ: (( الحُجَّاجُ وَالعُمَّارُ وَفْدُ الله يُعْطِيهِمْ ما سَأَلُوا ، وَيَـسْتَجِيب لَهُـمْ مـا دَعَـوا ، وَيُخْلِفُ عَلَيهِمْ ما أَنْفَقُوا ))[1].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ما حَجّ حاجٌ وَاعْتَمَر وَلَبَّى وَحَلَقَ وَنَحَرَ، وَطافَ بِالبَيتِ العَتِيقِ وَقَبَّلَ الحَجَرَ، وَعَلَى آلِـهِ وَصَـحْبِهِ الهُـداةِ الأَكْـرَمِينَ ، وَالتَّابِعِينَ إِلَى يَومِ الدِّينِ .

أَمَّا بَعْدُ: فأُوصِيكمْ أَيُّها المُـسْلِمُونَ وَنَفْـسِيَ بِتَقْـوَى الله تَعـالَى فَخُـذُوا مِنْهـا بِأَوْفَرِ حَظٍّ وَنَصِيبٍ ، وَاحْتَقِبُوها زَاداً لَكُمْ لِلْيَومِ الرَّهِيبِ العَصِيبِ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: تَذَكَّرُوا فِي هَذِهِ الأَيَّامِ وَهَذِهِ المَواقِفِ حجَّـةَ رَسُـولِ الله صَـلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمْ ( حجة الـوداع ) وَخُطْبَتَـهُ اَلْمُـشْهُورَةُ ، الَّتِـي تُعْتَـبَرُ بِحَـقٍّ دُسْـتُوراً إِسْلاَمِيًّا لِهَذِهِ الأُمَّةِ اَلْيومَ فِي اغْتِرَابِهَا وَقَالَ فِيهَا بَعْدَ أَنْ حَمِـدَ الله وَأَثْنَـى عَلَيـهِ ، أَيُّهَـا

---

(١) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٣/ ٤٧٦، رقـم ٤١٠٥) وقـال: ثمامـة غـير قـوى. وضـعفه المنـذرى (٢/ ١١٣). وقال المناوى (٣/ ٤٠٥): فيه محمد بن عبد الله بن سليمان أورده الذهبى فى الضعفاء وقـال ابـن منده مجهول.

النَّاسُ اسْتَمِعُوْا قَوْلِي ، فَإِنِّي لاَ أَدْرِي لعلي لا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذاَ بِهَذاَ المَوْقِفِ أَبداً ، أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ دِماءَكُمْ وَأَموالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرامٌ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَمَنْ كانَتْ عِنْدَهُ أَمانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنِ ائْتَمَنَهُ ، وَأَنَّ كُلَّ رِباً مَوْضُوعٌ وَإِنَّ رِباَ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ ، وَإِنَّ أَوَّلَ دِمائِكُمْ أَضَعُ دَمَ ابْنِ رَبِيعَةِ ابْنِ رَبِيعَةِ ابْنِ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ [1].

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ مِنْ أَنْ يَعْبُدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ أَبَداً ، وَلَكِنَّهُ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ فَقَدْ يَرْضَى مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَاحْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ [2].

وَمِنْها: «اسْتَوصُوا بِالنِّساءِ خَيْراً فَإِنَّهُنَّ عَوان أَيْ (أسيرات) لا يمْلكن لأَنْفُسِهِنَّ شَيئاً إِنَّما أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمانَةِ الله وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ الله ، وَقالَ فِيهَا: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ ما إِنْ تَمَسَّكْتُمْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَداً كِتابَ الله ،

---

(١) ذكره بلفظه ابن هشام في السيرة النبوية(٦/ ٨)، وأخرجه بلفظ مقارب الطبري في تاريخه (٢/ ٢٠٥)،وأخرج مسلم في صحيحه من خطبته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بعرفة (إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أضع من دمائنا دم بن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله...)(٢/ ٨٨٩)( ١٩ باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم ) رقم(١٢١٨) كما أخرجه غيره.

(٢) ذكره بلفظه ابن هشام في سيرته (٦/ ٩) وأخرجه بلفظ مقارب الطبري في تاريخه (٢/ ٢٠٥) وأخرج مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول(إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم) (٤/ ٢١٦٦) (١٦ باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس...)رقم(٢١١٦)وأخرج ابن ماجة في سننه من خطبته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع(...ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبد في بلدكم هذا أبدا ولكن سيكون له طاعة في بعض ما تحتقرون من أعمالكم فيرضى بها..) (١٠/ ١٠١٥)(٧٦ باب الخطبة يوم النحر ) رقم (٣٠٥٥).

وَسُنَّةَ رَسُولِهِ أَيُّها الناسُ اسْمَعُوا قَولِي وَاعْقِلُوهُ ، اللَّهُمَّ فاشْهَدْ)) أَوْ كَما قالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ[1].

وَمِنْهَا: وَاسْتَوْصُوا بِالنِّساءِ خَيْراً فَإِنَّهُنَّ عَوانٌ لاَ يَمْلِكْنَ لأَنْفُسِهِنَّ شَيئاً وَإِنَّكُمْ إِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمانَةِ الله ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَاتِ الله.

وَمِنْهَا: قَوْلُهُ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ: (( وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَداً ، كِتَابَ الله وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ، أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوْا قَوْلِي وَأعْقِلُوهُ، اَللَّهُمَّ فاَشْهَدْ[2])، أَوْ كَمَا قَالَ عَلَيهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

نَشْهَدُ أَنَّكَ ياَ رَسُولَ الله قَدْ بَلَّغْتَ الرِّسالَةَ ، وَأَدَّيْتَ الأَمانَةَ وَلَكِنَّا مَعْذِرَةً لله وَلَكَ أَنَّناَ حدْناَ عَنِ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ الَّذِي رَسَمْتَهُ ، وَمِلْنَا عَنِ الطَّرِيقِ القَوِيمِ أَوِ الصِّراَطِ الْمُسْتَقِيمِ وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِالله العَلِيِّ العَظِيمِ.

أَيُّهاَ الإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ: نَعِيشُ اَلْيَومَ عَلَى مَشَارِفِ عِيدِ الأَضْحَى الْمُبارَكِ ، وَقَدْ يُفَكِّرُ البَعْضُ ابْتِهاَجاً بِالْعِيدِ بِإِطْلاَقِ عِياراتٍ نارِيَةٍ (رصاَصاً)، فَهَذِهِ الظَّاهِرَةُ تَتَنافَى مَعَ الحَضارَةِ وَالأَخْلاَقِ ، وَالذَّوْقِ السَّلِيمِ ، بَلْ إِنَّهَا تُمَثِّلُ التَّخَلُّفَ وَالطَّيْشَ وَالذَّوْقَ السَّقِيمَ ، نَرْجُو أَنْ لا تَزْعِجُوا النَّاسَ فِي عِيدِهِمْ ، وَلاَ تحرجُوا المَسْئُولِينَ فِي الأَحْياَءِ.

---

(١) أخرجه بطوله هشام بن عمار في جزءه عن أبي المليح الهذلي مرسلا وإسناده رجاله ثقات غير عبيد الله بن أبي حميد الهذلي قال ابن حجر متروك الحديث قاله جامع التعليقات والله أعلم.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من خطبته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع (٢/ ٨٩٠) بلفظ(...وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده أبدا كتاب الله وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات..) (١٩ باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم) رقم(١٢١٨)..

أَجَلْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بَلْ إِنَّ حَمْلَ السِّلاَحِ نَفْسهِ دَاخِلَ الْمُـدُنِ لعَـرْضِ العَـضَلاَتِ أَمَامَ النَّاسِ دُوْنَمَا لُزُومٍ مِنْ مُواَطِنَ عادِيٍّ غَيْرِ عَسْكَرِيٍّ وَفِي أَيَّامِ السَّلاَمِ وَالسِّلْمُ إِنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ لَيْسَتْ حَضارِيَّةً إِطْلاَقاً ، وَلاَ يَقِرُّهاَ عقْلٌ وَلاَ شَرْعٌ وَلاَ ذَوْقٌ سَـلِيمٌ ، وَكَمْ جَرَّتْ عَلَيْنَا مِنْ مَصائِبَ وَفجائِعَ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ الْمُؤْمِنُونَ: لَقَدْ قَرَعَتْ أَسْماعنَا كَثِيراً ، وَأَسالَتْ العُيُـونَ دُمُوعـاً ، وَأَقـضتْ المَـضاَجِعَ ، وَأَوْحَـشَتِ المَرابِـعَ ، أَحْـداَثُ الـزَّلاَزِلِ الْمُـدَمِّرَةِ ، وَالْفَيْضَاناَتِ العاَتِيَةِ ، وَحَطَّتْ بِكَلاَكِلِهَا وَثِقَلِهَا عَـلَى شُـعُوبٍ آسَـيَوِيَّةٍ فِي الْمُحِـيطِ الهِنْدِيِّ ، وَفِي طَلِيعَتِهَا الشَّعْبُ الإِنْدُونِسِي الْمُسْلِمُ وَغَيْرِهِ مِـنَ الـشُّعُوبِ الإِسْـلاَمِيَّةِ وَغَيْرِهَا ، فَكَمْ جَرَّتْ هَذِهِ الفَجائِعِ عَلَى مَنْ نَزَلَتْ بِهِمْ مِـنْ شَـقاَءٍ وَخِـراَبٍ وِدَمَـارٍ وَتَشْرِيدٍ وَيُتمٍ وَتَرَمُّلٍ ، وَكَمْ تكُونُ نَتاَئِجُ ذَلِكَ مِنْ أَمْـراَضٍ وَتَلَـوُّثٍ ، وَأَوبِئـةٍ إِذاَ لَمْ يَهِب الجَمِيعُ فِي كُلِّ أَنْحاَءِ العاَلَمِ بِالْمُساَعَدَةِ الْمُـسْتَعْجَلَةِ ، وَالنَّجْـدَةِ الـسَّرِيعَةِ لإِغاَثَـةِ المَنْكُوبِينَ وَالْمُشْرِدِينَ وَ كُلٌّ حَسْبِ طاَقَتِهِ بِالْمُساَعَدَةِ الماَدِيَّةِ.

وَنَحْنُ بِدَوْرِنَا نَرْفَعُ نِداَءَ الاسْتِغاَثَةِ وَالنَّجْدَةِ لِكُـلٍ مِـنْ وَفْقَـه الله تَعَـالَى لِمَـدِّ يَـدِ العَوْنِ وَالْمُساَعَدَةِ الجماَعِيَّةِ وَالْفَرْدِيَّةِ، وَلَمَّا كاَنَ المـاَلُ قِـواَمُ الحَيـاَةِ كـاَنَ بَذْلُـهُ بِـسَخاَءٍ فِي سَبِيلِ غَوْثِ المَنْكُوبِينَ مِنْ أَجَلِّ القُرُباَتِ إِلَى الله سُبْحاَنَهُ وَمَـنْ أَوْثَـقِ أَواَصِرِ وَأَسْـباَبِ التَّوَاصُلِ ، وَالْوُقُوفُ جَنْباً إِلَى جَنْبٍ مَعَ إِخْواَنِناَ فِي الدِّينِ وَالْجِواَرِ وَالإِنْسِاَنِيَّةِ.

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَـدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلاَئِكَتِـهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و انْـسِهِ ؛ فَقَـالَ مُخْـبِراً وآمِـراً لَكُـمْ تَكْـــــرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَـحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْـضَـلِ: سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِـي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّـدٍ صَـلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَـنْ أُمِّهَـا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الــمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّـاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، طَلْحَةَ والزُّبَيــرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيـعِ أَصْـحَابِ رَسُـولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجْلِيَ الظُّلْمَـةِ ، يَـا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلَيهِ مَصِيرُنَا، وعَلَيـهِ تَوَكُّلُنَـا ، و إِلَيـــهِ مَفْزَعُنَـا ؛ اكْـشِفْ كَرْبَنَـا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِـالعَفْوِ والغُفْـرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَـا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ ، والمُسْلِمِينَ والمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَافِرِ الذُّنُوبِ و الخَطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَمِينَ. اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِلاد المُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والمُسْلِمِينَ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَوِّكَ أَجْمَعِينَ. اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئاً ، سَحاً عَاماً دَائِماً مُبَارَكاً فِيهِ ، نَافِعاً غَيرَ ضَارٍّ. ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾.

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

عِبَادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ . فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ ؛ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# العشر ذي الحجة وعيد الأضحى المبارك

## الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ مُعِيدِ الأَعْيادِ ، كَثِيرِ المَدَدِ وَالإِمْدادِ، هَدانَا سُبْحانَهُ إِلَى طُرُقِ الهُـدَى وَالرَّشادِ ، فَأَرْسَلَ لَنا خَيرَ رَسُولٍ وَأَفْضَلَ هادٍ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، سَنَّ لَنا الأَعْيـادَ وَجَعَلَهـا مَواسِـمَ أَفْراحِ الطَّائِعِينَ ، وَأَيامَ سُرُورِ المُتَعَبِّدِينَ ، فَما أَعْظَمَ سُرُورَ الصائِمِ إِذا أَفْطَرَ ، وَمـا أَكْـبَرَ فَرْحَةَ الحاجِّ إِذا طافَ وَنَحَرَ ، وَلَبَّى وَكَبَّرَ ، وَجاءَ مِنْ عَرَفَةَ وَحَلَقَ أَوْ قَصَّرَ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحمداً عَبْدُهُ وَرَسُـولُهُ ، الـصَّادِقُ فِـيمَا أَخْـبَرَ بِـهِ عَـنِ الله ، المُخاطَبُ بِقَولِهِ تَعالَى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ التَّقِيِّ الأَوَّاهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَـحْبِهِ وَمَـنْ والاهُ.

أَمَّا بَعْدُ: فأُوصِيكم أَيُّها المُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى واعْلَمُوا أَنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيكُمْ الطَّاعَةَ فِي الشَّهْرِ الحَرامِ ، هُوَ الَّذِي فَرَضَها عَلَيكُمْ فِي سَـائِرِ الأَيَّـامِ ، فاعْبُدُوهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَفِي كُلِ زَمانٍ وَمَكانٍ ، لِيُـدْخِلَكُمْ دارَ الـسَّلامِ ، واعْلَمُـوا أَنَّهُ قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ حَرامٌ أَوَّلُهُ العَـشْرُ الأَيَّـامِ المَعْلُومـاتِ ، الَّتِـي أَقْـسَمَ الله بِهـا فِي كَلامِهِ الَّذِي هُوَ أَصْدَقُ كَلامٍ فَقالَ عَزَّ مَنْ قائِـلٍ ﴿ وَالْفَجْـرِ {١} وَلَيَـالٍ عَـشْرٍ {٢}

---

(١) آل عمران (٣١).

وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ {٣}﴾[1] .وَبِها أَتَمَّ الله الَموعِدَ لِمُوسَى بْـنِ عِمْـرانَ عَلَيـهِ وَعَـلَى نَبِيِّنَـا مُحمَّـدٍ أَفْـضَلُ الـصَّلاةِ وَأَزْكَـى التَّـسْلِيمِ بِقَولِـهِ ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[2].

عِبادَ الله: إِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ يَومَ التَّاسِعِ مِنْ ذِي الحِجَّةِ وَهُوَ يَومُ عَرَفَةَ ، وَهُـوَ أَفْضَلُ الأَيَّامِ ، فَلَهُ الحَمْدُ عَلَى الكَمالِ وَلَهُ الشُّكْرُ عَـلَى الـتَّمامِ وَمَـنْ أَحْـسَنَ العَمَـلَ أَحْسَنَ الله لَهُ الجَزاءَ ، ( هَلْ جَزَاءُ الإِحْسانِ إِلا الإِحْسانِ )[3].

قالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ صَـامَ يَـوْمَ عَرَفَـةَ غُفِـرَ لَـهُ ذَنْـبُ سَنَتَيْنِ مُتَتابِعَتَيْنِ))[4]، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُما قالَ: قالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ: ((مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ قَالُوا وَلَا الْجِهَادُ قَالَ وَلَا الْجِهَـادُ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ)) رَواهُ البُخارِي[5].

إِنَّ يَومَ عَرَفَةَ هُوَ يَومُ المَعْرِفَةِ ، يَومُ الُمباهاتِ وَالعَفْوِ وَالتَّعْرِيـفِ ، يَـومٌ يَـتَجَلَّى فِيهِ الرَّبُّ جَلَّ جَلالُهُ عَلَى عِبادِهِ فَيَعُمُّهُمْ بِلُطْفِـهِ وَغُفْرانِـهِ وَإِسْعادِهِ يَعْـدِلُ عَـشْرَةَ آلافِ يَومٍ يَومٌ مِنْ أَيَّامِهِ ، فَطُوبَى لأَهْلِهِ وَصُوَّامِهِ ، وَلَطالَمَا حاوَلَ الشَّيْطانُ الـرَّجِيمُ

---

(١) الفجر (١ـ٢ـ٣).

(٢) الأعراف (١٤٢).

(٣) الرحمن (٦٠).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير بهذا اللفظ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٨٩): رواه أبو يعلى والطبراني ورجال أبي يعلي رجال الصحيح اهـ.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة، باب فضل العمل في أيام التشريق.

فِي مِثْلِ هَذَا اليَومِ المُبَارَكِ أَنْ يَصُدَّ الناسَ عَنِ الوُقُوفِ بِعَرَفَةَ ، وَقالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ فِي تَفْسِيرِ قَولِهِ تَعالَى ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾[1]. أَيْ طرِيقَ مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ يَقْعُدُ الشَّيْطانُ عَلَيهِ لِيَمْنَعَ الناسَ مِنْها ، وَقالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فِي هَذا اليَومِ وَما يُصابُ بِهِ الشَّيْطانُ مِنْ خِزْيٍ وَعارٍ قالَ: «مَا رُئِيَ الشيطانُ يوما هو فيه أَصْغَرُ، ولا أَدْحَرُ ولا أَحْقَرُ، ولا أَغْيَظُ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما يرى من تَنَزُّل الرحمة، وتجاوز الله عن الذُّنوبِ العِظامِ»[2] إِذْ يُقالُ: إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوباً لا يُكَفِّرُها إِلا الوُقُوفُ بِعَرَفَةَ.

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ: مِمَّا يَنْبَغِي لَنا نَحْنُ غَيرَ الحُجَّاجِ يومَ عَرَفَةَ أَنْ نَتَشَبَّهَ بِالواقِفِينَ بِعَرَفَةَ بِكَثْرَةِ الدُّعاءِ وَالاجْتِماعِ فَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَومٍ فَهُوَ مِنْهُمْ وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ فَتَشَبَّهُوا إِنَّ التَشَبُّهَ بِالكِرامِ فَلاح، غَيرَ أَنَّهُ يُسَنُّ لَنا صِيامُ يَوم عَرَفَةَ وَلا يُسَنُّ لَهُمْ ، وَمِنَ السُّنَّةِ كَثْرَةُ الدُّعاءِ ، وَالتَّسْبِيحِ والتَّحْمِيدِ ، وَالتَّهْلِيلِ ، فَإِنَّها أَيَّامُ العَمَلِ الصَّالِحِ.

أَيُّها المُسْلِمُونَ: تَذَكَّرُوا فِي هَذِهِ المُناسَبَةِ وَهَذا المَوْقِف حجَّةَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ حَجَّةَ الوَداعِ ، وَخُطْبَتِهِ المَشْهُورَةِ ، الَّتِي تُعْتَبَرُ دُسْتُوراً إِسْلامِيًّا لِهَذِهِ الأُمَّةِ وَهِيَ تَعِيشُ أَزْماتِها المُتَتابِعَة وَنَكْباتِها المُتَلاحِقَة فَقالَ فِيها بَعْدَ أَنْ حَمِدَ الله

---

(١) الأعراف (١٦-١٧)

(٢) أخرجه الأمام مالك في الموطأ (١/ ٤٢٢، رقم ٩٤٤) والبيهقى فى شعب الإيمان (٣/ ٤٦١، رقم ٤٠٦٩) عن طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلاً، و أخرجه البيهقي أيضاً في شعب الإيمان (٣/ ٤٦١، رقم ٤٠٧٠) متصلا من حديث طلحة بن عبد الله بن كريز عن أبى الدرداء.

تَعالَى وَأَثْنَى عَلَيهِ: (( أَيُّها الناسُ اسْمَعُوا قَوْلِي فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَلْقاكُمْ بَعْدَ عامِي هَذَا بِهَذَا المَوْقِفِ أَبَداً ، أَيُّها الناسُ إِنَّ دِماءَكُمْ وَأَمْوالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرامٌ إِلَى أَنْ تَلْقَوا رَبَّكُمْ كَحُرْمَةِ يومِكُمْ هَذا وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذا ، وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَونَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمالِكُمْ فَمَنْ كانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّها إِلَى مَنْ ائْتَمَنَهُ ، وَأَنَّ كُلَّ رِباً مَوضُوعٌ ، وإِنَّ رِبا العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ مَوضُوعٌ كُلُّهُ ، وَأَنَّ كُلَّ دَمٍ فِي الجاهِلِيَّةِ مَوضُوعٌ وإِنَّ أَوَّلَ دِمائكُمْ أَضَعُ دَمَ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الحارِثِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، أَيُّها الناسُ: إِنَّ الشَّيْطانَ قَدْ يَئِسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ أَبَداً وَلَكِن أَنْ يطَاعَ فِيما سِوَى ذَلِكَ فَقَدْ رَضِيَ بِهِ مِمَّا تَحْقِرُونَهُ مِنْ أَعْمالِكُمْ فَاحْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ)) ، وَمِنْها: (( اِسْتَوصُوا بِالنِّساءِ خَيْراً فَإِنَّهُنَّ عَوان أَيْ (أسيرات ) لا يمْلكن لأَنْفُسِهِنَّ شَيئاً إِنَّما أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمانَةِ الله وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ الله ، وَقالَ فِيهَا: (( وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ ما إِنْ تَمَسَّكْتُمْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَداً كِتابَ الله ، وَسُنَّةَ رَسُولِهِ أَيُّها الناسُ اسْمَعُوا قَولِي وَاعْتَقِلُوهُ ، اللَّهُمَّ فاشْهَدْ أَوْ كَما قالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ[١] .

وَجاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ إِلَى سَيِّدِنا عُمَرِ بْنِ الخَطابِ رَضِيَ الله عَنهُ وَقالَ: يا أَمِيرَ المُؤْمِنَينَ إِنَّ فِي كِتابِ الله آيَةٌ لَو عَلَينَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ لاتَّخَذْنا يَومَ نُزُولِها عِيداً فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: وَأَيُّ آيَةٍ هَذِهِ ؟ قالَ هِيَ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[٢]. فَقالَ رَضِيَ الله عَنهُ قَدْ وَالله

(١) أخرجه بطوله هشام بن عمار في جزءه عن أبي المليح الهذلي مرسلا وإسناده رجاله ثقات غير عبيد الله بن أبي حميد الهذلي قال ابن حجر متروك الحديث قاله جامع التعليقات والله أعلم.
(٢) المائدة (٢).

عَلِمْنا يومَ نُزُولِها ، وَفِي أَيِّ مَكانٍ نَزَلَتْ كانَ ذَلِكَ يَومَ الجُمْعَةِ وَيومَ عَرَفَةَ ، ورَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ الناسَ فَيا لَهُمَا مِنْ عيدَيْنِ وَيا لَهُما مِن مَزِيَّتَيْنِ.

فاحْتَرِمُوا أَيُّها المُسْلِمُونَ هَذا اليَومَ وَاغْتَنِمُوا فِيهِ اجْتِماعَ النِّعْمَتَيْنْ وَدائِنُوا فِيهِ رَبَّكُمْ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يُثِيبُ عَلَى الخَيْرِ وَيُوفِي لِعَبْدِهِ قَضاءَ الدِّينِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[1].

أَيُّها الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ: يَلِي يَومَ عَرَفَةَ وَهُوَ اليَومُ التَّاسعُ مِنْ ذِي الحِجَّةِ ، يَومُ عِيدِ الأَضْحَى المُبارَكِ ، يَومُ الحج الأكبر النَّحْرِ وَالتَّضْحِيَّةِ يُسَنُّ إِحْياءُ لَيْلَتِهِ ، وَيَحْرُمُ صِيامُهُ وَأَيَّام التَّشْرِيقِ الثَّلاث الَّتِي تَلِيهِ ، وَيُسَنُّ التَّكْبِيرُ عَقِبَ الصَّلَواتِ المَفْرُوضَةِ ابْتِداءً مِنْ فَجْرِ يَومِ عَرَفَةَ حَتَّى عَصْرِ يَومِ الثَّالِثِ عَشَرَ مِنْ ذِي الحِجَّةِ ، وَيُسَنُّ لَكَ أَيُّها المُسْلِمُ إِذا أَصْبَحْتَ يومَ العِيدِ أَنْ تَغْتَسِلَ وَتَتَطَيَّبَ وَتَلَبَّسَ أَحْسَنَ وَأَفْخَرَ ثِيابِكَ ماعَدا المُحَرَّمَ مِنْها لَبْسُهُ كالحَرِيرِ وَالذَّهَبِ، وَاخْرُجْ إِلَى المُصَلَّى مِنْ طَرِيقٍ مُكَبِّراً وَعُدْ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ، وَوَقْتُ صَلاةِ العِيدِ ما بَينَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى الزَّوالِ وَيُسْتَحَبُّ تَعْجِيلُ صَلاةِ عِيدِ الأَضْحَى ؛ مِنْ أَجْلِ المُبادَرَةِ وَالإِسْراعِ فِي ذَبْحِ الأُضْحِيَّةِ وَوَقْتُها أَي الأُضْحِيَّةُ مِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِيدِ إِلَى غُرُوبِ شَمْسِ يَومِ الثَّالِثِ عَشَرَ وَهُوَ آخِرُ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ، وَتُسَنُّ سُنَّةَ كِفايَةٍ عَنْ كُلِّ دارٍ أَنْ يُضَحِّيَ بِشاةٍ وَهِيَ جَذَعَةٌ مِنَ الضَّأْنِ ما لَهُ سَنَةٌ وَدَخَلَ فِي الثَّانِيَةِ ، وَمِنَ المَعْزِ ثَنِيَّةٌ وَهِيَ ما لَها سَنَتانِ وَدَخَلَتْ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ ، وَالضَّأْنُ أَفْضَلُ مِنَ المَعْزِ ، وَالذَّكَرُ أَفْضَلُ مِنَ الأُنْثَى ، وَالأَبْيَضُ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ ، لأَنَّ كَبْشَ فِداءِ إِسْماعِيلَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ كانَ من

---

(١) النساء (٤٠).

الضَّأْنُ ذَكَراً أَبْيَض، وَقَدْ ضَحَّى رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ عَـنْ نَفْـسِهِ وَعَـنْ فُقَراء أُمَّتِهِ بِكَبْشَينِ أَمْلَحَينِ وَذَبَحَ أُضْحِيَّتَهُ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ ، وَقـالَ: ((بِـسْمِ الله ، وَاللهُ أَكْبَرُ هَذا عَنِّي وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحِّ مِنْ أُمَّتِي)) [(١)]، وَقالَ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ: (( مَـنْ رَأَى هِلَالَ ذِي الحِجَّةِ وَأَرادَ أَنْ يُضَحِّي فَلا يَأْخُذ مِنْ شَعْرِهِ وَلا مِنْ أَظْفارِهِ شَـيئاً حَتَّـى يُضَحِّي)) [(٢)].

وَالتَّضْحِيةُ فِي أَبْسَطِ مَعانِيها هِيَ: تَنازُلُ الإِنْسانِ عَمَّا يَمْلِكُ مِمَّا لا يَحْتـاجُ إِلَيـهِ لِمَنْ لا يَمْلِكُ شَيئاً وَهُوَ فِي حاجَةٍ إِلَيهِ ، وَلَكِنَّها فِي مَعْناها الإِسْلامِيِّ المَنْـشُودِ تَعْنِـي أَنْ يَذْبَحَ القادِرُ أُضْحِيَّةً يُوَزِّعُ مِنْها قَدْراً عَلَى الفُقَراءِ وَيَهْدِي قَدْراً لِـذَوِي الأَرْحـامِ وَالأَصْدِقاءِ ، وَيُوَسِّعُ عَـلَى عِيالِـهِ وَيُطْعِمُهُـمْ وَيَـدَّخِرُ مِنْهـا إِذا شـاءَ ، لأَنَّ الـذَّبْحَ وَإِراقَةَ الدَّمِ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ هُوَ أَرْقى وَأَعْظَمُ ما يَتَقَـرَّبُ بِـهِ المُتَّقُـونَ إِلَى الله سُـبْحانَهُ وَتَعالَى ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْ أُمِّ المُؤْمِنَينَ عائِشَةَ رَضِيَ الله عَنها عَنِ النَّبِـيّ صَـلَّى الله عَلَيـهِ وَسَلَّمَ قالَ: (( ما عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَومَ النَّحْرِ أَحَـبُّ إِلَى الله مِـنْ إِهْـراقِ الـدَّمِ ،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند في باقي مسند المكثرين في مسند جابر بن عبدالله، وأخرجه أبو داود في سننه كتاب الضحايا باب في الشاة يضحي بها عن الجماعة والترمذي في سننه في كتاب الأضاحي باب العقيقة بشاة من نفس طرق الإمام أحمد وأبي داود عن جابر بن عبد الله قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأضحى بالمصلى فلما قضى خطبته نزل من منبره وأتى بكبش فذبحه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عني وعمن لم يضح من أمتي قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه وأخرجه الحاكم في المستدرك من طريق أبي سعيد الخدري وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى في أول كتاب الأضاحي (٣/ ٥١).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الأضاحي باب ما جاء في فضل الأضحية وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

وَإِنَّها لَتَأْتِي يَومَ القِيامَةِ بِقُرُونِها وَأَشْعارِها وَأَظْلافِها ، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللهِ بِمَكـانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الأَرْضِ فَطِيبُوا بِها نَفْساً)).

وَشَرْطُ الأُضْحِيَّةِ أَنْ تَكُونَ سَلِيمَةً مِنَ العُيُوبِ غَيرَ ناقِصَةِ الأَطْرافِ كالآذانِ وَالعُيُونِ وَيُجْزِئُ الخَصِيُّ ، وَمَكْسُورَةُ القَرْنِ ، وَمَشْرُوخَةُ الأُذُنِ ، وَيُكْرَهُ ذَبْحُ الحامِلِ ، وَاللَّبُونِ ، وَالشَّاةُ تُجْزِئُ عَنْ بَيتٍ وَلَو كَثُرَ أَهْلُهُ ، وَالبَقَرَةُ وَالبَدَنَةُ عَنْ سَبْعَةٍ ، وَالشَّاةُ أَفْضَلُ مِنَ المُشارَكَةِ فِي بَقَرَةٍ أَوْ بَدَنَةٍ ، وَلا يَصِحُّ أَنْ يَأْخُذَ الجَزَّارُ شَيْئاً مِنَ اللَّحْمِ إِلا إِذا كانَ صَدَقَةً عَلَيهِ ، وَكانت أُجْرَتُهُ غَيرَ ذَلِكَ وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَذْبَحَ الرَّجُلُ أُضْحِيَّتَهُ بِيَدِهِ ، وَأَنْ يُحِدَّ شُفْرَتَهُ وَيُرِيح ذَبِيحَتَهُ ((إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)) [1] اقْتِداءً بِسَيِّدِ الخَلْقِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ خَيرِ مَنْ كَبَّرَ وَنَحَرَ وإتباعا لإِبْراهِيمَ عِنْدَ ما أَرادَ أَنْ يَذْبَحَ وَلَدَهُ اسماعِيلَ عَلَيهِما الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، وَفَداهُ رَبُّهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ، وجَعَلَ ذَلِكَ مِلَّتَهُ ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2].

أَيُّها الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ: إِنَّ يومَ عِيدِ الأَضْحَى يَومٌ فَضِيلٌ ، وَعِيدٌ شَرِيفٌ جَلِيلٌ يَجْتَمِعُ فِيهِ الحُجَّاجُ بِمِنَى يَسْتكْمِلُونَ مَناسِكَ الحَجِّ وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللهِ بِالثَّجِّ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة.

(٢) آل عمران (٦٧-٦٨).

وَالعَجِّ يُحِيونَ سُنَّةَ أَبِيهِمْ إِبْراهِيمَ بِما يَذْبَحُونَ مِنَ القَرَابِين يَبْتَغُونَ وَجْهَ رَبِّ العـالَمِينَ ، إِظْهاراً لِلتَّضْحِيَّةِ وَالفِداءِ فِي طَرِيقِ الحَقِّ وَالهُدَى ، وَرَمْزاً لِما يَقْتَضِيهِ الواجِبُ بَـينَ المُسْلِمِينَ مِنْ تَكاتُفٍ وَتَحابٍ وَتَوحِيدِ الهَدَفِ وَالمَطالِبِ ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّـاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُما عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «احْضرُوها أَيِ الأُضْحِيَّةَ إِذا ذَبَحْـتُمْ فَإِنَّهُ يُغْفَرُ لَكُمْ عِنْدَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِها» وَعَنْ زَيدِ بْنِ أَرْقَم رَضِيَ الله عَنْـهُ: «أَنَّهُـمْ قالُوا يا رَسُولَ الله ما هَذِهِ الأَضاحِي قالَ سُنَّةُ إِبْراهِيمَ قالُوا فَما لَنا فِيهَا ، قـالَ بِكُـلِّ شَـعْرَةٍ حَـسَنَةٌ»[1]. وَاللهُ يَقُـولُ وَبِقَولِـهِ يَهْتَـدِي المُهْتَـدُونَ ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2] وَقالَ عَـزَّ مِـنْ قَائِـلٍ كَـرِيمٍ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[3].

أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

ﮋإِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ ﮊ ﮋوَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﮑ ﮒ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﮊ[4].

بارَكَ الله لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِيـاكُمْ مِـنَ الآيـاتِ وَالـذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند الكوفيين في مسند زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه في إسناده عَائِذِ الله المُجَاشِعِيِّ قال ابن حجر ضعيف، وقال الذهبي: قال البخاري: لا يصح حديثه، وفيـه أبـو داود الأعمـى كذبه ابن معين.

(٢) الأعراف (٢٠٤).

(٣) النحل (٩٨).

(٤) سورة الكوثر.

# الخطبة الثانية

الحَمْدُ لله الذي جَعَلَ البَيتَ الحَرامِ مَثابَةً للناس وَأَمْناً ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لا شَرِيـكَ لَـهُ ، سُـبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَــهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَــهُ الأَصْوَاتُ، وَكَلَّتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه خَيرُ مَنْ طافَ بِالبَيْتِ العَتِيقِ وَهُوَ القائِـلُ: (( الحُجَّاجُ وَالعُمَّارُ وَفْدُ الله يُعْطِيهِمْ ما سَأَلُوا ، وَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ ما دَعَوا ، وَيُخْلِـفُ عَلَـيهِمْ ما أَنْفَقُوا )) [1].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ما حَجّ حاجٌ وَاعْتَمَر وَلَبَّى وَحَلَقَ وَنَحَرَ، وَطافَ بِالبَيتِ العَتِيـقِ وَقَبَّـلَ الحَجَـرَ، وَعَـلَى آلِـهِ وَصَـحْبِهِ الهُـداةِ الأَكْـرَمِينَ ، وَالتَّابِعِينَ إِلَى يومِ الدِّينِ .

أَمَّا بَعْدُ: فأُوصِيكمْ أَيُّها المُـسْلِمُونَ وَنَفْـسِيَ بِتَقْـوَى الله تَعـالَى فَخُـذُوا مِنْهـا بِأَوْفَرِ حَظٍّ وَنَصِيبٍ ، وَاحْتَقِبُوها زَاداً لَكُمْ لِلْيَومِ الرَّهِيبِ العَصِيبِ .

أَخِي المُسْلِم: لا يُنْسِيَنَّكَ العِيدُ وَفَرْحَتُهُ وَما تَلْبَسُهُ مِنْ أَغْلَى اللِّباسِ وَأَفْخَـرِهِ، وَأَحْلَى المَتعِ الفانِيَةِ ، لا يُنْسِيَنَّكَ كُلُّ هَذا شُكْرَ المُنْعِمِ عَلَيكَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْفَلَ عن مَـنْ حَوالَيْكَ مِنَ الأَرْحامِ وَالجِيرانِ وَالأَيْتامِ مِمَّـنْ أخنـى عَلَـيهِمْ الـدَّهْرُ ، وَمِمَّـنْ تَـزْدادُ

---

(١) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٣/ ٤٧٦، رقـم ٤١٠٥) وقـال: ثمامـة غـير قـوى. وضـعفه المنـذرى (٢/ ١١٣). وقال المناوى (٣/ ٤٠٥): فيه محمد بن عبد الله بن سليمان أورده الذهبى فى الضعفاء وقـال ابـن منده مجهول.

أَحْزانُهُمْ أَيَّامَ الأَعْيادِ وَتَسِيلُ دُمُوعُهُمْ إِذا فَرِحَ الناسُ ؛ لأَنَّهُمْ لا يَجِدُونَ مَنْ يَمْسَحُ دُمُوعَهُمْ ، وَيُجْبِرُ خَواطِرَهُمْ المَكْسُوفَةَ ، وَبِخاصَّةٍ أَطْفالِهِمْ الأَبْرِياءَ ، الَّذِينَ يَنْكِئُونَ جِراحَهُمْ وَيَهِيجُونَ مَشاعِرَهُمْ بِالْبُكاءِ حِينَما يَرَونَ غَيْرَهُمْ مِنْ أَبْناءِ الجِيرَانِ المَيْسُورِينَ وَقَدْ لَبِسُوا الجَدِيدَ الفاخِرَ مِنَ الثِّيابِ الزاهِيَةِ ، وَحَمَلُوا اللِّعَبَ وَالحَلْوَى عَلَى مَسْمَعٍ وَمَرْأَى مِنْ هَؤُلاءِ المَحْرُومِينَ ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِهِمْ باكِينَ لِيُصَيِّرُوا أَعْيادَهُمْ حَسْرَةً وَأَحْزاناً.

أَلا فَلْنَنْتَبِهْ يا عِبادَ الله لَمواضِعَ الضّعْفِ وَالفاقَةِ فِي مُجْتَمعنا الصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ ، وَلِنَبْحَثْ بِدِقَّةٍ فِيمَنْ حَولَنا مِمَّنْ يَعِيشُ فِي شَظَفٍ، مِنَ الأَيْتامِ وَالأَرامِلِ وَالعَجائِزِ وَذَوِي العاهاتِ وَالمَرْضَى وَالمَنْكُوبِينَ فَنُدْخِلُ عَلَيهِمْ الفَرْحَةَ وَنُعِيدُ لِشَفَاهِهِمْ البَسْمَةَ ، فَهُمْ يَعِيشُونَ بَينَ ظَهْرانِينَا وَقَرِيباً مِنَّا وَلَكِنَّا قَدْ نَجْهَلُهُمْ لِعَدَمِ مَعْرِفَتِنا بِأَحْوالِهِمْ ، لِعِفَّتِهِمْ وَأَنَفَتِهِمْ وَتَرفُّعِهِمْ كَما وَصَفَهُمْ الله تَعالَى ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[1].

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ: كَيفَ يَطِيبُ لَنا عِيدٌ أَوْ يَومٌ جَدِيدٌ وَالعالَمُ الإِسْلامِيُّ مُمَزَّقٌ عَلَى نَفْسِهِ لا جامِعَةَ تَجْمَعُهُمْ وَلا رابِطَةَ تُوَحِّدُهُمْ ، أَمْ كَيفَ يَقِرُّ لَنا قَرارٌ وَالبِلادُ العَرَبِيَّةُ وَالإِسْلامِيَّةُ تَنْتابُها الاهْتِزازاتُ وَالاضْطِرابات الدَّاخِلِيَّةُ ، وَانْتَشَرَتْ القَطِيعَةُ وَالتَّنافُرُ وَالتَّباغُظُ وَالأَعْداءُ يَتَرَبَّصُونَ بِهِمْ الدَّوائِرَ[2]:

---

(١) البقرة (٢٧٣).

(٢) هذه الأبيات من البحر الكامل للشاعر أحمد شوقي.

وَطَني أَسِفتُ عَلَيكَ في عيدِ المَـلا وَبَكَيتُ مِن وَجدٍ وَمِن إِشـفاقِ

لا عيـــدَ لي حَتّـــى أَراكَ بِأُمَّـــةٍ شَـمّاءَ راوِيَـةٍ مِـنَ الأَخـلاقِ

ذَهَبَ الكِرامُ الجـامِعونَ لِأَمـرِهِم وَبَقيتُ في خَلَـفٍ بِغَـيرِ خَـلاقِ

وَاذْكُرُوا دائِماً أَنَّ عِيدَكُمْ الأَكْـبَرُ هُـوَ يَـومٌ تَتَحَقَّـقُ لِـوَطَنِكُمْ العَـرَبِيِّ الْمُـسْلِمِ وحْدَتُهُ، وَتَنْتَفِي مِنْ أَرْجائِهِ عَوامِلُ الفُرْقَةِ ، وَتَلْتَقِي جُهُودُ الْمُسْلِمِينَ فِي كُـلِّ مَكـانٍ يَوم يُـسْتَعادُ المَـسْجِدُ الأَقْـصَى الأَسِـيرُ مِـنْ أَعْـداءِ الإِسْـلامِ وَالْمُـسْلِمِينَ وَتَرْتَفِـعُ حَناجِرُهُمْ بِذَلِكَ الهُتافِ الحَبِيبِ المَدَوِّي« اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ صَدَقَ وَعْـدَهُ ، وَنَـصَرَ عَبْدَهُ وَأَعَزَّ جُنْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزابَ وَحْدَهُ » ، وَكُلُّ عـامٍ وَنَحْـنُ وَالعـالَمُ الإِسْـلامِيُّ بِخَيرٍ وَطُمَأْنِينَةٍ وَاطْمِئْنانٍ وَسِلْمٍ وَسَلامٍ وَإِسْلامٍ. وَأَمْنٍ وَأَمانٍ وَإِيمان.

واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ الْمُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَـلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِاللهِ الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُـبْرَى ، و عَـنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَـاتِ الــمُؤْمِنِينَ ، وعَـنْ عَمَّـي

رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِــيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْـتَ الـشَّجَرَةِ، طَلْحَـةَ والزُّبَيــرِ ، وسَـعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْـحَابِ رَسُـولِ الله رِضْـوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَـةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشِفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَــا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِـنَ العَـذَابِ والنِــيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِك فَـرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُــؤْمِنَاتِ ، والـمُـسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَـافِر الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَـا خَاصَّةً وسَائِر بِـلادَ الـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنا ، وَاشْفِ مَرْضَانا ، وعَافِ مُبْتَـلانا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنا، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنـا ، وأَبْعِـدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ الـسُّفَهَاءِ مِنَّـا ، واجْعَـلْ وِلَايَتَنَـا فِـيمَنْ خَافَـكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسْلامَ والمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَوِّكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئاً ، سَحّاً عَامّاً دَائِماً مُبَارَكاً فِيهِ ، نَافِعاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

عِبَادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ ؛ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# عيد الأضحى وأيام التشريق

## الخطبة الأولى

الحَمْدُ لله الَّذِي لا تَغِيضُ يَنابِيعُ فَضْلِهِ ، وَلا تَضْطَرِبُ مَوازِينُ عَدْلِهِ ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى حَمْداً كَثِيراً طَيِّبًا مُبَارَكاً فِيهِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، أَمَرَنَا بِالاعْتِصامِ بِحَبْلِهِ ، وَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِنَا بِفَضْلِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَفْضَلُ أَنْبِيَائِهِ وَخاتِمُ رُسُلِهِ.اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ: فأُوصِيكُمْ أَيُّها المُسْلِمُونَ بِتَقْوَى الله تَعَالَى، مُمْتَثِلِينَ قَوْلَهُ جَلَّ جَلالُهُ: وَتَزَوَّدُواْ ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1] وَقالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾[2].

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي عُلاهُ: ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3].

يا إِخْوَةَ الإِسْلامِ وَالإِيْمانِ: هَذِهِ أَيَّامٌ مَشْهُودَةٌ مِنْ أَيَّامِ عِيدِ الأَضْحَى المُبَارَكِ ، وَنَحْنُ نَعِيشُ الْيَومَ الأَوَّل مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ الثَّلاثَةِ، نَرْجُو فِيهَا مِنَ الله أَنْ يَفِيضَ عَلَينَا مِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسانِهِ ما تَسْعَدُ بِهِ قُلُوبُنَا ، وَتَقَرُّ بِهِ أَعْيُنُنَا ، وَقَدْ جَرَتْ إِرادَةُ الله

(١) البقرة (١٩٧).

(٢) الطلاق (٤).

(٣) الحج (٦٧).

تَعَالَى فِي سنِّ أَعْيَادِنَا نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حِكْمَةٍ ارْتَبَطَتْ بِهَا ، وَقاعِدَةٍ قامَـتْ عَلَيهَـا ، أَلا وَهيَ: أَنْ جَعَلَ العِيدَ عَقِبَ فَراغ المُؤْمِنِينَ مِنْ أَداءِ فَرِيضَةٍ مُعَيَّنَةٍ ، فَعِيدُ الفِطْـرِ يَأْتِي عَقِبَ أَداءِ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ لِفَرِيضَةِ الصَّومِ ، وَعِيدُ الأَضْحَى يَـأْتِي عَقِـبَ أَداءِ المُؤْمِنِينَ لِفَرِيضَةِ الحَجِّ ، وَتَمَتُّعِهِمْ بِزِيارَةِ المَشَاهِدِ العِظامِ ، وَزِيارَةِ قَبْرِ رَسُـولِهِ عَلَيـهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَأَزْكَى السَّلامِ.

وَهَكَذا يَنْبَغِي أَنْ يُحَسَّ المُؤْمِنُونَ بِمَعْنَـى العِيـدِ ، أَنَّـهُ وَقْفَـةٌ يَـسِيرَةٌ، وَجـائِزَةٌ ثَمِينَةٌ، بَعْدَ رِحْلَةِ تَعَبُّدٍ شَاقَّةٍ ، وَأَنَّهُ فُسْحَةٌ طَيِّبَةٌ لِلرُّوحِ وَالْبَدَنِ ، بَعْـدَ خَـوضِ غِـمارِ عِبادَةٍ مُضنيةٍ، وَمِنَ الطَّبِيعِي لِمَنْ كُلِّفَ أَداءَ عَمَلٍ شاقٍّ أَنْ يَأْخُـذَ بَعْـدَ ذَلِـكَ راحَـةً وَاسْتِراحَةً يُرِيحُ فِيهَا نَفْسَهُ وَيَذُوقُ خِلالَهَا طَعْمَ السَّعادَةِ بِأَداءِ الواجِـبِ عَـلَى حِـينِ قَصَّرَ آخَرُونَ، فَلَمْ يَبْلُغُوا هَذا المُسْتَوَى الرَّفِيعَ ، وَلا طَعِمُوا تِلْكَ السَّعادَةَ النَّفِيـسَةَ ، مِنْ أَجْلِ هَذا حَفَلَ العِيدُ بِالْكَثِيرِ مِنَ الوَصايَا ، وَالشَّعَائِرِ وَالمَناسِكِ الَّتِي تَجْعَـلُ لَـهُ رِسَالَةً اجْتِماعِيَّةً إِلَى جانِبِ أَنَّهَا مُناسَبَةُ إِسْعَادٍ ، وَبَهْجَةٍ لأَبْناءِ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ جَمْعَاءَ فِي كُلِّ دِيَارِهَا وَأَمْصَارِهَا ، وَعَلَى اخْتِلافِ الأَعْمارِ وَالمُسْتَوَيَاتِ.

إِنَّ هَذِهِ الأَفْراحَ وَالتَّعَاطُفَ وَالمَحَبَّةَ فِي أَيَّامِ العِيدِ تَفِيضُ مِنْ مُـسْتَوَى الكِبـارِ إِلَى مُسْتَوَى الصِّغَارِ ، دَعُوا الشَّبابَ وَالصِّغَارَ يَلْعَبُـونَ وَيَمْرَحُـونَ أَيَّـامَ الأَعْيَـادِ فِي حُدُودِ اللَّهْوِ البَرِيءِ ، وَاللَّعْبِ المَشْرُوعِ الَّذِي لا يُفْسِدُ الأَخْـلاقَ ، وَلا يَتَنَـافَى مَـعَ الآدابِ الإِسْلامِيَّةِ العَامَّةِ ، إِنَّ أَهَمَّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُحَسَّ بِهِ أَطْفالُنَا فِي العِيدِ أَنَّنَـا نَهْـتَمُّ بِهِمْ ، وَنُشْرِكُهُمْ فِي فَرْحَتِنَا، فَلا نتْرُكُهُمْ فِي الـشَّوارِعِ مُهْمَلِـينَ كالـسَّوائِمِ الـضَّالَّةِ ، وَلَكِـنْ يَجِـبُ أَنْ نـصْحَبَهُمْ مَعَنَـا فِي زِيـارَةِ الأَهْـلِ والأَقـارِبِ، وَتَبَـادُلِ التَّهـانِي

وَالتَّبْرِيكاتِ بِالْعِيدِ ، وَأَصْحِبُوهُمْ مَعَكُمْ فِي تَوزِيعِ لُحُومِ الأَضَاحِي ، لِيَتَدَرَّبُوا عَلَى الإِحْسَانِ عَمَلِيّاً، وَأَصحِبُوهم حَيثُ تَتَنَازَلُونَ عَنْ خُصُوماتِكُمْ ؛ لِيَشْهَدُوا بِأَعْيُنِهِمْ كَيفَ تَتَصَافَحُ الأَيْدِي ، وَتَتَصَافَحُ القُلُوبُ ، وَخُذُوهم مَعَكُمْ إِلَى المَسَاجِدِ لِيَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ مَعَكُمْ: الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ لا إِلَهَ إِلاَّ الله وَاللهُ أَكْبَرُ هَذِهِ الأَيَّامُ الَّتِي نَعِيشُهَا وَنَحْنُ نَعِيشُ أَوَّلَ يَومٍ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ إِنَّهَا فُرَصٌ رَبَّانِيَّةٌ ، أَرادَهَا الله لَكُمْ سَعَادَةً وَصَفَاءً وَهَنَاءً وَإِحْسَاناً ، فَلا تَدَعُو لَحْظَةً مِنْ لَحَظاتِهَا، وَلا لَفْتَةً مِنْ لَفَتَاتِهَا، تَمُرُّ بِدُونِ صَفَاءٍ ، وَبِدُونِ إِسْعادٍ وِبِدُونِ هَنَاءٍ لِلآخَرِينَ مَنْ حَولَكُمْ وَلأَنْفُسِكُمْ ، وَكُلُّنَا يَطْلُبُ السَّعادَةَ ، وَالصَّفاءَ فِي حَيَاتِهِ لِكَي نَعِيش سُعَداءَ مُطْمَئِنِّينَ ؛ تُخَيِّمُ عَلَينَا رُوحُ المَحَبَّةِ وَالْوِئَامِ ، وَتُرَفْرِفُ عَلَينَا رَايَةُ الصَّفاءِ وَالاحْتِرامِ ، بَعِيدِينَ عَنِ الشِّجارِ وَالْخِصَامِ ، وَالْقَطِيعَةِ وَالتَّبَاعُدِ وَالانْفِصَامِ ، أَلا فَلْنَتَسَامَحْ أَيَّامَ الأَعْيادِ ، وَنَغُض الطَّرَفَ عَنْ هَفَواتٍ قَدْ تَصْدُرُ مِنَّا تِجَاهَ بَعْضِنَا لِبَعْضٍ مِمَّنْ يَعِزُّ عَلِينَا مِنْ أَهالِينَا وَأَقْرِبائِنَا وَجِيرانِنَا ، لا نَتْرُك فُرْصَةَ العِيدِ تَمُرُّ عَلَينَا دُونَ فائِدَةٍ سامِحُوا مَنْ أَسَاءَ إِلَيكُمْ، أَوْصِلُوهُمْ وإِنْ قَطَعُوكُمْ ، ابْدَؤُوا بِزِيارَتِهِمْ فالْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ ، اقتدوا بِنَبِيِّكُمْ صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ وَمُرْشِدِكُمْ الأَعْظَمِ ، الَّذِي لا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى ، إن هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ، عِنْدَ مَا سَأَلَهُ أَحَدُ أَصْحابه هَذا السُّؤالَ: قَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي وَأُحْسِنُ إِلَيهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ « لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنْ الله ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ »[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٢، رقم ٢٥٥٨)، وابن حبان (٢/ ١٩٥، رقم ٤٥٠).

وَبِهَذِهِ التَّوجِيهَاتِ وَأَمْثَالِهَا كانَ يَتَحَـدَّثُ إِلَيـنَـا الرَّسُـولُ حَرِيـصاً عَـلَى بَقَـاءِ الرَّوابِطِ الأُسْرِيَّةِ مُتَمَاسِكَةً، وَوَشَائِجِ الأُخُوَّةِ الإِسْلامِيَّةِ مُتَرابِطَةً ، لا تُمَزِّقُهَا حَمَاقَاتُ البَعْضِ مِمَّنْ لا يَقْدِّرُهَا حَقَّ قَدْرِهَا، وَيُلاحَظُ انْتِشَارُ القَطِيعَةِ بَينَ كَثِيرٍ مِنَ الأَقَـارِبِ وَالأَرْحَامِ ، وَالْجِيرانِ وَالإِخْوانِ، فِي حِينِ غابَ مِنْ بَيْنِنَا رِجَالُ الصُّلْحِ وَالإِصْـلاحِ ، وَحَلاَّلِيُ المَشاكِلِ ، بَلْ قَدْ يُوجَدُ الكَثِيرُ مِنَ الْمُخَرِّبِينَ ، وَالفَتَّـانِينَ وَالْمُنَـافِقِينَ ، مِمَّـنْ يَزِيدُ الطِّينَ بَلَّةً ، وَالنَّارَ وَقْدَةً، وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ قِيمَةٌ لِلتَّسَامُحِ وَالتَّصَالُحِ ، فَهَذا رَسُولُنَا العَظِيمُ وَمُصْلِحُنَا الكَبِيرُ مُحَمَّدٌ صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي حَـقِّ الْمُـصْلِحِينَ بَينَ النَّاسِ مُخَاطِباً الصَّحابِيَّ الجَلِيلَ أَبَـا أَيُّـوبَ الأنـصاري رَضِيَ الله عنْـهُ:« يَـا أَبَـا أَيوبَ، أَلا أَدُلَّكَ عَلى عَمْلٍ يَرْضَاهُ الله ورسولُه مَوضِعَهَا ؟ » قَال: بَلَى. قَالَ: « صِل بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَباغضُوا، وَقَرِّب بينهم إذا تباعدوا» [1] صَلَواتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيـكَ يا رَسُولَ المَحَبَّةِ وَالرَّحْمَةِ.

---

(١) أخرجه الطيالسي (ص ٨١، رقم ٥٩٨، ص ١٠٥، رقم ٢٣٢)، والطبراني (٤/ ١٣٨، رقم ٣٩٢٢) قـال الهيثمي (٨/ ٧٩): فيه ابن عبيدة وهو متروك. وأخرجه أيـضًا: البيهقـي في شـعب الإيـمان (٧/ ٤٩٠، رقـم ١١٠٩٤).

(١) أخرجه مالك (٢/ ٩٠٧، رقم ١٦١٥)، والطيالسى (ص ٢٨٠، رقم ٢٠٩١)، وأحمـد (٣/ ١٩٩، رقـم ١٣٠٧٥)، والبخاري (٥/ ٢٢٥٣، رقم ٥٧١٨)، ومسلم (٤/ ١٩٨٣، رقم ٢٥٥٩)، وأبو داود (٤/ ٢٧٨، رقم ٤٩١٠)، والترمذي (٤/ ٣٢٩، رقم ١٩٣٥) وقال: حسن صحيح عن أنس مرفوعا.

(١) أخرجه مالك (٢/ ٩٠٦، رقم ١٦١٤)، والطيالسي (ص ٨١، رقم ٥٩٢)، وعبد بـن حميـد (ص ١٠٣، رقم ٢٢٣)، وأحمد (٥/ ٤١٦، رقم ٢٣٥٧٥)، والبخاري (٥/ ٢٢٥٦، رقم ٥٧٢٧)، ومـسلم (٤/ ١٩٨٤، رقم ٢٥٦٠)، وأبو داود (٤/ ٢٧٨، رقم ٤٩١١)، والترمذي (٤/ ٣٢٧، رقم ١٩٣٢) وقال: حسن صحيح. وابن حبان(١٢/ ٤٨٤، رقم ٥٦٦٩) عن أبي أيوب الأنصاري مرفوعا.

وَقالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مُحَذِّراً عَنِ التَّقَاطُعِ وَالتَّبَاعُدِ ، وَمُرَغِّباً فِي التـآلف وَالتَّقَارُبِ: «لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ»[1] وفي رواية «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ يَلْتَقِيَانِ فَيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»[2].

أَلا فَلْتَتَقَوَّ عَلاقَتُنَا الاجْتِمَاعِيَّةُ وَبِخَاصَّةٍ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ المُبَارَكَةِ كَمَا يُرِيدُ لَهَا دِيْنُنَا الإِسْلامِيُّ الحَنِيفُ، لِتَكُونَ عَلاقَةَ وُدٍّ وَمَحَبَّةٍ وَعَطَاءٍ وَصَفاءٍ ، عَلاقَةَ سَخَاءٍ نَفْسِيٍّ وَمادِيٍّ يَتَمَثَّلُ فِي تَوزِيعِ قَدْرٍ مُحَدَّدٍ مِنْ لُحُومِ الأَضَاحِي وَالصَّدَقَةِ ، عَلَى الفُقَراءِ وَالأَقْرِباءِ وَالأَحْبابِ ، وَعَلاقَاتِ رِضاً نَفْسِيٍّ وَمَادِيٍّ وَمَعْنَوِيٍّ لَدَى أُولَئِكَ الآخِذِينَ تِلْكَ الحالَةِ مِنَ التَّواصُلِ الاجْتِمَاعِيِّ المَحْمُودِ تُضْفِي عَلَى العِيدِ مَعْنًى اجْتِمَاعِيًّا ، وَصِبْغَةً رُوحَانِيَّةً ، وَتَمْنَحُهُ طاقَةً مِنَ الحَيَوِيَّةِ مَصْدَرُهَا التَّضْحِيَّةُ الكَرِيمَةُ فِي أَيَّامٍ شاءَ الله تَعَالَى لَهَا أَنْ تَكُونَ كَرِيمَةً.

أَرَأَيْتُمْ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ شِعارَ عِيدِكُمْ لَقَدْ بَدَأْتُمُوهُ بِالتَّكْبِيرِ مُنْذُ طُلُوعِ فَجْرِ يَومِ عَرَفَةَ إِلَى يَومِ الثَّالِثِ عَشَرَ مِنْ ذِي الحِجَّةِ، وَلَسَوفَ تَعْمُرُونَهُ وَتَعْمُرُونَهُ بِالتَّكْبِيرِ طِوالَ أَيَّامِهِ الأَرْبَعَةِ ، وَلَكِنَّ هُتافَكُمْ بِأَنَّ الله أَكبَرُ ، مُقْتَرِنٌ بِإِذْعانِكُمْ لأَمْرِ الله الأَكْبَرِ ، وَإِحْسانِكُمْ إِلَى عِبَادِهِ ، الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا ما بَلَغْتُمْ مِنْ طَيِّبَاتِ الحَيَاةِ ، وَمِنْ هُنَا نفْهَمُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الآيَاتُ الكَرِيمَةُ ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾[3].

---

(٣) الحج (٣٦).

لَقَدْ جَعَلَ الله هَذِهِ التَّضْحِيَّةَ شِعَاراً لِلأُمَّةِ الحَنِيفِيَّةِ مَنْذُ عَزَمَ الخَلِيلُ إِبْراهِيمَ عَلَيهِ السَّلامُ عَلَى ذَبْحِ وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ تَصْدِيقاً لأَمْرِ الله فِي رُؤْيَاهُ الصَّادِقَةِ ، وَلَكِنَّ رَحْمَةَ الله عَلَيهِمْ تَدارَكَتْ إِسْمَاعِيلَ، فَفَدَتْهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ لِيَبْقَى إِسْمَاعِيلُ ، وَلِيَخْرُجَ مِنْ نَسْلِهِ مُحَمَّدٌ سَيِّدُ المُرْسَلِينَ ، المَبْعُوثُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَشَاءَ الله أَنْ تَقْتَرِنَ أَعْمَالُ الحَجِّ إِلَى بَيْتِهِ الحَرامِ الَّذِي بَنَاهُ إِبْراهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ بِتَقْدِيمِ هَذِهِ الأَضَاحِي رَمْزاً إِلَى تِلْكُمُ الوَحْدَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، الَّتِي رَبَطَتْ الإِسْلامَ بِالحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ: الأَضَاحِي شَعِيرَةٌ مِنْ شَعَائِرِ الله بِالنِّسْبَةِ إِلَى الحَجِيجِ بِمَكَّةَ المُكَرَّمَةِ ، وَغَيرِ الحَجِيجِ فِي سائِرِ البِلادِ الإِسْلامِيَّةِ الأُخْرَى يَتَقَرَّبُ بِهَا المُضَحُّونَ إِلَى الله تَعَالَى مَتَى قَدَرُوا عَلَيهَا، إِلَى جانِبِ مَا يُصِيبُهُمْ بِفَضْلِهَا مِنْ خَيرٍ حِينَ تَتَقَارَبُ قُلُوبُ الفُقَراءِ وَالأَغْنِيَاءِ، وَلا تَسْتَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئاً ، حِينَ تَنْتَفِي مِنَ المُجْتَمَعِ خِلالَ هَذِهِ الأَيَّامِ، أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَالْعِيدِ، تَنْتَفِي صُورَةُ العَوزِ وَالْفَاقَةِ وَالْفَقْرِ فَيَشْبَعُ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَشْبَعُ وَيُطْعِمُهُ القادِرُونَ، كَمَا تَخْتَفِي تبعاً لِذَلِكَ صُورَةُ الحِقْدِ الاجْتِمَاعِيِّ الَّذِي يَتَجَلَّى فِي أَرْوَعِ صُورَةٍ عِنْدَ مَا يَحُسُّ المُحْتاجُ أَنَّ القَادِرَ لَمْ يُبَالِ بِهِ ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى حاجَتِهِ، وَتِلْكُمْ هِيَ اللَّمْحَةُ الَّتِي عَبَّرَ عَنْهَا الحَقُّ سُبْحَانَهُ فِي قَولِهِ ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾[1] فالدِّماءُ وَاللُّحُومُ تَنَالَكُمْ أَنْتُمْ ، وَتَتَعَاطَفُونَهَا فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَاللهُ سُبْحانَهُ غَنِيٌّ عَنْهَا ، وَأَمَّا مَا يَنْتِجُ عَنْ هَذِهِ التَّضْحِيَةِ فَإِنَّ أَعْظَمَ مَا فِيهِ، صِلَةُ العَبْدِ بِرَبِّهِ وَالتَّقْوَى الَّتِي

(١) الحج (٣٧).

تَشعٌ مِنْ تَصَرُّفِهِ عَلَى نَحْوٍ يُرْضِي الله سُبْحانَهُ ، فالْعَطاءُ مِنَ الجَانِبِ المَادِيِّ دُونَ مُقَابِلٍ، وَلَكِنَّهُ فِي ضَوءِ الإِيْمَانِ بِالْجَزاءِ الأُخْرَوِيِّ تُقَابِلُهُ سَعَادَةُ النَّفْسِ بِالتَّعَامُلِ مَعَ الله ، وَأَيُّ سَعَادَةٍ تَعْدِلُ إِحْساسَ المَرْءِ بِالأَمْنِ يَتَخَلَّلُ أَحْناءَ قَلْبِهِ ، فَيَنْطَلِقُ لِسَانُهُ مُكَبِّراً شاكِراً لله أَنْ هَداهُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ ، وَأفاضَ عَلَيهِ نِعْمَتَهُ وَسَخَّرَ لَهُ مَا فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ جَمِيعًا مِنهُ ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3].

مِنْ أَجْلِ هَذا اهْتَمَّ دِيْنُنَا بِأَنْ يُبَاشِرَ الْمُؤْمِنُ بِنَفْسِهِ عَمَلِيَّةَ الذَّبْحِ ، فَيَشْهَدَ ذَبْحَ أُضْحِيَّتِهِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ عائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ قالَ: (( مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى الله مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ إِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلَافِهَا وَأَنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ الله بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنْ الْأَرْضِ فَطِيبُوا بِهَا نَفْساً ))[1].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ: (( يَا فَاطِمَةُ قُومِي إِلَى أُضْحِيَّتِك فَاشْهَدِيهَا فَإِنَّ لَك بِأَوَّلِ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِهَا أَنْ يُغْفَرَ لَك مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِك، قَالَتْ يَا رَسُولَ الله أَلَنَا خَاصَّةً أَهْلَ الْبَيْتِ أَوْ لَنَا وَلِلْمُسْلِمِينَ ؟ قَالَ: بَلْ لَنَا وَلِلْمُسْلِمِينَ ))[2].

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٨٣، رقم ١٤٩٣) وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٢/ ١٠٤٥، رقم ٣١٢٦)، والحاكم (٤/ ٢٤٦، رقم ٧٥٢٣) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي (٩/ ٢٦١، رقم ١٨٧٩٤).

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٢٤٧، رقم ٧٥٢٥) وقال: صحيح الإسناد. وأخرجه أيضًا: العقيلى (٢/ ٣٧ ترجمة ٤٦٣ داود بن عبد الحميد)، وابن أبى حاتم فى العلل (٢/ ٣٨، رقم ١٥٩٦) وقال: سمعت أبى يقول: هو حديث منكر.

(٣) مريم (٧٦).

وَلَيسَ المُرادُ مُجَرَّدَ إِهْراقِ الدَّمِ، وَإِنَّمَا المُرادُ ما يَكُونُ لله مِنْهُ لِمَا يَبْعَـثُ فِي نَفْـسِهِ مِنْ إِحْساسٍ بِتكْرِيمِ الله لَهُ حَيثُ أقدره عَلَى الإِحْسانِ ، وَهِيَ لَحْظَـةٌ جَلِيلَـةٌ تَـتَجَلَّى بِهَا مَعَانِي التَّقْوَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ زاهِداً فِي اللَّذاتِ راغِباً فِي البَاقِياتِ الـصَّالِحاتِ، ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾[1].

وَتَلْتَقِي جُهُودُ المُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكانٍ عَلَى إِعْلاءِ كَلِمَتِهِ ، وَتَرْتَفِـعُ حَنَـاجِرُهُمْ هاتِفَةً بِذَلِكَ الهُتافِ الحَبِيبِ المُدَوِيِّ ( الله أَكْبَرُ ، الله أَكْبَرُ صَدَقَ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ ، وَهَزَمَ الأَحْزابَ وَحْدَهُ ، الله أَكْبَرُ كَبِيراً وَالْحَمْـدُ لله كَثِـيراً وَسُـبْحانَ الله بُكْرَةً وَأَصِيلاً )، وَكُلُّ عامٍ وَأَنْتُمْ بِخَيرٍ.

وَاللهُ يَقُـولُ وَبِقَولِـهِ يَهْتَـدِي الْمُهْتَـدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[2]وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَـرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[3]. أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطان الرَّجِيمِ

**﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ الله لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ الله عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُـوا الْقَـانِعَ وَالْمُعْـتَرَّ كَـذَلِكَ سَـخَّرْنَاهَا لَكُـمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**. بارَكَ الله لِي وَلَكُـمْ فِي القُـرْآنِ العَظِـيمِ ، وَنَفَعَنِـي وَإِيـاكُمْ مِـنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْـتَغْفِرُ الله العَظِـيمَ لِي وَلَكُـمْ مِـنْ كُـلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

(٢) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٣) سورة النحل الآية (٩٨).

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الـصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيْرُهُ ، وُلَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُلَّ مَن جَحَدَ به وكَفَـرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

أما بعدُ: فيا عِبَادَ الله: أُوصِـيكُمْ وَنَفْـسِيَ بِتَقْـوَى الله تَعـالى، اتَّقُـوا الله مِـنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

عِبَادَ الله: إِنَّ أَوَّلَ مَـا يَخْطُـرُ لِلْمَـرْءِ المُـسْلِمِ حِـينَ يُفَكِّـرُ فِي العِيـدِ وَمَفْهُومِـهِ الإِسْلامِيِّ مَا يَلْحَظُهُ فِيمَا سَنَّ الإِسْلامُ مِنْ أَعْيادٍ لِهَذِهِ الأُمَّةِ إِنَّهُ رَبْطُ العِيـدِ بِمُنَاسَـبَةٍ عامَّةٍ هِيَ الفَراغُ مِنْ أَداءِ عِبَادَةٍ شاقَّةٍ ، وَهَذَا الرَّبْطُ ذُو مَغْزىً عَمِيقٍ ، يَتَّصِلُ بِنَظْـرَةِ الإِسْلامِ العَامَّةِ إِلَى العِيدِ، فَلَيْسَ العِيدُ فِي نَظَرِ الدِّينِ تَمْجِيداً لِشَخْصٍ أَوْ أَشْـخاصٍ مَهْمَا كانُوا مِنَ العَظَمَةِ وَالمُكانَةِ فِي المُجْتَمَعِ ، وَلا كانَ العِيدُ مُرْتَبِطَاً بِمُنَاسَـبَةٍ دُنْيَوِيَّـةٍ مَهْمَا كانَ تَأْثِيرُهَا وَمِقْدارُهَا فِي دُنْيَا النَّاسِ.

إِنَّ الإِسْلامَ لَمْ يُرِدْ لِهَذِهِ الأُمَّـةِ أَنْ تَـدُورَ أَعْيادُهَـا حَولَهَـا فِي نِطـاقِ مادِيَّتِهَـا وَكَـمْ أُقِيمَـتْ اِحْتِفـالاتٌ لِمُنَاسَبَاتٍ دُنْيَوِيَّـةٍ أَوْ تَمْجِيـداً لأَشْـخاصٍ مُـصْلِحِينَ أَوْ سِيَاسِـيِّينَ، فانْتَهَتْ وَتَلاشَتْ مَـعَ الـزَّمَنِ، وإِنْ دامَـتْ فِي حَيَـاتِهِمْ أَوْ فِي حَيَـاةِ أَنْـصارِهِمْ ؛ لأَنَّهَـا لَمْ يُكْتَبْ لَهَا الخُلُودُ وَالدَّوامُ ، فَقَدْ يَأْتِي المُتَأَخِّرُونَ لِيَنْقُضُوا مَا سَنَّهُ المُتَقَـدِّمُونَ ، وَلَـيْسَ مِـنْ شَأْنِ الدِّينِ أَنْ يُوَجِّهَ المُؤْمِنِينَ إِلَى تَقْدِيسِ الأَفْرادِ، بَلْ هُوَ يَـدْعُوهُمْ إِلَى تَوحِيـدِ الله ، وَاللهُ وَحْدَهُ وَمَا سَنَّهُ مِنْ أَعْيادٍ وَمَناسِكَ هِيَ الأَحَقُّ بِالتَّعْظِيمِ وَالتَّمْجِيدِ وَالتَّقْـدِيسِ، وَيَنْبَغِـي أَنْ تَدُورَ أَفْكارُ المُؤْمِنِينَ وَعَواطِفُهُمْ وَحَياتُهُمْ وِعِبَاداتُهُمْ فِي هَذا الفَلَكِ العَظِـيمِ فِي تَمْجِيـدِ الله وَتَقْدِيـسِهِ ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1]، فالمُؤْمِنُ فِي الواقِعِ فِي شُغْلٍ شاغِلٍ عَنْ مَعانِي الـدُّنْيَا بِمَعَانِي الآخِرَةِ، بِكُلِّ مَا يُقَرِّبُهُ مِنَ الله سُبْحانَهُ وَتَعالَى.

يا إِخْوَةَ الإِسْـلامِ وَالإِيْـمانِ: مُنْـذُ أَيَّـامٍ مُتَوالِيَـةٍ وَالْعـالَمُ الإِسْـلامِيُّ يَحْتَفِـلُ بِعِيـدِ الأَضْحَى المُبَارَكِ فِي مَشارِقِ الأَرْضِ وَمَغارِبِهَا، وَقَبْلَـهُ يَـومُ عَرَفَـةَ اجْتَمَـعَ بِعَرَفـاتِ الله أَكْثَرَ مِنْ مِلْيُونَي حاجٍ، فَإِذا حَصَلَ وَيَحْصُلُ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ أَنَّ أَعْـدَاءَ العُرُوبَـةِ والإِسْـلامِ، يُرْسِـلُونَ طـائِرَاتِهِمْ وَقَنَـابِلَهُمْ وَصَـوارِيخَهُمْ عَـلَى رُؤُوسِ إِخْوانِنَـا فِي جَنُـوبِ لبنَـان ، وَالعِــراقِ ، وَالشِّيــشَانِ ، دُونَ هــوَادَةٍ أَوْ رَحْمَــةٍ، فِي عَـصْرٍ يُـسَمَّى عَـصْرُ العَدالَــةِ وَالدِّيمِقْراطِيَّةِ وَحُقُوقِ الإِنْسانِ ، فَنَسْأَلُكَ اللَّهُـمَّ أَنْ تَكُـونَ فِي نُحُـورِ أَعْـدائِنَا ، وَتَجْعَـلَ الدَّائِرَةَ عَلَيهِمْ ، وَإِنَّنَا لَمُنْتَظِرُونَ النَّتَائِجَ وَالنَّصْرَ المُؤَزَّرَ مِنَ الله تَعَالَى، وَبِأَسْلِحَةِ الحَـقِّ الَّتِـي يَعُدُّهَا العَرَبُ وَالمُسْلِمُونَ لِدَحْرِ أَعْدائِنَا وَهَزِيمَتِهِمْ، وَإِنَّ غَداً لِنَاظِرِي قَرِيبٌ.

---

(١) الأنعام (١٦٢ - ١٦٣ ).

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ الْمُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ .اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِـي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْدِالله الـحُسَينِ وعَلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيّكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيع أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجِلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ.اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ،

وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَافِرِ الذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوع بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ.اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُـسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَـانِطِينَ ، اللَّهُـمَّ اسْـقِنَا غَيْثـاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

عِبَـــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# أيام عيد الأضحى المبارك

## الخطبة الأولى

اَلْحَمْدُ للهِ مُعِيدِ الأَعْيَادِ ، كَثِيرِ المَدَدِ وَالإمْدَادِ ، هَدانَا سُبْحانَهُ إِلَى طُرُقِ الهُـدَى وَالرَّشَادِ ، فَأَرْسَلَ لَنَا أَفْضَلَ رَسُولٍ وَخَيْرِ هادٍ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَـهُ ، سَـنَّ لَنـاَ الأَعْيـاَدَ ، وَجَعَلَهـاَ مَوَاسِمَ أَفْرَاحِ الطَّائِعِيْنَ وَأَيَّامَ سُرُورِ الْمُتَعَبِّدِينَ فَمَا أَعْظَـمَ سُرُورِ الـصَّائِمِ إِذاَ أَفْطَـرَ ، وَماَ أَكْبَرَ فَرْحَةَ الحاَجِّ إِذاَ طاَفَ وَنَحرَ ، وَلَبَّى وَكَبَّرَ ، وَجاَءَ مِنْ عَرَفَةَ وَحلَقَ أَوْ قَصَّرَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَناَ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ اَلسَّيِّدُ العَظِيمُ اَلْمُبَجَّلُ اَلْقَائِلُ صَلَّى اللهُ عَلَيـهِ وَسَلَّمْ: ((أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشَرَبٍ وَذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ)) [1].

اَللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِناَ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْمُرْسَل ، بِخَيْرِ كِتـاَبٍ مُنَـزَّل ، نَبِـيِّ الهُدَى، وَبَحْرِ النَّدَى ، وَخَيْرِ مَنْ حَجَّ وَعَجَّ وَثَجَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَـلَّمْ وَعَـلَى آلِـهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْساَنٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: أُوْصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوىَ اللهِ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ ، مُمْتَثِلِيْنَ قَوْلَهُ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [2].

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه(٢/ ٨٠٠) ( ٢٣ باب تحريم صوم أيام التشريق ) رقم (١١٤١)، كما أخرجه غيره.

(٢) البقرة (١٩٧).

أَيُّهَـا الْمُـسْلِمُونَ: يَقُـولُ الله جَـلَّ فِي عُـلاَهُ ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1].

يَا إِخْوَةَ الإِسْلاَمِ هَذِهِ أَيَّامٌ مَشْهُودَةٌ مِنْ أَيَّامِ عِيدِ الأَضْحَى الْمُبَارَكِ الْمُسَمَّاةِ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ تَرْجُونَ فِيهَا مِنَ الله أَنْ يَفِيض عَلَيْكُمْ مِنْ فَضلِهِ وَإِحْسانِهِ ما تَسْعَدُ بِهِ قُلُوبُكُمْ ، وَتَقِرُّ أَعْيُنُكُمْ وَقَدْ جَرَتْ إِرادَةُ الله فِي سنِّ أَعْيادِنا نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حِكْمَةٍ اِرْتَبَطَتْ بِهَا ، وَقَاعِدَةٍ قامَتْ عَلَيْهَا ، أَلاَ وَهِيَ أَنْ يُجْعَلَ الْعِيدُ عَقِبَ فَرَاغِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَدَاءِ فَرِيضَةٍ مُعَيَّنَةٍ ، فَعِيدُ الفِطْرِ يَأْتِي عَقِبَ أَداءِ الأُمَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ لِفَرِيضَةِ الصَّوْمِ ، وَعِيدُ الأَضْحَى يَأْتِي عَقِبَ أَدَاءِ الْمُؤْمِنِينَ لِفَرِيضَةِ الحَجِّ ، وَتَمَتُّعِهِمْ بِزِيارَةِ الْمَشاهِدِ العِظَامِ وَزِيارَةِ قَبْرِ الرَّسُولِ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّم وَهَكَذا يَنْبَغِي أَنْ يُحِسَّ الْمُسْلِمُونَ بِمَعْنَى العِيْدِ ، إِنَّهُ وَقْفَةٌ يَسِيرَةٌ بَعْدَ رَحْلَةٍ شاقَّةٍ ، وَإِنهُ فسحة طَيِّبَةٌ لِلرُّوحِ وَالْبَدَنِ بَعْدَ خَوضِ غِمارِ عِبادَةٍ مُضنِيَّةٍ، وَأَنَّهُ جائِزَة الحَقِّ سُبْحانَهُ لِمَنْ اسْتَجابَ لله وَلِلرَّسُولِ، وَمِنَ الطَّبِيعِي لِمَن كُلِّفَ بأَداءِ عَمَلٍ شاقٍّ أَنْ يَأْخُذَ بَعْدَ أَدائِهِ الْفَرائِضَ راحَةً يُرِيحُ فِيهَا نَفْسَهُ، وَيَتَذَوَّق خَلاَلَهَا طَعْمَ السَّعادَةِ النَّفْسِيَّةِ ، مِنْ أَجْلَ هَذا حفلَ الْعِيْدُ بِالْكَثِيرِ مِنَ الوَصايَا وَالشَّعائِرِ وَالْمَناسِكِ الَّتِي نَجْعَلُ لَهُ رِسالَةَ اجْتِماعِيَّةً إِلَى جانِب أَنَّهُ مُناسَبَةُ إِسْعادٍ وَبَهْجَةٍ لأَبْناءِ الأُمَّةِ الإِسْلاَمِيَّة عَلَى اخْتِلاَفِ الأَعْمارِ وَالْمُسْتَوَياتِ.

---

(١) الحج (٦٧).

وَقَدَ رَبَطَ الدِّينُ هَذاَ العِيْـدَ بِعـدد مِـنَ القِـيَمِ الاجْتِمَاعِيَّـةِ ، هِـيَ التَّـضْحِيَةُ ، وَالتَّضْحِيَةُ فِي أَبْسَطِ مَعاَنِيهَا تنازلُ الإِنْسانِ عَمَّا يَمْلِكُ مِمَّا لاَ يَحْتاَجُ إِلَيْهِ لِمَنْ لاَ يَمْلِـكُ شَيئاً وَهُوَ فِي حاَجَةٍ إِلَيْـهِ ، وَلَكِنَّهَـا فِي مَعْناَهـاَ الإِسْـلاَمِي اَلْمَنْـشُودِ يَعْنِـي أَنْ يَـذْبَحَ القَادِرُ أُضْـحِيَّةً يُـوَّزِعُ مِنْهَـا قَـدْراً عَـلَى الفُقَـراَءِ ، وَيُهْـدِي قَـدْراً لِـذَوِي الأَرْحـاَمِ وَالأَصْدِقاَءِ ، وَيُوَسِّع عَلَى عِياَلِهِ يُطْعِمُهُمْ وَيدَخِرُ مِنْهَا إِذاَ شاَءَ ؛ لأَنَّ الذَّبْحَ وَإِراَقَـةَ الدَّمِ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ هُوَ أَرْقَى وَأَعْظَم ماَ يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ اَلْمُتَّقُونَ إِلَى الله سُبْحاَنَهُ وَتَعَـاَلَى ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْ عاَئِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمْ قاَلَ: « ما عَمِـلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَومَ النَّحْرِ أَحَبُّ إِلَى الله مِنْ إِهْراقِ الـدَّمِ ، وَأَنَّـهُ لَتَـأْتِي يَـومَ القِيامَـةِ بِقُرُونِها وَأَشْعارِها وَأَظْلافِها ، وَإِنَّ الـدَّمَ لَيَقَـعُ مِـنَ الله بِمَكـانٍ قَبْـلَ أَنْ يَقَـعَ مِـنَ الأَرْضِ فَطِيبُوا بِها نَفْساً »[1]. وَعَنْ أَبِي سَـعِيدٍ اَلْخُـدْرِي رَضِيَ الله عَنْـهُ : قـاَلَ: قـاَلَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمْ « ياَ فَاطِمَةُ قُومِي إِلَى أُضْحِيَّتِكَ فاَشْهَدِيهَا فَإِنَّ لَـكِ بِأَوَّلِ قِطْرَةٍ تَقْطِرُ مِنْ دَمِهَا أَنْ يُغْفَرَ لَكِ ماَ سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكَ ، قاَلَتْ: يـاَ رَسُـولَ الله أَلَناَ خاَصَّةً أَهلُ البَيْتِ ، أَمْ لَناَ وَلِلْمُسْلِمِيْنَ ؟ قاَلَ بَلْ لَنَا وَلِلْمُسْلِمِينَ »[2].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤٦) وقال صحيح الإسناد رقم (٧٥٢٣) والترمذي في سننه وقال حسن غريب (٤/ ٨٣)(٢٠ كتاب الأضاحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)، (١ باب ما جاء في فضل الأضحية) رقم(١٤٩٣) وابن ماجة في سننه (٢/ ١٠٤٥)، (٣ باب ثواب الأضحية) رقم (٣١٢٦)، وفي الترغيب والترهيب بعد أن نسبه إليهما (قال الحافظ رووه من طريق أبي المثنى واسمه سليمان بن يزيد عن هشام بن عروة عن أبيه عنها وسليمان واه وقد وثق) (٢/ ٩٩).

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٢٤٧، رقم ٧٥٢٥) عن أبي سعيد الخدري وسكت عنه أي الحاكم وقال الذهبي فيه عطية وهو واه وأخرجه أيضا في نفس الموضع من طريق أخرى وقال: صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي بأن فيه

وَلَيْسَ أَسْمَى مِنْ تِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي رَسَمَهَا حَدِيثُ الرَّسُولِ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمْ لِقِيْمَةِ اهْرَاقِ دِماءِ الأَضاحِي.

وَمِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَشْهَدَ المَرْءُ أُضْحِيَّتَهُ عِنْدَ تَهيِئَتِهَا لِمَا يَحْصُلُ فِي نَفْسِهِ حِيْنَئِذٍ مِنْ إِحْساَسٍ بِتكْرِيمِ الله لَهُ حَيْثُ أَقْدَرَهُ عَلَى الإِحْساَنِ فَيَقبِلُ عَلَى رَبِّهِ زاَهِداً فِي المَلَذاَّتِ راَغِباً فِي الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحاَتِ ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ (١).

هَذِهِ هِيَ صُوْرَةُ العِيْدِ الَّتِي رَسَمَهَا الدِّينُ الإِسْلاَمِي وَالَّتِي عاَشَهَا سَلَفُناَ الصَّالِحُ أَيَّامَ أَعْيادِهِمْ ، وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ فَتَشَبَّهُوا إِنَّ التَّشَبُّهَ بِالْكِرَامِ فَلاَحُ فاَلمُسْلِمُ الحَقُّ يجد نَفْسَهُ مَنْدُوباً إِلَى أَنْ يَلْتَزِمَ بِهَذاَ الأَدَبِ الإِلَهِي الَّذِي يَتَقَيَّدُ بِهِ الحَجِيجُ ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ (٢).

وَبِمُنَاسَبَةِ أَيَّامِ عِيْدِ الأَضْحَى المُبَارَكِ وَنَحْنُ اليَومَ نَعِيشُ ثاَنِي أَيَّامِهِ يَجِبُ أَنْ نَتَنَاسَى أَلْواَنَ التَّناَزُعِ ، وَالتَّخاَصُمِ فِيمَا بَيْنَنَا وَجَدِيرٌ بِنَا أَنْ نُقبِلَ عَلَى الله وَنُضَحِّي بِالمَالِ، وَنُضَحِّي بِالأَهْواَءِ وَالنَّزَعاَتِ الشَّخْصِيَّةِ وَبِمُناَسَبَةِ الْعِيْدِ يَجِبُ أَنْ يَتَقاَرَبَ المُتَباَعِدُونَ ، وَيَصْطَلِحُ المُتَخاَصِمُونَ حَتَّى تَكْتَمِلُ الْعِيدُ فِي صُوْرَتِهَا المِثاَلِيَّةِ الَّتِي عَبَّرَ عَنْهَا الرَّسُولُ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمْ فِيمَا رَواَهُ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ : (( تَرَى

أبا حمزة الثمالي وهو ضعيف جدا. اهـ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد( ٤ / ٢٣):رواه البزار عطية بن قيس وفيه كلام كثير وقد وثق.

(١) سورة مريم آية (٧٦).

(٢) البقرة آية (١٩٧).

اَلْمُؤْمِنِيْنَ فِي تراَحُمِهِمْ وَتَوادِّهِمْ وَتَعاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ الواَحِدِ ، إِذاَ اشْتكَى عُضْوٌ مِنْهُ تَداَعَى لَهُ ساَئِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » رواه البخاري [1].

وَإِنَّ هَذاَ التَّعاَطُفَ وَالْمَحَبَّةَ فِي أَيَّامِ الْعِيْدِ يُفِيضُ مِنْ مُسْتَوَى الكِباَرِ إِلَى مُسْتَوَى الصِّغاَرِ دَعُوهُمْ يَلْعَبُونَ وَيَمْرَحُونَ فِي حُدُودِ اللَّهْوِ وَالْبَرِي ، الَّذِي لاَيُفْسِدُ الأَخْلاَقَ، وَلاَ يَتناَفَى مَعَ الآدَابِ الإِسْلاَمِيَّةِ العاَمَّةِ.

وَأَهَمُّ ماَ يُمْكِنُ أَنْ يُحِسَّ بِهِ أَطْفاَلُناَ فِي الْعِيْدِ أَنَّناَ نَهْتَمُّ بِهِمْ وَنُشْرِكُهُمْ فِي فَرْحَتِنَا فَلاَ تَتْرُكُهُمْ فِي الشَّواَرِعِ كاَلسَّوائِمِ ، الضَّالَّةِ ، وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ نَصْحَبهُمْ مَعَنَا فِي زِياَرَةِ الأَهْلِ وَالأَقاَرِبِ ، وَأَصْحِبُوهُمْ فِي تَوْزِيعِ لُحُومِ الأَضاَحِى لِيَتَدَرَّبُوا عَلَى الإِحْساَنِ عَمَلِيًّا ، وَأَصْحِبُوهُمْ حَيْثُ تَتناَزَلُونَ عَنْ خُصُوماَتِكُمْ لِيَشْهَدُوا بِأَعْيُنِهِمْ كَيْفَ تَتصاَفَحُ الأَيْدِي ، وَتَتَصاَفَى القُلُوبُ ، وَخُذُوهُمْ مَعَكُمْ إِلَى المَساَجِدِ لِيَرْفَعُوا أَصْواَتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ

وَهَذِهِ الأَعْياَدُ الَّتِي نَعِيْشُهَا فُرَصٌ رَبَّانِيَّةٌ أَراَدَهاَ الله لَكُمْ سَعادَةً وَصَفاَءً وَإِحْساَناً ، فَلاَ تَدْعُوا مِنْ لَحَظاَتِهَا لَحْظَةً بِدُوْنِ صَفاءٍ وَبِدُوْنِ إِسْعاَدٍ لِلآخَرِينَ وَلأَنْفُسِكُمْ ، وَكُلُّناَ يَطْلُبُ السَّعاَدَةَ فِي حياَتِهِ لِكَيْ نَعِيش سُعَداَءَ مُطْمَئِنِّينَ ، تُخَيِّمَ عَلَيْناَ رُوْحُ المَحَبَّةِ وَالْوِئاَمِ ، وَتُرَفْرِفَ عَلَيْنَا رَايَةُ الصَّفاءِ وَالاحْتِراَمِ ، بَعِيْدِيْنِ عَنِ الشِّجاَرِ وَالْخِصاَمِ ، وَالْقَطِيْعَةِ وَالتَّباَعُدِ وَالإِنْفِصاَمِ ، فَلْنَتَساَمَحْ أَيَّامَ العِيْدِ ، وَنَغُضُّ الطَّرَفَ عَنْ هَفَواَتٍ قَدْ تَصْدُرُ مِنَّا تُجاَهَ بَعْضِناَ لِبَعْضٍ مِمَّنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا مِنْ أَهاَلِيْناَ وَأَقْرِباَئِناَ وَجِيْراَنِناَ فَماَ أَجْدَرُناَ جَمِيعاً بِالْحِلْمِ وَالتَّساَمُحِ ، وَإِنْ أَساَءَ إِلَيْنَا إِخواَنُنَا أَوْ جِيْراَنُناَ لاَ تَتْرُكُوْا فُرْصَةَ العِيْدِ تَمُرُّ مَرَّ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم.

السَّحَابِ دُوْنَ فائِدَةٍ ، سامِحُوْا مَنْ أَساءَ إِلَيْكُمْ أَوْ صِلُوهُمْ وَإِنْ قَطَعُوكُمْ ، فَالْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ ، وَابْتَغُوا تَعالِيمَ مُرْشِدِنَا الأَعْظَمِ ﷺ الَّذِي لاَيَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوْحَى ، فَقَدْ سَأَلَهُ أَحَدُ أَصْحابِهِ هَذاَ السَّؤاَلَ فقاَلَ ياَ رَسُولَ الله « إِنَّ لِي قَرابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي ، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ ، وَأَحْلِمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقاَلَ الرَّسُولُ ﷺ : إِنْ كُنْتَ كَماَ قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ ، وَلاَ يَزاَلُ مَعَكَ مِنَ الله ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ ماَ دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ » رواه مسلم [1].

وَبِهَذِهِ التَّوْجِيهَاتِ وَأَمْثَالِهَا يَتَحَدَّثُ إِلَيْنَا الرَّسُولُ لِتَبْقَى رَوابِطُ الأُسْرِ مُتَماَسِكَةً، لاَ تُمَزِّقُهاَ حَماَقَاتُ البَعْضِ مِمَّا لاَيُقَدِّرُهاَ حَقَّ قَدْرِهَا.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ: يُلاَحَظُ مُلاَحَظَةً كَبِيرَةً اِنْتِشَارَ القَطِيعَةِ بَيْنَ الأَقْرِباَءِ وَالأَرْحاَمِ وَالْجِيْراَنِ وَالإِخْواَنِ فِي حِيْنٍ غاَبَ مِنْ بَيْنِنَا رِجاَلُ الإِصْلاَحِ وَالصُّلْحِ الْمُوَفِّقِينَ لِحَلِّ الْمُشْكِلاَتِ العائِلِيَّةِ ، وَافْتَقَدْناَ رِجاَلَ الحَلِّ وَالْعَقْدِ الْمُخْلَصِينَ ، بَلْ وَجَدَ الكَثِيرُ مِنَ الْمُخَرِّبِيْنَ وَالْفَتَّائِينَ مِمَّنْ يَزِيدُ الطِّيْنَ بَلَّةً ، وَالنَّارَ وَقْدَةً ، وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ قِيْمَةٌ لِلتَّساَمُحِ الإِسْلاَمِي.

قاَلَ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِي حَقِّ الْمُصْلِحِيْنَ بَيْنَ النَّاسِ مُخاَطِبًا الصَّحاَبِيَ الجَلِيلَ: أَباَ أَيُّوبَ الأَنْصاَرِي « ياَ أَباَ أَيُّوبَ ، أَلا أَدُلُّكَ عَلَى عَمَلٍ يَرْضاَهُ الله وَرَسُولُهُ ؟ صِلْ بَيْنَ النَّاسِ إِذاَ تَباَغَضُوا ، وَقَرِّبْ بَيْنَهُمْ إِذاَ تَباَغَضُوْا» [2].

---

(١) في صحيحه(٤/ ١٩٨٢) (٦ باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها) رقم(٢٥٥٨)كما رواه غيره، والمل كما في شرح مسلم(١٦/ ١١٥ ) الرماد الحار.

(٢)رواه الطبراني عن عبادة بن عمير بن عبادة بن عوف قال قال لي أبو أيوب قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم(يا أبا أيوب ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله تصلح بين الناس إذا تباغضوا

وَقَالَ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمْ مُحَذِّراً مِنَ التَّقَاطُعِ وَالتَّبَاعُدِ وَمُرَغِّباً فِي التَّآلُفِ وَالتَّقَارُبِ: ((لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ ، يَلْتَقِيَانِ يَعْرِضُ هَذَا وَيَعْرِضُ هَذاَ ، وَخَيْرُهُماَ الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ)) [1].

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [2]وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [3]. **أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ**

﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٣٦ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [4].

بارَكَ الله لِي وَلَكُمْ فِي القُرْانِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

وتفاسدوا)(٤/ ١٣٨)،رقم (٣٩٢٢)،وفي(٨/ ٢٥٧)رقم (٧٩٩٩)، قال في مجمع الزوائد(رواه الطبراني،وعبدالله بن حفص صاحب أبي أمامة لم أعرفه وبقية رجاله ثقات)(٨/ ٨٠).

(١)رواه البخاري في صحيحه(٢٢٥٥، ٢٢٥٦)(باب الهجرة وقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث) رقم (٥٧٢٥، ٥٧٢٦، ٥٧٢٧) كما رواه غيره.

(٢) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٣) سورة النحل الآية (٩٨).

(٤) سورة الحج أية (٣٦)

# الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ الذي جعَلَ البيتَ الحَرام مَثابَةً للناس وَأَمْناً ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَحْـدَهُ لَا شَرِيـكَ لَـهُ ، سُـبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنُــهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَــهُ الأَصْوَاتُ، وَكَلَّتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه خَيرُ مَنْ طافَ بِالبَيْتِ العَتِيقِ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ما حَجّ حاجٌ وَاعْتَمَر وَلَبَّـى وَحَلَـقَ وَنَحَرَ، وَطافَ بِالبَيتِ العَتِيقِ وَقَبَّلَ الحَجَـرَ، وَعَـلَى آلِـهِ وَصَـحْبِهِ الهُـداةِ الأَكْـرَمِينَ ، وَالتَّابِعِينَ إِلَى يَومِ الدِّينِ .

أَمَّا بَعْدُ: فأُوصِيكمْ أَيُّها المُـسْلِمُونَ وَنَفْـسِيَ بِتَقْـوَى اللهِ تَعـالَى فَخُـذُوا مِنْهـا بِأَوْفَرِ حَظٍّ وَنَصِيبٍ ، وَاحْتَقِبُوها زَاداً لَكُمْ لِلْيَومِ الرَّهِيبِ العَصِيبِ .

أَخِي المُسْلِم لاَ يُنْسِيَنَّكَ العِيْدُ وَفَرْحَتُهُ ، وَماَ تَلْبَسُهُ مِنْ أَغْلَى اللِّبَاسِ وَأَفْخَرِهِ ، وَأَحْلَى المَتَعِ الفَانيةِ ، لا يُنْسِيَنَّكَ كُلُّ هَذاَ شُكْرَ المُنْعِمِ عَلَيْكَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْفَلَ عـن منْ حَوالَيْكَ مِنَ الأَرْحاَمِ ، وَالجِيْراَنِ وَالأَيْتاَمِ ، مِمَّـنْ أَخْنَـى عَلَـيْهِمْ اَلـدَّهْرُ ، وَمِمَّـنْ تَزِيدُ أَحْزاَنُهُمْ أَيَّامَ الأَعْياَدِ ، وَتَسِيلُ دُمُوعُهُمْ إِذاَ فَرِحَ النَّاسُ ، لأَنَّهُمْ لاَ يَجِدُونَ مَـنْ يَمْسَحُ دُمُوعَهُمْ ، وَيُجْبِرُ خَواَطِرَهُمْ اَلمَكْسُوفَةَ ، وَبِخاَصَّةٍ أَطْفاَلِهِمْ الأَبْرِيـاَءِ ، اَلَّـذِينَ يَنْكِئُوْنَ جِراَحَهُمْ وَيُهِيجُونَ مَشاَعِرَهُمْ بِالْبُكاَءِ حِينَماَ يَرَوْنَ غَيْرَهُمْ مِنْ أَبْناَءِ الجِـيْراَنِ ، وَقَدْ لَبِسُوْا اَلجَدِيْدَ الفَاخِرَ مِنَ الثِّياَبِ وَحَمَلُوْا اللُّعبَ ، وَأَكَلُوْا ماَ لَـذَّ وَطـاَبَ عَـلَى

مَسْمَعٍ وَمَرْأَى مِنْ هَؤُلاَءِ المَحْرُوْمِيْنَ فَيَرْجِعُوْنَ إِلَى أَهْلِيهِمْ باكِيْنَ لِيَصِيْرُوْا أَعْيادَهُمْ حَسْرَةً وَأَحْزانَاً.

أَلاَ فَلْنَنْتَبِهْ يا عِبادَ الله لِمَوَاضِعِ الضَّعْفِ وَالْفاقَةِ فِي مُجْتَمَعِنا ، وَلْنَبْحَثْ بِدِقَّةٍ فِيْمَنْ حَوْلَنَا مِمَّنْ يَعِيشُ فِي شَظَفٍ مِنَ الأَيْتَامِ وَالأَرَامِلِ وَالْعَجائِزِ وَذَوِي العَاهَاتِ ، وَالمَرْضَى وَالمَنْكُوْبِينَ فَنُدْخِلُ عَلَيْهِمْ الفَرْحَةَ ، وَنُعِيْدُ لِشَفاههم اَلْبَسْمَةَ ، وَقَدْ يَعِيشُونَ قَرِيباً مِنَّا وَلَكِنَّا نَجْهَلُهُمْ لِعَدَمِ مَعْرِفَتِنَا بِأَحْوالِهِمْ وَلِعِفَّتِهِمْ وَأَنْفَتِهِمْ وَتَرَفُّعِهِمْ لأَنَّهُمْ كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ (1).

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ: كَيْفَ يَطِيبُ لَنَا عِيْدٌ وَالْعَالَمُ الإِسْلاَمِي مُمَزَّقٌ عَلَى نَفْسِهِ لاَ جَامِعَةَ تَجْمَعُهُمْ ، وَلاَ رَابِطَةَ تُوَحِّدُهُمْ ، أم كَيْفَ يَقِرُّ لَنَا قَرَارٌ وَالْبِلاَدُ اَلْعَرَبِيَّةُ وَالإِسْلاَمِيَّةُ تَنْتَابُهَا الاهْتِزَازَاتُ الوَاحِدَةُ ، تِلْوَ الأُخْرَى ، وَتُكَدِّرُ صَفاهَا الاضْطِرَابَاتُ الدَّاخِلِيَّةُ بَلْ كَيْفَ يَطِيبُ لَنَا عِيْدٌ أَوْ يومٌ جَدِيدٌ وَنَحْنُ نُعانِي مِنَ التَّخَلُّفِ ما نُعانِي ، تَخَلُّفُنَا اَلْحَضارِي وَالْعِلْمِي وَالأَخْلاَقِي ، وَالاقْتِصادِي ، وَلله دَرُّ مَنْ قَالَ (2):

وَطَنِي أَسِفْتُ عَلَيْكَ فِي عِيْد المِلاَ ... وَبَكَيْتُ مِنْ وُجْدٍ وَمِنْ إِشْفَاقِ

لاَعِيْدَ لِي حَتَّى أَرَاكَ بِأُمَّةٍ ... شَمَّاءَ دَاوِيَةٍ مِنَ الأَخْلاَقِ

ذَهَبَ الكِرَامُ الجَامِعُوْنَ لأَمْرِهِمْ ... وَبَقِيتُ فِي خَلْفٍ بِغَيْرِ خَلاَقِ

---

(1) البقرة (٢٧٣).

(2) وهو أمير الشعراء أحمد شوقي من البحر الكامل.

وَاذْكُرُوْا دائِمًا أَنَّ عِيْدَكُم الأَكْبَرَ يومٌ تَتَحَقَّقُ لِوَطَنِكُمْ العَرَبِي الْمُسْلِمِ وحْدَتُـهُ ، وَتَنْتَفِي مِنْ أَرْجائِهِ عَوامِلُ الفُرْقَةِ ، وَتَتَلَقَّى جُهُودُ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكانٍ عَلَى إِعْلاءِ كَلِمَتِهِ وَتَرْتَفِعُ حَناجِرُهُمْ بِذَلِكَ الهُتَافِ الحَبِيبِ المدَوِيِّ « الله أَكْبَرُ الله أَكْـبَرُ صَـدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَأَعَزَّ جُنْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزاَب وَحْدَهُ، الله أَكْبَرُ كَبِـيراً ، وَالْحَمْـدُ لله كَثِيراً وَسُبْحانَ الله بُكْرَةً وَأَصِيْلاً » . وَكُلُّ عامٍ وَأَنْتُمْ وَالْعالَمُ الإِسْلامِي بِخَيْرٍ.

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ الْمُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْـضَـلِ: سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِــي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَــــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَـلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّـــةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُـبْرَى ، و عَـنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَـاتِ الــمُؤْمِنِينَ ، وعَـنْ عَمَّـي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِــيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْـتَ الـشَّجَرَةِ، طَلْحَـةَ والزُّبَيْــرِ ، وسَـعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْـحَابِ رَسُـولِ الله رِضْـوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّةِ ، و يَا مُجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّسْ هَمَّنَا.

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَا بِالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ ، والمُسْلِمِينَ والمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَافِرِ الذُّنُوبِ و الخَطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِلاد المُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإِسْلامَ والمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ.

اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُـنْ عَونـاً ومُعِينـاً لَـهُ ، واخْـذُلْ مَـنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِـنَ الحُجَّـاجِ والغُـزَاةِ والمُـسَافِرِينَ في بَـرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَـانِطِينَ ، اللَّهُـمَّ اسْـقِنَا غَيْثـاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئـاً ، سَحّاً عَامّـاً دَائِمـاً مُبَارَكاً فِيـهِ ، نَافِعاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

عِبَـــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# في فضل العلم وَالعلمَاء

## الخطبة الأُولَى

الحَمْدُ لله الَّذِي عَلَّمَ بَالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ، وَأَنَّ الله قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً، وَأَحْكَمَ كُلَّ شَيْءٍ وَحَكَمَ فِيهِ،فتبَارَكَ الله إِحْكَاماً وَحُكْماً، سُبْحَانَهُ شَرَعَ الحَلَالَ وَالْحَرَامَ، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾، وَأَنْزَلَ الكِتَابَ هُدىً وَذِكْرى لأُولِي الْأَلْبَابِ،﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾[1]،﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ﴾[2]،﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾[3]،﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[4]، نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَفَضْلُهُ عَلَيْنَا كَبِيرٌ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ وَإِحْسَانُهُ إِلَيْنَا كَثِيرٌ، وَنَسْأَلُهُ العَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ مِنَ التَّقْصِيرِ.

وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيك لَهُ القَائِلُ: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[5].

---

(١) سورة طه (١١٢).

(٢) سورة آل عمران آية (١٨).

(٣) سورة فاطر آية (٢٨).

(٤) سورة العنكبوت آية (٤٢).

(٥) سورة المجادلة آية (١١).

وأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ القَمَرُ المُنِيرُ، وَالمُوحَى إِلَيهِ بِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾[1]، وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الصَادِقِ الأَمِينِ، بَعَثَهُ اللهُ فِي الأُمِّيِّينَ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، وَقَالَ لَهُمْ: (( مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ ))[3] اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: فأُوصِيكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعَالَى، فَإِنَّ عَلَيْهَا مَدَارَ الأَمْرِ كُلِّهِ، فَاتَّقُوا الله فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، وَرَبُّوا عَلَيْهَا أَبْنَاءَكُمْ وَأَفْلَاذَ أَكْبَادِكُمْ كَيْ يَنْشَئُوا عَلَيْهَا، وَيَعِيشُوا عَلَيْهَا، وَيَمُوتُوا عَلَيهَا آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: يَا أَتْبَاعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ: صِنْفَانِ مِنَ النَّاسِ تَصْلُحُ بِصَلَاحِهِمْ الْأُمَّةُ، وَتَفْسُدُ بِفَسَادِهِمْ لَا قَدَرَ الله ذَلِكَ، وَهَذَانِ الصِّنْفَانِ هُمَا العُلَمَاءُ وَالْأُمَرَاءُ، فَالْعُلَمَاءُ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يُخْرِجُونَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

---

(١) سورة سبأ آية ( ٤٤).

(٢) سورة الأنبياء آية (٧).

(٣) الحديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما، فأخرجه البخاري في مواضع أولها(١/ ٣٩)، (١٣ باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) رقم (٧١) كما أخرجه أيضا فيه (٣/ ١١٣٤) رقم (٢٩٤٨) ومسلم (٢/ ٧١٩،٧١٨)، ( ٣٣ باب النهي عن المسألة ) رقم(١٠٣٧) وفي (٣/ ١٥٢٤) رقم(١٠٣٧) وغيرهما.

النُّورِ ؛ لِأَنَّهُمْ الهُدَاةُ الْمُرْشِدُونَ وَالْقَادَةُ وَالْمُوَجِّهُونَ، وَأَمَّا الْأُمَرَاءُ الحُكَّامُ هُـمُ الَّـذِينَ يُسَيِّرُونَ أُمُورَ الدَّولَةِ لِمَا فِيهِ مَـصْلَحَةُ العِبَـادِ وَالْـبِلَادِ، وَلَـنْ يَـسْتَطِيعُوا أَنْ يُـدَبِّرُوا شُئُونَ الْأُمَّةِ إِلَّا بَعْدَ اسْتِشَارَةِ العُلَمَاءِ وَأَخْذِ رَأْيِهِمْ، وَعَلَى العُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ أَنْ يَبْـذُلُوا النُّصْحَ وَالْمَشُورَةَ خَالِصَةً، كَمَا وَرَدَ عَنْ مُعَلِّمِنَّا الْأَوَّلِ وَمُرْشِدِنَا الْأَعْظَمِ مُحَمَّدٍ صَـلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَـلَّمَ: قَـالَ: «الـدِّيْنُ النَّـصِيحَةُ قِيـلَ لِمَـنْ يَـا رَسُـولَ الله، قَـالَ لله وَرَسولِهِ، وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[1].

وَعَلَى هَذَا: عَلَى الجَمِيعِ مِنَ الخَوَاصِ وَالْعَوَامِ، وَالْأُمَـرَاءِ وَالْمَـأْمُورِينَ عَلَـيهِمْ أَنْ يَرْجِعُـوَا إِلَى عُلَمَائِهِـمْ العَـامِلِينَ وَأَئِمَّـتِهِمِ الْمُهْتَـدِينَ، ثُـمَّ إِنَّـهُ لَا يَجُـوزُ لِلْعُلَـمَاءِ الرَّاسِخِينَ النَّاصِحِينَ لله وَرَسُولِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ السُّكُوتُ عَلَى مَا يَرَوْنَهُ بَالْعِيَـانِ مِـنَ الْإِعْرَاضِ عَنْ إِقَامَةِ الأُمُـورِ الإِلَهِيَّـةِ، وَالْفَـرَائِضِ الدِّيْنِيَّـةِ، وَارْتِكَـابِ الْمُحَرَّمَـاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَإِعْرَاضِ العَامَّةِ عَنِ العِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَالرِّضا بَالْجَهْلِ بَـدَلاً عَـنِ العِلْـمِ، وَالْبَاطِلِ خَلَفاً عَنِ الحَقِّ، وَالضَّلَالَةِ عِوَضاً عَـنِ الهُـدَى، فَعَـلَى هَـذَا لَا يَبْقَـى عُـذْرٌ لِلْعُلَمَاءِ فِي السُّكُوتِ عَنِ الأَمْرِ بَالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَـنِ الْمُنْكَـرِ، وَأَنْ يُقِيمُـوَا أَمْـرَ الله فِـيهِمْ، وَأَنْ يَبْـذِلُوا فِي ذَلِـكَ وُسْـعَهُمْ وَاسْـتِطاعَتَهُمْ، وَيَـسْتَفْرِغُوا فِيـهِ جُهْـدَهُمْ وَطاقَتَهُمْ فَإِنَّ ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَيهِمْ إِمَّا عَلَى الْأَعْيَانِ، وَإِمَّا عَلَى الكِفَايَةِ، لَـيْسَ لَهُـمْ فِي ذَلِكَ عُذْرٌ، وَلَا فِي تَرْكِهِ سَعَةٌ، وَقَدْ عَلَّمَهُمُ الله عِلْمَهُ وَأْتَمَـنَهُمْ عَلَيـهِ، وَاسْـتَحْفَظَهُمْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه معلقـا (١/ ٣٠)( ٤٠) بـاب قـول النبـي صلى الله عليـه وسـلم (الـدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) وقوله تعالى (إذا نصحوا لله ورسوله) ومسلم في صـحيحه (١/ ٧٤) (٢٣باب بيان أن الدين النصيحة ) رقم(٥٥).

دِينَهُ، وَأَوْرَثَهُمْ كِتَابَهُ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ، وَقَدْ قَالَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((العُلَمَاءُ وَرَثَـةُ الأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ))[1].

وَلَمَّا جَعَلَ اللهُ مُحَمَّدًا صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامهُ عَلَيهِ خَاتَمَ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ كَمَا قَدْ حَصَلَ بِهِ ابْتِدَاؤهَا وَافْتِتَاحُهَا، جَعَلَ بِهِ انْتِهَاءَهَا وَخِتَامَهَا، فَلَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ وَلَا رَسُولٌ، جَعَلَ اللهُ بِفَضْلِهِ وَجَمِيلِ طَوْلِهِ مِنْ عُلَمَاءِ أُمَّتِهِ الَّذِينَ هُمْ وَرَثَتُهُ وَخُلَفَاؤُهُ وَحَمَلَةُ شَرِيعَتِهِ، جَعَلَ اللهُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الدُّعَاةَ إِلَى الْهُدَى، وَالْمُجَدِّدِينَ، لِمَا انْدَرَسَ مِنْ أَعْلَامِ الدِّيْنِ، وَانْطَمَسَ مِنْ مَعَالِمِ اليَقِينِ، وَوَقَعَ التَّقْصِيرُ فِيهِ وَالْغَفْلَةُ عَنْهُ مِنْ إِقَامَةِ الْأَوَامِرِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالنَّوَاهِي الشَّرْعِيَّةِ، وَإِلَى ذَلِكَ يُشِيرُ مَا رُوِيَ عَنْهُ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِيْنَهَا عَلَى رَأْسِ كُلِّ مَائَةِ عَامٍ))[2] وَيكُونُ هَذَا التَّجْدِيدُ مِنْ خَوَاصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ لِكَوْنِ

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه وقال عقبه ( ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة وليس هو عندي بمتصل هكذا حدثنا محمود بن خداش بهذا الإسناد وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن الوليد بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا أصح من حديث محمود بن خداش ورأي محمد بن إسماعيل هذا أصح )، (٥/ ٤٨)، (١٩ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة) رقم(٢٦٨٢)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٢٨٩، ٢٩٠) ( ذكر وصف العلماء الذين لهم الفضل الذي ذكرنا قبل ) رقم(٨٨) وأبو داود في سننه (٣/ ٣١٧)، ( ٢٠ كتاب العلم ١ باب الحث على طلب العلم ) رقم (٣٦٤١) وابن ماجة في سننه (١/ ٨١) رقم (٢٢٣) وقال في الترغيب والترهيب عقب كلام الترمذي (قال المملي رحمه الله ومن هذه الطريق رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي في الشعب وغيرها وقد روي عن الأوزاعي عن كثير بن قيس عن يزيد بن سمرة عنه وعن الأوزاعي عن عبد السلام بن سليم عن يزيد بن سمرة عن كثير بن قيس عنه قال البخاري وهذا أصح ذلك وقد اختلف في هذا الحديث ) (١/ ٥١).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤/ ١٠٩)( ٣٢ كتاب الملاحم ١ باب ما يذكر في قرن المائة ) رقم(٤٢٩١)، والحاكم في المستدرك(٤/ ٥٦٧، ٥٦٨) رقم(٨٥٩٢،٨٥٩٣)، والطبراني في الأوسط وقال عقبه( لا يروى

نَبِيِّهَا لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ وَلَا رَسُولَ.وَفِي الحَدِيثِ: « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ »(١) وَفِيهِ: « لَيَجِدَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ قَوماً مِنْ أُمَّتِي هُمْ مِثْلُ حَوَارِيِّيهِ »(٢) الحديث.

وَمِنْ كَلَامِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَكَرَّمَ وَجْهَهُ : ( اللَّهُمَّ لَا تُخْلِ الْأَرْضَ مِنْ قَائِمٍ لَكَ بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِرٌ مَشْهُورٌ، أَوْ خَامِلٌ مَقْهُورٌ) (٣).

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَعِزَّاءُ: لَقَدْ مَرَّ عَلَى الْأُمَّةِ سَنَوَاتٌ عِجَافٌ، لَمْ يُرْفَعْ فِيهَا لِعَالِمٍ صَوتٌ، وَلَا يُسْمَعُ لِوَاعِظٍ أَوْ مُذَكِّرٍ نِدَاءٌ، وَيَكَادُ يَخْتَفِي دُعَاةُ الخَيْرِ وَأَدِلَّاءُ الطَّرِيقِ إِلَى اللهِ، وَقَلَّتِ الدَّعْوَةُ وَغَلَبَتِ الغَفْلَةُ، وَاسْتَوَلَّى عَلَى النَّاسِ الْإِعْرَاضُ عَنِ الْآخِرَةِ، وَالْإِقْبَالُ عَلَى الدُّنْيَا لِقِلَّةِ الْمُذَكِّرِينَ، وَالدُّعَاةِ إِلَى اللهِ عَلَى البَصِيرَةِ وَالْيَقِينِ، فَلِذَلِكَ

---

هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد تفرد به ابن وهب )(٦/ ٣٢٤) رقم(٦٥٢٣)، وفي كشف الخفاء(رواه أبو داود عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجه الطبراني في الأوسط عنه أيضا بسند رجاله ثقات وأخرجه الحاكم من حديث ابن وهب وصححه)، (١/ ٢٨٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة(٦/ ٢٦٦٧)( ١٠ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم أهل العلم ) رقم(٦٨٨١) بلفظ (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون)، ومسلم في صحيحه من حديث جابر مرفوعا (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة )(١/ ١٣٧) رقم(١٥٦) كما أخرجه ايضا من حديث ثوبان و حديث المغيرة وجابر بن سمرة ومعاوية مرفوعا (٣/ ١٥٢٣، ١٥٢٤) (٥٣باب قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق...) رقم(١٠٣٧، ١٩٢٠، ١٩٢٢،١٩٢١).

(٢) أخرج نعيم بن حماد في كتابه الفتن بسنده عن عبد الرحمن بن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليدركن ابن مريم رجال من أمتي هم مثلكم أو خيرهم مثلكم أو خير )، (٢/ ٥٧١) رقم (١٥٩٧).

(٣)هو جزء من كلام أمير المؤمنين علي بن طالب رضي الله عنه أخرجه عنه أبو نعيم في الحلية (١/ ٨٠).

عَمَّ البَلَاءُ وَاسْتَفْحَلَ الدَّاءُ، وَخَرَسَتْ أَلْسُنُ الْمُذَكِّرِينَ بِالله، وَغَلَبَ الجَهْلُ وَالْغَفْلَـةُ عَلَى عَامَّةِ النَّاسِ، حَتَّى تَوَهَّمَ كَثِيرٌ مِمَّنْ لَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ بَأَحْوَالِ مَنْ مَضَى مِـنْ أَهْـلِ الحَقِّ وَالْهُدَى، وَاعْتَقَدَ كَثِيرٌ مِنَ الشَّبَابِ الَّذِينَ لَمْ يَطَّلِعُوا عَلَى التَّارِيخ أَنَّـهُ لَا مَـاضِيَ يُذْكَرُ لِمَنْ سَلَفَ، وَلَا مَجْدَ وَلَا حَضارَةَ لِلْأَجْيَـالِ الَّتِـي عَاشَـتْ عَـلَى هَـذِهِ الْمَنْطِقَـةِ، وَعَلَى هَذَا سَنَبْدَأُ مِنَ الصِّفْرِ كَمَا يَقُولُونَ وَيَعْتَقِدُونَ، وَبَارَكَ هَذِهِ النَّزْعَةَ الخَاطِئَةَ، بَلْ وَغَذَّاهَا جَمَاعَةٌ اتَّسَمَتْ بِالْعِلْمِ وَتَرَسَّمَتْ بِرُسُومِ طَلَبَةِ العِلْـمِ، الْمُتَـشَبِّهِينَ بَـالْعُلَمَاءِ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا النَّاسَ بِفَتْوَاهُمْ، وَغَلَبَ عَلَيهِمْ إِتِّبَاعُ الهَوَى الْمُشَارُ إِلَيهِ بِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[1] فَظَهَرَتِ الفِـتَنُ، وَفَـشَتِ الْمُنْكَـرَاتُ، وَاسْـتَوْلَتِ الغَفْلَةُ، وَالإِعْرَاضُ عَنِ الله وَعنِ الدَّارِ الْآخِرَةِ فَلَمْ يَبْقَ عُذْرٌ لَأَهْلِ الحَـقِّ وَالـدِّيْنِ، مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالْيَقِينِ فِي السُّكُوتِ عَـنْ بَيَـانِ الحَـقِّ وَالْهُـدَى وَالـدُّعَاءِ إِلَى سَـبِيلِهِ بَالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَقَدْ قَالَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (( إِذَا ظَهَرَتِ الفِـتَنُ ( أَوْ قَـالَ البِدَعُ ) وَسُبَّ أَصْحَابِي فَلْيُظْهِرِ العَالِمُ عِلْمَـهُ، فَمَـنْ لَمْ يَفْعَـلْ ذَلِـكَ فَعَلَيـهِ لَعْنَـةُ الله وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يَقْبَلُ الله مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا ))[2].

---

(١) سورة الكهف آية (١٠٤).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في كتابه( الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع )، (٢ / ١١٨) رقم(١٣٥٤) وفي إسناده محمد بن عبد المجيد المفلوج ذكر الذهبي في الميزان وابن حجر في اللسان حديثه المذكور من مناكيره،ينظر ميزان الاعتدال للذهبي في ترجمة المذكور(٦/ ٢٤١)، رقم الترجمة (٧٧٦٠٧٨٩٣)، لسان الميزان (٥ / ٢٦٤) رقم الترجمة (٩١١).

ثُمَّ إِنَّ العِلْمَ الَّذِي يَكُونُ عِنْدَ العَالِمِ السُّوءِ لَيْسَ هُوَ العِلْمُ الحَقِيقِيُّ الدِّيْنِيُّ، وَإِنْ كَانَ هُوَ فِي صُورَتِهِ وَقَالَبِهِ، وَهُوَ عَلَى لِسَانِهِ وَظَاهِرِهِ لَيْسَ فِي قَلْبِهِ وَلَا فِي بَاطِنِهِ شَيْءٌ مِنْهُ، قَالَ الْإِمَامُ مَالِكِ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ الله (لَيْسَ العِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، وَإِنَّمَا العِلْمُ نُورٌ يَقْذِفُهُ الله تَعَالَى فِي القَلْبِ)[1]، وَمِنْ كَلَامِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ الله عَنْهُ مِثْلُهُ [2]، وَقَالَ: ( إِنَّمَا العِلْمُ خَشْيَةٌ )[3]، وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ: ( العِلْمُ يَهْتِفُ بَالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ )[4]، أَيْ يَرْتَحِلُ مَعْنَاهُ وَحَقِيقَتُهُ، وَنُورُهُ وَبَرَكَتُهُ، وَيَبْقَى رَسْمُهُ وَصُورَتُهُ.

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ الله عَنْهُ: ( أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَوْ قَالَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ فَاجِرٌ عَلِيمُ اللِّسَانِ )[5].

---

(١) ذكره عن الإمام مالك المناوي في فيض القدير بلفظ(ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذفه الله في القلب)، (٤/ ٣٨٨) وأخرج البيهقي في شعب الإيمان بسنده من كلام إبراهيم الخواص بلفظ (ليس العلم بكثرة الرواية إنما العالم من اتبع العلم واستعمله اقتدى بالسنن وإن كان قليل العلم) (٢/ ٢٩٤)رقم (١٣٢٨).

(٢) أخرجه عنه ابن أبي عاصم في كتابه الزهد (١/ ١٥٨) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٣١)بلفظ (ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية ) وذكره عنه الإمام أحمد بن حنبل في كتابه الورع (٨٠).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٠٤) رقم(٣٤٥٣٢) بسنده عن ابن مسعود،والطبراني في الكبير(٩/ ١٨٩) رقم(٨٩٢٧) بسنده عنه بلفظ (كفى بخشية الله علما وكفى باغترار بالله جهلا )، والبيهقي في شعب الإيمان بسنده عنه (١/ ٤٧٢،٤٧١)رقم(٧٤٦)،وابن أبي عاصم في الزهد (١٥٨)، وابن المبارك في الزهد (١٥) رقم (٤٦)، والبيهقي في المدخل للسنن الكبرى(٣١٥) رقم(٤٨٧).

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل بسنده عن ابن المنكدر قال (العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل)(١/ ٣٦) رقم (٤٠)

(٥) روى ابن حبان في صحيحه بسنده عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( أخوف ما أخاف عليكم جدال المنافق عليم اللسان ) (١/ ٢٨١) ( ذكر ما كان يتخوف صلى الله عليه وسلم

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ( قَصَمَ ظَهْـرِي رَجُـلَانِ: عَـالِمٌ مُتَهَتِّـكٌ، وَجَاهِـلٌ مُتَنَسِّكٌ، هَذَا يُنَفِّرُ النَّاسَ بِتَهَتُّكِهِ، وَهَذَا يَغُرُّ النَّـاسَ بِتَنَسُّكِهِ )[1] وَقَـدْ قِيـلَ: ( مَـنْ تَصَوَّفَ وَلَمْ يَتَفَقَّهْ فَقَدْ تَزَنْدَقَ )[2].

وَمِنْ هُنَا تَبَيَّنَ وَاتَّضَحَ أَنَّ العَالِمَ التَّقِيَّ المُصْلِحَ خَيْرٌ كُلُّهُ، وَنَفْعٌ كُلُّـهُ وَصَـلَاحٌ لِنَفْسِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّ العَالِمَ الَّذِي لَا يَتَّقِـي اللهَ وَلَا يَخْشَاهُ شَرٌّ كُلُّـهُ وَبَـلَاءٌ كُلُّـهُ، وَفِتْنَةٌ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى المُسْلِمِينَ، وَمِثْلُ عَالِمِ السُّوءِ كَمِثْلِ البَيْتِ المُظْلِمِ وَعَلَى سَطْحِهِ المِصْبَاحُ، فَالنُّورُ وَالضِّيَاءُ عَلَى ظاهِرِهِ وَالظُّلْمَة عَلَى بَاطِنِهِ:

العِلْمُ فِي الصَّدْرِ كَالمِصْبَاحِ فِي الدَّارِ    فَارْضَعْ لِبَانَ التُّقَى مِنْ ثَدْيِهِ الدَّارِ

---

على أمته جدال المنافق) رقم(٨٠)، وأحمد في مسنده من حديث عمر بن الخطاب مرفوعا إن رسـول الله صـلى الله عليه وسلم قال (إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان) (١/ ٢٢) رقم (١٤٣)، كـما رواه أيضا فيه بسنده عن أبي عثمان النهدي قال انى لجالس تحت منبر عمر رضي الله عنه وهو يخطب الناس فقال في خطبته سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول( ان أخوف ما أخاف على هذه الأمـة كـل منـافق علـيم اللسان)(١/ ٤٤) رقم (٣١٠)، والبزار في مسنده (١/ ٤٣٤) رقـم(٣٠٥)، كـما أخرجـه أيـضا بـسنده عـن عمران بن حصين مرفوعا (٩/ ١٣) رقم(٣٥١٤)، والطـبراني في الكبـير مـن حـديث عمـران بـن حـصين (١٨/ ٢٣٧) رقم(٥٩٣) وفي الترغيب والترهيب (رواه الطـبراني في الكبـير والبـزار ورواتـه محـتج بهـم في الصحيح...) (١/ ٧٥)، وفي مجمع الزوائد بعد ذكر رواية عمر رضي الله عنه قـال (رواه البـزار وأحمـد وأبـو يعلى ورجاله موثوقون ) (١/ ١٨٧).

(١) ذكره عن علي رضي الله عنه الغزالي في الإحياء (١/ ٥٨) والمناوي في فيض القدير (٦/ ٢٩١).

(٢)عزى هذا القول للإمام مالك ابن عجيبة في إيقاظ الهمم شرح متن الحكم (١ / ٢).

(٣) سورة الجمعة آية (٥)

وَأَشَدُّ مِنْ هَذَا كُلِّهِ وَأَشْنَعُ مَا ضَرَبَ اللهُ المَجِيدُ فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ لِعُلَمَاءِ السُّوءِ مِنَ الْأَمْثَالِ حَيْثُ شَبَّهَهُمْ بِأَخسِ الدَّوَابِّ الحَمِيرِ وَالْكِلَابِ حَيثُ يَقُولُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾[1] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[2].

وَقَالَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (( أَشَدُّ النَّاسِ عَذاباً يومَ القِيامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِعِلْمِهِ ))[3]، وَقَالَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (( مَنِ ازْدَادَ عِلْمًا وَلَمْ يَزْدَدْ هُدًى لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْداً ))[4].

نَعَمْ: العِلْمُ فُنُونٌ وَأَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّهَا نَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَيهَا مَاسَّةٍ، وَإِلَى تَخَصُّصَاتِهَا الْمُخْتَلِفَةِ فِي عَصرِنَا الرَّاهِنِ مَعَ تَطَوُّرَاتِ الحَيَاةِ، وَلِأَنَّنَا لَا بُدَّ أَنْ نُسَايِرَ العَصْرَ وَأَهْلَهُ وَنَحْنُ جُزْءٌ مِنْهُ، وَلَكِنَّ العُلُومَ الدِّينِيَّةَ وَالشَّرْعِيَّةَ الَّتِي نَحْنُ الْآنَ بِصَدَدِهَا وَهِيَ أَهَمُّ العُلُومِ، وَجَبَ وُجُوبا مُتَأَكِّداً أَنْ لَا يُرِيدَ العَالِمُ بِهَا وَالْمُتَعَلِّمُ لَهَا

---

(٤) سورة الأعراف آية (١٧٥).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير بسنده عن أبي هريرة مرفوعا (١/ ٣٠٥)رقم (٥٠٧) بلفظ(اشد الناس عذابا عالم لم ينفعه علمه)قال الطبراني لم يروه عن المقبري إلا عثمان البري اهـ،والبيهقي في شعب الإيمان بسنده عنه(٢/ ٢٨٥، ٢٨٤ )،رقم(١٧٧٨ )،قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء(رواه الطبراني في الصغير والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف.أ.هـ)(١/ ١٠)، و في مجمع الزوائد بعد أن نسبه للطبراني في الصغير( وفيه عثمان البري قال الفلاس صدوق لكنه كثير الغلط صاحب بدعة ضعفه أحمد والنسائي والدارقطني.اهـ) (١/ ١٨٥).

(٤) قال العجلوني:في كشف الخفاء(٢/ ٣٠٤) رواه الديلمي عن علي مرفوعا بلفظ ( من زاد علما ولم يزدد في الدنيا زهدا لم يزدد من الله إلا بعدا ) وسنده ضعيف كما قال العراقي.

إِلَّا وَجْهَ الله وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، وَهَذَا النَّوعُ مِنَ العُلَمَاءِ هُـمْ أَفْـضَلُ العُلَـمَاءِ وَأَرْفَعُهُـمْ عِنْدَ الله مَنْزِلَةً، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بَالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امرئ مَا نَـوَى، وَقَـالَ رَسُـولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ : (( مَنْ طَلَبَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهَ الله لَا يَطْلُبُهُ إِلَّا لِيَنَالَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يومَ القِيَامَةِ ))[١] وَعَرْفُ الجَنَّةِ رِيحُهَا، وَهُوَ كَـمَا فِي الحَدِيثِ: ((يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسُ مَائَةِ عَامٍ ))[٢].

وَقَالَ أَيْضاً: (( مَـنْ طَلَـبَ العِلْـمَ لِيُجَـادِلَ بِـهِ العُلَـمَاءَ وَيُـمَارِي بِـهِ الـسُّفَهَاءَ وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيهِ أَدْخَلَهُ الله النَّارَ ))[٣].

(١) رواه أبو داود في سننه بسنده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله عـز وجـل لا يتعلمـه إلا ليـصيب بـه غرضـا مـن الـدنيا لم يجـد عـرف الجنـة يـوم القيامـة،يعني ريحها)(٣/ ٣٢٣)،(١٢ باب في طلب العلم لغير الله)،رقـم(٣٦٦٤)،وابـن ماجـة في سـننه(١/ ٩٢)،رقـم (٢٥٢)،والحاكم في مستدركه(١ / ١٦٠)،(٢ كتاب العلم) رقم(٢٨٨)وقال حـديث صحيح،سـنده ثقـات رواته على شرط الشيخين،كما أخرجه (١/ ١٦٠) برقم (٢٨٩)،وأحمد في مسنده(٢/ ٣٣٨)، رقـم (٨٤٣٨) وغيرهم

(٢) ورد تحديدها بذلك في حديث الحاكم بسنده عن أبي بكرة أن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم قـال(مـن قتل نفسا معاهدة بغير حقها لم يجد رائحة الجنة وإن رائحتها توجد من مسيرة خمسمائة عام) وصـححه وقـال على شرط مسلم(١/ ١٠٥)رقم (١٣٥،١٣٤).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه بسنده عن كعب بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسـلم يقـول (من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار) قال الترمذي حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي إسناده إسحاق بن يحيى بن طلحة قال فيه الترمـذي ليس بذلك القـوي عنـدهم تكلـم فيـه مـن قبـل حفظـه (٥/ ٣٢)،(٦ بـاب مـا جـاء فـيمن يطلـب بعلمـه الدنيا)،رقم(٢٦٥٤).

وَرُوِيَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ مَوقُوفًا وَمَرْفُوعًا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وآلـه وَسَلَّمَ قَالَ: (( مِنْ فِتْنَةِ العَالِمِ أَنْ يَكُونَ الكَلَامُ أَحَبَّ إِلَيهِ مِـنَ الاِسْـتِمَاعِ وَفِي الكَـلَامِ تَنْمِيقٌ وَزِيَادَةٌ وَلَا يُؤْمَنُ عَلَى صَاحِبِهِ الخَطأُ وَفِي الصَّمْتِ سَـلَامَةٌ وَعِلْمٌ ))[1].

وَعَلَى عُلَمَاءِ الدِّيْنِ أَنْ يَكُونُوا عَلَى سِـيْرَةٍ حَـسَنَةٍ، فِي كَـمَالِ شَـفَقَتِهِمْ وَحُـسْنِ سِيَاسَتِهِمْ لِعَامَّةِ المُسْلِمِينَ فِي تَعْلِيمِهِمْ وَإِرْشَادِهِمْ، قَالَ ابْنُ عَبَـاسٍ رَضِيَ الله عَـنْهُمَا لِبَعْضِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ اسْتَحَى مِنْ ذِكْرِهِ:( إِنَّمَا العَالِمُ بِمَنْزِلَةِ الوَالِدِ، فَـمَا تُفْضِي بِهِ إِلَى وَالِـدِكَ فَـافْضِ بِـهِ إِلَيَّ )، وَقَـدْ سَـبَقَهُ إِلَى ذَلِـكَ إِمَـامُ المُتَّقِـينَ، وَسَـيِّدُ النَّاصِحِينَ صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلَيهِ حَيثُ قَالَ: (( إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الوَالِـدِ ))[2]،

(١) ذكره في مسند الفردوس من غير سند عن معاذ بن جبل( إن من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه من الخطأ وفي الصمت بالإجماع وغنم ومن العلماء من يخزن علمه ولا يحب أن يجد عند غيره فذلك في الدرك الأول من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان فإن رد عليه شيئاً من قوله غضب فذلك في الدرك الثاني من النار... الخ الحديث)(١/ ٢١٣)رقم (٨١٣)،كما رواه ابن المبارك في كتابه الزهد بسنده عن يزيد بن أبي حبيب قال( إن من فتنة العالم الفقيه أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع وإن وجد من يكفيه فإن في الاستماع بالإجماع وزيادة في العلم والمستمع شريك المتكلم وفي الكلام إلا ما عصم الله توهق وتزين وزيادة ونقصان ومنهم من يرى أن بعض الناس لشرفه ووجهه أحق بكلامه من بعض ويزدري المساكين ولا يراهم لذلك موضعا ومنهم من يخزن علمه ويرى أن تعليمه ضيعة ولا يحب أن يوجد إلا عنده ومنهم من يأخذ في علمه بأخذ السلطان حتى يغضب أن يرد عليه شئ من قوله وأن يغفل عن شئ من حقه ومنهم من ينصب نفسه للفتيا فلعله يوتى بالأمر لا علم له به فيستحي )(ص١٦ )، رقم (٤٨)، وذكره الإمام الغزالي بطوله في الإحياء قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (أخرجه أبو نعيم وابن الجوزي في الموضوعات ) (١/ ٦٢)، وفي سؤلات البرذعي قال لي أبو زرعة في أحاديث معاذ بن جبل إن من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الإستماع حديث مندل بن علي اضرب عليه ولم يقرأه )( ٥٤٧،٥٤٨)، كما أخرجه صاحب الفردوس بمأثور الخطاب بسنده عن معاذ بن جبل (إن من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع (١/ ٢١٣)، رقم (٨١٣).

(٢) جزء من حديث أخرجه أبو داؤد في سننه (١/ ٣)، (٨ باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة) حديث رقم (٨) بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فإذا أتى أحدكم الغائط...)، والنسائي في المجتبى (١/ ٣٨)(٣٦باب النهي عن الاستطابة

وَمِنْ شَأْنِ عُلَمَاءِ الدِّيْنِ أَنْ يَكُونُوا هُمْ المَفْزَعَ وَالْمَرْجِـعَ عِنْـدَ مَـا تَـشْتَبِهُ عَـلَى النَّـاسِ الأُمُورُ، وَتُشْكِلُ عَلَيْهِم الأَشْيَاءُ، فَإِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ وَجَدُوا عِنْدَهُمُ العِلَاجَ النَـاجِعَ فِي إِزَاحَةِ الشُّبُهَاتِ، وَإِيْضَاحِ الْمُشْكِلَاتِ بِمَا آتَاهُمُ الله بِالْآيَاتِ البَيِّنَاتِ، أَمَّا غَـيْرُهُمْ مِمَّنْ تَرَسَّمَ بِالْعِلْمِ وَهُوَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ فَهُمْ بَـلَاءٌ وَمِحْنَـةٌ، وَمَـضَرَّةٌ وَفِتْنَـةٌ، إِذَا رَجَـعَ النَّاسُ إِلَيْهِمْ أَضَلُّوهُمْ وَفَتَنُوهُمْ، فَاللهُ الْمُسْتَعَانُ وَلَا حَـولَ وَلَا قُـوَّةَ إِلَّا بِـالله العَـلِيِّ العَظِيمِ، وَقَدْ أَحْدَثَ مِثْـل ذَلِـكَ عُلَـمَاءُ بَنِـي إِسْرَائِيـلَ فِـيمَا حَكَـى الله عَـنْهُمْ مِـنْ أَخْبَارِهِمْ فَضَرَبَ الله بِقُلُوبِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْـضٍ، وَجَعَلَهُـمْ نَكَـالًا وَمَوعِظَـةً لِمَـنْ بَعْدَهُمْ، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ : (( لَتَتَبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ حَتَّـى لَوْ دَخَلُوَا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ مِنْ وَرَائِهِمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، قَالَ فَمَنْ ؟))[1] .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ عَرَفَ الحَقَّ وَشَهِدَ بِهِ، وَحُبِّبَ إِلَيهِ الخَيْرُ وَعَمِلَ بِهِ، وَوَفِّقْنَـا جَمِيعاً لِمُتَابَعَةِ رَسُلِهِ وَكُتُبِهِ.

---

بالروث )رقم (٤٠) وابن ماجة في سننه (١/ ١١٤) (١٦ باب الاستنجاء بالحجارة والنهي عن الروث والرمة )رقم (٣١٣) وابن خزيمة (١/ ٤٣) رقم (٨٠)و ابن حبان (٤/ ٢٨٨، ٢٧٩) رقم (١٤٣١،١٤٤٠) في صحيحيهما من حديث أبي هريرة وغيرهم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٧٤) حديث رقم(٣٢٦٩) (٥١ باب ماذكر عن بني إسرائيل ) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال(لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن )حديث، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٢٧) حديث رقم( ١٠٨٣٩ )من حديث أبي هريرة رضي الله.

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي المُهْتَدُونَ ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١) وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ (٢).

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (٣).

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).
(٢) سورة النحل الآية (٩٨).
(٣) سورة آل عمران آية (١٨-١٩)

# الخطبة الثانية

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَـمِينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِـمِينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَــهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَــهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الـصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَــهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَــهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَـرَ. اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَـارِكْ عَـلَى سَـيِّدِنَا م مُحَـمَّدٍ، جَمِيـلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

أما بعدُ: فيا عِبَادَ اللهِ: أُوصِـيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْـوَى اللهِ تَعـالى، اتَّقُـوا اللهَ مِـنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ المُؤْمِنُونَ:العِلْمُ نُورُ اللهِ، وَلَا يُعْطِي اللهُ نُورَهُ إِلَّا مَنِ ارْتَضَاهُ لَهُ، قَـالَ تَعَـالَى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(1) وقَالَـتِ المَلَائِكَةُ سُبۡحَـٰنَكَ:﴿ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾(2).

**الْعِلْـمُ يَرْفَـعُ بَيْتًـا لَاعِـمَادَ لَـهُ وَالْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ العِزِّ وَالـشَّرَفِ**

(1) سورة البقرة آية (٢٨٢)

(2) سورة البقرة آية(٣٢)

وَكَانَ لِأَهْلِ العِلْمِ عِنْدَ الْأُمَرَاءِ وَالحُكَّامِ غَايَةُ الاحْتِرَامِ وَالتَّقْدِيرِ، لَا يَأْخُذُونَ إِلَّا بِرَأْيِهِمْ، وَلَا يَبُتُّونَ فِي أَمْرٍ إِلَّا بَعْدَ مُشَاوَرَتِهِمْ، فَنِعْمَ الْمُسْتَشَارُ وَنِعْمَ الْمُسْتَشِيرُ، كَمَا إِنَّ عَلَى العُلَمَاءَ أَنْ يَتَوَاضَعُوا ؛ لِأَنَّ لِلْعِلْمِ صَوْلَةً وَجَوْلَةً، وَقَدْ يُصَابُ العَالِمُ بِالغُرُورِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْهَوَى وَالتَّرَفُّعِ وَالاسْتِعْلَاءِ، وِلِكُلِّ سَيْفٍ نَبْوَةٌ، وَلِكُلِّ جَوَادٍ كَبْوَةٌ، وَهَذِهِ مِنْ مَسَاوِئِ العُلَمَاءِ لَا العِلْمِ ؛ لِأَنَّهُمْ بَشَرٌ كَالْبَشَرِ لِهَذَا وَجَبَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ غَيْرِهِمْ أَنْ يَتَّقُوا الله فِيمَا يَحْمِلُونَهُ مِنْ عِلْمٍ، وَيُبَلِّغُونَهُ لِلنَّاسِ بِكُلِّ أَمَانَةٍ وَإِخْلَاصٍ، فَيَا حَمَلَةَ العِلْمِ عَلِّمُوا طَلَبَتَكُمْ الأَدَبَ وَالْأَخْلَاقَ الفَاضِلَةَ وَالتَّوَاضُعَ، عَلِّمُوهُمْ كَيفَ يَحْتَرِمُونَ آرَاءَ النَّاسِ، عَلِّمُوهُمْ كَيفَ يُخَاطِبُونَ غَيْرَهُمْ بِإِسْلُوبٍ مُهَذَّبٍ مُؤَدَّبٍ، عَلِّمُوهُمْ مَاذَا يَعْنِي قَولُهُ تَعَالَى﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[1] وَقَولُهُ تَعَالَى﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾[2] لَا تُطْلِعُوهُمْ مِنَ البِدَايَةِ عَلَى المَسَائِلِ الخِلَافِيَّةِ وَتَتَبُّعِهَا، فَنَرَى وَنَسْمَعُ كَثِيراً مِنَ الشَّبَابِ الْمُبْتَدِئِ الْمُرَاهِقِ يَتَطَاوَلُ بِلِسَانِهِ عَلَى عَمَالِقَةِ العِلْمِ، وَأَئِمَّةِ الإِسْلَامِ كَالْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، وَالْإِمَامِ الغَزَالِيِّ، وَالْإِمَامِ الحَدَّادِ وَغَيْرِهِمْ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَعِزَّاءُ: إِنَّ بِلَادَنَا تَقِفُ الْيَومَ عَلَى أَعْتَابِ نَهْضَةٍ عِلْمِيَّةٍ مُبَارَكَةٍ إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى يَجِبُ أَنْ نُسَرَّ بِهَا، وَأَنْ نُقَابِلَهَا بِمَا تَسْتَحِقُّ مِنَ الْإِعْدَادِ وَالعِدَّةِ ؛ كَيْ تَأْتِيَ أُكْلَهَا وَثَمَرَهَا بِإِذْنِ رَبِّهَا، وَلله دَرُّ مَنْ قَالَ عَلَى لِسَانِ شَبَابِنَا:

---

(١) سورة النحل آية ( ١٢٥ )

(٢) سورة فصلت آية ( ٣٤ )

نَحْـنُ للـدِّينِ جُنْـدُهُ وَحُمَاتُـهُ ... وَلأَبْـرَاجِ عِـزِّهِ لَبَنَاتُـهُ
فَـإِلَى العِلْـمِ وَجِّهُونَـا ... فَـإِنَّ الجَهْـلَ فِي أُفْقنَـا بَـدَتْ ظُلُمَاتُـهُ
وَاغْرِسُوَا الدِّيْنَ فِي القُلُوبِ نَزِيهًا ... نَحْـنُ غـرس الهُـدَى وَأَنْـتُمْ سُـقَاتُهْ

هَؤُلَاءِ المُغَرَّرَ بِهِمْ، مَنِ الَّذِي وَجَّهَهُمْ وَعَلَّمَهُمْ؟! إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَنْتَسِبُونَ لِلْعِلْـمِ وَلَو فِي الظَّاهِرِ، وَمَنِ الَّذِي اسْتَوْرَدَ لَهُمْ الكُتَيِّبَـاتِ وَالْأَشْرِطَـة فَكَانَـتْ الـسَّبَبُ لِمَا نُعَانِيهِ مِنَ الفِتَنِ وَالْمِحَنِ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله العَلِيِّ العَظِيمِ.

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْسِهِ ؛ فَقَـالَ مُخْبِراً وآمِـراً لَكُـمْ تَكْـرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِي ، والـمَقَامِ الأَفْـضَـلِ: سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـلِي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَـلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُـبْرَى ، و عَـنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَـاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَـنْ عَمَّـي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْـتَ الـشَّجَرَةِ، طَلْحَـةَ والزُّبَيـرِ ، وسَـعْدٍ

وسَعِيدٍ ، وعَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْـحَابِ رَسُـولِ الله رِضْـوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِّيَ الظُّلْمَـةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَــا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ فَـرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُــؤْمِنَاتِ ، والـمُـسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَـافِر الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوع بِلادِنَـا خَاصَّةً وسَائِر بِـلادَ الـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَـا ، وأَبْعِـدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ الـسُّفَهَاء مِنَّـا ، واجْعَـلْ وِلَايَتَنَـا فِـيمَنْ خَافَـكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْـلامَ والـمُـسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عونَاً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ

، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُـزَاةِ والمُـسَافِرِينَ في بَـرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَـانِطِينَ ، اللَّهُـمَّ اسْـقِنَا غَيْثَـاً مُغِيثَاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

عِبَـــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِـهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# العلم وطلبته

## الخطبة الأولى

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الإِنْسَانَ ما لَمْ يَعْلَمْ ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ، شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قائِمًا بِالْقِسْطِ ، وَإِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَمَاءُ.

نَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ القَائِلُ ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [1]

وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ القَمَرُ الْمُنِيرُ ، الْمُوْحَى إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تعَالَى ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ [2].

اَللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِدِّنَا مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الأَمِينِ ، بَعَثَهُ اللهُ فِي الأُمِّيِّينَ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوْا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ.

أما بعد : فأُوْصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوىَ اللهِ تَعَالَى فَإِنَّ عَلَيْهَا مَدارُ الأَمْرِ كُلِّهِ ، فَرَبُّوا عَلَيْهَا أَوْلاَدَكُمْ ، وَفَلَذاتِ أَكْبَادِكُمْ ، كَيْ يَنْشَئُوا عَلَيْهَا ، وَيَعِيشُوا عَلَيْهَا وَيَمُوتُوا عَلَيْهَا وَيُبْعَثُوْا عَلَيْهَا آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ.

---

(١) المجادلة ( ١١ ).

(٢) سبأ (٤٤ ).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ياَ أَتْبَاعَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ : طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ كَتَبَهَا الله عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ، وَأَمَرَ تَعَالَى بِالْعِلْمِ قَبْلَ العَمَلِ ، فَقَالَ جَلَّ جَلاَلُهُ ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [1]، يَرْفَع الله الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجاَتٍ ، وَيَضَعُ الْجَهْلَ وَأَهْلَهُ وَلا يُبَالِي بِهِمْ فِي أَيِّ وادٍ هَلَكُوْا ، وَإِنْ أَعْجَبَتْكَ مِنَ الجاَهِلِ صُوْرَتُهُ وَمَظْهَرُهُ ، فَإِنَّهُ عِنْدَ الله بِأَسْوَءِ حاَلٍ، لأَنَّهُ تَعَالَى لاَ يَنْظُرُ إِلَى الصُّوَرِ وَالأَجْسامَ ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى الأَعْمَالِ وَالْقُلُوبِ وَالنِّيَّاتِ ، وَكُلُّ عَمَلٍ وَنِيَّةٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَهُوَ رَدٌّ عَلَى صَاحِبِهِ ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [2].

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ: اَلْعِلْمُ نُورُ الله وَلاَ يُعْطِي الله نُورَهُ إِلاَّ لِمَنْ ارْتَضَاهُ لَهُ، وَٱتَّقُوا ﴿ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[3] وَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمْ (( اَلْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِياَءِ )) [4] لأَنَّهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ

---

(١) محمد ( ١٩ ).

(٢) الزمر ( ٩ ).

(٣) البقرة (٢٨٢).

(٤) جزء من حديث أخرجه أبودود ( كتاب العلم برقم ٣٦٣٦، ٥/ ٥٢ عون المعبود ) والترمذي (٢٦٨٢)، العلم (٥/ ٤٧) وغيرهما قال الترمذي ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة وليس هو عندي بمتصل هكذا حدثنا محمود بن خداش هذا الحديث وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا أصح من حديث محمود بن خداش ورأي محمد بن إسمعيل هذا أصح. قال المخرج: وداود بن جميل ضعيف كما قاله

وَيدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ بِحُسنِ الاسْتِقَامَةِ وَحِكْمَةِ التَّعْلِيمِ (( وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ الله لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ ))[1] (( وَمَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ أَوْرَثَهُ الله عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ))[2]، ((وَمَنْ ازْدَادَ عِلْمًا وَلَمْ يَزْدَدْ هُدىً لم يزدد مِنَ الله إِلاَّ بُعْداً ))[3]وَلَيْسَ العِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِاوِيَةِ وَالدِّرَايَةِ ، وَلَكِنَّهُ خَشْيَةُ الله، وَلا يَزَالُ العَالِمُ عَالِماً مَا لَمْ يَعْتَقِدْ أَنَّهُ عَالِمٌ فَإِذَا اعْتَقَدَ أَنَّهُ عَالِمٌ فَقَدْ جَهِلَ، (( وَإِنَّمَا العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ وَالْفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ))[4]، (( وَلَفَقِيهٌ واحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ ))[1].

---

الحافظ في التقريب (ص ١٣٨ ) انتهى من كتاب بداية العناية في تخريجات أحاديث سبيل الرشد والهداية صـ ٨٨.

(١) (من سلك طريقا...إلى الجنة )جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه من حيث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عليه كربة من كرب يوم القيامة....ومن سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم...الحديث) (٤/ ٢٠٧٤)، ( باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر) رقم(٢٦٩٩).

(٢) إشارة إلى حديث أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وضعفه، ينظر تخريج الإحياء للحافظ العراقي أسفل الإحياء (١/ ٧١) وفي الحلية (٦/ ١٦٣) بسنده عن عبد الواحد بن زيد كان يقال ( من عمل بما علم فتح الله له ما لا يعلم ).

(٣) إشارة إلى حديث قال فيه الحافظ في تخريج الإحياء أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بإسناد ضعيف إلا أنه قال زهدا، وروى ابن حبان في روضة العقلاء موقوفا على الحسن من ازداد علما ثم ازداد على الدنيا حرصا لم يزدد من الله إلا بعدا، وروى أبو الفتح الأزدي في الضعفاء من حديث علي (من ازداد بالله علما ثم ازداد للدنيا حبا ازداد الله عليه غضبا).اهـ (١/ ٥٩ ).

(٤) روى الطبراني في الكبير (١٩/ ٣٩٥) رقم (٩٢٩) من حديث معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول( إنما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه ومن يرد الله به خيرا يفقه في الدين وإنما يخشى الله من عباده العلماء)، وفي مسند الشاميين (٤٣١)رقم (٧٥٨)، والبيهقي في المدخل من حديث معاوية(٢٥٣)رقم(٣٥٢)،كما روى الطبراني في الأوسط من حديث أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله

يَا إِخْوَةَ الإِسْلَامِ وَالإِيْمَانِ: لَا يَمْتَرِي اثْنَانِ قَطُّ فِي المَقُولَـةِ القَائِلَـةِ ( المـدَارِسُ مَصَانِعُ الرِّجَالِ ) وَمَنْ فَتَحَ مَدْرَسَـةً فَقَـدْ أَغْلَـقَ سِـجْنًا، الْمـدَارِسُ كُـلُّ المَـدَارِسِ، وَالرِّجَالُ هُمُ الرِّجَالُ الَّذِينَ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، وَلَا نَـسْتَطِيعُ أَنْ نَطْمَئِنَّ إِلَى سُلُوكِ شَـبَابِنَا إِلَّا بِالتَّرْبِيَـةِ الحَـسَنَةِ الـصَّحِيحَةِ، وَالتَّوْجِيـهِ الـسَّلِيمِ، لِلتَّحْصِيلِ الْعِلْمِيِّ الجَادِ النَّافِعِ، بِالطُّرُقِ التَّرْبَوِيَّـةِ، لَا بُـدَّ مِـنْ أَنْ نُرَبِّـيَ فِي طُلَّابِنَـا طَرِيقَةَ الاسْتِنْتَاجِ وَالْبَحْثِ، وَحُبِّ الإِطِّـلَاعِ لَا عَـلَى طَرِيقَـةِ التَّلْقِـينِ، فَكَثِـيرٌ مِـنْ مَوَاهِبِ الطُّلَّابِ تَظَلُّ مَغْمُورَةً لَمْ تُكْتَشَفْ بَعْـدُ، لأَنَّهَـا أَلِفَـتْ التَّحْـصِيلَ العِلْمِـيِّ بِالطَّرِيقَةِ الآلِيَّةِ السَّاذِجَةِ، وَبِالْمُنَاسَبَةِ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَبُ الـرَّحِيمُ الـشَّفِيقُ فَكُـنْ خَـيْرَ مِعْوَانٍ لأَبْنَائِكَ وَفَلِذَاتِ كَبِـدِكَ الَّـذِينَ يَجْتَـازُونَ مَرَاحِـلَ الـتَّعَلُّمِ الـصَّعْبَةَ، وَهُـمْ يَتَوَجَّهُونَ صَبَاحَ الغَدِ إِلَى مَدَارِسِهِمْ يَحْمِلُونَ أَمَـلَ الأُمَّـةِ، وَهُـمْ يَجْتَـازُونَ مَرَاحِـلَ التَّعْلِيمِ الصَّعْبَةَ

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْأَعِزَّاءُ: إِنَّ أَوْلَادَنَا الَّذِينَ تَضُمُّهُمْ قَاعَـاتُ المَـدَارِسِ وَالْمَعَاهِـدِ، وَالْمُتَرَبِّعِينَ كَرَاسِيَ العِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ هُـمْ خُلَاصَـةُ حَياتِنَـا وَرَأْسُ مَالِنَـا وَهُـمُ الْأَمَـلُ

---

عليه وسلم( إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم من يتجر الخير يعطه ومن يتق الشر يوقه ثلاث من كـن فيـه لم يسكن الدرجات العلا ولا أقول لكم الجنة من تكهن أو استقسم أو رده من سفر تطيره )(٣/ ١١٩).

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ( ٦١٦٢، ٧ / ٩٦ ) بهذا اللفظ مـن حـديث أبي هريـرة رضي الله عنـه عـن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين، ولفقيه واحد أشد عـلى الـشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه )) قال الهيثمي ( في مجمع الزوائد ١ / ١٢١ ): (( وفيه يزيد بن عياض وهو كذاب )) وأخرجه أبوبكر الآجري في فضل العلم، وأبونعيم في رياضـة المتعلمـين مـن حديث أبي هريرة باسناد ضعيف كما قاله العراقي وعنـد الترمـذي ( ١ / ١٦٨، ٥ / ٤٦ )، وابـن ماجـه في سننه(برقم ١،٢٢٢/ ٨١) من حديث ابن عباس بسند ضعيف ( فقيه أشد على الـشيطان مـن ألـف عابـد). انظر تخريج العراقي على الإحياء(١/ ٦) والمطالب العالية لابن حجر العسقلاني (٣/ ١٣١).

المُرَجَّى، وَالْمَلْجَأُ وَالْمَنْجَى، إِنَّهُمْ نِتَاجُ حَيَاتِنَا وَهُمْ نَمُوذَجٌ مِنَّا فِي طِبَاعِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ،وَمِثَالٌ حَيٌّ لِمَنْ فِي مَنَازِلِهِمْ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْأَعِزَّاءُ: إِنَّ شَبَابَنَا مُتَلَهِّفٌ لِطَلَبِ العِلْمِ أَيِّ عِلْمٍ لِأَنَّنَا مَعَ تَطَوُّرِ الحَيَاةِ وَمُسْتَلْزَمَاتِهَا نَحْتَاجُ إِلَى كُلِّ أَنْوَاعِ العُلُومِ، وَلَيْسَ غَرَضُنَا مِنَ المَدَارِسِ وَالْكُلِّيَّاتِ وَالْمَعَاهِدِ تَخْرِيجُ أَنْصَافِ الْمُتَعَلِّمِينَ أَوِ الاقْتِصَارِ عَلَى بَعْضِ العُلُومِ الدِّينِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ فَوْقَ هَذا وَذَاكَ إِنَّ بِلَادَنَا بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى العُلَمَاءِ بِشُئُونِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ،إِلَى الفُقَهَاءِ الْأَكَابِرِ، وَعُلَمَاءِ الأُصُولِ الفِقْهِيَّةِ، وَالْمُحَدِّثِينَ وَعُلَمَاءِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، وَعُلَمَاءِ عُلُومِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَعُلَمَاءِ اللُّغَةِ وَآدابِهَا، وَالْأَطِبَّاءِ، وَالْمُهَنْدِسِينَ، وَعُلَمَاءِ الاقْتِصَادِ، وَالْخُطَبَاءِ وَالأُدَبَاءِ، وَالصَّالِحِينَ العَامِلِيْنَ فِي جِسْمِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي تَعْتَزُّ بِكِتَابِهَا الْقُرْآنِ، وَتَفْتَخِرُ بِدِيْنِهَا الإِسْلَامِ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنَ القَوَانِينِ وَالْأَحْكَامِ، وَمُخْتَلَفِ العُلُومِ الَّتِي تَسْتَقِيمُ بِهَا الحَيَاةُ وَالنِّظَامُ، وَفِي كِتَابِ الله تَعَالَى مَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْفَقِيهُ، وَاللُّغَوِيُّ، وَالْفَلَكِيُّ، وَالْمُؤَرِّخُ، وَالْمُهَنْدِسُ وَالْجُغْرَافِيُّ، وَالْقَانُونِيُّ، وَالنَّبَاتِيُّ، وَعِلْمُ النَّفْسِ، وَعِلْمُ الْأَحْيَاءِ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[1]

الإِسْلَامُ يَدْعُو إِلَى طَلَبِ العِلْمِ وَيُوجِبُ عَلَى أَتْبَاعِهِ وَنَحْنُ مِنْهُمْ أَنْ يَرْحَلُو لِطَلَبِ العِلْمِ وَلَوْ إِلَى أَقْطَارٍ بَعِيدَةٍ إِذَا لَمْ يَتَيَسَّرْ فِي بَلَدِهِمْ فقَالَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

(١) الأنعام (٣٨).

«أُطْلُبُوا العِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ»(1) وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَعَ مَا لَهُمْ مِنْ عُلُومٍ وَفِيرَةٍ وَمَعَارِفَ جَمَّةٍ كَانُوا يَشُدُّونَ الرِّحَالَ مِنْ أَجْلِ طَلَبِ العِلْمِ وَيَجُوبُونَ القِفَارَ بُغْيَةَ المَزِيدِ مِنْهُ، يَقُولُ الله تَعَالَى عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(2)

وَهَذَا مُوسَى كَلِيمُ الله عَلَيْهِ السَّلَامُ سَمِعَ أَنَّ هُنَاكَ عَبْدًا صَالِحًا هُوَ الخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَهُ عِلْمٌ لَيْسَ عِنْدَ مُوسَى فَسَارَ إِلَيْهِ طَوِيلًا حَتَّى الْتَقَى بِهِ، وَطَلَبَ مِنْهُ العِلْمَ بِآدَابٍ واسْتِعْطَافٍ قَائِلًا﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾(3).

وَلَا عَيْبَ أَنْ نَسْتَفِيدَ مِنْ غَيْرِنَا وَخِبْرَةِ الآخَرِينَ فِي مَجَالَاتِ تَطْوِيرِ الْعُلُومِ الْمُخْتَلِفَةِ، بِاسْتِقْدَامِ الْمُدَرِّسِينَ وَالْأَسَاتِذَةِ الْمُتَخَصِّصِينَ فِي شَتَّى العُلُومِ وَالْمَعَارِفِ، فَالْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ.

وَالْيَومَ هاَ هُمْ طُلاَّبُناَ يَتَوَجَّهُونَ إِلَى مَقَاعِدِ الدِّرَاسَةِ وَقَدْ فَتَحَتْ الْمَدَارِسُ أَبْوَابَهَا، لِاسْتِقْبَالِهِمْ عَلَى اخْتِلاَفِ مُسْتَوَيَاتِهِمْ مِنْ طَلَبَةِ الْمَدَارِسِ التَّأْسِيسِيَّةِ، وَالثَّانَوِيَّةِ، وَالْكُلِّيَّاتِ وَالْمَعَاهِدِ الأَهْلِيَّةِ وَالْحُكُومِيةِ، وَلِسَانُ حَالِهِمْ تَقُولُ:

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بسنده عن أنس بن مالك مرفوعا بلفظ (اطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلبه فريضة على كل مسلم) وقال عقبه (هذا الحديث شيه مشهور وسنده ضعيف وقد روي بأسانيد كلها ضعيفة)، (٢/ ٢٥٣)رقم (١٦٦٣).

(٢) طه (١١٤).

(٣) الكهف (٦٦-٦٧-٦٨-٦٩).

نَحْــنُ لِلــدِّينِ جُنْـدُهُ وَحُمَاتُـهُ ... وَلأَبْــرَاجِ عِــزِّهِ لَبِنَاتُــهْ
فَـإِلَى العِلْـمِ وَجِّهُونـاَ فَـإِنَّ الجَهْـلَ ... فِي أُفْقِنَــا بَــدَتْ ظُلُمَاتُــهُ
وَاغْرِسُوا الـدِّينَ فِي القُلُـوبِ نَزِيهًـا ... نَحْنُ غَرْسُ الهُدَى وَأَنْتُمْ سُـقَاتُهْ

فَتَعَيَّنَ الْيَومَ عَلَى الجَمِيعِ مِنْ مَسْئُولِينَ، وَمُرَبِّينَ وَأَوْلِيَاءِ أُمُورٍ، وَمُوَاطِنِينَ كُـلٌّ فِي مَجَالِهِ وَحَسْبِ طَاقَتِهِ وَإِمْكَانَاتِهِ أَنْ يُقَـدِّمَ مَـا مِـنْ شَـأْنِهِ خِدْمَـةُ الْعِلْـمِ وَطَلَبَتِـهِ، بِسَخَاءٍ وَمُسَاعَدَةٍ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ، لِلرَّفْعِ مِنْ مُـسْتَوَى التَّحْـصِيلِ العِلْمِـيِّ، لِنَـسْتَطِيعَ رَأْبَ الصَّدْعِ الَّذِي أَضْعَفَ بُنْيَانَنَا بِفَقْدِ عُلَمَائِنَا الَّذِينَ شَـيَّعْنَاهُمْ بـِالْأَمْسِ القَرِيـبِ، الشَّاطِرِي [1]، ثُمَّ فَقِيهُنَا الْمُتَواضِعِ الَّذِي شَيَّعْناهُ يَومَ السَّبْتِ الْمَـاضِي عُمَـرَ بْـنِ أَحْمَـدَ الْمَشْهُورِ [2]، فَأَنْتَ أَيُّهَا الأَبُ الرَّحِيمُ، وَالْمُرَبِّي الكَرِيمُ، كُنْ خَيْرَ مِعْوَانٍ لِابْنِكَ وَفَلْذَةِ كَبِدِكَ الَّذِي يَجْتَازُ مَرَاحِلَ التَّعْلِيمِ الصَّعْبَةِ مَرْحَلَةً مَرْحَلَةً، إِنَّـهُ بِحَاجَـةٍ مَاسَّـةٍ جِـدًّا لِحَنَانِكَ الأُبَوِيِّ مَادِيًّا وَمَعْنَوِيًّا، إِنَّ اهْتِمَامَكَ بِهِ يَجْعَلُهُ يَعْتَدُّ بِنَفْسِهِ وَيَثِـقُ بِهَـا وَيَـشْعُرُ أَنَّهُ لَهُ كَيَانًا مُهِمًّا فَإِنَّهُ ما أَخَّرَ طُلَّابَنَـا فِي مَجَـالِ التَّحْـصِيلِ العِلْمِـيِّ إِلا إِهْمَـالُ أَوْلِيـاءِ

---

(١) هو السيد الفقيه العلامة المربي القدوة الحسنة الحبيب حسن بن عبدالله بن عمر الشاطري ولـد رحمـه الله تعالى بمدينة تريم في حضرموت في السابع من شهر جمادى الآخرة سـنة ( ١٣٤٦هــ ) أخـذ عـن جملـة مـن مشايخ عصره كوالده الإمام عبد الله بن عمر الشاطري (ت ١٣٦١هـ) و الإمام علوي بن عبد الله بـن شـهاب الدين ( ت ١٣٨٦هـ) و السيد العارف بالله جعفر بن أحمد العيدروس (ت ١٣٩٦هـ) توفي يوم الجمعـة ١١ ربيع النبوي ١٤٢٥هـ، الموافق ٣٠/ ٤/ ٢٠٠٤م.

(٢) هو الشيخ الفقيه العلامة القاضي عمر بن أحمد بن عبدالله المشهور ولد بتريم في أجـواء سـنة ١٣٣٩ هــ ونشأ به أخذ عن جملة من مشايخ عصره كالإمام عبد الله بن عمر الشاطري والـشيخ سـعيد بـن سـعد نبهـان والفقيه زين العابدين الجنيد والفقيه سالم بن سعيد بكير، تولى التدريس بزاوية الشيخ علي، وتولى القضاء بشبام، توفي سنة ١٤٢٥هـ رحمه الله تعالى.

أُمُورِهِمْ وَتَرْكِ الحَبْلِ عَلَى الغَارِبِ، كَوِّنْ صِلَةً قَوِيَّةً بَيْنَ المَنْزِلِ وَالمَدْرَسَـةِ لَا سِـيَّمَا فِي المَرَاحِلِ الأُوْلَى وَالأَخِيرَةِ لِتكُونَ عَـلَى عِلْـمٍ وَدِرَايَـةٍ بِكُـلِّ مَـا يَعْـتَرِضُ ابْنَـكَ مِـنْ صِعَابٍ وَمُشْكِلَاتٍ لِتَتَعَاوَنَ مَعَ المَدْرَسَةِ فِي حَلِّهَا وَتَذْلِيلِ صُعُوبَاتِهَا.

وَأَنْتَ أَيُّهَا المُرَبِّي الفَاضِلُ وَالمُعَلِّمُ الْقَدِيرُ يَا مَنِ اخْتُبِرَ لِحَمْلِ هَذِهِ الْأَمَانَـةِ، بَـلِ الرِّسَالَةِ المُقَدَّسَةِ، وَإِنَّنَا نُقَدِّرُ كُلَّ التَّقْدِيرِ مَا تَقُومُ بِهِ مِنْ عَنَاءٍ وَمَشَقَّةٍ فِي تَرْبِيَةِ الجِيْلِ، إِنَّ لَفْتَةً خَيِّرَةً مِنْكَ وَاحِدَةً قَدْ تُصْلِحُ خَرَابًا وَفَسَادًا يُعْيِي الْأَطِبَّاءَ وَالحُكَـمَاءَ، كَـمَا إِنَّ نَظْرَتَكَ الخَاطِئَةَ لَا قَدَرَ الله تُدَمِّرُ مُسْتَقْبَلَ جِيْلٍ بِكَامِلِهِ، وَ للهِ دَرُّ مَنْ قَالَ:

وَإِذا المُعَلِّـمُ لَم يَكُـن عَـدلاً مَـشى روحُ العَدالَةِ في الشَبابِ ضَـئيلا
وَإِذا المُعَلِّـمُ سـاءَ لَحـظَ بَـصيرَةٍ جاءَت عَلى يَدِهِ البَـصائِرُ حـولا
أَعَلِمتَ أَشرَفَ أَو أَجَلَّ مِنَ الَّذي يَبنـي وَيُنـشِئُ أَنفُـساً وَعُقـولا

وَكَلِمَةٌ تُقَالُ بِهَذِهِ المُنَاسَبَةِ لِلْعُلَمَاءِ الأَجِلاَّءِ وَالوُعَّاظِ وَالمُرْشِـدِينَ مِـنْهُمْ إِنَّهُـمْ فِي المُجْتَمَعِ كَحَداةِ القَافِلَةِ وَهِيَ تَقْطَعُ الصَّحارِيَ وَالْقِفارَ، شَـأْنُهُمْ شَـحْذُ الهِمَـمِ ، وَبَثُّ رُوحِ التَّفَاؤُلِ فِي صُفوفِ النَّاشِئَةِ لأَنَّهَا تَتَأَثَّرُ بِهِمْ سَلْباً وَإِيْجَابًا.

وَبِالجُمْلَةِ فَلاَ بُدَّ مِنْ تَجْنِيدِ كُلِّ الطَّاقَاتِ فِي مَعْرَكَتِنَا مَعَ الجَهْلِ مِنْ كُلِّ فِئَـاتِ المُوَاطِنِينَ إِذاَ ماَ أَرَدْنَا أَنْ نَرْفَعَ مِنْ مُسْتَوَى طُلاَّبِنَا العِلْمِي الَّذِي تَرَدَّى وَأَصْـبَحْناَ فِي المُؤَخِّرَةِ ، بَعْدَ ماَ كُنَّا فِي المُقَدَّمةِ ، وَللهِ فِي خَلْقِهِ شُئُونٌ ، وَلاَ حَـولَ وَلاَ قُـوَّةَ إِلاَّ بـاِللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ ، اَللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ عَرَفَ الحَقَّ وَشَهِدَ بِهِ ، وَحُبِّبَ إِلَيْهِ الخَيْرُ وَعَمِلَ بِهِ ، وَوَفِّقْناَ جَمِيعاً لِمُتَابَعَةِ رُسُلِهِ وَكُتُبِهِ.

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي المُهْتَدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1]،وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[2].

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

(١) سورة العلق آية ( ١-٢-٣-٤-٥)

(٢) سورة آل عمران اية ( ١٨-١٩)

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَـدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَـيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْـدِ الله فَـلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُـبْحَانَهُ مَـا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْوَاتُ ، وَكَلَّتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَـيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلَائِقِ والبَـشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِــهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

أما بعدُ: فيا عِبَادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ: هُنَاكَ حِكْمَةٌ تَقُولُ ( اَلْعِلْمُ سِلاَحٌ ذُوْ حَـدَّيْنِ ) وَعَـلَى العُلَمَاءِ كُلِّ العُلَمَاءِ أَنْ يَتَّقُوْا الله فِيمَا يَحْمِلُونَهُ مِنْ عِلْمٍ ، وَيُبَلِّغُونَ لِطَلَبَتِهِمْ وَمُرِيـدِهِمْ بِكُـلِ أَمانَةٍ وَإِخْلاَصٍ.

فَيـاَ حَمَلَـةَ العِلْـمِ عَلِّمُـوا طَلَبَـتكُمْ الأَدَبَ، وَالأَخْـلاَقَ الفَاضِـلَةَ، عَلِّمُـوهُمْ اَلتَّوَاضُعَ كَيْفَ يُخَاطِبُونَ غَيْرَهُمْ بِأُسْلُوبٍ مُهَذَّبٍ مُـؤَدَّبٍ، أَبْعِـدُوْهُمْ عَـنِ الذَّبْذَبَـةِ وَالنِّفَاقِ عَلِّمُوهُمْ الشَّجاَعَةَ الأَدَبِيَّةَ ، إِنَّناَ بِحاَجَةٍ إِلَى العِلْـمِ الَّـذِي يُوَحِّـدُ صُـفُوفَنَا

وَيَجْمَعُ شَمْلَنَا ، وَيَكُونُ دِرْعاً واَقِياً ضِدَّ الأَعْداَءِ ، وَعَوادِي الزَّمَانِ ، نَحْـنُ بِحاَجَـةٍ إِلَى العِلْمِ الَّذِي نَقْضِي بِهِ عَـلَى الجَهْـلِ وَالتَّخَلُّـفِ الرَّهِيـبِ الَّـذِي لَحِـقَ بِنَـا نَتيجَـةَ الاسْتِعْمَارِ وَالْغَزْوِ الثِّقَافِي الَّذِي تَسَرَّبَ إِلَى عُقُولِنَا وَتَغَلْغَـلَ فِي نُفُـوسِ شَـبابِنَا ذُكُـوراً وَإِناَثاً حَتَّى كاَدَ أَنْ يَمْسَحَ ذاَتَنا، وَيُقَوِّضَ البَقِيَّةَ الباَقِيَةَ مِنْ أَمْجاَدِنَا.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ: إِنَّناَ بِفَقْدِ العاَلِمَيْنِ الجَلِيلَيْنِ ، الشَّاطِرِي وَالْمَـشْهُورِ ، وَمـاَ خَلَّفَاهُ مِنْ ثَغْرَةٍ لاَ تُسَدُّ إِلاَّ بِإِيْجَادِ الخَلاَئِفِ لَهُـمَا ، وَقَـدْ جَعَـلَ الله سُـبْحانَهُ فِي هَـذِهِ الأُمَّـةِ اَلْمُحَمَّدِيَّـةِ الـدُّعاَةَ إِلَى الهُـدَى وَالْمُجَـدِّدِينَ لِماَ انْـدَرَسَ مِـنْ أَعْـلاَمِ الـدِّيْنِ ، وَانْطَمَسَ مِنْ مَعاَلِمِ اليَقِينِ ، وَمِنْ كَلاَمِ الإِمَامِ عَلِيٍّ كَرَّمَ الله وَجْهَهُ: «اللَّهُـمَّ لا تَخْلُـو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لَكَ بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِرٌ مَشْهُورٌ، أَوْخامِلٌ مَقْهُورٌ »[1]. وَفِي الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِـنْ أُمَّتِـي ظَـاهِرِيْنَ عَـلَى الحَـقِّ لَا يَـضُرُّهُمْ مَـنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ »[2] وَقـاَلَ عَلَيـهِ الـصَّلاَةُ وَالـسَّلاَمُ: « إِذا

(١) هو جزء من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أخرجه عنه أبو نعيم في حلية الأولياء بسنده عنه(١/ ٨٠) دون قوله ( إما ظاهر...إلخ).

(٢) الحديث في الصحيحين وعند الترمذي في سننه كما هو عند غيرهم من أهل الحديث، فقد أخرجه البخاري في صحيحه(٢/ ٢٦٦٧)، (١٠باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم أهل العلم )، رقم(٦٨٨١)، بسنده عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه،كما أخرجه مسلم في صحيحه في أكثر من موضع بألفاظ متقاربة،أولها(٣/ ١٥٢٣) (٥٣ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم)، رقم(١٩٢٠، ١٩٢١) عن ثوبان والمغيرة رضي الله عنهما ولفظ المغيرة بلفظه في البخاري، كما أخرجه عن غيرهما.

ظَهَرَتْ الْفِتَنُ ( أَوْ قَالَ الْبِدَعُ ) وَسُبُّ أَصْحَابِي فَلْيُظْهِرِ العَالِمُ عِلْمَهُ، فَمَـنْ لَمْ يَفْعَـلْ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ الله مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا)) [1].

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ الله عَنْهُ :(( أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَوْ قَالَ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ فَاجِرٌ عَلِيمُ اللِّسانِ )) [2] وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ الله عَنْهُ : (( قَصَمَ ظَهْرِي رَجُلَانِ، عَالِمٌ مُتَهَتِّكٌ، وَجَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ، هَذَا يُنَفِّرُ النَّاسَ بِتَهَتُّكِهِ، وَهُذَا يَغُرُّ النَّاسَ بِتَنَسُّكِهِ )) [3] وَقَدْ قِيلَ (( مَنْ تَصَوَّفَ وَلَمْ يَتَفَقَّهْ فَقَدْ تَزَنْدَقَ)).

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في كتابه( الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع )، (٢ / ١١٨) رقم(١٣٥٤) وفي إسناده محمد بن عبد المجيد المفلوج، ذكر الذهبي في الميزان وابن حجر في اللسان حديثه المذكور من مناكيره،ينظر ميزان الاعتدال في ترجمة المذكور (٦/ ٢٤١)، رقم الترجمة (٧٧٦٠٧٨٩٣)، لسان الميزان (٥ / ٢٦٤) رقم الترجمة (٩١١).

(٢) أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه(ج١/ ص١٤١)، (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان) رقم (١٣٧) كما أخرج أيضا في مسنده (ج١/ ص ٢٩٧) عن أَبِي عثمان النهدي قال إني لجالس تحت منبر عمر رضي الله عنه وهو يخطب الناس فقال في خطبته سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة كل منافق عليم اللسان)رقم(٢٩٣) وابن حبان في صحيحه (ج١/ ص ١٥٦) عن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخوف ما أخاف عليكم جدال المنافق عليم اللسان) والطبراني في المعجم الكبير(ج ١٣/ ص ١٤٩) عن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان) والبزار في مسنده من حديث عمر بن الخطاب حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم...الحديث(١/ ٣٩٤) رقم (٣٠٥)، ومن حديث عمران بن حصين (٨/ ٣٧٤) رقم(٢٩٧١) وأبي يعلى في معجمه بسنده (ج١/ ص٣٥٣) قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:( كنا نتحدث أن ما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم اللسان )، وفي الترغيب والترهيب (ج١/ ص٣١) رواه الطبراني في الكبير و البزار ورواته محتج بهم في الصحيح، وفي مجمع الزوائد بعد ذكر رواية عمران(رواه الطبراني في الكبير والبزار ورجاله رجال الصحيح، وقال أيضا في رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه (رواه البزار وأحمد وأبو يعلى ورجاله موثقون)، (ج١/ ص ١١٣).

(٣) ذكره عنه أبو حيان في تفسيره البحر المحيط (١/ ٢٤٣) والرزاي في تفسيره (٢/ ٧٢) دون قوله (هذا ينفر الناس...إلخ) وفي تفسير حقي(ج٢/ ص ٢٢٢) بلفظ ( قصم ظهرى رجلان عالم متهتك وجاهل

وَمِنْ هُنا يَتبَيَّنُ ويتَّـضَحَ أنَّ اَلْعـالِمَ التَّقِـيَّ اَلْمُـصْلِحَ خَـيْرٌ كُلُّـهُ ، وَنفـعٌ كُلُّـهُ ، وَصَلاَحٌ لِنَفْسِهِ وَلِلْمُسْلِمِيْنَ ، وَأَنَّ العـالِمَ الَّـذِي لا يَتَّقِـي الله وَلاَ يَخْشاهُ شَرٌّ كُلُّـهُ ، وَبَلاَءٌ كُلُّهُ ، وَفِتْنَةٌ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى المُسْلِمِينَ.

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَـلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُـبْرَى ، و عَـنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَـاتِ الــمُؤْمِنِينَ ، وعَـنْ عَمَّـي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيِّـكَ تَحْـتَ الـشَّجَرَةِ، طَلْحَـةَ والزُّبَيْـرِ ، وسَـعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْـحَابِ رَسُـولِ الله رِضْـوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

---

متنسك لان العالم ينفر الناس عن العلم بتهتكه والجاهل يرغب الناس فى الجهل بتنسكه) والغزالي في الإحياء (١/ ٦٢)،والمناوي في فيض القدير دون الزيادة المذكورة (٦/ ٣٧٨).

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَـةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا؛ اكْشفْ كَرْبَنَا، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ فَـرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَـا ، وابْـسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلادَ الـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْـلِحْ ذَاتَ بَينِنَـا ، وأَلِّـفْ بَـينَ قُلُوبنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِـمَا فَعَـلَ الـسُّفَهَاء مِنَّـا ، واجْعَـلْ وِلَايَتَنَـا فِـيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُـزَاةِ والمُـسَافِرِينَ في بَـرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْـقِنَا غَيْثَـاً مُغِيثاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

عِبَـــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَ الله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# الحكام ما لهم وما عليهم[1]

# الحكم أمانة

## الخطبة الأولى

الحَمْدُ لله الَّذِي أَمَرَنا بِالتَّمَسُّكِ بِعُرْوَتِهِ الوُثْقَى الَّتِـي لا تَنْفَـصِمُ وَالاعْتِـصامِ بِحَبْلِهِ المَتِينِ ، فَمَنْ اعْتَصَمَ بِهِ فازَ وَغَنِمَ ، وَمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ نَجا وَسَلِمَ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، جَمَعَ القُلُوبَ بِفَـضْلِهِ ، وَأَعْطَـى كُلَّ شَيْء خَلْقَهُ ، وَكُلَّ كـائِنٍ حَقَّـهُ ، ثُـمَّ هَـدَى ، وَأَشْـهَدُ أَنَّ سَـيِّدَنا مُحمـداً عَبْـدُهُ وَرَسُولُهُ، عاشَ طِيْلَةَ حَياتِهِ لأُمَّتِهِ لا لِذاتِهِ ، فَلَمْ تُشْغِلْهُ فِي دُنْيـاهُ رَغْبَـةٌ ، وَلَمْ تُوقِفْـهُ عنْ نَشْرِ دَعْوَتِهِ رَهْبَةٌ ، بَـلْ أَخْلَـصَ لله العَمَـلَ ، وَأَقـامَ أُمَّـةَ التَّوحِيـدِ وَالوَحْـدَةِ ، وَحُكُومَةَ العَدْلِ وَالرَّشادِ وَالحِكْمَةِ.

اللَّهُمَّ صَلِ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَـحْبِهِ الَّـذِينَ اتَّبَعُـوا الحَقَّ وَسـارُوا عَـلَى هُـداه، فَـأَعَزَّهُمُ الله ، وَمَكَّـنَ لَهُـمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَهُـمْ أَئِمَّـةً وَجَعَلَهُم الوَارِثِينَ ، وَرَضِيَ الله عَنْهُمْ وَأَرْضاهُمْ ، وَكَتَبَ لَهُمْ الـسَّعادَةَ وَالتَّوفِيـقَ ، فَمَهَّدُوا لَنا أَقْوَمَ طَرِيقٍ.

أَمَّا بَعْدُ: فَيا عِبادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى ، فَتَزَوَّدُوا مِنْها بِأَوْفَرِ زَادٍ ، وَادَّخِرُوها لِيَومِ الحَشْرِ وَالمَعادِ.

---

(١) هذه الخطبة حضرها الرئيس علي عبدالله صالح أثناء زيارته لحضرموت تاريخ ٥/ ٣/ ١٤٢٠ هـ.

عِبادَ الله: يَقُولُ الله جَلَّ جَلالُهُ مُخاطِباً جَمِيعَ عِبادِهِ المُؤْمِنِينَ وَمُمْتَناً عَلَيهم بِالخِلافَةِ الكُبْرَى، وَالسِّيادَةِ العُظْمَى فِي أَرْضِهِ الطَّيِّبَةِ الواسِعَةِ مُنْذُ الخَلِيفَةِ الأَوَّلِ، أَبِي البَشَرِ آدَمَ عَلَيهِ السَّلامُ، وَمَنْ بَعْدَهُ إِلَى يَومِنا، بَلْ إِلَى يَومِ أَنْ يَرِثَ الله الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيهَا، حَيثُ يَقُولُ وَهُوَ أَعَزُّ القائِلِينَ: الآخِرَة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[1] وَقالَ عَزَّ مِنْ قائِلٍ ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

أَيُّها الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ: إِنَّ تَحَمُّلَ مَسْئُولِيَّةِ الحُكْمِ وَالسُّلْطَةِ فَرْضُ كِفايَةٍ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مُؤَهَّلٍ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ وَعلى كُلِّ مَنْ عِنْدَهُ الاسْتِعْدادُ التَّامُ، وَالمُؤَهَّلاتُ اللازِمَةُ، لِتَحَمُّلِ هَذِهِ الأَمَانَةِ العُظْمَى فِي كُلِّ زَمانٍ وَمَكانٍ وَهِيَ بِحَقٍّ وَحَقِيقٍ مُهِمَّةٌ صَعْبَةٌ وَصَعْبَةٌ جِداً، لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَمَّلَها إِلا الرِّجالُ الكُمَّلُ، وَأُولُو العَزائِمِ، وَذَوُوا الأَصالَةِ وَالأَمانَةِ وَالثِّقَةِ، وَالحِنْكَةِ وَالخِبْرَةِ، وَالحِكْمَةِ، إِنَّها مَسْئُولِيَّةٌ أَمامَ الله يومَ يَقِفُ أَمامَهُ لِلْحِسابِ وَالنِّقاشِ عَلَى الدَّقِيقِ وَالجَلِيلِ، وَهِيَ مَسْئُولِيَّةٌ مُحاسَبٌ عَلَيْها أَمامَ التَّارِيخِ وَالْوَطَنِ وَالأُمَّةِ، وَفِي مِثْلِ هَذا يَقُولُ الخَلِيفَةُ الفارُوقُ عُمَرُ رَضِيَ الله عَنْهُ عِنْدَ ما أُسْنِدَتْ إِلَيهِ خِلافَةُ المُسْلِمِينَ يَقُولُ قَوْلَتَهُ المَشْهُورَةُ: «لَو أَنَّ بغْلَةً عَثرَتْ فِي سَوادِ العِراقِ لَسُئِلَ عَنْها عُمَرُ لِماذا لَمْ تُصْلِحْ الطَّرِيقَ يا عُمَرُ» فَهَلْ كانَ عُمَرُ مَسْئُولُ بَلَدِيَّةٍ أَمْ أَنَّهُ الحاكِمُ الأَوَّلُ؟ وَعَلَى هَذا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الحاكِمُ المُتَواضِعُ خادِماً لِلأُمَّةِ لا سَيِّداً عَلَيها تُطَأْطَأُ لَهُ الرِّقابُ،

(١) الأنعام (١٦٥).

(٢) القصص (٨٣).

وَتُسَخَّرُ لَهُ الحِرابُ ، وَلِذَلِكَ زَهِدَ فِيهَا المُتَّقُونَ ، وَفَرَّ مِنْها المُشَمِّرُونَ ، الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ، وَمَنْ ابْتُلِيَ مِنْهُمْ بِذَلِكَ وَفُرِضَ عَلَيهِمْ وَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِمَّا هُنالِكَ كانَ عَلَى غايَةٍ مِنَ الخَوفِ وَالإِشْفاقِ وَالتَّحَفُّظِ وَالاحْتِياطِ حَتَّى قالَ عُمَرُ ﷺ مَعَ ما كانَ عَلَيهِ مِنْ كَمالِ العَدْلِ وَنِهايَةِ الاحْتِرازِ «مَنْ يَأْخُذْها بِما فِيهَا - يَعْنِي الإمارَةَ - وَدِدْتُ أَنِّي أَنْجُو مِنْها كَفافاً لا عَلَيَّ وَلا لِي، ليت أم عمر لم تلد عمر ليتها كانت عقيماً»، وَكانَ مِنْ شِدَّةِ خَوفِهِ مِنَ الإِضاعَةِ لِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ المُسْلِمِينَ وَحُسْنِ النَّظَرِ فِيهَا لا يَنامُ إِلا خَفقاناً وَهُوَ قاعِدٌ ، وَيَقُولُ: «إِنْ نِمْتُ بِالنَّهارِ ضَيَّعْتُ أُمُورَ المُسْلِمِينَ ، وَإِنْ نِمْتُ لَيلاً ضَيَّعْتُ نَفْسِي ، فَكَيفَ لِي بِالنَّومِ بَينَ هاتَينِ» ؟

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ: كَما قُلْتُ آنِفاً الوُلاةُ لا بُدَّ مِنهِمْ وَلا غِنًى لِلنَّاسِ عَنْهُمْ ، وَلا يَصْلُحُ الناسُ فَوضَى لا قِيادَةَ لَهُمْ ، وَالْوِلايَةُ أَمْرٌ خَطِيرٌ وَالوُلاةُ فِي غَايَةِ الخَطَرِ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ قامُوا بِما يَلْزَمُهُمْ مِنْ حَقِّ الأُمَّةِ تَعِبُوا وَنَصِبُوا ، وَإِنْ ضَيَّعُوا ذَلِكَ هَلَكُوا وَعَطِبُوا ، وَقَدْ قالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِنَّكُمْ سَتَحْرُصُونَ عَلَى الإِمارَةِ ، وَإِنَّها سَتَكُونُ نَدامَةً يَومَ القِيامَةِ» [١] وَقالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيهِمْ فاشْقُقْ عَلَيهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ» [٢] وَقالَ أَيْضاً: «مَا مِنْ وَالِي ثَلاثَةٍ إِلا لَقِيَ الله مَغْلُولَةً يَمِينُهُ، فَكَّهُ عَدْلُهُ، أَوْ غَلَّهُ جَوْرُهُ» [٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ٢٠٦): رواه الطبراني في الأوسط وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني وثقه ابن حبان وغيره وكذبه أبو حاتم وأبو زرعة، وبقية رجاله ثقات.

لِذا وَجَبَ عَلَى مَنْ وَلِيَ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ المُسْلِمِينَ أَنْ يَحْتَرِزَ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّهُ ظُلُماتٌ يَومَ القِيامَةِ ، وَهُوَ أَساسُ الخَرابِ وَأَصْلُ الفَسادِ ، وَسَبَبُ الدَّمارِ وَالْبَوارِ ، وَإِذا عُرِفَ بِهِ وَانْتَشَرَ عَنْهُ كَرِهَتْهُ الأُمَّةُ ، وَنَفَرَتْ مِنهُ ، وَأَحَبَّتْ زَوالَهُ ، وَانْطَلَقَتْ أَلْسِنَتُها بِذِمِّهِ وَالدُّعاءِ عَلَيهِ ، قالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»(١)، وَالصَّلاةُ هِيَ الدُّعاءُ.

أَيُّها المُسْلِمُونَ: إِنَّ الحاكِمَ وَالحُكَّامَ وَالحُكُومَةَ لا تَسْتَطِيعُ بِمُفْرَدِها وَبِأَجْهِزَتِهَا أَنْ تُنْقِذَ شَعْباً مُتَخَلِّفاً، أَوْ تُصْلِحَ وَضْعاً فاسِداً ، أَوْ تَبْنِيَ عُمْراناً مُنْهَدّاً ، أَوْ تُنْشِئ مَشْرُوعاً وَطَنِيًّا ، إِلا إِذا وَضَعَتْ يَدَها فِي أَيْدِي شَعْبِها ، وَتَعاوَنَ الجَمِيعُ عَلَى إِصْلاحِ البِلادِ ، وَمُحارَبَةِ الفَسادِ بِكُلِّ أَنْواعِهِ ، وَلَيسَ الفَسادُ فِي رَأْيِنا هُوَ ضَعْفُ الاقْتِصادِ وَرَفْعُ الأَسْعارِ فَحَسْبُ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ هُوَ المِعْيارُ الوحِيدُ وَالمِقْياسُ الأَمْثَلُ لِلْفَسادِ الَّذِي يُقِيمُ الشُّعُوبَ وَيُقْعِدُها الْيَومَ، هَذا وَإِنْ كانَ ذَلِكَ فَساداً إِلا أَنَّهُ لا بُدَّ مِنَ الإِصْلاحِ مِنَ الدَّاخِلِ أَيْ مِنْ دَاخِلِ النَّفْسِ ، لا بُدَّ مِنْ عِلاجِ نُفُوسِ الحاكِمِينَ وَالمَحْكُومِينَ مِنَ الأَمْراضِ الَّتِي عَشَّشَتْ وَباضَتْ وَأَفْرَختْ فِيهَا ، لا بُدَّ مِنْ نَبْشِها وَإِصْلاحِها مِنَ الدَّاخِلِ ، إِنَّ ثَمَّةَ أَخْطاءٌ كَثِيرَةٌ ، فَيُلاحَظُ الإِسْرافُ وَالتَّبْذِيرُ فِي المَالِ العامِ فَيُنْفَقُ جِزافاً فِي الرَّحَلاتِ ، وَالحَفَلاتِ وَالضِّيافاتِ ، وَالمُحْسوبياتِ مِمَّا أَرْهَقَ خَزِيْنَةَ الدَّوْلَةِ ، وَأَغْرَقْنا فِي الدُّيُونِ وَالقُرُوضِ الرِّبَوِيَّةِ المُجْحِفَةِ لِمُجَرَّدِ المَظاهِرِ الفارِغَةِ ، وَالمُجامَلاتِ الدِّبلوماسِيَّةِ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم.

مُسايَرَةً لِلْعَصْرِ وَتَمَشِّياً مَعَ مُتَطَلَّباتِ الزَّمَنِ وَمُجاراةً مَعَ مَفاهِيمِ المَدَنِيَّةِ وَالحَضارَةِ كَما يَقُولُونَ، وَلا نَزِيدُ الطِّينَ بَلَّةً، وَالنَّارَ وَقْدَةً، وَلا نُرِيدُ إِثارَةَ الفِتَنِ ، فالْفِتْنَةُ نائِمَةٌ لَعَنَ اللهُ مَنْ أَيْقَظَها، إِنَّ أَعْداءَنا يَفْرَحُونَ لِما قَدْ يَحْدُثُ وَيَحْدُثُ بَيْنَنَا، فَلْنُفَوِّتِ الفُرَصَ عَلَيهِمْ ، وإِنَّ ما قَدْ يَحْصُلُ مِنْ اهتِزازاتٍ فِي مُجْتَمَعِنا ، وَانْتِكاساتٍ فِي أَوْضاعِنا، سَيَكُونُ لَهُ أَسْوَءُ الأَثَرِ وَأَوْخَمُ النَّتائِجِ ، وَلَقَدْ شَهِدَتْ بِلادُنا اليَمَنُ الحَبِيبَةُ فِي تارِيخِها الحَدِيثِ وَالمُعاصِرِ كثَيراً مِنَ التَّغَيُّراتِ وَالتَّقَلُّباتِ وَالانْقِلاباتِ ، وَهُوَ مِمَّا أَخَّرنا وَيُؤَخِّرُنا إِلَى الوَراءِ سَنَواتٍ حَتَّى أَصْبَحَتْ كالمَرَضِ العُضَالِ المُزْمِنِ.

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ: إِنَّ الحُكْمَ وَتَوْلِيه ابْتِلاءٌ وَاخْتِبارٌ لِلأَصالَةِ فَهَذا داودُ المَلِكُ الخَلِيفَة وَالرَّسُولُ النَّبِيُّ الأَوَّابُ عَلَيهِ وَعَلَى نَبِيِّنا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَأَزْكَى السَّلامِ وَابْتِلاؤهُ فِي الحُكْمِ ، قَالَ اللهُ فِي حَقِّهِ ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۝٢١ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾(1). نَبَّهَهُ اللهُ وَهُوَ نَبِيٌّ مَعْصُومٌ إِلَى الحُكْمِ وَالعَدْلِ وَالإِنْصافِ وَعَدَمِ الشَّطَطِ ، وَالجَورِ وَالظُّلْمِ وَالزِّيادَةِ وَالنُّقْصانِ فِي حَقِّ الخَصْمَينِ، وَلْنَتَذَكَّرَ دائِماً تارِيخَ بَعْضِ الحُكَّامِ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَالخَلَفِ إِذا تَوَلَّوا شَيْئاً مِنْ أُمُورِ المُسْلِمِينَ فُرِضَ عَلَيهِمْ لَمْ يَعُدُّوهُ مَغْنَماً أَوْ ثَمَناً لِما أَنْفَقُوهُ مِنْ مالٍ أَوْ جُهْدٍ بَلْ عَدَّوهُ أَمانَةً فِي أَعْناقِهِمْ ، وَامْتِحاناً مِنَ اللهِ لَهُمْ ، لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ بَلْ حَقَّ اليَقِينِ بَلْ عَينَ اليَقِينِ، أَنَّهُمْ موقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَسْئُولُونَ عَنِ الدَّقِيقِ وَالجَلِيلِ .

(1) سورة ص ٢١-٢٢.

وَتَـذَكَّرُوا قَـولَ الله جَـلَّ فِي عُـلاهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾(١) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾(٢).

إِنَّنا قَـدْ نَجْنِـي عَـلَى أَنْفُـسِنا مِـنْ حَيْـثُ أَرَدْنـا إِصْـلاحَها ، وَإِنَّ مـا نُـسَمِّيهِ بِالدِّيمِقْراطِيَّةِ قَدْ يُساءُ فَهْمُهُ أَوْ نَسْتَعْمِلُهُ بِطَرِيقَةٍ مَعْكُوسَـةٍ، إِنَّ الدِّيمِقْراطِيَّـة الَّتِـي نَتَغَنَّى بِها وَنتـشَدَّقُ بِهـا فِي خُطَبِنَـا وَحَفْلاتِنـا بَعِيـدَةٌ كُـلَّ الْبُعْـدِ عَـمَّا نَـسْمَعُهُ عِنْـدَ الأُوْرَبِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَسْتَعْمِلُ هَذا السِّلاحَ اسْتِعْمالاً صَحِيحاً، إِنَّنا أُمِّيُّونَ فِي هَـذا المَجالِ لَيْسَ بِالنِّسْبَةِ لِحُكَّامِنا فَحَسْبُ بَلْ لَنا نَحْـنُ الْمُـواطِنِينَ ، وَكَـما تَكُونُـوا يُـوَلَّى عَلَيكُمْ ، وَأَعْمالُكُمْ عُمَّالَكُمْ ، فَقارِبُوا وَسَدِّدُوا ، ، إِنَّ حُكَّامَنـا الَّـذِينَ عِـشْنَا مَعَهُـمْ وَحَكَمُونا مُدَّةً طالَتْ أَمْ قَصُرَتْ، إِنَّنا لَمْ نُثْنِ عَلَى أَحَـدٍ مِـنْهُمْ، لَمْ نَـتَرَحَّم عَلَـيهِمْ، لَمْ نُودِّعْهُمْ بِالأَسَفِ وَالْبُكاءِ، لَمْ نَـتَرَضَّ عَـنْهُمْ، إِمَّـا لأَنَّهُـمْ لَمْ يَـسْتَحِقُّوا التَّكْـرِيمَ لِـما عَمِلُوهُ، أَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا عَـلَى مُـسْتَوَى المَـسْئُولِيَّةِ، أَوْ أَنَّنـا نُنْكِـرُ الجَمِيـلَ وَنَتَنَكَّـرُ لِلنَّاسِ الطَّيِّبِينَ ، إِنَّ كَثِيراً مِنْ حُكامِنـا قابَلْنـاهُمْ فِي البِدايَـةِ بِالتَّرْحِيـبِ وَالتَّـصْفِيقِ وَلَكِنْ تتغَيَّرُ الصُّورَةُ فِيها بَعْدُ شَيْئاً فَـشَيْئاً، وَإِنَّ كَثِـيراً مِـنْهُمْ فِعْـلاً كـانُوا طَيِّبِـينَ فِي الْبِدايَةِ، وَلَكِنَّا لِحُمْقِنا أَحْياناً نُعْطِيهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْتَحِقُّونَ حَتَّى يَغْتَرُّونَ، وَفِي الأَخِـيرِ يفْسدُونَ، وَنَحْنُ الَّـذِينَ تـسَبَّبْنا فِي ذَلِـكَ ، فَـصارَ الْمُجْتَمَـعُ كُلُّـهُ فاسِـداً، إِنَّـهُ مِـنَ

(١) النساء (٥٨).

(٢) الرعد (١١).

المُسْتَحِيلِ أَنْ يُوْجَدَ فِي مُجْتَمَعٍ مُتَخَلِّفٍ كَمُجْتَمَعِنا هَذا حاكِمٌ مِثالِي كَعُمَـرَ بْـنِ عَبْـدِ العَزِيزِ فَضْلاً عَنْ جَدِّهِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ فِي عَدالَتِهِ لأَنَّ الناسَ غَيرُ الناسِ وَالْوَسَـطُ غَيرُ الوَسَطِ، «إِنَّكَ لا تَجْنِي مِنَ الشَّوْكِ العِنَب»[1].

هَؤُلاءِ حُكَّامُنا وَما لَهُمْ وَما عَلَيهِمْ ، وَنَحْنُ وَما لَنا وَما عَلَينَـا ، إِنَّنـا لا نَـدْعُو عَلَيْهِمْ بِالْهَلاكِ وَالدَّمارِ ، بَـلْ نَـسْأَلُه تَعـالَى أَنْ يُـسَدِّدَ خُطانـا وَخُطـاهُمْ ، وَيَأْخُـذُ بِنَواصِينَا وَنَواصِي وُلاتِنا إِلَى ما فِيهِ خَيرُ العِبادِ وَالْبِلادِ ، وَمَهْما كانَ الـوَالِيُّ مُـصْلِحاً حَسَنَ الرَّعايَةِ جَمِيلَ السِّيرَةِ ، كانَ عَلَى الرَّعِيَّةِ أَنْ يُعِينُوهُ بِالـدُّعاءِ لَـهُ ، وَالثَّنـاءِ عَلَيـهِ بِالْخَيرِ وَمَهْما كـانَ مُفْـسِداً مُخَلِّطـاً كـانَ عَلَـيهِمْ أَنْ يَـدْعُوا لَـهُ بِالـصَّلاحِ وَالتَّوفِيـقِ لِلاسْتِقامَةِ، وَأَلا يُشْغِلُوا أَلْسِنَتَهُمْ بِذَمِّه وَالدَّعاءِ عَلَيهِ ، فَـإِنَّ ذَلِـكَ يَزِيـدُ فِي فَـسادِهِ وَاعْوِجاجِهِ، وَيَعُودُ وَبالُ ذَلِكَ عَلَيهِمْ قالَ الفُضَيلُ بْنُ عِياضٍ رَحِمَهُ الله تَعالَى: «لَـوْ كانَتْ لِي دَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ لَمْ أَجْعَلُها إِلا لِلإِمامِ»[2]، لأَنَّ الله إِذا أَصْـلَحَ الإِمـامَ أَمِـنَ العِبادُ وَالبِلادُ.

---

(١) أي لا تجد عند ذى المنبت السوء جميلاً، والمثل من قول أكثم بن صيفي.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (٨/ ٩١) طبعة دار الكتاب العربي.

وَاللهُ يَقُـولُ وَبِقَولِـهِ يَهْتَـدِي المُهْتَـدُونَ ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1] وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَـرِيمٍ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[2].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[3]

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِيـاكُمْ مِـنَ الآيـاتِ وَالـذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) الحج (٤٠-٤١).

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَــهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَــهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الـصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَــهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَــهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

أما بعدُ: فيا عِبَادَ الله: أُوصِـيكُمْ وَنَفْـسِيَ بِتَقْـوَى الله تَعـالى، اتَّقُـوا الله مِـنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أَيُّها المُسْلِمُونَ: لَقَدْ أَمَرَنا الله تَعالَى بِما أَمَـرَ بِـهِ أَنْبِيـاءَهُ وَرَسُـلَهُ ، وَحَكَـى لَنـا الكَثِيرَ مِنْ قِصَصِهِمْ فِي حُكْمِهِـم وَعَـدالَتِهِمْ وَإِرْشَـادِهِمْ ، فِي مَواضِـعَ كَثِـيرَةٍ مِـنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ لِنَأْخُذَ الدَّرْسَ وَالعِبْرَةَ وَالمُوعِظَةَ الحَسَنةِ فقَالَ تَعالَى فِي حق إِبْـراهِيمَ الخَلِيلِ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾[1].

---

(١) الأنبياء ٥١.

وَقالَ فِي حَـقِّ يَحْـيَ عَلَيـهِ الـسَّلامُ ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾[1] وَفِي حَـقِّ داودَ وَسُلَيْمانَ عَلَيهِما السَّلامُ ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[2] وَفِي حَـقِّ يُوسُـفَ عَلَيـهِ الـسَّلامُ ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3].

وَهَذا خَلِيفَةُ رَسُولِ الله الأَفْضَلُ الصِّدِّيقُ رَضِيَ الله عَنـهُ يَقُـولُ عِنْـدَ مـا وَلِيَ الخِلافَةَ ( فَإِنْ أَصَبْتُ الحَقَّ فَأَعِينُونِي عَلَيهِ وَإِنْ أَخْطَأْتُهُ فَقَوِّمُونِي ) فَقـالَ رَجُـلٌ مِـنْ أُخْرَياتِ المَجْلِسِ: وَالله لَنُقَوِّمَنَّكَ بِحَدِّ سُيُوفِنا ) فَقـالَ أَبُـو بَكْـرٍ ( الحَمْـدُ لله الَّـذِي أَوْجَدَ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ مَنْ يُقَوِّمُ أَبا بَكْرٍ بِحَدِّ سَيْفِهِ أَوْ كَما قالَ رَضِيَ الله عَنهُ.

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ: الكَثِيرُ مِنَّا يَطْلُبُ العَدْلَ مِنَ الآخَرِينَ فِيما لَهُ ، وَإِنْ كـانَ غَيرَ مُحِقٍّ فِي مَطْلَبِهِ ، وَملأنا الدُّنْيا صِياحاً وَضَجِيجاً إِذا لَمْ يُنْصِفْنا الآخَرُونَ ، وَيَقِفُ المُتَخاصِمانِ أَمامَ الحاكِمِ وَيَدَّعِي كُلٌّ مِنْهُما أَنَّهُ عَلَى الحَقِّ مَعَ العِلْمِ فِي قَرارَةِ نَفْسِهِ أَنَّـهُ عَلَى الباطِلِ فَيَصِفُ الحاكِمُ بِأَنَّهُ ظالِمٌ ، وَيَسُبُّ الحاكِمَ إِذا لَمْ يَصْدُرْ الحُكْمَ لِـصالِحِهِ ، وَيَسُبُّ الدَّولَةَ وَأَجْهِزَتِها وَيَدْعُو بِالْوَيلِ وَالثُّبُورِ وَعَظائِمِ الأُمُورِ ، غَيرَ أَنَّـهُ عِنْـدَ مـا يَصْدُرُ الحُكْمُ لِصالِحِهِ بِأَيِّ حالٍ مِنَ الأَحْوالِ يُثْنِي عَلَى الحاكِمِ وَالحُكُومَةِ ، وَيَـدَّعِي أَنَّ الدُّنْيا لا زَالَتْ بِخَيْرٍ وَأَنَّ عَلَمَ العَدَالَةِ لا يَزَالُ يُرَفْرِفُ.

---

(١) مريم ١٢.

(٢) الأنبياء ٧٨-٧٩.

(٣) يوسف ٥٦.

هَذه طَرِيقَتُنا وَهَؤُلاءِ حُكَّامُنا ما لَهُمْ وَما عَلَيهِمْ، لِماذا شَقَّ عَـلَى النـاسِ غَـلاءُ الأَسْعارِ فَحَسْبُ، لِماذا لَمْ يَشُقَّ عَلَيهِمْ انْتِهاكُ الحُرُماتِ وَالْمَفاسِدِ.

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ الْمُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِرَاً وآمِرَاً لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ .اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِـي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ ﷺ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْدِالله الـحُسَينِ وعَلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجْلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَام والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ

الـجِنَانِ.اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَافِرِ الذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوع بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ علَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَونَاً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثَاً مُغِيثَاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ .

عِبَـــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# خلَافة الله في أرضه

## الخطبة الأُولَى

الحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَنَا خَيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَوَهَبَ لَنَا العَقْلَ وَالحِكْمَةَ لِنُمَيِّزَ بَينَ الضَّارِّ وَالنَّافِعِ، وَالصَّحِيحِ وَالْبَاطِلِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَأَهَّلَنَا لِلْخِلَافَةِ فِي الْأَرْضِ لِنُعَمِّرَهَا، نُثَبِّتَ دَعَائِمَ الْإِيمَانِ وَالْعَدَالَةِ فِي رُبُوعِهَا، وَنَعِيشُ فِيهَا قَادَةً أَعِزَّاءَ أَقْوِيَاءَ كُرَمَاءَ.

وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيك لَهُ، أَمَرَنَا بِكُلِّ مَا يُصْلِحُنَا فِي الدَّارَيْنِ، وَنَهَانَا عَمَّا يُكَدِّرُ صفْوَنَا فِي الحَيَاتَينِ.

وأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْنِ، بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ كَامِلَةً، وَأَتَمَّ بِهِ نعْمَتَهُ الشَامِلَةَ ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[1].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَصَابِيح الهُدَى، وَنُجُومِ الاهْتِدَاءِ.

أَمَّا بَعْدُ: فأُوصِيكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعَالَى، فَاتَّقُوا الله فِيمَا ائْتَمَنكُمْ عَلَيهِ مِنَ الأَهْلِ وَالمَالِ وَالْوَلَدِ، وَمَا خَوَّلَكُمْ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي لَا تُحْصَى وَلَا تُعَدُّ، وَمِنْ أَهَمِّهَا الوَطَنُ وَالْبَلَدُ.

---

(١) سورة المائدة آية (٣).

عِبَادَ اللهِ: يَقُولُ اللهُ تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾[1].

ظَهَرَ الإِسْلَامُ وَقَامَتْ دَولَتُهُ عَلَى يَدِ مُؤَسِّسِهَا وَقَائِدِهَا مُحَمَّدٍ صَـلَّى الله عَلَيـهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْ مَدْرَسَتِهِ تَخَرَّجَ رِجَالٌ حُكَـمَاءُ عُلَـمَاءُ سَاسَـةٌ تَزَعَّمُـوَا العَـالَمَ، وَعَزَلُـوَا الزَّعَامَاتِ المَرِيضَةَ الَّتِي سَاءَ عَمَلُهَا وَأَسَاءَتْ إِلَى الْإِنْسَانِيَّةِ جَمْعَـاءَ، وَعِنْـدَ مَـا ظَهَـرَ المُسْلِمُونَ وَتَزَعَّمُوَا العَالَمَ سَارُوَا بِدَولَتِهِمْ سَيراً حَثِيثاً مُتَّزِناً وَعَـادِلاً، وَقَـدْ تَـوَفَّرَتْ فِيهِمُ الصِّفَاتُ الَّتِي تُؤَهِّلُهُمْ لِقِيَادَةِ اَلْأُمَمِ، وَتضْمَنُ سَـعَادَتَهَا وَفَلَاحَهَـا فِي ظِلِّهِـمْ، وَتَحْتَ قِيَادَتِهِمْ وَإِمْرَتِهِمْ.

أَوَّلًا: إِنَّهُمْ أَصْحَابُ كِتَابٍ مُنَزَّلٍ وَشَرِيعَةٍ إِلَهِيَّةٍ، فَلَا يُقَنِّنُونَ وَلَا يُشَرِّعُونَ مِـنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَنْبَعُ الخَطأ وَالظُّلْمِ، وَلَا يُخَبِّطُونَ فِي سُلُوكِهِمْ وَسِيَاسَـتِهِمْ وَمُعَامَلَتِهِمْ (خَبْطَ عَشْوَاءَ ) فَهُمْ أَهْلُ مَبْدأ لَا يَتَغَيَّرُ، وَأَهْلُ عَزِيمَةٍ لَا تَلِينُ وَلَا تَفْتُرُ، لَيْسَ لِلْمَادَّةِ تَأْثِيرٌ فِي نُفُوسِهِم الطَّاهِرَةِ الزَّكِيَّةِ، وَلَيْسَ لِلْمَالِ مَكَانٌ فِي قُلُـوبِهِم الْمُؤْمِنَـةِ الْمُطْمَئِنَّةِ المَرْضِيَّةِ، وَقَدْ جَعَلَ الله لَهُمْ نُوراً يَمْشُونَ بِهِ فِي النَّاسِ وَجَعَـلَ لَهُـمْ شَرِيعَـةً يَحْكُمُونَ بِهَا بينَ النَّاسِ.

ثانِيَاً: إِنَّهُمْ لَمْ يَتَوَلَّوْا الحُكْمَ وَالْقِيَادَةَ بِغَيرِ تَرْبِيَةٍ خُلُقِيَّةٍ وَتَزْكِيَّةِ نَفْـسٍ، بِخِـلَافِ غَيْرِهِمْ تَمَامًا فِي غَالِبِ الأُمَمِ والْأَفْرَادِ، وَرِجَالِ الحُكُومَةِ فِي المَـاضِي وَالْحَـاضِرِ، بَـلْ مَكَثُوَا زَمَنًا طَوِيلًا يَتَلَقَّوْنَ تَعَالِيمَهُمْ مِنْ مُعَلِّمِهِـمِ الْأَوَّلِ مُحَمَّـدٍ ﷺ وَتَحْـتَ إِشْرَافِـهِ الدَّقِيقِ يُزَكِّيهِمْ وَيُؤَدِّبُهُمْ ويَأْخُذُهُمْ بَالزُّهْدِ وَالْـوَرَعِ وَالعَفَـافِ، وَالأَمَانَـةِ وَالإِيثَـارِ

(١) سورة الأنعام آية ( ١٢٢ )

عَلَى النَّفْسِ وَخَـشْيَةِ الله تَعَـالَى، وَعَـدَمِ الاسْتِـشْرَافِ وَالتَّطـاوُلِ لِلْإِمَـارَةِ وَالْحُكْـمِ وَالْحِرْصِ عَلَيهِ، فَهُوَ يَقُولُ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّـا وَالله لَا نُـوَلِّي هَـذَا العَمَـلَ أَحَداً سَأَلَهُ، أَوْ أَحَداً حَرِصَ عَلَيهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1]. وَلَا يَزَالُ يُقْـرِعُ أَسْـمَاعَهُمْ بِقَـولِ الله تَعَـــالَى﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2] فَكَانُوا رَضِيَ الله عَنْهُمْ لَا يَتَهَافَتُونَ عَلَى المَنَاصِبِ وَالْوَظَائِفِ وَالْكَرَاسِي تَهَافُتَ الفَرَاشِ عَلَى الضَّوءِ، بَلْ كَانُوا يَتَدَافَعُونَ فِي قَبُولِهَـا، وَيَتَحَرَّجُـونَ مِنْ تَقَلُّدِهَا، فَضْلًا عَنْ أَنْ يُرَشِّحُوا أَنْفُسَهُمْ وَيَنْشُرُوا دِعَايَةً لَهَـا، وَيُنْفِقُـوا الأَمْـوَالَ سَعْيًا وَرَاءَهَا، فَإِذَا تَوَلَّوْا شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا أَوْ فُـرِضَ عَلَـيهِمْ لَمْ يَعُـدُّوهُ مَغْـنَمًا أَوْ طُعْمَةً أَوْ ثَمَنًا لِمَا أَنْفَقُوا مِنْ مَالٍ أَوْ جُهْدٍ، بَلْ عَدُّوهُ أَمَانَةً فِي أَعْنَاقِهِمْ وَامْتِحَانًـا مِـنَ الله لَهُمْ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُـمْ مَوقُوفُـونَ عِنْـدَ رَبِّهِـمْ وَمَـسْئُولُونَ عَـنِ الـدَّقِيقِ وَالْجَلِيـلِ، وَيَتَـذَكَّرُونَ دَائِـمًا قَـولَ الله تَعَـالَى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾[3]، وَقَولَـهُ تَعَـالَى﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ ﴾[4].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأحكام باب ما يكره من الحرص على الإمارة و أخرجه أيضا (٢/ ٧٨٩) (٤٢/ كتاب الإجارة ١ باب استئجار الرجل الصالح...) رقم(٢١٤٢)كما أخرجه فيه أيضا(٦/ ٢٥٣٧)رقم (٦٥٢٥) من حديث أبي موسى وفيه (...فقال لن أو لا نستعمل على عملنا من أراده ).ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٥٦) (٣ باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها) رقم(١٧٣٣).

(٢) سورة النساء آية (٨٨)

(٣)سورة النساء آية (٥٨)

(٤) سورة الأنعام آية (١٦٥)

إِنَّهُمْ لَمْ يَخْرُجُوا لِيُؤَسِّسُوا إِمْبَرَاطُورِيَّةً عَرَبِيَّةً يَنْعَمُونَ، وَيَرْتَعُونَ فِي ظِلِّهَا، وَيَشْمَخُونَ وَيَتَكَبَّرُونَ تَحْتَ حِمَايَتِهَا، وَيُخْرِجُونَ النَّاسَ مِنْ حُكْمِ الرُّومِ وَالفُرْسِ إِلَى حُكْمِ العَرَبِ، وَالَى حُكْمِهِمْ أَنْفُسِهِمْ، إِنَّمَا قَامُوَا لِيُخْرِجُوا النَّاسَ مِنْ عِبَادَةِ العِبَادِ جَمِيعًا إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، كَمَا قَالَ رِبْعِي بْنُ عَامِرٍ ﷺ رَسُولُ المُسْلِمِينَ فِي مَجْلِسِ زَعِيمِ الفُرْسِ «يَزْدَجِرِ» اللهُ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ عِبَادَةِ العِبَادِ، إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ ٱلْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الإِسْلَامِ[1].

نَعَمْ، يَمْتَازُ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ بِأَنَّهُمْ كَانُوا جَامِعِينَ بَينَ الدِّيَانَةِ وَالْأَخْلَاقِ، وَالْقُوَّةِ وَالسِّيَاسَةِ، وَكَانَتْ تَتَمَثَّلُ فِيهِمِ الْإِنْسَانِيَّةُ بِجَمِيعِ نَوَاحِيهَا وَمَحَاسِنِهَا وَمَعَانِيهَا، وَكَانُوا بِفَضْلِ تَرْبِيَتِهِمِ الخُلُقِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ السَّامِيَةِ، وَجَمْعِهِمْ بَينَ مَصَالِحِ الرُّوحِ وَالجَسَدِ وَاسْتِعْدَادِهِمْ وَصَلُوا بَالْأُمَّةِ إِلَى مَا وَصَلُوا، فَلَمْ نَعْرِفْ دَوراً مِنْ أَدْوَارِ التَّارِيخِ أَكْمَلَ وَأَجْمَلَ وَأَزْهَرَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّوَاحِي مِنْ دَورِهِمْ، دَوْرِ الخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ، فَقَدْ تَعَاوَنَتْ فِيهِ قُوَّةُ الرُّوحِ وَالْأَخْلَاقِ وَالدِّيْنِ وَالْعِلْمِ فِي تَنْشِئَةِ الْإِنْسَانِ الفَاضِلِ الكَامِلِ فَكَانَتْ حُكُومَتُهُمْ مِنْ أَكْبَرِ حُكُومَاتِ العَالَمِ، وَقُوَّةٌ سِيَاسِيَّةٌ مَادِيَّةٌ تَفُوقُ كُلَّ قُوَّةٍ فِي عَصْرِهَا، تَسُودُ فِيهَا الْمُثُلُ العُلْيَا، فِي حَيَاةِ النَّاسِ وَنِظَامِ الحُكْمِ، وَتَحَسَّنَتْ عَلَاقَةُ الفَرْدِ بَالْفَرْدِ، وَالْفَردِ بَالجَمَاعَةِ، وَعَلَاقَةُ الجَمَاعَةِ بَالْفَرْدِ.

وَنَحْنُ الْيَومَ فِي عَهْدِ انْحِطَاطِنَا وَتَخَلُّفِنَا نَقِفُ كَالْقَزْمِ الحَقِيرِ أَمَامَ تُرَاثٍ ضَخْمٍ، وَتَارِيخٍ عَظِيمٍ لَا نِسْبَةَ تَكَادُ بَينَ مَاضِينَا وَحَاضِرِنَا، وَلَكِنَّا نَحْلَمُ بَلْ نَطْمَحُ

---

(١) تقدم تخريجه.

لِإِعَادَةِ أَمْجَادِنَا إِذَا مَا تَوَجَّهْنَا تَوَجُّهاً صَحِيحاً نَحْـوَ هَـدَفِنَا المَنْشُودِ،وَأَخْلَـصْنَا النِّيَّـةَ وَالْعَمَلَ،﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(١).

إِنَّنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ: نَقِفُ الْيَـومَ عَـلَى مَـشَارِفِ عَهْـدٍ جَدِيـدٍ، وَعَـلَى أَعْتَابِ بَابٍ يَنْفَتِحُ عَلَى آفَاقٍ وَاسِعَةٍ، الله وَحْدَهُ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّهُ لَنَا الأَقْدَارُ، وَالـشَّعْبُ بَعْدَ الله هُوَ الَّذِي يُرِيدُ وَيَخْتَارُ، فَالنَّاخِبُ مُـؤْتَمَنٌ فِي اخْتِيَـارِهِ وَانْتِخَابِـهِ، وَالمُنْتَخَـبُ مَسْئُولٌ وَمُحَاسَبٌ أَمَامَ الله وَأَمَامَ التَّارِيخِ وَالْوَطَنِ وَالمُوَاطِنِينَ، لَا مَعْنَـى لِلْعَوَاطِـفِ الْيَومَ لَا مَكَانَ لِلْعَصَبِيَّةِ وَالحِزْبِيَّةِ وَالمَحْسُوبِيَّةِ، إِنَّهُ الخِيَارُ الَّـذِي لَا خِيَـارَ بَعْـدَهُ، إِنَّ الاقْتِرَاعَ عَلَى السُّلْطَةِ لَيْسَ سِلْعَةً رَخِيصَةً تُبَاعُ بَالمَزَادِ، وَلَكِنَّهَا شَرَفٌ وَأَصَالَةٌ وَثِقَـةٌ وَأَمَانَةٌ يَكُونُ فِيهَا الحَاكِمُ خَادِمًا مُتَوَاضِـعًا لِأُمَّتِـهِ، لَا مَخْدُومًا تُطَأْطَـأُ لَـهُ الرِّقَـابُ، وَتُسَخَّرُ لَهُ الحِرَابُ يَجْمَعُ بَينَ شَرَفِ الخِدْمَةِ، وَكُرْسِيِّ الحُكْمِ، وَقَدَاسَةِ المِحْرَابِ.

فَاتَّقِ الله أَيُّهَا المُسْلِمُ فِيْمَنْ تَنْتَخِبُ وَتَخْتَارُ، إِنَّنَـا لَا نُرِيـدُ اسْـتِبْدَالَ أَشْـخَاصٍ بَأَشْخَاصٍ فَحَسْبُ، إِنَّنَا لَا نُحِبُّ تَغْيِيرَ وُجُوهٍ بِوُجُوهٍ مِثْلِهَا، حَتَّى لَا نَظَلَّ نَحْـرِثُ فِي المَاءِ وَنُخَطِّطُ فِي السَّمَاءِ، نَعَمْ الانْتِخَابَاتُ لَا شَكَّ أَنَّهَا الطَّرِيقَةُ الوَحِيـدَةُ وَالمَـنْهَجُ الأَمْثَلُ لِلْعدَالَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ أَوْ مَا يُسَمَّى ( الدِّيمِقْرَاطِيَّة ) إِلَّا إِنَّـه قَبْـلَ الانْتِخَـابِ لَا بُدَّ مِنَ التَّغْيِيرِ والإِصْلَاحِ مِنْ نُفُوسِ النَّاخِبِينَ وَالمُنْتَخَبِينَ، لَا بُدَّ مِنَ الإِصْـلَاحِ مِـنَ الدَّاخِلِ، وَعِلَاجِ النُّفُـوسِ مِـنَ الأَمْـرَاضِ الخَبِيثَـةِ الَّتِـي تُعَـشْعِشُ فِيهَـا، وَتَكْمُـنُ دَاخِلَهَا، لَا بُدَّ أَنْ تَسُودَ المَحَبَّةُ وَحُسْنَ النِّيَّةِ، وَتُنْـبَشُ الأَحْقَـادُ الدَّفِينَـةُ، وَالـتَّرَبُّصُ

(١) سورة الرعد آية (١١).

بَالْآخَرِينَ، لِكَي تكُـونَ صُـدُورُنَا مَعْمُـورَةً بَـالإِيمَانِ، وَنُفُوسُـنَا مُطْمَئِنَّـةٌ بَالْأَمَـانِ وَالسَّلَامِ، فَهَذَا إِذَا مَا أَرَدْنَا أَنْ نَعِيشَ فِي الدُّنْيَا سُعداءَ كُرَمَاءَ، وَفِي الْآخِرَةِ فِي جَنَّـاتٍ وَنَهَرٍ، فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ.

فَإِذَا جَرَتِ الأُمُورُ كَمَا يَجِبُ، وَسُلِّمَتِ القِيَادَةُ الإِسْلَامِيَّةُ لِأَيْدِي مِنَ الرِّجَـال الأَكْفَاءِ، وَأُعْطِيَتِ القَوسُ بَارِيهَا، وَأُعِيدَتِ المِيَـاهُ إِلَى مَجَارِيهَـا لَكَـانَ لِبِلَادِنَـا شَـأْنٌ الْيَومَ وَغَدًا، وَلَأَعَادَ التَّارِيخُ نَفْسَهُ بَأَمْجَادِهِ، وَلَكَانَ لَهُ مَجْدٌ جَدِيدٌ جَمِيلٌ يَغْتَبِطُ بِهِ كُـلُّ إِنْسَانٍ وَيقَرُّ عَيْنًا، وَلَكِنْ لَا قَدَّرَ اللهِ إِذَا وُسِّـدَ الأَمْـرُ لِغَـيرِ أَهْلِـهِ، وَتَـوَلَّى المَنَاصِـبَ الخَطِيرَةَ رِجَالٌ لَمْ يَكُونُوا لَهَا أَكِفَّاءَ وَلَمْ يَعُدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا، وَلَمْ يأْخُـذُوا لَهَـا أُهْبَتَهَـا، وَلَمْ تُنَـقَّ رؤوسـهم وَلَا نُفُوسُـهُمْ بِـمَا لَا يَلِيـقُ بِقِيَـادَةِ الْأُمَّـةِ الإِسْـلَامِيَّةِ، وَالْإِطِّـلَاعِ بِزَعَامَتِهَا، فَسَتكُونُ الكَارِثَةُ وَتصيرُ الحَالَةُ مِنْ سَيِّءٍ إِلَى أَسْوَأَ، وَنَكُونُ نَحْـنُ الَّـذِينَ جَنَيْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا، فَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُلْهِمَنَا رُشْـدَنَا، وَيُوَفِّقَنَـا إِلَى مَـا فِيـهِ خَيْرُنَـا، وَيُسَدِّدَ خُطَانَا وَيُرِينَا الحَقَّ حَقًّـا وَيَرْزُقَنَـا اتباعـه، وَيُرِينَـا البَاطِـلَ بَـاطِلًا وَيَرْزُقَنَـا اجْتِنَابَهُ،إِنَّهُ سَمِيعُ الدَّعَوَاتِ وَقَاضِي الحَاجَاتِ.

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي المُهْتَدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [1] وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [2].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [3].

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) سورة النور آية (٥٥)

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الـصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

أما بعدُ: فيا عِبَادَ الله: أُوصِـيكُمْ وَنَفْـسِيَ بِتَقْـوَى الله تَعـالى، اتَّقُـوا الله مِـنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

عِبَادَ الله: خَلَقَ الله النَّاسَ أَحْرَاراً فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَسْتَعْبِدَهُمْ أَحَدٌ كَائِناً مَنْ كَـانَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَيْسَ لِمَخْلُوقٍ وَاحِدٍ أَوْ جَمَاعَةٍ، أَوْ حِزْبٍ أَنْ يَفْـرِضَ رَأْيَـهُ عَلَى شَعْبٍ أَوْ أُمَّةٍ، وَأَنْ يُصْدِرَ فِي أَحْكَامِه وَاتِّجَاهَاتِهِ عَنْ فِكْرَتِـهِ الخَاصَّـةِ، غَـيرَ آبِـهٍ لِغَيرِهِ مِنْ أُولِي الفَهْمِ، وَذَوِي البَصِيرَةِ وَالحَزْمِ، وَمَهْمَا أُوتِيَ رَجُلٌ أَوْ جَمَاعَةٌ مِنْ زِيَادَةٍ فِي المَوَاهِـبِ، وَسَعَةٍ فِي التَّجَـارِبِ وَسـدَادٍ فِي النَّظَـرِ، فَـلَا يَجُـوزُ أَنْ يَـسْتَحْقِرَ آرَاءَ

الْآخَرِينَ الْمُقَابِلَةَ، مَهْمَا ادَّعَوا مِنْ مَقْدِرَةٍ وَذَكَاءٍ، ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَنْ يَكُونُوا أَذْكَى عُقُولاً، وَأَنْقَى قُلُوباً مِنْ صَاحِبِ الرِّسَالَةِ العُظْمَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ كَانَ سَيِّدُ الأَنْبِيَاءِ، وَأَبْرَعُ الزُّعَمَاءِ يَسْتَشِيرُ أَصْحَابَهُ وَيَنْزِلُ عَنْ رَأْيِهِ إِذَا رَأَى الصَّوَابَ مَعَ غَيْرِهِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَعِزَّاءُ: إِنَّنَا نَعِيشُ عَلَى أَبْوَابِ مَرْحَلَةٍ تُشِيرُ بِانْفِرَاجٍ وَانْفِتَاحٍ عَلَى تَطَوُّرَاتٍ فِي حَيَاتِنَا، وَازْدِهَارٍ بِلَادِنَا، يَجِبُ أَنْ نَسْتَعِدَّ لَهَا وَنُقَابِلَهَا بِمَا يَلِيقُ بِهَا وَنَحْسِبَ لَهَا حِسَابَهَا الْمُنَاسِبَ، وَنَأْخُذَ العِبْرَةَ وَالْمَوعِظَةَ الحَسَنَةَ مِمَّا تَجَرَّعْنَاهُ مِنْ غَصَصٍ وَمَتَاعِبَ وَللهِ دَرُّ مَنْ قَالَ:

جَزَى اللهُ المَصَائِبَ كُلَّ خَيرٍ  أَفَادَتْنَا عُلُومًا نَافِعَاتٍ

نَعَمْ إِنَّ المِحَنَ وَالْمُصَائِبَ تُصْقِلُ الرِّجَالَ كَمَا تُصْقِلُ النَّارُ المَعَادِنَ، تُمَيِّزُ أَصَالَتَهَا مِنْ زَيْفِهَا، وَلَقَدْ تَمَرَّسَ هَذَا الشَّعْبُ الْمِسْكِينُ بِالْأَحْدَاثِ طَوِيلاً، وَتَجَرَّعَ الْمَرَارَاتِ كَثِيراً، فَمَا يَكَادُ يَخْرُجُ مِنْ أَزْمَةٍ إِلَّا وَالْأُخْرَى تَنْتَظِرُهُ، وَمَا يَكَادُ يَخْلُصُ مِنْ مُشْكِلَةٍ إِلَّا وَقَعَ فِي أَكْبَرَ مِنْهَا، كُلَّمَا عَالَجَ جُرْحَا سَالَ جُرْحٌ، وَلَنَا نَحْنُ البَشَرَ دَورٌ كَبِيرٌ فِي خَلْقِ هَذِهِ المَصَائِبِ وَمَضَاعَفَاتِهَا كَمَا هُوَ الحَالُ فِي حَلِّهَا وَعِلَاجِهَا إِذَا رَجَعْنَا لِدِيْنِنَا، وَسَادَ العَقْلُ وَالْحِكْمَةُ، وَخَلُصَتِ المَقَاصِدُ فَقَدْ ظَهَرَ فِي الْأُفُقِ أَمَارَاتُ الخَلَاصِ وَالْانْفِرَاجِ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتُنَا، وَأَنْتَ رَجَاؤُنَا، فَاكْفِنَا مَا أَهَمَّنَا، اللَّهُمَّ اجْمَعْ شَمْلَنَا، وَلُمَّ شَعْثَنَا، وَوَحِّدْ قُلُوبَنَا وَقَوَالِبَنَا، وَزَوِّدْنَا بِالتَّقْوَى، وَاغْفِرْ ذُنُوبَنَا، وَخُذْ بِنَوَاصِينَا وَنَوَاصِي وُلَاتِنَا إِلَى مَا فِيهِ خَيرُنَا وَصَلَاحُنَا يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ الْمُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَــــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَـلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُـبْرَى ، و عَـنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَـاتِ الــمُؤْمِنِينَ ، وعَـنْ عَمَّـي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِــيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْـتَ الـشَّجَرَةِ، طَلْحَـةَ والزُّبَيــرِ ، وسَـعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْـحَابِ رَسُـولِ الله رِضْـوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيــهِ مَفْزَعُنَـا ؛ اكْـشفْ كَرْبَنَـا ، ونَفِّــسْ هَـمَّنَا.نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَــا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ فَـرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَـافِر الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ. اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَـا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِـصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِـمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَـكَ واتَّقَـاكَ واتَّبَـعَ رِضَـاكَ يَـا أَرْحَـمَ الرَّاحِـمِينَ.اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَونَاً ومُعِينَاً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُـزَاةِ والمُـسَافِرِينَ في بَـرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئـاً ، سَحّاً عَامّــاً دَائِمــاً مُبَارَكـاً فِيــهِ ، نَافِعـاً غَـيرَ ضَارٍّ. ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾.

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

عِبَـــادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَ اللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# العِزَّةُ لله و لِرَسُولِهِ ولِلمُؤمِنِينَ

## الخُطْبَـةُ الأُولَى

الحَمْدُ لله القَوِيِّ القادِرِ ، العَزِيزِ الحَكِيمِ القاهِرِ ، سُبْحانَهُ إِذا ظَهَرَ أَعَزَّ وَقَهَـرَ وَإِذا تَجَلَّى طاشَتْ لأَنْوارِ جَلالِهِ أَلبابُ البَشَر.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، كَتَبَ لِنَفْسِهِ العِزَّةَ وَجَعَلَها مِـنْ أَسْمائِهِ الحُسْنَى ، وَغَمَرَ عِبادَهُ بِفَيْضٍ مِنْ عِزَّتِهِ فـاعْتَزّوا وَأَشْـهَدُ أَنَّ سَـيِّدَنا مُحَمَّـداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، إمامُ الأَعِزَّةِ المُتَّقِينَ ، وَقائِدُ الغُرِّ المُحَجَّلِينَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّم وَبارِكْ عَلَى سَيِّدنا مُحَمَّـــدٍ وَعَلَى آلِهِ الطَيِّبِـينَ الطـاَّهِرِينَ، وَصَحابَتِهِ المُنْتَخَبِينَ ، وَالتاَّبِعِينَ وَمَنْ اقْتَفَى أَثَرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:فيأَيُّها المُسْلِمُونَ أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى فَإِنَّها ذُخْرُ المُؤْمِنِينَ ، وَالرُّكْنُ المَتِينُ ، وَالحِصْنُ المنِيعُ الحَصِينُ ، فَتَزَوَّدُوا مِنْها بِـأَكْبَرِ زادٍ ، وَخُـذوُا مِنْهـا بِأَوْفَرِ حَظٍّ لِيَومِ المَعادِ ، لِتَفُوزُوا بِرِضا رَبِّ العِبادِ.

عِبـــادَ الله ! يَقُـــولُ الله تَعـــالىَ فِي مُحْكَـــمِ آياتِـــهِ ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١].

هَذا حَدِيث رُبِّ العِزَّةِ عَنْ نَفْسِهِ ، وَعَنْ أَحْبابِهِ ، وَصَف نَفْسَهُ بـالِعِزَّةِ ، فَهُـوَ العَزِيزُ القَوِيُّ الَّذِي لا يُقْهَرُ ، وَوَصَفَ رَسُولَهُ مُحَمَّـداً صَـلى الله علَيـهِ وآلِـهِ وَسـلَّمَ

---

(١) المنافقون٨.

بِالْعِزَّةِ ، وَوَصَفَ عِبادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعِزَّةِ ، لأَنَّ عِزَّةَ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ هِيَ مِنْ عِزَّةِ اللهِ تَعالَى، فَهُمْ حِيْنَ اعْتَزُّوْا بِهِ أَعَزَّهُمْ ، وَرَفَعَ شَأْنَهُمْ فِي العالَمِينَ ، وَمَنْ طَلَبَ الْعِزَّةَ مِنْ غَيْرِهِ أَذَلَّهُ الله ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1]

لَقَدْ حَرَّمَ الإِسْلامُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَهُونَ أَوْ يَسْتَذِلَّ أَوْ يَسْتَضْعِفَ ، أَوْ تُخْدَشَ كَرامَتُهُ ، أَوْ تُجْرَحَ مَكانَتُهُ.

وَروى أَنَسٌ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلىَّ الله علَيهِ وآلِـهِ وَسَلَّمَ قالَ: (( مَنْ أَصْبَحَ حَزِيناً عَلَى الدُّنْيا أَصْبَحَ ساخِطاً عَلَى رَبِّهِ ، وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَإِنَّما يَشْكُو الله تَعالَى وَمَنْ تَضَعْضَعَ لِغَنِيٍّ لِيَنالَ مِمَّا فِي يَدِهِ أَسْخَطَ الله ، وَمَنْ أُعْطِي القُرْآنَ فَدَخَلَ النارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ))[2].

وَهَذا الحَدِيثُ يَسْتَنْكِرُ الضَّراعَةَ الَّتِي تَظْهَرُ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ حِيْنَ يُصابُونَ بِأَزْمَةٍ أَوْ كارِثَةٍ ، عَلَى ما فَقَدُوا مِنْ حُطامِ الدُّنْيا ، وَيُصْبِحُونَ بِالْخَلْقِ طالِبِينَ النَّجْدَةَ

---

(١) الجاثية (٢٦_٢٧)

(٢) الحديث أخرجه البيهقي في الباب التاسع والثلاثون من شعب الإيمان والطبراني في معجمه الصغير (٢/ ٣٠) من حديث ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه، و ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٤٨) وقال: رواه الطبراني في الصغير وفيه وهب بن راشد البصري صاحب ثابت وهو متروك وأخرجه العقيلي في الضعفاء والشاشي في مسنده من طريق فيه عبيد الله بن موسى بن معدان وهو كما قال العقيلي: كوفي مجهول بنقل الحديث، حديثه منكر، لا يتابع عليه، ولا يعرف إلا به، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من أصبح حزينا على الدنيا أصبح ساخطا على الله، ومن أصبح يشكو مصيبة أصابها به فإنما يشكو الله، ومن تواضع لغنى ذهب ثلثا دينه، ومن قرأ القرآن من هذه الأمة ثم دخل النار كان من الذين اتخذوا آيات الله هزوا »

، وَيَتَمَرَّغُـونَ فِي تُـرابِ الأَغْنِيـاءِ مُنْتَظِـرِينَ عَرَضـاً زَائِـلاً فِي هَـوانٍ و ضِـعَةٍ ، وَفِي الحَدِيثِ: (( مَنْ أَعْطَى الذِلَّةَ مِنْ نَفْسِهِ طائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ فَلَيْسَ مِنَّا)) (١).

إِنَّ اعْتِزازَ المُسْلِمِ بِنَفْسِهِ وَدِينِهِ وَرَبِّهِ هُوَ كِبْرِياءُ إِيْمانِـهِ ، وَكِبْرِيـاءُ الإِيْـمانِ غَـيْرُ كِبْرِياءِ الطُّغْيانِ ، إِنَّما أَنْفَةُ المُؤْمِنِ أَنْ يُصَغِّرَ نَفْسَهُ لِسُلْطانٍ ، أَوْ يَحْتَقِـرُ فِي مَكـانٍ ، أَوْ يَكُونَ ذَنَبـاً تابِعاً لإِنْسَانٍ.

إِنَّ الأَخْلاقَ الإِسْلامِيَّةَ ، وَالْعِفَّةَ وَشَرَفَ الإِيْمانِ ، تَحْمِلُ الإِنْسانَ المُؤْمِنَ بِـأَنْ يَتَماسَكَ عَلىَ نَفْسِهِ ، وَعَلىَ ما بِهِ مِنْ ضَوائِقَ حَتَّى تَنْجَلِيَ وَتَنْفَرِجَ دُوْنَ أَنْ يُذِلَّ نَفْـسَهُ العَزِيزَةَ لأَحَدٍ أَيّاً كانَ ، وَهَؤُلاءِ هم أَهْلُ العِزَّةِ وَالرِّفْعَةِ.

إِنَّ المُجْتَمَعَ الإِسْلامِيَّ النَّظِيفَ لا تَرىَ فِيهِ آثارَ الذِلَّةِ وَالصَّغَارِ والاحْتِقَـارِ ، لا تَرَى فِيهِ شَـحَّاذاً مُتَـسَوِّلاً ، وَلا خانِعـاً مُرْتَـذِلاً ، وَقَـدْ عَرَفْنـا أَمْثِلَـةً وَنَـماذِجَ فِي مُجْتَمَعِنا الَّذِي عِشْناهُ فِي حاضِرِنا وَماضِينا القَرِيْب ، عَرَفْنا رِجَالاً أَعِزَّةً ، أَهْلَ شَـمَمٍ و إِبَـاءٍ ، وَأَصْـحابَ أَنْفَـةٍ وَعُـلاءٍ ، لا يُطـأطِؤنَ رُؤُوسَـهَمْ لأَحَـدٍ ، وَلا يَمْرِّغُـوْنَ جِباهَهُمْ لِكائِنٍ مَنْ كانَ ، غَيْرِ الإِلَهِ الواحِدِ الأَحَـدِ ، الفَـرْدِ العَزِيـزِ الـصَّمَدِ ، كَـما وَصَفَهُمْ القائِلِ (٢):

فَقِيرُهُمْ حُرٌّ وَذُو الْمـالِ مُنْفِـقٌ   رَجاءَ ثَوابِ اللهِ فِي صالِحِ السُّبْلِ

---

(١) رواه الطبراني في معجمه الأوسط (١/ ١٥١) عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً بلفـظ: مـن أصـبح وهمُّـه الدنيا فليس من الله في شيء ومن لم يهتم بالمسلمين فليس منهم ومن أعطى الذلَّ من نفسه غـير مكـرهٍ فلـيس منا، و ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٤٨) و قال: رواه الطبراني وفيه يزيـد بـن ربيعـة الرحبـي وهـو متروك.

(٢) وهو الإمام عبدالله بن علوي الحداد من البحر الطويل.

إِنَّ المُجْتَمَعَ الَّذي يَتَفَشَّى فِيْهِ التَّسَوُّلُ وَالـشَّحاذَةُ عَـلىَ أَيِّ صُـوْرَةٍ مِـنْ صُـوَرِها وَالشَّحاذَة فُنُـونٌ؛ مُجْتَمَعٌ مُتَخَلِّفٌ دِيْنِياً وَخُلُقياً وَتَرْبَوِيـاً ، وَكُـلُّ فَـرْدٍ وَجَماعَـةٍ ودولـةٍ وحكُومَةٍ يتَحَمَّلُ الجَميعُ المَسْئُولِيَّةَ أَمامَ اللهِ فِي وُجوُدِ هَـذِهِ المَنـاظِرَ الكَئِيبَـةِ ، وَالـصُّوَرِ المَشِيْنَةِ، وَكَمْ شَتائِمَ تَلْحقُنا وَكَمْ تَجْرِيحٌ فِي كَيَانِ الإِسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ وَأَعْدَاؤنا يَنْظُـرُونَ هُنا وَهُناكَ فِي العالَمِ الإِسْلامِي الواسِعِ بِعَيْنِ الازدراء ، وَالسُّخْرِيَّةِ إِلينا نَحْـنُ المُـسْلِمِينَ الَّذِينَ وُصِفَنا بِقَولِهِ تَعـالىَ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. فَلِـسانُ حـالِ الأَعْداءِ ، بَلْ وَلِسانُ المَقالِ تَقُولُ: أَيْنَ هَذِهِ العِزَّةُ يا مُسْلِمُونَ؟ هَـلِ العِـزَّةُ فِي كَثْـرَةِ الشَّحَّاذِينَ ، عَلىَ أَبْوابِ مَساجِدِكُمْ ، وَفِي كُلِّ شَارِعٍ مِنْ شَوارِعِكُمْ ؟!.

و اللهُ تَعـالَى يقـول: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[2].

فالْعِزَّةُ والإِباءُ وَالْكَرامةُ مِنْ أَبْرَزِ الصِّفاتِ الَّتِي نَادَى الإِسْلامُ بِهـا وَغَرَسَـها فِي نُفُوسِ أَتْباعِهِ ، وتَعَهَّدَ نَماءَها بِما شَرَعَ مِنْ عَقائِدَ ، وَسَنَّ مِنْ تَعالِيمَ ، وَإِلَيها يُشِيرُ عُمَرُ ابْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنهُ بِقَوْلِهِ: « أُحبُّ مِنَ الرَّجُلِ إِذا سِـيمَ خُطَّـةَ خَـسَفٍ أَنْ يَقُولَ بِمِلْءِ فِيهِ: لا »، و إِلاَّ فَعَلامَ يَصِيحُ المُؤَذِّنُ خَمْسَ مَـراتٍ فِي كُـلِّ مَـسْجِدٍ ، كُلَّ يَوْمٍ مُنَادِياً بِتَكْبِـيرِ اللهِ وَحْـدَهُ « اللهُ أَكْـبَرُ اللهُ أكـبُر » فِي بِدايَـةِ الآذانِ وَنِهايَتِـهِ ؟ وَلِماذا يَتَكَرَّرُ هَذا التَّكْبِيرُ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ فِي الصَّلاةِ مِنْ قِيامٍ وَقُعُودٍ، ذَلِكَ لِكَيما يُـوْقِنُ

(١) المنافقون: ٨.

(٢) سورة الفاطر آية (١٠).

المُؤْمِنُ المُسْلِمُ يَقِيناً لا يَهْتَزُّ وَلا يَزِيغُ ، أَنَّ كُلَّ مُتَكَبِّرٍ غَـيْرُ الله فَهُـوَ حَقِـيرٌ ، وَأَنَّ كُـلَّ مُتَعاظِمٍ بَعْدَ الله فَهُوَ صَغِيرٌ ، وَتَوْكِيـداً لِهَـذا المَعْنَـى اخْتـارَ الله عَـزَّ و جَـلَّ اسْـمَي العَظِيمَ وَالأَعْلَى مِنْ أَسْمائِهِ الحُسْنَى لِيُكَرِّرَهُما المُسْلِمُ فِي أَثْناءِ رُكُوعِـهِ وَسُـجُودِهِ ، فتُشَرَّبُ رُوْحُهُ إِفْرادَ رَبِّ العالَمِينَ بِالْعَظَمَةِ وَالْعُلُوِّ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

وَالإِسْلامُ عِنْدَ ما أَوصَى المُسْلِمَ بِالعِزَّةِ هَـدَاهُ لأَسْـبابِها وَيَـسَّرَ لَـهُ وَسـائِلَها ، وَأَفْهَمَهُ أَنَّ الكَرامَةَ فِي التَّقْوَى ، وَأَنَّ السُّمُوَّ فِي العِبـادَةِ ، وَأَنَّ العِـزَّةَ فِي طاعَـةِ الله ، وَالمُؤْمِنُ الَّذِي يَعْلَمُ ذَلِكَ وَيَعْمَلُ بِهِ يَجِبُ أَنْ يَأْخُذَ نَـصِيبَهُ كـامِلاً غَـيْرَ مَنْقُـوصٍ فِي الحَياةِ الرَّفِيعَةِ المَجِيدَةِ ، فَإِذا طَمعَ فِيهِ أَحَدٌ أَوِ اعْتَدَى عَلَيهِ باغٍ ، هَـبَّ لِلـدِّفاعِ عَـنْ نَفْسِهِ جِهاداً فِي سَبِيلِ الله ، وَلَيْسَ دِفاعاً عَنْ حَقِّهِ فَقَطْ ، وَإِنَّما إِقْراراً لِلْحُقُوقِ العامَّةِ ، وَالمُثُلِ العالِيَةِ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ مَوْتَ المُسْلِمِ دُوْنَ حَقِّهِ شَهادَةٌ ؛ جاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُـولِ الله ﷺ فَقالَ: يا رَسُولَ الله: أَرَأَيْتَ إِنْ جاءَ رَجُلٌ يُرِيـدُ أَخْـذَ مـالِي قـالَ: « لا تُعْطِـهِ مالَكَ، قالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قاتَلَنِي ؟ قالَ: قَاتِلْهُ، قالَ: أَرَأَيْـتَ إِنْ قَتَلَنِـي ؟ قـالَ: فَأَنْـتَ شَهِيدٌ، قالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ ؟ قالَ: هُوَ فِي النَّارِ » رواه مسلم[1].

فَمِنْ عِزَّةِ المُؤْمِنِ أَنْ يَسْتَمِيتَ دُوْنَ نَفْسِهِ ، وَعَرْضِهِ وَمالِـهِ وَأَهْلِـهِ وَإِنَّـما شَرَع الله الثَّأْرَ مِنَ المَظالِمِ ، بِواسِطَةِ السُّلْطانِ، إِعْزازاً لِجانِـبِ المَظْلُـومِ ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴾[2].

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب(الدليل على أن من قصد أخذَ مال غيره بغير حق كـان القاصـد مهـدر الدم في حقه وإن قتل كان في النار وأن مَن قُتِل دون ماله فهو شهيد) رقمه(٢٠١).

(٢) سورة الإسراء آية (٣٣).

فَلِلْمُسْلِمِ أَنْ يُطالِبَ بِحَقِّهِ وَيَتَشَبَّثَ بِهِ فَلا يَنْزِلُ عَنْهُ إِلاَّ عَفْواً مِنْهُ وَتَكَرُّماً وَسَماحَةً تَزِيدُه عِزًّا عَلَىٰ عِزٍّ ، لِقَوْلِهِ تَعالَىٰ ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[1].

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

أَيُّها الإِخْوَةِ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ يُذِلُّونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَيَقْبَلُونَ الدَّنِيئَةَ والإِهانَةَ فِي دِيْنِهِمْ وَدُنْياهُمْ لِواحِدٍ مِنْ أَمْرَيْنِ وَكِلاهُما خَطأٌ:

الأَمْرُ الأَوَّلُ: خَوْفاً أَنْ يُصابُوا فِي آجالِهِم، وَالأَمْرُ الثَّانِي: خَوْفاً أَنْ يُصابُوا فِي أَرْزاقِهِمْ وَلَمْ يَعْرِفُوا أَنَّ اللهَ قَطَعَ سُلْطَةَ وَقُدْرَةَ البَشَرِ عَنِ الآجالِ وَالأَرْزاقِ مَعاً ، فَلَيْسَ لأَحَدٍ إِلَيْهِما سَبِيلٌ ، إِلاَّ أَنَّ النَّاسَ يَسْتَذِلُّهُمْ وَهمٌ نَشَأَ مِنْ أَنْفُسٍ مَرِيضَةٍ بِالحِرْصِ عَلَى الحَياةِ ، وَالخَوْفِ عَلَى القُوْتِ ، فَهُمْ مِنْ خَوْفِ الذُّلِّ فِي ذُلٍّ ، وَمِنْ خَوْفِ الفَقْرِ فِي فَقْرٍ ، وَمِنْ خَوْفِ المَرَضِ فِي مَرَضٍ ، وَإِلاَّ فَاللهُ قَدَّرَ الآجالَ وَالأَرْزاقَ وَلَمْ يَسْمَحِ لأَحَدٍ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِيهِما فَعَلامَ الخَوْفُ وَالجُبْنُ وَالذِلَّةُ ﴿ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ﴾[3].

---

(١) سورة الشورى من الآية (٣٦).

(٢) سورة الشورى الآيتين (٣٩- ٤٠).

(٣) سورة الملك الآيتين (٢٠-٢١).

إنَّ المُلْتَزِمينَ بآدابِ الإسْلامِ ، المُتَمَسِّكِينَ بِأَوامِرِهِ المُعْتَزِّينَ بِعِزَّةِ الله هُمُ الَّذِينَ لا يَحُسُّونَ فَقْراً حَتَّى لَوْ كانُوا فُقَراءَ ، وَلا يَحُسُّونَ ضَعْفاً حَتىَّ لَوْ كانُوا ضُعَفاءَ ، وَإنَّما يُزَيِّنُهُمْ وَيُجَمِّلُهُمْ دائِماً التَّعَفُّفُ وَالْقَناعَةُ ، وَالرِّضا بِقَضاءِ الله وَقَدَرِهِ ، وَالإِيْمانُ بِالْمَقادِيرِ عَلى الأَشْياءَ وَالنَّفْسِ ، وَهُمُ الَّذِينَ أَمَرَنا الله سُبْحانَهُ وَتَعالىَ أَنْ نَقْصِدَهُمْ و نَبْحَثَ عَنْهُمْ وَعَنْ أَحْوالِهِمْ ، وَأَنْ نَقُومَ عَلىَ شُئُونِهِمْ فَنُعِينَ فَقِيرَهُمْ ، وَنُجْبِرَ كَسِيرَهُمْ وَلَقَدْ وَصَفَهُمُ الله أَجْمَلَ وَصْفٍ فِي قَولِهِ سُبْحانَهُ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[1].

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَظُنُّونَ أَنَّ عِزَّةَ النَّفْسِ لا تَأْتِي إِلاَّ بَعْدَ شِبَعِ البَطْنِ وامتلاءِ الجَيْبِ ، فالْغَنِيُّ فِي نَظَرِهِمْ هُوَ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَزِيزاً ، أَماَّ الفَقِيرُ فَلا يُمْكِنُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ ذَلِيلاً خاضِعاً.

وَلَقَدْ فَشَتْ فِي مُجْتَمَعِنا المُعاصِرِ هَذِهِ القِيَمُ السَّاقِطَةُ وَفَشا مَعَها في بَعْضِ النَّاسِ الطُّغْيانُ وَالتَّكَبُّرُ ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ﴾[2]. كَما فَشا مَعَها فِي الفُقَراءِ الخُشُوعُ وَالمُداهَنَةُ والمَلَقُ ، وَالنِّفاقُ ، هَذِهِ النَّزَعاتُ المُنْحَرِفَةُ الَّتِي تَجْعَلُ التَّفاضُلَ بَيْنَ العِبادِ عَلىَ أَساسِ المادَّةِ الفانِيَةِ ،

(١) سورة البقرة آية (٢٧٣).

(٢) سورة فاطر من الآية (٤٣).

وَالأَعْراضِ الزَّائِلَةِ ، وَلَقد نَدَّدَ القُـرْآنُ بِهـا حِـيْنَ قـالَ سُـبْحانَهُ ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ (١).

فاتَّقُوا اللهَ أَيُّها المُسْلِمُوْنَ وَتَأَدَّبُوا بِأَدَبِ دِيْنِكُمْ الحَنِيـفِ ، وَتَخَلَّقُـوا بِأَخْلاقِـهِ ، الَّتِي أَرادَها لَكُمْ عِزّاً وَمَنَعَةً ، وَمَجْداً وَسُؤْدَداً.

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَمْ تَهُونُوا عَلَىَ أَعْدائِكُمْ إِلاَّ حِيْنَ هَانَ عَلَيكُمْ دِيْنُكُمْ.

إذا اللهُ أَحْيا أمـةً لَـنْ يَرُدَّهَـا     إِلى المَوتِ قَهّارٌ وَلا مُتَجَـبِّرُ (٢)

وَأَنَّ آخِرَكُمْ لَنْ يَصْلُحَ إِلاَّ بِما صَلُحَ بِهِ أَوَّلُكُمْ ، إِنَّكُمْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صلى الله علَيـهِ وآلِهِ وَسِلَّمَ اخْتارَكُمُ اللهُ مِنْ بَيْنِ خَلْقِهِ لِتكُونُوا شُهَداءَ عَلَىَ النَّاسِ فَأَوْفُوا بِحَقِّ هَذِهِ الشَّهادَةِ بِالرُّجُوعِ إِلَىَ كِتابِ الله ، وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ، وَاْذكُرُوا دائِماً دُعاءَ رَسُولِ اللهِ صـلى الله علَيهِ وآلِهِ وَسِلَّمَ وَما تَعَوَّذَ مِنهُ فِي قَوْلِهِ صلى الله علَيـهِ وآلِـهِ وَسِـلَّمَ (( اللَّهُـمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْـوَةٍ لا يُسْتَجابُ لَهَا )) (٣).

---

(١) سورة العلق الآيات (٦-٨)

(٢) هذا البيت من البحر الطويل للشاعر حافظ إبراهيم.

(٣) رواه مسلم في كتاب (الذكر و الدعاء و التوبة والاستغفار) باب (التعوذ من شرِّ ما عمل و من شرِّ مـا لم يعمل) رقمه (٤٨٩٩) بلفظ: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" اللهمَّ إني أعـوذ بـك مـن العجـز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر. اللهمَّ آتِ نفسي تقواها وزكِّها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهمَّ إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يُـستجَاب لها".

وَاللهُ يَقُـولُ وَبِقَولِـهِ يَهْتَـدِي المهْتـدُونَ ﴿إِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ وَقـالَ عَـزَّ مِـنْ قَائِـلٍ كَـرِيمٍ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ .

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطْانِ الرَّجِيمِ.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

بارَكَ اللهُ لِي وِلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ وَنَفَعَنِـي وَإِيـاَّكُمْ منـه بِالآيـاتِ وَالـذِّكْرِ الحَكِيمُ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

(١) سورة يونس الآيتين (٦-٧).

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَ أَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَـشَرِ أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَ بَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ الُمحَيَّا والمَنْظَرِ وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

أَمَاَّ بَعْدُ عِبَادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى، اتَّقُـوا الله مِـنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أَيُّها المُسْلِمُونَ: لَقَدْ عَاشَ نَبِيُّكُمْ الكَرِيمُ ﷺ عَزِيـزَ الـنَّفْسِ عَفِيـفَ القَـصْدِ ، شَرِيفَ المَسْلَكِ ، فِي كُلِّ خَطْوَةٍ خَطاها ، وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ عاشَها ، وَلَمْ يَحْنِ الجَبِـينَ إِلاَّ لله ، وَلَمْ يَضَعْ حاجَتَهُ إِلاَّ بَيْنَ يَدَي رَبِّهِ ، وَهُوَ القائِلُ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَ السَّلامُ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»[1].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب (الغِنى غنى النفس) برقم(٥٩٦٥)، ورواه مسلم في كتاب الزكاة باب (ليس الغِنى عن كثرة العرض) برقم(١٧٤١).

وَجاءَ بَعْدَهُ صَحابَتُهُ يَطْلُبُونَ الأَشْياءَ بِعِـزَّةِ النُّفُـوسِ ، لأَنَّ الأُمُـورَ تَجْـرِي بِالْمَقادِيرِ ، وَقَدْ حَفِظُوا ما عَلَّمَهُمْ نَبِيُّهُمْ صَلَّى الله عليهِ وآلِـهِ وسـلَّمَ حِـيْنَ قـالَ فِـيما يَرْوِيهِ سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ رَضِيَ الله عنهُ قال: جاءَ جِبْرِيلُ إِلىَ النَّبِيِّ صـلَّى الله عليـهِ وآلِـهِ وَسَلَّمَ فَقالَ: «يا مُحَمَّدُ: عِشْ ما شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ ، واعمَلْ ما شِئتَ فإِنَّك مَجْزِيٌّ به و أَحْبِبْ مَنْ شِئتَ فإِنَّك مُفَارِقُهُ وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيامُ اللَّيْلِ وَعِزَّهُ اسْتِغْناؤُهُ عَنِ النَّاسِ»[1].

هَذِهِ الْمُفاضَلَةُ بَيْنَ النَّاسِ الَّتِي جَعَلَها الإِسْلامُ هِـيَ الَّتِـي جَعَلَـتْ مِـنْ بِـلالٍ الحَبْشِيِّ مُؤمِناً عَزِيزاً عالِيَ النَّفْسِ ، وَجَعَلَتْ مِنْ سلمانَ الفارِسِيِّ حَسِيباً قَرِيبـاً ، كَـما أَسْقَطَتْ الحَسِيبَ النَّسِيبَ أَبا جَهْلٍ الغَنِيَّ الْمُشْرِكَ فِي الحَضِيضِ الأَسْفَلِ

فَقَدْ رَفَعَ الإِسْلامُ سَلْمانَ فارِسٍ     وَقَدْ وَضَعَ الشِّرْكُ الحَسِيبَ أَبا لَهَبْ[2]

وَهِيَ كَذَلِكَ زَرَعَتْ فِي الْمُؤْمِنِ تَواضُعاً مَعَ أَخِيهِ ، وَعِزَّةً وَتَرَفُّعاً مَعَ الكافِرِ ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[3].

---

(١) رواه الطبراني في معجمه الأوسط (٤/ ٣٠٦)، و ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد(٢/ ٢٥٢) و قـال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه زافر بن سليمان وثّقه أحمد وابن معين وأبو داود وتكلم فيه ابن عدي وابن حبان بما لا يضرّ.

(٢) هذا البيت يُنسب لسيدنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه و رضي عنه و قبله بيت هو:

لعَمْـرُكَ مـا الإنـسانُ إلا ابـنُ دينِـهِ     فلا تتركِ التقوى اتّكالاً على النَّسَبْ

(٣) سورة المائدة آية (٥٤).

فالمُؤْمِنُ بِإِيمانِهِ عَزِيزٌ ذَلِيلٌ فِي نَفْسِ الوَقْتِ ، عَزِيزٌ عَـلىَ الأَعْـداءِ ذَلِيـلٌ هَـيِّنٌ مُتَواضِعٌ مَعَ الْمُؤْمِنِين وَمَنْ يَسْتَحِقُّ التَّواضُعَ .(إذا عز أخوك فهن)[1]

فالتَّواضُعُ أَدَبٌ مَحْمُودٌ وَخُلُقٌ إِسْلامِيٌّ رفيعٌ، لِمَنْ يَتَواضَـعُ لأَبَوَيْـهِ وَيَخْفِـضُ لَهُـما جَنـاحَ الـذُّلِّ مِـنَ الرَّحْمَـةِ ، وَالتَّواضُـعُ لِمَـنْ لَـهُ فَـضْلٌ عَلَيـكَ فَيَتَواضَـعَ الطالِبُ لأُسْتاذِهِ ، وَالْمُرِيدُ لِشَيْخِهِ ، وَالصغِيرُ لِلْكَبِيرِ ، وَلِذَوِي العِلْمِ والفَـضْلِ بَـلْ وَلِكلِّ مُسلِمٍ ، وَلَيسَ فِي ذَلِكَ عارٌ وَلا احْتِقارٌ ، وَلا إِهانَةٌ وَلا صَغارٌ ، كَما يَعْتَقِـدُها بَعْـضُ مِمَّـنْ فـاتَتْهُمْ بَرَكَـةُ الإِسْـلامِ ، وَغـابَ عَـنْهُمْ مـا جـاءَ فِي الآيَـة ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[2]﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[3].

وَلَكِن التَّواضُعَ والذِّلّ لأَهْلِ المالِ مِنْ أَجل المَالِ عَارٌ وَصَغَارٌ.

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ الْمُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَـصَرَهُ ، خُـصُوصَاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِـي بَكْـرٍ وعُمَـرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَـلَّى الله عَلَيـهِ وسَـلَّمَ سَـيِّدَي

---

(١)وهو قول هذيل بن هبيرة وقوله فهن من الهوان، أي إذا تعزز وتعظم فتذلل أنت وتواضع، وقيل هو بكسر الهاء من وهن يهن أو هان يهين إي لان، أي إذا صعب واشتد فلن له ويأسره: وهو أصح.

(٢) المائدة٥٤

(٣) الفتح٢٩

شَبَاب أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْدِالله الـحُسَينِ ، وعَلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُـبْرَى ، و عَـنْ عَائِـشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّـي رَسُـولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَـشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ طَلْحَـةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَـعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيـعِ أَصْـحَابِ رَسُـولِ الله رِضْـوَان الله تَعَـالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجـلِيَ الظُّلْمَـةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ فَـرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ، والـمُـسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانَنَـا ، وابْـسُطِ الأَمْــنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوع بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرَ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَ وَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عونَاً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَوِّكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثَاً مُغِيثَاً هَنِيئَاً مَرِيئَاً ، سَحَّاً عَامَّاً دَائِمَاً مُبَارَكَاً فِيهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

عِبَادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ ؛ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَ الله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# الوحدة العربية الإِسْلامِيَّة

## الخطبة الأولى

الحَمْدُ لله المُتَفَرِّدِ بِمَجْدِهِ وَكِبْرِيائِهِ ، لَهُ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ فِي رِقابِ عَبِيدِهِ وَأَرِقَّائِهِ ، وَنَسْأَلُهُ اللُّطْفَ وَالتَّخْفِيفَ عَنَّا فِي امْتِحانِهِ لَنَا وَابْتِلائِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي أَرْضِهِ وَسَمائِهِ ، شَهادَةً تَطْمَئِنُّ بِها النُّفُوسُ ، وَتَتَطامَنُ لَها الرَّؤُوسُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الَّذِي اخْتَارَهُ الله تَعالَى مِنَ الذَّرْوَةِ العُلْيا ، فِي صَمِيمِ العَرَبِ العَرَباءِ ، وَعَلَى آلِهِ أَهْلِ العَباءِ وَعَلَى أَصْحابِهِ البَرَرَةِ الأَتْقِياءِ.

أَمَّا بَعْدُ: أُوصِيكمْ أَيُّها الْمُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى فَإِنَّها العُرْوَةُ الوُثْقَى ، وَتَزَوَّدُوا بِها فَإِنَّ خَيرَ الزَّادِ التَّقْوَى.

يا إِخْوَةَ الإِسْلامِ وَالإِيمانِ: نَسْتَعْرِضُ ـ وَنَحْنُ ما نَحْنُ اليَومَ ـ ماضِينا وَأَمْجادَنا مَنْذُ انْبَثَقَتْ أَشِعَّةُ الإِسْلامِ مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ دَخَلَتِ الأُمَّةُ العَرَبِيَّةُ فِي طَورٍ جَدِيدٍ مِنْ حَياتِها، لَمْ تَكُنْ قَبْلَهُ شَيئاً مَذْكُوراً، نَعَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ قَبْلَ الإِسْلامِ كَيانٌ سِياسِيٌّ مُوَحَّدٌ يَلُمُّ شَمْلَهُمْ ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ رِسالَةٌ إِنْسانِيَّةٌ مُقَدَّسَةٌ يَعِيشُونَ فِي ظِلِّها ، فَلَمَّا بَعَثَ الله الرَسُولَ العَرَبِيَّ مُحَمَّداً صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَصاغَهُمْ بالإِسْلامِ صِياغَتَهُ الْمُحْكَمَةَ، بَدَأَتْ الأُمَّةُ العَرَبِيَّةُ تَظْهَرُ فِي التَّارِيخِ وَأَخَذَتْ تَتَّسِعُ رقْعَتُها قَرْناً بَعْدَ قَرْنٍ ، وَجُذُورُها تَتَعَمَّقُ حِيناً بَعْدَ حِينٍ ، حَتَّى أَصْبَحَتِ الأُمَّةُ العَرَبِيَّةُ بِهَذِهِ

الرِّسالَةِ الَّتِي حَمَلَتْها تمَثِّلُ غايَةً مِنْ أَنْبَلِ الغاياتِ وَأَعْرَقِها وَدانَتْ لَهُمْ خَلائِقُ عَدِيـدَةٌ تَمُوجُ بِهِمْ الأَرْضُ فِي عِدَّةِ قاراتٍ.

إِنَّ هَذا الوَطَنَ العَرَبِيَّ الإِسْلامِيَّ الكَبِيرَ ـ سَواءٌ كانَ أَهْلُهُ عَرَباً أَصَائِلَ بِالـدَّمِ المَوْرُوثِ أَوْ عَرباً مُسْتَعْرَبِينَ بِاللِّسانِ وَالـشُّعُورِ وَالأَحاسِـيسِ ، فَـالأَمْرُ فِي نَظَرِنـا سَواءً ـ هُوَ وَطَـنٌ مُوَحَّـدٌ واحِـدٌ ، وَلَقَـدْ انْطَلَقَـتْ العَـرَبُ المُسْلِمُونَ تَحْـتَ رايَـةِ الإِسْلامِ الخَفَّاقَةِ، يحْمِلُونَ رِسالَةً سَماوِيَّةً مُقَدَّسَةً، يَحْدُوها نِداءٌ إِلَهِيٌّ، بَعْدَ أَنْ عاشُوا رَدْحاً طَوِيلاً مِنَ الزَّمَنِ قابِعِينَ فِي جَزِيرَتِهِمْ ، وَلَو أَنَّهُمْ تَحَرَّكُوا مِنْ غَيرِ هَذِهِ الرِّسالَةِ الإِسْلامِيَّةِ لَتَلاشَتْ رُسومُهمْ تَحْتَ ضَرَباتِ العِصِيِّ مِنَ الرُّومِ وَالفُرسِ ، وَلا نَقُولُ ضَرَباتِ السُّيُوفِ فَإِنَّ أَمْرَهُمْ كانَ أَهْوَنُ مِنْ ذَلِكَ ، فَوَطَنُ العُرُوبَـةِ وَطـأَ الإِسْـلامُ أَكْنافَهُ ، وَوَسَّعَ حُدُودَهُ وَجَعَلَهُ يَرْبُو وَيَزِيـدُ أَضْـعافًا مُـضاعَفَةً عَـلَى الـوَطَنِ الأُمِّ ، وَجَعَلَ كُلَّ شِبْرٍ فِيهِ مَسْئُولاً عَنِ الرِّسـالَةِ الَّتِـي قـامَ بِهـا وَعـاشَ لَهـا ، وَإِنَّ عِنايَتَنـا بِالْوَطَنِ العَرَبِيِّ الكَبِيرِ لا تَنْقُصُ ذَرَّةً مِنْ عِنايَتِنا بِالوَطَنِ الإِسْلامِيِّ الأَكْبَرِ.

فَهَذا الوَطَنُ الأَعْظَمُ يَضُمُّ إِخْوانَ العَقِيدَةِ الَّذِينَ لا يُمْكِنُ أَنْ تَـبْلَى صِـلاتُهُمْ بِنا ، وَلا تهُونُ رَوابِطُهُمْ مَعَنا ، وَما يَتَعَرَّضُ لَهُ هَؤُلاءِ الأُخُوَّة مِـنْ عَنـاءٍ ، أَوْ يَنـالهُمْ مِنْ مَسَرَّةٍ تَخْفِقُ لَهُ أَرْواحُنا ، وَنُشْرِكُهُمْ فِي الاحْساسِ بِهِ شَرِكَةَ الجِسْمِ الواحِـدِ فِـيما يَنُوبُهُ مِنْ بَأْساءَ وَنَعْماءَ.

وَقَدْ بَكَى المُؤْمِنَونَ العَرَبُ مُصابَ إِخْوانهِمْ فِي البَلْقان وَالأَنْدَلُسِ سابِقاً ، كَما بَكَيْنا فِي عَصْرِنا هَذا احْتِلالَ اليَهُودِ لِفِلَسْطِينَ، وَالْبابُ مَفْتُـوحٌ اليَـومَ لِغَيْرِهـا مِـنَ الكَوارِثِ لا قَدَرَ الله ذَلِكَ ، وَلَكِنَّا ما دُمْنا نَحنُ العَـرَبُ نَنْتَـسِبُ لِقَومِيَّتِنـا العَرَبِيَّـةِ

فَحَسْبُ فَلا نَزِيدُ وَلا نَنْقُصُ عَنْ سِوانا مِنَ الأُمَمِ، وَلَكِنَّ المِيزَةَ الَّتِي تَرْفَعُ قَدْرَنا وَهِيَ ما نُقَدِّمُهُ لِلدُّنْيا وَالأَحْياءِ مِنَ الإِسْلامِ وَخَيْرَاتِهِ ، هَذِهِ الرِّسالَةُ الَّتِي حَمَلْناها سابِقاً، أَفاءَتْ عَلَيْنا مِنَ الأَمْجادِ والآلاءِ وَالنِّعَمِ مالا يُعَدُّ وَلا يُحْصَى ، هَذِهِ هِيَ رِسالَةُ الأُمَّةِ العَرَبِيَّةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَسُودَ وَطَنَها الكَبِيرَ، إِنَّها تَتَجَلَّى فِي رَبْطِ العُرُوبَةِ بِرِسالَتِها العُظْمَى، وَفِي رَبْطِها بِماضِيها العَرِيقِ ، وَتَمْهِيداً لِمُسْتَقْبَلٍ أَكْرَمَ ، إِنَّ أُمَّتَنا العَرَبِيَّةَ الإِسْلامِيَّةَ ظَلَّتْ مُوَحَّدَةً مُنْذُ وَحَدَّتِ الله تَعالَى ، وَما انْقَسَمَتْ إِلَى دُوَلٍ وَدُوَيْلاتٍ إِلا يَومَ أَخَلَّتْ بِعُهُودِها مَعَ الله ، إِنَّ هَذِهِ الوَحْدَةَ الَّتِي صَبَّها الإِسْلامُ فِي ضَمائِرِ المُؤْمِنِينَ جَعَلَتْهُمْ أُمَّةً يَصْدُقُ عَلَيْهِمْ قَولُهُ تَعالَى وَقَولُهُ الحَقُّ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾[1].

يا إِخْوَةَ الإِسْلامِ وَالإِيمانِ: يَجِبُ أَنْ نُلِمَّ بِتارِيخِنا العَرَبِيِّ الإِسْلامِيِّ لِنَرَى ما كُنَّا عَلَيهِ مِنْ وحَدَةٍ ، وَما وَصَلَنا إِلَيهِ مِنْ تَفَرُّقٍ وَتَمَزُّقٍ وِلِهَذا سَنَّ لَنا الله الجُمعَةَ وَالجَماعَةَ ؛ لِنَلْتَقِيَ يَوْمِيًّا عِدَّةَ مَراتٍ، وَمَرَّةً واحِدَةً وَفِي العِيدَيْنِ مَرَّتَيْنِ فِي العامِّ، وَالحَجِّ المُؤْتَمَرِ الإِسْلامِيِّ الأَعْظَمِ الَّذِي يُعْقَدُ سَنَوِياً فِي الأَراضِي المُقَدَّسَةِ وَمَحَلِّ مَهْبَطِ الوَحْيِ، ذَلِكَ كُلُّه لِتَقْوِيَةِ الرَّوابِطِ. وَلِنَفْهَمَ أَنَّ أَهَمَّ ما جاءَتْ بِهِ رُسُلُ الله صَلَواتُ الله عَلَيهِمْ وَسَلامُهُ بَعْدَ تَوحِيدِ الله تَعالَى هُوَ تَوحِيدُ الأُمَّةِ وَالْكَلِمَةِ «مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتراحُمِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ الواحِدِ إِذا اشْتَكَى مِنهُ عُضْوٌ تَداعَى لَهُ

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٩٢)

سائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى »[1] ، «والمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْـضُهُ بَعْـضًا»[2]،« وَيَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ »[3].

وَلَقَدْ شَهِدَتْ أَقْطارُ الوَطَنِ العَرَبِيِّ المُسْلِمِ فِي أَغْلَبِ تارِيخِها الـسَّابِقِ حُكُومَـةً واحِدَةً فَقَطْ ذاتَ رَئِيسٍ واحِدٍ ، وَعَلَمٍ واحِدٍ ، وَعاصِمَةٍ واحِدَةٍ، أَيًّا كانَـتْ المَدِينَـةُ المُنَوَّرَةُ ، أَوْ دِمِشْقُ الشَّامِ ، أَوْ بَغْدادُ العِراقِ ، أَوْ قاهِرَةُ المَعِزِّ ، لا فَرْقَ عِنْدَنا فِي ذَلِكَ وَإِنْ وَقَعَتْ بَعْضُ الأَحْـداثِ وَعَكَّـرَتْ صَـفاءَ تِلْـكَ الوَحْـدَةِ الـسِّياسِيَّةِ ، وَلَكِـنَّ العَرَبَ يَرَوْنَ تِلْكَ الأَحْداثَ أَعْراضاً زائِلَةً مَوقُوتَةً ، أَوْ سَحائِبَ صَيْفٍ عَنْ قَرِيْبٍ تَنْقَشِعُ ، وَلَمْ يَعْرِفْ العَرَبُ المُسْلِمُونَ مُنْذُ وُلِدَتْ دَوْلَتُهُمْ الكُبْرَى نُكْـراً وَلا صَـدْعاً كالَّذِي حَدَثَ لِوَحْدَتِهِمْ السِّياسِيَّةِ فِي هَذا العَصْرِ ، فَقَـدِ اتَّفَقَـتْ مـآدِبُ الاسْـتِعْمارِ الغَرْبِيِّ الَّذِي حَـطَّ بِكَلاكِلِـهِ زَمَنـاً عَـلَى صَـدْرِ الأُمَّـةِ، اتَّفَقَـتْ مَـعَ شَـهْواتِ نَفَـرٍ وَأَطْماعِهِمْ مِنْ أَبْناءِ العُرُوبَةِ، وَمِنْ طُلابِ الرِّياساتِ، فَقَسَّمُوا هَذِهِ الأُمَّـةَ إِلَى بِـضْعٍ وَعِشْرِينَ دَوْلَةً ، وَتَحْتَ عِشْرِينَ عَلَماً ، وَذاتَ عِشْرِينَ عاصِـمَةً ، وَعِـشْرِينَ جَيْـشاً، وَهَذا هُوَ مَصْدَرُ الضَّعْفِ ؟ وَلَنْ تَصْلُحَ لَنا الأُمُورُ أَبَداً بِهَذا الوَضْعِ المُعْوَجِّ المُتَعَمَّدِ ؛ فَإِنَّ طَبِيعَـةَ الأُمَّـةِ الواحِـدَةِ تَـأْبَى هَـذا التَّمْزِيـقَ ، وَطَبِيعَـةَ الرِّسـالَةِ الإِسْـلامِيَّةِ

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٠، رقم ١٨٤٠٤)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩، رقم ٢٥٨٦). وأخرجـه أيـضًا: البيهقـى (٣/ ٣٥٣، رقم ٦٢٢٣)، والقضاعى (٢/ ٢٨٣، رقم ١٣٦٧).

(٢)أخرجه البخاري (٢/ ٨٦٣، رقم ٢٣١٤)، ومـسلم (٤/ ١٩٩٩، رقـم ٢٥٨٥)، والترمـذى (٤/ ٣٢٥، رقم ١٩٢٨) وقال: حسن صحيح. والنسائى (٥/ ٧٩، رقم ٢٥٦٠)، وابن حبان (١/ ٤٦٧، رقم ٢٣١).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة.

الضَّخْمَةِ الَّتِي نحمِلُها تَأْبى هَذا التَّمْزِيق ، لأَنَّ عَصْرَنا هَذا اليَومَ لَيْسَ عَصْرَ الدُّوَلِ الصُّغْرَى ، وَالْكياناتِ المُصَغَّرَةِ الَّتِي تَتَصارَعُ فِيما بَيْنَها عَلَى حُدُودٍ مُصْطَنَعَةٍ.

وَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّ الخِلافَةَ الإِسْلامِيَّةَ فَرَضَتْ حُكُومَةً مَرْكَزِيَّةً واحِدَةً لِهَذا الوَطَنِ الكَبيرِ ، تتَجاوَبُ شِمالُها مَعَ جَنُوبِها ، وَغَرْبُها مَعَ شَرْقِها ، وَنَجِدُ أَنَّ الدِّفاعَ العَسْكَرِيَّ عَنْ أَيِّ جُزْءٍ مِنْ هَذا الوَطَنِ لا يَصْلُحُ إِلا إِذا عاوَنَتْهُ بَقِيَّةُ الأَجْزاءِ ، وَما اسْتَمْكَنَ الأَعْداءُ مِنْ تَثْبِيتِ أَقْدامِهِمْ فِي قُطْرٍ مِنْ أَقْطارِ العُرُوبَةِ إِلا إِذا كانَ هُناكَ مِنَ الانْقِسامِ السِّياسِيِّ ما يُتِيحُ لِلْغُزاةِ أَنْ يَبْطِشُوا بَطْشَهُمْ، وَعَلَيْهِمْ دِرْعٌ مِنْ خِيانَةِ الخائِنِينَ وَذَبْذَبَةِ المُتَذَبْذِبِينَ.

وَيَنْبَغِي أَلا نَنْسَى لِهَذه الخِلافَةِ المَطْلُوبَة أَنَّها:

أ. حالَتْ دُونَ افْتِعالِ الإِماراتِ وَالدُّوَيْلاتِ المُسْتَقِلَّةِ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ المُوَحَّدَةِ تِلْكَ الإِماراتِ وَالدُّوَيْلاتِ الَّتِي تَحْيى دائِماً عَلَى اسْتِنْزافِ الشُّعُوبِ وَخِيانَةِ مَصالِحِها وَمُعاوَنَةِ الأَجْنَبِيِّ وَمُساعَدَةِ أَطْماعِهِ.

ب. قَوَّتْ شُعُورَ الإِخاءِ وَالتَّناصُرِ بَينَ أَهْلِ هَذا الوَطَنِ الوَاحِدِ عَلَى اخْتِلافِ الدَّارِ ، وَبُعْد الشُّقَّةِ، وَجَعَلَتْ العَرَبِيَّ فِي اليَمَنِ مَثَلاً مَسْئُولاً عَنِ نُصْرَةِ أَخِيهِ المُسْلِمِ فِي تِيمُورِ إِنْدُونِيسيا ، وَمَالِيزيا وَالسِّنَغالِ ، وَالشِّيشانِ فَضْلاً عَنِ فَلِسْطِينَ وَالعِراقِ وَأَفْغانِسْتان.

جـ. جَعَلَتْ وَلاءَ الأَفْرادِ لِلدَّولَةِ صادِراً عَنْ ضَمِيرٍ دِيْنِيٍّ مُخْلِصٍ فكانَ العَرَبِيُّ مَعَ طاعَتِهِ لله يُطِيعُ التَّعْلِيماتِ وَالأَوامِرِ الَّتِي تَكْلِّفُهُ السَّلَطاتِ بِها عَلَى اعْتِبارِ أَنَّها أَوامِر إِسْلامِيَّةٌ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الأَعِزَّاء: إِنَّ غَرَضَنا مِنْ سَرْدِ هَذِهِ اللَّمْحَةِ المُوجَزَةِ مِنْ تارِيخِ أُمَّتِنا وَفِي هَذا الظَّرْفِ العَصِيبِ بِالذَّاتِ إِلا أَخْذُ الدَّرْسِ المُفِيدِ إِلا وَأَخْذُ العِبْرَةِ وَالاعْتِبارِ، وَالتَّذْكِيرِ وَالأَدكارِ، وَلأَنَّنا اليَومَ فِي هَذِهِ الظُّرُوفِ الصَّعْبَةِ الَّتِي تَتَوالَى عَلَينا تِباعًا يوماً بَعْدَ يومٍ فالشَّرقُ الأَوْسَطُ هُوَ مَنْبَعُ الإِسْلامِ وَمَهْدُ العُرُوبَةِ لا يَكادُ يَخْرُجُ مِنْ مِحْنَةٍ إِلا وَيَقَعُ فِي أُخْرَى، وَما يَكادُ يَفْلِتُ مِنْ مُؤامَرَةٍ إِلا وَتَنْتَظِرُهُ الأُخْرَى، هَكَذا أُرِيدَ لَنَا وَما عَرَفْنا قَدْرَ نِعْمَةِ الوحْدَةِ العَرَبِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ الكُبْرَى الَّتِي فصَمْنَا عُراها، وَأَوْهَنَّا قُواها، إِلا عِنْدَما ذُقْنا مَرارَةَ الاخْتِلافِ وَالخُلفِ، وَاصْطَلَيْنا بِنارِ الذُّلِّ وَالقَهْرِ، فَندِمنَا وَ لاتَ ساعَةَ مَنْدَمٍ، وَالعَدُوُّ يُحَرِّمُ عَلَينا ما يُحِلُّهُ لأَعْدائِنا، وَبِاسْمِ يُسَمُّونَهُ الدِّيمِقْراطِيَّةَ وَالعَدالَةَ وَالتَّشْرِيعَ الدَّولِي وَحُقُوقَ الإِنْسانِ، صارَتْ مَنْطِقَتُنا كُلُّها مَيْداناً لِلأَساطِيلِ الهائِلَةِ، وَمَسْرَحاً لِلأَسْلِحَةِ المُدَمِّرَةِ الفَتَّاكَةِ، حَتَّى صِرْنا نَعِيشُ حَياةَ قَلَقٍ وَاضْطِراباتٍ نَفْسِيَّةٍ، يُعادِي بَعْضُنا البَعْضَ الآخَرِ.

فَما أَحْوَجُنا اليَومَ إِلَى مَنْ يَرُدُّ عَلَينا إِيمانَنا بِعَقِيدَتِنا وَثِقَتَنا بِأَنْفُسِنا، وَاعْتِزازَنا بِماضِينا، وَرَجاءَنا فِي مُسْتَقْبَلَنا، وَما أَحْوَجُنا إِلَى مَنْ يَرُدُّ عَلَينا إِيمانَنا بِهَذا الدِّينِ الَّذِي ارْتَضاهُ الله لَنا، وَالَّذِي نَحْمِلُ اسْمَهُ وَنَجْهَلُ كُنْهَهُ، وَنَأْخُذُهُ بِالوِراثَةِ أَكْثَرَ مِمَّا نَأْخُذُهُ بِالمَعْرِفَةِ، إِنَّنا خَسِرْنا وَلا نَزالُ نَخْسرُ ومَعَنا العالَمُ كُلُّهُ بِسَبَبِ هَذا الانْحِطاطِ.

وَالمُصِيبَةُ كُلَّ المُصِيبَةِ أَنَّ بَعْضَ رِجالِ الدَّوْلَةِ فِي كُلِّ البِلادِ العَرَبِيَّةِ كانُوا أَمْثِلَةً حَيَّةً لِلاسْتِبْدادِ وَالاسْتِهْتارِ، مُنْغَمِسِينَ فِي اللذَّاتِ وَالشَّهَواتِ، وَأَخْلَدُوا إِلَى التَّرَفِ وَالنَّعِيمِ، وَإِلَى المَلاهِي وَالمَلاعِبِ، فَسَرَتْ رُوحُهُمْ وَنَزَعاتُهُمْ وَنَفْسِيَّاتُهُمْ فِي الحَياةِ

العامَّةِ وَالمُجْتَمَعِ ، وَأَصْبَحُوا أُسْوَةً فِي أَخْلاقِهِـمْ ، وَعَوائِـدِهِمْ وَمُيُـولِهِمْ ، وَزالَـتْ رَقابَةُ الدِّينِ وَالأَخْـلاقِ ، وَارْتَفَعَـتْ الحِـسْبَةُ ، وَفَقَـدَتْ حَرَكَـةُ الأَمْـرِ بـالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ سُلْطانَها وَهَيْبَتَها، وَبِهَذِهِ السِّيرَةِ وَبِهَذِهِ الأَخْلاقِ المُنْحَطَّـةِ ، وَمَـعَ هَذا الانْهِماكِ فِي المَلاهِي ، زِيادَةً عَلَى المعاوِلِ الهَدَّامَةِ مِنْ قِبَلِ أَعْدائِنا لا تَـسْتَطِيعُ أَيَّـةُ أُمَّةٍ أَنْ تُؤَدِّيَ رِسالَةَ الإِسْلامِ ، وَأَنْ تَقُومَ فِي الدُّنْيا مَقامَ خُلَفاءِ الأَنْبِياءِ ، وَتُذَكِّرَ بِاللهِ وَالآخِرَةِ ، وَتَحُضَّ عَلَى التَّقْوَى والدِّينِ وَأَنْ تَكُونَ أُسْوةً لِلنَّاسِ فِي أَخْلاقِهـا ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾[1] وَلا حَــولَ وَلا قُــوَّةَ إِلا بِاللهِ عَلِيِّ العَظِيمِ.

إِنَّنا وَالحَقُّ يُقالُ لا نَطْمَحُ فِي إِعادَةِ الوحْدَةِ العَرَبِيَّةِ الإِسْـلامِيَّةِ كَـما كانَـتْ فِي تارِيخِنا السَّابِقِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُتَعَسِّرٌ أَوْ مُتَعَذِّرٌ وَنَحْـنُ مـا نَحْـنُ اليَـومَ ، وَإِنَّـما نُنـادِي بِاتِّحادٍ وَتَصالُحٍ يَرْأَبُ الصَّدْعَ ، وَيَجْمَعُ الشَّمْلَ ، وَيُوَحِّدُ الـصَّفَ كَـما تَـدْعُو اليَـومَ اليَمَنُ بِقِيادَةِ رَئِيسِها المُوَفَّقِ فِي نِدائِهِ التَّارِيخِيِّ الَّذِي رَفَعَهُ لِلزُّعَماءِ العَرَبِ والمُسْلِمِينَ راجِياً الاسْتِجابَةَ وَالتَّلْبِيَةَ ، هَذا ما يُمْكِنُ أَنْ يُقالَ اليَومَ.

اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَقْتَكَ وَغَضَبَكَ عَنَّا ، يـا مَـنْ إِلَيـهِ تُرْفَـعُ الأَكُـفُّ وَتُمَدُّ الأَيْـدِي ضارِعَةً فَلا تَرُدَّها خائِبَةً ، وَلا تَكِلْنا إِلَى أَنْفُسِنا طَرْفَـةَ عَـيْنٍ ، اللَّهُـمَّ أَلْهِمْنـا رُشْـدَنا وَخُذْ بِنَواصِينا وَنَواصِي وُلاتِنا إِلَى ما فِيهِ خَيرُنا وَخَيرُهُمْ وَصَلاحُنا وَصَـلاحُهُمْ يـا رَبَّ العالَمِينَ.

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٣

وزعماء العرب يَتَّفِقُونَ حِيناً وَيَخْتَلِفُونَ أَحْياناً ، وَيَجْتَمِعُونَ مَرَّةً وَيَفْتَرِقُونَ مَرَّاتٍ ، كَما عَرَفْناهُمْ فِي مُؤْتَمَراتِ القِمَّةِ وَآخِرُها المُؤْتَمَرُ الرابِعُ عَشَرَ بِالأَمْسِ فِي بَيْرُوت لبَنان كَيفَ كانَ وَكَيفَ نَتائِجُهُ، إِنَّ العَدُوَّ كَعادَتِهِ يَرْمِي بِقَرارِنا عَرْضَ الحائِطِ لا يَحْسِبُ لدَوْلَتِنا حِساباً، فِي كِبْرِياءِ وَغَطْرَسَةٍ وَصَلَفٍ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي المُهْتَدُونَ ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [1] وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [2].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [3].

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٦٤-١٦٥)

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَــهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَــهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الـصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَــهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَــهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيْرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلَائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

أما بعدُ: فيا عِبَادَ الله: أُوصِـيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْـوَى الله تَعـالى، اتَّقُـوا الله مِـنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاء: لِنُعِيدَكُمْ إِلَى ماضِي الإِسْلامِ والمُسْلِمِينَ عِنْدَ مـا ظَهَـرُوا وَتَزَعَّمُوا العالَمَ ، وَعَزَلُوا القِياداتِ المَرِيضَةَ مِـنْ زعامَـةِ الإِنْـسانِيَّةِ الَّتِـي اِسْـتَغَلَّتْها وَأَساءَتْ إِلَيها ، فَسارُوا سَيْراً حَثِيثاً مُتَّزِناً عادِلاً ، وَقَدْ تَوَفَّرَتْ لَدَيْهِم الصِّفاتُ الَّتِـي تُؤَهِّلُهُمْ لِقِيادَةِ الأُمَمِ وَنضْمَنُ سَعادَتَنا وَفلاحَنَا فِي ظِلِّهِـمْ وَتَحْـتَ قِيـادَتِهِمْ، دُونَـما شَماتَةٍ بِأَحَدٍ أَوْ سُخْرِيَّةٍ بِزَعِيمٍ، مَهْما كانَ ظالِماً أَوْ مُتَغَطْرِساً ، كَما هِـيَ حالَـةُ أَعْـدائِنا اليَومَ مَعَ الحُكامِ المَعْزُولِينَ، يَشْتَمُونَ وَيَسْخَرُونَ بِهِمْ، وَهَـذِهِ لَـو عَقَلْناهـا سُـخْرِيَّةٌ

وَاسْتِحْقاراً للأُمَّةِ العَرَبِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ بِأَجْمَعِها ؛ لأَنَّهُمْ أَوَّلاً أَصْحابُ كِتابٍ مُنَزَّلٍ وَشَرِيعَةٍ إِلَهِيَّةٍ ، فَلا يُقَنِّنُونَ وَلا يُشَرِّعُونَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِم ؛ لأَنَّ ذَلِكَ مَنْبَعُ الخَطَأِ وَالظُّلْمِ وَلا يخبِّطُونَ فِي سُلُوكِهِمْ وَسِياسَتِهِمْ كَما هِيَ حالُنا اليَومَ خَبطَ عَشْواءَ ، قَدْ جَعَلَ الله لَهُمْ نُوراً يَمْشُونَ بِهِ فِي النـاسِ ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [1]، وَلأَنَّهُمْ ثانِياً لَمْ يَتَوَلَّوا الحُكْمَ وَالْقِيادَةَ بِغَيْرِ تَرْبِيَةٍ خُلُقِيَّةٍ وَتَزْكِيَةِ نَفْسٍ ، بِخِلافِ غالِبِ رِجالِ الحُكُومَةِ فِي الماضِي وَالحاضِرِ بَلْ مَكَثُوا زَمَناً طَوِيلاً تَحْتَ تَرْبِيَةِ مُعَلِّمِهِمْ الأَوَّلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَإِشْرافِهِ الدَّقِيقِ، يُزَكِّيهِمْ وَيُؤَدِّبُهُمْ وَيَأْخُذُهُمْ بِالزُّهْدِ وَالوَرَعِ وَالعَفافِ وَالأَمانَةِ ، إِنَّهُمْ تَحَمَّلُوا المَسْئُولِيَّةَ بِأَمانَةٍ ، وإِيثارٍ عَلَى النَّفْسِ وَخَشْيَةِ الله وَعَدَمِ الاسْتِشْرَافِ عَلَى الإِماراةِ وَالحِرْصِ عَلَيها، وَيُقَرِّعُ أَسْماعَهُمْ بِقَولِ الله ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ فَكانُوا لا يَتَهافَتُونَ عَلَى الوَظائِفِ وَالمَناصِبِ تَهافُتَ الفَراشِ عَلَى الضَّوءِ ، بَلْ كانُوا يَتَدافَعُونَها وَيَتَحَرَّجُونَ مَنْ تَقَلُّدِها ، فَضْلاً عَنْ أَنْ يُرَشِّحُوا أَنْفُسَهُمْ لِلإِمارَةِ ، وَيُزَكُّوا أَنْفُسَهُمْ وَيَنْشُرُوا دعايَةً لَها، وَيُنْفِقُوا الأَمْوالَ سَعْياً وَراءَها ، فَإِنْ تَوَلَّوا شَيئاً مِنْ أَمْوالِ الناسِ تَعَيَّنَ عَلَيهِمْ لا يَعُدُّوهُ مَغْنَماً وَلا مَكْسَباً ، بَلْ عَدُّوهُ أَمانَةً فِي أَعْناقِهِمْ وَامْتِحاناً مِنَ الله ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مَوْقُوفُونَ أَمامَ رَبِّهِمْ وَمَسْئُولُونَ عَنِ الدَّقِيقِ وَالجَلِيلِ.

(١) الأنعام آية ١٢٢.

هَذا لَونٌ مِنْ سِيْرَةِ سَلَفِنا نَسْتَعْرِضُهُ اليَـومَ وَنَحْـنُ مـا نَحْـنُ ؛ لِنَـرَى البَـونَ الواسِعَ والفَرَقَ الشَّاسِعَ فِيما بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيهِ راجِعُونَ ، وَلا حَـولَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ ، وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ.

واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِـي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ ﷺ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْدِاللهِ الـحُسَينِ وعَلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ رِضْوَان اللهِ تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجَلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـس هَـمَّنَا.نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ

تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ.اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَافِرِ الذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوع بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والْمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، واكْتُبِ السَّلامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئـاً ، سَحّاً عَامّـاً دَائِمـاً مُبَارَكاً فِيـهِ ، نَافِعاً غَيرَ ضَارٍّ.﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

عِبَـــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# دور التعَاون في دعم المجتمع الإِسْلَامي

## الخطبة الأُولَى

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَمَرَنَا بَالتَّمَسُّكِ بِعُرْوَتِهِ الـوُثْقَى، وَالْاعْتِـصَام بِحَبْلِـهِ المَتِـينِ، وَحَثَّنَا عَلَى أَنْ نَتَعَاوَنَ وَنَتَرَاحَمَ، لِنُقِيمَ مُجْتَمَعاً صَـالِحاً، تَـسُودُ فِيـهِ المَحَبَّـةُ وَالْأُلْفَـةُ، وَتَأْتلِفُ فِيـهِ القُلُـوبُ تَحْـتَ رَايَـةِ الإِسْـلَامِ، وَفِي حَظِـيرَةِ الْإِيـمَانِ فَقَـالَ سُـبْحَانَهُ ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[1].

وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيك لَهُ، جَمَعَ القُلُوبَ بِفَـضْلِهِ، وَأَعْطَـى كُلَّ شَيءِ خَلْقَهُ، وَكُلَّ كَائِنٍ حَقَّهُ، ثُمَّ هَـدَى، وَعَلَّـمَ عِبَـادِهُ أَنَّهُـمْ مُـسْتَخْلَفُونَ فِـيمَا يَمْلِكُونَ، وَأَنَّهُمْ مَنْصُورُونَ حِينَ يَتَعَـاوَنُونَ وَيُحْـسِنُونَ، مَهْزُومُـونَ حِـينَ يَخْتَلِفُـونَ وَيُسِيئُونَ، ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[2].

وأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، عَاشَ طِيلَـةَ حَيَاتِـهِ لِأُمَّتِـهِ لَا لِذاتِـهِ، فَلَمْ تُشْغِلْهُ فِي دُنْيَاهُ رَغْبَةٌ، وَلَمْ تُوْقِفْهُ عَنْ نَشْرِ دَعْوَتِهِ رَهْبَةٌ، بَـلْ أَخْلَـصَ للهِ العَمَـلَ، وَأَقَامَ أُمَّةَ التَّوحِيدِ وَالْوحْدَةِ، وَالْعَدْلِ وَالرَّشَادِ وَالْحِكْمَةِ.

(١) سورة المائدة آية ( ٢ )

(٢)سورة الحشر آية ( ٩ )

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا الحَقَّ وَسَارُوا عَلَى هُدَاهُ، فَأَعَزَّهُمُ اللهُ، وَمَكَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَجعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَجعَلَهُمْ الوَارِثِينَ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ وَأَرْضاهُمْ، وَكَتَبَ لَهُمُ السَّعَادَةَ وَالتَّوفِيقَ.

أَمَّا بَعْدُ: فيَا عِبَادَ الله أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعَالَى، فَمَنْ أَخَذَ بِهَا سَلِمَ وَمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا رَبِحَ وَغَنِمَ، تَزَوَّدُوا مِنْهَا بِأَكْرَمِ زَادٍ وَادَّخِرُوهَا لِيَومِ الحَشْرِ وَالْمَعَادِ.

يَا عِبَادَ الله: إِذَا كَانَ مِنَ الصَّعْبِ عَلَينَا نَحْنُ البَشَرُ أَنْ نَتَعَاوَنَ عَلَى إِصْلَاحِ بِلَادِنَا لَأَنَّهَا قَدْ تُسَيْطِرُ الفَرْدِيَّةُ المَمْقُوتَةُ، وَالْمَصَالِحُ الشَّخْصِيَّةُ المَحْدُودَةُ، إِلَّا إِنَّنَا لَا بُدَّ مِنْ أَنْ نَعْتَبِرَ وَنَتَّعِظَ مِنْ مَخْلُوقَاتِ الله تَعَالَىَ الَّتِي طَبَعَهَا الله عَلَى التَّعَاوُنِ وَالنِّظَامِ فِي العَمَلِ وَالْمَسْئُولِيَّةِ فِي شُئُونِ الحَيَاةِ ؛ لَأَنَّ التَّعَاوُنَ غَرِيزَةٌ مَطْبُوعَةٌ فِي أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ عَالَمِ الْأَحْيَاءِ، وَهُوَ سَبِيلُ بَقَائِهَا فِي هَذِهِ الحَيَاةِ، فَعَلَى سَبِيلِ المِثَالِ نَرَى النَّمْلَ، هَذِهِ الحَشَرَاتِ الصَّغِيرَةِ الحَقِيرَةِ كَيفَ تَعِيشُ، أَسْرَابًا وَجَمَاعَاتٍ مُنَظَّمَةً، تَتَعَاوَنُ فِيمَا بَيْنَهَا فِي دَأْبٍ وَصَبْرٍ وَمُثَابَرَةٍ فِي أَعْمَالِهَا المَعِيشِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَمُحَاوَلَاتِهَا الْمُتَعَدِّدَةِ ؛ لِتُحَافِظَ عَلَى حَيَاتِهَا، وَتُبْقِيَ عَلَى ذَاتِهَا فَهِيَ تَدَّخِرُ لِنَفْسِهَا القُوتَ، وَتُحَافِظُ عَلَيهِ لِتَنْتَفِعَ بِهِ فِي الوَقْتِ الَّذِي لَا تَسْتَطِيعُ فِيهِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ مَسَاكِنِهَا، وَإِذَا مَا تَعَرَّضَتْ لِخَطَرٍ دَاهِمٍ يُهَدِّدُهَا، تَجَمَّعَتْ وَتَعَاوَنَتْ عَلَى دَفْعِهِ، وَتَعُدُّ هَذَا التَّعَاوُنَ الوَسِيلَةَ الوَحِيدَةَ لِدَرْءِ هَذِهِ الْأَخْطَارِ، وَالقُرْآنُ الكَرِيمُ يَقُصُّ عَلَينَا نَحْنُ البَشَرُ العُقَلَاءُ مَوْقِفاً مِنْ مَوَاقِفَ هَذَا النَّوعِ الضَّعِيفِ مِنَ المَخْلُوقَاتِ، وَهُوَ يُكَافِحُ دِفَاعاً عَنْ بَقَائِهِ مُتَآلِفاً مُتَعَاوِناً، نَشِيطاً وَمُنَظَّماً وَمُرَتَّباً لأَعْمَالِهِ ؛ لِكَيْ نَأْخُذَ الدَّرْسَ المُفِيدَةَ، فَحِينَمَا مَرَّ سُلَيمَانُ بْنُ دَاودَ عَلَيهِمَا السَّلَامُ بِوَادٍ فِيهِ نَمْلٌ كَثِيرٌ، وَهُوَ مَعَ جَيشِهِ الكَبِيرِ لَا

يَشْعُرُ بَأَنَّ عَلَى الْأَرْضِ نَمْلاً يَسْعَى وَيَقُومُ بِعَمِلِهِ، أَحَسَّتْ نَمْلَةٌ وَاحِدَةٌ بِدُنُوِّ الخَطَرِ، فَصَاحَتْ بِلُغَتِهَا فِي بَنِي جِنْسِهَا؛ لِيَتَنَبَّهُوا إِلَى مَصْدَرِ الخَطَرِ وَيَتَوَقَّوهُ، قَالَ تَعَالَى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1] وَكَذَلِكَ جَمَاعَاتُ النَّحْلِ تَتَعَاوَنُ فِي دِقَّةٍ وَتَنْسِيقٍ عَلَى القِيَامِ بِوَاجِبَاتِهَا وَتَنْظِيمِ بُيُوتِهَا وَتَعْمِيرِ خَلَايَاهَا، حَتَّى تَتَمَكَّنَ مِنْ أَدَاءِ وَظِيفَتِهَا فِي إِنْتَاجِ الشَّرَابِ الَّذِي وَصَفَهُ الله بِأَنَّهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].

وَالطُّيُورُ وَالحَيَوَانَاتُ الْأُخْرَى نَرَاهَا جَمَاعَاتٍ جَمَاعَاتٍ، فَإِذَا عَرَضَ لَهَا خَطَرٌ تَكَتَّلَتْ وَاتَّحَدَتْ وَوَاجَهَتْهُ مُجْتَمِعَةً ؛ لِإِدْرَاكِهَا بِالْغَرِيزَةِ أَنَّهَا إِذَا اخْتَلَفَتْ وَانْقَسَمَتْ إِلَى أَفْرَادٍ، هَانَتْ وَذَلَّتْ وَأَصَابَهَا الهَلَاكُ وَالدَّمَارُ.

وَالْإِنْسَانُ هُوَ سَيِّدُ هَذِهِ الْأَحْيَاءِ، وَالْخَلِيفَةُ الْمُتَحَكِّمُ فِي الْأَرْضِ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ تَعَاوُنُهُ أَوْثَقُ وَأَعْمَقُ ؛ لِأَنَّهُ أَفْضَلُ مَنْ يُدْرِكُ أَنَّ الجَمَاعَةَ خَيرٌ مِنَ الفُرْقَةِ، وَأَنَّ التَّعَاوُنَ أَجْدَى مِنَ النَّزَعَاتِ الْفَرْدِيَّةِ، وَالِانْعِزَالِيَّةِ النَاشِئَةِ عَنِ الْأَثْرَةِ وَحُبِّ

---

(١) سورة النمل آية (١٩)

(٢) سورة النحل آية ( ٦٨-٦٩)

الذَّاتِ، وَمِنْ طَبِيعَةِ هَذِهِ الحَيَاةِ، وَقَدْ أَوْجَدَنَا الله فِيهَا مُتَفَاوِتِيْنِ فِي المَوَاهِبِ وَالْمَلَكَاتِ، وَالْجُهُودِ وَالطَّاقَاتِ لِحِكْمَةٍ، فَمِنَّا قَوِيٌّ وَضَعِيفٌ، وَصَحِيحٌ وَسَقِيمٌ، وَمُسْتَطِيعٌ وَعَاجِزٌ، إِلَّا إِنَّ هَذِهِ الفُرُوقَ إِذَا تُرِكَتْ وَشَأْنُهَا تَتَّسِعُ وَتَزْدَادُ، وَلَمْ تُحَاوِلْ الْأَيْدِي الْمُخْلِصَةُ أَنْ تُخَفِّفَ مِنْ حِدَّتِهَا وَآلَامِهَا، أَصْبَحَتْ عَوَامِلَ لِلْهَدْمِ وَمَعَاوِلَ لِلتَّحْطِيمِ، فَالْوَاجِبُ التَّعَاوُنُ وَالتَّقْرِيبُ بَينَ هَؤُلَاءِ الْمُتَفَاوِتِينَ عَنْ طَرِيقِ التَّفَاهُمِ وَالتَّرَاحُمِ؛ لأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَعِيشَ مُنْفَرِداً مَهْمَا أُوْتِيَ مِنْ قُوَّةٍ وَقُدْرَةٍ، فَسَيَحْتَاجُ فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ إِلَى غَيْرِهِ فِي حَيَاتِهِ، وَيُوَاسِيهِ فِي شِدَّتِهِ، وَيُؤَنِّسُهُ فِي وَحْشَتِهِ، وَيُشَارِكُهُ سَعَادَةَ الحَيَاةِ؛ لِيَكُونَ لَهَا طَعْمٌ وَمَذَاقٌ، فَالْمَرْءُ قَلِيلٌ بِنَفْسِهِ كَثِيرٌ بِغَيْرِهِ.

وَالْمُجْتَمَعُ العَرَبِيُّ قَبْلَ الإِسْلَامِ لَا يَعْرِفُ التَّعَاوُنَ الَّذِي أَرْشَدَ إِلَيهِ الإِسْلَامُ وَدَعَا إِلَيهِ، بَلْ كَانَتْ تَتَحَكَّمُ فِيهِ العَصَبِيَّةُ الجَاهِلِيَّةُ، وَكَانَ التَّعَصُّبُ لِلْقَبِيلَةِ الضَّيِّقَةِ بَدَلَ التَّعَاوُنِ العَامِّ بَينَ القَبَائِلِ جَمِيعِهَا، فَكَانَ الوَاحِدُ مِنْهُمْ يُنَاصِرُ صَاحِبَهُ وَلَو كَانَ ظَالِماً، كَمَا يَقُولُ شَاعِرُهُمْ [1]:

**وَهَل أَنا إِلّا مِن غَزِيَّةَ إِن غَوَت غَوَيتُ وَإِن تَرشُد غَزِيَّةُ أَرشَدِ**

وَلَمَّا جَاءَ الإِسْلَامُ لَمْ يَرْضَ عَنْ هَذَا الخُلُقِ، بَلْ عَمِلَ عَلَى رَدِّ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى نَظْرَتِهَا الخَيِّرَةِ الَّتِي فَطَرَهَا الله عَلَيهَا مِنَ التَّعَاوُنِ وَالْمَحبَّةِ وَالتَّنَاصُرِ، وَسَوَّى بَينَ الْمُسْلِمِينَ وَجَعَلَهُمْ إِخْوَةً مُتَحَابِّينَ وَأَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ أُمَّةً وَاحِدَةً مُتَعَاوِنَةً عَلَى الخَيرِ لَا يُفَرِّقُ بَينَ أَفْرَادِهَا لَونٌ وَلَا جِنْسٌ، وَلَا وَطَنٌ، وَلَا مَالٌ، وَجَاءَ التَّوحِيدُ الْإِلَهِيُّ

---

(١) وهو دُرَيد بن الصِّمّة من البحر الطويل.

يَدْفَعُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى هَذَا السُّلُوكِ الْإِنْسَانِيِّ الرَّفِيعِ، قَالَ تَعَالَى، ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَعِزَّاءُ: إِنَّ جَمِيعَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي الْأَرْضِ لِخِدْمَةِ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَعْمَلُ بِكُلِّ طَاقَتِهِ وَجُهْدِهِ وَمَلَكَاتِهِ وَإِمْكَانَاتِهِ فِي خِدْمَةِ الْمُجْتَمَعِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ، وَلَا يَكُونُ الْخَيْرُ وَالْمَالُ وَقْفاً عَلَى طَبْقَةٍ مُعَيَّنَةٍ، أَوْ نَهْباً لِلْمُسْتَغِلِّينَ وَالطَّامِعِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [1]، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ »، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ [2].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مُجْتَمَعَنَا الْيَومَ يُنَادِينَا وَنَحْنُ نَعِيشُ ذِكْرَى جَلَاءِ الْمُسْتَعْمِرِينَ عَنْ بِلَادِنَا، بِأَنْ نَتَّخِذَ مِنَ التَّعَاوُنِ الْبَنَّاءِ شِعَاراً لَنَا حَتَّى يَسْعَدَ مُجْتَمَعُنَا بِنَا، وَيَنَالَ نَصِيبَهُ الْأَوْفَرَ مِنَ الْقُوَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَلَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا عَمِلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا فِي مَجَالِ عَمَلِهِ عَمَلًا مُتَوَاصِلًا، وَكُلُّنَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُخْلِصَ فِي أَدَاءِ

---

(١) سورة البقرة آية (٢٩)

(٢) في صحيحه (٣/ ١٣٥٤) (٤ باب استحباب المؤاساة بفضول المال ) رقم(١٧٢٨).

وَاجِبَاتِهِ نَحْوَ دِينِهِ وَوَطَنِهِ وَمُجْتَمَعِهِ، وَيُشَارِكَ فِي بِنَاءِ اقْتِصَادِنَا الوَطَنِيِّ الَّذِي هُوَ عَصَبُ حَيَاتِنَا وَمَصْدَرُ عَيْشِنَا وَنَهْضَتِنَا وَحَضارَتِنَا، وَللهِ دَرُّ مَنْ قَالَ [1]:

**بِالعِلمِ وَالمالِ يَبني الناسُ مُلكَهُمُ    لَم يُبنَ مُلكٌ عَلى جَهلٍ وَإِقلالِ**

إِنَّ مَا أَصَابَنَا نَحْنُ العَرَبَ وَالْمُسْلِمِينَ الْيَومَ وَنَحْنُ جُزْءٌ لَا يَتَجَزَّأُ مِنْهُمْ مِنْ تَخَلُّفٍ وَانْحِطَاطٍ، هُوَ أَنَّنَا كُلُّنَا قَصَّرْنَا فِي وَاجِبَاتِنَا تَقْصِيراً لَا يُغْتَفَرُ، فَمِنَّا الْمُوَظَّفُ السِّلْبِيُّ _ سَوَاءً كَانَ مُوَظَّفاً كَاتِباً أَوْ مُدَرِّساً أَوْ عَامِلاً أَوْ مُهَنْدِساً أَوْ طَبِيباً أَوْ صِنَاعِياً _ الَّذِي لَا يُهِمُّهُ مَا قَامَ بِهِ فِي وَظِيفَتِهِ، أَفَادَ النَّاسَ أَوْ لَمْ يُفِدْ، بَلْ لَا يَهُمُّهُ إِلَّا قَبْضُ مُرَتَّبِهِ آخِرَ الشَّهْرِ، وَالْفَلَّاحُ الكَسُولُ الَّذِي يَفْتَرِضُ عَلَيهِ أَنْ يَنْبُشَ لِلنَّاسِ مِنْ بَاطِنِ الْأَرْضِ الخَيرَ المَادِيَّ فَتَنْعَمَ بِهِ البِلَادُ وَالعِبَادُ، هُوَ مُقَصِّرٌ، كُنَا نَعِيشُ فِي اكْتِفَاءٍ ذَاتِيٍّ لَا نَسْتَوْرِدُ حُبُوباً وَلَا خُضَاراً وَلَا أَلْبَاناً، مَعَ ضَعْفِ وَسَائِلِ الزِّرَاعَةِ آنَذاكَ، وَرِجَالُ الدَّولَةِ مِنْ كَبِيرِهِمْ إِلَى صَغِيرِهِمْ تَرَكُوا الحَبْلَ عَلَى الغَارِبِ، وَتَرَكُوا البِلَادَ لِعَوَامِلِ الصُّدَفِ، وَالتُّجَّارُ يَمْتَصُّونَ دِمَاءَ الفُقَرَاءِ المَسَاكِينِ بِاسْتِغْلَالِهِمْ وَجَشَعِهِمْ وَطَمَعِهِمْ، وَجَمَاعَاتُ الْمُنَظَّمَاتِ وَالْأَحْزَابِ، يُقِيمُونَ البِلَادَ وَلَا يُقْعِدُونَهَا ؛ لِمَصَالِحِ أَحْزَابِهِمْ وَمِنْ أَجْلِ السِّبَاقِ عَلَى كَرَاسِيِّ الحُكْمِ، وَالْقِمَمُ فِي شُغْلِهَا الشَاغِلِ، وَالْعُلَمَاءُ وَحَمَلَةُ الْأَقْلَامِ مِنَ الْأُدَبَاءِ وَالْمُثَقَّفِينَ لَا يُبْدُونَ حِرَاكاً، ولَا يُحَرِّكُونَ سَاكِناً، وَلَا يُسَكِّنُونَ مُتَحَرِّكاً، أَمَّا السَّوَادُ الْأَعْظَمُ مِنَّا وَهُمُ القَاعِدَةُ الْأَسَاسِيَّةُ لَا يَهْتَمُّونَ بِشَيْءٍ الْبَتَّةَ، اللَّهُمَّ بِأَشْخَاصِهِمْ وَذَوَاتِهِمْ، وَبَعْضُهُمْ لَا يَعِي وَعْياً كَامِلاً المَرْحَلَةَ

---

(١) وهو الشاعر أحمد شوقي والبيت من البحر البسيط.

الدَّقِيقَةَ الَّتِي يَعِيشُهَا وَتَعِيشُهَا البَلَدُ، هَذِهِ هِيَ حَالُنَا بِـالْأَمْسِ وَالْيَـومَ، وَلَكِـنْ مِـنَ الْآنَ فَصَاعِداً يَجِبُ أَنْ نُغَيِّرَ مِنْ هَذِهِ السَّلْبِيَّاتِ القَاتِلَةِ، إِلَى إِيْجَابِيَّـةٍ فَاعِلَـةٍ تُغَـيِّرُ مِـنَ الـسَّيِّءِ إِلَى الحَـسَنِ، وَمِـنَ الحَـسَنِ إِلَى الْأَحْـسَنِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (١).

وَلَا مَخْرَجَ لَنَا مِنَ الْأَزَمَاتِ الاقْتِصَادِيَّةِ وَالـسِّيَاسِيَّةِ إِلَّا إِذَا رَجَعْنَـا إِلَى تعَـالِيمِ دِيْنِنَا الإِسْلَامِيِّ الحَنِيفِ، وَتَعَاوَنَ الجَمِيعُ وَشَارَكَ كُـلُّ وَاحِـدٍ بِمَجْهُـودِهِ بَالْعَمَـلِ، بَالرَّأْيِ، بَالْكَلِمَةِ الهَادِفَةِ الصَادِقَةِ، بَالنُّصْحِ _وَالنَّصِيحَةُ لله وَلِرَسُـولِهِ _، فِي تَحْقِيـقِ الرَّخَاءِ وَالسَّعَادَةِ، فَرِجَالُ الدَّوْلَةِ أَيَّةِ دَولَةٍ هُمْ جُزْءٌ مِنَ الشَّعْبِ وَالْأُمَّةِ، هُمْ بِمَثابَـةِ خَدَمٍ لِلْأُمَّةِ لَا مَخْدُومِينَ، وَالْأُمَّةُ تسَاعِدُهُمْ عَـلَى أَدَاءِ وَاجِبَاتِهِمْ، وَتَأْخُـذُ بَأَيْـدِيهِمْ، وَتُنَبِّهُهُمْ إِذَا أَخطَأُوا، وَكُلُّنَا خَطَّاءٌ، فَإِذَا اخْتَلَّ مِيْـزَانُ التَّفَـاهُمِ وَالتَّعَـاوُنِ الْمُخْلِـصِ بَينَ الحَاكِمِينَ وَالْمَحْكُومِينَ، وَسَـادَ سُـوءُ الظَّـنِّ هُنَـا، عِنْـدَهَا يَخْتَـلُّ نِظَـامُ الحَيَـاةِ، وَيَضْطَرِبُ الْأَمْـنُ، وَلَمْ يَعُـدْ لِلْحِكْمَـةِ مَكَـانٌ وَلَا مَعْنـىً، فَيَعِـيشُ الجَمِيـعُ حَـاكِماً وَمَحْكُوماً فِي قَلَقٍ وَعَنَاءٍ لَا نِهَايَةَ لَهُ، وَتَعِيشُ البِلَادُ فِي أَزْمَاتٍ مُسْتَمِرَّةٍ.

فَلْنَرْجِعْ إِلَى تَعَالِيمِ دِينِنَا وَأَخْلَاقِهِ، فَقَدْ أَخْبَرَنَا الْمُعَلِّمُ الْأَوَّلُ، وَالْمُـرَبِّي لِلْجَيْـلِ الْأَوَّلِ لِلْإِسْلَامِ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى الله عَلَيـهِ وَسَـلَّمَ، أَخْبَرَنَـا أَنَّ مِـنْ شَـأْنِ أُمَّتِـهِ أَنْ يَكُونُوا عَلَى أَكْمَلِ صُورَةٍ مِنْ صُوَرِ التَّعَاوُنِ، وَهِيَ صُورَةُ الإِتِّحَادِ القَوِيِّ، وَالتَـآلُفِ الوَثِيقِ، وَالتَّكَتُّلِ الَّذِي يُنَظِّمُ الْأَفْـرَادَ فِي الْمَظْهَـرِ وَالْمَخْبَرِ، فَكَـأَنَّهُمْ شَيءٌ وَاحِـدٌ، لَا عَصَبِيَّةَ لِجِنْسٍ وَلَا لِقَبِيلَـةٍ وَلَا لِطَبَقَـةٍ، فَيَقُـولُ عَلَيـهِ الـصَّلَاةُ وَالـسَّلَامُ: «الْمُـؤْمِنُ

---

(١) سورة الرعد آية (١١)

لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً، ثُـمَّ شَـبَّكَ بَـينَ أَصَـابِعِهِ »[1] وَيَقُـولُ: « مَثَـلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَـرَاحُمِهِمْ وَتَوَاصُـلِهِمْ كَمِثْـلِ الجَـسَدِ إِذَا اشْـتكَى عُـضْوٌ مِنْـهُ تدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بَالحُمَّى وَالـسَّهَرِ »[2] وَقَـدْ أَثْنَـى رَسُـولُ الله صَـلَّى الله عَلَيـهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ اليَمَنِيِّينَ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ هُمْ الْأَشْعَرِيُّونَ، كَانَ التَّعَاوُنُ عَـلَى الخَيْرِ دَيدَنُهُمْ وَرَائِدُهُمْ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ: قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ أَوْ قَـلَّ طَعَـامُ عِيَالِهِمْ بَالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِـدٍ بَالتَّسْوِيَةِ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ » مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[3].

فَلِمَ هَـذِهِ الْمُـشْكِلَاتُ ! وَلِمَـصْلَحَةِ مَـنْ تَكُـونُ هَـذِهِ الخِلَافَـاتُ الْمُمَزِّقَـةُ لَنَـا فَالإِسْلَامُ بِصَدْرِهِ الرَّحْبِ يَحْتَظِنُنَا كُلَّنَا، وَيَرْبِطُنَا جَمِيعاً بِرَابِطَتِهِ المَتِينَةِ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ، اللَّهُمَّ عَلَيـكَ تَوَكَّلْنَـا، وَبِـكَ اعْتَـصَمْنَا وَإِلَيـكَ تَوَجَّهْنَا، اللَّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتُنَا، وَأَنْتَ رَجَاؤُنَا، فَاكْفِنَا مَا أَهَمَّنَا، اللَّهُـمَّ اجْمَـعْ شَـمْلَنَا، وَلُمَّ

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه في أكثر من موضع أولها (1/ 182)( 54 باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره ) رقم(467)، ومسلم في صحيحه (4/ 1999) (17 باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم )رقم(2585) وغيرهما.

(2) أخرجه البخاري (5/ 2238)(27 باب رحمة الناس والبهائم )رقم(5665) من حديث النعمان بن بشير بلفظ مرفوعا (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى) ومسلم في صحيحه من حديث النعمان مرفوعا (مثل المؤمنين في تـوادهم وتـراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو...الحديث )(4/ 1999) (36 باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا ) رقم(5680)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه(2/ 880)رقم(2354)، ومسلم (4/ 1944)(39باب من فضائل الأشعريين...)رقم(2500)

شعْثَنَا، وَوَحِّدْ بَينَ قُلُوبِنَا وَقَوَالِبِنَا، وَزَوِّدْنَا بَالتَّقْوَى، وَاغْفِرْ ذُنُوبَنَا، وَخُذْ بِنَوَاصِـينَا وَنَوَاصِي وُلَاتِنَا، إِلَى مَا فِيهِ خَيرُنَا وَصَلاحُنَا

وَاللهُ يَقُـولُ وَبِقَولِـهِ يَهْتَـدِي الْمُهْتَـدُونَ ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (1) وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَـرِيمٍ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ (2).

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (3)، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ:

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (4).

بارَكَ الله لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِيـاكُمْ مِـنَ الآيـاتِ وَالـذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

(1) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(2) سورة النحل الآية (٩٨).

(3) سورة التوبة آية ( ١٠٥ )

(4) سورة التوبة آية ( ٧١ )

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الـصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيْرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَـرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

أما بعدُ: فيا عِبَادَ الله: أُوصِـيكُمْ وَنَفْـسِيَ بِتَقْـوَى الله تَعـالى، اتَّقُـوا الله مِـنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: قَدْ يُدْرِكُ الشَّخْصُ العَامِلُ فِي مَصْلَحَةِ الْآخَـرِينَ مِـنَ الْأَجْـرِ وَالثَّوَابِ مَا لَا يُدْرِكُهُ الصَائِمُ القَائِمُ، وَإِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوباً لَا يُكَفِّرُهَا إِلَّا الاهْتِمَامُ بِطَلَبِ المَعِيشَةِ، « وَالنَّاسُ عِيَالُ الله (١)، وَأَحَبُّهُمْ إِلَيهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ » (١)،« وَمَنْ كَانَ

(١) أي عالة على الله



فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ مَنْ كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ ››[٢].

وَالإِسْلَامُ يُرِيدُ أَنْ يُوَسِّعَ مِنْ قَاعِدَةِ التَّعَاوُنِ بَينَ أَبْنَائِهِ، يَصِفُ الشَّخْصَ المُعَاوِنَ لِغَيْرِهِ وَالنَافِعَ لَهُ بِأَنَّهُ أَفْضَلُ العِبَادِ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ ؟ قَالَ:‹‹ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِيناً، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعاً، وَلِأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا المَسْجِدِ يَعْنِي مَسْجِدَ المَدِينَةِ شَهْرًا، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَو شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضاهُ، مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ يَومَ القِيَامَةِ رِضاً، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَقْضِيَهَا لَهُ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَومَ تَزِلُّ الْأَقْدَامُ››[٣].

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَعِزَّاءُ: أَلَمْ يَأْنِ لَنَا أَنْ نَتَعَاوَنَ وَلَو عَلَى مُسْتَوَى الْأَحْيَاءِ لِإِصْلَاحِ بِلَادِنَا، وَنَقُومَ بِمَا يُمْكِنُ القِيَامُ بِهِ مِنْ عَمَلٍ جَمَاعِيٍّ مُنَظَّمٍ، لِصَالِحِنَا وَصَالِحِ بِلَادِنَا

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٦/ ٦٥، رقم ٣٣١٥)، قال الهيثمى (٨/ ١٩١): رواه أبو يعلى والبزار، وفيه يوسف بن عطية الصفار، وهو متروك. وأخرجه أيضًا: البيهقى شعب الإيمان (٦/ ٤٣، رقم ٧٤٤٥) بلفظ: الخلق عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٩١، رقم ٥٦٤٦)، والبخارى (٢/ ٨٦٢، رقم ٢٣١٠)، ومسلم (٤/ ١٩٩٦، رقم ٢٥٨٠)، وأبو داود (٤/ ٢٧٣، رقم ٤٨٩٣)، والترمذى (٤/ ٣٤، رقم ١٤٢٦) وقال: حسن صحيح غريب. والنسائى فى الكبرى (٤/ ٣٠٩، رقم ٧٢٩١)، وابن حبان (٢/ ٢٩١، رقم ٥٣٣).

(٣) رواه الطبراني في الكبير(١٢/ ٤٥٣) رقم (١٣٦٤٦)،الأوسط (٦/ ١٣٩) رقم(٦٠٢٦)، وفي الصغير (٢/ ١٠٦) رقم(٨٦١) وفيه مسكين بن سراج ضعيف قاله في مجمع الزوائد (٨/ ١٩١).

وَمُجْتَمَعِنَا وَأَحْيَائِنَا، إِنَّ بَيْنَنَا العُلَمَاءَ وَالمُثَقَّفِينَ، وَالحُكَمَاءَ وَالمُهَنْدِسِينَ، وَالأَغْنِيَاءَ وَالعُمَّالَ وَالشَّبَابَ الوَاعِيَ، مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ يُمْكِنُ وَبِسُهُولَةٍ نَخْتَارُ جَمْعِيَّةً لِلنَّظَرِ فِي إِصْلَاحِ الأَحْيَاءِ أَوَّلاً ثُمَّ البَلَدِ اجْتِمَاعِيًّا وَصِحِّيًّا وَتَرْبَوِيًّا، بَعِيدِيْنِ عَنِ الرَّسْمِيَاتِ وَالمَظَاهِرِ الفَارِغَةِ، وَإِضَاعَةِ الأَمْوَالِ وَالجُهُودِ فِي الشَّكْلِيَّاتِ، إِنَّ البَلَدَ يُنَادِينَا جَمِيعاً كُلٌّ فِي مَجَالِهِ، أَنْ حَيَّ عَلَى العَمَلِ الجَمَاعِيِّ المُنَظَّمِ، إِنَّ المَشَارِيعَ الفَرْدِيَّةَ غَالِباً مَا تُصَابُ بَالْفَشَلِ:

**رَأيُ الجَماعَةِ لا تَشقى البِلادُ بِهِ     رَغمَ الخِلافِ وَرَأيُ الفَردِ يُشقيها**

أَلَا أَيْنَ أَهْلُ الحَلِّ وَالْعَقْدِ ؟!

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَلِي ، والمَقَامِ الأَفْضَلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِي ، وعَنْ رَيْحَانَتَي نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّةِ ، أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ ، وأَبِي عَبْدِالله الحُسَينِ وعَلَى أُمِّهِمَا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ المُخْتَارِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِي عَمَارَةَ الحَمْزَة ، وأَبِي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِيَّةِ

العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْـتَ الـشَّجَرَةِ، طَلْحَـةَ والزُّبَيـرِ ، وسَـعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْـحَابِ رَسُـولِ الله رِضْـوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَـةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ فَـرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَـا ، وابْـسُطِ الأَمْــنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوع بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْـلِحْ ذَاتَ بَينِنَـا ، وأَلِّـفْ بَـينَ قُلُوبنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِـمَا فَعَـلَ الـسُّفَهَاء مِنَّـا ، واجْعَـلْ وِلَايَتَنَـا فِـيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عونَاً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خذَلَـهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُـزَاةِ والمُـسَافِرِينَ في بَـرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْـقِنَا غَيْثَـاً مُغِيثاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

عِبَـــادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# الدِّيْن والمعاملة

## الخطبة الأولى

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ الإِنْسَانَ خَلِيفَـةً فِي الأَرْضِ لِيَعمُرَهَـا ، وَمَلَّكَـهُ جَوَّهَـا وَبَرَّهَا وَبَحْرَهَا ، وَزَيَّنَهُ بِالْعَقْـلِ ، وَأَكْرَمَـهُ بِـالْعِلْمِ ؛ لِيَعْـرِفَ نِعْمَـةَ اللهِ فَيَـشْكُرَهَا ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ الْمُتَوَافِرَةِ ، وَآلائِهِ الْمُتَوَاتِرَةِ ، وَنَسْأَلُهُ المَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ.

وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيك لَهُ ، خَلَقَ الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْـوِيمٍ ، وَهَدَاهُ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَعَلَّمَهُ بِالْقُرْآنِ أَشْرَفَ التَّعَالِيمِ ، وَجَعَـلَ الإِسْـلاَمَ دِينًا جَامِعًا بَينَ مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾[1].

وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الكَرِيمُ المُوحَى إِلَيهِ بِقَولِهِ تَعَـالَى ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾البقرة: ٢٢٠[2].

اَللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأُوصِيكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ بِتَقْوَى اللهِ تَعَالَى ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي مُعَامَلاتِكُمْ فَالدِّيْنُ الْمُعَامَلَةُ ، وَتَنَاصَحُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ ، فَالدِّيْنُ النَّصِيحَةُ.

عِبادَ اللهِ: خَلَقَنَا اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الحَيَاةِ عَلَى حَالَةٍ يَحْتَاجُ فِيهَا بَعْضُنا لِـبَعْضٍ ، فَلَيْسَ يملِكُ كُلُّ فَرْدٍ منا كُلَّ ما يهِمُّهُ وَيَكْفِيهِ ، بَلْ يَمْلِكُ هَذا بَعْضَ ما يَسْتَغْنِي عَنْـهُ

(١) الحج ٧٨.

(٢) البقرة ٢٢٠

الآخَرُونَ ، فَأَلْهَمَهُمُ الله أَنْ يَتبَادَلُوا السِّلْعَ وَالْمَنَافِعَ بِالبَيعِ وَالشِّراءِ وَسائِرِ الْمُعامَلاتِ كَي تَسْتَقِيمَ الحَياةُ وَيَسِيرَ دُولاَبُهاَ بِالْخَيرِ وَالإِنْتاَجِ.

وَقَدْ بَعَثَ الله النَّبِيَّ محمداً المنقذَ الأَعْظَمَ وَلِلعَرَبِ أَنْوَاعٌ مِنَ البَيْعِ وَالشِّراءِ وَالْمُبَادَلاَتِ ، فَأَقَرَّهُمْ عَلَى بَعْضِهَا ، مِمَّا لاَ يَتَنَافَى وَمَبَادِئَ الشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ الَّتِي جاَءَ بِهَا ، وَنَهَاهُمْ عَنِ البَعْضِ الآخر مِمَّا لاَ يَتَّفِقُ وَأَهْدافَهَا وَتوجِيهاَتِهَا مِنَ الْمُعامَلاَتِ الَّتِي تُعِينُ عَلَى مَعْصِيَةِ الله ، أَوْ يكُونُ فِيهَا غَرَرٌ أَوْ جَهالَةٌ أَوْ ظُلْمٌ وَابْتِزازٌ وَاسْتِغْلاَلٌ لِطَرَفٍ مِنَ الْمُتَعاَقِدَيْنِ ، أَوْ الْمُتَعاَمِلِينَ ، عَلَى طَرَفٍ أَوْ أَطْرَافٍ أُخْرَى.

فَمِنْ ذَلِكَ بَيعُ الغَرَرِ وَهُوَ كُلَّ بَيْعٍ فِيهِ جَهالَةٌ لِلْمَبِيعِ يُؤَدِّي إِلَى التَّنَازُعِ وَالْخُصُومَةِ بَينَ الطَّرَفَينِ أَوْ غَبْنِ أَحَدِهِمَا لِلآخَرِ ، فَقَدْ نَهَى عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ سَداًّ لِلذَّرِيعَة وَالْفِتْنَةِ ، وَذَلِكَ مِثْلُ بَيعِ ماَ فِي بَطْنِ النَّاقَةِ ، أَوِ الطَّيْرِ فِي الهَوَاءِ ، أَوِ السَّمَكِ فِي البَحْرِ وَعَنْ كُلِّ ماَ فِيهِ غَرَرٌ ، أَيْ جَهاَلَةٌ وَعَدَمِ تَحْدِيدٍ لِلْمَعْقُودِ عَلَيهِ وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَجَدَ النَّاسَ فِي زَمَنِهِ يَبِيعُونَ الثِّمَارَ فِي الحُقُولِ أَوِ الحَدَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَبْدُو صَلاَحُهَا ، وَبَعْدَ البَيْعِ وَالشِّراءِ يَحْدُثُ أَنْ تُصِيبَهَا آفَةٌ سَماَوِيَّةٌ فَتَهْلَكَ الثِّمَارُ ، وَيَخْتَصِمُ البَائِعُ وَالْمُشْتَرِي ، فَيَقُولُ البائِعُ قَدْ تَمَّ البَيْعُ ، وَيَقُولُ الْمُشْتَرِي إِنَّمَا بِعْتَ لِي ثَمَراً ولَمْ أَجِدْهُ ، فَنَهَى النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَيعِ الثِّمَارِ حَتَّى يبدو صَلاَحُهاَ، إِلاَّ أَنْ يَشْتَرِطَ القَطْعَ فِي الحَالِ ، وَنَهَى عَنْ بَيعِ السُّنْبُلِ حَتَّى يَبْيَضَّ وَيَأْمَنَ العاَهَةَ ، وَإِذاَ كاَنَ الغَرَرُ يَسِيراً ، وَذَلِكَ فِي العُرْفِ لَمْ يَحْرُمْ اَلبَيعُ، وَذَلِكَ كَبَيعِ الْمُغَيَّباَتِ فِي الأَرْضِ أَيِ الْمَدْفُونَةِ فِي الأَرْضِ كاَلْجَزَرِ

وَالْبَصَلِ وَنَحْوِهَا كَمَا قَالَهُ بَعْضُ العُلَمَاءِ الَّذِينَ يُجِيزُونَ بَيعَ كُلِّ ما تَدْعُو إِلَيهِ الحَاجَـةُ وَيَقِلُّ غَرَرُهُ [1].

وَمِنْ بَيعِ الغَرَرِ فِي أَسْواَقِنَا البَيعُ بِالْجُمْلَةِ غَيرِ المَقِيسَةِ بِكَيل ماَ فِيهِ كَيلٌ أَوْ وَزْنُ ماَ فِيهِ وَزْنٌ أَوْ عَدُّ ماَ فِيهِ عَدَدٌ.

وَغَرِيبٌ مِنْ أَمْرِنَا أَنَّ مَا يُسْتَورَدُ مِنْ بِلاَدِ الأَجاَنِـبِ نَجِـدُهُ مَـضْبُوطَ الـوَزْنِ وَالْكَيلِ وَالْعَدَدِ بَيْنَمَا الذي يُسْتَورَدُ مِنْ بِلاَدِنَـا العَرَبِيَّـةِ وَالإِسْـلاَمِيَّةِ فِيـهِ النُّقْـصاَنُ وَالْفُرُوقُ وَالْغِشُّ ، وَنَهَى الإِسْلاَمُ وَحَرَّمَ الغِشَّ وَالْخِداَعَ بِكُلِّ صُورَةٍ مِنَ الـصُّوَرِ ، فِي كُلِّ بَيعٍ وَشِراَءٍ ، وَفِي سائِرِ المُعاَمَلاَتِ ، وَالْمُسْلِمُ مُطاَلَبٌ بِالْتِزاَمِ الـصِّدْقِ فِي كُـلِّ شُئُونِهِ ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الـدِّيْنِ أَغْـلَى مِـنْ كُـلِّ كَـسْبٍ دُنْيَـوِيٍّ قـاَلَ صَـلَّى الله عَلَيـهِ وَسَلَّمَ: (( مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا )) [2]وَقاَلَ: (( البَيِّعاَنِ بِالْخِياَرِ ما لَمْ يَتَفَرَّقـاَ ، فَـإِنْ صَـدَقاَ وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذِبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَـيْعِهِمَا )) [3]، وَمَـرَّ رَسُـولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ يَبِيعُ طَعَامًا ( حُبُوبًا ) فَأَعْجَبَهُ فَأَدْخَـلَ يَـدَهُ فِيـهِ فَـرَأَى بَلَلاً فَقاَلَ: (( مَا هَذاَ ياَ صاَحِبَ الطَّعاَمِ ؟ فَقاَلَ أَصاَبَتْهُ السَّماَءُ أَيِ المَطَرُ فَقـاَلَ صَـلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَهَلاَّ جَعَلْتَهُ فَوقَ الطَّعاَمِ حَتَّى يَراَهُ النَّاسُ ؟ مَنْ غَـشَّناَ فَلَـيْسَ مِنَّـا ،

---

(١) لا يصح على مذهبنا الشافعي وإنما يصح على مذهب الحنفية الذين يـصح عنـدهم بيـع الغائـب ويثبـت للمشتري خيار الرؤية والله أعلم.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، ومسلم في صحيحه كتاب البيوع باب الصدق في البيع والبيان

وَفِي رِوايَةٍ «مَـنْ غَـشَّ فَلَـيسَ مِنِّـي»[1] ، وَبـاَعَ اِبْـنُ سِـيرِينَ رَحِمَـهُ الله شـاَةً فَقـاَلَ لِلْمُشْتَرِي: « أَبْرَأُ لَكَ مِنْ عَيبٍ فِيهَا ، إِنَّهَا تَقْلِبُ العَلَفَ بِرِجْلِهَا ».

وَمِـنَ الغِـشِّ المُـسْتَحْدَثِ فِي أَسْـواَقِنَا بَيـعُ البَـضائِعِ المَخْزُونَـةِ وَالمُعَلَّبـاَتِ وَالأَدْوِيَةِ الَّتِي نَفَدَ مَفْعولُهَا بِانْتِهاءِ وَقْتِ صَلاَحِيَّةِ اسْـتِعْمَالِهَا وَمـاَ أَكْثَرَهـاَ اَلْيَـومَ فِي مُسْتَودَعاَتِ التُّجَّـارِ وَمَخـاَزِنِ الأَدْوِيَـةِ مِمَّـا كـاَنَ لَهَـا أَسْـوَءُ الأَثَـرِ فِي حَيـاَةِ النَّـاسِ وَصِحَّتِهِمْ تُباَعُ جِهاَراً نَهاَراً دُونَمَا رَقاَبَةٍ.

وَالإِسْـلاَمُ يحِـب أَنْ يُطْلِـقَ الحُرِّيَّـةَ لِلـسُّوقِ وَيَتْرُكُهـاَ لِلْقَـواَنِينِ الطَّبِيعِيَّـةِ ، وَالظُّرُوفِ المَوضُوعِيَّةِ ، تُؤَدِّي دَورَهَا وِفْقاً لِلْعَرْضِ وَالطَّلَـبِ ، وَالأَخْـذِ وَالْعَطـاَءِ كَمَاَ يُقاَلُ: وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ نَرَى الرَّسُولَ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ: حِينَ غَـلاَ الـسِّعْرُ فِي عَهْدِهِ فَقاَلُوا ياَ رَسُولَ الله سَعِّرْ لَنا قاَلَ:« إِنَّ الله هُوَ المُسَعِّرُ القاَبِضُ الباَسِطُ الـرَّازِقُ ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى الله وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطاَلِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلاَ مـاَلٍ »[2] ، وَاشْتَكَى بَعْضُ صَحاَبَتِهِ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَـلَّمَ غَـلاَءَ اللَّحْـمِ فَقـاَلَ عَلَيـهِ الـصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: أَرْخَصُوهُ بِالتَّرْكِ أَوْ كَمَا قاَلَ عَلَيهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ، وَنَبِيُّ الإِسْلاَمِ يُعْلِـنُ بِهَذاَ الحَدِيثِ أَنَّ التَّدَخُّلَ فِي حُرِّيَّةِ الأَفْراَدِ بِدُونِ ضَرُورَةٍ مَظْلَمَةٌ يُجِـبُّ أَنْ يَلْقَـى الله بَرِيئًا مِنْ تبِعَتِهَا ، وَلَكِنْ إِذاَ تَداَخَلَتْ فِي الأَسْـواَقِ عَواَمِـلُ غَـيرُ طَبِيعِيَّـةٍ كاَحْتِكـاَرِ بَعْضِ التُّجَّارِ ، وَتَلاَعُبِهِمْ بِالأَسْـعاَرِ ، وَمقَـدِّراَتِ الأُمَّـةِ فَمَـصْلَحَةُ المَجْمُـوعِ هُنَـا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند باقي المكثرين ف مسند أنس بن مالك رضي الله عنه وأبـو داود في سننه في كتاب البيوع باب التسعير ن والترمذي في سننه في كتاب البيوع باب ما جاء في التسعير وقال حديث حسن صحيح.

مُقَدَّمَةٌ عَلَى حُرِّيَّةِ بَعْضِ الأَفْرادِ فَيُبَاحُ حِيْنَئِذٍ بَلْ قَدْ يَجِبُ أَحْيانًا عَلَى الدَّولَةِ المُسْلِمَةِ تَحْدِيدُ التَّسْعِيرَةِ ، وَالالْتِزَامُ بِهَا فِي البَيعِ وَالشِّراءِ اسْتِجابَةً لِضَرُورَةِ المُجْتَمَعِ أَوْ حاجَتِهِ ، وَوِقايَةً لَهُ مِنَ المُسْتَغِلِّينَ الجَشِعِينَ ، مُعامَلَةً لَهُمْ بِنَقِيضِ مَقْصُودِهِمْ كَما تُقَرِّرُ القَواعِدُ وَالأُصُولُ ، ولَيْسَ مَعْنَى الحَدِيثِ السَّابِقِ مَنْعُ كُلِّ تَسْعِيرٍ وَلَو كانَ مِنْ وَرائِهِ دَفْعُ ضَرَرٍ عامٍّ ، أَوْ مَنْعُ ظُلْمٍ فاحِشٍ بَلْ قَرَّرَ المُحَقِّقُونَ مِنَ العُلَماءِ أَنَّ التَّسْعِيرَ مِنهُ ما هُوَ ظُلْمٌ مُحَرَّمٌ ، وَمِنْهُ ما هُوَ عَدْلٌ جائِزٌ ، فَلاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرارَ ، وَلاَ إِفْراطَ وَلاَ تَفْرِيطَ، فَإِذاَ تَضَمَّنَ ظُلْمَ النَّاسِ وَإِكْراهُهَمْ بِغَيرِ حَقٍّ عَلَى البَيْعِ بِثَمَنٍ لاَ يَرْضُونَهُ أَوْ مَنَعَهَمْ مِمَّا أَبَاحَ الله لَهُمْ فَهُوَ حَرامٌ ، وَإِذاَ تَضَمَّنَ العَدْل بَينَ النَّاسِ مِثْلَ إِكْرَاهِهِمْ عَلىَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنَ المُعاوَضَةِ بِثَمَنِ المِثْلِ ، وَمَنَعهِمْ مِمَّا يَحْرِمُ عَلَيهِمْ مِنْ أَخذِ الزِّيادَةِ عَلَى عِوَضِ المِثْلِ فَهُوَ جائِزٌ بَلْ واَجِبٌ، فَإِذاَ كاَنَ النَّاسُ يَبِيعُونَ سِلْعَهُمْ عَلَى الوَجْهِ المَعْرُوفِ مِنْ غَيرِ ظُلْمٍ مِنْهُمْ ، وَقَدْ ارْتَفَعَ السِّعْرُ ، إِمَّا لِقِلَّةِ السِّلْعِ أَوْ لِكَثْرَةِ الخَلْقِ فَهَذاَ إِلَى الله ، فَإِلْزَامُ النَّاسِ أَنْ يَبِيعُوا بِقِيمَةٍ بِعَينِهَا إِكْرَاهٌ بِغَيرِ حَقٍّ ، أَمَّا إِذَا امْتَنَعَ أَرْبابُ السِّلْعِ مِنْ بَيعِهَا مَعَ ضَرُورَةِ النَّاسِ إِلَيهَا إِلاَّ بِزِيادَةٍ عَلَى القِيْمَةِ المَعْرُوفَةِ فَهُنَا يَجِبُ عَلَيهِمْ بَيْعُهَا بِقِيمَةِ المِثْلِ ، وَلاَ مَعْنَى لِلتَّسْعِيرِ إِلاَّ إِلْزَامُ التَّاجِرِ بِقِيمَةِ المِثْلِ ، والتَّسْعِيرُ هُناَ إِلْزَامٌ بِالْعَدْلِ الذي أَلْزَمَهُمُ الله بِهِ.

وَرَغْمَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَكْفُلُ الحَرِّيَّةَ لِلأَفْرادِ فِي البَيعِ وَالشِّراءِ وَالتَّنَافُسِ الشَّرِيفِ ، فَإِنَّهُ يُنْكِرُ أَشَدَّ الإِنْكارِ أَنْ تَدْفَعَ بَعْضَ النَّاسِ أَنانِيَّتُهُمْ الفَرْدِيَّةُ وَطَمَعُهُمْ الشَّخْصِيُّ إِلىَ التَّضَخُّمِ المالِيِّ عَلَى حِسابِ غَيْرِهِمْ ، وَالإِثْراءِ وَلَو مِنْ أَقْواتِ الشَّعْبِ وَضَرُورِيَّاتِهِ ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ عَنِ الاحْتِكارِ

بِعِبَارَاتٍ شَدِيدَةٍ زَاجِرَةٍ، فَقَالَ: ((مَنِ احْتَكَرَ الطَّعَامَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَدْ بَرِئَ مِنْ الله وَبَرِئَ الله مِنْهُ)) (١) وَقَالَ أَيْضاً: (( مَنِ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ ))(٢).

وَلَيْسَتْ كَلِمَةُ خاَطِئٍ هَذِهِ كَلِمَةً هَيِّنَةً إِنَّمَا الكَلِمَةُ الَّتِي وَصَفَ بِهاَ القُرْآنُ الجَبَابِرَةَ العُتَاةَ فِرْعَونَ وَهامَانَ وَجُنُودَهُماَ فقاَلَ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾ (٣)وَقَدْ أَبَانَ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَفسِيَّةِ الْمُحْتَكِرِ وَأَنَانِيَّتِهِ اَلْبَشْعَةِ فعَنْ مُعَاذِ بن جَبَلٍ، قَالَ : ((سَأَلْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الاحْتِكَارِ مَا هُوَ؟ قَالَ:"إِذَا سَمِعَ بِرُخْصٍ سَاءَهُ، وَإِذَا سَمِعَ بِغَلاءٍ فَرِحَ بِهِ، بِئْسَ الْعَبْدُ الْمُحْتَكِرُ، إِنْ أَرْخَصَ الله الأَسْعَارَ حَزِنَ، وَإِنْ أَغْلاهَا الله فَرِحَ)) (٤) وَقاَلَ: (( الجاَلِبُ مَرْزُوقٌ وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ )) (٥).

اَللَّهُمَّ أَهْدِنَا بِهُدَاكَ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يُسارِعُ فِي رِضاَكَ ، وَلاَ تُوَلِّنَا وَلِيًّا سِواَكَ ، وَلاَ تَجْعَلْنَا مِمَّنْ خاَلَفَ أَمْرَكَ وَعَصاَكَ.

---

(١) أحمد في مسنده في مسند المكثرين من الصحابة في مسند عبدالله بن عمر والحاكم وابن أبي شيبة والبزار وأبو يعلى من حديث ابن عمر

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساقاة، باب تحريم الاحتكار في الأقوات

(٣) القصص ٨.

(٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد(٤ / ١٠١): رواه الطبراني في الكبير وفيه سليمان بن سلمة الجنائزي وهو متروك أهـ قال جامع التعليقات : وهو رواه عن بقية ولكن البيهقي في شعب الإيمان رواه من طريق عطية بن بقية عن أبيه بقية بن الوليد فيعتضد به الحديث وأما بقية وإن كان مدلسا إلا إنه ثقة وقد صرح بالتحديث فحديثه مقبول والله أعلم.

(٥) ابن ماجه في سننه في كتاب التجارات، باب الحكرة والجلب والحاكم وإسحاق، والدارمي وعبد بن حميد وأبو يعلى، والعقيلي في الضعفاء من حديث عمر بسند ضعيف.

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي المُهْتَدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[2].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[3].

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) النِّسَاء ٢٩.

# الخطبة الثانية

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَـمِينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الـصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيْرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلَائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

أما بعدُ: فيا عِبَادَ اللهِ: أُوصِـيكُمْ وَنَفْـسِيَ بِتَقْـوَى اللهِ تَعـالى، اتَّقُـوا اللهَ مِـنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

عِبَادَ اللهِ: وَمِنَ الأَحَادِيثِ الهَامَّةِ فِي شَأْنِ الاحْتِكَارِ وَالتَّلاعُبِ بِالأَسْعَارِ ، مـاَ رَواهُ مَعْقَلُ بْنُ يَسارٍ صاَحِبُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَـلَّمَ حِـينَ أَثْقَلَـهُ المـرَضُ فَدَخَلَ إِلَيْهِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ يَعُودُهُ فَقَالَ: « هَلْ تَعْلَمُ يَا مَعْقِلُ أَنِّي سَفَكْتُ دَمًا قَـالَ مَا عَلِمْتُ قَالَ هَلْ تَعْلَمُ أَنِّي دَخَلْتُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ المُسْلِمِينَ قَالَ مَا عَلِمْتُ قَالَ أَجْلِسُونِي ثُمَّ قَالَ اسْمَعْ يَا عُبَيْدَ اللهِ حَتَّى أُحَـدِّثَكَ شَـيْئًا لَمْ أَسْـمَعْهُ مِـنْ رَسُـولِ اللهِ

صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً وَلَا مَرَّتَيْنِ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُـولُ مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ لِيُغْلِيَهُ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ حَقًّا عَلَى الله تبَارَكَ وَتَعَـالَى أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِنْ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ أَأَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ قَالَ : نَعَمْ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ ))(1)

وَلَقَدْ تَعَوَّدْنَا مِنْ تُجَّارِنَا أَصْلَحَهُمُ الله وَإِيَّانَا إِذاَ قَرُبَتْ مَواَسِمُ الخَيرِ وَالأَعْيـاَدُ وَالْمُنَاَسَبَاَتُ وَشَهْرُ رَمَضاَنَ يَلْبَسُونَ جُلُودَ النَّمُورِ وَالْوُحُوشِ لِيبتـزوا مـا فِي أَيْـدِي إِخْواَنِهِمْ مِنَ الفُقَراءِ مِنْ دُرَيهِـماَتٍ بِاِرْتِفـاَعِ الأَسْـعاَرِ زِيـاَدَةً عَـلى الجُرْعـاَتِ الْمُـرَّةِ الْمُتواَلِيَةِ مِنْ جِهَةِ حُكُومَتِنَا الرَّشِيدَةَ جُرْعَةً فِي غَلاَءِ المَحْرُوقـات ، وَأُخْـرَى فِي رَفْـعِ الدَّعْمِ مِنَ المَواَدِ الغِذاَئِيَّةِ الرَّئِيسِةِ.

فَرِبْحُ التَّاجِرِ يَكُونُ بِأحد وَجْهَيْنِ إِمَّا أَنْ يَخْزِنَ السِّلْعَةَ لِيَبِيعَهَا بِثَمَنٍ غاَلٍ عِنْـدَ ماَ يَبْحَثُ النَّاسُ عَنْهاَ فَلاَ يَجِدُونَهَا فَيَأْتى الْمُحْتاَجُ الـشَّدِيدُ الحاَجَـةِ فَيبْـذُلَ فِيهَـا مـاَ يُطْلَبُ مِنْهُ وَإِنْ فَحُشَ وَجاَوَزَ الحَدَّ فَهَذاَ هُوَ الْمُحْتكِـرُ المَلْعُـونُ ، الَّـذِي أَشـاَرَ إِلَيـهِ النَّبِيُّ ، وَإِمَّا أَنْ يَجْلِبَ السِّلْعَةَ فَيَبِيعَهَا بِيَسِيرٍ ، ثُمَّ يَأْتِي بِتِجاَرَةٍ أُخْرَى فَيَرْبَحَ مِنْهَا، ثُمَّ يَجْلِبَ أُخْرَى وَيَرْبَحَ قَلِيلاً وَهَكَذاَ ، وَهَذاَ انْتِفاَعٌ أَوْفَـقُ بِالْمُـصْلَحَة العاَمَّـةِ ، وَأَكْثَـرُ

(١) أخرجه الطيالسى (ص ١٢٥، رقم ٩٢٨)، وأحمد (٥/ ٢٧، رقم ٢٠٣٢٨)، والطبرانى (٢٠/ ٢١٠، رقم ٤٨٠)، قال الهيثمى (٤/ ١٠١): فيه زيد بن مرة أبو المعلى ولم أجد من ترجمه وبقية رجاله رجال الصحيح. والحاكم (٢/ ١٥، رقم ٢١٦٨) وقال: ليس على شرط هذا الكتاب، والبيهقى (٦/ ٣٠، رقم ١٠٩٣٣). وأخرجه أيضًا: الرويانى (٢/ ٣٢٩، رقم ١٣٠٠)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٥٢٥، رقم ١١٢١٤).

بَرَكَةً وَصاَحِبُهُ مَرْزُوقٌ كَماَ قاَلَ الرَّسُولُ صَلَّى الله عَلَيـهِ وَسَـلَّمَ « الجاَلِـبُ مَـرْزُوقٌ وَالمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ » .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِــي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَــــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَـلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُـبْرَى ، و عَـنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَـاتِ الــمُؤْمِنِينَ ، وعَـنْ عَمَّـي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِــيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْـتَ الـشَّجَرَةِ، طَلْحَـةَ والزُّبَيــرِ ، وسَـعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْـحَابِ رَسُـولِ الله رِضْـوَانِ الله تعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجـلِيَ الظُّلْمَـةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ فَـرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُـسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَـا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَوَلِّ عَلَينَـا خِيَارَنَـا، وأَبْعِـدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ الـسُّفَهَاء مِنَّـا ، واجْعَـلْ وِلَايَتَنَـا فِـيمَنْ خَافَـكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْـلامَ والـمُـسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُـشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَونَاً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُـزَاةِ والمُـسَافِرِينَ في بَـرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَـانِطِينَ ، اللَّهُـمَّ اسْـقِنَا غَيْثَـاً مُغِيثَاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

عِبَـــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَ الله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# أَخْطَـارُ الزِّنَا واللِّوَاطِ

## الخُطْبَـــــــةُ الأُوْلَى

الحَمْدُ لله شَرَعَ الأَحْكامَ ، وَبَيَّنَ الحَلالَ وَالحَرامَ ، وَأَمَرَ بِالصَّالِحاتِ وَنَهى عَنِ الآثامِ ، نَحْمَدُهُ تعالَى عَلَى ما شَرَعَ وَسَنَّ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَـهُ حَـرَّمَ الفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَعْرَفُ خَلْقِهِ بِهِ ، وَأَتْقاهُمْ لَـهُ فِي السِّرِّ وَالعَلَـن ، وَأَفْضَلُ داعٍ إِلَى مكَارِمِ الأَخْلاقِ وَالخُلُقِ الحَسَنِ

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [1] .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الكَرِيمِ صاحِبِ الخَلْقِ العَظِيمِ ، وَالهادِي إِلَى صِراطِكَ المُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسانٍ أَفْضَلَ صَلاةٍ وَ أزْكَى تَسْلِيم .

**أَمَّا بَعدُ** : أُوْصِيكُمْ أَيُّها المُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعَالَى فَإِنَّها الوِقايَةُ يـا أُوْلِي النُّهى ، وَالنَّجاةُ يَومَ يَتَذَكَّرُ الإِنْسانُ ما سَعَى وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى .

أَيُّها المُسْلِمُونَ : يا أُمَّةَ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الله ﷺ ، وَ يا حَمَلَةَ رِسالَتِهِ وَأَمانَتِهِ ، يُخاطِبُنا الله جَلَّ جَلالُهُ فِي مُحْكَمِ آياتِهِ بِقَولِهِ وَهُوَ أَصْدَقُ القائِلِينَ ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثاماً، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً إِلَّا مَن تَابَ ﴾ [2]

---

(١) سورة فصلت من الآية (٣٣) .

(٢) سورة الفرقان الآيات (٦٨-٧٠) .

فانْظُرُوا يا إِخْوَةَ الإِسْلامِ وَالإِيمانِ كَيفَ جَعَلَ الله تَعالَى فاحِشَةَ الزِّنا فِي دَرَجَةِ الإِشْراكِ بِالله تَعالَى وَقَتْلِ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلا بِالحَقِّ ، وَكَما رَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ ﷺ قالَ : قُلْتُ يا رَسُولَ الله أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ الله تَعالَى ؟ قالَ ﷺ:(( أَنْ تَدْعُو لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ قالَ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قالَ : أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخافَةَ أَنْ يطْعَمَ مَعَكَ قالَ: ثُمَّ أَيُّ ؟ قالَ :أَنْ تُزانِيَ حَلِيلَةَ جارِكَ)) [1] فَأَنْزَلَ الله تَصْدِيقاً لِذَلِكَ ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ﴾ .

مَنْ رَضِيَ بِالله رَبًّا وَبِالإِسْلامِ دِيناً ، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا وَرَسُولاً ، كَيْفَ يُحارِبُ الله بِالْمَعاصِي! و لا يَخافُ ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولاً﴾ وَكَيفَ يُخالِفُ القُرْآنَ ، وَيَتَّبِعُ الشَّيْطانَ ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولاً﴾ ، ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً﴾ ، ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [2]. لَو تُتبِّعَتْ الجَرائِمُ فِي أَوْكارِها ، وَتَعَقَّبَها ..بُولِيسُ الآدابِ فِي قَرارِها وَوُئِدَتْ الفِتْنَةُ فِي عُقْرِ
دارِها [3] ، وَأُقِيمَتْ حُدُودُ الله عَلَى المُجْرِمِينَ ، لَكَفَّ المُجْرِمُونَ عَنْ

---

(١) رواه الإمام البخاري في مواضع من صحيحه منها : كتاب التفسير، باب (قوله تعالى : { فلا تجعلوا لله أنداداً و أنتم تعلمون } ) ، و رواه مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان ، باب(كون الشرك أقبح الذنوب و بيان أعظمها بعده) برقم (١٢٥) .

(٢) تخريج الآيات على الترتيب :سورة المزمل الآيتين (١٧ – ١٨) ، الفرقان (٢٩)، سورة الإسراء الآية (٦٢) ، سورة يس الآية (٦٠) .

(٣)وعُقْرُ الدار أَصلُها وقيل وسطها .

جَرائِمِهِمْ ، وَلَـو حُكِـمَ بِكِتـابِ الله تَعَـالى مـا اسْـتُبِيحَتْ المَحـارِمُ ، وَلا ارْتُكِبَـتْ العَظَائِمُ ، وَلَو أَنْصَفَ المُسْلِمُ مِنْ نَفْسِهِ لَمَا وَقَعَ فِي المـآثِمِ ، فَإِنَّ مَنْ زَنَى زُنِيَ بِأَهْلِـهِ ، وَمَنْ هَتَكَ عِرْضَ غَيْرِهِ هَتَكَ الله عِرْضَهُ ، وَمَنْ دَنَّسَ فِـراشَ أَخِيـهِ دُنِّـسَ فِراشُـهُ ، فَالدُّنْيا تكَادُ تَكُونُ دَارُ جَزاءٍ وَمحْكَمَةُ عَدْلٍ ، قَبْلَ الآخِرَة ، فَيا مُـصِرّاً عَـلَى الحِنْـثِ العَظِيمِ وَيا مُقْتَرِفاً لِهَذا الذَّنْبِ الوَخِيمِ ، و يـا مُتهَاوِنـاً بِعَـذابِ الله الأَلِـيمِ فِي نـارِ الجَحِيمِ ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَرْجِعَ وَتَتُوبَ ، وَتَسْتَغْفِرَ الله وَتَئُوبَ ، قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ النَّهارُ لَيْلاً ، وَ الوَيْحُ وَيْـلاً ، وَالـرَّأْسُ ذَيْـلاً ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاس لِرَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[1].

وَقَدْ وَرَدَ فِي الأَحادِيثِ الصَّحِيحَةِ : ((لا يَزْنِي الزَّانِي حِيْنَ يَـزْنِي وَهُـوَ مَـؤْمِنٌ ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِـينَ يَـشْرَبُها وَهُـوَ مُؤْمِنٌ ))[2] ، و ما ظَهَرَ الزِّنا وَالرِّبا فِي بَلَدٍ إِلا وَظَهَرَ بِها الفَقْـرُ وَالأَمْـراضُ المُعْدِيَـة المُسْتَعْصِيَة وَلا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلا قاتَلٍ أَوْتارَكٍ لِدِينِهِ أَوْ ثَيِّبٍ زَانٍ[3] ﴿ الزَّانِيَـةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُـذْكُم بِهِـمَا رَأْفَـةٌ فِي دِيـنِ الله إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[4]

---

[1] سورة المطففين الآيات (٤-٦) .

[2] رواه البخاري في مواضع من صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه منهـا : كتـاب الحـدود بـاب (إثـم الزنـاة) ، و رواه مسلم في كتاب الإيمان: باب (بيان نقصان الإيمان بالمعاصي).

[3] روى البخاري(كتاب الديات :باب (قول الله تعالى :{أن الـنفس بـالنفس...}) ومـسلم(كتـاب (كتـاب القـسامة والمحـاربين والقصاص والديات)باب (باب ما يباح به دم المسلم)) عن عبدالله بن مسعود قـال : قـال رسـول الله ﷺ :" لا يحـل دم امـرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة " .

[4] سورة النور الآية (٢) .

أَيُّ جَانٍ يَجْنِي عَلَى نَفْسِهِ وَدِينِـهِ وَعِرْضِـهِ وَأَهْلِـهِ مِثْـلُ مَـنِ اسْـتَبْدَلَ الخَبَائِـثَ بِالطَّيِّباتِ ، وَالحَرامَ بِالحَلالِ ، يَصْبُو إِلَى امْرَأَةٍ مُوْمِسَةٍ لا تَردُّ عَنْ نَفْسِها كَفَّ لامِسٍ ، قَدْ خَلَعَتْ عِذارَ الدِّينِ ، وَهَتَكَتْ بُرْقَعَ العِفَّةِ وَالشَّرَفِ وَالكَرَامَـةِ ، قُلُـوبٌ خَـتَمَ الله عَلَيها بِحُبِّها للشَّهوَاتِ ، وَبُطُونٌ مُلِئَتْ بِأَكْلِ الحَرامِ وَنُطَفِ الشَّيْطانِ .

وَمَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً مِمَّنْ يَعافُ زَوْجَتَهُ الطَّاهِرَةَ العَفِيفَـةَ الـسَّاهِرَةَ عَـلَى مَـصَالِحِهِ وَخِدْمَتِهِ ، وَتَرْبِيَةِ البَنِـينِ وَالْبَنَـاتِ ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾[1].

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : لَقَدْ أَنْعَمَ الله عَلَينا نَحْنُ المُتَـأَخِّرِينَ بِـنِعَمٍ عَظِيمَـةٍ يَجِـبُ عَلَينا مُقابَلَتُهَا بِالشُّكْرِ ، أَنْعَمَ عَلَينا بِالمَالِ وَ يَسَّرَ لَنا مَصادِرَهُ ، تَكَرَّمَ عَلَينـا بِأَسْبَابِ الاتِّصالاتِ وَالمُواصَلاتِ تَرَى فِي كُلِّ بَيتٍ أَجْهِزَةَ الاتِّـصالِ الثَّابِتَـةَ و المَحْمولَـةَ ، وَعِنْدَ كلِّ بَيْتٍ سَيَّارَةٌ أَوْ سَيَّاراتٌ لِلْخِدْمَةِ وَالتَّرْفِيهِ ، فَهِـيَ نِعَـمٌ لَـو شَـكَرْنا المُـنْعِمَ تَعَـالى عَلَيهـا وَصَرَفْناهَـا فِـيما وُجِـدَتْ مِـنْ أَجْلِـهِ وَمَـا خَلِقَـتْ لَـهُ ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[2] ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾[3] :أَيْ كَفُورٌ .

إِنَّ هَـذِهِ الـنِّعَمَ مُهَـدَّدَةٌ بِـالزَّوالِ ؛ إِذا لَمْ تُوْضَـعْ فِي مَحَلِّهـا وَتُـصْرَفْ فِي مُسْتَحِقِّها سَتَرْحَلُ ، وَإِذَا رَحَلَتْ نِعْمَةٌ قَلَّما تَعُودُ .

---

(١) سورة البقرة الآية (١٦) .

(٢) سورة إبراهيم الآية (٧).

(٣) سورة العاديات الآية (٦) .

لَقَدْ حَمِدَنا اللهُ تعَالَى إِذْ وَسَّعَ لَنا فِي الرِّزْقِ وَالمَسْكَنِ وَالمَرْكَبِ ، وَمَهَّدَ لَنا الطُّرُقَ وَسَهَّلَ لَنا المُواصلاتِ وَالتَّنَقُّلاتِ السَّرِيعَةِ المُرِيحَةِ فِي الذِّهابِ والإِيابِ وَالغُدُوِّ وَالرَّواحِ وَالمَجِيءِ وَالمَراحِ، وَلَكِنْ وَيْلٌ لَنا إِنِ انْحَرَفْنا عَنْ هَذا المَسْلَكِ الصَّحِيحِ وَيلٌ لَنَا إِنْ عَدلْنَا عَنِ الطَّرِيقِ الجادِّ وَاتَّبَعْنا الهَوَى وَالشَّيْطان ، إِنَّنا كَثِيراً ما نَتَّخِذُ هَذِهِ الوَسائِلَ المَشْرُوعَةَ فِيمَا لا يُرْضِي الله ، وَاتَّخَذْناها لِلْملاهِي وَالعَبَثِ وَارْتِكابِ المُحَرَّماتِ وَالمُنْكَراتِ فَكَمْ شُوْهِدَتْ بَعْضُ التَحَرُّكاتِ المُرِيبَةِ المَشْبُوهَةِ هُنَا وَهُناكَ ، وَكَمْ لُوحِظَتْ مِنْ ذِئابِ البَشَرِ فِي سَيَّارَاتِهِمْ الفَارِهَةِ وَقَدْ انْفَرَدَ كُلُّ ذِئْبٍ بِفَرِيسَتِهِ فِي أَطْرَافِ الصَّحارِي أَو بُطُونِ الوِدْيانِ ، يُبَارِزُونَ المُنْعِمَ عَلَيهِمْ وَقَدْ سَتَرَهُمْ فَيُبارِزُونَهُ بِالمَعاصِي وَالفَواحِشِ ، وَاسْتَهانُوا بِالشَّرَفِ وَالكَرامَةِ وَالدِّينِ ، وَالأَعْراضِ وَالعِفَّةِ وَالمُرُوءَةِ ، وَنَسُوْا أَوْ تَناسَوا أَوامِرَ الله ، وَهَتَكُوا مَحارِمَهُ ، وَما تَجُرُّهُ عَلَى المُجْتَمَعِ الإِسْلامِي مِنْ خِزْيٍ وَعارٍ ، وَما تُنْتِجُهُ مِنْ هَدْمِ البُيُوتِ المُطْمَئِنَّةِ ، وَتَفْتِيتِ الأُسَرِ الهانِئَةِ المسْتَقِرَّةِ ، ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾[1] ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً ﴾[2] ، وَمَعْلومٌ أَنَّ أُمَّ الفَواحِشِ وَ أَفْحَشَها هُو الزِّنا ، وَكُلُّ شُذُوذٍ جِنْسِيٍّ كاللِّواط ؛ وَقَدْ عَاقَبَ اللهُ قَومَ لُوطٍ بِما قَدْ عَلِمْتُمْ مِمَّا قَصَّهُ اللهُ عَلَينا فِي مُحْكَمِ آياتِهِ ، وَإِنَّهُمْ حِينَ تَحَدُّوا أَوامِرَ الله ، وَتَجاوَزوا حُدُودَهُ فِي ذَلِكَ عَجَّلَ اللهُ العُقُوبَةَ لَهُمْ فِي الدُّنْيا ، مِصْداقاً لِحَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ الَّذي لا يَنْطِقَ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلا

---

(١) سورة الأعراف من الآية(٣٣) .

(٢) سورة الإسراء الآية(٣٢) .

وَحْيٌ يُوْحَى حِينَ قالَ فِيمَا رَواهُ الْبَزَّارُ وَالْحاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ وَابْـنُ ماجَـةَ: (( لَمْ تَظْهَـرِ الفاحِشَةُ فِي قَومٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِها إِلا فَشَا فِيهِمْ الطاعُونُ وَالأَوْجاعُ الَّتِي لَمْ تَكُـنْ مَـضَتْ فِي أَسْـلافِهِمْ ))[1] أَوْ كَـمَا قـالَ صَـلَى الله عَلَيـهِ وَسَـلَّمَ ؛ فَـإِنَّ الأُمَـمَ الَّتِـي اسْتَهْزَأَتْ بِعَمَلِ الفَواحِشِ أَرْسَلَ الله عَلَيهِمْ الأَمْراضَ الخَبِيثَةَ ، وَمِنْها هَذَا المَـرَضُ العُضَالُ الَّذِي انْتَشَرَ فِي العَالَمِ انْتِشارَ النَّارِ فِي الهَشِيْمِ ذَلِكَ هُوَ مَرَضُ فُقْـدانِ المَناعَـةِ أَوْ ما يُسَمَّى (( بِالإِيدِزْ )) ؛ أَعَاذَنَا الله وَإِيَّاكُمْ وَالمُـسْلِمِينَ مِنْـهُ ، مَـرَضٌ عُـضَالٌ لا عِلاجَ لَهُ مُعْدٍ يَسْرِي وَيَنْتَشِرُ عَنْ طَرِيقِ الشُّذُوذِ الجِنْسِيِّ وَالزِّنا أَعاذَنا الله مَنْهُما وَمِنْ شَرِّهِما فِي الدُّنْيا وَالأُخْرَى وَهَذا المَرَضُ وَغَيرُهُ نَتِيجَةٌ لِلاسْتِهْتارِ بِالزِّنـا وَاللِّـوَاطِ ؛ فَمَنْ حَمَى نَفْسَهُ وَعِرْضَهُ عَنِ هَذِهِ الفَواحِشَ أَمَّنَ نَفْسَهُ وَعائِلَتَهُ ؛ فَنَـسْأَلُ الله العَـلِيَّ القَدِيرَ أَنْ يُجَنِّبَ بِلادَنَا وَبِلادَ العَالَـمَينِ العَرَبِي وَالإِسْلامِي مِنْ هَذِهِ الفَـواحِشِ ، و هَذِهِ الأَمْرَاضِ ، و يَجْعَلَ لَنا مِنْ هَذِهِ النُّذُرِ عِبْرَةً مُفِيدَةً ، وَمَوعِظَةً حَسَنَةً عَلَّنا نَرْجِعُ إِلَى طَرِيقِ الهُدَى وَالرَّشادِ .

و إِذَا عَرَفْنَا مَا لِلزِّنـا مِـنْ أَضْرَارٍ وَأَخْطـارٍ ، وَمَـا يَتَرَتَّـبُ عَلَيـهِ مِـنِ اخْـتِلاطِ الأَنْـسَابِ ، وَإِدْخـالِ مَـنْ لَـيسَ مِـنْهُمْ فِي الأُسْرَةِ فَيَتَرَتَّـبُ عَلَيـهِ فَـسادٌ عَـرِيضٌ لِلْمُجْتَمَعِ كُلِّه ، وَاللهُ سُبْحانَهُ وَتَعالَى إِذا حَرَّمَ شَيْئاً حَرَّمَ كُلَّما يَدْعُو إِلَيـهِ ، أَوْ يَكُـونُ سَبَباً مُباشِراً أَوْ غَيْرَ مُباشِرٍ فِي حُصُولِهِ ، مَعَ أَنَّ الشَّهْوَةَ العَارِمَةَ الجامِعَةَ إِنَّما يَرْدَعُهـا وَيَقِفُ أَمامَها حاجِزاً هُوَ خَوفُ الله عَزَّ وَجَلَّ ، وَهَذا الخَوْفُ المُفْتَرَضُ أَنْ يَكُـونَ فِي

---

(١) جزء من حديث مذكور في : سنن ابن ماجة : كتاب الفتن ، باب (العقوبات) ، شعب الإيمان للبيهقي (٧/ ٣٥١) ، المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤ / ٥٨٣ ) ، مسند البزار .

قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ ، وَلَكِنَّ اللهَ مَعَ ذَلِكَ الخَوف حَرَّم المُسَبِّباتِ كالخَلْوَةِ بِالنِّساءِ الأَجْنَبِيَّاتِ لأَنَّها دَاعِيَةٌ إِلَى الزِّنا ، كَما حَرَّمَ عَلَى المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ أَنْ تَظْهَرَ بِزِينَتِهَا أَمامَ الأَجانِبِ ، لأَنَّ ذَلِكَ يَدْعُو إِلَى الفاحِشَةِ ، أَوْ أَنْ تَخْرُجَ المَرْأَةُ مِنْ بَيْتِها مُتَعَطِّرَةً مُتَزَيِّنَةً ، فَتَمُرُّ عَلَى الرِّجالِ فَيَشُمُّوا رِيحَها فَتُثِير شَهْوَاتِهِمْ ، وَاللهُ رَبَطَ الأَسْبَابَ بِالمُسَبَّباتِ ، زِيادَةً عَلَى ذَلِكَ فَقَدَ غَزَانا أَعْداؤُنا مِنَ الصَّهاينَةِ وَالمُسْتَعْمِرِينَ الأُورُبِيِّينَ غَزْوَنا ثقافِيَّاً وَفِكْرِيَّاً ، وَهُوَ أَخْبَثُ مِنَ الغَزْوِ العَسْكَرِيِّ ، فَغَزَوْا لاسِيَّما شَبَابَنا وَشَابَّاتِنا بِمُغْرَياتِهِمْ الخَطِيرَةِ وَمُثيراتِهِمْ الكَثِيرَةِ : بِمُسَلْسَلاتِهِمْ العَارِيَةِ ، وَمَسْرَحِيَّاتِهِمْ العاثِرَةِ وَمِنْ خِلالِ شَاشَاتِهِمْ الكَبِيرَةِ وَالصَّغِيرَةِ ، وَدِيْشاتِهِمْ(أَجْهِزَة القَنَواتِ الفَضَائِية) الَّتِي تَنْقِلُ إِلَينا المَناظِرَ الفاضِحةَ المُثِيرَةَ مِنْ مَحَطاتِهِمْ الغَرْبِيَّةِ الفَاجِرَةِ العاهِرَةِ .فَيا صاحِبَ الدِيشِ اتَّقِ الله ، وَإِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَهْوَى ذَلِكَ لِنَفْسِهِ فَلا تَفْتِنْ أَوْلادَنَا وَبَنَاتَنَا بِمَا تُرْسِلُهُ مِنْ هَذِهِ المَناظِرِ الفَاسِدَةِ المُفْسِدَةِ ، فاقْطَعْ عَنَّا إِرْسالَكَ وَاكْتَفِ بِهَلاكِ نَفْسِكَ فَلا تُهْلِكْ غَيرَكَ .

وَمِنْ أَسْبابِ انْحِرافِ الشَّبابِ وَالشابَّاتِ العادَاتُ وَالتَّقالَيدُ المُكَلِّفَة الَّتِي تَمْنَعُ الكَثِيرَ مِنَ الزَّواج ، لأَنَّ بَعْضَ هَذِهِ العاداتِ لَيْسَتْ مِنَ الدِّينِ وَلا مِنَ المُرُوءَةِ ، وَإِنَّما أَكْثَرُها مِنَ التَّفاخُرِ وَالمَظاهِرِ ؛ تَحَكَّمَتْ فِينا وَسَيْطَرَتْ عَلَينَا حَتَّى صَارَتْ أَدْواءً فِي مُجْتَمَعَاتِنَا ، وَتَمَكَّنَتْ وَاسْتَحْكَمَتْ فِي عُقُولِ رِجالِنا وَنِسائِنَا وَوَقَفَتْ حَجَرَ عَثَرَةٍ فِي إِقامَةِ الزَّواجاتِ ؛ الَّتِي تَصُونُ كَرامَةَ الجِنْسَيْنِ مِنَ الوُقُوعِ فِي المُحَرَّماتِ وَالمَحْذُورَاتِ .

وَخُلاصَةُ القَولِ لَقَدْ شَدَّدَ الإِسْلامُ عَلَى مُرْتَكِبِي هَذِهِ الجَرِيمَةِ الشَّنْعاءِ

ـ الزِّنا- وَجَعَلَ عِقابَها فِي الدُّنْيا الجَلْدَ مِائَةً لِلْبِكْرِ وَالْقَتْلَ رَجْماً بِالحِجارَةِ حَتَّى المَوتِ لِلثيبِ ، فَهِيَ أَبْشَعُ الفَوَاحِشِ لأَنَّها تُحِلُّ دَمَ المُسْلِمِ ، فَالرَّسُولُ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِيما رَوَاهُ البُخارِي وَمُسْلِمٌ وَأَصْحابُ السُّنَنِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قالَ : (( لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله إِلا بِإِحْدَى ثَلاثٍ : الثَّيِّبُ الزَّانِي ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، وَالتَّارِكُ لِدِيْنِهِ المُفارِقُ لِلْجَماعَةِ )) [1]، وَفِيما رَوَى أَبو دَاودَ وَالنَّسائِي[2] عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْها مَرْفُوعاً : ((لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله ، إِلا فِي إِحْدَى ثَلاثٍ : رَجلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصانٍ فَإِنَّهُ يُرْجَمُ ، وَرَجُلٌ خَرَجَ مُحارِباً لله وَرَسُولِهِ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ ، أَوْ يُصْلَبُ ، أَوْ يُنْفَى مِنَ الأَرْضِ ، أَوْ يَقْتُلُ نَفْساً فَيُقْتَلُ بِها ))

وَبِالجُمْلَةِ فَإِنَّ الزِّنا مِنْ أَكْبَرِ الجَرَائِمِ بَعْدَ الإِشْراكِ بِالله ، وَقَتْلِ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلا بِالحَقِّ كَما تَقَدَّمَ ، وَالزِّنا وَالإِيْمانُ بِالله لا يَجْتَمِعانِ عَلَى صَعِيدٍ وَاحِدٍ لأَنَّ الإِيمانَ الصَّحِيحَ يَحولُ بَيْنَ الإِنْسانِ وَمَعْصِيَةِ رَبِّهِ ، وَوَرَدَ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الزِّنا مِمَّا رُوِيَ عِنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَولُهُ : (( يا مَعْشَرَ النَّاس ! اتَّقُوا الزِّنا فَإِنَّ فِيهِ سِتُّ خِصالٍ : ثَلاثاً فِي الدُّنْيا ، وَثَلاثاً فِي الآخِرَة ، أَمَّا الَّتِي فِي الدُّنْيا: فَيُذْهِبُ البَهاءَ - أَيْ صَفاءَ النَّفْسِ وَجَمالَ الرُّوحِ - ، و يُورِثُ الفَقْرَ وَيُنْقِصُ العُمْرَ ، وَأَمَّا الَّتِي فِي

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) سنن أبي داود : كتاب الحدود باب (الحكم فيمن ارتدَّ) ، سنن النسائي : كتاب (تحريم الدم) باب الصلب رواه بلفظ : " لا يحلُّ دمُ امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث خصال: زانٍ محصَنٍ يُرجَمُ ، أو رجل قتل رجلاً متعمداً فيقتل، أو رجل يخرج من الإسلام يحارب الله عز وجل ورسوله فيقتل أو يصلب أو ينفى من الأرض " .

الآخِرَة : فَيُوجِبُ سَخَطَ الله تَعالَى وَسُوءَ الحِسابِ ، وَعَذابَ النَّارِ)) [١] .

اللَّهُمَّ باعِدْ بَيْنَنا وَبَيْنَ خَطايَانا كَما باعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ ، اللَّهُمَّ نَقِّنا مِـنَ الخَطايَـا كَما يُنْقَى الثَّوبُ الأَبْيَضُ منَ الدَّنَسِ ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطايانا بِالماءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ .

وَاللهُ يَقُـولُ وَبِقَولِـهِ يَهْتَـدِي المُهْتَـدُونَ : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ وَقـالَ عَـزَّ مـنْ قائِـلٍ كَـرِيمٍ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾. **أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطان الرَّجِيمِ.**

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَهاً آخَـرَ وَلَا يَقْتُلُـونَ الـنَّفْسَ الَّتِـي حَـرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِـلَ عَمَـلاً صَـالِحاً فَأُوْلَئِـكَ يُبَـدِّلُ الله سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحِيماً رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[٢].

بارَكَ الله لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآن العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ بِالآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٧٩) وقال : إنه ضعيف ، و أبو نعيم في الحلية (٤/ ١١١) و ضعَّفه أيضاً قال ابن عـدي في الكامل (ج ٦ / ص ٣١٧) وهذا عن الأعمش غير محفوظ وهو منكر اهـ قلت وقد رواه عن الاعمـش مـسلمة بـن عـلى وهو ضعيف ، وأبان بن نهشل عن إسماعيل بـن أبـى خالـد عـن الاعمـش وإبـان مـتروك . وأخرجـه ابـن الجـوزي في الموضوعات (٣ / ١٠٧) من طريق حميد الطويل عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إيـاكم والزنـا فـإن فيه ست خصال: ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، فأما اللواتى في دار الدنيا: فذهاب نور الوجه وسرعة الفنـاء وانقطـاع الرزق، وأما اللواتى في الآخرة: فيغضب الرب وسوء الحساب والخلود في النار إلا أن يـشاء الله عزوجـل .فالخلاصـة في الحديث أنه ليس بموضوع والله اعلم .

(٢) سورة الفرقان الآيات (٦٨-٧٠).

، أَقُولِي قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ ؛ فاسْتَغْفِرُوهُ انهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

## الخطبة الثانية

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَهُ الأَصْوَاتُ ، وَكَلَّتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَهُ الأَحْلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْضِي فِي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ ،

وَ أَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَرَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَ بَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ المَصَابِيحِ الغُرَرِ .

عِبَادَ اللهِ: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى اللهِ تَعالى اتَّقُوا اللهَ مِنْ سَمَاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

أَيُّها المُسْلِمُونَ : إِنَّ الإِسْلامَ يُحارِبُ العَلاقَةَ الجِنْسِيَّةَ الآثِمَةَ الَّتِي لا تَهْدِفُ إِلَى إِقامَةِ بَيْتٍ مُحْتَرَمٍ ، وَإِنْشاءِ حَياةٍ مُشْتَرَكَةٍ مُطَهَّرَةٍ وَمُسْتَقْبَلٍ سَعِيدٍ تَنْعَمُ فِيهِ الذُّرِّيَةُ الصَّالِحَةُ المُرْتَقِبَةُ ، وَمِنْ هُنَا شَدَّدَ الإِسْلامُ فِي عُقُوبَةِ الزِّنا لأَنَّهُ يَقْضِي عَلَى كُلِّ مَعانِي الطُّمَأْنِينَةِ النَّقِيَّةِ كَما أَنَّهُ يُؤَدِّي إلى عَذابِ اللهِ فِي الدُّنْيا قَبْلَ الآخِرَة ، يَقُولُ النَّبِيِّ

صَلَى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ : (( لا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ ما لَمْ يَفْشُ فِيهِمْ وَلَـدُ الزِّنـا فَـإِذَا فَـشا فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنا فَأَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمْ الله عزَّ وجلَّ بِعِقَابٍ )) [1].

وَالزَّجْرُ الشَّدِيدُ الَّذِي وَرَدَ لا يُؤَثِّرُ فِي أَصْحابِ النُّفُوسِ المَرِيضَةِ الَّذِينَ تَرَكُـوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى أَهْوائِهـا فاسْتَحَلُّوا كُـلَّ قَبِيحٍ وَجـاهَرُوا بالمَعْصِيَةِ بِكُـلِّ وَقاحَـةٍ لا يَرْدَعَهُمْ فِي ذَلِكَ دِيْنٌ وَلا ضَمِيرٌ وَهَؤُلاءِ المُنحَرِفِينَ شَرَعَ الإِسْلامُ العُقُوبَةَ الأَلِيمَـةَ لِيُطَهِّرَ المُجْتَمَعَ مِنْ مَفاسَدِهِمْ .

أَلا إِنَّ الإِسْلامَ يَتَحَرَّى أَشَدَّ التَّحَرِّي فِي إِلْقاءِ التُّهَمِ بِدُونِ دَلِيلٍ قاطِعٍ ؛ وَلَقَـدْ شَدَّدَ القُرْآنُ فِي عُقُوبَةِ القَذْفِ فَجَعَلَهَا قَرِيبَةً مِنْ عُقُوبَةِ الزِّنا ، وَهِـيَ ثَمانُـونَ جَلْـدَةً مَعَ إِسْقاطِ حَقِّهِ فِي الشَّهادَةِ وَوَصْمِ صاحِبِها بِالْفِـسْقِ ، وَالعُقُوبَـةُ الأُولَى جَـسَدِيَّةٌ وَهِيَ الجَلْدُ وَالثَّانِيَةُ أَدَبِيَّةٌ ، وَكَفَى مَهانَةً أَنْ يُبْطلَ قَولَ القاذِفِ فَلا يُؤْخَذُ لَهُ شَـهادَةً وَلا يُوْثَقُ لَهُ بِكَلامٍ ، إِلا أَنْ يَأْتِيَ القَاذِفُ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ يَشْهَدُونَ بِرُؤْيَةِ الفِعْلِ .

هَذَا وَإِنَّ القُرْآنَ جَعَلَ قَذْفَ العَفِيفَـاتِ بِالزِّنـا مِـنْ كَبـائِرِ الإِثْـمِ ﴿ إِنَّ الَّـذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْـصَنَاتِ الْغَـافِلَاتِ الْمُؤْمِنَـاتِ لُعِنُـوا فِي الـدُّنْيَا وَالْآخِـرَةِ وَلَهُـمْ عَـذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [2].

وَهُناكَ أُناسٌ مَرْضَى النُّفُوسِ لَذَّتُهُمْ فِي الـدُّنيا تَـشْوِيهُ سُـمْعَةِ الغَـيْرِ وَإِلـصَاقُ التُّهَمِ الباطِلَةِ بِهِمْ إِما بِداعِي الحَسَدِ ، وَإِمَّا بِقَصْدِ تَحْطِيمِهم وَالانْتِقـامِ مِـنْهُمْ لِغايَـةٍ خاصَّةٍ ، هَؤُلاءِ حَذَّرَهُمُ الله بِقَولِهِ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّـذِينَ

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (باقي مسند الأنصار) (حديث ميمونة بنت الحارث زوج النبي رضي الله عنها ) .

(٢) سورة النور آية (٢٣).

آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾[1]. فالإسْلامُ يُرِيدُ أَنْ تُعْلَنَ الفَضِيلَةُ وَتُنْشَرَ بَينَ النَّاس ، و تُسْتَرَ الرَّذِيلَةُ وَتخْتَفِي عَنِ العُيُونِ وَالأَقْوالِ .

وَعَلَى كُلِّ حالٍ إِيَّاكُمْ وَمَواضِعَ التُّهَمِ مِنْ بابِ (دَعْ ما يَرِيبُكَ إِلَى ما لا يَرِيبُكَ )[2] ؛ فَإِنَّ ثَمَةَ خَطَرٌ كَبِيرٌ عَلَى العِفَّةِ ، وَمُحَرِّضٌ شَنِيعٌ عَلَى الفَحْشاءِ ، أَلا وَهُوَ خَلْوَةُ الرَّجُلِ بِالْمَرْأَةِ الأَجْنَبِيَّةِ ، بَعِيداً عَنْ رَقابَةِ الأَهْلِ ، وَفِي هَذا يَقُولُ مُعَلِّمُنا وَمُرَبِّينا عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : ((لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلا وَمَعَها ذُوْ مَحْرَمٍ ، وَلا تُسافِرُ المَرْأَةُ إِلا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ ))[3] ، وَقالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : (( لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلا كانَ ثالِثَهُما الشَّيْطانُ ))[4].

وَمِنَ الأُمُورِ الَّتِي يَتَساهَلُ فِيهَا النِّساءُ عَدَمُ تَوقِيهِنَّ الاخْتِلاءَ بِالرِّجالِ مِنْ أَقَارِبِهِنَّ ، أَوْ أَقارِبِ أَزْواجِهِنَّ مِنْ غَيرِ مَحارِمِهِنّ لا سِيَّما أَيامَ الأَفْراحِ مَعَ اسْتِكْمالِ زِيْنَتِهِنَّ ، إِنَّهُنَّ يَتَساهَلْنَ فِي ذَلِكَ بِعِلَّةِ القَرابَةِ فَمُخالَطَةُ القَرِيبِ قَدْ تَكُونُ أَشَدُّ خَطَراً مِنْ مُخالَطَةِ الغَرِيبِ فَإِنَّ القَرِيبَ بِحُكْمِ قَرابَتِهِ لا يُقَيِّدُهُ شيءٌ ، وَقَدْ تُتاحُ لَهُ فُرْصَةُ اللِّقاءِ وَالْكلامِ وَالخَلْوَةِ أَحْياناً وَهَذِهِ مَسالِكُ الإغْواءِ والإِفْسَادِ .

وَقَدِ احْتاطَ الإِسْلامُ لِلْمَرْأَةِ مِنْ هَؤُلاءِ الأَقارِبِ ، وَجَعلَ النَّبِيُّ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مُخالَطَةَ القَرِيبِ كالـمَوتِ فِي خُطُورَتِها ، حِينَ قالَ : (( إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى

---

[1] سورة النور من الآية (١٩).

(٢)رواه النسائي فيالمجتبى من السنن( ٨/ ٣٢٧) والترمذيُّ في سننه ( برقم ٢٥١٨)، وقال : حَسَنٌ صحيحٌ .

[3] رواه البخاري في صحيحه : كتاب النكاح ، باب(لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم) رقم الحديث (٤٨٣٢)، و رواه مسلم في صحيحه : كتاب الحج ، باب (سفر المرأة مع محرم إلى الحج و غيره) رقم الحديث (٢٣٩١).

[4] جزء من حديث رواه الإمام أحمد في مسنده (مسند العشرة المبشرين بالجنة )(أول مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه)، و رواه الترمذي في سننه : كتاب الفتن ، باب (ما جاء في لزوم الجماعة).

النِّساءِ )) فَقالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصارِ: أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ ؟ قالَ : (( الحَمْوُ المَوْتُ ))[1] و الْحَمْوُ : قَرِيبُ الزَّوجِ .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ الْمُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و انْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَلِي ، والمَقَامِ الأَفْضَلِ : سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِي ، وعَنْ رَيْحَانَتَي نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّةِ ، أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ ، وأَبِي عَبْدِالله الحُسَينِ ، وعَلَى أُمِّهِمَا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ المُخْتَارِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِي عَمَارَةَ الحَمْزَة ، وأَبِي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِيَّةِ العَشَرَةِ المُبَشَّرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيّكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ طَلْحَةَ والزُّبَيرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْمَنِ وأَبِي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

---

[1] رواه البخاري في صحيحه : كتاب النكاح ، باب (لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم) ، و رواه مسلم في صحيحه : كتاب السلام ، باب (تحريم الخلوة بالأجنبية و الدخول عليها).

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجـلِيَ الظُّلْمَـةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُـودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ فَـرَادِيسَ الـجِنَانِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانَنَا ، وابْـسُطِ الأَمْــنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرَ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِـصْ أَسْـعَارَنَا و غَــزِّرْ أَمْطَارَنَـا ، وَ وَلِّ عَلَينَـا خِيَارَنَـا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَـلَ الـسُّفَهَاء مِنَّـا ، واجْعَـلْ وِلَايَتَنَـا فِـيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُـشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُـزَاةِ والمُـسَافِرِينَ في بَـرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ .

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْـقِنَا غَيْثَـاً مُغِيثَاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَـــــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَ الله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# رعاية الشباب

## الخطبة الأولى

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ الشَّبَابَ رَبِيعَ الحَيَاةِ ، فأَنَّهُمْ دِرْعُ الوَطَنِ الْوَاقِي وَالْحُـمَاةِ، وَالْأَمَلُ المُرَجَّى ، وَالْمَلْجأُ وَالْمُنْجَى ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَسْأَلُهُ صَلَاحَ شَبَابِنَا الحَاضِرِ ، وَأَنْ يُعِيدَ لَنَا بِمَاضِيْ عَزِيمَتِهِمْ الْعِزَّ السَّالِفَ وَالْمَجْدَ الغَابِرَ ، وَيُثَبِّتَ أَقْدَامَهُمْ وَيُقَوِّيَ إِيْمَانَهُمْ فِي هَذَا الزَّمَانِ العَاثِرِ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ البَاطِنُ الظَّاهِرُ ، الأَوَّلُ وَالآخِـرُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُؤَيَّدُ بِالْقُرْآنِ وَبِالشَّبَابِ الْمُؤْمِنِ الطَّاهِرِ .

اَللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مِنْ أَنْصَارِيٍّ وَمُهَاجِرٍ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ ، وَجَمِيلِ الآدَابِ

أَمَّا بَعْدُ : فيأَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : أُوْصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى اللهِ تَعَالَى ، فَاتَّقُوا اللهَ وَاسْمَعُوا يَا أُولِي الأَلْبَابِ ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ، وَاقْطَعُوا دَابِرَ الفَسَادِ ، وَكُونُوا كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً ، وَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ، وَوَحِّدُوا الكَلِمَةَ ، وَاجْمَعُوا شَمْلَ الأُمَّة .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : إِذَا دَرَسْتُمْ التَّارِيخَ الإِسْلَامِيَّ ، وَعَرَفْتُمْ سِيْرَةَ مُؤَسِّسِهِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ اَلْغَرَّاءِ عَلَيهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ ، عَرَفْتُمْ أَنَّ الَّذِين لَبَّوا الدَّعْوَةَ بَادِئَ الأَمْرِ إِنَّمَا هُمْ الشَّبِيبَةُ اَلْفَتِيَّةُ ، أُوْلِي الهِمَمِ العَالِيَةِ ، وَالنُّفُوسِ الطَّاهِرَةِ

الزَّكِيَّةِ ، وَهُـمْ الـشَّبَابُ الْأَرْبَعُـونَ الـسَّابِقُونَ إِلَى الـشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّـةِ ، وَالتَّعَـالِيمِ السَّمَاوِيَّةِ ، وَبِهِمْ زَعْزَعَ اللهُ العُرُوشَ الْقَيْصَرِيَّةَ ، وَالأَسِرَّةَ الكِسْرَوِيَّةَ ، فَحَيَّاكُمُ اللهُ يَا شَبَابُ وَحَيَّا اللهُ أَعْمَالَ الـشَّبَابِ ، بِـمَاضِي عَـزِيمَتِكُمْ تَتَحَقَّـقُ الآمَـالُ ، وَبِهِمَمِكُـمْ العَالِيَةِ تُنْجَزُ الْأَعْمَالُ وَتُنَالُ ، وَعَلَى كَوَاهِلِكُمْ المَتِينَةِ تُحْمَـلُ الْأَثْقَـالُ ، وَبِـسَوَاعِدِكُمْ الْفَتِيَّةِ تَتَطَوَّرُ الحَيَاةُ ، فَأَنْتُمْ أُسُسُ المَجْدِ وَدَعَائِمُ الشَّرَفِ، فَكُونُوا خَـيْرَ خَلَـفٍ لِخَـيْرِ سَلَفٍ ، أَنْتُمْ العُلَمَاءُ وَالأُدَبَاءُ،وَالدُّعَاةُ، وَالْمُرْشِدُونَ، وَالْمُدَرِّسُونَ،وَالْمُرَبُّونَ، وَمِـنْكُمْ التُّجَّارُ،وَالزَّارِعُونَ، وَالْأَطِبَّاءُ، وَالْمُهَنْدِسُونَ وَالْعُمَّالُ، وَالْمُثَقَّفُونَ ، أَنْتُمْ ذُخْـرُ الـبِلَادِ الْمُدَّخَرُ ، وَكَنْزُ الوَطَنِ الْمُؤَمَّلُ، فَلَا يَجْرِفَنَّكُمْ سَيْلُ المَدَنِيَّةِ الْجَوْفَـاءِ فِـيْمَنْ جَـرَفَ ، وَلَا تُشْغِلَنَّكُمْ عَنْ أَدَاءِ وَاجِبَاتِكُمْ وَسَائِلُ الرَّاحَةِ وَالتَّرَفِ ، وَلَا يَصْرِفَنَّكُمُ الـشَّيْطَانُ عَـنْ صِفَاتِ الرُّجُولَةِ وَتقَالِيدِكُمُ الحَمِيدَةِ ، فَيَذْهَبُ عِزُّكُمْ ، فَتَنْدَمُوا وَلَاتَ سَاعَةَ مَنْدَمٍ .

أَيُّهَا الشَّبَابُ المُسْلِمُ : اعْلَمُوا حَقَّ العِلْـمِ بِـأَنَّ فِي أَيْـدِي الـشُّيُوخِ مِـنْ آبَـائِكُمْ وَمُرَبِّيكُمْ الحِكْمَةَ وَالْخِبْرَةَ وَالتَّجَـارُبَ ، وَلَـنْ يَـنْجَحَ قَـوْمٌ إِلَّا بِحِكْمَـةِ شُـيُوخِهِمْ وَعُقَلَائِهِمْ ، وَسَوَاعِدِ شَـبَابِهِمْ وَفِتْيَـانِهِمْ ، فَخُـذُوا المَشُورَةَ مِـنْهُمْ وَتَبَـادَلُوا الآرَاءَ مَعَهُمْ ، فَمَا خَابَ مَنِ اسْتَشَارَ، وَلَا نَدِمَ مَنِ اسْتَخَارَ ، وَإِذَا عَرَفَ الْأَبْنَاءُ حَقَّ آبَـائِهِمْ عَلَيْهِمْ ، وَعَرَفَ الآبَاءُ مَا يَجِبُ عَلَيهِمْ لأَبْنَائِهِمْ ، حَصَلَ الْمُرَادُ، وَصَـلَحَتِ الـبِلَادُ ، وَاسْتَقَامَتِ الأُمُورُ عَلَى أَحْسَنِ مَا يُرَامُ ، أَلَا فَلْيُوَقِّرِ الصَّغِيرُ مِنْكُمُ الكَبِيرَ ، وَلْـيَرْحَمِ الكَبِيرُ مِنْكُمْ الصَّغِيرَ ، فَإِنَّ الهُوَّةَ بَيْنَ الشَّبَابِ وَالشُّيُوخِ أَصْبَحَتْ وَاسِعَةً ، وَالْفُرْقَـةُ وَالتَّبَاعُدُ بَيْنَهُمْ يَزْدَادُ يَومًا عَنْ يَومٍ ، وَاتَّسَعَ الخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ ، وَالفَتْقُ عَلَى الرَّاتِـقِ ، فَالشَّبَابُ يَنْظُرُونَ إِلَى شُيُوخِهِمْ نَظَرَ إِصْغَارٍ بِحُجَّةِ أَنَّهُمْ لَمْ يُمَاشُوا العَصْرَ بِتَطَوُّرَاتِهِ

وَتَجْدِيدَاتِهِ ، وَيَنْظُرُ الشُّيُوخُ إِلَى الشَّبَابِ نَظْرَةَ ازْدِرَاءٍ وَامْتِعَاضٍ بِحُجَّةِ أَنَّ الشَّبَابَ مُتَمَرِّدٌ مُتَنَكِّرٌ لِمَاضِيهِ ، لَا يَحْتَرِمُ تَارِيخَهُ ، وَلَا يُقَدِّرُ أَمْجَادَهُ ، وَهَذِهِ هِيَ مُصِيبَتُنَا ، وَلَيْسَ مِنْ مَخْرَجٍ مِنْ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ ، وَلَا مُنْقِذٍ مِنْ هَذِهِ الْمِحْنَةِ إِلَّا أَنْ نَأْخُذَ مِنَ الْقَدِيمِ مَا يُسَايِرُ الْعَصْرَ وَيُمَاشِي الزَّمَنَ ، وَنُضِيفُ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْجَدِيدِ النَّافِعِ مَا هُوَ صَالِحٌ وَمُنَاسِبٌ، وَنُوَفِّقُ بَيْنَ الْمَاضِي الْعَرِيقِ وَالْحَاضِرِ الطَّرِيفِ، فَلَيْسَ كُلُّ قَدِيمٍ صَالِحٌ لأَنْ يَعِيشَ هَذَا الْعَصْرَ ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ جَدِيدٍ صَالِحًا لأَنْ نَأْخُذَ بِهِ ، وَلَا يَغِبْ عَنْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْأَعِزَّاءُ أَنَّ مِنَ الْقَدِيمِ ثَوَابِتُ لَا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَتَبَدَّلُ بِمُرُورِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِ ، لأَنَّهَا ثَابِتَةٌ ثَبَاتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَةِ لَا تَتَزَعْزَعُ ، بَاقِيَةٌ بَقَاءَ الْكَوَاكِبِ لَا تَتَحَوَّلُ وَلَا تَتَغَيَّرُ ، وَهَذِهِ هِيَ الأُسُسُ وَالْقَوَاعِدُ الْمَتِينَةُ :

**وَخَيْرُ النَّاسِ ذُو حَسَبٍ قَدِيمٍ ... أَقَامَ لِنَفْسِهِ حَسَبًا جَدِيدًا**

**تَرَاهُ إِذَا ادَّعَى فِي النَّاسِ فَخْرًا ... تَقَدَّمُ لَهُ مَكَارِمُهُ الشُّهُودَا**

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الشَّبَابُ وَاعِيًا فَاهِمًا مَاذَا يُرَادُ مِنْهُ ؟ وَمَا يُرَادُ بِهِ ؟ وَإِلَى أَيْنَ تَتَّجِهُ بِهِ الْقَافِلَةُ فِي سَيْرِهَا الطَّوِيلِ الْمُتَعَرِّجِ ، يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ مُجْرَيَاتِ حَيَاتِهِ وَتَغَيُّرَاتِهَا ، وَيَفْهَمَ مَصَائِرَ الْأَيَّامِ وَتَحَوُّلَاتِهَا ، وَلَا يَكُونُ إِمَّعَةً يَتْبَعُ كُلَّ زَاعِقٍ وَنَاعِقٍ ، وَيَمْشِي خَلْفَ كَلِّ صَافِرٍ وَهَادِلٍ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ حُرًّا قَوِيَّ الشَّخْصِيَّةِ حَرِيصًا عَلَى قُوَّةِ إِيمَانِهِ أَشَدَّ مَنْ حِرْصِهِ عَلَى تَقْوِيَةِ جِسْمِهِ ، (( فَالْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلِى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ )) رواه مسلم [1].

---

(١)هو جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة مرفوعا(٤/ ٢٠٥٢)(٨ باب في الأمر بالقوة...)رقم(٢٦٤٦) ولفظه(المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان).

وَالشَّبَابُ كَمَا هُوَ مَعْهُودٌ وَمَعْرُوفٌ سَرِيعُ التَّأَثُّرِ وَالانْقِيَادِ لِمَا يَعْتَرِضُهُ مِنْ مُؤَثِّرَاتٍ فِي حَيَاتِهِ صَالِحَةٍ أَوْ طَالِحَةٍ ، مُرْهَفُ الإِحْسَاسِ وَالْعَاطِفَةِ ، فَلِذَا حَذَّرَنَا رَسُولُنَا الْأَعْظَمُ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ بِقَولِهِ :(( لَا يَكُنْ أَحَدُكُمْ إِمَّعَةً يَقُولُ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنْتُ وَإِنْ أَسَاؤُا أَسَأْتُ بَلْ يَقُولُ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنْتُ وَإِنْ أَسَاؤُا أَنْ يُحْسِنَ ))[1] أَوْ كَمَا قَالَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، لِذَا وَجَبَ الاعْتِنَاءُ بِتَرْبِيَتِهِمْ تَرْبِيَةً إِسْلَامِيَّةً صَالِحَةً ، وَنُعَوِّدُهُمْ مُنْذُ نَشْأَتِهِمْ عَلَى فِعْلِ الخَيْرِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَلَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ [2]:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الفِتيانِ مِنّا  عَلى ما كانَ عَوَّدَهُ أَبوهُ

وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَطْمَئِنَّ إِلَى سُلُوكِ شَبَابِنَا إِلَّا بِالتَّرْبِيَةِ الْحَسَنَةِ ، وَالتَّوْجِيهِ الصَّحِيحِ وَالتَّوَجُّهِ لِطَلَبِ العِلْمِ النَّافِعِ - وَالْعُلُومُ جُلُّهَا صَالِحَةٌ إِذَا حَسُنَتِ النَّوَايَا - وَالتَّضَلُّعِ مِنْهُ لِيُمَيِّزَ بِهِ مَا بَيْنَ الضَّارِّ وَالنَّافِعِ ، وَالصَّحِيحِ وَالْفَاسِدِ ، لأَنَّنَا رَأَيْنَا الكَثِيرَ مِنْهُمْ كَالزَّوْرَقِ التَّائِهِ تَتَقَاذَفُهُ الْأَفْكَارُ هُنَا وَهُنَاكَ يَعِيشُونَ فِي حَيْرَةٍ وَمَتَاهَةٍ ، يَسْتَغِيثُونَ بِمَنْ يَأْخُذُ بِأَيْدِيهِمْ لِيُوصِلَهُمْ إِلَى بَرِّ الْأَمَانِ ، وَتَرْسُوَ سَفِينَتُهُمْ عَلَى شَاطِئِ السَّلَامِ ، كَمَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُوَجِّهَهُمْ إِلَى العَمَلِ الصَّالِحِ الْمُنْتِجِ ، وَفِيمَا يَنْفَعُهُمْ وَيَنْفَعُنَا فِي الدُّنْيَا وَالأُخْرَى ، فَحُبُّ العَمَلِ وَالْكَسْبِ الحَلَالِ شَرَفٌ لَا يَعدِلُهُ

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه وقال حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه(٤/ ٣٦٤) (٦٣ باب ما جاء في الإحسان والعفو) رقم (٢٠٠٧) من حديث حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم( لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن اساءوا فلا تظلموا)،كما رواه غيره، والإمعة هو بكسر الهمزة وتشديد الميم وفتحها وبالعين المهملة الذي لا رأي له فهو يتابع كل أحد على رأيه والهاء فيه للمبالغة ويقال فيه إمع أيضا ولا يقال للمرأة إمعة ،وقيل هو الذي يقول لكل أحد أنا معك ) ينظر النهآية في غريب الأثر(١/ ٦٧) .

(٢) وهو أبو العلاء المعري والبيت من البحر الوافر .

شَرَفٌ ، فَتُرَابُ العَمَلِ_ يَا شَبَابُ _خَيْرٌ مِنْ ذَهَـبِ البَطَالَـةِ ، كَـمَا قِيـلَ ، وَإِذَا كَـانَ العَمَلُ مَجْهَدَةٌ ، فَإِنَّ الفَرَاغَ مَفْسَدَةٌ :

**إنَّ الـشَبابَ وَالفَـراغَ وَالجِـدَه    مَفسَدَةٌ لِلمَـرءِ أَيُّ مَفـسَدَة**[1]

وَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ السَّبَهْلَلُ الَّذِي يُضَيِّعُ نَفْسَهُ وَعِيَالَهُ ، وَإِنَّ مِـنَ الـذُّنُوبِ ذُنُوبًا لَا يُكَفِّرُهَا إِلَّا الاهْتِمَامُ بِطَلَبِ المَعِيشَةِ ، وَشَرُّ البِلَادِ بِلَادٌ يُصَابُ أَهْلُهَا بِـالْفَقْرِ وَالْجَهَالَةِ ، وَالْكَسَلِ وَالْخُمُولِ ، وَمِنَ المَنَاظِرِ الْمُؤْلِمَةِ أَنْ نَرَى الكَثِيرَ مِـنْ شَـبَابِنَا تَعُـجُّ بِهِمُ الشَّوَارِعُ ، أَيَّامَ العُطَلِ ، وَتَكْتَظُّ بِهِـمُ المَجَـالِسُ يَعِيـشُونَ عَالَـةً عَـلَى غَـيْرِهِمْ ، وَحِمْلًا ثَقِيلًا عَلَى العِبَادِ وَالْبِلَادِ ،

**شَـبابٌ قُنَّـعٌ لا خَـيرَ فـيهِم    وَبورِكَ في الشَبابِ الطامِحينا**[2]

أَيُّهَا الشَّبَابُ : اغْتَنِمُوا فُرْصَةَ الشَّبَابِ فَإِنَّهَا سَرِيعَـةُ الـزَّوَالِ ؛ فَقَـدْ أَفْلَـحَ مَـنِ اغْتَنَمَهَا ، وَبِهذَا يُخَاطِبُ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ الجَمِيعَ بِقَولِهِ :_ فَانْتَبِهُوا يَـا أُولِي الْأَلْبَابِ_ حَيْثُ قَالَ :(( اغْتَـنِمْ خَمْـسًا قَبْـلَ خَمْـسٍ ، حَيَاتَـكَ قَبْـلَ مَوتِـكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ )) رَوَاهُ الحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِي [3].

---

(١) من بحر الرجز وقائله هو الشاعر الحكيم أبو العتاهية .

(٢) من البحر الوافر للشاعر أحمد شوقي .

(٣)أخرجه الحاكم في مستدركه(٤/ ٣٤١)رقم(٧٨٤٦)وقال صحيح على شرط الشيخين، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٦٣) رقم (١٠٢٤٨، ١٠٢٥٠)،وابن المبارك من مراسيل عمرو بن ميمون الأودي(٢)رقم(٢) بسند صحيح قاله الحافظ في الفتح (١١/ ٢٣٥).

أَيُّهَا الـشَّبَابُ : احْـذَرُوا التَّطَـرُّفَ وَالتَّزَمُّـتَ لِأَنَّكُـمْ شَبَابُ الأُمَّـةِ الوَسَـطِ ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾(1) أَيْ عَدْلًا ،وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾(2) أَيْ أَعْدَلُهُمْ ، وَفِي الحَدِيثِ :(( خَيرُ الأُمُورِ أَوْسَـطُهَا ))(3) ، وَقَـالَ الإِمَـامُ عَـلِيُّ بْـنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ الله وَجْهَهُ (( عَلَيْكُمْ بِالنَّمَطِ الْأَوْسَطِ فَإِلَيْـهِ يَنْـزِلُ العَـالِي وَإِلَيْـه يَرْتَفِعُ النَّازِلُ ))(4) ، خَلَقَنَا الله تَعَالَى نَحْنُ البَـشَرَ مِـنْ مَـادَّةٍ وَرُوحٍ فَالْمَـادَةُ تَتَمَثَّـلُ فِي هَـذَا الهَيْكَلِ الجِسْمِيِّ وَمَا يَطْلُبُهُ مِـنْ غِـذَاءٍ وَطَعَـامٍ وَشَرَابٍ وَمُتَـعِ الْحَيَـاةِ وَأَمَّـا الـرُّوحُ فَيُمَثِّلُهُ الإِيمَانُ وَالتَّقْوَى وَالْأَخْلَاقُ الفَاضِلَةُ، وَلَا بُدَّ مِنَ التَّوَازُنِ بَيْـنَهُمَا فَـلَا إِفْـرَاطَ وَلَا تَفْـرِيطَ يَتَمَثَّـلُ فِي الْأَثَـرِ القَائِـلِ (( اعْمَـلْ لِـدُنْيَاكَ كَأَنَّـكَ تَعِـيشُ أَبَـدًا ،

(1) سورة البقرة آية (١٤٣)

(2) سورة القلم آية (٢٨) .

(3) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن مطرف(٧/ ١٧٩)رقم(٣٥١٢٨) والبهقي في شعب الإيمان عـن مطـرف( ٥/ ٢٦١) رقـم (٦٦٠١) ،وابن سعد في الطبقات الكبرى من كلام مطرف (٧/ ١٤٢) وأبو نعيم في الحلية من كلام قلابة (٢/ ٢٨٦) وذكره الإمام الغزالي في الإحياء مرفوعا قال الحافظ في تخريجه( أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من روآية مطرف بن عبد الله معـضلا ) (٣/ ٥٧) قال في كشف الخفاء بعد ذكره(وفي لفظ أوساطها قال ابن غرس ضعيف .انتهى ،وقال في المقاصد رواه ابن السمعاني في ذيل تـاريخ بغداد لكن بسند فيه مجهول عن علي مرفوعا وللديلمي بلا سند عن ابن عبـاس مرفوعـا خـير الأعـمال أوسـطها في حـديث أولـه" دوموا على أداء الفرائض ...ولأبي يعلى بسند جيد عن وهب بن منبه قال إن لكل شيء طرفين ووسطا فـاذا أمـسك بأحـد الطـرفين مال الآخر وإذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان فعليكم بالأوساط من الأشياء، ويشهد لكل ما تقدم قوله تعالى (والـذين إذا أنفقـوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) ،وقوله تعالى( ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا )وقوله (إنهـا بقـرة لا فارض ولا بكر_ وهي الشابة _عوان بين ذلك)(١/ ٤٦٩).

(4)ذكره الإمام الغزالي في الإحياء مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحافظ العراقي في تخريجه (أخرجه أبو عبيـد في غريب الحديث موقوفا على علي بن أبي طالب ولم أجده مرفوعا .إهـ ينظر إحياء علوم الدين مع تخريج العراقي له ( ١/ ٨١).

وَاعْمَـلْ لآخِرَتِـكَ كَأَنَّـكَ تَمُـوتُ غَـدًا )) [1] ، ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ [2].

وَاحْذَرِ الفَهْمَ الخَطأَ فِيمَا يَجِبُ عَلَيْكَ فِي هَـذِهِ الحَيَـاةِ وَلَا تَكُـنْ مِمَّـنْ يَعْتَقِـدُ أَنَّ الدِّينَ هُوَ تَرْكُ العَمَلِ وَالكَسْبِ الحَلَالِ وَأَنْ يَعِـيشَ عَالَـةً عَـلَى الآخَـرِينَ وَأَنَّ مَـنْ يَعْمَلُ أَوْ يَحْتَرِفُ هُمُ النَّاسُ غَيْرُ المُتَدَيِّنِينَ .

ظَـنَّ دِيـنَ الله في تَـرْكِ الـدُّنا وَرأى الإعْـراضَ عنهـا انْفَعـا
وهْـوَ لَـوْ جاءَتْـهُ منهـا بَـدْرَةٌ طَلَّقَ التَّقْـوَى وعـافَ الوَرَعـا
فَهْـوَ لا زُهْـداً بهـا عنهـا نَـأْيَ لكِـنِ الجِـد يُـذِيبُ الأضْـلُعا
لَيْسَ دِينُ الله مَـا يُمْـلِي الهَـوَى لَـيْسَ دِيـنُ الله تِلْـكَ البِدَعَـا
إِنَّـمَا الـدِّينُ ضِيَـاءٌ لَمَعَـا فَاسْـتَنَارَ الكَـوْنُ لَمَّـا سَطَعَـا
قَبَـسَتْ مِنْـهُ المَعَـالِي شُـعْلَةً صَدَعَتْ قَلْبَ الدُّجا فَانْصَدَعَا

جَعَلَنِي الله وَإِيَّاكُم مِمَّنْ عَرَفَ الحَقَّ وَشَهِدَ بِهِ ، وَحُبِّبَ إِلَيـهِ الخَـيْرُ فَعَمِـلَ بِـهِ ، وَوَفَّقَنَا جَمِيعًا لِمُتَابَعَةِ رُسُلِهِ وَكُتُبِهِ .

---

(١) أخرجه في مسند الحارث(زوائد الهيثمي)بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول(احرز لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمـل لآخرتك كأنك تموت غدا )(٧ باب كيف العمل للدنيا والآخرة )رقم( ١٠٩٣)، وذكره القرطبي في تفسيره عن ابن عمـر بلفظ (احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا)(١٣/ ٣١٤).

(٢)سورة القصص آية ( ٧٧)

وَاللهُ يَقُـولُ وَبِقَولِـهِ يَهْتَـدِي المُهْتَـدُونَ ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1] وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾[2]. **أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ**

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾[3].

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِـي وَإِيـاكُمْ مِـنَ الآيـاتِ وَالـذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم .

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣)سورة الكهف آية (١٣ـ١٤)

## الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَــهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَـــهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الـصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَـــهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَـــهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلَائِـقِ والبَـشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَـلَى آلِــهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أما بعدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعـالى ، اتَّقُـوا الله مِـنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

عِبَادَ الله : الشَّبَابُ كُلُّ الشَّبَابِ مِنْ طَلَبَةٍ وَغَيرِ طَلَبَـةٍ ، فِي الأُسْرَةِ هُـمْ رُوْحُهَـا اَلْمُتوَثِّبُ ، وَدَمُهَا المُتَدَفِّقُ ، وَفِي الْمُجْتَمعِ قَلْبُهُ النَّـابِضُ وَعَزْمُـهُ اَلْقَـوِيُّ ، إِنَّنَـا نُهِيـبُ بِشَبَابِنَا الْيَومَ الَّذِي يَتَرَبَّعُ كَرَاسِيَ العِلْمِ مِنْ طَلَبَةِ الكُلِّيَّاتِ وَالْمَعَاهِدِ العُلْيَا ، وَطُلَابِ المَدَارِسِ الثَّانَوِيَّةِ وَلَا سِيَما مَنْ يَقِفُ عَلَى أَبْوَابِ امْتِحَانَـاتِ إِنْهَـاءِ المَرْحَلَـةِ الثَّانَوِيَّـةِ يَقِفُونَ كَفَرَسَيْ رِهَانٍ لِخَوْضِ هَذِهِ المَعْرَكَةِ الفَاصِلَةِ ، وَبَقِيَّةَ شَبَابِ العِلْمِ فِي المَعَاهِـدِ

العِلْمِيَّةِ الأَهْلِيَّةِ وَالحُكُومِيَّةِ ، وَتَلَامِيذِ التَّعْلِيمِ الأَسَاسِيِّ فِي بِلَادِنَا رَاجِينَ لَهُمُ الْفَوْزَ وَالنَّجَاحَ اصْبِرُوا وَصَابِرُوْا وَرَابِطُوْا فِي جَبْهَةِ العِلْمِ ضِدَّ الجَهْلِ ، وَالنُّورِ ضِدَّ الظَّلَامِ ، وَالتَّقَدُّمِ ضِدَّ التَّخَلُّفِ .

يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ: إِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يُنَادِيكُمْ يُرِيدُ لَكُمْ العِفَّةَ وَالطَّهَارَةَ وَالشَّرَفَ فَيَقُولُ :(( يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيهِ بِالصَّومِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ ))[1] إِذاً لَا بُدَّ أَنْ تُهَيَأَ لِلشَّبَابِ ظُرُوفُ العَمَلِ الشَّرِيفِ ، وَالزَّوَاجِ السَّهْلِ بِالْمَهْرِ الأَقَلِّ ، وَالتَّكَالِيفِ الْبَسِيطَةِ الخَفِيفَةِ ، لِنَصُونَ الشَّبَابَ وَتعِفَّ الشَّابَاتُ ، حَطِّمُوا العَادَاتِ السَّيِّئَةَ الْمُضِرَّة الَّتِي تَقِفُ حَاجِزًا فِي طَرِيقِ الزَّوَاجِ ، وَعَلِّمُوا نِسَاءَكُمُ الدِّينَ وَالأَخْلَاقَ الفَاضِلَةَ وَكَيْفَ يَعِشْنَ فِي هَذِهِ الظُّرُوفِ الصَّعْبَةِ القَاسِيَةِ ، وَيَتَحَمَّلْنَ شَظَفَ العَيْشِ وَخُشُونَةَ الحَيَاةِ ، فَاخْشَوْشِنُوا فَإِنَّ النِّعَمَ لَا تَدُومُ ، وَطِّنُوهُنَّ عَلَى أَنْ يَثْبُتْنَ فِي مَنَازِلِهِنَّ وَفِي تَرْبِيَةِ أَطْفَالِهِنَّ ، وَالاعْتِنَاءِ بِصِحَّتِهِمْ وَنَظَافَتِهِمْ ، فَكَثِيرٌ مِنْ نِسَائِنَا الْيَومَ تَرَكْنَ الحَبْلَ عَلَى الغَارِبِ ، وَهُنَّ ذَاهِبَاتٌ آيِبَاتٌ فِي الشَّوَارِعِ وَالْحَفَلَاتِ الفَارِغَةِ ، إِنَّهُنَّ لَمْ يَعُدْنَ سِتَّاتَ مَنَازِلَ وَلَا رَبَّاتَ بُيُوتٍ وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ الْمُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً

---

(١) الحديث في الصحيحين ،أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع أولها(٢/ ٦٧٣)(١٠ باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة ) رقم(١٨٠٦)، ومسلم (٢/ ١٠١٩،١٠١٨)(١٦ كتاب النكاح١باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم) رقم(١٤٠٠) .

لَكُمْ تكْـرِيماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ : سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَـلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّـــةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُـبْرَى ، و عَـنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَـاتِ الــمُؤْمِنِينَ ، وعَـنْ عَمَّـي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِــيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيّكَ تَحْـتَ الـشَّجَرَةِ ، طَلْحَـةَ والزُّبَيــرِ ، وسَـعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُـولِ الله رِضْـوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَصِيرُنَا و إِليهِ مَصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـــهِ مَفْزَعُنَـا ؛ اكْـشفْ كَرْبَنَـا ، ونَفِّــسْ هَـمَّنَا .نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَـا مَنَّـانُ يَـا ذَا الجُـودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْـلَامِ والإِيمَـــانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَـا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـــا بِـالعَفْوِ والغُفْـرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَـا مِـنَ العَـذَابِ والنِــيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الذُّنُوبِ و الـخَطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوع بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِر بِلاد المُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا ، وأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَيْنَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَوِّكَ أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئاً ، سَحّاً عَامّاً دَائِماً مُبَارَكاً فِيهِ ، نَافِعاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَادَ الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ ؛ يَزِدْكُمْ ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# الإخاء في الله

## الخطبة الأولى

الحَمْدُ لله الَّذِي جَعَلَ المُؤْمِنين إِخْوَةً ، وَنِعْمَةُ الأُخُوَّةِ فِي الإِيمانِ ، وَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِهِمْ ، وَقُلُوبُ العِبادِ بَيْنَ إِصْبعَينِ مِنْ أَصابعِ الرَّحْمَنِ ، وصيَّرَهم بعد الفرقة كالبنان أو كالبنيان ، نحمده تعالى فضلنا على سائر الأمم كما فضل ديننا على سائر الأديان ، ونشكره عزَّ وجل إذْ جعلنا خير أمة أخرجت للناس بشهادة القرآن .

وَنَشْهَدُ أَنْ لا اِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، أَمَرَنا بِالاعْتِصام بِحَبْلِهِ وَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبنا بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ جَمَعَ الناسَ عَلَى التَّقْوَى ، وَأَقامَ أُمَّتَهُ عَلَى رُوحِ الإِخاءِ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّد وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ المُتَحابِّينَ فِي الله المُتَمَسِّكِينَ بِحَبْلِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسانٍ إِلَى يَومِ الدِّينِ .

أَمَّا بَعْدُ : أُوصِيكمْ أَيُّها المُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى فَهِيَ وَصِيَّةُ الله لِعِبادِهِ ، وَوَصِيَّةُ الرُّسُلِ لأُمَمِهِمْ ، وَالْعُلَماءِ الصَّالِحِين لِذَوِيهِمْ وَأَتْباعِهِمْ فاحْتَقِبُوها زَاداً لِمَعادِكُمْ، وَذُخراً لِمَآلِكُمْ .

عِبادَ الله : لَقَدْ كانَ بَدْءُ الخَلِيقَةِ الإِنْسانِيَّةِ بِفَرْدٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ خَلَقَ الله لَهُ مِنْ نَفْسِهِ زَوجاً لِيَسْكُنَ إِلَيها وجَعَلَ بَيْنَهُما مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، فَنَتَجَ عَنْهُما عُمرانُ هَذِهِ الأَرْضِ بِتِلْكَ الأَعْدادِ الهائِلَةِ مِنَ البَشَرِ، ذَوِي الأَلْوانِ المُخْتَلِفَةِ وَالأَجْناسِ المُتَبايِنَةِ ،

واللُّغاتِ الْمُتَفاوِتَةِ ، فَهُمْ جَميعاً نتاجُ هَذِا الاجْتِماعِ وَالاخْتِلافِ بَينَ ذَكَرٍ وَأُنْثَـى عَـلَى أَساسٍ مِنَ المَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ .

فَنَحْنُ عَلَى هَذا أَبْناءُ المَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ الَّتِي أَشارَ إِلَيها الحَقُّ جَـلَّ جَلالُـهُ فِي كَثِـيرٍ مِنْ آياتِ القُرْآنِ الكَرِيمِ ، وَشاءَتْ إِرادَتُهُ تَعالَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ المَوَدَّةُ ، وَهَذَا التَّرابُطُ أَساسَ بِناءِ الجَماعَةِ البَشَرِيَّةِ ، لا تَقُومُ بِدُونِها ، وَهِيَ فِي أَبْسَطِ صُوَرِها عَلاقَةُ الفَـرْدِ بِالْفَرْدِ ، مِنْ أَجْلِ حَياتِهِما الْمُشْتَرِكَةِ ، وَلَكِنَّها فِي أَسْمَى صُـوَرِها تَـضامُنٌ بَـينَ أَفْـرادِ الْمُجْتَمَعِ الوَاحِدِ ، وأُخُوَّةٌ فِي سَبيلِ الله ، وَنُـصْرَةُ الـدِّينِ ، وَبِنـاءُ الـوَطَنِ ، وَإِسْعادُ الْمُجْتَمَعِ ، وَلَو أَنَّنا تَصَوَّرْنا حَياةً بِدُونِ عَلاقَةٍ حَسَنَةٍ وَمَوَدَّةٍ بَينَ أَفْرادِها لَكانَتْ هَذِهِ بِالطَّبْعِ الهَمَجِيَّةَ وَالوَحْشِيَّةَ الَّتِي يَعِيشُها حَيَـوانُ الغـابِ ، فالتَّـآلُفُ وَالتَّعـارُفُ إِذاً أَيُّها الإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ أَساسُ العَلائِـقِ بَـينَ البَـشَرِ ، وَقَـدْ تَطْـرَأُ عَوائِـقُ تَمْنَـعُ هَـذا التَّعارُفَ وَالتَّآلُفَ مِنَ الْمُضِيِّ فِي مَجْراهُ ، وَإِمْدادَ الحَياةِ بِآثـارِهِ الـصَّالِحَةِ ، فِي ازْدِحـامِ البَشَرِ عَلَى مَوارِدِ الرِّزْقِ ، وَفِي اخْتِلافِهِمْ عَلَى فَهْمِ الحَـقِّ ، وَتَحْدِيـدِ الخَـيرِ قَـدْ يَثُـورُ نِزاعٌ وَصِدامٌ بَينَ الناسِ وَهَذِهِ سُنَّةُ الحَياةِ وَكُلُّ رابِطَةٍ تُوَطِّدُ هَذا التَّعـارُفَ وَتُـزِيحُ مِنْ طَرِيقَهِ العَوائِقَ فَهْيَ رابِطَةٌ يَجِبُ دَعْمُها ، وَلَيسَ الإِسْلامُ رابِطَةً تَجْمَعُ بَينَ عَـدَدٍ قَلَّ أَوْ كَثُرَ مِنَ الناسِ فَحَسْبُ ، وَلَكِنَّهُ جُمْلَةُ الحَقائِقِ الَّتِي تُقِرُّ الأَوْضـاعَ الـصَّحِيحَةَ بَينَ الناسِ وَرَبِّهِمْ ثُمَّ بَينَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ .

وَمِنْ ثَمَّ فَأَصْحابُ الإِسْلامِ ، وَحَمَلَةُ رِسالَتِهِ الخالِدَةِ يَجِبُ أَنْ يَسْتَشْعِرُوا جَلالَ العَقِيدَةِ الَّتِي شَرَح الله بِها صُدُورَهُمْ ، وَجَمَعَ عَلَيها أَمْرَهُمْ ، وَبِـذَلِكَ يَـصِيرُ الـدِّينُ الخالِصُ أَساسَ أُخُوَّةٍ وَثِيقَةِ العُرى تُؤَلِّفُ بَينَ أَتْباعِهِ فِي مَشارِقِ الأَرْضِ وَمَغارِبِهـا

، وتجعَلُ مِنْهُمْ عَلَى اخْتِلافِ الأَمْكِنَةِ وَالأَزْمِنَـةِ وحْـدَةً راسِـخَةَ الدَّعامَـةِ ، سـامِقَةَ البُنْيانِ ، لا تَنَالُ مِنْها العَواصِفُ وَالأَحْداثُ .

هَذِهِ الأُخُوَّةُ هِيَ رُوحُ الإِيمانِ الحَيِّ ، وَلُبـابُ المَـشاعِرِ الرَّقِيقَـةِ ، الَّتِـي يُكِنُّهـا المُسْلِمُ لإِخْوانِهِ ، حَتَّى أَنَّهُ ليَحْيا بِهِمْ وَيَحْيا لَهُمْ ، فَكَأَنَّهُمْ أَغْصانٌ تَفَرَّعَتْ مِنْ دَوحَـةٍ واحِدَةٍ ، أَوْ رُوحٌ واحِدٌ حَلَّ فِي أَجْسامٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، وَهَذا هُـوَ مـا نَـدْعُو إِلَيـهِ اليَـومَ ، وَنُحاوِلُ غَرْسَهُ فِي نُفُوسِ أَبْنائِنَـا وَطُلابِنـا فِي مَدارِسِـنا وَمَعاهَـدِنا ؛ لِكَـي ينـشئوا عَلَيها مُنذُ نُعُومَـةِ أَظْفـارِهِمْ ، وَعَـلَى المُـرَبِّينَ الأَفاضِـلِ أَنْ يُعَمِّقُـوا هَـذِهِ المَعـانِي الإِسْلامِيَّة السَّامِيَة فِي نُفُوسِ النَّاشِئَةِ .

وَاليَومَ وَنَحْنُ العَرَبُ والمُسْلِمون فِي هَذا المَكـانِ مِـنَ العـالَمِ الواسِـعِ بِحاجَـةٍ ماسَّةٍ وَمُلِحَّةٍ إِلَى الإِخاءِ وَالتَّرابُطِ الرُّوحِيِّ لأَنَّهُ أَسـاسُ الحَيـاةِ الـسَّعِيدَةِ وَمَـصْدَرُ الوَحْـدَةِ الرُّوحِيَّـة الحَقِيقَـةِ الَّتِـي نُنْشِدُها ، وَنَحْـنُ نَعِـيشُ ظُرُوفـاً قاسِـيَةً تَكُـونُ اخْتِباراً لأَصالَتِنا ، ومحكّاً لِمَدَى إِيمانِنا وَعَقِيدَتِنا كَما نَحْنُ اليَومَ مُسْتَهْدَفُونَ ، وَالعَدُوُّ الأَكْبَرُ يَلُوحُ بِأَسْلِحَتِهِ المُدَمِّرَةِ الفَتَّاكَةِ لَيسَ فِي وَجْهِ دَولَـةٍ وَاحِـدَةٍ أَوْ شَـعْبٍ مُعَـيَّنٍ وَإِنَّما يَقْصِدُ أُمَّةَ العَرَبِ فِي كُلِّ أَقْطارِها وَدِيارِها .

أَلا فَلْنقْرَأ التَّارِيخَ الإِسْلامِيَّ الحافِلَ بِالأَمْجادِ ، وَلْنَأْخُذ الدَّرْسَ وَالعِبْرَةَ وَنَحْنُ نَعِيشُ اليَومَ ظُرُوفاً قَاسِيَةً لا نُحْـسَدُ عَلَيهـا ، ظُرُوفـاً دَاخِلِيَّـةً وَأُخْـرَى خارِجِيَّـةً ، فالدَّاخِلِيَّةُ هِيَ ما تَعِيشُهُ الأُمَّةُ العَرَبِيَّةُ وَالإِسْـلامِيَّةُ مِـنِ انْقِـسَاماتٍ مُرِيبَـةٍ ، وَتَمَـزُّقٍ وَشَتاتٍ رَهِيبٍ فِي الفِكْرِ وَالمَبْدأ ، وَالصَّفِّ وَالعَقِيدَةِ ، مِمَّا أَفْقَـدْنا الثِّقَـةَ فِي أَنْفُـسِنا ،

وَأَنْسَانا ذاتَنا وَشَخْصِيَّتَنا ، فَهُنَّا عَلَى أَعْدائِنَا حين هُنَّا عَلَى أَنْفُسِنا نَتفاعَلُ مَعَ أَنْفُسِنا ، وَنَتَآكَلُ وَيَكِيدُ بَعْضُنا لِبَعْضٍ وَما أَدَقّ مَنْ قالَ[1] :

إِلامَ الخُلْفُ بَينَكُمُ إِلامَا وَهَذي الضَجَّةُ الكُبرى عَلاما

وَفيمَ يَكيدُ بَعضُكُمُ لِبَعضٍ وَتُبدونَ العَداوَةَ وَالخِصاما

فَضَعُفَ كيانُنا ، وَلانَتْ قَناتُنا ، وَاحْتُلَّتْ أَرْضُنا وَدُنِسَتْ مُقَدَّساتُنا وَابْتُلِينا بِأَعْداءٍ دَرَسُوا نَفْسِياتِنا ، وَاطَّلَعُوا عَلَى كَوامِنِ نُفُوسِنا ، وَفِي غَفْلَةٍ مِنَ الزَّمَنِ ، وَفُرْقَةٍ مِنَ العَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ ، اسْتَطاعَ هَؤُلاءِ الأَعْداءُ أَنْ يُقِيمُوا لَهُمْ دَولَةً فِي قَلْبِ دارِ العَرَبِ تَكُونُ دِرْعاً لِلشَّيْطانِ ، وَجِسْراً لِلاسْتِعْمارِ ، وَنَحْنُ ما نَحْنُ ، لا رابِطَةَ تَجْمَعُنا ، وَلا وحَدةً تَلُمُّ شَتاتَنا ماعَدا أَنَّنا نَمْلأُ الدُّنْيا صُراخاً وَعَوِيلاً فِي وَسائِلِ إِعْلامِنا المَقْرُوءَةِ وَالمَسْمُوعَةِ وَالمَرْئِيَّةِ ، وَنُقِيمُ المُؤْتمَراتِ تِلْوَ المُؤْتَمَراتِ مُؤْتَمَراتِ القِمَمِ حَتَّى سَئمناها ؛ لِكَثْرَتِها وَعَدَمِ جَدْواها ، وَلأَنَّها تُعْقَدُ تَحْتَ إِمْرَةِ جِهاتٍ مَشْبُوهَةٍ ، أَوْ بِوِصايَةٍ وَإِيْعازٍ مِنْ دُوَلٍ تَسِيرُ فِي رِكابِ الاسْتِعْمارِ ، بَينَما نَحْنُ نَعِيشُ حَياةَ التَّرَفِ وَالدّعَةِ ، وَالاعْتِدادِ الزَّائِدِ بِالكَمالِيَّاتِ ، وَفُضُولِ الحَياةِ وَالإِسْرافِ وَالتَّبْذِيرِ وَالاسْتِهانَةِ بِالمالِ العامِّ إِنَّنا أَغْنِياءُ فُقَراءُ ، فَبَيْنَما دُوَلُ النَّفْطِ تَعِيشُ حَياةَ بَذْخٍ وَتَرَفٍ نَرَى مَناظِرَ مُؤْلِمَةً مِنَ الجياعِ وَالْعُرَى وَالشَّحاذِينَ تَغُصُّ بِهِمْ شَوارِعُ العَواصِمِ وَالْمُدُنِ العَرَبِيَّة لأنَنا لَمْ تَسْتَفِدْ مِنْ هَذِهِ الثَّرْوَةِ الطَّائِلَةِ وَلَمْ تُسَخَّرْ لِصالِحِ المَعْرَكَةِ الْمُقَدَّسَةِ ضِدَّ العَدُوِّ الحَقِيقِيِّ ، وَلَمْ نَتَّعِظْ وَنَعْتَبِرْ بِالمَواعِظِ وَالعِبَرِ الَّتِي مَرَّتْ

---

(١) من البحر الوافر للشاعر أحمد شوقي .

بِنا ، إِنَّ أُمَّتَنا ضَعِيفَةُ الوَعْيِ وَالذَّاكِرَةِ ، مُصابَةٌ بِالنِّسْيانِ ، (( والمُـؤْمِنُ لا يُلْـدَغُ مِـنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ )) [1] فَجُهُودُنـا لِلْمَعـارِكِ الجانِبِيَّـةِ غَـيرِ المُقَدَّسَـةِ وَلِحَـوكِ المُـؤامَراتِ وَالفِتَنِ لِبَعْضِنا أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ مِنْ جُهُودِنا لِلْمَعْرَكَةِ الحَقِيقِيَّةِ مِمَّـا جَـرَّ عَلَينـا خَـسائِرَ فادِحَةً وَشَقاءً كَبِيراً ، فَصادَقْنا الأَعْداءَ ، وَعادَيْنـا الأَصْـدِقاءَ وَالأَشِـقاءَ ، فَكانَـتْ كُلُّهـا مَـعَ أَنْفُـسِنا عَـداواتٌ أَهْلِيَّـةٌ ، أَوْ طائِفِيَّـةٌ أَوْ قَبَلِيَّـةٌ أَوْ حِزْبِيَّـةٌ أَوْ مَذْهَبِيَّـةٌ ، وَأَصْـبَحَتْ ثَرَواتُنـا مِلْكـاً لأَعْـدائِنا ؛ لأَنَّنـا عـاجِزُونَ تَمامـاً عَـنِ الانْتِفـاعِ بِهـا ، وَأَصْـبَحَتْ بِلادُنـا سُـوقاً مَفْتُوحـاً لِبَـضائِعِ أَعْـدائِنا مِـنْ أَسْـلِحَةِ الـدمارِ وَالمَـوادِّ الاسْتِهْلاكِيَّةِ التَّافِهَةِ الَّتِي لا خَيْرَ فِيهَا .

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاء : إِنَّنا نَحْنُ العَرَبَ وَالمُسْلِمِينَ [2] نَعِـيشُ حالَـةَ اغْـتِرابٍ فِي داخِلِ وَطَنِنا الكَبِيرِ ، لا نَمْلِكُ مِنْ أَمْرِنا شَيْئاً ، كالمَحْجُورِ عَلَيهِ ، وَكُلُّ مَـنْ أَرادَ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ رِبْقَةِ الاسْتِعْمارِ عَسْكَرِياً كانَ أَم اسْتِيطانِياً أَم ثِقافِياً أَمْ فِكْرِياً ، تَناوَشَـتْهُ حِرابُ الأَعْداءِ ، مُسْتَعِينَةً بِضِعافِ النُّفُـوسِ مِنَّـا ، الَّـذِينَ لا يَهُمُّهُـمْ إِلا المَـصْلَحَةَ الذَّاتِيَّةَ وَالمَنافِعَ الشَّخْصِيَّةَ ، والإِسْلامُ يُنادِينا وَيَسْتَنْجِدُنا وَهُـوَ قَـوِيٌّ بِذاتِـهِ يُـدافِعُ وَحْدَهُ فِي المَعْرَكَةِ ، وَيُنازِلُ أَعْداءَهُ وَأَعْدائَنا وَاحِداً تِلْوَ الآخَرِ وَيَهْزِمُهُمْ واحِـداً إِثْـرَ الآخَرِ .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب باب باب لا يلدغ المؤمن من جحر مـرتين ، ومـسلم في صـحيحه كتـاب الزهـد والرقائق باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يلدغ المؤمن مـن جحر واحد مرتين .

(٢) النصب على تقدير أعني العربَ .

أَجَلْ : إِنَّ الوَضْعَ يُنْذِرُ بِالخَطَرِ وَيُشَمُّ مِنهُ رائِحَةُ البارُودِ هُنا وَهُناكَ وَيُنادِي المُنادِي ( حَيَّ عَلَى الفَلاحِ حَيَّ عَلَى خَيْرِ العَمَلِ ) ، وَالنَّذِيرُ يُهِيبُ بِنا أَنِ انْفُضُوا عَنْكُمْ غُبارَ التَّخَلُّفِ وَالفُرْقَةِ ، فالْعالَمُ مِنْ حَوْلِنا يَعِيشُ مُتَكَتِّلاً مُتَرابِطاً وَنَحْنُ سادِرُونَ فِي خِلافاتِنا وَغَفْلَتِنا ، وَالاخْتِلافُ يُضْعِفُ الأُمَمَ القَوِيَّةَ وَيُمِيتُ الأُمَمَ الضَّعِيفَةَ ، وَأَهَمُّ ما جاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ بَعْدَ التَّوْحِيدِ جَمْعُ الكَلِمَةِ وَلَمُّ شَتَّاتِ أُمَمِهِمْ وَتَسْوِيَةُ صُفُوفِهِمْ ، إِنَّ العَدُوَّ الإِسْرائِلِيّ يُهَدِّدُ ويَضْرِبُ الأُمَّةَ العَرَبِيَّةَ لِيُقِيمَ دَوْلَةَ إِسْرائيلَ الكُبْرَى بِقُوَّةِ السِّلاحِ والنار فهل وعينا ذلك .اللَّهُمَّ إِنا نَمُدُّ أَكُفَّنا إِلَيْكَ ضارِعِينَ ، مُعْتَرِفِينَ بِتَقْصِيرِنا مُقِرِّينَ بِذُنُوبِنَا وَلَيْسَ لَنا سِواكَ ، أَنْتَ وَحَدَّتَنا بِعَقِيدَةِ الإِسْلامِ وَالإِيْمانِ ، وَنَحْنُ بِأَنْفُسِنا فَصمْنَا عُرَاهَا ، وَأَضْعَفْنا قُوَاهَا ، فَأَلْهِمْنا رُشْدَنَا وَبصِّرْنا بِعُيُونِنا وَوَفِّقْنا لإِصْلاحِها ، وَزَهِّدْنا فِي الدُّنْيا ، وَرَغِّبْنا فِي الآخِرَةِ ، وَخُذْ بِنَواصِينا إِلَى ما فِيهِ خَيْرُنا وَصَلاحُنا إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعَواتِ يَا رَبَّ العالَمِينَ . وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي المُهْتَدُونَ (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) وَقالَ عَزَّ مَنْ قائِلٍ كَرِيمٍ ( فَإِذَا قَرَأْتَ القُرْانَ فاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ ) . **أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ .**

**( وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ، وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَما اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِيْنَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْأً ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ )**[1] . بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْانِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُول قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم .

---

١. سورة النور الآية (٥٥)

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَــهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَــهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الـصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَــهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَــهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَ أَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَـشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَ بَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِــهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

عِبَادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى اتَّقُـوا الله مِـنْ سَمَــاعِ اللَّغْـوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

يا إِخْوَةَ الإِيْمانِ : فِي المُجْتَمَعِ المُتحـابِّ بِـرَوحِ الله تَعـالَى المُلْتَقِـى عَـلَى شَـعائِرِ الإِسْلامِ ، تَرْبِطُهُ أَواصِرُ الأُخُـوَّةِ فِي الله وَهِـيَ الَّتِـي جَمَعَـتْ الإِسْـلامَ أَوَّلَ أَمْـرِهِ ، وَأَقامَتْ دَوْلَتَهُ وَرَفَعَتْ رَأْيَتهُ ، وَعَلَيْها اعْتَمَدَ رَسُولُ الله صَـلَّى الله عَلَيـهِ وَسَـلَّمَ فِي تَأْسِيسِ دَوْلَةِ الإِسْلامِ ، وَتَرْبِيَةِ أُمَّتِهِ الَّتِي خَرَجَتْ بَعْدَ صراعِها الطَّوِيلِ مَـعَ أَعْـداءِ الإِسْلامِ مُنْتَصِرَةً رَفِيعَةَ العِمادِ وَطِيدَةَ الأَرْكـانِ ، شـامِخَةَ البُنْيـانِ ، عَـلَى حِـينٍ ذابَ أَعْداؤُها وَهَلَكُوا .

وَبِفَضْلِ التَّوحِيدِ وَالإتِّحادِ ظَهَرَ المُسْلِمُونَ ، وَانْتَصَرُوا عَلَى أَعْدائِهِمْ مَعَ قِلَّةِ عَدَدِهِمْ وَعُدَدِهِمْ ، وَكَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ وَعَتادِهِ ، وَشِدَّةِ عِنادِهِ ، وَفَتَحُوا البِلادَ وَأَبْعَدُوا الفَسادَ ، وَحَرَّرُوا العِبادَ ، وَأَظْهَرُوا الإِسْلامَ ، وَقَهَرُوا المُلُوكَ وَالقَياصِرَةَ وَالأَكاسِرَةَ ، وَصارُوا أَقْوِياءَ ، وَعُلَماءَ ، وَأَغْنِياءَ وَسادَةَ الدُّنْيا وَالدِّين ، وَأَيَّدَهُم اللهُ بِنَصْرِهِ وَمَكَّنَهُمْ فِي الأَرْضِ كُلَّ التَّمْكِينِ ( وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ فَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ، وَنَجْعَلَهُمُ الوارِثِينَ )[1] ، وَنَحْنُ اليَومَ لَسْنا قِلَّةً ، وَلَسْنا فُقَراءَ بَلْ أُصِبْنا بِالتَّفَكُّكِ وَالانْحلالِ وَالتَّخاذُلِ وَالتَّقَهْقُرِ وَالضَّعْفِ وَالهَوانِ ، وَافْتَقَدْنا الوَحْدَةَ الرُّوحِيَّةَ ، ثُمَّ عُوقِبْنا بِفَقْدِ الوَحْدَةِ السِّياسِيَّةِ وَالوَحْدَةِ الاقْتِصادِيَّةِ ، وَالوَحْدَةِ الثِّقافِيَّةِ فَتَنَكَّرَتْ أَحْوالُنا ، وَتَمَزَّقَتْ رَوابِطُنا ، وَحُقَّ فِينا قَولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ (( يُوشِكُ أَنْ تَداعَى عَلَيكُمْ الأُمَمُ كَتَداعِي الجِياعِ عَلَى قَصْعَتِها ، قِيلَ أَوْ مِنْ قِلَّةٍ يا رَسُولَ اللهِ قالَ : لا ! وَلَكِنَّكُمْ غُثاءً كَغُثاءِ السَّيْلِ ... ))[2] أَوْ كَما قالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، فَتَأَمَّلُوا هَذا الحَدِيثَ مَلِيا وَأَمْعَنُوا النَّظَرَ فِيهِ جَيِّداً .

واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و انْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾

[1] . سورة القصص الآية (٥)

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في باقي مسند الأنصار ، وأبو داود في سننه في كتاب الملاحم باب في تداعي الأمم على الإسلام عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَـنْ نَـصَرَهُ ، خُـصُوصاً مِـنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْـضَـلِ : سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْـرٍ وعُمَـرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَـلَّى الله عَلَيـهِ وسَـلَّمَ سَـيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْدِالله الـحُسَينِ ، وعَلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَـنْ عَائِـشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّـي رَسُـولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِــيَّةِ العَـشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ طَلْحَـةَ والزُّبَيــرِ ، وسَـعْدٍ وسَـعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْـحَابِ رَسُـولِ الله رِضْـوَان الله تَعَـالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجـلِّيَ الظُّلْمَـةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشِفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُـودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ فَـرَادِيسَ الـجِنَانِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانَنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوع بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِر بِـلادَ الـمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِـصْ أَسْـعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَـا ، وَ وَلِّ عَلَينَـا خِيَارَنَـا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَـلَ الـسُّفَهَاء مِنَّـا ، واجْعَـلْ وِلَايَتَنَـا فِـيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُـزَاةِ والمُـسَافِرِينَ فِي بَـرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ .

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْـقِنَا غَيْثَـاً مُغِيثَاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَــــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# الإخاء

## الخطبة الأولى

اَلحَمْدُ لله الَّذِي أَمَرَنَا بِالاعْتِصامِ بِحَبْلِهِ ، وَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِنا بِفَضْلِهِ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيك لَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَـيِّدَنَا مُحَمَّـداً عَبْـدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَفْضَلُ أَنْبِيائِهِ وَخاَتِمُ رُسْلِهِ ، جَمَعَ النَّاسَ عَلَى التَّقْوَى ، وَأَقـامَ أُمَّتَـهُ عَـلَى رُوحِ الإِخاَءِ ، وَهُوَ القاَئِلُ تَرَكْتُكُمْ عَلَى المَحَجَّةِ البَيْـضاَءِ ، لَيلُهَـا كَنَهاَرِهَـا ، اَللَّهُـمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَباَرِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ، وَعَـلَى آلِـهِ وَصَـحْبِهِ المُتَحـاَبِّينَ فِي الله ، وَمَـنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْساَنٍ إِلَى يَومِ الدِّيْنِ .

أَمَّا بَعْدُ : أُوصِيكُمْ أَيُّهاَ المُسْلِمُونَ اَلمُؤْمِنُـونَ وَنَفْـسِيَ بِتَقْـوَى الله تَعَـالَى ، فَإِنَّهَـا الحِصْنُ الحَصِينُ مِنَ العَذاَبِ ، وَالدِّرْعُ الواَقِي ياَ أُولِي الأَلْبَابِ .

عِباَدَ الله : لَقَدْ مَيَّزَ الله سُبْحانَهُ وَتَعَالَى بَنِي الإِنْساَنِ فَجعَلَهُمْ أَرْقَى المَخْلُوقـاَتِ وَأَعْلاَهَا ، وَمِنْ نِعَمِهِ تَعَالَى عَلَى البَشَرِ بَعْدَ نِعْمَةِ التَّوفِيقِ لِدِينِهِ أَنَّهُ اخْتَصَّهُمْ بِـثَلاَثِ هِباَتٍ إِلَهِيَّةٍ ، هِيَ العَقْلُ ، وَالْعَزِيمَةُ وَالْعاَطِفَةُ ، فَالْعَقْـلُ لِلتَّفْكِـيرِ ، وَرَبْـطِ النَّتـاَئِجِ بِأَسْباَبِهَا ، وَالأَسْباَبِ بِمُسَبَّباَتِهَا ، وَهُمْ بِعَزِيمَتِهِمْ يَقُومُونَ بِمَا يَجِبُ وَيُسَيْطِرُونَ عَـلَى دَواَفِعِ الإِقْدَامِ أَوْ غَيْرِهِ ، وَعَلَى بَواَعِثِ العَمَلِ أَوْ تَرْكِهِ .

وَهُمْ بِعَواَطِفِهِمْ يُحِبُّونَ وَيَبْغَضُونَ ، وَيَرْحَمُونَ وَيَقْسُونَ ، وَيَفْرَحُونَ وَيَحْزَنُونَ ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ هَذِه النِّعَمُ الثَّلاَثُ مِنْ رَواَبِطِ الإِخاَءِ والـصفاءِ بَـينَ النَّـاسِ ، وَلاَ قِيْمَةَ لِامْتِياَزِ النَّاسِ عَلَى الحَيوَانِ الأَعْجَمِ بِـنِعَمِ الفِكْـرِ وَالْعَزِيمَـةِ وَالْعاَطِفَـةِ ، إِنْ لَمْ

يقَدِّرُوا هَذِهِ النِّعَمَ قَدْرَهَا فَيَجْعَلُونَ سَبَبًا فِي تَوثِيقِ الصِّلاَتِ بِبَعْضِهِمْ البَعْضَ ، فَإِنَّ الخَبَرَ كُلُّ الخَيرِ لَهُمْ فِي أَنْ يَتَآخَّوا وَيَتَعَاوَنُوا عَلَى ماَ فِيهِ السَّعادَتَيْنِ اَلدِّيْنِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ ، فَفِي الآخِرَةِ رَضا الله عَنهُ وَجَنَّتَه ، وَفِي الدُّنْيَا المَعِيشَةُ الرَّغِيدَةُ ، وَالسَّلاَمُ وَالاطْمِئْنَانُ ، وَهَذاَ غاَيَةُ ماَ يَرْجُوهُ الإِنْساَنُ فِي الدَّارَيْنِ .

وَلَقَدْ مَرَّتْ بِالْبَشَرِ فَتَرَاتٌ تَنكَّرُوا فِيهَا لِوَشاَئِجِ الأُخُوَّةِ ، فَاصْطَلَوا بِنَارِ الحُرُوبِ ، وَمَزَّقَتْهُمْ الخِلاَفَاتُ وَالشِّقَاقُ ، وَذَاقُوا لِبَاسَ الجُوعِ وَالْخَوفِ وَقَوَّضُوا بِأَيْدِيهِمْ مَعالِمَ الحَضَارَةِ ، ثُمَّ لَمْ يُجْنُوا مِنْ هَذاَ كُلِّهِ إِلاَّ الأَسَى وَالنَّدَمَ وَالْحَسْرَةَ وَتَعْوِيقَ التَّقَدُّمِ .

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ : لَقَدْ راَعَى الإِسْلاَمُ هَذِهِ المَعاَنِي ، فَأَقاَمَ صَرْحَهُ عَلَى دَعاَئِمَ راَسِخَة مِنَ الأُخُوَّةِ اَلإِسْلاَمِيَّةِ ، وَالْقُرْآنُ الكَرِيمُ يُعَلِّمُ النَّاسَ أَنَّ الله سُبْحانَهُ وَتَعالَى خَلقَهُمْ مِنْ أَبٍ واَحِدٍ وَأُمٍّ واَحِدَةٍ ، وَيُذَكِّرُهُمْ بِأَنَّهُمْ إِخْوَةٌ وَإِنْ تَباَعَدَتْ أَنْفاَسُهُمْ ، وَبِأَنَّهُمْ إِخْوَةٌ وَإِنْ تَفَرَّقُوا إِلَى شُعُوبٍ وَقَباَئِلَ وَعَشاَئِرَ ، وَهَذِهِ الأُخُوَّةُ تَقْضِي بِأَنَّهُ لاَ فَضْلَ لِجِنْسٍ عَلَى جِنْسٍ ، وَلاَ لِلَونٍ عَلَى لَونٍ ، فَإِنَّ الأَكْرَمِينَ عِندَ الله هُمْ عِباَدُهُ المُتَّقُونَ ، الَّذِينَ يَحْرِصُونَ عَلَى المُثُلِ العاَلِيَةِ ، مِنْ تَدَيُّنٍ وَطَهاَرَةِ نَفْسٍ ، وَسَلاَمَةِ قَلْبٍ ، وَعَمَلٍ صالِحٍ ، وَخُلُقٍ كَرِيمٍ ، وَماَ تَشْمَلُهُ كَلِمَةُ التَّقْوَى مِنْ فَضَائِلَ قاَلَ تَعاَلَى ( ياَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْناَكُمْ شُعُوبًا وَقَباَئِلَ لِتَعاَرَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقاَكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ )[1]. وَقَدْ تَكَرَّرَتْ فِي

(١)الحجرات ١٣

القُرْآنِ الكَرِيمِ حِكْمَةُ التَّفْرِيقِ إِلَى شُعُوبٍ وَأُمَمٍ فَقَالَ تَعَالَى ( وَلَو شاءَ الله لَجَعَلَكُـمْ أُمَّةً واحِدَةً ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتاكُمْ فاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ )[1] وَقالَ سُبْحانَهُ وَتَعَـالَى ( وَلَو شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِـدَةً وَلاَ يَزالُـونَ مُخْتَلِفِـينَ ، إِلاَّ مـا رَحِـمَ رَبُّـكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ )[2]

عِبادَ الله : لَقَدْ وَثَّقَ الإِسْـلاَمُ صِـلاَتِ المُـسْلِمِينَ خاصَّـةً بِلُحمـةٍ أَقْـوَى مِـنِ النَّسَبِ هِيَ وَحْدَةُ العَقِيدَةِ ، بِمَا يَنْشأ عَنْهَا مِـنْ تَـآلفٍ وَتَعَـاطُفٍ ، وَتَعـاوُنٍ وَإِخـاءٍ ، لأَنَّ صِلَةَ الدَّمِ وَالجِنْسِ قَدْ يَمَسُّهَا فُتُورٌ وَهِيَ أَشَـدُّ مـا تَكُـونُ قَرابَـةً أَمَّـا وَحْـدَةُ العَقِيـدَةِ فَإِنَّهَـا قَرابَـةٌ قَوِيَّـةٌ دائِمَـةٌ مُتَجَـدِّدة ، يَـذْكُرُهَا المُـسْلِمُونَ وَهُـمْ يَنْطِقُـونَ بِالشَّهادَتَينِ فِي سِرِّهِمْ وَجَهْـرِهِمْ ، وَيَـذْكُرُونَهَا فِي صَـلاتِهِمْ وَصِـيامِهِمْ ، وَزَكـاتِهِمْ وَحَجِّهِمْ ، وَيَذْكُرُونَهَا فِي طاعَتِهِمْ لله وَخُضُوعِهِمْ لَهُ واسْتِعانَتِهِمْ بِهِ ، وَيَذْكُرُونَهَا فِي كُلِّ لَمْحَةِ عَينٍ ، أَوْ خَفْقَة قَلْبٍ ، أَوْ تَـرَدُّدِ نَفْـسٍ ، لِهَـذاَ أَمَـرَهُمْ القُـرْآنُ الكَـرِيمُ أَنْ يَعْتَصِمُوا بِوحْـدَتِهِمْ فِي ظِـلاَلِ عَقِيـدَتِهِمْ ، وَحَـذَّرَهُمْ الفِرْقَـةَ لأَنَّهَـا تُقَـوِّضُ هَـذِهِ الوحْدَةِ ، فَحَبَّبَهَا إِلَى نُفُوسِهِمْ وَحَضَّهُمْ عَلَى المُحافَظَةِ عَلَيهَا ، فَسَمَّاهَا حَبْـلَ الله ثُـمَّ امْتَنَّ عَلَيهِمْ بِنِعْمَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ هِيَ الأُلْفَةُ الَّتِي جَمَعَتْهُمْ فَصَيَّرَتْهُمْ إِخْـوَةً تَـرْبَطُهُمْ المَحَبَّـةُ ، وَالتَّعاوُنُ والإِتِّحادُ ، وَوَحْدَةُ الهَدَفِ وَالمَصِيرِ ، كَـمَا نَهـاهُمْ عَـنِ التَّنـازُعِ ، لأَنَّـهُ يُـصَدِّعُ

(١)المائدة ٤٨

(٢)هود ١١٨-١١٩

بُنْيَانَ الوحْدَةِ وَيُضْعِفُ قُوَّةَ الأُمَّةِ ، وَيُقَطِّعُ رَوابِطَ الإخـاءِ فقـاَلَ تعَـالَى( وَأَطِيعُـوا اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَلاَ تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ، واَصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ )[1].

وَإِذاَ تَوافَرَ لِلْوحْدَةِ الْمُؤْمِنَةِ الدُّسْـتُورُ الَّـذِي تَلْتَقِـي حَولَـهُ القُلُـوبُ ، وَتَنْتَفِـي الأَهْواءُ فَقَدْ سَلِمَ بِناَءُ الأُمَّةِ مِنَ الإنْهِياَرِ ، وَوَضَّحَ مِنْهاَجُهَا ، واَطْمَأَنَّ اَلْمُؤْمِنُـونَ إِلَى التَّسَلُّحِ بِهَا( وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ )[2] .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : قَدْ يَتَصَوَّرُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ مِنَ الْمُمْكِنِ تَحْقِيـقُ الوحْـدَةِ بَعِيـداً عَنِ الدِّيْنِ ، أَوْ تَحْقِيقُ النَّصْرِ عَلَى الأَعْداَءِ بِنَوعٍ مِنَ الإتِّحَادِ بَعِيداً عَنِ الدِّيْنِ وَأُؤَكِّـدُ لَكُمْ إِنَّ ذَلِكَ لَنْ يَكُونَ مِنْ وَرائِهِ إِلاَّ الشَّرُّ وَالْهَزِيمَةُ ، لَقَدْ أَرادَ اللهُ لِهَذِهِ الأُمَّـةِ شَرَفَ الإِسْلاَمِ ، وَجَعَلَهُ صَمِيمَ حَيَاتِهَا وَأَساَسَ وُجُودِهَا فَالأُمَّةُ جَـسَدٌ رُوحُـهُ اَلـدِّيْنُ ، وَبِناَءٌ أَسَاسُهُ الإِسْلاَمُ قَولاً وَعَمَلاً ، شِرْعَةً وَدَولَةً عِبـاَدَةً وَسُـلُوكاً ، لاَ بُـدَّ مِـنْ أَنْ نحْشِدَ أَكْبَرَ قَدْرٍ مِنَ الطاَّقَةِ الرُّوحِيَّةِ لِشَحْذِ الهِمَمِ ، وَجَمْعِ الشَّمْلِ ، وَتَنْقِيَـةِ الجُهـودِ وَتَـصْفِيَةِ القُلُـوبِ ، فَـشَمْلُنَا نَحْـنُ العَـرَبُ وَالْمُـسْلِمِينَ مُمَـزَّقٌ ، وَهِمَمُنَـا مُنْحَطَّـةٌ وَجُهُودُنَا مُبَعْثَرَةٌ ، وَقُلُوبُنَا مُنَغَّصَةٌ وَمُجَرَّحَـةٌ ، وَطاَقَاتُنـاَ المَادِيَّـةُ وَالرُّوحِيَّـةُ تَـذْهَبُ سُدًى عَلَى مُسْتَوَى الدُّوَلِ وَالشُّعُوبِ ، وَأَعْدَاؤُناَ مُتَّفِقُونَ عَلَى إضعاَفنَا ، مُتَّحِـدُونَ عَلَى إِذْلاَلِنَا ، أَعْداَءُ الإِسْلاَمِ وَحَمَلَتِهِ حاَقِدُونَ عَـلَى رَسُـولِنَا وَأُمَّتِـهِ ، يَتَرَبَّـصُونَ بِنَـا الدَّوائِرَ ، وَيُحِيكُـونَ لَنَـا الْمُـؤَامَراَتِ تِلْـوَ الْمُـؤَامَراَتِ ، وَنَحْـنُ سـاَدِرُونَ فِي غَفْلَتِنَـا

---

(١) الأنفال ٤٦ .

(٢) المائدة ٥٠

وِخِلاَفَتِنَا ، لاَ تَجِدُ دَوْلَتَينِ عَلَى وِفَـاَقٍ تـاَمٍّ أَوْ عَـلَى قَلْـبِ رَجُـلٍ وَاحِـدٍ ، وَإِنْ كَانَـاَ مُتَجاَوِرَيْنِ مُتَقاَرِبِينَ ، بَلْ فِي داَخِلِ كُلِّ دَولَةٍ تَجِدُ الشَّعْبَ لاَ يَعْرِفُ ماَذاَ يُـراَدُ مِنْـهُ ، وَمَا يُداَرُ حَولَهُ ، وَحَتَّى طَوائِفِنَا وَأَحْزاَبِنَا لَيْسَتْ كَطَوائِف وَأَحْزاَبِ الأُمَمِ الْمُتَطَوِّرَةِ تُقَدِّرُ الْمَصْلَحَةَ العاَمَّةِ ، وَمَصْلَحَةَ الوَطَنِ الأُمِّ ، وَالْعاَقِلُ مَنِ اتَّعَظَ بِغَيرِهِ ، لاَ بُـدَّ أَنْ نَسْتَفِيدَ مِنْ تَجاَرُبِ غَيْرِنَا ، وَمِنْ أَخْطـاَءِ غَيْرِنَـا ، وَمِمَّـا يُؤَسـفُ لَـهُ أَكْثَـرَ أَنَّ الَّـذِيْنَ يَرْفَعُونَ شِعاَرَ الإِسْلاَمِ ، وَهُوَ أَعْظَم شِعاَرٍ يَرْفَعُ وَيُقَدَّسُ ، اَلْيَومَ فِي الـبِلاَدِ العَرَبِيَّـةَ وَالإِسْلاَمِيَّةَ لَيْسُوا عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ واَحِدٍ ، حَتَّى عَلَى الْمُسْتَوَى الإِقْلِيمِـيِّ الـضِّيقِ ، تَجِدُ الخِلاَفَ العَقاَئِدِي وَالْمَبْدَئِي كَمَا يُسَمَّى يَنْخَـرُ فِي صُـفُوفِهِمْ ، وَكُـلٌّ يـدَّعِي أَنَّـهُ يَمْلِكُ الحَقاَئِقَ ، وَيَأْخُذُ بِناَصِـيَةِ الـدِّيْنِ ، وَغَـيرَهُ مُفْلِـسٌ خِلْـوٌ مِـنَ القِـيَم اَلدِّيْنِيَّـةِ وَالْمَفاَهِيمِ الصَّحِيحَةِ هَكَذاَ يُلاَحَظُ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ ماَ وَصَلْنَا عَلَيهِ نَحْنُ اَلْيَومَ فَلاَ بُدَّ أَنْ نُراَجِعَ حِساَبَاَتِنَا وَمُعاَمَلاَتِنَا مَعَ الآخَرِينَ وَنَتَعَلَّمَ وَنُعَلِّمَ أَوْلاَدَنَا وَشَـبَابَنَا الَّـذِي يَقِفُ عَـلَى أَعْتـاَبِ الحَيـاَةِ ، أَنْ نُعَلِّمَهُـمْ أَدَبَ الخِـلاَفِ ، وَأُسْـلُوبَ التَّحَـدُّثِ مَـعَ الآخَـرِينَ ، فَـنَحْنُ نَلْمَـسُ جَفاَفـاً فِي الأَخْـلاَقِ ، وَجَفْـوَةً فِي الطِّبـاَعِ وَتَغَـيُّراً فِي الأَمْزِجَةِ ، وَنَتِيجَةً لِذَلِكَ سَيؤثرُ ذَلِكَ لاَ مُحاَلَةَ عَلَى مَسِيرَتِنَا وَعَلَى حَياَتِنَا الاجْتِمَاعِيَّـةِ واَلدِّيْنِيَّةِ واَلاقْتِصاَدِيَّةِ واَلسِّيَاسِيَّةِ .

أَلاَ فَلْنَعُدْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ إِلَى دِيْنِنَا ، إِلَى الوحْدَةِ النَّقِيَّةِ الصَّافِيَةِ ، وَلْنُـرَبِّي أَبْناَءَنَـا وَبَنَاتِنَا عَلَى هُداَهُ ، وَنُنَظِّمْ عاَداَتِنَا وَتَقاَلِيدنَا بِآياَتِهِ وَبَيِّنَاتِهِ ، وَنَكْبَحْ هَواَنـاَ وَشَـهْواَتِنَا بِقَواَنِينِهِ ، وَنُهَذِّب سُلُوكَنَا بِأَواَمِرِهِ وَنَواَهِيهِ ، عَنْ أَبِي شُرَيحٍ الخُزاَعِيِّ قاَلَ : (( خَرَجَ

عَلَينَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ فقاَلَ : أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَأَنِّي رَسُولُ الله ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفَهُ بِيَدِ الله، وَطَرَفَهُ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا، وَلَنْ تَهْلَكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا)) رَواهُ الطَّبَرَانِي فِي الكَبِيرِ[1] .

أَمَّا التَّنَافُسُ الشَّرِيفُ لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي صالِحِ الأُمَّةِ التَّنَافُسُ فِي الإِنْتاَجِ وَالتَّنَافُسُ فِي الانْتِخَابَاتِ ، وَالتَّنَافُسُ الشَّرِيفُ فِي إِحْرازِ قصبِ السبقِ لولاهُ لما تطورتْ أمةٌ ، ولولاهُ لما برزَ عالمٌ ، فالتنافسُ الشريفُ سببٌ في التقدمِ والتطورِ العامِ .

أَمَّا إِذاَ مَضَيْنَا فِي طَرِيقِ الفُرْقَةِ ، وَأَضَعْنَا هَدَفَ الأُمَّةِ ، وَفَرَّطْنَا فِي أَمانَتِنَا قَدَرَ الله ذَلِكَ وَتَقَطَّعْنَا فِرَقاً ، وَتَمَزَّقنَا رُؤَساءَ وَأَذْنابًا فَإِنَّ أَوَّلَ إِجْراءٍ فَرَضَهُ الله عَلَينا هُوَ بَراءَةُ الرَّسُولِ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ مِنَّا ، وَانْفِصالِهِ عَنَّا وَتَخَلِّيهِ عَنْ جَماعَتِنَا ، لأَنَّ الأُمَّةَ الَّتِي دَعَا إِلَيها ، وَأَرَادَهَا لِحَمْلِ دَعْوَتِهِ لاَ تَعْرِفُ الفُرْقَةَ ، وَإِنَّما هِيَ أُمَّةٌ واَحِدَةٌ وَصَفُّهَا واَحِدٌ ، اسْتَمِعُوا إِلَى قَولِهِ تَعالَى مُخَاطِباً نَبِيَّهُ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ ( إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ، إِنَّما أَمْرُهُمْ إِلَى الله يُنَبِّئُهُمْ بِماَ كانُوا يَفْعَلُونَ )[2]. وَلَيْسَ هُناَكَ أَشَدَّ مِنْ هَذاَ الجَزاَءِ وَلاَ أَعْنَف مِنْ ذَلِكَ التَّرْهِيبِ ، وَهُوَ نَذِيرٌ بَينَ يَدَي الأُمَّةِ يَدْعُوهَا دائِماً أَنْ تُوَحِّدَ صُفُوفَهَا ، وَأَنْ تتَنَاسَى أَحْقاَدَهَا ، وَتَنْبُذَ اخْتِلاَفَهَا وَفُرْقَتِهَا ؛ لأَنَّ ذَلِكَ هُوَ دِرْعُ التَّقَدُّمِ ، وَحِصْنُ الأَمَانِ .

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢٠٥) : ورجاله رجال الصحيح .

٢. سورة الأنفال أية (١٥٩)

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ (وَإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ) وَقَالَ عَزَّ مَنْ قَائِلٌ كَرِيمٌ ( فَإِذا قَرَأْتَ القُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ).أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ.

**( وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا ، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِكُمْ ، فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفاَ حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ )**[1].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياَّكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

[1]. سورة آل عمران أية ( ١٠٣ )

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَــهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَــهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَــهُ الـصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَــهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَــهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ ،

وَ أَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَـشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ . اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَ بَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

عِبَادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى اتَّقُـوا الله مِـنْ سَمَــاعِ اللَّغْـوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ : أَرادَ الله لِهَذِهِ الأُمَّةِ الخَيِّرَةِ الإِخـاءَ وَأَنْ تَكُـونَ كُلُّهـاَ فِي صَـفٍّ واَحِدٍ مُجْتَمِعَةٍ عَلَى هَدَفٍ واَحِدٍ ، هُوَ الله الَّذِي تُؤْمِنُ بِهِ وَتَتَّقِيهِ وَصَـدَقَ الله العَظِـيمُ إِذْ يَقُولُ ( وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّـةً واَحِـدَةً وَأَنَـا رَبُّكُـمْ فَاعْبُـدُونَ )[1]. وَأَحَـبَّ الله أَنْ تُوَحِّدَ صَفَّهَا فِي مُوَاَجهَةِ الخَطَرِ فَقاَلَ ( إِنَّ الله يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَـاتِلُونَ فِي سَـبِيلِهِ صَـفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ )[2].

(١)سورة الأنبياء أية ( ٩٢ )

(٢)سورة الصف أية ( ٤ )

كَمَا أَنَّهُ حَبَّبَ أَنْ تُصْرفَ جُهُودُنَا مُتَوَحِّدَةً مُتَعاوِنَةً فِي سَبِيلِ الخَيرِ فَقَالَ ( وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوانِ )[1] وَاللهُ سُبْحَانَهُ يُبْغِضُ إِلَينَا أَنْ نَخْتَلِفَ ؛ لأَنَّ الاخْتِلاَفَ أَوَّلُ الوَهَنِ ، وَبَابُ الفَشَلِ وَالضيَاعِ وَالْفَاشِلُ الضَّائِعُ لاَ وَزْنَ لَهُ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ وَلاَ مَكَانَةَ لَهُ فِي الآخِرَةِ ( وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ )[2] وَيَقُولُ الرَّسُولُ ( لاَ تَقَاطَعُوا وَلاَ تَدابَرُوا وَلاَ تَباغَضُوا وَكُونُوا عِبادَ اللهِ إِخْوانَاً )[3] بَلْ إِنَّهُ لَيُحَذِّرُنَا مِنْ أَنْ نَسِيرَ عَلَى نَهْجِ الْمُتَفَرِّقِينَ أَوْ أَنْ نَقْتَدِيَ بِهِمْ ، لأَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمْ أَسْوءَ العِقَابِ عِنْدَهُ جَزاءَ تَفَرُّقِهِمْ فَقَالَ ( وَلاَ تَكُونُوا كالَّذِينَ تَفرَّقُوا واَخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جاءَ هُمُ البَيِّنَاتُ ، وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ )[4]. إِلاَّ أَنَّهُ فِي مُعْتَرَكِ الحَيَاةِ وَتَسْيِيرِ دِفَّتِهاَ ، قَدْ تَنْشأ بَعْضُ الخِلاَفَاتِ وَهِيَ سُنَّةُ الحَيَاةِ ، وَقَدْ تَحْصُلُ بَعْضُ الْمُنَافَساَتِ ، وَقَدْ تَغْلُبُ الأَثْرَةُ وَحُبُّ الذَّاتِ لَدَى البَعْضِ فَيَسْتَجِيبُونَ لِنَزَعاَتِ الخِلاَفِ فَشَرَعَ اللهُ لَنَا حِينَئِذٍ لِلْوِقَايَةِ مِنْ سُوءِ هَذِهِ الخِلاَفَاتِ أَنْ نَحْتَكِمَ إِلَى شَرْعِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، فَإِنَّ هَذاَ هُوَ القَضاَءُ العَدْلُ ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الَّذِي يُحَقِّقُ الخَيرَ لِلأُمَّةِ جَمْعاَءَ ، وَعِنْدَ مَا تَنَكَّرْناَ لِهَذِهِ المَبَادِئِ السَّامِيَةِ وَهَذِهِ التَّعاَلِيمِ القِيمَةِ اِسْتخف بِناَ الأَعْداَءُ وَهُنَّا عَلَيْهِمْ فَأَخَذُونَا لقمَّةً ساَئِغَةً دَولَةً بَعْدَ دَولَةٍ ، وَقُطْراً بَعْدَ آخَرَ هَكَذاَ دَواَلِيكَ ، قَاَلَ تَعاَلَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ

---

(١)سورة المائدة أية (٢)

(٢) الأنفال ٤٦

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا

(٤)سورة آل عمران أية (١٠٥ )

الله وَأَطِيعُـواْ الرَّسُـولَ وَأُوْلِي الأَمْـرِ مِـنكُمْ فَـإِن تَنَـازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَـرُدُّوهُ إِلَى الله وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَـأْوِيلاً ) [1] وَمَهْـمَا يَكُنْ فَلاَ يَجُوزُ لِشَخْصٍ ماَ أَوْ حَتَّى لِجَمَاعَةٍ ماَ أَنْ تَدَّعِيَ الوِصايَةَ عَلَى غَيْرِهَـا ؛ لأَنَّهَـا تَمْلِكُ الحَقَائِقَ كُلَّهاَ ، وَغَيْرُهَا خِلْوٌ مِنْها كُلُّهَا ، وَهَـذاَ هُـوَ المَـرَضُ العُـضَالُ الَّـذِي يَفتك فِي جِسْمِ الأُمَّةِ ، فَيُمَزِّقُ كَيَانَهَا وَيَصْدِعُ بُنْيَانَهَاَ .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِـهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و انْـسِهِ ؛ فَقَـالَ مُخْـبِراً وآمِـراً لَكُمْ تَكْـرِيماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَـصَرَهُ ، خُـصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ : سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِـي بَكْـرٍ وعُمَـرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَـلَّى الله عَلَيـهِ وسَـلَّمَ سَـيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْدِالله الـحُسَينِ ، وعَلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَـنْ عَائِـشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّـي رَسُـولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِــيَّةِ العَـشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ طَلْحَـةَ والزُّبَيــرِ ، وسَـعْدٍ وسَـعِيدٍ ، و

---

(١)النساء ٥٩ .

عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْـحَابِ رَسُـولِ الله رِضْـوَان الله تَعَـالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجـلِيَ الظُّلْمَـةِ ، يَـا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُـودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَــا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ فَـرَادِيسَ الـجِنَانِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانَنَا ، وابْـسُطِ الأَمْــنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرَ بِـلادِ الـمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِـصْ أَسْـعَارَنَا و غَــزِّرْ أَمْطَارَنَـا ، وَ وَلِّ عَلَينَـا خِيَارَنَـا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَـلَ الـسُّفَهَاء مِنَّـا ، واجْعَـلْ وِلَايَتَنَـا فِـيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ

، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُـزَاةِ والمُـسَافِرِينَ فِي بَـرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ .

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْـقِنَا غَيْثَـاً مُغِيثَاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَـــــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِـهِ ؛ يَـزِدْكُمْ ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

# الأمانة

## الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ الَّذي حَثَّنا عَلَى التَّخَلُّقِ بِصِفَةِ الأَمانَةِ ، وَنَهانَا عَنْ سُوءِ خُلقِ الخِيانَـةِ ، لأَنَّ الأَمانَةَ خلق الكِرامِ ، وَالخِيانَةَ صِفَةُ اللِّئامِ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيـكَ لَـهُ ، أَمَرَنـا بـأَوامِرَ لَـوِ الْتَزَمْنـا بِهـا وَسِرْنَا عَلَى جادَّتِها عِشْنا أَعِزَّةً أَكْرَمِينَ ، وَجَمَعْنا بَيْنَ سَعادَةِ الدُّنْيا وَالـدِّينِ وَالنَّجـاة يَومَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ وَالهَولِ العَظِيمِ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ جَمَـعَ مَكـارِمَ الأَخْـلاقِ ، فَهُـوَ القُـدْوَةُ الحَسَنَةُ ، وَالمَثَلُ الأَعْلَى فِي صِفاتِهِ وَأَخْلاقِهِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وبـارك عَـلَى سَـيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الأَطْهارِ ، وَصَحابَتِهِ الأَخْيارِ ، الَّذِينَ آزَرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّـورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ .

أَمَّا بَعْدُ : أُوصِيكمْ أَيُّها المُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى فَإِنَّها أَعْظَمُ القُرُباتِ إِلَى الله تَعالَى وَالسَّبِيلِ إِلَى المَثُوباتِ ، فَخُذُوا مِنْها بِأَوْفَرِ حَظٍّ وَأَكْبَرِ نَـصِيبٍ ، تَنـالُوا السَّعادَةَ فِي اليَومِ الرَّهِيبِ العَصِيبِ .

يا أُمَّةَ الإِسْلامِ وَالإِيمانِ : إِنَّ دِيْنَنا الإِسْلامِيَّ الحَنِيفَ يَحُثُّ مُعْتَنِقِيهِ أَنْ يَكُونُـوا ذَوِي ضَمائِرَ حَيَّةٍ يَقِظَةٍ ، تُصانُ بِها حُقُوقُ الله وَحُقُوقُ الناسِ وَتَحْفَـظُ بِهـا الأَعْـمالَ مِنْ دَواعِي التَّفْرِيطِ وَالإِهْمالِ ، فَأَوْجَبَ عَلَى المُـسْلِمِ أَنْ يَكُـونَ أَمِينـاً نَزِيهـاً فِي كُـلِّ مَجالاتِ حَياتِهِ ، فَصِفَةُ الأَمانَةِ فِي نَظَرِ الشَّارِعِ واسِعَةُ الدَّلالَةِ ، وَهِيَ تَشْمَلُ وَتُـشِيرُ

إِلَى مَعانٍ شَتَّى مَناطُها شُعُوُر المَرْءِ المُسْلِمِ بِتَبَعَتِهِ وَمَسْئُولِيَّتِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُؤْكَلُ إِلَيهِ ، وَإِدْراكُهُ الجازِمُ بِأَنَّهُ مَسْئُولٌ وَمُحاسَبٌ أَمامَ رَبِّهِ الَّذِي لا تَخْفَى عَلَيهِ خافِيَةٌ ، عَلَى النَّحْوِ الَّذِي فَصَّلَهُ الحَدِيثُ الشَّرِيفُ (( كُلُّكُمْ راعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فالإِمامُ راعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ راعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيتِ زَوْجِها راعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِها ، وَالخادِمُ فِي مالِ سَيِّدِهِ راعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ )) رَواهُ البُخارِي[1] .

وَقاصِرُوا النَّظَرِ مِنَ العَوَّامِ يُقَصِرُونَ الأَمانَةَ فِي أَضْيَقِ مَعانِيهَا وآخِرِها تَرْتِيباً ، وَهُوَ حِفْظُ الوَدائِعِ المالِيَّةِ فَحَسْب ، مَعَ أَنَّ حَقِيقَتَها فِي دِينِ الله أَضْخَمُ وَأَثْقَلُ وَأَهَمُّ .

إِنَّها الفَرِيضَةُ الَّتِي يَتَواصَى المُسْلِمُونَ بِرِعايَتِها وَيَسْتَعِينُونَ بِالله عَلَى حِفْظِهَا حَتَّى إِنَّهُ عِنْدَ مَا يَكُونُ أَحَدُهُمْ عَلَى أُهْبَةِ السَّفَرِ يَقُولُ لَهُ أَخُوهُ (( أَسْتَودِعُ الله دِينَكَ وَأَمانَتَكَ وَخَواتِيمَ عَمَلِكَ )) رَواهُ التِّرْمِذِي [2] .

وَعَنْ أَنَسٍ قالَ : ما خَطَبَنا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ إِلا قالَ : لا إِيْمانَ لِمَنْ لا أَمانَةَ لَهُ ، وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ " رَواهُ أَحْمَدُ [1] .

---

(١)رواه البخاري في مواضع كثيرة من صحيحه أولها في كتاب الجمعة، باب (الجمعة في المدن والقرى )برقم (٨٤٤)، و مسلم في كتاب الإمارة، باب (فضيلة الإمام العادل و عقوبة الجائر) برقم (٣٤٠٨) وغيرهما .

(٢) رواه الترمذي في سننه كتاب الدعوات باب (ما يقول إذا ودَّع إنساناً) برقم(٣٣٦٥) من حديث سالم بن عبدالله بن عمر أنَّ ابن عمر رضي الله عنه كان يقول للرجل إذا أراد سفراً ادنُ مني أودِّعُك كما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يودِّعُنا فيقول:" أستودِعُ الله دينَكَ وأمانتَكَ وخواتيمَ عَمَلِكَ" و قال عقبه: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث سالم بن عبد الله. وأخرجه الإمام أحمد في المسند (باقي مسند المكثرين) برقم (٨٣٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا ودَّع أحداً قال:" أستودِعُ الله دينَكَ وأمانَتَك وخواتيمَ عَمَلِكَ"، و أبو داود في سننه كتاب الجهاد بابٌ (في الدعاء عند الوداع ) رقم (٢٢٣٤) من حديث عبدالله بن الخطمي رضي الله عنه ،

وَلَمَّا كانَتْ السَّعادَةُ القُصْوَى أَنْ يُوقَى الإِنْسانُ شَقاءَ العَيْشِ فِي الـدُّنْيا وَسُـوءَ المُنْقَلبِ فِي الأُخْرَى ، فَإِنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ فِي اسْتِعاذَتِهِ بَيْنَ الحـالَيْنِ مَعاً إِذْ قالَ : (( اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ فَإِنَّهُ بِـئْسَ الـضَّجِيعِ ، وَأَعَـوذُ بِـكَ مِـنَ الخِيانَةِ فَإِنَّها بِئْسَتْ البِطانَة )) [٢] فالجُوعُ ضَياعُ الدُّنْيا وَالخِيانَةُ ضِياعُ الدِّينِ .

وَكانَ رَسُولُنا الأَعْظَمُ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي صِغَرِهِ يُلَقِّبُهُ قَوْمُهُ بـالأَمِينِ ، وَكَذَلِكَ شُوهِدَتْ مَخائلُ الأَمانَةِ عَلَى مُوسَى عَلَيـهِ الـسَّلامُ حِـيْنَ سَـقَى لِابْنَتَـي الرَّجُلِ الصَّالِحِ شُعَيبٍ عَلَيهِ السَّلامُ حَيْثُ رَفَـقَ بِهِـما وَكـانَ مَعَهُـما عَفِيفـاً شَرِيفـاً ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [٣] وَقَدْ حَدَثَ هَذا قَبْلَ أَنْ يُنَبَّأَ مُوسَى وَيُرْسَـلَ إِلَى فِرْعَـونَ ، وَلا شَـكَّ فَرُسُـلُ الله يُخْتـارُونَ مِـنْ أَشْرافِ الناسِ طِباعاً ، وَأَزْكاهُمْ مَعْدِناً ، وَالنَّفْسُ الَّتِـي تَظَـلُّ مُعْتَـصِمَةً بِالْفَـضِيلَةِ عَلَى شِدَّةِ الفَقْرِ وَوَحْشَةِ الغُرْبَةِ ، هِيَ لِرَجُلٍ أَمِينٍ قَوِي .

وَمِنْ مَعانِي الأَمانَةِ وَضْعُ كُلِّ شَيْءٍ فِي مَكَانِهِ الجَدِيرِ بِهِ ، وَاللَّائِقِ بِهِ ، وَالرَّجُـلُ المُناسِبُ فِي المَكانِ المُناسِبِ ، فَلا يُسْنَدُ مَنْصِبٌ أَيُّ مَنْصِبٍ إِلا لِصاحِبِهِ الجَدِيرِ بِـهِ ،

---

(١)رواه الإمام أحمد في المسند (باقي مسند المكثرين)(مسند أنس بن مالك رضي الله عنه) برقم (١١٩٣٥).

(٢)سنن أبي داود في كتاب الصلاة ،(بابٌ في التعـوُّذ) برقم (١٣٢٣)، وسنن النسائي في كتـاب الاسـتعاذة، بـاب(الاسـتعاذة مـن الخيانة) برقم (٥٣٧٤)، سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب (التعوذ من الجوع) رقم (٣٣٤٥).

(٣) سورة القصص الآيات (٢٤-٢٦).

وَلا تُملأُ وَظِيفَةٌ أَيَّةُ وَظِيفَةٍ اجْتِماعِيَّةٍ أَوْ سِياسِيَّةٍ أَوْ عِلْمِيَّةٍ إلا بِالرَّجُلِ الَّذِي تَرْفَعُهُ كَفاءَتُهُ إِلَيْها .

وَاعْتِبارُ الوِلاياتِ وَالأَعْمالِ العامَّةِ أَماناتٌ لا تُعْطَى إلا لِمُسْتَحِقِّيها عَنْ جَدارَةٍ ، فَهَذَا الصَّحابِيُّ الجَلِيلُ أَبُو ذَرٍّ الغِفارِيُّ رَضِيَ الله عَنْهُ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الرَّسُولُ (( ما أَقَلَّتِ الغَبْراءُ وَلا أَظَلَّتِ الخَضْراءُ رَجُلاً أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ )) (١) ، طَلَبَ مِنْ رَسُولِ الله أَنْ يُوَلِّيَهُ وِلايَةً ، كَما جاءَ فِي الحَدِيثِ عَنهُ قالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ الله أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي قَالَ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا رَواهُ مُسْلِمٌ (٢).

إنَّ الكفائةَ العِلْمِيَّةَ أَوِ العَمَلِيَّةَ لَيْسَتْ كُلَّ ما يَنْبَغِي فَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ رَضِيَّ السِّيرَةِ حَسَنَ الإِيمانِ ، وَلَكِنَّهُ لا يَحْمِلُ مِنَ المُؤَهَّلاتِ المَنْشُودَةِ ما يَجْعلهُ مُنْتِجاً فِي وَظِيفَةٍ مُعَيَّنَةٍ ، أَلا تَرَى إِلَى يُوسُفَ الصِّدِّيقِ عَلَيهِ السَّلامُ الكَرِيمُ ابْنُ الكَرِيمِ ابْنُ الكَرِيمِ إِنَّهُ لَمْ يُرَشِّحْ نَفْسَهُ لإِدارَةِ شُئُونِ المالِ بِمِصْرَ بِنُبُوَّتِهِ وَتَقْواهُ فَحَسْبُ بَلْ بِحِفْظِهِ وَعِلْمِهِ أَيْضاً ، قالَ (( اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ)) (٣) وَالأَمانَةُ تَقْضِي بِأَنْ نَخْتارَ لِلأَعْمالِ أَيَّةِ أَعْمالٍ أَحْسَنَ الناسِ قِياماً بِها فَإِذا مِلْنا عَنْهُ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده في مسند المكثرين من الصحابة ، وابن ماجة في سننه في المقدمة باب فضل أبي ذر .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب كراهة الإمارة بغير ضرورة .

(٣)يوسف٥٥

إِلَى غَيْرِهِ لهوى أَوْ رَشْوَةٍ أَوْ قَرابَةٍ أَوْ مَحْسُوبِيَّةٍ فَقَـدْ اِرْتَكَبْنـا بِتَنْحِيَـةِ القـادِرِ وَتَولِيَـةِ العاجِزِ ارْتَكَبْنَا خِيانَةً فادِحَةً وَخَطأً لا يُغْتَفَرُ ، قالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَـلَّمَ (( مَنِ اسْتَعْمَلَ رَجُلاً عَلَى عِصابَةٍ ـ أَيْ جَماعَـةٍ ـ وفِـيهِمْ مَـنْ أَرْضَى لله مِنْـهُ ، فَقَـدْ خانَ الله وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنَينَ ))(١) وَعَنْ يَزِيدِ ابْنِ أَبِي سُفْيانَ قـالَ : قـالَ لِي أَبُـو بَكْـرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ الله عَنْهُ حِينَ أَرْسَلَنِي إِلَى الشَّامِ : يا يَزِيـدُ إِنَّ لَـكَ قَرابَـةٌ عَـسَيْتَ أَنْ تُؤَثِّرَهُمْ بِالإِمارَةِ ، وَذَلِكَ أَكْثَرُ ما أَخافُ عَلَيكَ بَعْدَ ما قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ ((مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً فَأَمَّرَ عَلَيهِمْ أَحَداً مُحاباةً فَعَلَيْهِ لَعْنَـةُ الله ، لا يَقْبَلُ الله مِنْهُ صَرْفاً وَلا عَدْلاً حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ ))(٢).

وَالأُمَّةُ الَّتِي لا أَمانَةَ فِيهَا ، هِيَ الأُمَّةُ الَّتِي تَعْبَـثُ فِيهَـا الـشَّفاعَاتُ بِالْمَـصالِحِ الْمُقَرَّرَةِ ، وتَلْعَبُ بِأَقْدارِ الرِّجالِ الأَكِفَّاءِ لِتُهْمِلهُمْ ، وَتُقَدِّمَ عَلَيهِمْ مَنْ دُونَهُمْ ، وَقَـدْ أَرْشَدَت السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ إِلَى أَنَّ هَذا مِنْ مَظاهِرِ الفَسادِ الَّذِي سَوفَ يَقَعُ آخِرَ الزَّمـانِ ، جاءَ رَجُلٌ يَسْأَلُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ ؟ فَقالَ لَـهُ : إِذَا ضُيِّعْتَ الأَمانَةُ فانْتَظِرِ السَّاعَةَ ، فَقالَ وَكَيْفَ إِضاعَتُها قالَ : إِذا وَسِّـدَ الأَمْـرُ لِغَـيرِ أَهْلِهِ فانْتَظِرْ السَّاعَةَ )) رَواهُ البُخارِيُّ(٣) ، وَالأَمْـرُ هُنـا يَـشْمَلُ الوَظـائِفَ العِلْمِيَّـةَ وَالاجْتِماعِيَّةَ وَالسِّياسِيَّةَ .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه قال الذهبي في مختصره وقـال : حـسين بـن قـيس ضعيف .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند أبي بكر الصديق .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل .

يا إِخْوَةَ الإِسْلامِ وَالإِيمانِ : مِنْ مَعانِي الأَمانَةِ أَنْ يَحْرِصَ المَرْءُ عَلَى أَداءِ واجِبِهِ كامِلاً غَيرَ مَنْقُوصٍ فِي العَمَلِ الَّذِي وُكِّلَ إِلَيهِ وَأُنِيطَ بِهِ ، وَأَنْ يَبْذُلَ وَيَسْتَنْفِذَ كُلَّ طاقَتِهِ فِي إِتْمامِهِ وَإِحْسانِهِ ، أَجَلْ ، إِنَّها لأَمانَةٌ يَهْتَمُّ بِها الإِسْلامُ وَيُمَجِّدُها ، وَهِيَ أَنْ يُخْلِصَ الرَّجُلُ لِعَمَلِهِ وَأَنْ يُعْنَى بِإِجادَتِهِ ، وَأَنْ يَسْهُرَ عَلَى حُقُوقِ النَّاسِ الَّتِي وُضِعَتْ بَينَ يَدَيْهِ ، فَإِنَّ اسْتِهانَةَ الفَرْدِ بِما كُلِّفَ بِهِ وَإِنْ كانَ تافِهاً يُعْتَبَرُ تَفْرِيطٌ فِي حَياةِ المُجْتَمَعِ كُلِّهِ وَهَذا ما نُعانِي مِنهُ اليَومَ فِي كُلِّ مَجالاتِ حَياتِنا ، الاجْتِماعِيَّةِ وَالعِلْمِيَّةِ ، وَالاقْتِصادِيَّةِ ، وَتُعْتَبَرُ هَذِهِ خِيانَةٌ وَغدْرٌ فِي حِقِّ الدِّينِ وَجُمْهُورِ المُسْلِمِينَ ، وَكَمْ أُبْتُلِيَ المُجْتَمَعُ الإِسْلامِيُّ بِهَذا الصِّنْفِ مِنَ المَسْئُولِينَ ، قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : (( إِذا جَمَعَ اللهُ بَينَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَومَ القِيامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يُعْرَفُ بِهِ ، فَيُقالُ : هَذِهِ غَدْرَةُ فُلانٍ ... )) رَواهُ مسلم [1].

وَمِنَ الأَمانَةِ أَلا يَسْتَغِلَّ المَرْءُ مَنْصِبَهُ الَّذِي عُيِّنَ فِيهِ لِجَرِّ مَنْفَعَةٍ شَخْصِيَّةٍ فَقَدْ شَدَّدَ الإِسْلامُ فِي ضَرُورَةِ التَّعَفُّفِ مِنِ اسْتِغْلالِ النُّفوذِ ، قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ (( مَنِ اسْتَعْمَلْناهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْناهُ رِزْقاً فَما أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ )) رَواهُ أَبُو داؤُدَ [2] ؛ لأَنَّهُ اخْتِلاسٌ مِنْ مالِ الأُمَّةِ(وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ) [3].

(١) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب تحريم الغدر .

(٢)الحديث رواه أبو داود في سننه كتاب (الخراج و الإمارة و الفيء) (بابٌ في أرزاق العمّال) برقم(٢٥٥٤)، و روى الإمام أحمد في مسنده(باقي مسند الأنصار) (من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه)برقم (٢٢٤٩٥) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" هدايا العمّال غُلول".

(٣)آل عمران١٦١

وَقَدْ طَبَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ مَبْدَأَ : مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذا ؟ فَحَدَثَ أَنْ أَمَّرَ رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ يُقالُ لَهُ اِبْنُ اللُّتَيْبِيةِ ، عَلَى الصَّدَقَةِ ، فَلَمَّا قَدِمَ بِها أَيِ الصَّدَقَةِ ، قالَ هَذا لَكُمْ ، وَهَذا أَهْدِيَ إِلَيَّ ، قالَ راوِي الحَدِيثِ ، فَقامَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ عَلَيهِ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَي عَلَيهِ ثُمَّ قالَ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي اسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى العَمَلِ بِما وَلانِي الله ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ : هَذا لَكَم وَهَذا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ إِلَيَّ ، أَفَلا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَه هَدِيَّتُهُ إِنْ كانَ صادِقاً ؟ وَالله لا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئاً بِغَيرِ حَقِّهِ إِلا لَقِيَ الله يَحْمِلُهُ يومَ القِيامَةِ فَلا أَعْرِفَنَّ أَحَداً مِنْكُمْ لَقِيَ الله يَحْمِلُ بَعِيراً لَهُ رُغاءٌ ، أَوْ بَقَرَةً لَها خُوارٌ ، أَوْشاةً تَيعَرُ ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيهِ حَتَّى رُؤِيَ بَياضُ إِبْطَيْهِ يَقُولُ " اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ ...؟ رَواهُ مُسْلِمٌ[1] .

وَهَذا الخَلِيفَةُ العادِلُ ( عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ ) لَمَّا تَوَلَّى الخِلافَةَ رَأَى أَقارِبَهُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَقَدْ أَثْرَوا فِي الشَّامِ وَمَلَكُوا الحَدائِقَ وَالْبَساتِينَ وَالْعَقاراتِ فِي غَوْطَةِ دِمَشْقَ فِي خَلالِ مُدَّةٍ قَصِيرَةٍ عِنْدَ ما آل الحَكَمُ لَهُمْ ، وَلَكِنَّهُ انْتَزَعَ كُلَّما تَحْتَ أَيْدِيهِمْ وَرَدَّهُ لِبَيْتِ المالِ ، فَضَرَبَ لِلْعالَمِ أَرْوَعَ المَثَلِ .

أَلا فَلْنَأْخُذْ العِبْرَةَ وَالمَوْعِظَةَ الحَسَنَةَ ، وَنَحْنُ فِيما نَحْنُ فِيهِ وَنَحْنُ الأُمَّةُ الإِسْلامِيَّةُ وَمِنْها الشُّعُوبُ العَرَبِيَّةُ كَيفَ يَعِيشُ السَّوادُ الأَعْظَمُ مِنْها عَلَى شَظَفٍ فِي المَعِيشَةِ ، وَضَنْكٍ فِي وَسائِل حَياتِهِمْ ، وَالَّذِينَ يَعْتَلُونَ الكَراسيَ وَيَمْلِكُونَ ناصيَةَ الأُمُورِ يَتَرَفَّهُونَ وَيَعِيشُونَ حَياةَ البَذْخِ وَالتَّخَمَةِ ، يَمْلِكُونَ وَيَتَمَلَّكُونَ ، يَبْنُونَ

(١)الحديث رواه البخاري في صحيحه في مواضع منها: كتاب( الهبة و فضلها والتحريض عليها)، باب (من لم يقبل الهدية لعلة) برقم (٢٤٠٧)و كتاب الحيل، باب( احتيال العامل ليُهدى إليه) برقم(٦٤٦٤)، و مسلم في كتاب الإمارة، باب (تحريم هدايا العمال) برقم (٣٤١٣).

وَيُشِيدُونَ ، وَيَنْعَمُونَ فِي القُصُورِ الشَّاهِقَةِ ، وَالعِمارات السَّامِقَةِ ، وَكَثِيراً ما تَظْهَرُ الفَضائِحُ وَالمُخْبَئاتُ عِنْدَ ما يُزَحْزَحُونَ منْ عَلَى الكَراسِي ، هَذِهِ قاعِدَةٌ عامَةٌ وَسِيَّماً مُتَمَيِّزَةً فِي بِلادِنا نَحْنُ العَرَبَ وَالمُسْلِمِينَ إلا مَنْ رَحِمَ الله وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلا بِالله العَلِيِّ العَظِيم .

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي المُهْتَدُونَ ( وَإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وَانْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ) وَقالَ عَزَّ مَنْ قائِلٍ كَرِيمٍ ( فَإِذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ فاسْتَعِذْ بِالله مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ .

أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ .

( إِنَّا عَرَضْنا الأَمانَةَ عَلَى السَّمَواتِ وَالأَرْضِ وَالجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها ، وَأَشْفَقْنَ مِنْها ، وَحَمَلَها الإِنْسانُ ، إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً ).

بارَكَ الله لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولِي قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

## الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِـمِينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الـصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ ،

وَ أَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَـشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَـرَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَ بَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

عِبَادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى اتَّقُـوا الله مِـنْ سَمَـاعِ اللَّغْـوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : إِنَّ مِنَ الأَمانَةِ الَّتِي أَنْعَمَ الله بِها عَلَيْنا المَواهِـبُ العَظِيمَـةُ وَالهِباتُ الجَزِيلَةُ وَما حَبانا بِهِ مِنْ أَمْوالٍ وَأَوْلادٍ ، يَجِبُ أَنْ نُسَخِّرَها فِي قُرُبـاتِ الله ، وَأَنْ نَسْتَخْدِمَها فِي مَرْضاتِهِ تَعالَى ، وَإِنِ امْتُحِنَّا بِنَقْصِ شَيء مِنْها فَلِلَّهِ مـا أَخَـذَ وَلَـهُ أَعْطَى :[1]

وَما المالُ وَالأَهلونَ إِلّا وَدائِعٌ ❋ وَلا بُدَّ يَوماً أَن تُرَدَّ الوَدائِعُ

(١) هذا البيت من البحر الطويل ليزيد بن الحكم الثقفي .

" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ الله عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[١] .

وَمِنَ الأَمانَةِ أَنْ تَحْفَظَ حُقُوقَ المَجالِسَ الَّتِي تَشارِكُ فِيهَا فَلا تَدَعُ لِسانَكَ يُفْشِي أَسْرَارَها ، وَيَسْرُدُ أَخْبارَها ، فكَمْ مِنْ حبالٍ تَقَطَّعَتْ ، وَمَصالِحَ تعَطَّلَتْ ، وَصَدَاقاتٍ تَمَزَّقَتْ ، لِاسْتِهانَةِ بَعْضِ الناسِ بِأَمانَةِ المَجالِسِ ، قالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ :(( إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ)) [٢]وَقالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ((الْمَجالِسُ بِالْأَمَانَةِ إِلَّا ثَلَاثَةَ مَجَالِسَ مَجْلِسٌ يُسْفَكُ فِيهِ دَمٌ حَرَامٌ وَمَجْلِسٌ يُسْتَحَلُّ فِيهِ فَرْجٌ حَرَامٌ وَمَجْلِسٌ يُسْتَحَلُّ فِيهِ مَالٌ مِنْ غَيْرِ حَقٍّ)) [٣].

وَهُناكَ أَمانَةٌ عُظْمَى فِي نَظَرِ الإِسْلامِ لَها قَداسَتُها أَلا وهِيَ العَلاقَةُ الزَّوجِيَّةُ فَما يَضُمُّهُ البَيْتُ مِنْ شُئُونِ العَشْرَةِ بَينَ الرَّجُلِ وَامْرَأَتِهِ ، يَجِبُ أَنْ يُطْوَى وَلا يُرْوَى ، فَلا يَطَّلِعُ عَلَيهِ أَحَدٌ مَهْما قَرُبَ ، وَلَكِنَّ السُّفَهاء مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ يُثَرْثِرُونَ بِما يَقَعُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِهِمْ مِنْ أَسْرارٍ وَأَخْبارٍ سِيَّما بَعْدَ الفِراقِ وَالخِلافِ وَالمَوتِ ، وَفِي هَذا المَقامِ يَقُولُ الصَّادِقُ الأَمِينُ ، أَفْضَلُ النَّبِيّينَ مُحَمَّدٌ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ (( إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الأَمانَةِ عِنْدَ الله يَومَ القِيامَةِ : الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتَفْضِي إِلَيهِ ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّها )). رَواهُ مُسْلِمٌ [٤].

---

(١) سورة الأنفال آية (٢٧).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب في نقل الحديث ، والترمذي في سننه كتاب البر والصلة ، باب ما جاء أن المجالس أمانة وقال هذا حديث حسن وإنما نعرفه من حديث ابن أبي ذئب .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده في باقي مسند المكثرين، أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب في نقل الحديث .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب النكاح ، باب تحريم إفشاء سر المرأة .

واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ الْمُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و انْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ .اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَلِي ، والمَقَامِ الأَفْضَلِ : سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِي ، وعَنْ رَيْحَانَتَي نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّةِ ، أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ ، وأَبِي عَبْدِاللهِ الحُسَيْنِ ، وعَلَى أُمِّهِمَا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ المُخْتَارِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِي عَمَارَةَ الحَمْزَة ، وأَبِي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِيَّةِ العَشَرَةِ المُبَشَّرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيّكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ طَلْحَةَ والزُّبَيرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْمَنِ وأَبِي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ رِضْوَان اللهِ تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّةِ ، و يَا مُجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّسْ هَمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَا بِالعَفْوِ والغُفْرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الجِنَانِ .اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ ، والمُسْلِمِينَ والمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَافِر الذُّنُوبِ و

الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ . اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانَنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرَ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ . اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَـينَ قُلُوبنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَـافِ مُبْتَــلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَ وَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَـا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَونَاً ومُعِيناً لَـهُ ، واخْـذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ .اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْــمَةَ ولَا تَجْعَلْنَـا مِـنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثَاً مُغِيثاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّــاً دَائِمَــاً مُبَارَكَـاً فِيــهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ .﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَـــــــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْـكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

# الأَمَانَـةُ بِمَفْهُومِهَا الوَاسِعِ

## الـخُطْبَـــةُ الأُوْلَى

الحمدُ لله حَثَّنا عَلى التَّخَلُّقِ بِصِفَةِ الأَمانَةِ ، وَنَهانا عَنْ سُوءِ خُلُقِ الخِيانَـةِ ؛ لأَنَّ الأَمانَةَ خُلُقُ الكِرامِ ، وَالخِيانةُ صِفَةُ اللِّئامِ .

وَأَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيـكَ لَـهُ ، أَمَرَنـا بِـأَوامِرَ لَـوْ الْتَزَمْنـا بِها وَسِرْنا عَلَى جَادَّتِها عِشْنا أَعِزَّةً أَكْرَمِينَ، وَجَمَعْنَا بَيْنَ سَعادَةِ الـدُّنْيا وَالـدِّينِ وَالنَّجـاةِ يَوْمَ الفَـزَعِ الأَكْـبَرِ وَالْهَـوْلِ العَظِـيمِ ، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[1].

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، جَمَـعَ مَكـارِمَ الأَخْـلاقِ كُلَّهـا ، فَهُـوَ الأُسْوَةُ الحَسَنَةُ لأُمَّتِهِ فِي أَخْلاقِهِ ، وَالقُدْوَةُ المُثْلَى لأَتْباعِهِ فِي صِفاتِهِ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَـلى سَـيِّدِنا مُحَمَّـدٍ وَعَـلى آلِـه الأَطْهـارِ وَصَـحابَتِهِ الأَخْيارِ ، الَّذِينَ آزَرُوهُ وَنَصَرُوهُ و وَاتَّبَعُـواْ النُّـورَ الَّـذِي أُنْـزِلَ مَعَـهُ ، أُولَئِـكَ هُـمُ المُفْلِحُونَ .

أما بعد : فأُوصِيكُمْ أَيُّهـا المُـسْلِمُونَ ونَفْسِيَ بِتَقْـوَى الله تَعَـالَى ، فَإِنَّهـا أَعْظَـمُ القُرُباتِ إِلى الله تعالَى ، وَالسَّبِيلُ إِلَى الـمَثُوباتِ وَرِضَاهُ تَعَالَى فَخُـذُوا مِنْهـا بِـأَوْفَرِ حَظٍّ ، وَأَكْبَرِ نَصِيبٍ ، تَنالُوا السَّعادَةَ فِي اليَوْمِ الرَّهِيبِ العَصِيبِ .

---

[1] سورة الشعراء آية ( ٨٨- ٨٩ ).

يا عِبادَ الله : يَقُـولُ الله تَعَـالَى وَهُـوَ أَصْـدَقُ القـائِلِينَ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[١].

لَقَدْ جاءَ الإِسْلامُ بِشَرِيعَةٍ سَمْحَةٍ بَيَّنَتْ الحسَنَ وَأَقَرَّتْ الحَقَّ وَالْعَدْلَ فَمَنَعَـتْ اعْتِدَاءَ الأَقْوِياءِ عَلَى الضُّعَفاءِ ، وَأَنْصَفَتِ المَظْلُومِينَ مِنَ الظَّالِمِينَ وَأَعْطَـتْ كُـلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَقَرَّرَتْ مَبادِئَ سامِيَةً، تَنْشُرُ بَيْنَ النَّاسِ المَوَدَّةَ و تَبُثُّ فِيهِمْ رُوحَ المَحَبَّـةِ، وَتَجْعَلُ العَلاقَةَ القائِمَةَ بَيْنَهُمْ قائِمَةً عَلَى الثِّقَةِ المُتبادِلَةِ ، وَالأُخُوَّةِ الصَّادِقَةِ الخالِـصَةِ ، يُحافِظُ كُلّ إِنْسانٍ عَلى حُقُوقِ غَيرِهِ مـنَ المُـواطِنِينَ ، وَيَعْـرِفُ مَـا لَـهُ ومـا عَلَيـهِ ؛ فَبِذَلِكَ اطْمَأَنَّتْ النُّفُـوسُ وَسَـلِمَتْ الأَرْواحُ وَالأَمْـوالُ وَالأَعْـراضُ ، وَوَضَـحَ لِلنَّاسِ المَنْهَجُ القَوِيمُ لِلآدابِ وَالأَخْلاقِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ رَسُـولُ الإِسْـلامِ عَلَيـهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَأَزْكَى السَّلامِ قَبْلَ أَنْ يُغادِرَ هَذِهِ الـدَّار ، وَيَتَّجِـهُ إِلَى دَارِ القَـرارِ:(( تَرَكْتُكُمْ عَلَى الـمَحَجَّةِ البَيْضاءِ لَيْلُها كَنَهارِها ))[٢] صَدَقْتَ يا رَسُـولَ الله لَمْ تَتْرُكْنـا إِلا بَعْدَ أَنْ أوضَحْتَ لَنا كُلَّ شَيءٍ ، وَلَمْ تُغادِرْنا حَتَّى أَنَرْتَ لَنـا الطَّرِيـقَ ، وَمَهَّـدتَ لَنا السَّبِيلَ ، كَيْ لا تَزِلَّ أَقْدامُنا وَتَتَعَثَّـرَ خُطَانـا، فَنَـتَرَدَّى فِي حَـضِيضِ الرَّذِيلَـةِ ، و نَتِيـهَ فِي صَحارِي الجَهْلِ وَمَتاهاتِ الضَّلالِ وَالتَمَزُّقِ وَالتَّفَكُّكِ ، نَـشْهَدُ أَنَّـكَ قَـدْ

---

[١] سورة الأنفال آية ( ٢٧).

[٢] جزء من حديث رواه الإمام أحمد في المسند (مسند الشاميين)(حديث العرباض بن سارية عن النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم) بـرقم (١٦٥١٩) بلفظ: (( وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظةً ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب؛ قلنا يا رسول الله إن هذه لموعظةُ مُودعٍ فماذا تعهد إلينا؟ قال:" قد تركتُكُم على البيضاءِ ليلُها كنهارها لا يزيغُ عنها بعـدي إلا هالـكٌ ومـن يعـشْ مـنكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين وعليكم بالطاعة وإن عبداً حبـشياً عـضُّوا عليهـا بالنواجذ فإنما المؤمن كالجمل الأَنِفِ حيثما انقِيدَ انقادَ )) ، و رواه ابن ماجة في مقدمـة سـننه بـاب ( إتِّبـاع سـنة الخلفـاء الراشـدين المهديين ) برقم (٤٣).

بَلَّغْتَ الرِّسالَةَ ، و أَدَّيْتَ الأَمانَةَ ، وَهَدَيْتَ الأُمَّةَ ؛ فَجَزَاكَ الله عنَّا أفضَلَ ما جَـزَى نبيّاً عن قومِهِ و رَسُولاً عن أُمَّتِــهِ .

إِلا أَنَّنَا أَحْيانـاً نَتَنكَّـرُ أَوْ نُنْكِـرُ أَصْـلَنا ، وَأَحْيانـاً نَتَجاهَـلُ أَوْ نَجْهَـلُ أَنْفُـسَنا وَرِسالَتَنا ، و ما نَحْمِلُهُ مِنْ أَماناتٍ مَنُوطَةٍ بِأَعْناقِنا .

نَعَمْ إن مِنْ أَجَلِّ صِفاتِ الْمُسْلِمِ الَّتِي حَثَّتْ عَلَيها شَرِيعَتُنا ، شَرِيعَـةُ الإِسْـلامِ الخالِدَةِ هِيَ صِفَةُ الأَمانةِ ، وَالأَمانةُ فِي حَقِيقَتِها شُعُورُ المَرْءِ بِتَبِعَتِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُوْكَـلُ إِلَيهِ ، فَيُراقِبُ رَبَّهُ الَّذِي يَطَّلِعُ عَلَى سِرِّهِ وَعَلانيَّتِهِ ، وَيَعْلَمُ نَجْـوَاهُ وخَلَجَـاتِ نَفْـسِهِ

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾[1]

وَلِكَي يَتَخَلَّقَ الإِنْسانُ بِصِفَةِ الأَمانةِ ؛ عَليهِ أَنْ يَكُونَ ذا ضَمِيرٍ حَيٍّ يَقِظٍ، يَدْفَعُهُ إِلَى فِعْلِ الخَيْرِ وَاجْتِنابِ الشَّرِّ ، وَيُحَفِّزُهُ إِلَى أَنْ يُؤَدِّيَ مـا عَلَيـهِ مِـنْ واجِبـاتٍ تجـاهَ رَبِّـهِ وَدِينِهِ، وَنَفْسِهِ، وَأَهْلِهِ، وَوَطَنِهِ، وَمُجْتَمَعِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ بِعَزِيمَةٍ صـادِقَةٍ وَهِمَّـةٍ عالِيَـةٍ ؛ ونَتِيجَةُ هَذا الضَّمِيرِ الحَيِّ وَثَمَرَته مُراقَبَةُ الله رَبِّ العـالَمِينَ هَـذِهِ المُراقَبَـةُ الَّتِـي تَـدْعُو إِلَى أَداءِ الواجِبِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ وَأَحْسَنِهِ ، وَلَو نَامَتْ أَعْيُنُ الرُّقَبـاءِ، وتُبْعِـدُ الإِنْـسانَ عَـنِ الوُقُوعِ فِي الجَرائِمِ وَالشُّرُورِ؛ وَلَوْ سَنَحتْ لَهُمْ الفُرَصُ وَغَفَلَ عَنْهُمْ الـحُـرَّاسُ .

وَالأَمانةُ هِيَ الخُلُقُ الَّذِي يَتَـوَاصَى الْمُـسْلِمُونَ بِرِعايَتِـهِ ، وَيَـسْتَعِينُونَ الله عَـلَى حِفْظِهِ، فَإِذا ما أَرادَ صَدِيقٌ أَنْ يُوَدِّعَ صاحِبَهُ الْمُسافِـرَ لَمْ يَجِدْ خَيْراً مِنَ الدُّعاءِ لَهُ بِـأَنْ يَحْفَظَ الله لَهُ نِعْمَةَ الأَمانةِ .

---

(١) سورة الأنعام آية (٣).

وَقَدْ عَلَّمَنا رَسُولُ الله ﷺ هَذا الدُّعاءَ بِقَولِهِ لِلْمُسافِرِ: (( أَسْتَوْدِعُ الله دِيْنَكَ وَأَمَانَاتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ ))[1] وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ قالَ: ما خَطَبَنا رَسُولُ الله ﷺ إلا قالَ: (( لا إِيْمانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ و لا دِيْنَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ ))[2].

وَكَثِيراً ما كان الرَّسُولُ يَسْتَعِيذُ مِنَ الخِيانةِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى سُوءِ المُنْقَلَبِ فِي الآخِرَةِ، كَما يَسْتَعِيذُ مِنْ شَقاءِ العَيْشِ فِي الدُّنْيا فَقَدْ قالَ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (( اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، و أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخِيانةِ؛ فَإِنَّها بِئْسَت البِطانةُ ))[3].

وَالأَمانةُ صِفَةُ الأَنبِياءِ وَالرُّسُلِ فَهُمْ فِي الذِّرْوَةِ العُلْيا مِنْ مَكارِمِ الأَخْلاقِ، وَلِهَذا كانتْ مِن صِفاتِهِمْ الواجِبَةِ لَهُمْ الَّتِي تُمَيِّزُهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ وَقَدْ شُوهِدَتْ مَخايِلُ الأَمانةِ عَلَى مُوسَى عَلَيهِ السَّلامِ حِيْنَ سَقَى لِابْنَتَي الشَّيْخِ الصالِحِ- شُعَيْب عليه السلام - وَساعَدَهُما وَرَفَقَ بِهِما، وَكان مَعَهُما عَفِيفاً شَرِيفاً، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ مُوسَى بِالرِّسالَةِ ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في المسند (باقي مسند المكثرين) برقم (٨٣٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا ودَّع أحداً قال:" أستودِعُ الله دينَكَ وأمانَتَك وخواتيمَ عَملِكَ"، و أبو داود في سننه كتاب الجهاد بابٌ (في الدعاء عند الوداع ) رقم (٢٢٣٤) من حديث عبدالله بن الخطمي رضي الله عنه ، ورواه الترمذي في سننه كتاب الدعوات باب (ما يقول إذا ودَّع إنساناً) برقم(٣٣٦٥) من حديث سالم بن عبدالله بن عمر أنَّ ابن عمر رضي الله عنه كان يقول للرجل إذا أراد سفراً ادنُ مني أودِّعُك كما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يودِّعُنا فيقول:" أستودِعُ الله دينَكَ وأمانتَكَ وخواتيمَ عَملِكَ" و قال عقبه: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث سالم بن عبد الله.

[2] رواه الإمام أحمد في المسند (باقي مسند المكثرين)(مسند أنس بن مالك رضي الله عنه) برقم (١١٩٣٥).

[3] سنن أبي داود في كتاب الصلاة ،(بابٌ في التعوُّذ) برقم (١٣٢٣)، وسنن النسائي في كتاب الاستعاذة، باب(الاستعاذة من الخيانة) برقم (٥٣٧٤)، سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب (التعوذ من الجوع) رقم (٣٣٤٥).

لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾[1]، وهَذا سَيِّدُنا يوسُفُ عَلَيهِ السَّلامِ الكَرِيْمُ ابْنُ الكَرِيمِ ابنِ الكَرِيمِ، وَكان أَمِيناً فِي بَيْتِ العَزِيزِ بِمِصْرَ، فَحِينَما تَعرَّضَ لِمَوْقِفِ الفِتْنَةِ فِي دِينِهِ وَعِفَّتِهِ وَأَمَانتِهِ ، وَعِنْدَما تَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةُ العَزِيزِ رَدَّ عَلَيْها بِقُوَّةٍ وَإِيمانٍ وأَمَانَةٍ ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[2].

أَمَّا رَسُولُنَا الأَعْظَمُ مُحمدٌ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِـهِ وَسَـلَّمَ فكَانَ يُلَقَّبُ مُنْذُ صِغَرِهِ وَقَبْلَ بِعْثَتِهِ بِالصادِقِ الأَمِينِ ، واسْتَمَرَّ هَذا اللَّقَبُ لَهُ حَتَّى مِنْ أَعْداءِ دَعْوَتِهِ الَّذِينَ اتَّهَمُوهُ بالِسّحْرِ والكَهَانَةِ، إلا أَنَّهم كانوا يُقَدِّرُونَ فِيهِ صِدْقَهُ وَأَمانتَهُ ، وَلاغَرْوَ فِي ذَلِكَ فَقَدْ مَدَحَهُ رَبُّهُ بِقَوْلِهِ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[3] .

وَالْعَرَبُ بِفِطْرَتِهِمْ الأَصْلِيَّةِ وَبِنُفُوسِهِمْ الصافِيَةِ يَكْرَهُونَ أَشَدَّ الكَراهِيَّةِ صِفَةَ الخِيانةِ وَيَعُدُّونَها مَنْقَصَةً لِلإِنْسانِ وَطَرِيقاً لَهُ يُوْصِلُ إِلَى الضِعَّةِ وَالهَوانِ .

فَهَذا هُوَ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ العامِرِيُّ الشاعِرُ العَرَبِيُّ المَشْهُورُ وَأَحَدُ الَّذِينَ عاشُوا الجاهِلِيَّةَ وَالإِسْلامَ لَمّا أَحَسَّ بِدُنُوِّ أَجلِهِ ، لَمْ يَخْتَرْ إِلا بَيْتاً واحِداً جامِعاً لأَشْرفِ ضُرُوبِ الوَفاءِ وَالأَمانةِ وَصَفَ نَفْسَهُ بِهِ وَقالَ :

---

(١) سورة القصص الآيات (٢٤-٢٦).

(٢) يوسف من الآية (٢٣).

(٣) سورة القلم آية (٤).

تَمَنَّـى ابْنَتَـايَ أَنْ يَعِـيْشَ أَبُوهُمـا وَهَلْ أَنَـا إلا مِـنْ رَبِيعَـةَ أَوْ مُـضَرْ

فَإِنْ حانَ يَوْمـاً أَنْ يَمُـوتَ أَبُـوكُما فَلا تَخْمِشَا وَجْهـاً وَلا تَحْلِقَـا شَـعَرْ

وَقُولا هُوَ المَـرْءُ الَّـذِي لا حَلِيفَـهُ أَضاعَ ، وَلا خَانَ الصَّدِيقَ وَلا غَـدَرْ

أَيُّها المُسْلِمُونَ : لَيْسَت الأَمانةُ مَقْصُورَةً عَلَى حِفْظِ الوَدائِعِ الماليَّـةِ ، وَرَدِّهـا إِلَى أَصْحابِهَا كامِلَةً ، بَلْ ذَلِكَ أَحَدُ مَظاهِرِهـا ، وَاللهُ قَـدْ أَمَرَنـا بِرَدِّهـا إِلَى أَصْـحابِهِا فَقالَ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[١].

وثَبَتَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيـهِ وَآلِـهِ وَسَـلَّمَ قـالَ :(( مَنْ أَخَذَ أَمْوالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَداءَها أَدَّى الله عنـهُ ، وَمَـنْ أَخَـذَها يُرِيـدُ إِتْلافَهـا أَتْلَفَهُ الله ))[٢] .

بَلْ إِنَّ الأَمانةَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ وَاشْمَلُ ، فَهِيَ تَكُونَ عَـلَى الـسرِّ بِـالْكِتْمان وَعَـلَى المالِ بِالْحِفْظِ ، وَعَلَى العَرْضِ بِالصِّيانةِ ، وَعَلَى الأَوْلادِ بِحُسْنِ التَّرْبِيَةِ ، إِنَّهـا تَـشْمَلُ أَمانةَ الإِنْسان عَلَى نَفْسِهِ ، وَعَلَى عَمَلِهِ ، فَكُلُّنا مُؤْتَمَنُونَ فِيْما نَقُـولُ وَنَعْمَـلُ ، فالعـالِمُ مُؤْتَمَنٌ فِيما يَعْلَمُهُ ، وَالْمُوَظَّفُ فِيما أُسْنِدَ إِلَيهِ مِنْ عَمَلٍ ، وَالطَّبِيبُ فِيما بَـيْنَ يَدَيْـهِ مِـنْ أَنْفُسٍ وَأَجْسامٍ يُعالِجُها : (وَكُلُّكُمْ راعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)[٣] ، وَاللهُ جَمَعَ كُلَّ

---

(١) سورة النساء آية (٥٨).

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه في كتاب( الاستقراض وأداء الديون والحجر و التفليس)باب (مَن أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها) برقم(٢٢١٢).

(٣)قطعة من الحديث الصحيح المشهور الذي رواه البخاري في مواضع كثيرة من صحيحه أولها في كتاب الجمعة، باب (الجمعة في المدن والقرى )برقم (٨٤٤)، و مسلم في كتاب الإمارة، باب (فضيلة الإمام العادل و عقوبة الجائر) برقم (٣٤٠٨) عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الإمام راع ومسئول عن رعيته

مَعاني الأَمانةِ مِنْ شَرائِعَ وَغَيْرِها حَيْثُ قالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴿٧٢﴾ ﴾[1] ، أَمانةُ التَّكالِيفِ هَذِهِ أَمَانَةٌ ضَخْمَةٌ فَإِذا كانتْ المَخْلُوقاتُ العَظِيمَةُ مِنَ السَّماواتِ بِما فِيهَا مِنْ شَمْسٍ و قَمَرٍ وَكَواكِبَ وَالأَرْضِ وَما فِيهَا مِنْ جِبالٍ وَبِحارٍ وَأَشْجارٍ أَشْفَقَتْ مِنْ حَمْلِ الأَمانةِ لِعِظَمِ المَسْئُولِيَّةِ ، وَحَمَلَها الإِنْسان الَّذِي يَعْرِفُ الله بِإِدْراكِهِ وَشُعُورِهِ وَعَقْلِهِ ، وَيَهْتَدِي إِلَيهِ بِمَعْرِفَتِهِ وَتَدَبُّرِهِ ، وَيَسْعَى فِي الأَرْضِ بِإِرادَتِهِ ، وَيَخْتارُ طَرِيقَهُ وَهُوَ يَعْرِفُ أَيْنَ يُؤَدِّي بِهِ هَذا الطَّرِيقِ وَبِهَذَا امْتازَ الإِنْسان عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِ الله ، وَاسْتَحَقَّ التَّكْرِيمَ الَّذِي أَعَدَّهُ لَهُ الله فِي المَلإِ الأَعْلَى ، وَهُوَ يَأْمُرُ المَلائِكَةَ بِالسُّجُودِ لآدَمَ ، وَأَعْلَنَهُ فِي القُرْآن الكَرِيمِ فِي قَولِهِ تَعالَى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾[2].

و مِنَ الأَمانةِ أَيُّها الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ : أَلا يَسْتَغِلَّ الرَّجُلُ المُسْلِمُ مَنْصِبَهُ الَّذِي عُيِّنَ فِيهِ لِجَرِّ مَنْفَعَةٍ شَخْصِيَّةٍ لَهُ ، وَأَلا يَسْتَخْدِمَ نُفُوذَهُ لِمَنْفَعَةٍ ذاتِيَّةٍ أَوْ مَحْسُوسَةٍ ، فَإِنَّ المَسَاسَ بِالمالِ العامِّ جَرِيْمَةٌ ، وَالمُجْتَمَعاتِ الَّتِي تَبْنِي نَفْسَهَا عَلى دَعائِمَ قَوِيَّةٍ مِنَ الفَضِيلَةِ وَالخُلُقِ الرَّفِيعِ تُطَالِبُ أَبْناءَها مِنَ المَسْئُولِينَ وَالمؤتَمَنِينَ عَلى مُمْتَلَكاتِ الأُمَّةِ وَالقِطاعِ العامِّ لِلدَّولَةِ أَنْ يكُونُوا ذَوِي نُفُوسٍ عالِيَةٍ وَخُلُقٍ رَفِيعٍ ، فَخَطأُ المَسْئُولِ خَطأٌ لا يُغْتَفَرُ ، وَاخْتِلاسُ مَالِ الدَّولَةِ يُعْتَبَرُ غُلُولٌ ، و يَجِبُ الأَخْذُ عَلَى

---

والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته قال وحسبت أن قد قال والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته .

(١) سورة الأحزاب آية (٧٢).

(٢) سورة الإسراء من الآية (٧٠).

يَدِهِ بِشِدَّةٍ وَمُحاسَبَتِهِ فِي الدُّنْيا؛ زِيادَةً فَوْقَ الوَعِيدِ الشَّدِيدِ مِمَّنْ لا يَخْفَى عَلَيـهِ شَيءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ وَقَدْ قالَ جَـلَّ شَـأْنُهُ: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾[1] ، وَقالَ رَسُولُ الله صَـلَّى الله عَلَيـهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مُبيناً مَعْنَى الغُلُولِ:((مَنِ اسْتَعْمَلْناهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْناهُ رِزْقاً ، فَـما أَخَـذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ ))[2] ؛لأَنَّـه اخْتِلاسٌ مِنْ مالِ الجَماعَةِ الَّـذِي يُنْفَـقُ فِي رِعايَـةِ الضُّعَفاءِ وَالفُقَراءِ ، وَيُرْصَدُ لِلْمَصالِحِ العامَّةِ

وَقَدْ شَدَّدَ الإِسْلامُ على ضَرُورَةِ التَّعَفُّفِ، وحَذَّر مِنِ اسْتِغْلالِ النُّفُـوذ و حرَّمَ الهَدايا الَّتِي تُعْطَى رِشْوَةً فِي سَبِيلِ قَضاءِ مَصْلَحَةٍ ، فَقَـدْ حَـدَثَ أَنِ اسْـتَعْمَلَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ يُقالَ لَهُ اِبْنُ اللُّتْبِيَّـةِ عَـلَى الـصَّدَقَةِ ، فَلَمَّا قَدِمَ بِها إِلى المَدِينَةِ قالَ : هَـذا لَكُـمْ ، وَهَـذا أُهْـدِيَ لِي ، قـالَ راوِي الحَـدِيثِ : فَغَضِبَ رسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقامَ خَطِيباً فحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيهِ ثُـمَّ قالَ :(( أَمَّا بَعْدُ . فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى العَمَلِ مِمَّا وَلاني الله فَيَأْتِي فيَقُولُ : هَذا لَكُمْ وَهَذَا هَدِيَّـةٌ أُهْدِيَت إِلَيَّ ، أَفَلا جَلَـسَ فِي بَيْـتِ أَبِيـهِ وَأُمِّـهِ حَتَّـى تَأْتِيَـهِ هَدْيَّتُهُ إِنْ كَانَ صَادِقاً ؟ واللهِ لا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئاً بِغَيْر حَقِّهِ إِلا لَقِـيَ الله يَحْمِلُـهُ يَومَ القِيامَةِ ، فَلا أَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ الله يَحْمِلُ بَعِيراً لَهُ رُغَاءٌ ، أَوْ بَقَرَةٌ لَها خُوارٌ

---

[1] سورة آل عمران من الآية (١٦١).

[2] الحديث رواه أبو داود في سننه كتاب (الخراج و الإمارة و الفيء) (بابٌ في أرزاق العمَّال) برقم(٢٥٥٤)، و روى الإمام أحمد في مسنده(باقي مسند الأنصار) (من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه)برقم (٢٢٤٩٥) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" هدايا العمَّال غُلول".

، أَوْ شاةٌ تَيْعَرُ ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيهِ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ (ثَلاثًا) )) [1].

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [2] وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [3].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [4]، ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [5].

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنهُ بالآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه في مواضع منها: كتاب( الهبة و فضلها والتحريض عليها)، باب (من لم يقبل الهدية لعلة) برقم (٢٤٠٧)و كتاب الحيل، باب( احتيال العامل ليُهدى إليه) برقم(٦٤٦٤)، و مسلم في كتاب الإمارة، باب (تحريم هدايا العمال) برقم (٣٤١٣).

(٢) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٣) سورة النحل الآية (٩٨).

(٤) سورة الأنفال آية (٢٧).

(٥) سورة المعارج الآيات ( ٣٢-٣٥).

## الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَـا أَجَـلَّ شَأْنَــهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَــهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الـصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَــهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَــهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ ،

وَ أَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْـفَ كُـلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ . اللَّهُمَّ صَلِّ و سَـلِّمْ وَ بَـارِكْ عَـلَى سَـيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيـلِ المُحَيَّـا والمَنْظَرِ ، وعلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ . عِبَادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْـوَى الله تَعالى اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

أَيُّها المُسْلِمُونَ : من الأَمانة ، الحَقُّ عِنْدَ المُكَلَّفِ يَتَعَلَّقُ بِهِ حَقُّ غَيْرِهِ لأَجْـلِ أَنْ يُوصِلَهُ إِلَى أَرْبابِهِ كالمْالِ وَالْعِلْمِ، وَاخْتِيارُ الصالحِينَ لِلْوَظائِفَ الخاصَّةِ وَالعامَّـةِ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الشُّورَى وَاخْتِيارُ أَصْحَابِها أَمانةٌ فِي عُنُقِ كُلِّ مَـنْ يَمْلِـكُ هَـذا الحَـقَّ، وَالتَّقْصِيرُ فِي ذَلِكَ خِيانةٌ لا تُغْتَفَرُ وقَـدْ قـالَ رَبُّنـا عَـزَّ وَجَـلَّ : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ﴾ [1].

(1) سورة البقرة آية ( ٢٨٣ ).

فالأَمانةُ الَّتِي تَتَمَثَّلُ فِي تَعْيِينِ مَنْ يَحْكُمُ بِالحَقِّ أَضْخَمُ الأَماناتِ فَمَنْ فَرَّطَ فِيهَا فَسَوفَ يُحاسَبُ أَمامَ اللهِ حِسَاباً عَسِيراً؛ قالَ تعالَى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ (١).

واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و اِنْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تكْرِيماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ .اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَلِي ، والمَقَامِ الأَفْضَلِ : سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِي ، وعَنْ رَيْحَانَتَي نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّةِ ، أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ ، وأَبِي عَبْدِاللهِ الحُسَيْنِ ، وعَلَى أُمِّهِمَا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ المُخْتَارِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِي عَمَارَةَ الحَمْزَة ، وأَبِي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِيَّةِ العَشَرَةِ المُبَشَّرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ طَلْحَةَ والزُّبَيرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْمَنِ وأَبِي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ رِضْوَان اللهِ تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّةِ ، و يَا مُجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّسْ هَمَّنَا .نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ

(١) سورة النساء آية (٥٧).

والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُـسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَـاتِ وغَافِرِ الذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَـا رَبَّ العَالَـمِينَ .اللَّهُـمَّ آمِنَّـا فِي أَوْطَانَنَـا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرَ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ . اللَّهُـمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا ، وأَلِّفْ بَـينَ قُلُوبِنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَـافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِـصْ أَسْـعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَـا ، وَ وَلِّ عَلَيْنَـا خِيَارَنَـا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَـلْ وِلَايَتَنَـا فِـيمَنْ خَافَـكَ واتَّقَـاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِينـاً لَـهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، واكْتُـبِ الـسَّلَامَةَ والعَافِيـةَ عَـلَى عَبِيـدِكَ مِـنَ الحُجَّـاجِ والغُـزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ . اللَّهُـمَّ اسْـقِنَا الغَيْـثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئَـاً ، سَـحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَـاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ .﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

عِبَـــــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ فَـاذْكُرُوا الله العَظِـيمَ الـــجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَزِدْكُمْ ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

## التكافل الاجتماعي

### الخطبة الأولى

اَلْحَمْدُ لله الذي أَمَرَنا بِالاعْتِصامِ بِحَبْلِهِ ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِنا بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ وَنَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، ذُو الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ وَالطَّوْلِ وَالإِنْعامِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ بَلَّغَ رِسالَةَ رَبِّهِ لِخَلْقِهِ ، وَأَقامَ أَمْرَ دِيْنِهِ فِي أَرْضِهِ .

اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ أَفْضَلَ الصَّلاَةِ وَأَجْمَعَها ، وَعَلَى آلِهِ أَئِمَّةِ الدِّينِ الطَّاهِرِينَ ، وَأَصْحابِهِ الثِّقاةِ الأَكْرَمِينَ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً .

أَمَّا بَعْدُ : فيأَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أُوْصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوى الله تَعالَى ، فاتَّقُوا الله حَقَّ تُقاتِهِ ، وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَقالَ تَعالَى آمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ ( **وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ، فَالَّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ، وَأَنْفِقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ** )[1] .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : هَذِهِ آيَةٌ مِنْ كِتابِ رَبِّكُمْ يَأْمُرُنا فِيها بِالإِيْمانِ بِالله وَرَسُولِهِ وَأَنْ نُنْفِقَ مِمَّا بَيْنَ أَيْدِينا مِنْ نِعْمَةٍ ائْتَمَنَنا عَلَيْها ثُمَّ يَعِدُنا إِذا اسْتَجَبْنا لأَمْرِهِ أَنْ يُضاعِفَ لَنا الأَجْرَ ، وَأَنْ يَجْزِلَ لَنا الثَّوابَ .

فَالله تَعالَى يَأْمُرُنا بِالإِيْمانِ أَوَّلاً وَلَكِن فِي هَذِهِ الآيَةِ يُقْرِنُ الإِيْمانَ بِالأَمْرِ بِالإِنْفاقِ ، وَهُوَ إِنْفاقٌ عامٌّ واسِعٌ يَزِيدُ عَلَى النِّصابِ الْمُحَدَّدِ فِي الزَّكاةِ ، وَهُوَ لاَ شَكَّ يَصْعُبُ عَلَى الإِنْسانِ بَذْلُهُ بِسَخاءٍ وَطِيبِ نَفْسٍ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ بَذْلَ المالِ يَسْهُلُ عَلَى الكَثِيرِ مِنَّا فِي المَظاهِرِ وَالمفاخِرِ الفارِغَةِ ، غَيْرَ أَنَّهُ مِنَ الْمُتَعَسِّرِ أَوِ الْمُتَعَذِّرِ أَنْ يَبْذُلَ الْمَرْءُ فِي سَبِيلِ الله أَوْ فِي مَشْرُوعٍ خَيْرِيٍّ أَوْصِلَةِ أَرْحامٍ ، أَوْ مُواساةِ مَنْكُوبٍ ، أَوْ إِنقاذِ مَتْعُوبٍ عتا عَلَيْهِ الدَّهْرُ ،

---

(١)الحديد ٧ .

وَحلَّتْ بِهِ الرَّزَايَاَ وَالبَلاَيَاَ ، وَماَ أَكْثَرُهاَ فِي مُجْتَمَعِنَا اَلْيَومَ لِغَلاَءِ الأَسْـعاَرِ وَقِلَّـةِ المَـوارِدِ ، وَكَثْرَةِ الطَّلبَاتِ الضَّرُورِيَّةِ بِكَثْرَةِ الأَفرادِ وَالسُّكاَّنِ ، وَلَكِنَّهُ قَـدْ يُنْفِـقُ اَلمْبـاَلِغَ الطَّائِلَـةَ فِي بَعْضِ المَظاَهِرِ التَّافِهَةِ وَالمُجـاَمَلاتِ الفارِغَـةِ ، فَيَجِـبُ عَلَيْنـاَ نَحْـنُ المُـسْلِمِينَ أَنْ نَلْتَـزِمَ بِمَبَادِئِ مِنَ التَّكافُلِ الاجْتِماَعِي ، لاَسِيَّماَ فِي الأَوْقاَتِ غَيرِ العاَدِيَةِ ، وَالأَوْقـاَتِ العَـصِيبَةِ فَالإِسْلاَمُ نِظاَمٌ كاَمِلٌ مُتكامِلٌ لا يَحْتاَجُ إِلَى مَنْ يُكَمِّلُهُ ، بِنَظَرِياَّتٍ شَرْقِيَّةٍ أَوْ غَرْبِيَّةٍ ، فَهُـوَ مُسْتَغْنٍ لَوْ رَجَعْناَ إِلَيْهِ وَإِلَىَ دُسْتُورِهِ ، فَقَدْ جاَءَ فِي نِظاَمِهِ التَّكاَفُـلُ وَالتَّنـاَصُرُ الاجْتِماَعِـي بَيْنَ الفَرْدِ وَالجْماَعةِ ، وَبَيْنَ الجماَعَةِ والفَرْدِ ، وَأَوْجَبَ لِكُلٍّ مِنْهُماَ حُقُوقاً ، وَحَمَّلَهُ تَبعـاَتٍ ، وَأَوْجَبَ أَنْ يراَعِي مَصاَلِحَ الجماَعَةِ كاَلْمَصْلَحَةِ الخاَصَّةِ ، وَلاَ يَفْعَلَ ماَ يَـضُرُّ بـاِلآخَرِينَ ، لأَنَّ الضَّرَرَ يَناَلُهُ كَماَ يَناَلُ الآخَرِينَ ، وَالسَّلاَمَةَ تَشْمَلُهُ كَـماَ تَـشْمَلُهُمْ ، فَهَـذاَ رَسُـولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ يُصَوِّرُ لَناَ اَلتَّكاَفُلَ الاجْتِماَعِيَّ أَوْضَحَ تَصْوِيرٍ بِأَجْمَلِ تَعْبِـيرٍ فَيَقُـولُ : ( مَثَلُ القاَئِمِ عَلَى حُدُودِ الله ، وَالْواَقِعِ فِيهَا كَمَثَـلِ قَـوْمٍ اسْـتَهَمُوا فِي سَـفِينَةٍ ، فَأَصـاَبَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا ، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهاَ ، فَكاَنَ اَلَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذاَ اسْتَقَوْا مِنَ الماَءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقاَلُوا : لَوْ أَناَ خَرَقْنَا فِي نَصِيبِناَ خَرْقاً وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ؟ فَإِنْ تَرَكُـوهُمْ وَمـاَ أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَواْ جَمِيعًا ) [1]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ قاَلَ : قاَلَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيـهِ وَسَـلَّمْ مَنْ كاَنَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ وَمَنْ كاَنَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِـهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ ، قاَلَ أَبُو سَعِيدٍ راَوِي الْحَدِيثِ : فَذَكَرَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمْ أَصْنَافًا مِنَ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ . أخرجه مسلم [2] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الشركة ، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب اللقطة ، باب استحباب المؤاساة بفضول المال .

يُشِيرُ هَذاَ الحَدِيثُ الشَّرِيفُ إِلَى أَنَّـهُ فِي الأَوْقـاَتِ غَـيْرِ العَادِيَـةِ كَأَوْقـاَتِ الحُـرُوبِ وَالنَّكَباَتِ ، وَغَلاَءِ الأَسْعاَرِ الفاَحِشِ مَثَلاً يَكُونُ لإِنْساَنٍ اَلْحَقُّ فِي الاحْتِفـاَظِ بِـمَا يَحْتـاَجُ إِلَيْهِ مِنْ ماَلٍ أَوْ زاَدٍ أَوْ مَتاَعٍ ، يَعُودُ بِهِ عَـلَى نَفْـسِهِ وَعَـلَى مَـنْ يَعُـولُهُمْ مِـنْ أبنائـهِ وأسرتـهِ ، يُطعمهم ويَكسُوهم ويوفِّرُ لهم الضروري من العلاجِ والتعليمِ وغـيرِ ذلـك ، وكـل مـا زادَ على ما هو ضروري ، وفَضُلَ عن حاجةِ الإنسانِ ، ينبغي أن يعودَ بهِ على مَنْ هـم في حاجـةٍ إليهِ ، وقد ضربَ لنا النبيُّ صلى الله عليه وسلم الأمثلةَ لأوقاتِ الشدَّةِ ، فبيَّنَ أنَّ المـسافرَ إذا كانَ لديهِ مركوبٌ لا يحتاجُ إليهِ أعطاهُ من يحتاجُ إليهِ من إخوانهِ ورفقائهِ في الـسفر ، أو حملَـهُ معه على مركوبهِ إن كانَ قوياً ، وينبغي أَنْ نتخلقَ بأخلاقِ رسـولنِا عليـه الـصلاة والـسلام ونهتديَ بهديهِ ، فالناسُ في حياتِهم هذه أشبهُ بمسافرينَ مشتركينَ في رحلةٍ أو عملٍ جماعي ، لابدَّ أنْ نتعاونَ ونتساعدَ ونتكاتفَ ، ويساعدُ القويُّ الضعيفَ والغنيُّ الفقيرَ .

عن جابرِ بن عبدالله رضي الله عنه قال : أرادَ النبي صـلى الله عليـه وسـلم الغـزوَ فقال : (( يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ إِنَّ مِنْ إِخْوَانِكُمْ قَوْمًا لَيْسَ لَهُمْ مَالٌ وَلَا عَـشِيرَةٌ فَلْيَضُمَّ أَحَدُكُمْ إِلَيْهِ الرَّجُلَيْنِ أَوْ الثَّلَاثَةِ )) ، قـال جـابرٌ راويُ الحـديث : فَـضَمَمْتُ إِلَيَّ اثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً قَالَ مَا لِي إِلَّا عُقْبَةٌ كَعُقْبَةِ أَحَدِهِمْ مِنْ جَمَلِي. أخرجه أبو داود[1] ، ومثلُ أيامِ الحروبِ الأحوالُ العصيبةُ حين تحل الكوارثُ ، وتنزلُ بالناس فيحتاجون إلى التنـاصرِ والبذلِ والتعاونِ ، فإنَّ رعايةَ الضعفاءِ واجبةٌ على الأقوياءِ فِي أَيَّامِ الحَرْبِ وَالسِّلْمِ ، فَإِذاَ عَطَفُوا عَلَيْهِمْ وَرَحِمُوْهُمْ قَوِيَتْ اَلْمَحَبَّـةُ فِي الجَماَعَـةِ ، وَنُبِـشَتْ الأَحْقـاَدُ وَالـضَّغاَئِنُ مِـنَ القُلُوبِ ، وَقَدَ وَصَّى عَلَيهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِالرِّفْقِ بِالضُّعَفاَءِ في السير فَقاَلَ (يـا أَنْجَـشُ

(١) في سننه كتاب الجهاد ، باب الرجل يتحمل بمال غيره يغزو .

رُوَيْدَكَ سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ )[1] فَلاَ تَسِيرُ القَافِلَةُ إِلاَّ بِحسَبِ قُدْرَةِ وَاحْتِمَالِ أَضْعَفِهَا مِنَ النساءِ وكذلك الشُّيُوخِ وَالْمَرْضَى ، بَلْ إِنَّهُ دَعَانَا إِلَى الرِّفْقِ بِالنَّاسِ حَتَّى فِي العِبَادَةِ ، فَقَالَ : إِذاَ صَلَّى أَحَدُكُمْ بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمْ السَّقِيمَ وَالشَّيْخَ الكَبِيرَ وَذاَ الحاَجَةِ )[2].

وَدَعاَ الله سُبْحاَنَهُ وَتَعَالَى إِلَى الرِّفْقِ بِالْيَتَامَى وَالسَّائِلِينَ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٌ :( **فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ** ) كَماَ دَعاَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمْ إِلَى تَفْرِيجِ كُرْبَةِ المَكْرُوبِينَ فقَالَ ( مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)رواه مسلم[3] .

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : اَلْمَاَلُ ماَلُ الله(( وَالخلق جَمِيعاً عِياَلُ الله ، وَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِياَلِهِ ))[4]، فاَلْمَاَلُ وَإِنْ رُبِطَ بِاِسْمِ شَخْصٍ مُعَيَّنٍ ، فَإِنَّمَا هُوَ فِي الحَقِيقَةِ لِجَمِيعِ عِبَادِ الله ، يَنْبَغِي أَنْ يَنْتَفِعُوا بِهِ جَمِيعاً وَيُحَافِظُوا عَلَيْهِ جَمِيعًا ، وَتَحْقِيقاً لِاِنْتِفَاعِ المُسْلِمِينَ بِهِ حاَرَبَ الإِسْلاَمُ فِي مَالِكِيهِ خُلُقَ الشُّحِّ الَّذِي يَمْنَعُ عَنِ البَذْلِ وَالإِنْفَاقِ ، كَماَ حاَرَبَ السَّفَهَ وَالتَّصَرُّفَ فِي المَالِ بِدُونِ عَقْلٍ وَرَوِيَّةٍ مِمَّا يُبَدِّدُ اَلْمَاَلَ فِي غَيْرِ وُجُوهِ الخَيْرِ وَالنَّفْعِ .

فَأَمَرَ الإِسْلاَمُ بِبَذْلِ المَالِ لِلأَقَارِبِ المُحْتَاجِينَ وَالمُساَكِينِ وَأَبْناَءِ السَّبِيلِ وَالْمَنْكُوبِينَ ، فَإِذاَ اضْطَرَّ الإِنْسَانُ إِلَى الأَعْرَاضِ عَنْ إِعْطَائِهِمْ لِعَدَمِ وُجُودِ شَيْءِ مِنَ المَالِ عِنْدَهُ ، أَوْ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب ، باب من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرفا .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده في باقي مسند المكثرين في مسند أبي هريرة .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب العلم ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه .

(٤)أخرجه أبو يعلى (٦/ ٦٥ ، رقم ٣٣١٥) ، قال الهيثمى (٨/ ١٩١) : رواه أبو يعلى والبزار ، وفيه يوسف بن عطية الصفار ، وهو متروك . وأخرجه أيضًا : البيهقى شعب الإيمان (٦/ ٤٣ ، رقم ٧٤٤٥) .

لِانْتِظَارِ رِزْقٍ جَدِيدٍ يَأْتِيهِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَعْتَذِرَ إِلَيْهِمْ فِي لُطْفٍ ، وَأَنْ يَعِـدَهُمْ بِالإِعْطَـاءِ عِنْـدَ المَيْسَرَةِ ، كَمَا نَهَى الإِسْلاَمُ عَنِ الإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ ، فما يَنْبَغِي أَنْ يُنفقَ المُسْلِمُ المـاَلَ طَلَبـاً لِلشُّهْرَةِ وَالْفَخْرِ أَوْ فِي أُمُورٍ لاَ خيرَ فِيهَا لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالأُخْرَى ، فَبِذَلِكَ يُعَرِّضُ المُبَذِّرُونَ أَنْفُسَهُمْ لِلْفَقْرِ وَالخَرَابِ ، وَمَثَلُهُمْ حِينَئِـذٍ مَثَـلُ الـشَّيَاطِينِ فِي خُـرُوجِهِمْ عَـنْ طَاعَـةِ الله ، لأَنَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الكُفْرُ بِنِعْمَةِ الله ، وَالإِفْسَادُ وَالْفَسَادُ فِي الأَرْضِ ( **وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوْا لَمْ يُسْرِفُوْا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً** )[1]. وَلَقَدْ صَوَّرَ القُرْآنُ الحَالَيْنِ : حَـالَ الإِسْرَافِ وَالتَّقْتِيرِ أَبْلَغَ تَصْوِيرٍ ، فَجَعَلَ يَدَ البَخِيلِ كَأَنَّهَا مَرْبُوطَةٌ إِلَى عُنُقِهِ لاَ يَـسْتَطِيعُ مَـدَّهَا وَيَـدَ المُسْرِفِ كَأَنَّهَا مَبْسُوطَةٌ كُلَّ البَسْطِ كَالمَشْلُولَةِ لاَ تَنْطَوِي عَلَى شَيْءٍ ، وَلاَ تُمْسِكُ شَيئاً، وَكُلٌّ مِنَ المُسْرِفِ وَالمُقَتِّرِ يَنْتَهِي أَمْرُهُ إِلَى الحسرةِ وَالنَّدمِ فَالْبَخِيلُ مَلُومٌ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ مَنَعَهُمْ ، مَحْسُورٌ مُنْقَطِعٌ عَنِ النَّاسِ لاَ يَتَّصِلُونَ بِـهِ وَلاَ يَحْتَرِمُونَـهُ ، وَالمُـسْرِفُ مَلُـومٌ أَيْـضاً مِـنَ النَّاسِ لأَنَّ الإِسْرَافَ يُضَيِّعُ مَالَهُ وَيَحطُّ مِنْ شَأْنِهِ ، فَيَلُومُهُ غَيْرُهُ لأَنَّهُ أَفْقَرَ نَفْسَهُ بَعْدَ غِنًى ، وَأَذَلَّهَا بَعْدَ عِزٍّ ، وَلَمْ يَعْرِفْ قِيمَةَ المَالِ ، وَأَصْبَحَ كُلٌّ مِنْهُمَا مَلُومٌ مَحْـسُورٌ فِي الـدُّنْيَا لِـضَياعِ الفُرَصِ وَبِغَضِّ النَّاسِ لَهُمَا ، وَفِي الآخِرَةِ كَذَلِكَ بِعِقَابِ الله لَهُمَا لأَنَّهُمَا لَمْ يَعْرِفَا حَـقَّ نِعْمَـةِ المَالِ الَّذِي اسْتَودَعَهاَ الله عَلَيْهِ وَلَمْ يُحْسِنَا اسْتِعْمَالَهُ كَمَا أَمَرهما ، وَلأَنَّ المَالَ مـاَلُ الله تَعَـالَى كَمَا قُلْنَا يَجِبُ أَنْ نُقَابِلَ العَطاَءَ مِنْهُ بِالرِّضاَ وَالشُّكْرِ ، فَيُعْطِي الله المـاَلَ لِمَـنْ يَـشاَءُ بِكَثْـرَةٍ ، وَيُعْطِيهِ فِي قِلَّةٍ ماَ يَشاَءُ ، لِحِكْمَةٍ يرَاهاَ هُوَ تَعَالَى سُبْحانَهُ وَتَغيبُ عَنَّا لِعَدَمِ فَهْمِناَ بِمَـصائِرِ الأُمُورِ وَقِصَرِ نَظَرِناَ المَحْدُودِ ، فَرُبَّ غَنِيٍّ أَبْطَرَهُ غِناَهُ ، وَرُبَّ فَقِيرٍ زَلَّ بِهِ فَقْرُهُ عَلَى هاَوِيَةِ الكُفْرِ ، فَعَلَى كُلِّ إِنْسانٍ الرِّضاَ وَالشُّكْرِ بِماَ قَسَمَ الله وَبِماَ هُـوَ فِيـهِ ، فـاَللهُ سُـبْحانَهُ خَبِـيرٌ بِعِبادِهِ ، بَصِيرٌ بِماَ يَصْلُحُ شُؤُنَهُمْ فِي الدِّينِ وَالدُّنْياَ ( **لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ** )

---

(١)الفرقان ٦٧ .

إِنَّ أَحْسَنَ الكَلاَمِ لَفْظاً وَوَقْعاً ، وَأَحْلَى البَيَانِ سَمْعاً وَنَفْعاً ، كَلاَمُ مِنْ عَنَتِ الوُجُوهِ لجلاَلَه إِكْرَاهاً وَطَوْعاً.

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَـدِي المُهْتَـدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [1] وَقالَ عَـزَّ مِـنْ قَائِـلٍ كَـرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ (٩٨) ﴾ [2].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

**﴿ وَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ وَالِمْسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ، إِنَّ المُبَـذِّرِينَ كَـانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينَ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ، وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاَءَ رَحْمَةٍ مِـنْ رَبِّـكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً ، وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ ، فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ﴾** [3] .

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الحَكِـيمِ ، أَقُولِي قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْـتَغْفِرُوهُ إِنَّـهُ هُـوَ الغَفُـورُ الرَّحِيم .

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣)الإسراء( ٢٦-٢٧-٢٨)

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلَّ مَن جَحَدَ به وكَفَـرَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيـلِ المُحَيَّا والمَنْظَـرِ ، وعَـلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أما بعدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى ، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : واجَهَ رَسُولُ الإِسْلاَمِ عَلَيْـهِ أَفْـضَلُ الـصَّلاَةِ وَالـسَّلاَمِ مُنْـذُ الخطْوَةِ الأُوْلَى فِي دَعْوَتِهِ حِرْصَ بَعْضِ النَّاسِ عَلَى المَـالِ وَالتَّمَلُّـكِ الجَـشعِ وَالاسْـتِئثَارِ بِالطَّيِّبَاتِ ، فَدَعاهُمْ إِلَى السَّخاءِ بِأَمْوالِهِمْ إِنْفاقاً وَبَذْلاً ( **فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُـوا لَهُـمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ** )[1].

وَقَدْ وَضَعَ الإِسْلاَمُ تَشْرِيعَاتٍ عادِلَةً لَيْس فِيهَا مَساَسٌ بِحُرِيَّةِ المَالِكِ ، أَوْ تَحُـدُّ مِـنْ نَشاَطِهِ وَتَمَلُّكِهِ كَماَ هُوَ الحاَلُ فِي بَعْـضِ الـنُّظَمِ ، وَلَـيْسَ فِي التَّـشْرِيعِ الإِسْـلاَمِيِّ التَّمَلُّـكُ

---

(١)الحديد ٧ . } (٧٦) سورة القصص

مُطْلَقاً دُونَ قُيُودٍ ، فَوَضَعَ حَدًّا لِطَمَعِ الطَّامِعِينَ وَجَشَعِ الجشَعِينَ الَّذِي طالَمَا سَيْطَرَ عَلَى الإِنْسانِ ، وَلَكِنَّهُ الدِّينُ الوَسَطُ فَلاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرارَ ، وَلاَ إِفْرَاطَ وَلاَ تَفْرِيطَ .

وَمِمَّا يُوَجِبُهُ الإِسْلاَمُ أَنْ يُوَظَّفَ المَالُ لِمَصْلَحَةِ الأُمَّةِ جَمْعاَءَ ، وَحَذَّرَ فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ أَلاَّ تَنْشَأ فِي المُجْتَمَعِ الإِسْلاَمِيِّ طَبَقَاتٌ مُتْخَمَةٌ مِنَ الأَغْنِياءِ المُتْرَفِينَ ، وَبجانِبِهِمْ طَبقَاتٌ أُخْرَى مِنَ المُعْدَمِينَ الفُقَراءِ كَمَا هُوَ الحَالُ فِي كَثِيرٍ مِنَ المُجْتَمَعاتِ الْيَومَ فَالثَّراءُ الفاحِشُ وَالْكَنْزُ قَرِينٌ لِلْفَسادِ وَالطُّغْيانِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمانِ ، قاَلَ تَعالَى ( **﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ الله لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ *وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ الله الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ الله إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ الله لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**)[1].

وَكَمْ فِي الدُّنْياَ الْيَومَ مِنْ أَمْثَالِ قارُونَ كَنْزاً وَطُغْيانًا فَإِنْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ مَلَكُوا الدُّنْياَ ، فلَقَدْ خَسَرُوا الآخِرَة بِمَا كَنَزُوْا وَبِماَ طَغَوْا وَصَدَقَ الله العَظِيمُ إذ يقول : (**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** )[2].

أَيُّهاَ المُسْلِمُونَ لَقَدْ فَهِمَ أَسْلاَفُنَا حَقِيقَةَ وُجُودِهِمْ كَماَ أَرادَ الإِسْلاَمُ وَكَماَ عَلَّمَ الصَّادِقُ الأَمِينُ ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا إِلاَّ لِيَكُونُوا عِباَداً لِمَنْ اسْتَخْلَفَهُمْ فِي الأَرْضِ ، وَكانُوا أُمَّةً رَبَّانِيَّةً ، سَخَّرَتْ كُلَّ ما بَيْنَ يَدَيْهاَ لِطاَعَة رَبِّهاَ ، فَهُمْ يَتَناَفَسُونَ فِي فِعْلِ الخَيْراَتِ وَصَدقَ رَسُولُ الله (( لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ أَتاَهُ مالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ ، وَرَجُلٌ أَتاَهُ الله حكْمَةً عِلْماً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهاَ ))

(١)القصص ( ٧٦ـ٧٧) .

(٢)القصص ٨٣ .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُـمْ تَكْـرِيماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَـحْبِهِ ومَـنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ : سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْـرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيـهِ وسَـلَّمَ سَـيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِـي مُحَمَّـدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقـيَّةِ العَـشَرَةِ الـمُبَـشَّرَةِ ، الَّـذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَـعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْــمَنِ وأَبِــي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَـصِيرُنَا و إِلَيـهِ مَـصِيرُنَا ، وعَلَيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلَيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُـودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَـا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْـرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِيـرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ . اللَّهُمَّ اغْفِـرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَافِرِ الذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوع بِلادِنَـا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبِنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَـعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْـدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَــوِّكَ أَجْـمَعِينَ .

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثـاً هَنِيئاً مَرِيئـاً ، سَحّاً عَامّـاً دَائِمـاً مُبَارَكاً فِيـهِ ، نَافِعاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَــــــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ ، وَلَـذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ

## الخُطْبَـةُ الأُوْلَى

اَلحْمْدُ للهِ الَّذِي أَسْبَغَ عَلَيْنَا نِعمَهُ ظَاهِرَةً وَباَطِنَةً ، وَمَكَّنَ لنَا فِي الأَرْضِ كُلَّ التَّمْكِينِ ، وَمَلَّكَنَا فِيهَا زِمامَ التَّمْلِيكِ فِي إِدَارَةِ شُئُونِ الحَياَةِ ، فَجَعَلَنَـا نَـنْعَمُ بِمَلَـذاَّتِها العَجِيبَـةِ ، وَنَتَمَتَّعُ بِمُبْتكراَتِهاَ الغَرِيبَةِ فَسُبْحانَهُ تعَالَى خَلقَ كُلَّ شَيْ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ، وَدَبَّرَ الأُمُورَ كَـمَا يَشاَءُ فتبَارَكَ الله إِتْقاَناً وَتَدْبِيراً .

وَأَشْهَدُ أَنْ ألا إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، بِيَدِهِ مَقَالِيـدُ الـسَّمَواَتِ وَالأَرْضِ ، ومَصَا يرُ الخَلْقِ كاَفَّةً ﴿ ذَلِكُمُ الله رَبُّكُمْ لآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَـلَى كُلِّ شَيْ وَكِيلٌ ﴾[1] .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الأَمِينُ ، وَالمُرْشِدُ العَظِيمُ إِلَى مَصالِحِ الـدُّنْياَ وَالآخِرَةِ .

اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِناَ مُحَمَّدٍ اَلْمبْعُوثِ باِلْهُدَى وَالْحِكْمَةِ ، وَخَيْرِ رَسُولٍ إِلَى خَيْرِ أُمَّةٍ ، صَلَّى الله عَلَيهِ وَعَلَى آلِـهِ الأَئِمَّـةِ ، وَأَصْـحاَبِهِ أُولِي العَزِيمَـةِ وَالْهِمَّـةِ ، وَعَـلَى التَّـابِعِينَ فِي العَقاَئِدِ وَالأَقْواَلِ وَالأَفْعاَلِ .

**أَمَّا بَعْدُ** : أُوصِيكُمْ أَيُّهاَ الْمُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوىَ الله تَعَالَى ، فـاَتَّقُوا الله فِـيمَا اسْـتَرْعاَكُمْ عَلَيهِ وَماَ تَمْلِكُونَ ، وَاخْشَوهُ فِي كُلِّ تَصرُّفاَتِكُمْ فَسَتَقِفُونَ مَوْقِفاً صَـعْباً فِي يَـومٍ لاَ يَنْفَـعُ فِيـهِ ماَلٌ وَلاَ بَنُونٌ ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾[2] .

(١) سورة الأنعام أية ( ١٠٢ )

(٢)سورة الطلاق أية ( ٢ـ٣ )

عِبَادَ الله : قَالَ الله تَعَالَى فِي مُحْكَمِ آيَاتِهِ آمِراً كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾ (١)

إنَّ الشَّكَّ فِي الرِّزْقِ يُعْتَبَرُ شَكاًّ فِي الرَّازِقِ نَفْسِهِ ﴿ إِنَّ الله هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينِ ﴾ (٢) ؛ لأَنَّهُ عِنْدَ ما قَدَّرَ خَلْقَنَا ، قَدَّرَ أَرْزَاقَنَا وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَهُوَ الَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى قَالَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ الخَلِيلُ عَلَيهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ بَعْدَ ما أَتَمَّ بِنَاءَ الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ دَاعِياً مَولاَهُ جَلَّ جَلاَلُهُ بِالأَمْنِ وَالرِّزْقِ لأَهْلِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ كَمَا أَخْبَرَهُ الله عَنْهُ قَائِلاً ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِالله وَالْيَومِ الأَخِرِ ﴾ (٣) ، مُقْتَصِراً عَلَى المُؤْمِنِينَ فَقَطْ ، فَقَالَ لَهُ مَوْلاَنَا جَلَّ فِي عُلاَهُ ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ اضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ المَصِيرِ ﴾ (٤) ، فَهُوَ تَعَالَى مُتَكَفِّلٌ بِرِزْقِ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ ، كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ حَتَّى الوُحُوشِ فِي بَرَارِيهَا وَقِفَارِهَا ، وَالطُّيُورِ فِي وُكْنَاتِهَا وَأَوْكَارِهَا وَالحَشَرَاتِ فِي مَخَابِئِهَا وَجُحورِهَا ، وَالأَسْمَاكِ فِي بِحَارِهَا وَأَنْهَارِهَا ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لاَ تَحْمِلُ رِزْقَهَا الله يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ (٥) ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى الله رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ (٦) ، وَقِيلَ لِلْحَسَنِ البَصْرِيِّ رَحِمَهُ الله تَعَالَى : يَاتَقِيَّ الدِّينِ مَا سِرُّ زُهْدِكَ فِي الدُّنْيَا ، قَالَ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ : الأَوَّلُ عَلِمْتُ أَنَّ عَمَلِي لاَ يَقُومُ بِهِ غَيْرِي فَاشْتَغَلْتُ بِهِ ، الثَّانِي : وَعَلِمْتُ أَنَّ رِزْقِي لاَ يَأْخُذُهُ غَيْرِي فَاطْمَأَنَّ قَلْبِي ، الثَّالِثُ : وَعَلِمْتُ أَنَّ الله

---

(١) سورة طه الآية (١٣٢) .

(٢)سورة الذريات أية ( ٨٠)

(٣)سورة البقرة أية ( ١٢٦)

(٤)سورة العنكبوت أية ( ٦٠)

(٥)سورة هود أية (٣)

(٦)سورة هود أية ( ٦)

مُطَّلِعٌ عَلَيَّ فاَسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَعْصِيَهُ الرَّابِعُ : وَعَلِمْتُ أَنَّ لِقاَءَ الله حَقٌّ فَأَكْثَرْتُ مِنَ الزَّادِ لَهُ

هِيَ القَناَعَةُ فاَحْفَظْهَا تَكُنْ مَلِكاً * لَو لَمْ تَكُنْ لَكَ إِلاَّ راَحَةُ البَدَنِ

وَانْظُرْ لِمَنْ مَلَكَ الدُّنْياَ بِأَجْمَعِهَا * هَلْ رَاحَ مِنْهَا بِغَيرِ القُطْنِ وَالْكَفَنِ[1]

وَقاَلَ عَلَيهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ : ((حُبُّ الدُّنْياَ رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ))[2] وَلاَ يَجْتَمِعُ حُبُّ الـدُّنْياَ ، وَالإِيْماَنِ بِالله فِي قَلْبِ امْرِئٍ ، أَوْ كَماَ قاَلَ وَقِيلَ إِذاَ تَسَلَّطَتْ الدُّنْياَ عَـلَى عَبْـدٍ لاَ يَنـاَمُ لَـيْلاً وَلاَ نَهَاراً ، وَلاَ يَشْعُرُ بِراَحَةِ البـاَلِ ، وَطُمَأْنِينَـةِ الـضَّمِيرِ ، بَـلْ يَـشْعُرُ دائِـماً بِتَعَـبٍ مُـسْتَمِرٍّ وَقَلَـقٍ وَاضْطِراَبٍ نَفْسِيٍّ وَهَكَذاَ طَبْعُهاَ تَلْعَبُ بِأَصْحاَبِهاَ لَعِبَ الـصَّولجَاَنِ بِـالْكَرَّةِ ، فَهِـيَ إِذاَ حَلَّـتْ أَوْحَلَتْ ، وَإِذاَ جَلَتْ أَوْجَلَتْ ، وَإِذاَ أَيْنَعَتْ نَعَتْ ، وَإِذاَ كَسَتْ أوكَسَتْ ، وَكَمْ مِنْ قُبُورٍ تُبْنَـى وَماَ تُبْنا ، وَكَمْ مِنْ مَرِيضٍ عُدْناَ وَماَ عُدْنَا ، وَكَمْ زَعِيمٍ رُفِعَتْ لَهُ عَلاَمَاتٌ فلَمَّا عَلاَ ماَتَ .

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : مَتاَعُ هَذِهِ الدُّنْياَ قَلِيلٌ وَماَ أَشَدَّ مَغْرَمَهُ وَمأْثَمَـهُ ، فَطُـوبَى لِمَـنْ رَضِيَ بِماَ قَدَّرَ لَهُ رَبُّهُ وقَسَمَهُ ، وَعَلِمَ أَنَّ الله تَعاَلَى قَدْ كَتَبَ رِزْقَهُ وَأَجلَـهُ وَعَمَلَـهُ وَهُـوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، جَهِلَ ذَلِكَ مَنْ جَهلَهُ ، وَعَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ ، وَمَهْماَ تَكُنْ لَكَ يا ابْنَ آدَمَ مِـنْ قُـوَّةٍ فَإِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَ ماَ قَدَّرَهُ الله وَنَظَّمَهُ ( أَمَّنْ هَذاَ الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَـلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ )

---

(١) من البحر البسيط وقائلها هو أبو منصور الثعالبي المتوفي سنة ٤٩٠ هـ .

(٢)( حب الدنيا رأس كل خطيئة أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم (١٠٥٠١ ، ٧/ ٣٣٨) من حديث الحسن مرفوعاً وبرقم ( ١٠٤٥٨ ، ٧/ ٣٢٣ ) من حديث سفيان ابن سعيد من قول سيدنا عيسى عليـه الـسلام ، وذكـره الخطيـب التبريـزي في المـشكاه ( ٣/ ١١٤ ) من حديث حذيفه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسـلم يقـول في خطبـة وذكـر منهـا ( ... وحـب الدنيا رأس كل خطيئة ) وقال عقبه رواه رزين قال السخاوي في المقاصد ص١٨٢ عن رواية البيهقـي الأولى اسـناده حـسن وجـزم بعضهم بوضعه ولكن يرد عليهم في ذلك ما قاله ابن المديني ( مرسلات الحسن إذا رواها عنه الثقات صحاح ) قال أبو زرعه ( كـل شي يقول الحسن قال رسول الله ﷺ وجدت له أصلاً ما خلا أربعة ) . انظر أسنى المطالب (١٢٦) والدرر المنتشرة للـسيوطي (٩٧) .

عِبادَ الله : وَإذاَ كاَنَ الله قَدْ ضَمِنَ لِخَلْقِهِ الرِّزْقَ وَتَكَفَّلَ بِهِ إلاَّ أَنَّـهُ مَـعَ هَـذاَ أَمَـرَهُمْ بِالْبَحْثِ عَنْهُ فِي خَبَاَياَ الأَرْضِ وَالكدِّ وَالْكَدْحِ فِي تَحْصِيلِهِ مِنْ حِلِّهِ وَمَصْدَرِهِ ( هُوَ الَّـذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ )[1].

فَلاَ بُدَّ إِذاً مِنَ السَّعْيِ وَالْعَمَلِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ كَمَا جاَءَ عـن سـيدنا عمـر : (( لاَ يَقْعُدُ أَحَدُكُمْ عَنْ طَلَبِ الرِّزْقِ وَهُوَ يَقُولُ اَللَّهُمَّ ارْزُقْنِي وَقَدْ عَلِمـتم أَنَّ الـسَّمَاءَ لاَ تُمْطِـرُ ذَهَباً وَلاَ فِضَّةً ))[2]، وَإِنَّمَا يَرْزُقُ الله العِباَدَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ .

إنَّ كَثِيراً مِنَّا يَعِيشُ فِي حَياَتِهِ بَيْنَ إِفْرَاطٍ أَوْ تَفْرِيطٍ ، فاَلْبَعْضُ يَرَى وَيَعْتَقِدُ أَنَّهُ بِعَمَلِهِ وَحْدِهِ فَقَطْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَقِّقَ ماَ يَرْجُوهُ ، وَيُذَلِّلَ الصِّعاَبَ وَالْبَعْضُ الآخَرُ يَرَى التَّوَكُّـلَ دُوْنَمَاَ عَمَلٍ أَوْ كَسْبٍ وَيَأْتِي إِلَيْهِ رِزْقُهُ مُرْغَمًا وَكِلاَ الاثْنَيْنِ مُخْطِـئٌ فِـيمَا رَأَى ، وَخَـيرُ هَـذاَ وَذاَكَ التَّوَسُّطُ وَهُوَ أَنْ يَعْمَلَ الإِنْساَنُ مَعَ التَّوَكُّلِ عَلَى الله تَعَالَى ، تَكاَسَلَ شابٌ فِي عَهْدِ الإِماَمِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ الله وَلَمَّا سَأَلَ عَنْ سَبَبِ كَسْلِهِ فِي طَلَبِ الـرِّزْقِ قـاَلَ الـشَّابُ نَظَـرْتُ فِي حَدِيثِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمْ لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا فَقاَلَ لَهُ الإِماَمُ إِنَّـكَ لَمْ تفقـه الحَـدِيثَ فَقَـدْ ذَكَـرَ الرَّسُولُ أَنَّ لِلطَّيْرِ غُدُوا وَرَواحاً وَلَو قَعَدَتْ فِي وُكْناَتِهَا مـاَ كـاَنَ يَأْتِيهَـا رِزْقُهَـا ، وَيَحْـتَجُّ اَلْبَعْضُ من الكُسالَى الخاَمِلِينَ، فَيَفْهَمُونَ مِنَ الآيَةِ التَّالِيَةِ فَهْمًا خاَطِئاً إِذْ يَقُـولُ تَعَـالَى(وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ}[3]. فَلَيْسَ هَذاَ الرِّزْقُ الَّذِي وَعَدَناَ الله بِهِ ، رِزْقًا جاَهِزاً يَنْـزِلُ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ مَوائِدَ مَطْبُوخَةً ، أَوْ يَفْهَمُ أَنَّ ذَلِكَ الرِّزْقَ مَواَدٌّ غِدَائِيَّـةٌ ، أَوْ نُقُـودٌ ذَهَبًـا أَوْ فِضَّةً بَلْ ذَلِكَ الرِّزْقُ الَّذِي وَعَدَنَا الله بِهِ فِي السَّمَاءِ وَيَرْزُقُناَ بِهِ إِنَّمَا هُوَ اَلْمَطَـرُ لأَنَّـهُ مَـصْدَرُ

---

[1]. سورة تَبَارَكَ اية ١٥)

(٢) الإحياء (٢/ ٦٢ ).

[3]. الذاريات(٢٢)

رِزْقِناَ عَلَى الأَرْضِ (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ )[1] وَقَدْ رَبَطَ الله حَرْثَ الأَرْضِ بِإِنْزاَلِ الماَءِ مِنَ السَّماَءِ فَقاَلَ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُم تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشاَءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ، أَفَرَأَيْتُمُ الماَءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشاَءُ جَعَلْنَا أُجاَجًا فَلَولاَ تَشْكُرُونَ ﴾[2] لاَ يَكُونُ الَمطَرُ رِزْقًا إِلاَّ بِالزِّراَعَةِ وَحَرْثِ الأَرْضِ وَاسْتِئْصاَلِهاَ وَبَذْرِهَا ثُمَّ سَقْيِهَا وَالْعِناَيَةِ بِهاَ وَبِزَرْعِهَا هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الوَحِيدَةُ لِلرِّزْقِ الَّذِي فِي السَّماَءِ ( وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ )[3] وَهَذِهِ سُنَّةُ الله فِي خَلْقِهِ ( وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلاَ )[4] ( وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَحْوِيلاً )[5].

أَمَّا مَا قَدْ يَحْصُلُ مِنْ خَوارِقِ العاَدَات عَلَى يَدي نَبِيٍّ أَوْ وَلِيٍّ فَذَلِكَ مُعْجِزَةٌ وَلاَ يُحْتَجُّ بِهِ وَيُعْتَمَدُ عَلَيهِ فِي كُلِّ حَينٍ وَلَيْسَتْ قاَعِدَةً عاَمَّةً وَعَجِيبُ أَمْرِنَا نُرِيدُ الرِّزْقَ وَلَكِنَّا لاَ نَبْحَثُ عَنْهُ فِي خَباَياَ الأَرْضِ أَعْطاَناَ الله جَلَّ جلاَلُهُ الأَرْضَ الطَّيِّبَةَ الخَصْبَةَ ، وَالمِياَهَ الغزيرَةَ العَذْبَةَ ، وَلَكِنَّا حُرِمْنَا بِسَبَبِ تَقْصِيرِناَ الهِمَّةَ والعَزِيمَةَ ، فِي الزِّراَعَةِ الْمُنْتَجَةِ الْمُنَظَّمَةِ بِالطُّرُقِ العِلْمِيَّةِ الصَّحِيحَةِ فَأَرْضُنَا لاَ تَفْتَقِرُ إِلاَّ إِلَى العَمَلِ الجاَدِّ الْمُنَظَّمِ ، وَالتَّفْكِيرِ وَالتَّوجِيهِ السَّلِيمِ ، وَالإِدارَةِ الكُفْؤَةِ وَالْخِبْرَةِ وَالْحُنْكَةِ وَالْحِكْمَةِ ، وَمِنَ الْمُؤْسِفِ جِدًّا ، أَنَّ اسْتِثْماَرَنَا كُلَّهُ فِي هَذاَ الوَادِي الْمُباَرَكِ اسْتِثْماَراً اسْتِهْلاَكِيًّا خدَمِيًّا كَما يُسَمِّيهِ أَهْلُ الاقْتِصاَدِ ، رَأْسُ الماَلِ إِنْ وُجِدَ يَتَّجِهُ أَكْثَرُهُ أَوْ كُلُّهُ وَيُسْتَخْدَمُ لِلتِّجاَرَةِ فِي أَنْواَعٍ مِنَ

---

(١) المؤمنون(١٨)

(٢) الواقعة ٦٣ وما بعدها

(٣)التوبة١٠٥

(٤)الأحزاب٦٢

٥. فاطر٤٣

الكَمَالِيَّاتِ وَبَعْضِ التَّوافه وَالاسْتِهْلاكِيَّاتِ الَّتِي غَزَتْ بِلادَنَا وَأَسْواقَنَا وَأَضَعْنَا فِيها أَمْوَالَنَا وَاقْتِصادَنَا ، لاَ نَفْكُرُ إِلاَّ فِي فَتْحِ الدَّكاكِينِ لأَنَّهَا تَدُّرُ الرِّبْحَ السَّرِيعَ الكَثِيرَ دُوْنَمَا جُهْدٍ كَثِيرٍ ، حَتَّى صَارَ هَذاَ كاَلْعَدوى فِينَا ، وَلَكِنَّ المَشارِيعَ المُفِيدَةَ لِلْعِبادِ وَالْبِلادِ هِيَ المَشارِيعُ الإِنْتاجِيَّةُ الَّتِي تُنْتِجُ الغِذاءَ وَالْكِساءَ وَالدَّواءَ لَمْ نُفَكِّرْ فِيهَا ، بِعَكْسِ أَنَّنَا كُنَّا وَلاَ زِلْنَا وَسَنَظَلُّ شَحَّاذِينَ نَسْتَجْدِي لِقُمَةِ العَيْشِ وَضَرُورِيَّاتِنَا فِي الحَيَاةِ مِنْ شُعُوبٍ عَرَفَتْ كَيفَ تَعِيشُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ ، دُوَلٌ أُوروبِيَّةٌ مَلَكَتْ أَسْواقَنَا وَرِقَابَنَا ، وَجعَلَتْنَا نَتكَفَّفُهَا وَنَسْتَجْدِيهَا ، وَمَعْلُومٌ أَنَّنَا نَعِيشُ عَلَى أَعْتَابِ نِظَامٍ عالَمِيٍّ جَدِيدٍ هُوَ مَا يُسَمَّى بِالْعَوْلَمَةِ وَالسُّوقِ العالَمِيَّةِ ، الله يَعْلَمُ ماَ يَتَحَمَّلُهُ هَذاَ الطَّارِئُ الجَدِيدُ مِنْ تَبعِيَّةٍ لِلدُّوَلِ الْكُبْرَى ، وَدِيْنُنَا دِيْنُ العِزَّةِ وَالْكَرامَةِ لاَ يَرْضَى لَنَا الذُّلَّ وَالْهَوَانَ ( وَلله العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ) [1].

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ ( وَإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) وَقَالَ عَزَّ مَنْ قَائِلٌ كَرِيمٍ ( فَإِذاَ قَرَأْتَ القُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ).

أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

**( وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ المَيْتَةُ أَحْيَيْناهاَ ، وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ، وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنابٍ وَفَجَّرْناَ فِيهَا مِنَ العُيُونِ ، لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرَةٍ وَماَ عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ )** [2].

بَارَكَ الله لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِيَاَّكُمْ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولِي قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

(١)المنافقون٨

(٢)يس٣٣ – ٣٤

## الخطبة الثانية :

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ ،

وَ أَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلَائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلَّ مَن جَحَدَ به وكَفَـرَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَ بَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيـلِ المُحَيَّا والمَنْظَـرِ ، وعَـلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

عِبَادَ الله: أُوصِـيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْـوَى الله تَعـالى اتَّقُـوا الله مِـنْ سَمَـاعِ اللَّغْـوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

عِبَادَ الله : يَقُولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي آخِـرِ الآيـاَتِ الـسَّابِقَةِ (لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْۚ أَفَلَا يَشْكُرُونَ) (١) . فَالله تَعَالَى يَهَبُ لِعِبَادِهِ مـاَ تَنْتِجُـهُ الأَرْضُ مِـنْ رِزْقٍ وَمحَاصِيلَ إِذْ جعَلَ فِيهَا الحَدَائِقَ وَالْبَساَتِينَ مِنَ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ وَالْحُبُوبِ وَالثِّمَارِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَلَكِنَّهُ يَرْبُطُ ذَلِكَ بِعَمَلِناَ نَحْنُ فَيَقُولُ ( وَماَ عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ) فَخَـيْرَاتُ الأَرْضِ لاَ تَأْتِي بِالْهَوَى وَالتَّمَنِّي ، وَلَقَـدْ تَفَـضَّلَ الله عَلَيْنـاَ إِذْ هَيَّـأَ لَنـاَ الظُّـرُوفَ لِلزِّراَعَـةِ فَـذَلَّلَ

---

(١)سورة يس أية ( ٣٥ )

الأَرْضَ لَنَا ، وَأَقْدَرنَاَ عَلَى العَمَلِ وَالْكَسْبِ ، ووَهَبَ لَنَا الصِّحَّةَ وَالْعَقْلَ وَالذَّكَاءَ ، وَالآلَةَ لِلْحَرْثِ وَالسَّقْيِ .

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : يَتَعَجَّبُ وَيَسْتَغْرِبُ الزَّائِرُ عِنْدَ ما يَزُورُ بِلادَنَا وَيَرَى مَسَاحَتِهَا الصَّالِحَةَ لِلزِّرَاعَةِ جَرْدَاءَ قَاحِلَةً ، بَلِ الأَعْجَب أنا قَدْ نُدَمِّرُ الشَّجَرَ وَالثَّمَرَ ، لِنُقِيمَ مَكَانَهُ الحَجْرَ وَالْمَدَرَ( أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ )١ يَجِبُ أَنْ نُعِيدَ النَّظَرَ فِي تَعْمِيرِ بِلادِنَا ، التَّعْمِيرَ الَّذِي يُمْكِنُنَا مِنَ الاسْتِقْرَارِ عَلَيْهَا وَعَوْدَةِ أَبْنَائِهَا النَّازِحِينَ لِطَلَبِ العَيْشِ إِلَيْهَا ، بَعْدَ أَنْ شَتَّتَ شَمْلَهُمْ الاغْتِرَاب الطَّوِيل ، وَنَغَّصَ عَيْشَهُمْ الذُّلّ وَالْهَوَانُ فِي بُلْدَانٍ يُعْتَبَرُونَ فِيهَا أَجَانِبَ مُهَدَّدِينَ بِالطَّرْدِ وَالإِبْعَادِ بَينَ عَشِيَّةٍ وَضُحَاهَا إِنَنَا لَمْ نَعْتَبِرْ مِنْ دُرُوسِ المَاضِي المَرِيرَةِ ، وَالامْتِحَانَاتِ العَسِيرَةِ ، الَّتِي مَرَّتْ بِنَا أو أَنَّنَا نَنْسَى أَوْ نَتَنَاسَى ، أَلاَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ، وَيا أَهْلَ العَزَائِمِ وَالادِّكَارِ .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَلِي ، والمَقَامِ الأَفْضَلِ : سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِي ، وعَنْ رَيْحَانَتَي نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّةِ ، أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ ، وأَبِي عَبْدِالله الحُسَينِ ، وعَلَى أُمِّهِمَا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ المُخْتَارِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِي عَمَارَةَ

---

١. البقرة٦١

الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَـشَّرَةِ الَّـذِينَ بَـايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيـدَةَ ، و عَـنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَـصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُـودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَـا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْـرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانَنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوعِ بِلادِنَـا خَاصَّةً وسَائِرَ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَ وَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَـعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْـدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئاً ، سَحّاً عَامّاً دَائِماً مُبَارَكاً فِيهِ ، نَافِعاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ ؛ يَزِدْكُمْ ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ واحْتِرَامُ السَّبَبِيَّة

## الخُطْبَةُ الأُولَى

الحَمْدُ لله مُدبرِ المُلْكِ والمَلَكُوتِ ، المُتَفرِّدِ بالعِزَّةِ والجَبَرُوتِ ، بِيَدِهِ مَقالِيدُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ ، وَلَهُ وَحْدَهُ تَعالَى التَّصَرُّفُ فِي الإِبْرامِ وَالنَّقْضِ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[1].

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، اتَّقَى الله فَوَقاهُ ، وَتَوَكَّلْ عَلَيهِ فَكَفاهُ ، واعْتَمَدَ عَلَيهِ فَأَيَّدَهُ بِنَصْرِهِ وَأَوَاهُ.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّمْ وَبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحمدٍ وعَلَى آلِهِ وَأَصْحابِهِ الَّذِينَ تَوَكَّلُوا عَلَى مُدَبِّرِ أَمْرِهِمْ ، ومالِكِ نَاصِيَتِهِمْ ، فَأَحاطَهُمْ بِعَونِهِ فِي الحَياةِ ، وَنَعِيمِهِ بَعْدَ المَماتِ ، أُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ.

أما بعدُ . فَأُوصِيكُمْ أيُّها المُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى، فَإِنَّ فِيها الاسْتِغْناءَ وَالغُنْيَةَ، وَالرُّشْدَ وَالكِفايَةَ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾[2].

عِبادَ الله : إِنَّ مِنَ الإِيْمانِ بِالله تَفْوِيضَ الأَمْرِ لَهُ ، وَالاعْتِمادَ عَلَيهِ في السَّعْيِ فِي الحَياةِ ، وَاسْتِمْدادَ العَوْنِ مِنْهُ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخاءِ ، والاعْتِقادَ بِأَنَّهُ الإِلَهُ المُدَبِّرُ لِلْمُلْكِ ، وَالفَعَّالُ لِما يَشاءُ ، وَأَنَّهُ بِيَدِهِ وَحْدَهُ الإِعْطاءُ وَالمَنْعُ ، وَالرِّزْقُ وَالحِرْمانُ ، وَالنَّصْرُ وَالهَزِيمَةُ ، وَالتَقَدُّمُ وَالتَّأَخُّرُ ، وَالتَّوَكُّلُ عَلى الله زادُ المُؤْمِنِينَ فِي الحَياةِ ، يُثَبِّتُهُمْ عِنْدَ الفَزَعِ

---

[1] سورة الأنعام آية (١٠٢)

[2] سورة الطلاق من الآيتين(٢-٣).

، و يَمْلأُ قُلُوبَهُمْ بِالعِزَّةِ وَالكَرامَةِ ، وَالمُؤْمِنُونَ يَجِدُونَ فِي تَوَكُّلِهِمْ عَلَىَ الله راحَةً نَفْسِيَّةً ، وَطُمَأْنِينَةً قَلْبِيَّةً ، فَإِذا أَصابَهُمْ خَيْرٌ عَلِمُوا أَنَّ الله المُدَبِّرَ هُوَ الَّذِي ساقَهُ إِلَيهِمْ فَحَمِدُوهُ وَشَكَرُوا لَهُ ، وَإِنْ أَصابَتْهُمْ شِدَّةٌ أَيْقَنُوا أَنَّ الله هُوَ الَّذِي أَصابَهُمْ بِها ، اخْتِباراً لَهُمْ أَوْ لِمَصْلَحَةٍ تَعُودُ عَلَيهِمْ يَجْهَلُونَها؛ ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[1].

وقَدْ أَرْشَدَ الله المُؤْمِنِينَ إِلى التَّوَكُّلِ عليَهِ ، وَوَصْلِ قُلُوبِهم بِهِ إِذا سَعَوا فِي الحَياةِ لِتَحْقِيقِ مَطالِبِهِمْ ، أَوِ اسْتِدْفاعِ ما لَحِقَ بِهِمْ مِنْ سُوءٍ أَوْ مَضَرَّةٍ ، حَتَّى تَكُونَ يَدُ الله فَوقَ أَيْدِيهِمْ ، وَ عِنايَتُهُ فَوقَ تَصَرُّفِهِمْ ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾[2].

وَإِذا تَخَلَّى عَوْنُ الله عَنِ الإِنْسانِ فَلَنْ تُغْنِيَ قُوَّتُهُ وَمهارَتُهُ ، وَلا ذكاؤُهُ واسْتِعْدادُهُ ، وَلا عُدَّتُهُ وَلا عَتادُهُ ، وَالمُؤْمِنُونَ فِي أَشَدِّ السَّاعاتِ حَرَجاً عِنْدَما يَحْزُنُهُمْ أَمْرٌ ، وَتَشْتَدُّ الأَهْوالُ ، وَتَكْفَهِرُّ الحَياةُ ، لا يَلْتَمِسُونَ إِلاَّ عَفْوَ الله وفَضْلَهُ ، وَلا يَطْلُبُونَ إِلاَّ رِعايَتَهُ ومَدَدَهُ ، وَسُرْعَانَ ما تَزُولُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ الشَّدائِدُ وَالـمُلِمَّاتُ ، وَتُفَرَّجُ عَنْهُمْ الضَّوائِقُ وَالكُرُباتُ ، وَهَذا كَلامُ الله يُبَشِّرُنا فِي قَولِهِ ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة التوبة آية (٥١).

(٢) سورة الطلاق آية (٣).

(٣) سورة آل عمران آية (١٧٣-١٧٤).

وَقَدْ كانَ هَذا زادَ الأَنْبياءِ فِي أَداءِ رِسالاتِهِمْ ، وَعِمادَهُمْ فِي جِهادِهِمْ مَعَ أَعْدائِهِمْ ، وَكانَ قَوْلُهُمْ عِنْدَ ما يَتَأَلَّبُ عَلَيْهِمْ الخُصُومُ ، وَتَتكاثَفُ بِهِمْ الهُمُومُ قَوْلَ الله تَعالَىَ ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[1].

وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ حَذَّرَ مِنَ الاعْتِمادِ عَلَىَ غَيْرِهِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ ، لِيَعِيشَ الإِنْسانُ عَزِيزَ النَّفْسِ ، مَرْفُوعَ الرَّأْسِ ، عَالِيَ الهِمَّةِ ، فَلا يُطأْطِئُ رَأْسَهُ لِغَيْرِهِ ، وَلا يُرِيقُ ماءَ وَجْهِهِ لِكائِنٍ ما كانَ . وَفِي هَذا المَعْنَى يُشِيرُ قَوْلُ الرَّسُولِ صلَّى الله علَيهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ : (( لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَىَ الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَما يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُوا خِماصاً وَ تَرُوحُ بِطَاناً )) [2].

كَما حَذَّرَ الله تَعالَىَ مِنَ الاعْتِمادِ عَلَىَ القُوَّةِ المادِيَّةِ وَالاغْتِرارِ بِكَثْرَةِ العَدَدِ والعُدَّةِ عِنْدَ مُواجَهَةِ الأَعْداءِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لا يُجْدِي نَفْعاً عِنْدَ مُواجَهَةِ الخُطُوبِ ، ما لَمْ يَكُنْ مَعَهُ ظَهِيرٌ و مُعِينٌ مِنَ الله تَعالى ، وَقَدْ لَقَّنَ الله المُؤْمِنِينَ دَرْساً يَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَما أُعْجِبُوا بِكَثْرَتِهِمْ ، وَظَنُّوا أَنَّها كافِيَتُهُمْ فِي النَّصْرِ عَلىَ الأَعْداءِ قَالَ تَعَالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة إبراهيم من الآية (٢).

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند العشرة المبشرين بالجنة (أول مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه) رقم (٢٠٠)، و رواه الترمذي في كتاب الزهد (بابٌ في التوكل على الله تعالى) رقم (٢٢٦٦) وقال عقبه: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٣) سورة التوبة آية (٢٦).

وَالإِسْلامُ وَهُوَ يُرْشِدُ أَتْباعَهُ إِلى الاِعْتِزَازِ بِالله وَالثِّقَةِ فِيهِ، وَالاعْتِمادِ عَلَيْهِ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الأَخْذِ بِالأَسْبابِ، وَالسَّعْيِ وَالجِدِّ لِنَيلِ المَطالِبِ وَالأَغْراضِ؛ لأَنَّهُ تَعالَى رَبَطَ الأَسْبابَ بِالمُسَبَّبَاتِ، وَاللهُ تَعالَى قَدْ لَفَتَ نَظَرَ الإِنْسانِ إِلَى هَذا الكَوْنِ الفَسِيحِ العَجِيبِ وَما يَحْتَوِيهِ، وَدَعاهُ إِلَى التَّجَوُّلِ فِي رِحابِ أَرْضِهِ، وَتَسَلُّقِ قِمَمِ الجِبالِ وَالْغَوْصِ فِي بِحارِهِ مِنْ أَجْلِ البَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ عَمَّا تُكِنُّهُ الأَرْضُ مِنْ خَيْراتٍ و بَرَكاتٍ، و الاسْتِفادَةِ مِنَ التَّجَارُبِ وَالْخِبْرَاتِ فَهُوَ يَقُولُ عَزَّ مِنْ قائِلٍ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1]. وَقالَ تَعالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾[2]. وَالتَّوَكُّلُ عَلَى الله عَمَلٌ جادٌّ فِي الحَياةِ، وَثِقَةٌ فِي الله، لا تَوَاكُلٌ وَلا كَسَلٌ وَلِذَلِكَ يَقُولُ تَعالَى: ﴿ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[3].

وَلَقَدْ كانَ سَلَفُنا الصالِحُ رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَالمُسْلِمُونَ الأَوَّلُونَ كانُوا عامِلِينَ وَمُتَوَكِّلِينَ، يَخُوضُونَ مَيادِينَ الحَياةِ فِي التِّجارَةِ وَالزِّراعَةِ وَالصِّناعَةِ وَالأَبْحاثِ الفِكْرِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ؛ أَخْذاً بِالأَسْبابِ الَّتِي أَرْشَدَهُمْ الله إِلَيها، وَبِذَلِكَ انْفَرَدُوْا بِالسِّيادَةِ وَالتَّقَدُّمِ، وَكانَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الأُسْوَةُ الحَسَنَةُ رائِدَ العامِلِينَ وَالآخِذِينَ بِالأَسْبابِ، وَيَحُثُّ النَّاسَ عَلى العَمَلِ، وَيَتَعَوَّذُ بِرَبِّهِ مِنَ العَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَقَدْ ابْتُلِيَ الإِسْلامُ فِي العُهُودِ الأَخِيرَةِ بِطائِفَةٍ مِنَ الكُسالَى المُتَواكِلِينَ ظَنُّوا القُعُودَ عَنْ

(١) سورة إبراهيم آية (٢٢-٢٣).

(٢) سورة الملك آية (١٥).

(٣) سورة العنكبوت آية (٥٨ - ٥٩).

طَلَبِ الرِّزْقِ تَوَكُّلاً وَشَرَفاً ، وَرَأَوا العَمَلَ وَالاكْتِساب إِهانَةً وَصَغاراً وَمَنْقَصَةً ، فَعاشُوْا عالَةً عَلَى العامِلِينَ ، وَكَلاًّ عَلَى الْمُجْتَمَعِ الَّذِي يَعِيْشُونَ فِيهِ ، وَهُمْ قـادِرُوْنَ عَـلَى العَمَـلِ؛ فَقَدْ حَذَّرَتْ تَعالِيمُ الإِسْلامِ مِنْ إِهْمالِ الأَسْبابِ وَالإِتِّكالِيَّةِ ، فَقَدْ أَهْمَلَ أَعْرابِيٌّ بَعِيْرَهُ مِنْ غَيْرِ قَيْدٍ أَمامَ مَسْجِدِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ وَقِيـلَ لَـهُ: لِمَ عَمِلْـتَ هَكَـذا؟ فقالَ : تَوَكَّلْتُ عَـلَى الله؛ فَقـالَ رَسُـولُ الله ﷺ :(( إعْقِلْهَـا وَتَوَكَّـلْ )) [١] وَقَـدْ أَمَـرَ الله الْمُؤْمِنِينَ بِاتِّخاذِ أَسْبابِ القُوَّةِ المادِيَّةِ ، لِتَكُونَ بِجانِبِ القُوَّةِ الرُّوحِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ.

وَفِي ذَلِكَ يَأْمُرُ الله بِالْيَقَظَةِ وَالْحَذَرِ ، وَعَـدَمِ الغَفْلَـةِ وَالإِهْمَـالِ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾ [٢] .

وَحَذَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ التَّوَكُّلِ وَ إِهْمالِ الأَسْبابِ فِي تَـرْكِ أَوانِي الطَّعامِ وَالشَّرابِ مَكْشُوفَةً خَشْيَةً مِنْ سُقُوطِ الحَشَراتِ وَالمَكْرُوباتِ الضارَّةِ الَّتِي تُسَبِّبُ الأَمْراضَ فَقالَ النَّبِيُّ صـلَّى الله علَيـهِ وَسَـلَّمَ :(( أَطْفِـؤُا المَـصابِيحَ بِاللَّيْـلِ إِذا رَقَـدْتُمْ ، وَأَوْكِئُوْا الأَسْقِيَةَ ، وَخَمِّرُوا - أَيْ غَطُّوا- الطَّعامَ و الشَّرابَ )) [٣].

وَالإِسْلامُ يُبَيِّنُ أَنَّ الأَخْذَ بِالأَسْبابِ فِي الحَياةِ طاعَةٌ وَالْعَمَلَ مِنْ أَجْـلِ إِعْفَـافِ النَّفْسِ وَالأَهْلِ وَالْعِيالِ عِبادَةٌ ، وَالسَّعْيَ لِنَفْعِ الغَيْرِ جِهادٌ فِي سَبِيلِ الله .

خَرَجَ الْمُسْلِمُونَ صَباحَ يَوْمٍ لِلْغَزْوِ فِي عَهْدِ النَّبِـيِّ الْمُعَلِّـمِ الأَوَّلِ ، وَالْمُـرَبِّي الأَفْـضَلِ صلَّى الله عَلَيهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدُوا شاباً قَدْ بَكَّرَ فِي العَمَلِ وَالـسَّعْي ، تَبْـدُو عَلَيـهِ القُـوَّةُ

---

(١) رواه الترمذي في سننه كتاب صفة القيامة والرقائق والزهد برقم(٢٤٤١) عن أنس رضي الله عنه بلفظ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهَّ: أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ ؟ قَالَ: "اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ"، وقال عقبه: وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ حَـدِيثِ أَنَـسٍ لا نَعْرِفُـهُ إِلا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ .

(٢) سورة النساء آية (٧١).

(٣)رواه البخاري في صحيحه كتاب الأشربة باب (تغطية الإناء) رقم (٥١٩٣)، و مسلم في كتـاب الأشربـة بـاب (الأمـر بتغطيـة الإناء وإيكاء السقاء و إغلاق الباب) رقم (٣٧٥٥) .

وَالنَّشاطُ ، فَتَمَنَّوا أَنْ يَكُونَ مَعَهُمْ فِي الجِهادِ ، وَقالُوا : لَوْ كانَ شَبابُهُ وَجَلَدُهُ فِي سَبِيلِ الله ؛ فَقالَ لَهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيه وَسَلَّمَ مُصَحِّحاً رَأْيَهُمْ هَذا بِقَولِهِ: (( إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغاراً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله ، وإن كان خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله ، وإنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفسِهِ يَعُفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله ، إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى رِياءً ومُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطانِ ))[1].

وَالْكَسْبُ الَّذِي يَجْنِيْهِ المَرْءُ ثَمَرَةَ سَعْيِهِ ، وَنَتِيجَةَ جُهْدِهِ ، وَكِفاحِهِ أَطْيَبُ كَسْبٍ وَأَشْرَفُهُ ، فَقَدْ قالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : (( ما أَكَلَ أَحَدٌ طَعاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، و إِنَّ نَبِيَّ الله داودَ كانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ))[2].

وقالَ بَعْضُ العُلَماءِ : لا يَشْغُلْكَ المَضْمُونُ لَكَ مِنَ الرِّزْقِ عَنِ المَفْرُوضِ عَلَيكَ مِنَ العَمَلِ ، فَتُضَيِّعَ أَمْرَ آخِرَتِكَ ، وَلا تَنالَ مِنَ الدُّنْيا إِلاَّ ما قَدْ كَتَبَ الله لَكَ[3].

وَيَقُولُ قَائِلُهُمْ: الاعْتِمَادُ عَلَى الأَقْدَارِ بِدْعَةٌ ، وَالاعْتِمَادُ عَلَى الأَسْبابِ بِدْعَةٌ ، بَلْ لابُدَّ مِنَ الاثْنَينِ مَعَاً .

لِذا يُطْرَحُ عَلَيْنا نَحْنُ العَرَب المُسْلِمِينَ اليَوْمَ وَنَحْنُ مُسْتَهْدَفُونَ دَوْماً مِنْ أَعْداءٍ كُثرٍ يَتَرَبَّصُونَ بِنا ؛ كَيْفَ لَنا أَنْ نَسْتَعِيدَ أَمْجادَنا الماضِيَةَ وَمَكانَتَنا المَرْمُوقَةَ ، وَمُقَدَّاسَتِنا المُغْتَصَبَةَ ، وَأَراضِينا المُحْتَلَّةَ ؛ هَلْ سَتُعادُ تِلْكَ بِالدُّعاءِ وَالتَّوَكُّلِ فَحَسْبُ؟!! أَو سَتُعَادُ بِالجُيُوشِ الجَرَّارَةِ وَالأَسْلِحَةِ المُتَطَوِّرَةِ الخالِيَةِ مِنَ الإِيْمانِ بِالله!!؛ بل بالتَمَسُّكِ بِحَبْلِ الله

---

(١) الحديث رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة بألفاظ متقاربة، و أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣٢٥) و قال: رواه الطبراني في الثلاثة ورجال الكبير رجال الصحيح، وسبقه إلى ذلك الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٣٥).

(٢) صحيح البخاري كتاب البيوع باب (كسب الرجل و عمله بيده) رقم (١٩٣٠).

(٣) انظر إحياء علوم الدين للإمام الغزالي (٤/ ٢٤٥).

المَتِينِ ، وَالالْتِفَافِ تَحْتَ رَأْيَةِ الإِسْلامِ بَعِيداً عَنِ الطائِفِيَّةِ ، وَالْعُنْصُرِيَّةِ وَالْحِزْبِيَّةِ وَالْعَشائِرِيَّةِ الضَّيِّقَةِ، وَالأَخْذِ بِالوَسائِلِ الْمُناسِبَةِ لِلزَّمانِ وَالْمَكانِ .

هَذا الكَلامُ مُوَجَّهٌ لِمَراكِزَ القِيَادَةِ الحاكِمَةِ ثُمَّ لِجَمِيعِ الأُمَّةِ العَرَبِيَّةِ وَالإِسْلامِيَّةِ فِي كُلِّ دِيارِها وَأَمْصارِها .

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [1] وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [2].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [3].

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم .

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) سورة الطلاق ٢-٣.

## الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَـرَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيـلِ المُحَيَّا والمَنْظَـرِ ، وعَـلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أما بعدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى ، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

تَكاسَلَ رَجُلٌ فِي عَهْدِ الإِمامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبانِيِّ رَضِيَ الله عَنهُ ، وَلَمَّا سَـأَلَهُ عـنْ سَبَبِ كَسَلِهِ وَخُمولِهِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ ، قالَ : الرَّجُلُ نَظَرْتُ فِي حَـدِيثِ رَسُـولِ الله صـلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يَقُولُ : (( لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ ، لَرَزَقَكُمْ كَـمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ ، تَغْدُو خِماصاً وَتَرُوحُ بِطَاناً ))[1] فَتَوَكَّلْتُ عَلَى الَّذِي يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، فَقالَ : لَهُ الإِمامُ أَحْمَدُ إِنَّكَ لَمْ تَفْقَهِ الحَدِيثَ (أَيْ لَمْ تَفْهَمْهُ ) فَقَدْ ذَكَرَ الرَّسُـولُ صـلَّى الله عليـهِ وآلِـهِ

[1] تقـدَّم تخريجه.

وَسَلَّمَ أَنَّ لِلطَّيْرِ غُدُوّاً ورَوَاحاً فِي سَبِيلِ كَسْبِ الرِّزْقِ ، وَلَوْ قَعَدَتِ الطَّيْرُ فِي وَكْنَاتِها ( أَيْ أَعْشاشِها ) وَلَمْ تَطْلُبِ الرِّزْقَ ما كانَ يَأْتِيها .

وَاتِّخاذُ الأَسْبابِ لا يتَنافَى مَعَ التَّوّكُّلِ عَلَى اللهِ تَعالَى فَقَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَى الإِنْسانِ أَنْ يَتَّخِذَ الأَسْبابَ مَعَ الاعْتِمادِ عَلَى المُسَبِّبِ وَهُوَ اللهُ وَحْدَهُ .

وَمِماَّ يَجْدِرُ بِالِّذكْرِ هُنا وَفِي هَذا المَقامِ قِصَّةُ التَّاجِرِ العاقِلِ الحازِمِ مَعَ ابْنِهِ الَّذي أَرادَ أَنْ يُعَلِّمَهُ التِّجارَةَ وَالْكَسْبَ الحَلالَ ، ويُدَرِّبَهُ ؛ لِيَأْخُذَ الخِبْرَةَ والعِبْرَةَ مِنْ غَيْرِهِ ، فَأَرْسَلَهُ فِي تِجارَةٍ مَعَ قافِلَةٍ مُسافِرَةٍ لِلإتِّجارِ ، وَذاتَ لَيْلَةٍ وَالْقافِلَةُ قَدْ حَطَّتْ رِحالَها فِي صَحْراءَ وَاللَّيْلَةُ مُقْمِرَةٌ فَكَّرَ ابْنُ التَّاجِرِ فِيما لَحِقَهُ مِنْ تَعَبٍ وَعَناءٍ فِي هَذا السَّفَرِ مِنْ أَجْلِ تِجارَةٍ قَدْ تَرْبَحُ وَقَدْ تَخْسرُ ؛ و بَيْنَما هُوَ يُفَكِّرُ فِي نَفْسِهِ ، فَإِذا هُوَ يَرَى أَسَداً يَحْمِلُ فَرِيْسَةً وَأَخَذَ يَأْكُلُ مِنْها ثُمَّ ذَهَبَ الأَسَدُ وَتَرَكَ بَقِيَّةَ الفَرِيْسَةِ وَكانَ الوَلَدُ يَرْقُبُ هَذا المَنظَرَ باِهْتِمامٍ شَدِيدٍ فَخَرَجَ قِرْدٌ مِنْ مَغارَةٍ يَزْحفُ عَلَى بَطْنِهِ مِنْ شِدَّةِ العَجْزِ فَأَكَلَ ما تَبْقَى مِنْ تِلْكَ الفَرِيسَةِ ، أَثَّرَ هَذا المَنْظَرَ العَجِيْب فِي نَفْسِ الوَلَدِ ، وَفِي الصَّباحِ قَرَّرَ العَوْدَةَ مِنْ حَيْثُ أَتَى ما دامَ أَنَّ اللهَ مُتَكَفِّلٌ بِأَرْزاقِ الخَلائِقِ ، وَلَمَّا قابَلَهُ أَبُوهُ تَعَجَّبَ مِنْ عَوْدَتِهِ سَرِيعاً فَقَصَّ عَلَى والِدِهِ قِصَّتَهُ ، فتَبَسَّمَ الوالِدُ وَقالَ لَهُ : حَقِيقٌ يا بُنَيَّ إِنَّ الرِّزْقَ تَكَفَّلَ بِهِ اللهُ تعالى لِكُلِّ مَخْلُوقٍ وَلَكِنْ لابُدَّ مِنَ العَمَلِ وَالسَّبَبِ وَقالَ قَوْلَةَ المُرَبِّي الحَكِيمِ : إِنِّي أُرِيدُ يا بُنَيَّ أَنْ تَكُونَ أَسَداً تَأْكُلُ القِرْدَةُ مِنْ فَضَلاتِكَ لا أَنْ تَكُونَ قِرْداً تأْكُلُ مِنْ فَضَلاتِ الأُسُود ، فاقْتَنَعَ الوَلَدُ وَقامَ وَعَمِلَ وَاتَّجَرَ و رَبِحَ ، فَلِلَّهِ دَرُّ هَذا الأَبِ الحَكِيمِ .

وَما أَحْوَجَنا إِلَى مِثْلِ هَذا الأَبِ لِتَوْجِيهِ الأَبْناءِ الَّذِينَ يَتَخَبَّطُونَ فِي هَذِهِ الحَياةِ ، فالَّذِي لا يَسْتَطِيعُ تَنْظِيمَ شُئُونِ حَياتِهِ ، تَفُوتُ عَلَيهِ شُئُونُ آخِرَتِهِ ، وَيَحْسَبُ البَعْضُ أَنَّ تَرْكَ الدُّنْيا وَأَسْبَابَها هُوَ نَفْسُ الإِيْمانِ بِاللهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيهِ ، فِي عَصْرٍ تَعَقَّدَتْ فِيهِ الحَياةُ وَكَثُرَتْ لَوازِمُها وَمَصارِيفُها .

ظَنَّ دِيْـنَ اللهِ فِي تَـرْكِ الـدُّنَا     وَرَأَى الإِعْـرَاضَ عَنْهـا أَنْفَعـا
وَهُوَ لَوْ جَاءَتْـهُ مِنْهـا بَـدْرَةٌ     طَلَّـقَ التَّقْـوَى وَعَـافَ الوَرَعَـا
فَهُوَ لا زُهْداً بِهَا عَنْهَـا نَـأَى     لَكِـنِ الجِـدُّ يُـذِيبُ الأَضْـلُعا[1]

وَفَّقَنا اللهُ لِما يُحِبُّ وَيَرْضاهُ ، وَسامَحَنا فِيما سَلَفَ مِناَّ وَمَضَى .

واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُـمْ تَكْـرِيماً :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَـحْبِهِ ومَـنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ : سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْـرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيـهِ وسَـلَّمَ سَـيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِي مُحَمَّـدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِــي عَبْـدِاللهِ الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقـيَّةِ العَـشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ ، الَّـذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَـعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْــمَنِ وأَبِــي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ رِضْوَان اللهِ تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجـلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَـصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشِفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَـا

---

(١) الأبيات للشاعر الخطيب الشيخ مصطفى بن محمد الغلاييني ولد في بيروت وتوفي بها (سنة ١٣٦٤هـ).

بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ . اللَّهُـمَّ اغْفِـرْ لِلْمُـؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَافِرِ الذُّنُوبِ و الـخَطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ . اللَّهُـمَّ آمِنَّـا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُـوعِ بِلادِنَـا خَاصَّـةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ . اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا ، وأَلِّـفْ بَـينَ قُلُوبِنَـا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَـا ، وَوَلِّ عَلَينَـا خِيَارَنَـا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءِ مِنَّا ، واجْعَـلْ وِلَايَتَنَـا فِـيمَنْ خَافَـكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ . اللَّهُمَّ أَعزَّ الإِسْـلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَـلَى عَبِيـدِكَ مِـنَ الحُجَّـاجِ والغُـزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ .اللَّهُـمَّ اسْقِنَا الغَيْـثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ .﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَـــــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَـزِدْكُمْ ، وَلَـذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# التوكل على الله وعدم الطيرة والتشاؤم

## الخطبة الأولى

الحَمْدُ لله مُدَبِّرِ المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ ، المُتَفَرِّدِ بِالْعِزَّةِ وَالجَبَرُوتِ ، بِيَدِهِ مَقالِيدُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ وَمَصائِرُ الخَلْقِ كَافةً ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾[1]

وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ نُفَوِّضُ أَمْرَنا إِلَيهِ ، وَلا نَعْتَمِدُ إِلا عَلَيهِ ، وَنَسْتَمِدُّ مِنْهُ العَونَ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخاءِ ، وَهُوَ الفَعَّالُ لِما يَشاءُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِمامُ المُتَوَكِّلِينَ وَسَيِّدِ المُوْقِنِينَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ قائِدِ الغُرِّ المُحَجلِينِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحابِهِ الَّذِينَ تَوَكَّلُوا عَلَى الله مُدَبِّرِ أُمُورِهِمْ ، وَمالِكِ نَواصِيهِمْ فَأَحاطَهُمْ بِعَوْنِهِ فِي الحَياةِ الدُّنْيَا ، وَنَعِيمِهِ فِي الأُخْرَى ، أُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ وَبِهِمْ إِنْ شاءَ الله نَحْنُ مقتدون

أَمَّا بَعْدُ: فأُوصِيكمْ أَيُّها المُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى ، فَإِنَّها الحِصْنُ الحَصِينُ فِي الشَّدائِدِ وَالرُّكْنُ الرَّكِينُ عِنْدَ حُدُوثِ المُهِمَّاتِ وَالمُلِمَّاتِ

عِبادَ الله : يَقُولُ الله تَبارَكَ وَتَعالَى ، آمِراً لَنا نَحْنُ المُؤْمِنُونَ ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٥١﴾[2] وَقالَ أَعَزُّ مِنْ قَائِلٍ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾[3]، إِنَّ الله الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْء فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً وَدَبَّرَ الأُمُورَ كَما يَشاءُ ، فَتَبارَكَ

---

(١)الأنعام ١٠٢ .

(٢) التوبة ٥١ .

(٣)الطلاق ٣

اللهِ إِتْقاناً وَتَدْبيراً ، هُوَ الَّذِي بِيَدِهِ الخَيرُ وَالشَّرُّ ، وَالنَّفْعُ وَالضُّرُّ ، وَلا يَمْلِكُ غَيْرُهُ نَفْعاً وَلا ضَرًّا ، وَلا مَوتاً وَلا حَياةً وَلا نُشُوراً ، وَلا سَعْداً وَلا نَحْساً ، وَلا تَقْدِيماً وَلا تَأْخِيراً وَالسَّاعاتُ وَالأَيَّامُ وَالشُّهُورُ لا أَثَرَ لَهَا فِي شَيْءٍ وَلا تَأْثِيراً ، وَالمُؤْمِنُ حَقًّا لا يَتَشَاءمُ وَلا تَرُدُّهُ الطِّيَرَةُ عَنْ شَيءٍ وَلا يَعْتَقِدُ إِلا فِي اللهِ ، وَكَفَى بِاللهِ هادِياً وَنَصِيراً ، رَوَى الإِمامانِ الجَلِيلانِ المُحَدِّثانِ : البُخارِيُّ وَمُسْلِمٌ رَحِمَهُما اللهُ تَعالَى .فِي صَحِيحِهِما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قالَ : (( لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ )) (١).

وَلَقَدْ جاءَ الإِسْلامُ وَعِنْدَ العَرَبِ بَعْضُ الاعْتِقاداتِ الفاسِدَةِ وَالخُرافاتِ الزَّائِفَةِ ، فَقَضَى عَلَيها ، وَحَذَّرَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَتْباعَهُ وَأَصْحابَهُ والمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ مِنْ ذَلِكَ ، وَمِنْ ذَلِكَ ما رَواهُ مُعاوِيَةُ بْنُ الحَكَمِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالْإِسْلَامِ وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ قَالَ فَلَا تَأْتِهِمْ ، قَالَ : وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ ، قَالَ : ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ ، قَالَ قُلْتُ وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ قَالَ كَانَ نَبِيٌّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ.. )) رَواهُ مُسْلِمٌ (٢) ، وَفِيمَا رَواهُ أَنَسُ بْنُ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ :(( لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ قَالَ قِيلَ وَمَا الْفَأْلُ قَالَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ )) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٣) ، وَالفَأْلُ كَأَنْ يُقابِلَ الإِنْسانُ شَخْصاً فِي طَرِيقِهِ لَهُ اسْمٌ حَسَنٌ جَمِيلٌ ، كَصالِحٍ أَوْ

(١) البخاري في صحيحه في كتاب الطب باب الجذام ، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام ، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ،باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته .

(٣)البخاري في صحيحه في كتاب الطب ، باب لا عدوى ، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم .

سالِمٍ فَيَسْتَبْشِرُ بِهِ وَيَفْرَحُ ، وَأَمَّا إِذا قابَلَ شَخْصاً اسْمُهُ قَبِيحٌ كَحَرْبٍ أَوْ سَهْمٍ مَثَلاً فَيَسْكُتُ وَلا يَتَطَيَّرُ بِهِ وَلا يَتَشَاءمُ مِنْهُ ، وَعَنْ عُرْوَةَ ابْنِ عامِرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قالَ ذُكِرَت الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَقالَ أَحْسَنُها الفَأْلُ وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذا رَأَى أَحَدُكُمْ ما يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ لا يَأْتِي بِالْحَسنَاتِ إِلا أَنْتَ ، وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئاتِ إِلا أَنْتَ ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِكَ)[1] .

وَالطِّيَرَةُ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الطَّيْرِ كَانَّ العَرَبُ تَتَشَاءمُ مِنْ أَسْماءِ بَعْضِ الطُّيُورِ وَأَلْوانِها ، أَوْ جِهَةِ طيرانِها فَكانُوا إِذا خَرَجُوا مَثَلاً مُسافِرِينَ زَجَرُوا الطَّيْرَ وَنَفَّرُوها فَإِنْ طارَتْ يَمِيناً أَقْدَمَ عَلَى السَّفَرِ مَثَلاً وَإِنْ طارَتْ شِمالاً فَلا ، وَإِذا رَأَى غُراباً أَوْ عِقاباً امْتَنَعَ تَشاؤُماً بِالاسْمِ ، الغُرابُ مِنَ الغُرْبَةِ وَالعُقابُ مِنَ العُقُوبَةِ فيَقُولُ قَائِلُهُمْ[2] :

وَإِن الَّذي بَيني وَبَين بَني أَبي ... وَبَينَ بَني عَمّي لَمُختَلِفُ جِدّا

فَإِن يَأكُلوا لَحمي وَفَرتُ لحومَهُم ... وَإِن يَهدِموا مَجدي بنيتُ لَهُم مَجدا

وَإِن زَجَروا طَيراً بِنَحسٍ تَمُرُّ بي ... زَجَرتُ لَهُم طَيراً تَمُرُّ بِهِم سَعدا

وَلا أَحمِلُ الحِقدَ القَديمَ عَلَيهِم ... وَلَيسَ كَريمُ القَومِ مَن يَحمِلُ الحِقدا

وَهَذا الاعْتِقادُ لا يُعْرَفُ عِنْدَنا اليَومَ بمنطقتنا والحمد لله ، وأما العدوى فإنها لا تكون إِلا بِقَضاءِ الله تَعالَى وَقَدْرِهِ ، وَلَيْسَ مَعْنَى هَذا أَنْ نُلْقِيَ بِأَنْفُسِنا فِي المَهالِكِ وَلا نُؤْمِنَ بِالأَسْبابِ ، وَالْوِقايَةِ مِنَ الأَمْراضِ الْمُعْدِيةِ ، بَلْ يَجِبُ أَنْ نَعْتَقِدَ أَنَّ الأَمْراضَ لا تُعدِّي بِطَبْعِها ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فِيمَا رَواهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قالَ

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطب ، بَاب فِي الطِّيَرَة.

(٢) وهو المقنع الكندي وهو من البحر الطويل .

: صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ((لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَـلَى مُـصِحٍّ)) [١] . وَالْمُمَـرِّضُ صـاحِبُ الإِبِـلِ المَرِيضَةِ وَالْمُصِحُّ صاحِبُ الإِبِلِ الصَّحِيحَةِ ، وَالنَّهْيُ عـامٌ ، وَمِثْلُـهُ قَوْلُـهُ عَلَيـهِ الـصَّلاةُ وَالسَّلامُ (( فِرَّ مِنَ المَجْذُومِ فِرارَكَ مِنَ الأَسَدِ )) [٢]. وَقَولُـهُ : ((إِذَا سَـمِعْتُمْ بِالطَّـاعُونِ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا)) [٣]، وَهَـذا مـا يُـسَمَّى اليَومَ بِالحَجرِ الصِّحِيِّ ، وَمَعْنَى هَذا كُلِّهِ اجْتِنابُ الأَسْبابِ الَّتِي تُسَبِّبُ الـبَلاءَ وَأَنْـتَ فِي عافِيَةٍ مِنْها ، وَما نُؤْمِنُ بِهِ هُوَ أَنَّ اللهَ تَعالَى وَحْدَهُ هُوَ خالِقُ الأَسْـبابِ وَمُـسَبَّباتِها ، وعَـنْ أَبِي هُرَيْرَةَ :أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِجِدَارٍ أَوْ حَائِطٍ مَائِلٍ فَأَسْرَعَ الْمَشْيَ فَقِيلَ لَـهُ فَقَالَ : (( إِنِّي أَكْرَهُ مَوْتَ الْفَوَاتِ)) [٤]

وَرُوِيَ عَنْ سَيِّدِنا عُمَرَ بْن الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا سافَرَ إِلَى الشَّامِ لَمْ يَدْخُلْ بَعْضَ مُدُنِها لأَنَّ بِها مَرَضَ الطَّاعُونِ ، فَقِيلَ لَهُ أَتَفِرُّ يا ابْنَ الخَطَّابِ مِـنْ قَـدَرِ اللهِ ؟ قـالَ قَولَتَـهُ المَشْهُورَةُ :(( أَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَى قَدَرِ اللهِ )) أَوْ كَما قالَ .

وَأَمَّا قَولُهُ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : (( وَلا هامَةَ )) وَالهامَةُ أَصْلُها جمجمة الـرَّأْسِ ، وَكانَ العَرَبُ يُطَلِقُونَهَا عَلَى طَيْرٍ مِنْ طَيْرِ الليلِ ، وقيل هو البومَ يَتَشَاءمُونَ بِها إِذا جاءَتْ عَلَى بَيْتِ أَحَدِهِمْ يَقُولُ نَعيتِ إِلَيَّ نَفْسِي أَوْ أَحَداً مِنْ أَهْلِ دارِي ، وَيَزْعُمُ العَرَبُ أَنَّ رُوحَ القَتِيلِ الَّذِي لَمْ يُؤْخَذْ بِثَأْرِهِ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب السلام ، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب باب الجذام عن أبي هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ وَفِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنْ الْأَسَدِ

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب ، باب ما يذكر في الطاعون .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند باقي المكثرين في مسند أبي هريرة ، قال الهيثمي في مجمع الزوائـد(٢ / ٣٧٦) : وإسـناده ضعيف .

مِنْ قاتِلِهِ تَصِيرُ هامَةً تَصيح وَتَئِنُّ لَيْلاً تَقُـولُ : أَسْـقُونِي فَـإِذا أُخِـذَ بِثَـأْرِهِ سَـكَنَتْ وَطَارَتْ ، وَهَذِهِ الخُرَافَةُ قديماً كُنَّا نَسْمَعُها ولا نسمعها الآن فِي مُجْتَمَعنا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ (( وَلا صَفَرَ )) أَيْ لا صَفَرَ مُؤَخَّرٌ عَنْ مَحَلِّهِ ، فَفِيهِ رَدٌّ عَلَى النَّسيء الَّذِينَ قالَ الله تَعالَى فِيهِمْ (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَـادَةٌ فِي الْكُفْـرِ يُـضَلُّ بِـهِ الَّـذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ الله فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ الله زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ )[1] ، فَقَدْ كانَتْ العَرَبُ فِي جاهِلِيَّتِها إِذا دَخَلَت الأَشْهُرُ الحُرُمُ الثَّلاثَةُ السَّرْدُ ذُو القَعْدَةِ وَذُو الحِجَّةِ وَالُمحَرَّم وَقَفُوا عَنِ القِتالِ احْتِراماً لَها وَإِذَا خَرَجَت الأَشْهُرُ الثَّلاثَةُ وَهَلَّ صَفَرُ هاجَتْ الحُرُوبُ وَالفِتَنُ ، فَكانُوا يُؤَخِّرُونَ الُمحَرَّمَ إِلَى صَفَرَ أَحْياناً وَهَذا هُـوَ النَّسيء ، وَيجْعَلُونَ صَفَرَ هو الشَّهْرُ الحَرامُ ، لأَنَّهُمْ كانُوا يتَشَاءمُونَ بِـدُخُولِ صَـفَر ؛ لَمَّـا يَتَوَهَّمُونَ فِيهِ مِنْ كَثْرَةِ الدَّواهِي وَالْفِتَنِ .

ثم فِي شهر صفر هذا لا زلنا مَعَ الأَسَفِ إلى اليَوم لا نَسْمَعُ طَبْـلَ زِواجٍ وَلا عَقْـدَ قِرانٍ وَلا ظاهِرَةَ أَفْراحٍ ، فَهَلْ كانَ زِواجٌ مباركٌ مِثْلَ زِواجِ الإِمامِ عَلِيٍّ كَرَّمَ الله وَجْههُ مِنْ سَيِّدَةِ نِساءِ العالَمِينَ فاطِمَةَ .

وَمِنْ ذَلِكَ التَّشَاؤمِ بِبَعْضِ الأَيَّامِ كَيَومِ الأَرْبعاءِ وِبِخاصَّةٍ آخِرَ رَبُوعٍ مِنْ شَهْرِ صَفَرَ ، فَقَدَ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ (( مَـنْ عَـرَضَ لَـهُ مِـنْ هَـذِهِ الطِّـيَرَةِ شَيء ، فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ لا طَيْرَ إِلا طَيْرُكَ ، وَلا خَيْرَ إِلا خَيْرُكَ ، وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ ))[2].

(١) التوبة ٣٧ .

(٢) أخرجه الطبراني في كتاب الدعاء

أَمَّا ما قُدِّرَ عَلَيْنا مِنْ مِحَنٍ وَبَلايا ، وَما تَنْزِلُ مِنْ مَصائِبَ وَشَدَائِد فِي أَيِّ وَقْتٍ مِنَ الأَوْقاتِ أَوْ شَهْرٍ مِنَ الشُّهُورِ أَوْ يَومٍ مِنَ الأَيَّامِ فِي صَفَرَ أَوْ غَيْرِهِ ، أَوْ فِي يَومِ الأَرْبِعاءِ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الأَيَّامِ فَإِنَّنا نَضْرَعُ إِلَى اللهِ تَعالَى أَنْ يَصْرِفَ عَنَّا شَرَّ ما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ ، وَشَرَّ ما يَخْرُجُ مِنَ الأَرْضِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : هَيْهاتَ هَيْهاتَ لا شُؤْمَ فِي فَرَسٍ وَلا امْرَأَةٍ ، وَلا دارٍ ، فَظاهِرُ حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ هُوَ (( إِنَّما الشُّؤْمُ فِي ثَلاثَةٍ فِي الْفَرَسِ وَالْمَرْأَةِ وَالدَّارِ )) [1] أَوْ كَما قالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَلَكِنَّ العُلَماءَ الأَجِلاءَ عِنْدَ شَرْحِ هَذا الحَدِيثِ قالُوا : شُؤْمُ الفَرَسِ فِي نِفارِهِ ، وَتَمَنُّعِهِ وَاسْتِصْعابِ رُكُوبِهِ ، وَشُؤْمُ المَرْأَةِ فِي سُوءِ خُلُقِها ، وَطُولِ لِسانِها وَكَثْرَةِ طَلَباتِها ، وَكُفْرِها لِعَشِيرِها ( زَوجِها ) وَعَدَمِ مَعْرِفَتِها بتَرْبِيَةِ أَطْفالِها ، وَغُرُورِها بِجَمالِها ، وأَمَّا شُؤْمُ الدَّارِ فَفِي ضِيْقِ مَرَافِقِها ، وَسُوءِ جِيرانِها وَعَدَمِ انْسِجامِ سُكَّانِها ، أَمَّا ما يَعْتَقِدُهُ البَعْضُ مِنَ الجَهَلَةِ أَنَّ شُؤْمَ المَرْأَةِ موتُ أَوْلادِها ، أَوْ عَدَمُ إِنْجابِها أوَقِلَّةُ الرِّزْقِ بَعْدَ قُدُومِها ، فَلَيْسَ لِلْمَرْأَةِ فِي ذَلِكَ أَيُّ ذَنْبٍ إِلا جَهْلَها بِأُصُولِ التَّرْبِيَةِ ، وَالمُحافَظَةِ عَلَى الصِّغارِ وَالتَّبْذِيرِ فِي الإِنْفاقِ ، وَلَيْسَ فِي الدَّارِ فِي ذَلِكَ إِلا امْتِلاؤُها بِالأَوْساخِ وَالأَقْذارِ .

وَمِنَ المنهِي عَنْهُ : الاسْتِسْقاءُ بِالأَنْواءِ ( أَيْ بِالنُّجُومِ ) كَأَنْ يَقُولَ الإِنْسانُ : سُقِينَا بِنَجْمِ العَوَى أَوِ السِّماكِ مَثَلاً ، بَل يَقُولُ سَقانا اللهُ فِي نَجْمِ كَذا ، وَقَدْ خافَ رَسُولُنا مِنْ هَذا فَقَالَ (( أَخافُ عَلَى أُمَّتِي الاسْتِسْقاءَ بِالأَنْواءِ ، وَحَيفَ السُّلْطانِ ، وَالتَّكْذِيبَ بِالْقَدَرِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير ، باب ما يذكر من شؤم الفرس

)) [1] ، وَأَمَّا قَولُنا بِأَنَّ طُلُوعَ النَّجْمِ الفُلانِيِّ عَلامَةُ الرَّخـاءِ ، أَوْ أَنَّ نَجْـمَ كَـذا تَكْثُـرُ فِيـهِ الأَمْطارُ مَثَلاً بِسَبَبِ تَحَرُّكِ الرِّياحِ وَاتِّجاهِاتها وَتَحَرُّكاتِها فَهَذا مِمَّا لا بَـأْسِ بِـهِ لأَنَّنـا نُرْجِـعُ الأُمُورَ إِلَى أَسْبابِها وَمُسَبَّباتِها .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنا مِمَّنْ عَرَفَ الحَقَّ وَشَهِدَ بِهِ ، وَحُبِّبَ إِلَيـهِ الخَـيْرُ وَعَمِـلَ بِـهِ ، وَوَفِّقَنـا جَمِيعاً لِمُتابَعَةِ رُسُلِهِ وَكُتُبِهِ .

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَـدِي المُهْتَـدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [2] وَقالَ عَـزَّ مِـنْ قَائِـلٍ كَـرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [3].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

(قُـل لاَّ أَمْلِـكُ لِنَفْـسِي نَفْعًـا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَـا شَـاء اللهُ وَلَـوْ كُنـتُ أَعْلَـمُ الْغَيْـبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) [4].

بارَكَ اللهُ لي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِـيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْـتَغْفِرُوهُ إِنَّـهُ هُـوَ الغَفُـورُ الرَّحِيم .

---

(١) أخرجه ابن أبى عاصم (١/ ١٤٢ ، رقم ٣٢٤) . وأخرجه أيضًا : الطبرانى فى الأوسط (٢/ ٢٣٨ ، رقم ١٨٥٢) ، وفى الصغير (١/ ٨٥ ، رقم ١١٢) قال الهيثمى (٧/ ٢٠٣) : رواه أحمد ، وأبو يعلى ، والبزار ، والطبرانى فى الثلاثة ، وفيه محمد بن القاسم الأسدى ، وثقه ابن معين ، وكذبه أحمد ، وضعفه بقية الأئمة .

(٢) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٣) سورة النحل الآية (٩٨).

(٤) الأعراف ١٨٨

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِــينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِــينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْدِ اللهِ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَــمَّدٍ، جَمِيـلِ المُحَيَّا والمَنْظَـرِ ، وعَـلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أما بعدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى ، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

عِبَادَ الله : مما يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَوَكَّلَ عَلَى الله فِي كُلِّ أُمُورِهِ وَفِيمَا يَدَعُ مِنْها أَوْ يَذَرُ، أَمَّا التَّرَدُّدُ وَالتَّشَكُّكُ ، وَقَولُ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذا لَمَا كانَ كَذا فلا ينبغي ، وَلَكِـن افْعَـلْ مـا أَمَرَكَ الله بِهِ وَاجْتَنِبْ ما نَهَاكَ عَنْهُ ، وَما شاءَ الله كَانَ وَما لَمْ يَشَأ لَمْ يَكُنْ وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِالله العَلِيِّ العَظِيمِ ، وَهُوَ حَسْبُنا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ ، وَإِذا حَصَلَ عِنْدَ المُؤْمِن ما يَـدْعُوهُ إِلَى التَّرَيُّثِ وَالتَّأَنِّي فِيما يَعْمَلُ أَوْ يَتْرُكُ فَلْيَسْتَخِر الله فِي ذَلِكَ بِأَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَي الاسْتِخارَةِ وَبَعْدَ الصَّلاةِ يَدْعُو بِالدُّعاءِ المَأْثُورِ ، فَقَدْ رَوَى الإمامُ البُخارِيُّ مِنْ حَدِيثِ جابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ الله عَنْهُ قالَ : كانَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنا الاسْتِخارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّها

كَما يُعَلِّمُنا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ يَقُولُ : (( إِذا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِـنْ غَـيرِ الفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلْ : اللَّهُـمَّ أَسْـتَخِيرُكَ بِعِلْمِـكَ ، وَأَسْـتَقْدِرُكَ بِقُـدْرَتِكَ ، وَأَسْـأَلُكَ مِـن فَضْلِكَ العَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلامُ الغُيُوبِ ، اللَّهُـمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذا الأَمْرَ ( ويسميه : زَوْجَةً أَوْ عَمَلاً أَوْ سَفَراً مَـثَلاً ) ، خَـيراً لِي فِي دِيْنِـي وَمَعَاشِي وَعاقِبَةِ أَمْرِي ، أَوْ قالَ عاجِلَ أَمْرِي وَآجِلَهِ فاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بارِكْ لِي فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِيْنِي وَمَعاشِي وَعاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قالَ عاجِلَ أَمْـرِي وآجِلَهُ .فاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ ، وَاقْدِرْ لِيَ الخَيرَ حَيثُ كانَ ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ )) [1].

وَيَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ بَعْدَ الاسْتِخارَةِ ما يَنْشَرِحُ لَهُ صَدْرُهُ دُونَما تَرَدُّدٍ .

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : إِنْ كانَ ثَمَّةَ ما يَدْعُو لِلتَّطَيُّرِ وَالتَّشاؤُمِ اليَومَ فِي عَصْرِ التَّطَـوُّرِ العِلْمِيِّ الهائِلِ ، وَالتَّقَدُّمِ الصِّناعِي المُرِيبِ وإن كنا لا نتطير بـه ، فهـو فِي إِنْتـاجِ أَسْـلِحَةِ الدَّمَّارِ الشَّامِلِ ، وَالْقَنابِلِ النَّوَوِيَّةِ وَالهِيدرُونيَّةِ وَالْغـازِ الـسَّامِّ الَّـذِي يَحْمِلُـهُ لَنـا وَسـائِلُ الإِعْلامِ هَذِهِ الأَيَّامِ ، إِنَّ التَّطَيُّرَ فِي عَصْرِنا الرَّاهِنِ لَيْسَ فِي طَيْرِ البـومِ وَالغُـرابِ ، وَلا فِي شَهْرِ صَفَرَ أَوْ يَومِ الأَرْبِعاءِ ، وَلَمْ يَكُنْ خَوفُنا مِـن وُحُـوشٍ ضـارِيةٍ ، وَلا نَمُـورٍ وَأَسُـودٍ كَاسِرَةٍ ، وَإِنَّما الخوفُ مِنَ الإِنْسانِ الَّذِي نَسِي إِنْسانِيَّتَهُ ، وَتَنَكَّرَ لآدَمِيَّتِهِ فَضْلاً عَنِ الـدِّينِ وَالأَخْلاقِ وَقَدِيماً قالَ الإِنْسانُ الخائِفُ مِنْ أَخِيهِ الإِنْسانِ ، المُسْتَأْنِسِ بِالْوَحْشِ [2]:

عَوى الذِئبُ فَاِستَأنَستُ بِالذِئبِ إِذا عَوى * وَصَوَّتَ إِنسانٌ فَكِدتُ أَطيرُ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة ، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى ، وأيضاً في كتـاب الـدعوات ، بـاب الـدعاء عند الاستخارة .

(٢)من البحر الطويل قاله الأُحَيمِر السَعدي(١٧٠ هـ ) وهو شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية .

أَيُّ شُؤمٌ وَأَيُ نَحسٍ أَخبَثُ وَأَقبَحُ مِنْ هَذا العَدُوِّ الَّـذِي أهلَـك الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاحْتَلَّ المُقَدَّساتِ وَدَفَنها وَقَتَلَ الأَبْرِيـاءَ وَخَـرَّب بُيُـوتَهِمْ عَـلَى رُؤُسِـهِمْ ، ذَلِـكَ هُـمْ الصَّهانِيَةُ اليَهُودُ وَمَنْ يَقِفُ مَعَهُمْ .

واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُـمْ تَكْـرِيماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَـحْبِهِ ومَـنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ : سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْـرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيـهِ وسَـلَّمَ سَـيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِـي مُحَمَّـدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِاللهِ الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَـشَرَةِ الـمُبَـشَّرَةِ ، الَّـذِينَ بَايَعُوا نَبِيّكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَـعْدٍ وسَـعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْــمَنِ وأَبِــي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ رِضْوَان اللهِ تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَـصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُـودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَـا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْـرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوعِ بِلادِنَـا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَـاكَ يَـا أَرْحَـمَ الرَّاحِـمِينَ .اللَّهُـمَّ أعـزَّ الإِسْـلامَ والـمُـسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عونـاً ومُعِينـاً لَـهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ الـسَّلَامَةَ والعَافِيـةَ عَـلَى عَبِيـدِكَ مِـنَ الحُجَّـاجِ والغُـزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ .اللَّهُـمَّ اسْـقِنَا الغَيْـثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ .﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَـــــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَـزِدْكُمْ ، وَلَـذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَ الله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# الحِلْـمُ و الصَّفْحُ

## الخُـطـبَــةُ الأُولَى

الحَمْدُ لله أَمَرَنا بمكارِمِ الأخْلاقِ، فَسُبْحَانَهُ وَتَعالىَ مِنْ مَلِكٍ حَكِيمٍ خَلاَّقٍ، دَعَانَا إِلَى التَّسَامُحِ وَالْعَفْوِ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْنَا، وَحَثَّنَا عَلىَ الحِـلْمِ ؛ لأَنَّ الحِـلْمَ سَيِّدُ الأَخْـلاقِ، وَحَذَّرَنَا مِنْ سُرْعَةِ الْغَضَبِ لأَتْفَهِ الأَسْبَابِ ، فـقال تَعالىَ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[1].

وأشهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلاَّ الله وحدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ ، وضَعَ لَنا مِنَ النُّظُمِ ما يَكْفُلُ لَنا السَّعَادَتين عِزَّ الدُّنْيا و سَعادَةَ الأُخْـرَى، ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[2] .

وَأَشهدُ أَنَّ سَيِّدَنا محمّداً عبدُهُ ورَسُولُهُ جَاءَ بِالإسلام سِلْماً ومَحَبَّةً للأَصْدِقاءِ، وَشِدَّةً وحَرْباً عَلىَ الأَعْدَاءِ ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾[3].

اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّم وبارِك على سيدنا محمد وَعلىَ آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِيْنَ نَصَرُوا الدِّينَ، وَاقْتَفُوا أَثَرَ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ، وَاتَّخَذُواْ مِنْ سِيْرَةِ رَسُولِهِمُ الأَمِينِ؛ قُدْوَةً حَسَنَةً، كما قالَ لهم المولى تَبارك وتَعَالَى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة الأعراف آية (١٩٩).

(٢) سورة الشعراء الآيتين (٨٨-٨٩).

(٣) سورة الفتح آية (٢٩).

(٤) سورة الأحزاب (٢١).

**أما بعدُ** : فأُوصيكُم أيُّها المسلمُونَ ونَفْسِيَ بتقوى الله تَعالىَ فَخُذُوا مِنْها بِحَظٍّ وَافِرٍ، و اختبؤها زَاداً لِلْيَومِ ٱلآخِرِ ، يَوْمٌ لَيْسَ لَكُمْ فِيهِ مِنْ قُوَّةٍ ولا ناصِرٍ.

عبادَ الله: إِنَّ النَّاسَ فِي حَياتِهِم يَتَفاوَتُونَ فِي مَشارِبِهِم، ويَخْتَلِفُونَ فِي مَنازِعِهِم، وهُمْ عَلَى ثَلاثَةِ أَصْنافٍ:

صِنْفٌ -أَبْعَدَنا الله مِنْهُ-: يَقِلُّ مِنْهُ فِعْلُ الْخَيْرِ، وَكَثِيْراً ما يَصْدُرُ عَنْهُ فِعْلُ الشَّرِّ، وَإِذا حاوَلَ إِنْسانٌ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلىَ الْخَيْرِ وَإِلى اجْتِنابِ ما هُوَ قَبِيْحٌ أَعْرَضَ وَنـأَى بِجانِبِـهِ وَرُبَّـما قابَلَ هَذا النُّصْحَ الْمُهَذَّبَ الهادِئَ بِالصَّدِّ وَٱلْإِيْذاءِ .

وَصِنْفٌ ثانٍ: يَفْعَلُونَ الْخَيْرَ وَلَكِنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَ الْجَزاءَ الْعاجِـلَ مِـنَ ٱلآخَـرِينَ، وَإِذا كانَ لَهُمْ حَقٌّ عِنْدَ غَيْرِهِمْ أَصَرُّوا عَلىَ أَنْ يَأْخُذُوهُ كامِلاً غَيْرَ مَنْقُـوصٍ، إِنَّهُـمْ لا يبـدءون أَحَداً بِظُلْمٍ أَو عُدْوانٍ، وَلَكِنَّهُمْ إِنْ ظُلِمُوا انْتَقَمُوا مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ؛ وَحَرَمُـوا مَـنْ حَـرَمَهُمْ، وَرَدُّوا الأَذَى عَنْ أَنْفُسِهِمْ بِكُلِّ ما يَسْتَطِيعُونَ مِن وَسائِلَ، إِنَّ شِعارَهُمْ فِي الْحَياةِ (( الشَّرُّ بِالشَّرِّ وَالْبادِي أَظْلَمُ )) .

وَصِنفٌ ثالِثٌ مِنَ النَّـاسِ- جعلَنـا الله مـنِهُمْ- يَتَجـاوَزُونَ العَـدْلَ إِلىَ الفَـضْلِ لا يَظْلِمُونَ أَحَداً، بَلْ يَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُم، وَلا يَبْخَسُونَ أَحَـداً حَقَّـهُ، بَـلْ يَـسْمَحُونَ لَـهُ بِبَعْضِ حُقُوقِهِم ، إِنْ نالَهُم أَذىً مِنْ غَيْرِهِم لَمْ يُقابِلُوهُ بِأَذى مِثْلِهِ، وَأَعرضُـوا عَمَّـنْ قَـدَّمَ الأَذَى تَكَرُّماً مِنْهُمْ مَعَ قُدْرَتِهِمْ عَلىَ أَنْ يَنْتَقِمُواْ لأَنْفُسِهِمْ، إِنَّ هَذا الـصِنْفَ مِـنَ النَّـاسِ، كَرِيمُ النَّفْسِ، طَيِّبُ الخُلُقِ، عالِي الـمُرُوءَةِ، يَكُونُ جَدِيراً بِتَكَرُّمِ الله لَهُ ، حيـثُ مَـدَحَ الله تعالى مَنْ يَغْفِرُ عِنْدَ غَضَبِهِ بقوله تَعالىَ: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1]، وهُم عِبـادُ

[1] سورة الشورى آية (٣٤).

الرَّحْمنِ المُخْلَصُ الَّذِيْنَ وَصَفَهُمُ الله بقوله: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾[1].

عِبَادَ الله : إنَّ صِفةَ الحِلْمِ ـ وَالحِلْمُ هُوَ العَفْوُ عِنْدَ المَقْدِرَةِ ـ مِنَ الصِّفاتِ الَّتِي يمدَحُ الله بِها الأَنْبِياءَ وَالمُرْسَلِينَ ؛ لِما لَها مِنْ أَثَرٍ وَاضِحٍ فِي تَمْكِينِ دَعْوَتِهِم ، فَقَدْ وَصَفَ الله بِها خَلِيلهُ إِبْرَاهِيمَ أَبا الأَنْبِياءِ عَلَيهِ السَّلامِ بقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾[2]. وَقالَ فِيَ وَلَدِهِ : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾[3] وَذَكَرَ عَن يُوسُفَ عَلَيهِ السَّلام تَخَلُّقَهُ بِخُلُقِ العَفْوِ عِنْدَ المقدْرَةِ عَلَى الانْتِقامِ حِينَما وَقَفَ أَمامَهَ إِخْوَتُهُ الَّذِينَ تَآمَرُوا عَلَيهِ فِي صِباهُ، وأَلْقُوهُ فِي غَيابَةِ الجُبِّ، لَكِنَّهُ بَعْدَ أَنْ قَدَرَ عَلَيهِمْ خَاطَبَهُمْ بقوله: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[4].

وَرَسُولُنا محمد ﷺ سيِّدُ الحُكَماءِ أَلَّفَ حَوْلَ دَعْوَتِهِ القُلُوبَ، وجعَلَ أَصْحابَهُ يَفْدُونَها بِأَرْوَاحِهِمْ، وبِأَعَز ما يَمْلِكُونَ بِخُلِقِهِ الكَرِيم، وبِحِلْمِهِ وَعَفْوِهِ، وَكَثِيراً ما كانَ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ يُسْتَفَزُّ وَ يُسْتَغْضَبُ غَيْرَ أَنَّهُ لا يُجاوِزُ حُدُودَ التكَرُّمِ والإِغْضَاءِ، لَمْ يَنْتَقِمْ لِنَفْسِهِ قَطُّ، إِلا أَن تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله فَيَنْتَقِمُ لله بِها، كَما قِيلَ فِيهِ[5] : (( و يَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ إِذا كانَ فِي حَقِّهِ وَسَبَبِهِ، وإِذا أُضِيعَ حَقُّ الله لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ لِغَضَبِهِ )) ، وَلَمَّا أُسْتُشْهِدَ عَمُّهُ : حَمْزَةُ سَيِّدُ الشُّهَداءِ رضي الله عَنْهُ يَوْمَ أُحُدٍ بِيَدِ عَبْدٍ وَحْشِيٍّ، وَحمزَةُ مِن أَحَبِّ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، وَكَانَ شُجَاعاً مُسْتَبسِلاً فِي الدِّفاعِ عَنِ الإِسْلامِ فَغَضِبَ

---

(١) سورة الفرقان آية (٦٣).

(٢) سورة هود آية (٧٥).

(٣) سورة الصفات آية (١٠١).

(٤) سورة يوسف آية (٩٢).

(٥) وهو قول الإمام الديبعي اليمني في مولده .

الرَّسُولُ ﷺ وَأَقْسَمَ لَيَقْتُلَنَّ بِعَمِّهِ حَمزَةَ سَبْعِينَ مِنَ المُشْرِكِينَ[1] فَنَزَلَ قَولُهُ تَعالَى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾[2].

وَتَمْضِي الأَيَّامُ وَيَدْخُلُ وَحْشِيٌّ قاتِلُ حَمزَةَ فِي دِينِ الإِسْلامِ؛ و يَقبَلُهُ النَّبِيُّ ﷺ ، وَ يَذْهَبُ فِي الجَيْشِ الإِسْلامِي الَّذِي أَرْسَلَهُ أَبُو بَكرٍ الصِدِّيق لِرَدْعِ مُسَيْلَمَةِ الكَذَّابِ وَمَنْ مَعَهُ مِن كفَّارِ اليَمامَةِ مِن بَنِي حَنِيفَةَ، وأَرادَ وَحْشِيٌّ أَنْ يُكَفِّرَ عَمَّا حَصَلَ منه يَومِ أُحُدٍ وَهُوَ قَتْلُ حَمزَةَ رضِيَ اللهُ عَنهُ فَوَفَّقَهُ الله لِقَتْلِ مُسَيلَمَة الكَذَّابِ الَّذِي ادَّعَى النُّبُوَّة ، قَتَلَهُ بِيَدِهِ، وقال فِي ذلِكَ قَولَتَهُ المَشْهُورَةَ: لقَدْ قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ يَقْصِدُ حَمزَةَ ، وَقَتَلْتُ شَرَّ النَّاسِ يَقْصِدُ مُسَيلَمَةَ[3]. وفَتَحَ رسولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ وَدَخَلَها مُنتَصِراً نَهاراً بَعْدَ أَنْ أُخْرِجَ مِنْها خائِفاً لَيْلاً ، وحَطَّمَ الأَصْنامَ بِيَدِهِ، ووَقَفَ أَهْلُ مَكَّةَ أَمامَهُ صاغِرِينَ يَنْتَظِرُونَ ماذا سَيُنْزِلُ بِهِم رَسُولُ الله ﷺ مِنَ العِقابِ وَالجَزاءِ مُقابِلَ ما قَدَّمُوه لَهُ مِنْ أَذىً لا يَحْتَمِلُهُ إِلاَّ أَهْلُ العَزَماتِ القَوِيَّةِ ، إِلاَّ أَنَّهُ قالَ لهُمْ:(( ما تَظُنُّونَ أَنِّي فاعِلٌ بِكُمْ ؟ قالُوا: خَيْراً، أَخٌ كَرِيمٌ وَأَبنُ أَخٍ كريمٍ ، فقالَ لَهُمْ : اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقاءُ ))[4].

أَجَلْ : إِنَّ الحِلْمَ سَيِّدُ الأَخْلاقِ ؛لأَنَّ الحليمَ يَعفُو عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيهِ ، وَبِذَلِكَ يَجْعَلُ مِنْ أَعْدائِهِ أَصْدِقَاءً ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[5].

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٤/ ١٩٦)، تفسير ابن كثير (٢/ ٥٩٣)، وأخرج نحوه الحاكم في مستدركه (٣/ ٢١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة النحل آية (١٢٦).

(٣) انظر المعجم الكبير للطبراني (٣/ ١٤٧)، سنن البيهقي الكبرى (٩/ ٩٧)، والسيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٢٠).

(٤) سنن البيهقي الكبرى (٩/ ١١٨)، والسيرة النبوية لابن هشام (٥/ ٧٤).

(٥) فصلت (٣٤_ ٣٥) .

أَمَّا الغَضَبُ فَنَتائِجُهُ وَخِيمَةٌ ، وَعواقِبُهُ أَلِيمَـةٌ ، وَلِـذَلِكَ كـانَ ضَـبْطُ الـنَّفْسِ عِنْـدَ سَوْرَةِ الغَضَبِ وحدَّتِهِ[1] دَلِيلَ قُدْرَةٍ وَشَجاعَةٍ مَحْمُودَةٍ قَلَّ أَنْ تُوْجَدَ فِي كَثِيرٍ من النَّاسِ إِلاَّ مَن رَحِمَ الله .

عَنِ ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال : رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وآلِهِ وِسلَّمَ :(( ما تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ ؟ -أَيِ الشّجاعَ القَوِيَّ- قالُوا : الَّذِي لا تَصْرَعُهُ الرِّجـالُ، قالَ: لا ولَكِنِ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَـضَبِ )) [2] و في روايـة[3]:(( ألا وإنَّ الغَـضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ ، أَما تَرَونَ حُمْرَةَ عَيْنَيْهِ – أي عند الغَضَب يَكادُ يَتَطايَرُ مِنها الشَّرَرُ- وَانْتِفاخُ أَوْداجِهِ – عروق رقَبَتِهِ – فَمَنْ أَحَسَّ بِشَيٍء مِن ذَلِكَ فَلْيَلْصَقْ بِالأَرْضِ)) ؛ أَيْ فَلْيَبْقَ مَكانَهُ فَإِنَّهُ إِذا اسْتُطِيرَ وَراءَ لَهَبِ الغَيْظِ أَفْـسَدَ الأُمُـورَ عِنـدَ فُقْـدانِ وَعْيِـهِ وَغَلَبَـةِ غَضَبِهِ وَعاطِفَتِهِ.

نَعَمْ إِنَّ الشَّخْصَ الغَضُوبَ الَّذِي يَثُورُ لأَتْفَهِ الأَسْبابِ كَثِيراً ما يذْهَبُ بِهِ غَضَبُهُ إِلَى ارْتِكابِ أُمُورٍ حَمْقاءَ ، فَقَدْ يَضْرِبُ مَن حَوْلَهُ ، وقَدْ يُطَلِّقَ زَوْجَتَهُ ، وقَدْ يَكْسِرُ شَـيْئاً مِـنَ الأَثاثِ ، وقَدْ يَبْطِشُ بغَيرِهِ أَو يَجْرَحُهُ ، بَلْ يَصِلُ بِهِ الحُمْقُ مَعَ الغَضَبِ إِلَىَ القَتْلِ وَإِزْهاقِ الأَرْوَاحِ ظُلْماً ، وَحَدَثَ أَنَّ رَجُلاً نازَعَتْهُ الرِّيحُ رِداءَهُ ، فَلَعَنَها ، فَقالَ رسولُ الله صلَّى الله

---

(1) سَوْرَة الغضب بفتح السين و سكون الواو: أي شدته، وهي مأخوذة من الـسَّور بـالفتح و هـو الوثـوب و الاسـتعلاء ، أو مـن السُّور بالضم و هو ما أحاط بالشيء ومنه قيل لجدار المدينة سوراً ؛ كأنَّ الغضب يحيط بصاحبه.

(2) الحديث رواه مسلم في كتاب(البر و الصلة و الآداب)باب(فضل الذي يملك نفسه عند الغضب)برقم (٥١٤٩)، وهـو عنـده في نفس الباب و عند البخاري في كتاب (الأدب) بـاب (الحـذر مـن الغـضب) بـرقم (٥٦٤٩) بلفـظ : " لـيس الـشديد بالصُّرَعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ".

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسند المكثرين (مسند أبي سعيد الخدري) برقم (١٠٧١٦)، و رواه الترمذي في سننه من حـديث طويـل في كتاب (الفتن عن رسول الله ﷺ ) باب (ما أخبر النبي أصحابه بما هو كائن حتى اليوم) برقم (٢١١٧) و قال: حسن صحيح .

علَيهِ وآلِهِ وسلَّمَ : (( لا تَلْعَنِ الرِّيحَ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ وَإِنَّـهُ مَـنْ لَعَـنَ شَـيْئًا لَـيْسَ لَـهُ بِأَهْـلٍ رَجَعَتْ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ )) (١) .

وقالَ رَجُلٌ لِلنَّبِي صلى الله عَلَيهِ وآلِهِ وسلَّمَ : (( أَوْصِنِي وَلا تُكْثِرْ لَعَلِّي لا أَنْـسَى ، قالَ :لا تَغْضَبْ )) (٢).

وَالْجاهِلِيَّةُ الَّتِي عالَجَها رَسُولُ الله وَأَرادَ مَحْوَها كانَتْ تَقُومُ عَلَىَ نَوْعَيْنِ مِنَ الجَهالَـةِ: جَهالَةٍ ضِدَّ العِلْمِ ، وَأُخْرَى ضِدِّ الحِلْمِ ، فالأَوْلَى يَتِمُّ مَحْوُها بِالعِلْمِ وَالْمَعْرِفَـةِ ، وَالإِرْشـادِ وَهِيَ أَسْهَلُ مَحْواً، وَلَكِنَّ الجاهِلِيَّةَ الثانِيَةَ كانَتْ مُحارَبَـةَ الهَـوَى ، وَكَـبْحَ جِمـاحِ الـنَّفْسِ ، وَالْحُمْقِ وَالتَّعَصُّبِ الأَعْمَى ، كَمَا كانَتْ جاهِلِيَّةُ أَبِي جَهْلٍ ـ عَمْرو بن هشام ـ جاهِلِيَّتُهُ لَمْ تَكُنْ ضِدَّ العِلْمِ فَهُوَ يَعْرِفُ القُرْآنَ والدِّينَ وَأَنَّهُما حَقٌّ مِـنْ عِنْـدِ الله ولَكِـن سَـيْطَرَ عَلَيـهِ الهوَى والحُمْقُ وَالتَّعَصُّبُ لِرَأْيِهِ وَالحِقْـدُ ؛ وَكَذا كُـلُّ مَـنْ عَـلىَ شـاكِلَتِهِ مِـن أَهْـلِ مَكَّـةَ وَغَيرِهِمْ حَتَّى قال شاعرُهُمْ الجاهِلِيُّ(٣):

أَلا لا يَجْهَلَـــنْ أَحَـــــدٌ عَلَينـــا فَنَجْهَـــلَ فَـــوقَ جَهْلِ الـــجَاهِلِينا

فجاء الإِسْلامُ لِيُقِيمَ أَرْكَانَ الْمُجْتَمَـعِ عَـلىَ الفِـضَلِ والاعـتِرَافِ بِالْحَـــقِّ ، وكَـفِّ نَزَواتِ الشَّيطانِ وَالنَّفْسِ والهَوىَ ، ولَنْ يَتَحَقَّقَ ذَلِكَ إِلاَّ إِذا هَيْمَنَ العَقْـلُ الراشِـدُ عـلىَ غَرِيزَةِ الغَضَبِ .

---

(١)الحديث بنفس اللفظ عند أبي داود في كتاب الأدب، باب في اللعن برقم (٤٢٦٣) ، و رواه الترمذي في كتاب (البر و الصلة عـن رسول الله ﷺ) باب (ما جاء في اللعنة) برقم (١٩٠١)، و قال عقبه: هذا حديث غريب لا نعلم أحداً أسنده غير بشر بن عمر.

(٢) الحديث رواه مالك في الموطأ كتاب الجامع باب (ما جاء في الغضب) برقم( ١٤٠٩) " عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّ رَجُلاً أَتَـى إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله عَلِّمْنِي كَلِمَاتٍ أَعِيشُ بِهِنَّ وَلا تُكْثِرْ عَلَيَّ فَأَنْسَى فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ:" لا تَغْضَبْ " ، و هو في صحيح البخاري كتاب (الأدب) باب (الحذر من الغضب) رقمه( ٥٦٥١) بلفظ " أَنَّ رَجُـلاً قَـالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي قَالَ:" لَا تَغْضَبْ " فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ:" لا تَغْضَبْ .

٣) هو عمرو بن كلثوم شاعر جاهلي من الطبقة الأولى والبيت في معلقته المشهورة من البحر الوافر .

ومِنَ النَّاسِ كَثِيرٌ مِنْ سَيِّئي الخُلُقِ عَدِيمِي التَّرْبِيَةِ ، لا يَسْكُتُ عَنْهُمْ الغَـضَبُ فَهُـمْ فِي ثَورَةٍ دائِمَةٍ ، وَتَغَيُّظٍ مُسْتَمِرٍّ يَطْبَعُ عَلَىَ وُجُوهِهِمْ العُبُوسَ والشَّراسِيَّةَ ، يَثُورُ غَـضَبُهُم لأَتفَهِ الأَسْبابِ ، فَترَى الغَضْبانَ مِنْهُمْ يَرْتَعِشُ كالمَحْمُومِ ، وَيُرْغِي وَيُزبِدُ كالجَمَلِ الهائِجِ ، وَيَلْعَنُ وَيَطْعَنُ فِي أَعْراضِ النَّاسِ ، وَيَشْتِمُ هَـذا وَيَـسُبُّ ذاكَ دُونَـما خَجَـلٍ أو حَيـاءٍ ، والإِسْلامُ بَرِيءٌ مِن هَذِهِ الصِّفاتِ القَبِيحَةِ ، قالَ رَسُولُ الله صلَّى الله علَيـهِ وآلـه وَسَـلَّمَ :(( لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَعَّانِ وَلا اللَعَّانِ وَلا الفاحِشِ وَلا البَذِيءِ ))[1].

غَيْرَ أَنَّ الإِيمانَ إِذا رَبا وَنَما فِي القَلْبِ رَبَتْ وَنَمَتْ مَعَهُ السَّماحَةُ وَازْدادَ الحِلْمُ ؛ فَلَـمْ يَغْضَبْ عَلىَ المُخْطِئِينَ فِي حَقِّهِ، قِيلَ لِرَسُولِ الله صَلىَّ الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَـلَّمَ : أُدْعُ الله عَـلىَ المُشْرِكِينَ وَالْعَنْهُمْ فقالَ : (( إِنَّما بُعِثْتُ رَحْمَةً وَلَمْ أُبْعَثْ لَعَّاناً ))[2]، وَيَومَ أُحُدٍ وَقَدْ حَصَلَ لَهُ ﷺ وَأَصْحابِهِ ما حَصَلَ مِنْ قَتْلٍ وَإِيذاءٍ فَقِيلَ لَـهُ : هَـلا دَعَـوتَ الله عَلَـيهِمْ لِـيُهْلِكَهُمْ فَدَعا لَـهُمْ بَدَلَ أَنْ يَدْعُو عَلَيهِمْ ؛ فَقالَ : (( اللَّهُمَّ اهْـدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ))[3].

غير أنه صلى الله عليه وآله وسلم إذا ما تمادى العدو في غيه ولم ينفعه اللين والحلـم عرف كيف يؤدبه ويوقفه عند حده فيلبس لِكُلِّ حالَةٍ لَبوسَها إمّا نَعيمَها وَإمّا بُؤسَها[4]

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده في(مسند المكثرين من الصحابة) مسند عبدالله بن مسعود رقمه (٣٦٤٦) بلفظ: " ليس المؤمن بطعَّان ولا بلعَّان ولا الفاحشِ البذيء" ، و رواه الترمذي عن عبد الله بـن مـسعود في كتـاب (الـبر والصلة والآداب عن رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم) باب (ما جاء في اللعنة) برقم (١٩٠٠).

(٢) الحديث رواه مسلم في كتاب (البر والصلة والآداب) باب (النهي عن لعن الدواب و غيرها) برقم(٤٧٠٤).

(٣) ذكره بهذا اللفـظ البيهقـي في شـعب الإيـمان (٢/ ١٦٤) حـديث رقـم (١٤٤٧)، والـضياء المقـدسي في الأحاديـث المختـارة (١٠/ ١٤)، و أخرج البخاري في كتاب (أحاديث الأنبيـاء) بـاب(حـديث الغـار) ،ومـسلم في كتـاب (الجهـاد و الـسير) باب(غزوة أحد) عن عبد الله بن مسعود قال: كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبياً من الأنبيـاء ضربـه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول:" ربِّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون " .

(٤) إشارة لقول بيهس بن هلال واصبح مثلا يضربه العرب

وَالْحِلْمُ وَالْعَفْوُ مَعَ المقدْرَةِ عَلَىَ الجَزاءِ بالْمِثْلِ خُلُقٌ رَفِيعٌ ، فَهَذا الأَحْنَفُ بْنِ قَيْسٍ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ المِثْلُ فِي الحِلْم يَقُولُ : (( ما آذانِي أَحَدٌ إِلاَّ أَخَذْتُ فِي أَمْرِهِ بِإِحْدَى ثَلاثٍ : إِنْ كانَ فَوْقِي أَعْلَى مِنِّي عَرَفْتُ لَهُ فَضْلَهُ ، وَإِنْ كانَ مِثْلِي تفضَّلْتُ عَلَيهِ ، وَإِنْ كانَ دُوْنِي أَكْرَمْتُ نَفْسِي عَنْهُ )).

وَلَقَدْ أَجادَ مَنْ قالَ[1]:

وَما قَتَلُ الأَحْرارِ كالْعَفْوِ عَنْهُمُ وَمَنْ لَكَ بالحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدا
إِذا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدا
وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيفِ بِالْعُلا مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعَ النَّدَى

عِبادَ الله : اتَّقُوا الله وَتَمَسَّكُوا بِأَخْلاقِ نَبِيِّكُمْ ، وَتَعالِيمِ دِينِكُمْ يَكْتُبُ الله لكُمْ السَّعادةَ والتَّوفِيقَ فِي أُمُورِ دِينِكُمْ وَدُنْياكُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغَضَبَ إِلاَّ لله و فِي الله ، وَتَحَلُّوا بِالحِلْمِ والْعَفْوِ وَالتَّسامُحِ مَعَ مَنْ تُعاشِرُونَ وتُصادقُونَ ، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُما قالَ : قالَ رَسُولِ الله صلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للأَشَجِّ : (( إِنَّ فِيكَ لخَصْلَتَينِ يُحِبُّهُما الله وَرَسُولُهُ : الحِلْمُ وَالأناةُ )) [2].

---

(١) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الكندي الكوفي الملقَّب بالمتنبِّي (ت: ٣٥٤هـ) أحد فحول الشعراء المشهورين والأبيات من البحر الطويل .

(٢) الحديث رواه مسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى و رسوله و شرائع الدين برقم (٢٤) و فيه : وَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلأَشَجِّ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ:" إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ ". وهو في سنن الترمذي كتاب (البر والصلة عن رسول الله ) باب( ما جاء في التأني و العجلة) برقم (١٩٣٤)، و رواه أبو داود في كتاب(الأدب) (باب في قبلة الرِّجل) بلفظ : " أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم- أي الأشجُّ بن عبدالقيس- فقال له:" إن فيك خلتين يحبهما الله: الحلم والأناة "؛ قال: يا رسول الله أنا أتخلَّق بهما أم الله جَبَلني عليهما؟ قال:" بل الله جَبَلك عليهما" قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله.

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي المُهْتَدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[2].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[3].

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم .

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

٣) سورة آل عمران آية (١٣٢_١٣٤).

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِــينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِــينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلَائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيـلِ الْمُحَيَّا والمَنْظَـرِ ، وعَـلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أما بعدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى ، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

عِبادَ الله : لَمَّا دَخَلَ عُيَيْنَةُ بْنِ حِـصْنٍ الفَـزَارِي وَكـانَ بَـدَوِيّاً جَلِفـاً عَـلَى عُمَـرَ بـنِ الخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ أَيَّامَ خِلافَتِهِ قالَ : (( هِيهِ يَا ابْنَ الخَطَّابِ : فَوَالله ما تُعْطِينا الجَزْلَ ، وَلا تَحْكُمُ بَيْنَنا بِالعَدْلِ ؛ فَغَضِبَ عُمَرُ حَتىَّ هَمَّ أَنْ يُوْقِعَ بِهِ فَقالَ الحُرُّ بْـنُ قَـيْسٍ وَكـانَ حاضِراً : إِنَّ الله يَقُـولُ لِنَبِيِّـهِ ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[1] وَإِنَّ هَذا يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الجاهِلِينَ ، فَوَالله ما جاوَزَها عُمَرُ حِينَ تلاها عَلَيـهِ ، وَكـانَ

---

١) سورة الأعراف الآية (١٩٩).

وقَّافاً عِنْدَ كِتابِ الله )) [1] ؛ وَإِنَّما غَضبَ عُمَرُ عَلىَ الأَعْرَابِي هَذا لِتَطاوُلِهِ عَلَيْهِ وَهَمَّ بِرَدْعِهِ ، لأَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيهِ ناصِحاً بِخَيْرٍ ، أَو طالِباً لِحَقٍّ ، وَإِنَّما دَخَـلَ عَـلىَ حـاكِمٍ فِي سُـلْطانِهِ لِيَشْتِمَهُ وَ يَنْتَقِصَهُ .

وَعنْ عُبادَةَ بنِ الـصَّامِتِ رَضِيَ الله عَنْـهُ : قـالَ رَسُـولُ الله ﷺ : (( أَلا أُنَبِّـئُكُمْ بِـما يُشْرِفُ الله بِهِ البُنْيانَ ، وَيَرْفَعُ الدَّرَجاتِ ، قالُواْ : نَعَمْ يـا رَسُـولَ الله قـالَ : تَحْلُـمُ عَمَّـنْ جَهِلَ عَلَيكَ ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَتُعْطِي مَـنْ حَرَمَـكَ ، وَتَـصِلُ مَـنْ قَطَعَـكَ)) [2] ، وَرُوِيَ أَنَّ الحَسَنَ البَصْرِي رَحِمَهُ الله دَخَلَ عَلَيهِ خادِمُهُ وَمَعَهُ إِبْرِيـقٌ جـاءَ لِيَغْـسِلَ يـده ، فانْكَبَّ الإِبْريقُ عَلىَ الحَسَنِ وَبَلَّلَ الماءُ ثِيابَهُ فَنَظَرَ إِلىَ الخادِمِ بِغَيْظٍ وَغَـضَبَ ، فَقـالَ : لَـهُ الخادِمُ يَقُولُ اللهُ: ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ فَقالَ الحَسَنُ : كظَمَنا غَيْظَنا ، فَقـالَ الخـادِمُ: وَيَقُولُ الله ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ فَقالَ الحَسَنُ: عَفَوْنا عَنْكَ ، فَقالَ الخـادِمُ :﴿ وَٱللهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ قالَ الحَسَنُ: أَكْرِمُوهُ وَأَحْسِنُوا إليه وَلِيَذْهَبْ حُرًّا لِوَجْهِ الله تعالى[3].

هَذا قَلِيلٌ مِنْ كثَيرٍ مِنَ الآداب الإِسْلامِيَّةِ وَسِيْرَةِ الـسَّلَفِ الـصاَّلِحِ فَـأَيْنَ نَحْـنُ اليَوْمَ ممَّا دَرَجَ عَلَيهِ الأَسْلافُ الـصاَّلِحُونَ لَقَـدْ تَغَلَّـبَ عَلَينـا الهَـوَى ، وَحُـبُّ الـذَّاتِ ، وَسُرْعَةُ الغَضَبِ لأَتْفَهِ الأَسْبابِ ، فَلا نحتَمِلُ غَيْرَنا وَلا نَكْتُمُ غَيْظَنـا ، طِباعـاً هائِجَـةً ، وَوُجُوهاً غاضِبَةً ، وَلَوْ بَحَثْنا حَقِيقَةً عَمَّا أَلَمَّ بِنا مِنْ أَمْراضٍ غَرِيبَةٍ لَوَجَدْنا الـسَّبَبَ الأَوَّلَ

---

١)القصة في صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن باب( قوله تعالى : {خُذِ العَفْوَ وَأْمُـرْ بـالْعُرْفِ وَأَعْـرِضْ عَـنِ الجـاَهِلِينَ} ) بـرقم (٤٢٧٦).

٢) ذكـره الحـافظ المنـذري في الترغيـب و الترهيـب (٣/ ٢١٠) وقـال: رواه البـزار و الطـبراني، وقـال الهيثمـي في مجمـع الزوائـد (٨/ ١٨٩) : رواه الطبراني و فيه أبو أمية بن يعلى وهو ضعيف .

٣) ذكر البيقهي في شعب الإيمان(٦/ ٣١٧) قريباً من هذه القصة حصلت لسيدنا علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، و ذكر القرطبي في تفسيره(٤/ ٢١٠) نحو هذه القصة عن ميمون بن مهـران و قـال: و روي مثلـه عن الأحنف بن قيس.

يَعُودُ إلىَ ضِيْقِ خَواطِرِنا وَشَراسِيَةِ أَخْلاقِنا ، فَـأَمْرَاضُ العَـصْرِ لَيْـسَتْ كُلُّهـا مِـنْ سُـوءِ التَّغْذِيَةِ أَوِ الفَقْرِ ، وَلَكِنَّها تَرْجِعُ إِلىَ أَنَّنا لَمْ نُرَوِّضْ أَنْفُسَنا عَـلىَ الاحـتمال وَالـصَّبْرِ عَـلى الآخَرِينَ ، وَنَحْنُ نُرِيدُ دُنْيا هانِئَةً صافِيَةً وَهَذا مُسْتَحِيلٌ ؛ لأَنَّ الله خَلَقَها كَدِرَةً منغّـصةً وَلَقَدْ أَجادَ مَنْ قالَ[1]:

بَينـا يَـرى الإنـسان فيهـا مُخْـبِراً      حَتّى يُرى خَبَراً مِـنَ الأَخبـارِ
وَمُكـــلَّفُ الأَيــأَّم ضِـــدَّ طِباعِهـــا      مُتَطَـلِّبٌ فِي المْـاءِ جَـذْوَةَ نَـارِ
طُبِعَتْ علىَ كَـــدِرٍ وَأَنْتَ تريـدها      صَفْـواً مِنَ الأَقْذَاءِ وَالأَكْـدَارِ

أَمْراضُنا كُلُّها ارْتفاعٌ فِي ضَغْطِ الدَّمِ ، الْبَـولُ وَالـدَّمُ اِلْـسَكرِيُّ ، جَلَطـاتٌ دَمَوِيَّـةٌ، تَصَلُّبٌ فِي الشَّرايينَ ، أَمْراضٌ نَفْسِيَّةٌ مِزاجِيَّةٌ ، كُلُّها تَرْجِعُ إِلىَ سَبَبٍ واحِدٍ هُـوَ الغَـضَبُ السَّرِيعُ وَهُوَ ناتِجٌ مِنْ سُوءِ التَّرْبِيَةِ ، وَالجَهْلِ بالأَخْلاقِ الإِسْلامِيَّةِ الَّتِي افْتَقَدْناها...

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُـمْ تَكْـرِيماً :
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَـحْبِهِ ومَـنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ : سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِــي بَكْـرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيـهِ وسَـلَّمَ سَـيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّـدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِــي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ،

---

[1] هو الشاعر الكبير أبو الحسن علي بن محمد بن فهد التهامي (ت: ٤١٦هـ) وهي من البحر الكامل .

أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَـشَرَةِ الـمُبَـشَّرَةِ ، الَّـذِينَ بَايَعُوا نَبِيّكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَـعْدٍ وسَـعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْــمَنِ وأَبِــي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَـصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُـودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَـا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْـرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوعِ بِلادِنَـا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَـعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْـدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَــوِّكَ أَجْـمَعِينَ .

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئاً ، سَحّاً عَامّاً دَائِماً مُبَارَكاً فِيهِ ، نَافِعاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَادَالله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ ؛ يَزِدْكُمْ ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# الرحمة والعطف

## الخطبة الأولى

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَمَرَنَا بِالاعْتِصامِ بِحَبْلِهِ ، وَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِنَا بِفَضْلِهِ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْـدهُ لا شَرِيـك لَـهُ ، وَنَـشْهَدُ أَنَّ سَـيِّدَنَا مُحَمَّـداً عَبْـدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَفْضَلُ أَنْبِيائِهِ وَخاتِمُ رُسْلِهِ ، جَمَعَ النَّاسَ عَلَى التَّقْوَى ، وَأَقـام أُمَّتَـهُ عَـلَى رُوحِ الإِخاءِ ، وَهُوَ القائِلُ تَرَكْتُكُمْ عَلَى المَحَجَّةِ البَيْضاءِ ، لَيلُها كَنَهارِهَا .

اَللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِـهِ وَصَـحْبِهِ المُتَحـابِّينَ فِي الله ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسانٍ إِلَى يَومِ الدِّيْنِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأُوصِيكُمْ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ الْمُؤْمِنُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعَالَى ، فَإِنَّهَا الحِـصْنُ الحَصِينُ مِنَ العَذابِ ، وَالدِّرْعُ الواقِي يا أُولِي الأَلْبابِ .

عبادَ الله : لقدْ أَمَرَ الإِسْلامُ بِالتَّراحُمِ العامِّ بَينَ النَّاسِ ، وَجَعَلَهُ مِنْ دَلائِـلِ الإِيْـمانِ الكامِلِ ، فالْمُؤْمِنُ يَلْقى النَّاسَ قاطِبَةً وَفِي قَلْبِهِ لَهُمْ عَطْفٌ مَذْخُورٌ ، وَبِرٌّ مَكْنُونٌ ، فَـيَرْحَمُ هَذاَ ، وَيَعْطِفُ عَلَى ذاكَ ، قَدْرَ مَا يَسْتَطِيعُ ، قالَ رَسُولُ الله صَـلَّى الله عَلَيـهِ وَسَـلَّمَ : (( لَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَراحَمُوا ، قالَوا يا رَسُولُ الله كُلُّناَ رَحِيمٌ ، قالَ إِنَّـهُ لَـيْسَ بِرَحْمَـةِ أَحَـدِكُمْ صاَحِبَهُ وَلَكِنَّهَا رَحْمَةٌ عامَّةٌ ))(1)، وَالرَّحْمَةُ فِي أُفُقِهَا الأَعْلَى ، وَامْتِدادِهَا الْمُطْلَقِ صِفَةُ المَـوْلَى تبارَكَتْ أَسْماَؤُهُ ، وَتَعَالَى فِي عُلاَهُ ، فَإِنَّ رَحْمَتَهُ شَمِلَتْ الوُجُـودَ كُلَّـهُ ، وَعَمَّـتْ المَلَكُـوتَ بِأَجْمعِهِ ، فَحَيْثُمَا أَشْرَقَ شُعاَعٌ مِنْ عِلْمِهِ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْء ، أَشْرَقَ مَعَهُ لِلرَّحْمَـةِ الغـامِرَةِ ، وَكَثِيرٌ مِنَّ أَسْمائِهِ الحُسْنَى يَنْبُعُ مِنْ مَعَانِي الرَّحْمَةِ وَالْكَرَمِ وَالفَـضْلِ ، وَالْعَفْـوِ وَالْغُفْـرانِ ،

---

(1)أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٨/ ٣٠) ، وقال الهيثمي : فيه عبد الله بن صالح ، وقد وثـق وضـعفه جماعـة . وأخرجـه الحاكم (٤/ ١٨٥ ، رقم ٧٣١٠) ، وقال : صحيح الإسناد .

وَمَا تَرَى فِي الأَرْضِ مِنْ تَوادٍّ وَتَرَاحُمٍ ، وَبشاَشَةٍ ، وَعَطْفٍ وَبِرٍّ ، أَثَرٌ مِـنْ رَحْمَـةِ الله الَّتِـي أَوْدَعَ جُزْأً مِنْهَا فِي قُلُوبِ الخَلاَئِقِ ، قاَلَ تَعالَى : ( وَقُـلْ رَبِّ اغْفِـرْ وَارْحَـمْ وَأَنْـتَ خَـيْرُ الرَّاحِمِينَ )[1] .

وَلَقَدْ أَرَادَ الله أَنْ يَمُنَّ عَلَى العالَمِ عِنْدَ مَا تَحَكَّمَ فِيهِ غِلاَظُ الأَكْبَادِ ، قَساَةُ القُلُوبِ مِنَ الجَبَّـارِينَ وَالمُسْتَكْبِرِينَ ، امْتَنَّ الله بِرَجُـلٍ يَمْـسَحُ الأُمَّـةَ ، وَيُخَفِّـفُ أَحْزاَنَهـا ، وَيُقَـوِّمُ اعْوِجاَجَها، وِيَأْخُذُ بِنَاصِرِ الضَّعِيفِ وَيُقاَتِـلُ دُونَـهُ قِتـاَلَ الأُمِّ عَـنْ صِـغَارِهَا ، وَيَخْـضِدُ شَوكَةَ القَوِيِّ ، حَتَّى يَرُدَّهُ إِنْسَانًا سَلِيمَ الفِطْرَةِ ، لاَ يَـضْرَى وَلاَ يَطْغَـى ، فَأَرْسَـلَ مُحَمَّـداً عَلَيهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الرَّحْمَةَ المُهْداَةَ ، وَقَدْ صَبَّ فِي قَلْبِهِ وَعَقْلِهِ مِنَ العِلْـمِ وَالحِلْـمِ ، وَفِي خَلْقِهِ مِنَ الإِيْناَسِ وَالْبِرِّ ، وَفِي طَبْعِهِ مِنَ السُّهُولَةِ وَالرِّفْقِ وَفِي يَدِهِ مِنَ السَّخاَءِ وَالنَّدَى مَا جَعَلَهُ أَزْكَى عِباَدِ الله رَحْمَةً ، وَأَوْسَعهُمْ عاَطِفَةً وَأَرْحَبَهُمْ صَدْراً :[2]

وَإِذاَ رَحِمْتَ فَأَنْتَ أُمٌّ أَوْ أَبٌ     ذاَنِ فِي الـدُّنْيَا هُمَـا الرُّحَمَـاءُ

وَإِذَا حَمَيْتَ الماَءَ لَمْ يُورِدْ وَلَو     أَنَّ القَيـاصِرَ وَالمُلُـوكَ ظَـمِاَءُ

وَإِذا خَطَبتَ فَلِلمَنـابِرِ هِـزَّةٌ     عرو النَدِيَّ وَلِلقُلوبِ بُكـاءُ

وَقَدْ لاَزَمَتْهُ هَذِهِ الفَضَائِلُ العَذْبَةُ فِي أَصْعَبِ السَّاعاَتِ ، وَأَحْرَجِ الأَزْماَتِ عِنْـدَ مـاَ حاَوَلَ المُشْرِكُونَ يَومَ أُحُدٍ اغْتِياَلَـهُ وَإِلْجـاَؤُهُ إِلَى حُفْـرَةٍ لِيَكُـبَّ فِـيهَا، وَنَظَـرَ عَـلَى خَـيْرَةِ أَصْحاَبِهِ فَوَجَدَهُمْ مُضَرَّجِينَ بِدِماَئِهِمْ عَلَى الثَّرَى ، وَنَظَرَ إِلَيهِ أَصْحاَبُهُ فَإِذاً خَدُّهُ الشَّرِيفُ قَدْ شُجَّ ، وَسِنُّهُ قَدْ سَقَطَتْ ، فِي هَذِهِ الأَزْمَةِ قِيلَ لَهُ : أَلاَ تَدْعُو عَـلَى المُـشْرِكِينَ بِـالْهَلاَكِ ، فَغَلَبَهُ رِفْقُهُ ، وَجَعَلَتْ نَفْـسُهُ الكَرِيمَـةُ العَالِيَـةُ تَـسْتَمِيحُ لأَعْداَئِـهِ العُـذْرَ فَكـاَنَ دُعـاَؤُهُ

---

(١) المُؤْمِنُونَ (١١٨)

(٢) قائلها هو أمير الشعراء أحمد شوقي من البحر الكامل .

اَلْمَشْهُورُ :(( اَللَّهُمَّ أهدِ قَومِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ )) وَاسْتَجَابَ الله دُعـاءَهُ ، فَكَثِـيرٌ مِـنْ زُعَمَاءِ الكُفْرِ يومَ أُحُدٍ وفقهم الله للإِسْلاَمِ أَمْثَالَ خالِدِ بْنِ الوَلِيدِ الَّذِي وَصَفَهُ النَّبِيُّ فِيمَا بَعْدُ بِأَنَّهُ سَيفُ الله المَسْلُول وَأَبِي سُفْيَانَ الذي كان زَعِيمَ الكُفْرِ.

إِنَّ القُلُوبَ الكَبِيرَةَ قَلَّمَا تَسْتَجِيشُهَا وَتَسْتَثِيرُهَا دَوافِعُ القَسْوَةِ ، فَهِيَ أَبَداً إِلَى الصَّفْحِ وَالحَنانِ أَقْرَبُ ، وَأَدْنَى مِنْهَا إِلَى الحِقْدِ وَالأَضْغَانِ ، إِنَّ القَسْوَةَ فِي خُلُـقِ الإِنْسانِ دَلِيلُ نَقْصٍ كَبِيرٍ ، وَفِي تَارِيخِ الأُمَّةِ فَسَادٌ خَطِيرٌ ، فَلاَ عَجَبَ إِذاَ حَذَّرَ الإِسْلاَمُ مِـنْ مَغَبَّتِهـاَ ، واَعْتَبَرَهَا عِلَّةَ الفِسْقِ عَنْ أَمْرِ الله ، وَالبُعْدِ عَنْ صِراَطِهِ المُسْتَقِيمِ ، قَالَ تَعاَلَى ( أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله ، وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ ، وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ )[1] .

وَقَدْ جاءَتْ أَحَادِيثُ الرَّحْمَةِ تَتْرَى ، حاَثَّةً عَلَى الرَّحْمَةِ الشَّامِلَةِ ، قَالَ عَلَيهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ : ((لَا يَرْحَمُ الله مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ))[2] رَواَهُ البُخارِيُّ ، وَفِي رِوايَةٍ زَادَ[3] : (( وَمَنْ لاَ يَغْفِرْ لاَ يُغْفَرْ لَهُ )) ، وقَالَ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ:(( مَنْ لاَ يَرْحَمْ مَنْ فِي الأَرْضِ لاَ يَرْحَمُهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ )) رَواَهُ الطَّبَرانِي[4] ، وَقَالَ أَيْضًا : (( طُوبَى لِمَنْ تَواَضَعَ

(١)الحديد (١٦) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب النوحيد باب بَاب قَوْلِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى { قُلْ ادْعُوا الله أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى }

(٣)أخرج هذه الزيادة الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٣٦٥ ، رقم ١٩٢٦٤) قال الهيثمى (١٠/ ١٩٣) : رجاله رجال الصحيح . والطبرانى (٢/ ٣٥١ ، رقم ٢٤٧٥) .

(٤)أخرجه الطبرانى في الكبير (٢/ ٣٥٥ ، رقم ٢٤٩٧) قال الهيثمى (٨/ ١٨٧) : رجاله رجال الصحيح

فِي غَيرِ مَنْقَصَةٍ ، وَذَلَّ فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيرِ مَسْأَلَةٍ وَأَنْفَقَ مالاً جَمَعَهُ فِي غَيرِ مَعْصِيَةٍ ، وَرَحِمَ أَهْلَ الذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ ، وَخالَطَ أَهْلَ الفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ )) رَواهُ الطَّبَرانِي(١).

وَقَدْ وَصَفَ الله الْمُجْتَمَعَ الإِسْلاَمِيَّ المِثَالِيَّ ، أَنَّهُ مُتَماسِكٌ مُتَرابِطٌ بِوَشَائِجَ مِنَ العَطْفِ الْمُتَبادِلِ فِي حِينِ أَنَّهُ أَي الْمُجْتَمَع الإِسْلاَمِيّ عَزِيزٌ عَلَى أَعْدائِهِ فَقَالَ تَعَالَى فِي نَفْسِ الوَقْتِ فِي وَصْفِهِمْ ( أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكافِرِينَ ..) وَقَالَ تَعَالَى ( أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ ..) وَالحَقُّ أَنَّ الإِسْلاَمَ يُوصِي بِالرَّحْمَةِ العَامَّةِ لاَ يَسْتَثْنِي مِنْهَا إِنْسَاناً وَلاَ حَيوَاناً وَلاَ طَيْراً ، غَيرَ أَنَّ هُناكَ مِنَ النَّاسِ وَالدَّوابِّ مَنْ يَكُونُ مَصْدَرَ خَطَرٍ عَلَى غَيْرِهِ ، وَمَثَارَ رُعْبٍ وَفَزَعٍ عَلَى الآخَرِينَ ، فَيَكُونُ حِيْنَهَا مِنْ رِعايَةِ الصَّالِحِ العَامِّ لِلْمُجْتَمَعِ كُلِّهِ ، أَنْ يُحبَسَ شَرُّهُ وَيُحاصَرَ خَطَرُهُ وَضَرَرُهُ ، فَتَكُونُ الشِّدَّةُ مَعَهُ رَحْمَةً بِهِ وَبِغَيرِهِ ، وَتَقْوِيمًا لِاعْوِجاجِهِ ، وَاعْوِجاجِ غَيرِهِ ، وَالْعاقِلُ مَنِ اتَّعَظَ بِغَيرِهِ ، وَالإِسْلاَمُ رِسالَةُ خَيرٍ وَسَلاَمٍ وَعَطْفٍ عَلَى البَشَرِ كُلِّهِمْ ، وَرَسُولُ الإِسْلاَمِ رَحْمَةٌ مُهْداةٌ لِلْعالَمِينَ أَجْمَعِينَ قَالَ تَعَالَى ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ) وَسُوَرُ القُرْآنِ كُلُّها مُفْتَتَحَةٌ بِـ ( بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ) مَا عَدَا سُورَةَ التَّوبَةِ ( بَراءَة ) لَمْ تَكُنْ مَبْدُوءَةً بِالْبَسْمَلَةِ لِمَا فِيهَا مِنَ الغِلْظَةِ وَالشِّدَّةِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ لِنَقْضِهِمْ العَهْدَ وَالْمِيْثاقَ قَالَ تَعَالَى ( بَراءَةٌ مِنَ الله وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُم مِنَ الْمُشْرِكِينَ ) ثُمَّ نَبَذَ عَهْدَهُمْ لَمَّا أَمَرَ بِقِتالِهِمْ فَقَالَ تَعَالَى ( وَأَذانٌ مِنَ الله وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَومَ الحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ الله بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ..)(٢).

---

(١)أخرجه الطبرانى (٥/ ٧١ ، رقم ٤٦١٥) قال المنذرى (٣/ ١٤١) : رواته إلى نصيح ثقات . وقال الهيثمى (١٠/ ٢٢٩) : رواه الطبرانى من طريق نصيح العنسى عن ركب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات . والبيهقى فى السنن الكبرى (٤/ ١٨٢ ، رقم ٧٥٧٢) ، وفى شعب الإيمان (٣/ ٢٢٥ ، رقم ٣٣٨٨) ، وتمام (٢/ ٢٣٢ ، رقم ١٦٠٢) ، وابن عساكر (٥٨/ ٣٥٠) . وأخرجه أيضًا : البخارى فى التاريخ الكبير (٣/ ٣٣٨) ، وابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى (٥/ ٢٥٥ ، رقم ٢٧٨٢) ، والقضاعى (١/ ٣٦٠ ، رقم ٦١٥) ، والديلمى (٢/ ٤٤٦ ، رقم ٣٩٢٨) .

(٢)براءة (٣١)

لَكِنْ ذِئَابُ البَشَرِ وَهِيَ مَوجُودَةٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ تَأْبَى إِلاَّ أَنْ تَقِفَ حَجَرَةَ عَثْرَةٍ فِي سَبِيلِ الرَّحْمَةِ الْمُرْسَلَةِ ، وَتَضَعُ العَرَاقِيلَ فِي طَرِيقِ النَّاسِ لِينقطعوا عَنْ مَوارِدِهَا فَيُهْلِك الْحَرْثُ وَالنَّسْلُ ، وَيَبْتَعِدُوا عَنْهَا فِي أَوْدِيَةِ الحَيْرَةِ وَالْجَهَالَةِ ، فَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ إِزَالَةِ هَذِهِ العَوائِقِ ، وَالإِغْلاَظِ لأَصْحَابِهَا حَتَّى يَعُودوا إِلَى صَوابِهِمْ ، وَيَومَئِذٍ تَشْمَلُهُمْ هَذِهِ الرَّحْمَةُ الجَامِعَة.

أَيَّتُهَا الأُمَّةُ المَرْحُومَةُ إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى : إِنَّ الكَثِيرَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يُعَانِي الأَمَرين ، وَبِالأَخَصِّ الضُّعَفَاءُ مِنَّا ، وَالْفُقَرَاءُ الَّذِينَ قَسَا عَلَيهِمْ الدَّهْرُ ، يُعانُونَ مِن انْتِزَاعِ الرَّحْمَةِ مِنْ إِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ مَلَّكَهُمُ الله مَقُومَاتِ الحَيَاةِ ، فَاسْتَبْدَلُوا هَذِهِ الرَّحْمَةَ بِالْقَسْوَةِ وَالْغِلْظَةِ ، فَفِي مُعامَلاتِنَا كُلِّهَا وَتِجَارَتِنَا وَأَسْوَاقِنَا سَيْطَرَتْ عَلَينَا نَزْعَةُ الجَشَعِ وَالطَّمَعِ وَالاسْتِغْلاَلِ ، وَاضْطِرَابُ الأَسْعَارِ ، وَارْتِفَاعُهَا ، وَقَدْ يَكُونُ تَرَدِّي الأَوْضَاعُ الاقْتِصادِيَّةُ فِي بِلاَدِنَا وَالسِّيَاسِيَّةُ سَبَبٌ فِي بَعْضِ مَا يَحْدُثُ إِلاَّ أَنَ تُجَّارَنَا مَعَ الأَسَفِ الشَّدِيدِ يُبَارِكُونَ هَذِه الأَزْمَاتِ ، وَيَزِيدُونَ الطِّينَ بَلَّةً ، وَالنَّارَ وَقْدَةً ، وَلَمْ يَتَقَيَّدُوا بِالتَّعَالِيمِ الإِسْلاَمِيَّةِ السَّمْحَةِ ، غَيرَ عَابِئِينَ بِأَخْلاقِيَّاتِهِ ، يَتِمُّ كُلُّ ذَلِكَ تَحْتَ سَمْعِ الدَّوْلَةِ وَبَصَرِهَا ، وَالْمَسْئُولُونَ مُنْهَمِكُونَ فِي التَّشَبُّث بِمَنَاصِبِهِمْ الشَّخْصِيَّةِ وَالْحِزْبِيَّةِ ، وَالتَّنَافُسُ عَلَى السُّلْطَةِ يَكُونُ ضَحِيَّتَها الشَّعْبُ المِسْكِينُ ، كُلُّ ذَلِكَ قَائِمٌ بَيْنَنَا وَنَحْنُ نَرْفَعُ شِعَارَ الإِسْلاَمِ ، وَنُنَادِي بِمَبَادِئِهِ وَعَدَالَتِهِ ، وَالكُلُّ يَبْرَأُ مِمَّا حَصَلَ وَيَحْصُلُ فِي بِلاَدِنَا ، وَاللهُ وَحْدَهُ يَعْلَمُ مَتَى وَكَيْفَ نخْرُجُ مِنْ هَذِهِ الدَّوَامَةِ المُهْلِكَةِ ؛ لأَنَّ فِي ظِلِّهَا تَضْطَرِبُ النُّفُوسُ ، وَتُزَعْزَعُ الطُّمَأْنِينَةُ ، وَتَهِيجُ الفِتَنُ ، وَتَحْصُلُ القَلاَقِلُ ، فِي الأَمْنِ ، وَالاقْتِصَادِ وَالسِّيَاسِيَّةِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنـهُ قـاَلَ : سَـمِعْتُ الـصَّادِقَ المَـصْدُوقَ صـاَحِب هَـذِهِ الحُجْرَةِ أَبَا القَاسِمِ ﷺ يقول : لاَ تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلاَّ مِنْ شَقِيٍّ [1] أَخْرَجَهُ أَبُو داود .

نَعَمْ قَدْ تَأْخُذُ الرَّحْمَةُ الحقَّةُ أَحْيَانَاً طابعَ القَسْوَةِ وَالشِّدَّةِ ، فَإِنَّ الأَطْفالَ قَـدْ يُـساَقُونَ إِلَى المَدارِسِ كَرْهًا مُرْغَمِينَ ، وَيُكَلَّفُونَ بِحِفْظِ الدُّرُوسِ قَـسْراً ، وَلَـو تُرِكُـوا وَأَهْـواَئَهُمْ لَضاَعُوا فِي اللَّهْوِ وَاللَّعَبِ ، وَلَشَبُّوا لاَ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ، وَالطَّبِيبُ عِنْدَ مَا يُجْرِي فِي جِـسْمِ المَرِيضِ عَمَلِيَّةً جِراَحِيَّةً يَسْتَخْدِمُ مِبْضَعَهُ ( مِقصَّه) لِتِمْزِيقِ لَحْـمِ المَـرِيضِ ، وَقَـدْ يَـضْطَرُّ لِتَهْشِيمِ العِظاَمِ ، وَبَتْرِ بَعْضِ الأَعْضاءِ ، ماَ يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلاَّ رَحْمَةً بِالْمَرِيضِ وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قاَلَ[2] :

فَقَسا لِتَزدَجِروا وَمَن يَكُ حازِماً ❊ فَليَقسُ أَحياناً وَحيناً يَرحَمُ

وَقاَلَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ :(( جَعَلَ الله الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْـدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ)) [3].

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَـدِي الْمُهْتَـدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [1] وَقالَ عَـزَّ مِـنْ قَائـِلٍ كَـرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [2].

---

(١)أخرجه أحمد (٢/ ٣٠١ ، رقم ٧٩٨٨) ، وأبـو داود (٤/ ٢٨٦ ، رقـم ٤٩٤٢) ، والترمـذى (٤/ ٣٢٣ ، رقـم ١٩٢٣) وقـال : حسن . وابن حبان (٢/ ٢١٣ ، رقم ٤٦٦) ، والحاكم (٤/ ٢٧٧ ، رقم ٧٦٣٢) وقـال : صـحيح الإسـناد . والبيهقـى (٨/ ١٦١ ، رقم ١٦٤٢٠) . وأخرجه أيضًا : الطيالسى (ص ٣٣٠ ، رقم ٢٥٢٩) ، وابن أبـى شـيبة (٥/ ٢١٤ ، رقـم ٢٥٣٦٠) ، وأبـو يعلى (١٠/ ٥٢٦ ، رقم ٦١٤١) ، والطبرانى فى الأوسط (٣/ ٥٤ ، رقم ٢٤٥٣) .

(٢) وهو أبو تمام ، من البحر الكامل .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب ، باب جعل الله الرحمة مائة جزء .

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ )[٣] وقال تعالى : ( **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَو كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَولِكَ ، فاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ، فَإِذاَ عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ** )[٤] .

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم .

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣)التوبة (١٢٨ )

(٤)آل عمران ( ١٥٩ )

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلَائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَـرَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيـلِ الْمُحَيَّا والمَنْظَـرِ ، وعَـلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أما بعدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى ، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : هُنَاكَ أَقْوَامٌ مُخَصَّصُونَ يَنْبَغِي أَنْ يحظَوا بِالْكَثِيرِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالرِّعَايَـةِ مِنَّا ، مِنْ هَؤُلاَءِ ذَوُ الأَرْحَامِ ، وَالرَّحِمُ مُشْتَقَّةٌ مِنِ اسْمِ الرَّحْمَنِ أَوْ مِنَ الرَّحْمَةِ ، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ : (( الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الله تَعَالَى ، اِرْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ مَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ الله وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَـهُ الله )) [1]. وَالشِّجْنَةُ القَرابَةُ ، وَأَجْدَرُ النَّاسِ بالبِرِّ وَالرَّحْمَةِ ، وَأَوْلاَهُمْ بِالْعَطْفِ هُمْ الوالِدانِ قالَ

(١)أخرجه بهذا اللفظ الترمذي في سننه في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في رحمة الناس

تَعَالَى :( واَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً )[١] ، ثُمَّ الأَوْلادُ فَعَنِ البَرَّاءِ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ : (( أَتَـى أَبُـو بَكْـرٍ الـصِّدِّيقُ رَضِيَ الله عَنْـهُ ابْنَتَـهُ الصِّدِّيقَةَ عائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْها وَقَدْ أَصابَتْهَا الحُمَّى فقـاَلَ كَيـفَ أَنْـتِ يـاَ بُنَيَّـةُ ؟ وَقَبَّـلَ خَدَّهَا ))[٢] رَحْمَةً بِهَا ، وَالْمُشَاهَدُ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ أَخْلاقِ النَّاسِ أَنَّ عَواَطِفَهُمْ قَاسِيَةٌ ، فَلاَ رِقَّةَ وَلاَ حَنانَ عَلَى صَغِيرٍ وَلا كَبِيرٍ فَفِي أَخْلاَقِهِمْ جَفْوَةٌ مُسْتَكْرَهَةٌ ، عَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ فِيمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ قَالَ: ((قَبَّلَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ الْحَـسَنَ بْـنَ عَـلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا ـ وَكاَنَ جَلَفًا ـ فَقَالَ الْأَقْـرَعُ إِنَّ لِي عَـشَرَةً مِـنْ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ)) ، وَفِي رِواَيَةٍ ((أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَن نَزَعَ الله الرَّحْمَةَ مِـن قَلبِـكَ ))[٣] وَمِمَّـنْ تَجِـبُ الرَّحْمَةُ بِهِمْ اليَتاَمَى ، فَإِنَّ الإِحْساَنَ إِلَيْهِمْ وَالبِرُّ بِهِمْ مِنْ أَعْظَمِ القُرُباَتِ ، فَعَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ الله عَنهُ :(( أَنَّ رَجُلاً شَكاَ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَسْوَةَ قَلْبِهِ فقاَلَ لَهُ : امْـسَحْ رَأْسَ اليَتِـيمِ وَأَطْعِـمْ المَـسَاكِينَ ))[٤] ، وَمَعْـرُوفٌ أَنَّ القُلُـوبَ تَتبَلَّـدُ وَتَقْـسُو فِي الْمُجْتَمَعَاتِ الَّتِي يَكْثُرُ فِيهَـا المَـرَحُ الـدَّائِمُ ، وَالْغَفْلَـةُ عَـنْ ذِكْـرِ الله ، وَكَـذَلِكَ الْمُتَرَفـونَ الْمُتخمُونَ يَتَنكَّرُونَ لآلاَمِ الضُّعفَاءِ ؛لأَنَّ قُلُوبَهُمْ قاَسِيَةٌ ، وَلاَ يَلْتَفِـتُ إِلَى المَـرْضَى وَذَوِي العاَهاَتِ الَّذِينَ لاَ يَمْلِكُونَ قِيْمَةَ العِلاَجِ وَالدَّواَءِ ، فِي مِثْلِ هَـذِهِ الظُّـرُوفِ الَّتِـي زَادَهَـا الجَشَعَ وَالطَّمَعَ ، وَصَارَ النَّـاسُ لاَ يُفَكِّـرُونَ إِلاَّ فِي الأَرْبـاَحِ الباَهِـضَةِ ، واَمْتِـصاَصِ دَمِ الآخَرِينَ ، وَقِيلَ أَنَّ الأَقْرَعَ هَذاَ طلبَ مِنَ الرَّسُولِ إِمـاَرَةً فقـاَلَ : إِذاَ لَمْ تَـرْحَمْ أَطْفاَلَـكَ

(١) الإسراء (١٢٤)

(٢)أخرجه البخارى (٣/ ١٤٢٦ ، رقم ٣٧٠٤) ، وأبو داود (٤/ ٣٥٦ ، رقم ٥٢٢٢) ، والبيهقى (٧/ ١٠١ ، رقم ١٣٣٦٠) .

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب الحظر والإباحة ، ذكر الإباحة للمرء أن يقبل ولده وولد ولده .

(٤)أخرجه أحمد (٢/ ٣٨٧ ، رقم ٩٠٠٦) . قال الهيثمى (٨/ ١٦٠) : رجاله رجال الصحيح .

كَيفَ نُوَلِّيكَ ، وَمِنَ الرَّحْمَةِ العَطْـفُ عَـلَى الخَـدَمِ ، فعَـنْ أَبِي مَـسْعُودٍ الْأَنْـصَارِيِّ قَـالَ : (( كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا اعْلَمْ أَبَا مَـسْعُودٍ لله أَقْـدَرُ عَلَيْـكَ مِنْكَ عَلَيْهِ فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله هُـوَ حُـرٌّ لِوَجْهِ الله فَقَالَ أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ ))(1)، وَلاَ حَولَ وَلاَ قُـوَّةَ إِلاَّ بِالله ، رُحماكَ ياَ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَيَا مَنْ أَرْسَلَتَ لَناَ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ الْمُهْداَةِ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْحَمَ ضعْفَنَا ، وَتُلَيِّنُ قَسْوَةَ قُلُوبناَ .واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْـسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ الْمُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و انْـسِهِ ؛ فَقَـالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُـمْ تَكْـرِيماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَـحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ : سَادَاتِنا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْدِالله الـحُسَينِ وعَلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَـشَرَةِ الـمُبَـشَّرَةِ ، الَّـذِينَ بَايَعُوا نَبِيّكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَـعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْــمَنِ وأَبِــي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُـولِ الله رِضْـوَان الله تَعَـالَى عَـنْهُم أَجْمَعِـينَ .اللَّهُـمَّ يَـا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَـا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَـا مُتَفَـضِّلُ يَـا

(1) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الأيمان ، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده .

مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَـا بالإِسْـلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَـا بِالفَـضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَـا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُـسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَافِرِ الذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ . اللَّهُـمَّ آمِنَّـا فِي أَوْطَانِنَـا ، وابْـسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِــلاد الـمُـسْلِمِينَ . اللَّهُـمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَينَـا خِيَارَنَـا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَـا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَـكَ واتَّقَـاكَ واتَّبَـعَ رِضَـاكَ يَـا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .اللَّهُـمَّ أعـزَّ الإِسْـلامَ والـمُـسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عوناً ومُعِينَـاً لَـهُ ، واخْـذُلْ مَـنْ خَذَلَهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَـرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ اللَّهُمَّ اسْـقِنَا الغَيْـثَ والرَّحْــمَةَ ولَا تَجْعَلْنَـا مِـنَ القَـانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَـزِدْكُمْ ، وَلَـذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَ الله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ

## الخطبة الأولى

الْحَمْدُ للهِ الْعالِمِ بِمُجْمَلِ القَوْلِ وَتَفْصِيلِهِ ، الْمادِحِ الصَّادِقِينَ عَلَى لِسانِ حَبِيبِهِ وَرَسُولِهِ ، الْمَشْكُورِ عَلَى كَثِيرِ الإِنْعامِ وَقَلِيلِهِ ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى حَبَّبَ الصِّدْقَ إِلَى النُّفُوسِ الْكَرِيمَةِ ، وَحَذَّرَنَا مِنْ تَبِعاتِ الأَخْلاقِ الذَّمِيمَةِ ، وَكَرَّهَ الْكِذْبَ إِلَى الطِّباعِ الصَّحِيحَةِ وَالأَذْواقِ السَّلِيمَةِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ شَهادَةً نَثْبُتُ بِها عَلَى مَناهِجِهِ الْقَوِيمَةِ ، وَنَأْخُذُ بِأَيْدِينا وَنَواصِينَا إِلَى طُرُقِهِ الْمُسْتَقِيمَةِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صاحِبُ الْمَقامِ الرَّفِيعِ ، الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ، أَصْدَق النَّاسِ قَولاً وَفِعْلاً ، وَأَطْهَرِهُمْ فَرْعاً وَأَصْلاً ، الْقائِلُ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : (( أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كانَ مُنافِقاً خالِصاً ، وَمَنْ كانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفاقِ حَتَّى يَدَعَها ، إِذا حَدَثَ كَذَبَ ، وَإِذا وَعَدَ غَدَرَ ، وَإِذا خاصَمَ فَجَرَ )) [1]، (( وَثَلاثَةٌ لا يُنْظُرُ إِلَيْهِمْ غَداً : شَيْخٌ زانٍ ، وَرَجُلٌ اتَّخَذَ الأَيْمانَ بِضاعَةً يَحْلِفُ فِي كُلِّ حَقٍّ وَباطِلٍ ، وَفَقِيرٌ مُخْتالٌ يَزْهُو )) [2].

أَمَّا بَعْدُ : فَيا عِبادَ اللهِ أُوْصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوىَ اللهِ تَعَالَى والزموا الصِّدْقَ فَإِنَّهُ أَساسُ الْخَيْرِ كُلِّهِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ مَصْدَرُ الشَّرِّ كُلِّهِ فَقالَ عَزَّ مِنْ قائِلٍ: ( يَأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ ، وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ )[3]

وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ :(( تَحَرَّوا الصِّدْقَ ، وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ فَإِنَّ فِيهِ النَّجاةَ )) [1].

---

(١)أخرجه البخارى (١/ ٢١ ، رقم ٣٤) ، ومسلم (١/ ٧٨ ، رقم ٥٨) .

(٢)أخرجه الطبرانى (١٧/ ١٨٤ ، رقم ٤٩٢) ، قال الهيثمى (٤/ ٧٨) : رواه في الكبير باسناد ضعيف .

(٣)التوبة ( ١١٩ )

أَيُّها الإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ : لَقَدْ حَثَّنا رسولُنا الكريمُ ، وَأَمَرَنا دِيْنَنا الْقَوِيمُ بِكُلِّ خُلُقٍ مَحْمُودٍ ، وَنَهانا عَنْ كُلِّ خُلُقٍ مَذْمُومٍ ، لِمَصْلَحَةٍ لَنَا وَلِغَيْرِنا ، وَلَكِنَّ كَثِيراً مِمَّنْ ضَعُفَ إِيْمانُهُمْ ، وَهانَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ يَلْجَئُونَ إِلَى انْتِحالِ الأَكاذِيبِ فِي مُعامَلاتِهِمْ ، ظانِينَ أَنَّهُمْ مُسْتَفِيدُونَ عِنْدَ ما يَتَخَلَّصُونَ مِمَّا يَجِبُ عَلَيْهِمْ بِما يَنْتحلونَهُ مِنْ أَكاذِيبَ مُلَفَّقَةٍ ، وَافْتِراءَتٍ مُخْتَلِقَةٍ ، وَلَقَدْ تَأَزَّمَ داءُ الكَذِبِ فِي عَصْرِنا الرَّاهِنِ وَاسْتَحْكَمَتْ سَيْطَرَتُهُ عَلَيْنا عِنْدَ ما ضَعُفَ فِينَا الوازِعُ الدِّينِيِّ ، وَماتَتْ الكَرَامَة وَالمُرُوءَةُ وَتَغَلَّبَ الشَّرُّ عَلَى الْخَيْرِ ، واسْتَطالَ الْباطِلُ عَلَى الْحَقِّ ، فَكانَ الْكَذِبُ فِي مُقَدِّمَةِ الْعَوامِلِ الدَّاعِيَةِ لِكُلِّ رَذِيلَةٍ ، الْمُبْعِدَةِ عَنْ كُلِّ فَضِيلَةٍ ، فَعَنْ عائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ الله عَنْها قالَتْ : ((مَا كَانَ خُلُقٌ أَبْغَضَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْكَذِبِ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَكْذِبُ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَذِبَةَ فَمَا يَزَالُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَحْدَثَ مِنْهَا تَوْبَةً)) [٢] وَسُئِلَ رَسُولُ الله صَلَى الله عَلَيهِ وَسَلَّم : (( أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَباناً ؟ قالَ نَعَمْ قِيلَ لَهُ أَيَكُونُ بَخِيلاً ؟ قالَ نَعَمْ قِيلَ لَهُ أَيَكُونُ كَذَّاباً ؟ قالَ لا)) [٣] فَعَلَيْكَ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الأَوَّلُ وَالْمُرْشِدُ الأَكْبَرُ ، أَلا فَلْنَنْظُرْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ ما لِلْكَذِبِ مِنْ مَكانَةٍ دَنِيئَةٍ سافِلَةٍ مُنْحَطَّةٍ ، وَما لِلصِّدْقِ مِنْ مَكانَةٍ عالِيَةٍ سامِيَةٍ ، فِي نَظَرِ دِيْنِنا الإِسْلامِيِّ الْحَنِيفِ لأَنَّهُ دِيْنُ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالصِّدْقِ وَالْخَيْرِ ، وَمِنَ الْمُؤْسِفِ لَهُ أَنَّهُ قَدْ يَسْهُلُ عَلَى الكَثِيرِ مِنَّا أَنْ يُطْلِقَ الأَكاذِيبَ جزافاً فِي أَحادِيثِهِمْ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت عن منصور بن المعتمر رضي الله عنه مرسلاً .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند باقي الأنصار ، والترمذي في سننه في كتاب البر والصلة باب ما جاء في الصدق والكذب وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ .

(٣)أخرجه الإمام مالك في الموطأ باب ما جاء في الصدق والكذب (٦ / ١٣١) .

وَأَخْبارِهِمْ ، حاسِبِينَ أَنهُم يحُوُزُونَ بِذلِكَ شَرَفًا وَمَجْداً ، كَلا وَالله إِنَّهُمْ لَيُهِينُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَيَجُرُّونَ عَلَيْها الخِزْيَ وَالْعارَ ، فِي هَذِهِ الدَّارِ ، وَالْعَذابُ وَالْعِقابُ فِي دارِ الْقَرارِ .

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : بَعْضُ الكَذِبِ أَعْظَمُ مِنْ بَعْضٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الأَشْخاصِ ، فَكِذْبُ العالِمِ ، وَكِذْبُ الحاكِمِ ، وَكِذْبَةُ الْمُعَلِّمِ أَعْظَمُ وِزْراً وَأَشَدُّ وَقْعاً مِنْ كذبِ غَيْرِهِمْ مِنْ عامَّةِ النَّاسِ ، فالْكِذْبُ عَلَى الله وَعَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى دِيْنِهِ مِنْ أَقْبَحِ الْمُنْكَراتِ ، وَأَفْضَعِ الْمُفْتَرَياتِ ، كَأَنْ يَنْسُبَ الإِنْسَانُ شَيْئاً إِلَى الله أَوْ إِلَى رَسُولِهِ زُوْراً وَبُهْتاناً ، وَهَذا النَّوْعُ مِنَ الافْتِراءِ فاحِشٌ فِي حَقِيقَتِهِ ، وَخِيْمٌ فِي نَتِيجَتِهِ ، قالَ رَسُولُ الله صَلَى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ : (( إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ)) [1] وَحَذَّرَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : وَنَبَّهَ أُمَّتَهُ أَلا تُصَدِّقَ كُلَّما يُقالُ ، فَقالَ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ : ((يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ مِنْ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ لَا يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ)) [2] ، وَلَيْسَ الْكَذِبُ حَدِيثاً وَجَدِيداً فِي هَذِهِ الأُمَّةِ فَقَدْ قَصَّ الله تَعَالَى فِي مُحْكَمِ آياتِهِ قِصَّةَ الرَّجُلِ الْمُفْتَرِي الكاذِبِ ، وَسَمَّاهُ فاسِقاً بِنَصِّ القُرْانِ ، ذَلِكَ هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ مُعِيطٍ ، أَرْسَلَهُ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ لِيَجْمَعَ الصَّدَقاتِ الْمُسْتَحَقَّةِ عَلَى قَبِيلَةٍ مِنَ العَرَبِ يُقالُ لَها بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، دَخَلَتْ الإِسْلامَ وَحَسُنَ إِسْلامها ، فَما لَبِثَ أَنْ عادَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَى الله عَلَيهِ وَسَلَّم ، وَادَّعَى كَذِبًا وَبُهْتاناً أَنَّ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ارْتَدَتْ عَنِ الإِسْلامِ وَما ذَلِكَ إِلا لأَحنٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فِي الجاهِلِيَّةِ ، فاغْتاضَ الْحَبِيبُ الأَعْظَمُ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّم غَيْضاً شَدِيداً مِنْ هَذا النَّبأِ ، وَاسْتَعَدَّ لِقِتالِهِمْ وَلَكِنَّهُ تَرَيَّثَ وهو القائل قَوْلَتَهُ الْمَشْهُورَةُ (( التَّأَنِي مِنَ الله

(١)أخرجه البخارى (١/ ٤٣٤ ، رقم ١٢٢٩) ، ومسلم (١/ ١٠ ، رقم ٤) .

(٢)أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٩ ، رقم ٨٥٨٠) ، ومسلم (١/ ١٢ ، رقم ٧) عن أبى هريرة .

وَالْعَجْلَةُ مِنَ الشَّيْطانِ )) [(١)]، فَأَرْسَلَ خَالِدَ ابْنَ الوَلِيدِ رَضِيَ الله عَنْهُ لِتَقَصِّي الْحَقائِقَ وَعِنْدَ ما جاءَهُمْ خالِدٌ لَيْلاً يَلْتَمِسُ الأَخْبارَ وَجَدَ أَنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَما قالَ ذَلِكَ الرَّجُلِ عِنْدَ ما سَمِعَ خالِدٌ أَذانَهُمْ وَإِقامَةَ صَلَواتِهِمْ وَلَمَّا كَلَّمَهُمْ خالِدٌ عَجِبُوا مِنْ عَوْدَةِ الوَلِيدِ بِسُرْعَةٍ لِيُعْطُوهُ ما عَلَيْهِمْ مِنْ صَدَقاتٍ فَرَجَعَ خَالِدٌ وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمْ بِالْواقِعِ وَفَرِحَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمْ وَفِي الْحالِ نَزَلَتْ الآيَةُ قَولُهُ تَعالَى:( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ) [(٢)]وَسُمِّيَ الْوَلِيدُ هَذا فاسِقاً أَيْ كَذاباً بِنَصِّ القُرْآنِ .

يا أَخِي الْمُسْلِم : لَو كُنْتَ صادِقاً فِي عِبادَتِكَ يظْهَرُ أَثَرُها عَلَيْكَ فِي مُحارَبَةِ الفَسادِ وَالْفُسُوقِ ، وَلَو كُنْتَ صادِقاً فِي أَمْرِكَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهْيِكَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَكُنْتَ مِثالاً عالِياً ، وَقُدْوَةً حَسَنَةً لِلنَّاسِ فِي مَعالِي الأُمُورِ وَمَكارِمِ الأَخْلاقِ .

وَأَنْتَ أَيُّها الأَبُ الكَرِيمُ : لَوْ كُنْتَ صادِقاً ، مُخْلِصاً فِي تَرْبِيَةِ أَبْنائِكَ عَمَلِيًّا لا بِالْقَولِ فَحَسْبُ لَكانُوا بَرَرَةً تَقِرُّ بِهِم الْعَيْنُ ، وَأَنْتَ أَيُّها الْمُرَبِّي الفاضِلُ وَالْمُعَلِّم الْقَدِيرِ إِذا كُنْتَ عَلَى مُسْتَوَى الْمَسْئُولِيَّةِ الْمُوكَّلَةِ إِلَيْكَ ، فِي تَوْجِيهاتِكَ وَإِرْشاداتِكَ ، لَرَبَّيْتَ لَنا جَيْلاً صالِحاً ، وَبَنَيْتَ لَنا قاعِدَةً مَتِينَةً صلْبَةً يَعْتَمِدُ عَلَيْها مُسْتَقْبَلاً ، وَلله دَرُّ مَنْ قالَ[(٣)] :

وَإِذا الْمُعَلِّمُ لَم يَكُن عَدلاً مَشى * روحُ العَدالَةِ فِي الشَبابِ ضَئيلا

وَإِذا الْمُعَلِّمُ ساءَ لَحظَ بَصيرَةٍ * جاءَت عَلى يَدِهِ البَصائِرُ حولا

---

(١)أخرجه البيهقى (١٠/ ١٠٤ ، رقم ٢٠٠٥٧) . وأخرجه أيضًا : الحارث كما فى بغية الباحث (٢/ ٨٢٨ ، رقم ٨٦٨) ، وأبو يعلى (٧/ ٢٤٧ ، رقم ٤٢٥٦) ، قال الهيثمى (٨/ ١٩) : رجاله رجال الصحيح . والديلمى (٢/ ٧٨ ، رقم ٢٤٤٠) عن أنس مرفوعاً بهذا اللفظ .

(٢)الحجرات (٦) والقصة أخرجها بتمامها الطبري في تفسير الآية المذكورة (٢٦/ ١٢٤) .

(٣) وهو الشاعر أحمد شوقي من البحر الكامل .

أَجَلْ : إِذا ذَهَبَ الصدْقُ مِنَ النَّاسِ اشْتَبَهَ الْمُسْلِمُ بِالْكافِرِ ، وَالْبرُ بِالْفاجِرِ ، وَإِذا فَشا الْكَذِبُ وَتَخَلَّقَ بِهِ الأَكابِرُ وَالأَصاغِرُ ، تُوُدِّعُ مِنْهُمْ ، وَلَمْ يُبَالِ الله بِعالِمٍ وَلا جاهِلٍ ، وَلا مَأْمُورٍ وَلا آمِرٍ ، وَلا غَنِيٍّ وَلا فَقِيرٍ وَلا صانِعٍ وَلا تاجِرٍ ، فَكَمْ كاذِبٍ مُفترٍ أَطْلَقَ أُكذوبةً فَرَّقَتْ شَمْلَ أُسْرَةٍ وَقَبِيلَةٍ وَكَمْ كاذِبٍ مُختلقِ الأَكاذِيبِ أَوْجَدَ فِتْنَةً بِمَا يَنْشُرُهُ مِنِ افْتِراءَاتٍ ضالَّةٍ مُضِلَّةٍ تُقْلِقُ نَاسًا مُطْمَئِنِّينَ ، وَتُكَدِّرُ صَفْوَ جَماعَةٍ ساكِنِينَ ، وَتُفْسِدُ أَجْوَاءَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يُثِيرُهُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الفَاسِقُونَ، وَقالَ سَيِّدُ البَشَرِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ ((عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا)) رَواهُ مسلم [1].

أَلَيْسَ مِنَ العارِ عَلَيْنا نَحْنُ أَهْلُ القُرْآنِ يَصْدُقُ غَيْرُنا وَنَحْنُ كاذِبُونَ ، أَوَلَيْسَ مِنَ الْفَضِيحَةِ أَنْ يَتَخَلَّق غَيْرُنا بِالْفَضائِلِ وَنَحْنُ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) [2].

---

(١)أخرجه أحمد (١/ ٣٨٤ ، رقم ٣٦٣٨) ، ومسلم (٤/ ٢٠١٣ ، رقم ٢٦٠٧) ، والترمذى (٤/ ٣٤٧ ، رقم ١٩٧١) وقال : حسن صحيح . وابن حبان (١/ ٥٠٨ ، رقم ٢٧٤) . وأخرجه أيضًا : البخارى فى الأدب المفرد (١/ ١٤٠ ، رقم ٣٨٦) ، وأخرجه البخارى في صحيحه(٥/ ٢٢٦١)(٦٩باب قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وما ينهى عن الكذب)رقم(٥٧٤٣) ، عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقا وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا .

(٢)آل عمران (٨) .

أَيّهَا الإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ لَا يَجُوزُ الْكَذِبُ إِلَّا فِي حَالَتَيْنِ فَقَطْ الحَالَةُ الأُولَى فِي الْحَرْبِ لِلْمَصْلَحَةِ وَتَحْقِيقِ النَّفْعِ لِلْمُسْلِمِينَ لأَنَّ الْحَرْبَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْخِدَاعِ وَالتَّمْوِيهِ وَفِي الْحَدِيثِ : (( الْحَرْبُ خِدْعَةٌ ))[1] ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (( إِذَا أَرَادَ الْغَزْوَ فِي جِهَةٍ وَرَّى بِغَيْرِهَا ))[2] لِيَأْخُذَ الْعَدُوَّ عَلَى غِرَّةٍ وَالْحَالَةُ الثَّانِيَةِ الَّتِي يَجُوزُ فِيهَا الْكَذِبُ : فِي الصُّلْحِ وَالإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ وَإِزَالَةِ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنْ ضَغَائِنَ وَأَحْقَادٍ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ((لَيْسَ بِكَذَّابٍ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ فَقَالَ خَيْرًا أَوْ نَمَى خَيْرًا ))[3]

اللَّهُمَّ وَفِّقْنا لِما تُحِبُّهُ وَتَرْضاهُ ، وَطَهِّرْ أَلْسِنَتَنَا وَقُلُوبَنَا وَجَوارِحَنَا مِنْ كُلِّ قَولٍ أَوْ عَمَلٍ فِيهِ زُوْرٌ وَبُهْتانٌ يا رَبَّ العالَمِينَ .

---

(١)أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١١٠٢)(١٥٤باب الحرب خدعة )رقم(٢٨٦٤، ٢٨٦٥، ٢٨٦٦)كما أخرجه جزءا من حديث موقوف على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه (٣/ ١٣٢١)رقم(٣٤١٥)،(٦/ ٢٥٣٩)(٥باب قتل الخوارج والملحدين...)رقم(٦٥٣١) ،ومسلم في صحيحه من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(الحرب خدعة )(٣/ ١٣٦١) (٥ باب جواز الخداع في الحرب)رقم(١٧٣٩) ومن حديث أبي هريرة مرفوعا (٣/ ١٣٦٢) رقم(١٧٤٠) وموقوفا من حديث أمير المؤمنين علي رضي الله عنه (٢/ ٧٤٦)( ٤٨ باب التحريض على قتل الخوارج )رقم(١٠٦٦)، وغيرهما.

(٢)ثبت ذلك عنه عليه الصلاة والسلام في صحيح البخاري في مواضع أولها ما أخرجه بسنده عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك قال سمعت كعب بن مالك رضي الله عنه يقول(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها) (٣/ ١٠٧٨)(١٠٢ باب من أراد غزوة فورى بغيرها ومن أحب الخروج يوم الخميس )رقم( ٢٧٨٧ ).

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه(٢/ ٩٥٨)(٢باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس)رقم(٢٥٤٦)ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠١١)(٢٧ باب تحريم الكذب وبيان المباح منه) رقم(٢٦٠٥) ،قال الجزري( يقال نميت الحديث أنميه إذا بلغته على وجه الاصلاح وطلب الخير فإذا بلغته على وجه الافساد والنميمة قلت نميته بالتشديد هكذا قال أبو عبيد وابن قتيبة وغيرهما من العلماء وقال الحربي نمى مشددة وأكثر المحدثين يقولونها مخففة وهذا لا يجوز ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن ومن خفف لزمه أن يقول خير بالرفع،وهذا ليس بشيء فإنه ينتصب بنمى كما انتصب بقال وكلاهما على زعمه لازمان وإنما نمى متعد يقال نميت الحديث أي رفعته وأبلغته .انتهى) النهاية في غريب الأثر (٥/ ١٢٠).

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [1] وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [2].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ [3] .

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم .

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) المائدة( ١١٩ ) .

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَـرَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيـلِ المُحَيَّا والمَنْظَـرِ ، وعَـلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أما بعدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى ، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

عِبادَ الله : قالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّم : (( أَنَا زَعِيمٌ أَيْ ( كَفِيلٌ ) بِبَيْـتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَـانَ

مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ ))[1]، وَقـالَ أَيْـضاً :(( وَيْـلٌ لِلَّـذِي يُحَـدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ))[2] .

وَلْيَكُنْ مَعْلُوماً مِنْ أَنَّ الكَذِبَ عامِلٌ مُشْتَرَكٌ وَمَصْدَرٌ لِلْكَثِيرِ مِنَ الشُّرُورِ فالغِشُّ فِي المُعامَلَةِ أَصْلُهُ كِذْبٌ ، وَكِتْمانُ عُيُوبِ المَبِيعِ وَالتَّلْبِيسِ عَلَى الْمُشْتَرِي هُوَ كِـذْبٌ ، وَالْيَمِـينُ الْمُنَفِّقَةُ لِلسِّلْعَةِ غالِباً ما تَكُونُ كَذِباً ، وَقَولُ البائِعِ أَخَذْتُهُ بِكَذا وَأَعْطَيْـتُ فِيـهِ كَـذا وَكَـذا كَثِيراً ما تَكُونُ أُكْذُوبَةً ، و وَالطَّالِبُ الَّذِي يَغِشُّ فِي الامْتِحانِ كَـذّاباً وَالْمُـدَرِّسُ الَّـذِي لَمْ يَعْدِلْ فِي تَقْيِيمِ نَتائِجِ طُلابِهِ كَذَّاباً ، وَالْمُوَظَّفُ الَّذِي يَتَـأَخَّرُ عَـنْ مَواعِيـدِ عَمَلِـهِ كَـذَّاباً ، وَالْمُحْتَرِفُ الصَّانِعُ الَّذِي لَمْ يَفِ بِوَعْدِهِ مِنْ غَدٍ وَبَعْدَ غَدٍ وَالَّـذِي لا يُـتْقِنُ عَمَلَـهُ كَـذَّاباً ، وَأَمَّا أكذبُ الكَذَّابِينَ ، وَأَمْقَـتُ الْمُفَـتِّرِينَ أَنْ يَكُـونَ الْكَـذَّابُ قُـدْوَةً لِلآخَـرِينَ أَوْ ذَوِي مَنْصِبٍ أَوْ جاهٍ فِي الْمُجْتَمَعِ بَأَنْ كانَ عالِماً أَوْ واعِظاً ، وَأَعْظَـمُ مِـنْ هَـؤُلاءِ كُلِّهِـمْ الإِمـامُ الحاكِمُ ، فَإِنَّ كِذْبَةَ المِنْبَرِ بَلقَاءُ مَشْهُورَةٌ مَكْشُوفَةٌ ، وَفِي الحَـدِيثِ الـشَّرِيفِ : (( ثَلاثَـةٌ لا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ ، الشَّيْخُ الزَّانِي ، وَالإِمامُ الكَذَّابُ وَالْعامِلُ المَزْهُو ))[3]. أَيِ الفَقِيرُ الْمُتَكَبِّرُ

رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّم : ما مَعْناهُ جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَـلَّى الله عَلَيـهِ وَسَلَّم : يُرِيدُ الدُّخُولَ فِي الإِسْلامِ ، فقالَ : يا مُحَمَّدُ إِنَّنِي لا أَسْـتَطِيعُ الـصَّبْرَ عَـنْ بَعْـضِ الفَواحِشِ الْمُحَرَّمَةِ فَهَلْ تَقْبَلُنِي ، فقالَ لَهُ الرَّسُولُ : نَعَمْ عَلَى شَرْطٍ أَنْ تُعاهِدَنِي عَلَى أَنْ لا تَكْذِبَ فَعاهَدَهُ وَدَخَلَ الإِسْلامَ ، وَلَكِنَّهُ كُلَّما هَمَّ هَـذا الرَّجُـلُ بِارْتِكـابِ فاحِـشَةٍ سَـأَلَ

(١)أخرجه أبو داود (٤/ ٢٥٣ ، رقـم ٤٨٠٠) ، والطبرانـى (٨/ ٩٨ ، رقـم ٧٤٨٨) ، والبيهقـى (١٠/ ٢٤٩ ، رقـم ٢٠٩٦٥) . وأخرجه أيضًا : الطبرانى فى الأوسط (٥/ ٦٨ ، رقم ٤٦٩٣) .

(٢)أخرجه أحمد (٥/ ٥ ، رقم ٢٠٠٥٨) ، وأبو داود (٤/ ٢٩٧ ، رقم ٤٩٩٠) ، والترمذى (٤/ ٥٥٧ ، رقم ٢٣١٥) وقال : حسن . والطبرانى (١٩/ ٤٠٣ ، رقم ٩٥١) ، والحاكم (١/ ١٠٨ ، رقم ١٤٢) . وأخرجـه أيـضًا : الـدارمى (٢/ ٣٨٢ ، رقـم ٢٧٠٢) ، وهناد (٢/ ٥٥٤ ، رقم ١١٥٠) ، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٥٠٩ ، رقم ١١٦٥٥) ، والرويانى (٢/ ١٠٧ ، رقم ٩١٠) .

(٣) تقدم تخريجه .

نَفْسَهُ إِذا سَأَلَنِي الرَّسُولُ عَمَّا عَمِلْتُ فَـإِنْ صَـدَّقْتُهُ أَقـامَ عَـلَيَّ الحَـدَّ الَّـذِي حَـدَّهُ الـدِّينُ الإِسْلامِي ، وَإِنْ كَذِبْتُهُ صِرْتُ كَذَّاباً وَأَنَا ، قَدْ عاهَدْتُهُ عَلَى أَنْ لا أَكْذِبَ ، فَصارَ فِي نِزاعٍ مَعَ نَفْسِهِ كُلَّما هَمَّ بِذَنْبٍ أَوْ فاحِشَةٍ حَتَّى ابْتَعَدَ عَنِ المُحَرَّماتِ الَّتِي لا يَصْبِرُ عَلَيها ، وَقَـدْ يَظُنُّ بَعْضُ الحمْقاءُ أَنَّ الكِذْبَ لَيْسَ فِيهِ إِثْمٌ ولا حـرج حَتَّـى صـارَتْ أَحـادِيثُهُمْ كُلُّهـا أَكاذِيبُ لا يُعْتَدُّ بِهَا وَلا يُعْتَمَدُ عَلَيْهَا فَصارَ الكذبُ كَأَنَّهُ مِنْ مُـسْتَلْزَماتِ العَـصْرِ وَنَـوْعٍ مِنَ الحَضارَةِ وَالشَّطارَةِ ، واعْتَبَرَ الصَّادِقُونَ فِينَا بَلْهاءَ أَغْنِياءَ ، لَمْ يُماشُـوا العَـصْرَ ، فـالمَرْءُ قَدْ يَسْهُلُ عَلَيهِ فِي المِزاحِ اخْـتِلاقُ فَرْيَـةٍ يُـضْحِكُ بِهـا زُمَـلاءَهُ ، غَـيْرَ أَنَّ الإِسْـلامَ أَبـاحَ التَّرْوِيحَ عَنِ النُّفُوسِ مِنْ عَناءِ الحَياةِ وَمَتاعِبِها وَتَكالِفِيها بِالتَّرَفِيهِ عَنْها فِي حُدُودِ الكَـلامِ المُباحِ الصَّادِقِ والابْتِعادِ مِنَ الكَذِبِ وَالتَّزْوِيرِ .

فَنَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ أَنْ تَعْصِمَنَا مِنْ هَذا البَلاءِ الَّـذِي اسْـتَطارَ شَرُّهُ فِي الـدَّارِ وَالـدِّيارِ ، وَسَيْطَرَ عَلَى أَقْوالِنا وَأَفْعالِنَا ، وَجَلَبَ لَنَا الخِزْيَ وَالْعارَ ، فَنَعُوذُ بِـكَ يـا رَبِّ مِـنْ ذَنْـبٍ عَاقِبَتُهُ الخِزْيُ وَعَذابُ النَّارِ ، وَمِنَ الكَذِبِ خُلُقِ المُنَافِقِينَ وَالْفُجَّارِ، يَاعَزِيزُ يَاغَفَّارُ .

واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و انْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُـمْ تَكْـرِيماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَـحْبِهِ ومَـنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ : سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِــي بَكْـرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيـهِ وسَـلَّمَ سَـيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّـدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِــي عَبْـدِاللهِ الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَــا الزَّهْراءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ،

أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِــيَّةِ العَـشَرَةِ الـمُبَـشَّرَةِ ، الَّـذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَـعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْــمَنِ وأَبِــي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَـصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُـودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَـا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْـرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوعِ بِلادِنَـا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَـعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْـدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَونَاً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَــوِّكَ أَجْـمَعِينَ .

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثَـاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَـــــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَـزِدْكُمْ ، وَلَـذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# العَـدَالةُ في أَسْمَى صُوَرِهَـا

## الخُطْبَـــــةُ الأُوْلَى

الحَمْدُ لله أَحْكَمِ الحاكِمِينَ ، وَأَسْرَعِ الحاسِبِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلا الله وَحْـدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، أَقامَ الكَوْنَ عَلَى الحَقِّ ، وَقَضَى بَيْنَ عِبادِهِ بِالحَقِّ ، و دَعاهُمْ إِلَى نُصْرَةِ الحَـقِّ ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾[1].

و أَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا محمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَيْرَ مَنْ حَمَلَ المِيزَان ، وَاحْتكَمَ إِلَيهِ خَصْمان ، صَلَواتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيهِ سَيِّد وَلَدِ عَدْنان ، وَعَلَى آلِهِ وَصَـحْبِهِ ، الَّـذِينَ رَفعُـوا لِـواءَ العَدالَةِ، وَأَنْصَفُوا المَظْلُومَ مَهْما ضَعُفَ ، مِنَ الظَّـالِمِ مَهْـما قَـوِيَ ، فكـانوا أَئِمَّـةَ الـدِّينِ ، الصَّالِحِينَ المُصْلِحِينَ .

أَمَّا بَعْدُ : أُوْصِيكُمْ أَيُّها المُسْلِمُونَ وَإِيَّايَ بِتَقْوَى الله تَعالَى فَإِنَّها عِمادُ الدُّنْيا والأُخْرَى ، فَتَزَوَّدُوا بِأَكْبَرِ زادٍ ، لِيَوم الحَشْرِ وَالمَعادِ .

عِبادَ الله : يَقُـولُ الله عَـزَّ مـنْ قَائِـلٍ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾[2] ، وَقالَ تَبارَكَ وَتعالَى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة الحج آية (٤٠)

(٢) سورة النحل من الآية (٩٠) .

(٣) سورة الشورى من الآية (١٥) .

أَيُّها المُسْلِمُونَ : يَتكَرَّرُ فِي هاتَيْنِ الآيَتَيْنِ مَعْنىً مِنَ المَعاني الإِنْسانيَّةِ ، فِي أَمْرٍ مِنَ الأَوامِرِ الإِلَهِيَّةِ ، هُوَ الأَمْرُ بِالعَدْلِ ، فَهُوَ فِي الآيَةِ الأُوْلَى إِخْبارٌ عَنِ الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ وَفِي الثَّانيَةِ وَحْيٌ وارِدٌ عَلَى لِسان رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ ﴾ وَالمُرادُ بِالعَدْلِ هُنا العَدْلُ المُطْلَقُ الشَّامِلُ عَلَى أَوْسَعِ مَعانيهِ لِكُلِّ حالٍ مِنَ الأَحْوالِ ، الَّتِي يَتَعَرَّضُ لَهَا الفَرْدُ فِي المُجْتَمَعِ حاكِماً أَوْ مَحْكُوماً ، غَنِياً أَوْ فَقِيراً ، قَوِيَّاً أَوْ ضَعِيفاً ، رَجُلاً أَو امْرَأَةً ، فَهُمْ جَمِيعاً خَلْقُ الله ، وذَلِكَ الدِّينُ هُوَ دِينُ الله الَّذِي أَنْزَلَهُ لِيُصْلِحَ الناسَ بِهِ ، وَيُصْلِحَ شَأْنَهُمْ كَما أَرادَ لَهُمْ ، وَمِنْ صِفاتِ الله تَعالَى صِفَتَان تَتَّصِلَان بِهَذا المَقامِ وَصْف الله بِهِما نَفْسَهُ ، أَوَّلُهُمَا ( الحَقُّ ) وَالثَّانيَةُ ( العَدْلُ ) وَالحَقُّ وَالْعَدْلُ فِي حَياتِنَا شَرْطان يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِمَا صَلاحُ الأُمَّةِ ، وَتُشَادُ عَلَيْهِما صُرُوحُ الحَياةِ السَّعِيدَةِ الهانئَةِ المُسْتَقِرَّةِ ، الَّتِي يَسْعَى إِلَيْها بَنُو البَشَرِ فِي كُلِّ دِيارِهِمْ وَأَمْصارِهِمْ ، وَيَطْمَحُ فِيهَا كُلُّ إِنْسانٍ فِي شَتَّى بقاعِ المَعْمُورَةِ ، وَبِدُونِهِما ( أَيِ الحَقِ وَالعَدْلِ ) لا فَلاحَ و لا صَلاحَ و لا نَجاحَ ، وَلا سَعادَةَ وَلا طُمَأْنِينَةَ ، بَلْ تَنْهارُ الحَياةُ إِلَى أَسْفَلِ مَكانٍ ، وَأَسْوَءِ حالٍ ، فَالَّذِي يَأْكُلُ حَقَّ النَّاس ، أَوْ يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ حَقَّهُمْ أَوْ يَغْمِطُ الآخَرِينَ وَيَغُضُّ الطَّرَفَ عَنهُم لهُوَ مُسِيءٌ إِلى العِبادِ كُلِّهِمْ مُسْتَوْجِبٌ لِغَضَبِ الله (الحَقِّ ) سُبْحانهُ وَتَعالَى وَ هُوَ حِيْنَئِذٍ خارِجٌ عَلَى شَرِيْعَةِ ( العَدْلِ ) الَّذِي قَدَّسَهُ الله تَعالَى حِينَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ (الحَكَمُ العَدْلُ ) .

وَمِنْ هُنَا نَفْهَمُ كَيْفَ تَرْتَبِطُ قَضِيَّةُ ( الحَقِّ وَالعَدْلِ ) بِذاتِ الله ، وَبِجَوْهَرِ العَقِيدَةِ ، قَبْلَ أَنْ تَكُونَ قَضِيَّةَ المُجْتَمَعِ ، أَوْ مُشْكِلَةَ الحَياةِ ، فالحَقِيقَةُ الأَساسِيَّةُ فِي سُلُوكِ المُؤْمِنِ هِيَ إِحْساسُهُ دائِماً بِوُجُودِ الله مَعَ كُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوها وَكُلِّ هَمْسَةٍ يَهْمِسُها ، فَلا تَزِنُ هَذِهِ الدُّنْيا مِثْقالَ ذَرَّةٍ حِينَ تَمْتَلِئُ هَذِهِ النَّفْسُ بِمَحَبَّةِ الله وَالخَوفِ مِنهُ ، إِنَّ الإِنْسان المُؤْمِنَ

يَتَذَكَّرُ دائِماً أَنَّ الله ( العَدْلَ ) سَوفَ يُحاسِبُهُ عاجِلاً أَوْ آجِلاً ، و أَنَّ أَعْمالَهُ تُحْصَى عَلَيهِ ، لا تَخْفَى عَلَى الله مِنْها خافِيَةٌ ، ثُمَّ هِيَ مَوْزُونَةٌ بِميزانِ قِسْطٍ يَومَ القِيامَةِ ، لإِقامَةِ العَـدْلِ بَيْنَ الخَلائِقِ ، فَلا تَفُوتُ ذَلِكَ المِيزانَ القِسْطَ ذَرَّةٌ مِـنْ خَـيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، وَلَقَـدْ حَـدَّثَنا جَـلَّ جَلالُـــهُ فِي قَولِـــهِ : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[1]، ذَلِكُمْ هُوَ شُعُورُ المُؤْمِنِ فَلا يَتَّجِهُ إِلَى النَّاس ، وَإِنَّما يَسْتَحْضِرُ رَهْبَةَ الله فِي قَلْبِهِ حِـينَ يُقْـدِمُ عَـلَى عَمَـلٍ أَوْ يَتَحَمَّلُ مَسْئُولِيَّةً ، وَهَذا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ الله عَنْهُ يَقُولُ لِلنَّاسِ يَـومَ تَـوَلَّى الخِلافَـةَ :(( أَيُّها النَّاسُ الصِّدْقُ أَمانَةٌ وَالْكَذِبُ خِيانَةٌ ، وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ حَتَّى آخذَ الحَقَّ لَـهُ ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ حَتَّى آخذَ الحَقَّ مِنْهُ )) [2] ؛ فَإِقامَةُ العَدْلِ هُنـا ، وَهِـيَ مَـسْئُولِيَّةُ خَلِيفَةِ رَسُولِ الله لا تُلْقِي بالاً لِلْقَوِيِّ مَنْ حيثُ هُوَ قَوِيٌّ ، لأَنَّها تَرَى أَنَّ الحَقَّ أَقْوَى مِنـهُ ؛ والحَقُّ هُوَ الَّذِي يَشُدُّ أَزْرَ الضَّعِيفِ حَتَّى يَنْتَصِرَ.

أَيُّها المُسْلِمُونَ : لَقَدْ تَتَبَّعَ القُرْآنُ هَذا الأَمْرَ بِالْعَدْلِ لِيُؤَكِّـدَهُ فِي أَحْـوالٍ كَثِـيرَةٍ ، وَلِيُرَغِّبَ المُؤْمِنِينَ فِي الْتِزامِهِ وَتَنْفِيذِ أَحْكامِهِ فَنَجِدُهُ فِي قَوْلِهِ تَعالَى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ يَقْرُنُهُ بِالإِحْسان، وَإِيتَاءِ ذِي الْقُربَى ، كَما يَجْعَلُهُ فِي مُقابِلِ البَغْيِ المُقْتَرِنِ بِالْفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ ، وَيَمْضِي القُرْآنُ لِيُبْرِزَ العَدْلَ فِي أَعْلى مُسْتَوى ، وَيُجَرِّدُهُ مِنْ كُلِّ شـائِبَةٍ ، لِيَجْعَلَـهُ عَـدْلاً مُطْلَقاً ، لا يَخْضَعُ لِتَهْدِيدٍ ، وَلا يَتَأَثَّرُ بِأَهْواءِ النَّفْسِ وَأَحْوالِ الرِّضا وَالغَضَبِ ، فَيُحَـدِّثُ المُؤْمِنِينَ : أَلا يَدْفَعَهُمْ كُرْهُهُمْ لِبَعْضِ النَّاس إِلَى التَّخَلِّي عَنِ العَدْلِ مَعَهُمْ ، مَهْما عَظُمَـتْ

---

(١)الأنبياء (٤٧) .

(٢) أخرجه : ابن هشام من طريق ابن إسحاق فى السيرة النبوية (٦/ ٨٢) ، وابن جرير فى التاريخ (٢/ ٢٣٧) .

أَسْبابُ الكَراهِيَةِ قَالَ تَعَالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ﴾[1]، وَتَسْتَمِرُّ الآيَةُ الكَرِيمَةُ لِتُبَيِّنَ لِلناسِ أَنَّ العَدْلَ لَيْسَ مَطْلُوباً مِنْ أَجْلِ إِيْصالِ الحَقِّ إِلَى أَصْحابِهِ فَحَسْبُ ، بَلْ لأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى رِضْوان الله ﴿ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ ، وذَلِكَ أَعْظَمُ ما يَحْرِصُ عَلَى بُلُوغِهِ الْمُؤْمِنُونَ ، مِنْ أَجْلِ الله وَابْتِغاءِ مَرْضاتِهِ

وَلَمْ يَكْتَفِ القُرْآنُ بِهَذا ، بَلْ إِنَّهُ تَتَبَّعَ أَيْضاً دُسْتُورَ العَدْلِ ، لِيُؤَكِّدَ شُمُولَهُ لِكُلِّ حالٍ مِنْ أَحْوالِ الأَفْرادِ وَالجَماعاتِ ، فَلَقَدْ تَناوَلَ مُشْكِلَةَ التَّعامُلِ المادِيِّ بَيْنَ النَّاسِ ، فَشَرَعَ إِقامَتَها عَلَى أَساسِ العُقُودِ الْمُبْرَمَةِ المَكْتُوبَةِ لِتَوْثِيقِها ، و أَلا تُتْرَكَ سائِبَةً مُهْمَلَةً يَسْهُلُ عَلَى الذِّمَمِ الخَرِبَةِ إنكارُها ، ثُمَّ أَمَرَ كاتِبَ العَدْلِ أَنْ يَكُونَ عادِلاً ﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِ ﴾[2] وَأَمَرَ الْمُمْلِي لِشُرُوطِ العَقْدِ أَنْ يَلْتَزِمَ كذَلِكَ العَدْلَ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾ ثُمَّ اشْتَرَطَ العَدالَةَ فِيمَنْ يَشْهَدُ لإِثْباتِ الحَقِّ ، وَأَنْ يَجْعَلَ قَولَ الحَقِّ نُصْبَ عَيْنَيْهِ دُونَ أَنْ يَرْعَى قَرابَةً ، أَوْ يُفَرِّطَ مِنْ أَجْلِ مَنْفَعَةٍ ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾[3] ﴿ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ﴾[4] وَيَأْتِي أَخِيراً دَوْرُ القاضِي الَّذِي يَجِدُ بَيْنَ يَدَيْهِ العَقْدَ الْمُمْلَى بِالْعَدْلِ ، المَكْتُوبَ بِالعَدلِ ، الْمُوَثَّقَ بِشهادَةِ العُدُولِ ، فَيَتَوَجَّهُ إِلَيهِ القُرْآنُ بِآيَةٍ تُدَوِّي فِي قُلُوبِ القُضاةِ إِلَى يَومِ الدِّينِ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾[5]. وَلَيْسَ القاضِي هُنا مَنْ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ المَحْكَمَةِ ، أَوْ مَنْ يَشْغَلُ وَظِيفَةَ القَضاءِ بَيْنَ النَّاسِ فَحَسْبُ ، بَلْ

---

(١) سورة المائدة آية ( ٨ ) .

(٢) سورة البقرة من الآية (٢٨٢).

(٣) سورة الأنعام من الآية (١٥٢).

(٤) سورة الطلاق من الآية (٢).

(٥) سورة النساء آية (٥٨).

كُلُّ مَنْ حَكَمَ بَيْنَ اثْنَيْنِ قاضٍ ، حَتَّى الزَّوجِ الَّذِي يَجْمَعُ بَينَ الزَّوْجَتَينِ فَأَكْثَرَ يُعَدُّ قاضِـياً مَطْلُوباً مِنْه العَدْلُ ، وَأَن لا يُحَكِّمَ الهَوَى فَيُفَضِّلَ زَوجَةً دُونَ أُخْـرَى ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ ﴾ [1] ، ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً ﴾ [2] .

نَعَمْ أَيُّها الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ كُلُّنا يَجِبُ أَنْ نَكُونَ عُدُولاً فِي مُعامَلاتِنَـا ، فَمِيـزانُ العَدالَةِ مَسْئُولٌ عَنهُ كُلُّ وَاحِدٍ ، الأَبُ مَعَ أَبْنائِهِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَادِلاً ، وَالْمُـدِيرُ مَـعَ مَـنْ تَحْتَ إِمْرَتِهِ وَإِدارَتِهِ ، وَالطَّبِيبُ مَعَ مَرْضاهُ ، وَالْمُعَلِّمُ مَعَ طُلابِـهِ ، وَالقائِـدُ مَـعَ جُنُـودِهِ ، وَكُلَّ راعٍ مَعَ رَعِيَّتِهِ ، يَجِبُ أَن يَكُونوا كُلُّهُمْ مِثالاً فِي العَدالَةِ وَمِيْزان قِسْطٍ لا يَحِيـفُ عَـنِ الحَقِّ لِسانُهُ لِتَكُونَ الحَياةُ كُلُّها أَمْناً وطُمَأْنِينَةً ، وَسَعادَةً وَرَفاهِيَةً ، وَهَذا ما يُحِبُّـهُ وَيؤَمِّلُـهُ كُلُّ النَّاس إِلا أَنَّــهم لا يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَجِبُ ، بَلْ نَجِدُ كُلَّ وَاحِدٍ يُطالِبُ الآخَرِينَ بِـما لَـهُ بِاسْمِ العَدالَةِ ، وَلَكِنَّهُ بَعِيدٌ كُلَّ البُعْدِ إِذا ما طُلِبَ مِنهُ أَيُّ شَيْءٍ بِاسْمِ العَدالَةِ ، فَكَأَنَّ ذَلِكَ حَلالٌ لَهُ حَرامٌ عَلَى غَيْرِهِ .

غَيرَ أَنَّ الإِسْلامَ أَيُّها المُسْلِمُونَ قَدْ رَكَّزَ قَدْراً كَبِيراً مِنَ الاهْتِمامِ عَلَى جانِبِ العَدْلِ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ ، وَدَعا الإِمامَ وَالْحاكِمَ أَنْ يَلْتَزِمَ العَدالَةَ المُطْلَقَـةَ بَـيْنَ النَّـاسِ ، وَأَن لا يَظْلِـمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَحَداً ؛ لأَنَّ الظُّلْمَ فَضْلاً عَنْ مَرارَتِـهِ فِي الـدُّنْيا عَـلَى أَنْفُـسِ المَظْلُـومِين ، هُـوَ ظُلُماتٌ يَومَ القِيامَةِ فِي أَعْيُنِ الظالِمِينَ ، وَانظُرُوا إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي قَـدَّمَها لَنـا رَسُـولُ

---

(١) سورة النساء من الآية (١٢٩) .

(٢) سورة النساء من الآية (٣) .

الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِيما رَواهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْـهُ قـالَ : (( ثَلاثَـةٌ لا تُـرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، و الإِمامُ العادِلُ ، و دَعْوَةُ المَظْلُومِ )) [1] .

فَالدُّعاءُ سِلاحٌ رَهِيبٌ مِنْ أَسْلِحَةِ الحَقِّ سُبْحانهُ وَتَعالَى يُجْرِيهِ عَلَى لِسان مَنْ شاءَ مِنْ عِبادِهِ ، وَقَدْ وَضَعَهُ فِي يَدِ كُلٍ مِنَ الحاكِمِ وَالمَحْكُومِ ، وَمَنَحَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُما فُرْصَةً ثَمِينَةً لِيَكُونَ مُسْتجَابَ الدُّعاءِ ، ماضِيَ السِّلاحِ ، فالحاكِمُ العادِلُ يَدْعُو فَيُسْتَجابُ لَهُ ، وَالمَحْكُومُ المَظْلُومُ يَدْعُو عَلَى ظالِمِهِ فَيُسْتجَابُ لَهُ ، غَيْرَ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا يَكْتَفِي بِأَنْ يُسَلِّمَ كُلاً مِنْهُما سِلاحَهُ ، وَإِنَّما هُوَ يُشَجِّعُ المَظْلُومَ عَلَى اسْتِخْدامِهِ ، وَيَكْشِفُ لَهُ عَنْ سُرْعَةِ مَفْعُولِهِ فَيَسْتَطْرِدُ قائِلاً صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (( ودَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُها الله فَوقَ الغَمامِ ، وَيَفْتَحُ لَها أَبْوابَ السَّماءِ ، وَيَقُولُ الرَبُّ جَلَّ وَعَلا: وعِزَّتِي وجَلالِي لأَنْصُرَنَّكَ وَلَو بَعْدَ حِينٍ )) [2] ، و لَعَلَّ فِي هَذا ما يُفَسِّرُ لَنا أَبْلَغَ تَفْسِيرٍ قَولَهِ تعَالَى: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾ [3] ؛ ذَلِكَ كُلُّهُ لِيَرْفَعَ مِنْ شَأْنِ العَدْلِ وَيُعْلِي مَكانَةَ الإِمامِ العادِلِ ، حَتَّى لَيَجْعَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِيما ثَبَتَ عَنهُ أَيْضاً فِي أَعْلا مَقامٍ بَينَ المُؤْمِنِينَ :

---

(١) الحديث رواه الترمذي في سننه كتاب الدعوات: بابٌ (في العفو و العافية) برقم (٣٥٢٢) و تمامه : " ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الربُّ :" وعزتي لأنصرنَّك و لو بعد حين " .

(٢)أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٥ ، رقم ٩٧٤١) ، والترمذى (٥/ ٥٧٨ ، رقم ٣٥٩٨) وقال : هذا حديث حسن . وابن حبان(٣/ ١٥٨ ، رقم ٨٧٤) ، وابن ماجه (١/ ٥٥٧ ، رقم ١٧٥٢) ، والبيهقى (٣/ ٣٤٥ ، رقم ٦١٨٦) . وأخرجه أيضًا : ابن خزيمة (٣/ ١٩٩ ، رقم ١٩٠١) ، وإسحاق بن راهويه (١/ ٣١٧ ، رقم ٣٠٠) .

(٣) سورة النساء (١٤٨).

(( سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ ، يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ : إمامٌ عادِلٌ .. ))الحديث [1] ؛ فَهُوَ أَمَـامُ المُسْتَظِلِّينَ بِظِلِّ الرَّحْمَنِ .

فَيَا أَيُّها المُسْلِمُونَ : هَذا هُوَ دِيْنُكُم يَـأْمُرُكُمْ بِالْعَـدْلِ ، وَيَجْعَلُـهُ شَرِيعَـةً لَكُـمْ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيكُمْ الظُّلْمَ ، وَيُخَوِّفُكُمْ عَواقِبَهُ ، فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ الغِفَّارِي رَضِيَ الله عَنْهُ عَـنِ النَّبِـيِّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِيما يُرْوِيهِ عَنْ رَبِّـهِ عَـزَّ وَجَـلَّ أَنَّـــهُ قَـالَ :(( يـا عِبـادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً ، فَـلا تَظَالَــمُوا ))[2] ؛ ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3] .

وَعَلَى كُلٍّ مِنْكُمْ أَنْ يَقِفَ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ أَخِيـهِ ، وَمِـنْ أَهْلِـهِ وَمِـنَ النَّـاس مَوْقِـفَ القاضِي الَّذِي يُصْدِرُ الحُكْمَ ، ويَنْتَظِرُ العواقِبَ ، وَالنَّفْسُ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إلا مَنْ رَحِمَ رَبِّي ، فَالْعَاقِلُ مَنْ أَنْـصَفَ مِـنْ نَفْـسِهِ قَبْـلَ أَنْ يَنْتَـصِفَ الله مِنـهُ ، إذاً فَـأَنْتُمْ أَيُّهـا الْمُـسْلِمُونَ مَدْعُوُّونَ إِلَى أَنْ تُحاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ وَتَحْكُمُوا لَها أَوْ عَلَيها ، كَما أَنَّكُمْ مَـدْعُوُّونَ أَنْ تَلْتَزِمُـوا العَدْلَ فِي عَلاقَتِكُمْ بِإِخْوانِكُمْ وَأَبْنائِكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ ، فَلا تَظْلِمْ أَخـاكَ ، وَلا تَحْـرُمْ وَلَـدَكَ مِنْ مِيْراثٍ لِتُعْطِيَ وَلَداً آخَرَ ، وَلا تَظْلِمْ خادِمَكَ ، وَلا تُجامِلْ بَعْضَ أَهْلِكَ عَلَى حِـسابِ بَعْضٍ لِكَيْ لا تَزْرَعَ الحِقْدَ وَالبَغْضاءَ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَتُوَرِّثَهُمْ النِّزاعَ وَالشَّحْناءَ فِيما بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَبْقَى لَكَ غَضَبُ الله عِنْدَ لِقَائِهِ ، وَاذْكُرُوا دائِماً أَنَّ الله قَدْ حَكَمَ بَيْنَ العِبادِ ، و أَنَّكُمْ لَـسْتُمْ إِلا مُنَفِّذِينَ لأَحْكامِهِ .

---

(١) رواه الإمام البخاري في مواضع من صحيحه منها : كتاب الزكاة باب(الصدقة باليمين) و كتاب الحدود : باب (فضل من تـرك الفواحش) ، ورواه مسلم في صحيحه : كتاب الزكاة باب (فضل إخفاء الصدقة) برقم (١٧١٢) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه :كتاب( البر والصلة و الآداب) باب (تحريم الظلم ) برقم (٤٦٧٤).

(٣) سورة النور من الآية ( ٧٢) .

واسْتَمِعُوا إِلَى آدَابِ النُّبُوَّةِ يُجَدِّدُ لَكُم المِنْهاجَ ، وَيُخَوِّفُكُمْ عاقِبَةَ الظُّلْمِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُما أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعاذاً عَلَى اليَمَنِ فقالَ لَهُ :(( اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَها وَبَيْنَ الله حِجابٌ ))[1] .

أَعاذَنا الله وَإِياكُمْ مِنْ شَرِّ الظُّلْمِ لأَنَّــهُ ظُلُماتٌ يومَ القِيامَةِ ، وَوَفَّقَنا لِما فِيهِ العافِيَةُ وَالسَّلامَةُ .

إِنَّ أَحْلى الكَلامِ لَفْظاً وَوَقْعاً ، وَأَصْدَقَ الحَدِيثِ ذُخْراً وَنَفْعاً ، كَلام مَنْ عَنَتِ الوُجُوهُ لَهُ كَرْهاً وَطَوعاً.

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي المُهْتَدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[2] وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[3]. **أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطان الرَّجِيم**

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ .

بارَكَ الله لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم .

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: كتاب (المظالم و الغصب) باب( الاتقاء و الحذر من دعوة المظلوم) برقم (٢٢٦٨) ، ورواه مسلم في كتاب الإيمان : باب (الدعاء إلى الشهادتين و شرائع الإسلام) برقم (٢٧).

(٢) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٣) سورة النحل الآية (٩٨).

## الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَـرَ . اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيـلِ المُحَيَّا والمَنْظَـرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .أما بعدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْـسِيَ بِتَقْـوَى الله تَعالى ، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

أَيُّها الإِخوَةُ المُسْلِمُونَ : كَثِيرٌ مِنا يَطْلُبُ العَدْلَ مِنَ الآخَرِينَ فِيما لَـهُ وَإِنْ كـانَ غَيرَ مُحِقٍّ فِي مَطْلَبِهِ ، و نَمْلأُ الدُّنيا صِيَاحاً وَاحْتِجاجـاً إِذا لَمْ يُنْـصِفْنا الآخَـرُونَ ، وَحَتَّـى يَقِفَ الخَصْمانِ أَمامَ الحاكِمِ وَيَدَّعِي كُلٌّ مِنْهُما أَنَّـهُ عَلَى الحَقِّ ، مَعَ العِلْـمِ فِي قَـرارَةِ نَفْسِهِ أَنَّـهُ عَلَى الباطِلِ ، فَيَصِفَ الحاكِمَ بِأَنَّـهُ ظالِمٌ إِذا لَمْ يُصْدِر الحُكْمَ لِصالِحِهِ ، فَيَسُبَّ الحـاكِمَ وَمَنْ وَضعَهُ وَالدَّولَةَ وَأَجْهِزَتَها ، وَيَدْعُو بِالوَيلِ وَالثُّبُورِ وَعَظائِمِ الأُمُورِ ، غَيْرَ أَنَّـهُ عِنْـدَ ما يصْدُرُ الحُكْمُ لِصالِحِهِ بِأَيِّ حالٍ مِنَ الأَحْوالِ ، يُثْنِي عَـلَى الحـاكِمِ وَالحُكُومَـةِ خَـيراً ، وَيَدَّعِّي أَنَّ الدُّنْيا لا زالَتْ بِخَيرٍ ، وَأَنَّ عَلَمَ العَدالَةِ وَالعَدْلِ لا يَزالُ خَفَّاقاً يُرَفْرَفُ .

نَعَمْ ، الحاكِمُ بَشَرٌ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ وَنَحْـنُ فِي أَمَـسِّ الحاجَـةِ اليَـومَ قَبْـلَ الغَـدِ لِحُكَّامٍ مِنْ نَوعِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ الَّذِي يَقُـولُ عِنْـدَ مـا وَلِيَ الخِلافَـةَ: (( إِنْ أَصَبْتُ

الحَقَّ فَأَعِينُونِي وَإِنْ أَخْطَأْتُهُ فَقَوِّمُونِي )) فَقالَ لَهُ أَحَدُ الحـاضِرِينَ: والله لَنُقَوِّمَنَّـكَ بِحَـدِّ سُيُوفِنا ؛ فَقالَ أَبُو بَكْرٍ : ((الحَمْدُ لله الَّذي أَوْجَدَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ مَنْ يُقَـوِّمُ أَبـا بَكْـرٍ بِحَـدِّ السَّيْفِ )) ذَلِكَ هُوَ المُجْتَمَعُ المِثالِي حُكاماً وَمَحْكُومِينَ ، و مِنَ الغَرِيبِ العَجِيبِ أَنَّنا نُرِيـدُ حاكِماً عَدْلاً وَنَحْنُ لَسْنا عُدُولاً ، فَمَنْ هَذا الحاكِمُ العَدْلُ يا تُرى أَلَيسَ الحاكِمُ جُزْءاً مِنَّـا ، أَلَمْ يَنْشأْ فِي مُجْتَمَعِنا هَذا ، بِما فِيهِ مِنْ مَحْسُوبِياتٍ وَأَنانِيَّاتٍ ، وَحُبٍّ للذَّات ؛ وَإِنْ بَرَزَ لَنـا حاكِمٌ عَدْلٌ مَثَلاً أَفْسَدْناهُ وَفَتَحْنا لَهُ بُيُوتَنا وَجُيُوبَنا وَقُلُوبَنَا حَتَّـى نُخْرِجَـهُ عَـنْ طَـوْرِهِ ، وَنُفْسِدَهُ وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِالله العَلِيِّ العَظِيمِ .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِنِّهِ و انْـسِهِ ؛ فَقالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُـمْ تَكْـرِيماً :
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَـحْبِهِ ومَـنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ : سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْـرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيـهِ وسَـلَّمَ سَـيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِي مُحَمَّـدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِــيَّةِ العَـشَرَةِ الـمُبَـشَّرَةِ ، الَّـذِينَ بَايَعُوا نَبِيّكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَـعْدٍ وسَـعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْــمَنِ وأَبِــي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجْلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَـصِيرُنَا و إِلَيـهِ مَـصِيرُنَا ، وعَلَيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلَيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشِفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ،

يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَـا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعفْوِ والغُفْرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ فَـرَادِيسَ الــجِنَانِ .اللَّهُـمَّ اغْفِـرْ لِلْمُـؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَـا رَبَّ العَالَـمِينَ .اللَّهُـمَّ آمِنَّـا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُـوعِ بِلادِنَـا خَاصَّـةً وسَـائِرِ بِــلاد الـمُسْلِمِينَ .اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَـا ، وأَلِّـفْ بَـينَ قُلُوبِنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَـا ، وَوَلِّ عَلَينَـا خِيَارَنَـا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَـلْ وِلَايَتَنَـا فِـيمَنْ خَافَـكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .اللَّهُمَّ أعـزَّ الإِسْـلامَ والـمُـسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عونَاً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَـلَى عَبِيـدِكَ مِـنَ الحُجَّـاجِ والغُـزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ .اللَّهُـمَّ اسْـقِنَا الغَيْـثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيــهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ .﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ عِبَـادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَـزِدْكُمْ ، وَلَـذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# الـمَرْأَةُ ما لَـهَا و ما عَلَيهَا

## الخُطْـــــبَةُ الأُولى

الحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ، وَالَّذِي خَلَقَ الـزَّوْجَينِ الـذَّكَرَ وَالأُنْثَى ، وَجَعَلَ بَيْنَهُما مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لأُولِي النُّهَى .

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيـكَ لَـهُ ذُو العَظَمَـةِ وَالكِبْرِيـاءِ ، وَأَشْـهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَفْضَلُ الأَنْبِياءِ ، وَسَيِّدُ الأَتْقِياءِ ، وَعَلَى آلِهِ الـبَرَرَةِ الكِـرامِ ، وَأَصْحابِهِ الأَعْلامِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسانٍ .

أَمَّا بَعْدُ : أُوصِيكُمْ أَيُّها المُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى ، فَـاتَّقُوا الله فِي أَنْفُـسِكُمْ وَمَنْ تَعُولُونَ ، وَاتَّقُوهُ فِي أَزْواجِكُمْ وَمَنْ تُرَبُّونَ .

عِبادَ الله : كُلُّنا يَعْرِفُ مَعْرِفَةً تامَّةً أَنَّ الله جَلَّ جَلالُهُ خَلَقْنا نَحْـنُ البَـشَرَ مِـنْ نَفْـسٍ واحِدَةٍ، هُوَ أَبُو البَشَرِ (آدَمَ عَلَيهِ السَّلامُ ) وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَهَا وهِيَ ( أُمُنَـا حَـواءَ عَلَيهـا السَّلامُ ) وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثِيراً وَنِساءً فَتَكَوَّنَتْ مِنْهُمْ الأُسَرُ وَالشُّعُوبُ وَالأُمَمُ .

وَقَدْ عنِيَ الإِسْلامُ أَعْظَمَ العِنايَةِ بالأُسْرَةِ وَتَكْوِينِهـا ، وَاهْـتَمَّ بِهـا أَشَـدَّ الاهْـتِمامِ ، وَوَضَعَ القَواعِدَ الَّتِي تَكْفُلُ لَها السَّعادَةَ وَالْهَنَاءَةَ فِي الحَيـاةِ ، وجَعَـلَ الرَّجُـلَ قَوَّامـاً عَـلَى الأُسْرَةِ (أَيْ رَئِيساً) وَلَيْسَتْ رِئاسَتُهُ لِاسْتِعبادِ المَرْأَةِ وَتَسْخِيرِها ، وَإِنَّما هِيَ رِئاسَةُ إِشْرافٍ وَرِعايَةٍ وَمَسْئُولِيَّة ، أَعْطاها الله تعالى الرَّجُلَ بِحُكْمِ تَكْوِينِهِ الطَّبِيعِي الخَلْقِـي ، وَبِحُكْـمِ كَدِّهِ وَمُثَابَرَتِهِ وَعَمَلِـهِ فِي تَحْـصِيلِ الـرِّزْقِ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾[1] وَإِذا كانَ هَذا حَقُّ الرَّجُلِ ، فَفِـي دِينِنـا

(١) سورة النساء: من الآية (٣٤) .

الإِسْلامِي حُقُوقٌ لِلْمَرْأَةِ لا تَقِلُّ عَنْ حُقُوقِ الرِّجالِ ، وَعَلَيها وَاجِباتٌ لا يُسْتَهانُ بِها ، فَلا فَرْقَ بَينَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ فِي التَّكالِيفِ وَالواجِباتِ ، وَالجَزاءِ، وَفِي قَولِهِ تَعالَى ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾[1]

مَعْنَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ: أَنَّ الرَّجُلَ مِنَ الْمَرْأَةِ وَالْمَرْأَةَ مِنَ الرَّجُلِ فَلا فَرْقَ بَيْنَهما فاللهُ لا يُضِيعُ عَمَلَ أُنْثَى لأُنُوثَتِها ، وَلا يُثِيبُ رَجُلاً لِرَجُولَتِهِ وَكَمْ مِن امْرَأَةٍ مِنْ نِسائِنا فِي تارِيخِنا القَدِيمِ وَالْحَدِيثِ فَضُلَتْ رِجالاً بِتَقْواها وَعِلْمِها وَسَبْقِها فِي أَعْمالِ الخَيْرِ .

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : أَخْرَجَ أَبُو دَاودُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ : (( إِنَّما النِّساءُ شَقائِقُ الرِّجالِ )) [2] أَيْ أَخْواتُهُمْ ؛ لِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَرْعَوا حُقُوقَهُنَّ ، وَيَكْرِمُوهُنَّ ، وَلا يَظْلِمُوهُنَّ .

فالْمَرْأَةُ سَكَنُ الرَّجُلِ ، وَأُمُّ وَلَدِهِ ، وَهِيَ رَبَّةُ البَيْتِ وَمُدِيرَتُهُ ، وَالْقائِمَةُ عَلَيهِ فَيَجِبُ عَلَيهِ أَنْ يُقَدِّرَها حَقَّ قَدْرِها ، وَيَعْرِفَ لَها حَقَّها ، فَلا يَنْبَغِي بَعْدَ أَنْ أَعَزَّ الله الإِنْسانِيَّةَ بِالإِسْلامِ أَنْ تَلْقَى المَرْأَةُ هَواناً أَوْ ذُلاًّ كالَّذِي كانَتْ تَجِدُهُ فِي الجاهِلِيَّةِ ، مِنْ كَراهِيَةِ ولادَتِها ، أَوْ حِرْمانِها حُقُوقَها ، أَوِ امْتِهانِها ، وَقَدْ مَيَّزَها الخالِقُ جَلَّ جَلالُهُ بِمِيزاتٍ لَيْسَتْ فِي الرَّجُلِ ، فَفِي طَبْعِها رِقَّةٌ وَحَنانٌ لا نَجِدُهُما عِنْدَ الرَّجُلِ ، وَهِيَ أَحْنَى عَلَى الطِّفْلِ ، وَأَرْفَقُ بِالْمَرِيضِ وَالْجَرِيحِ وَالشَّيْخِ ، وَأَبْلَغُ فِي مُواساةِ الحَزِينِ وَالْمَهْمُومِ وَالْمَنْكُوبِ فَعَلَى الرَّجُلِ أَنْ يُجازِيَها بالحنان وَالْعَطْفِ وَالْحِمايَةِ لِما يَرَى مِنْها مِنَ الرِّفْقِ وَالْحَنانِ .

---

(١) سورة آل عمران من الآية (١٩٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه:كتاب الطهارة ،باب(الرجل يجد البلة في منامه)، كما أخرجه الإمام أحمد في المسند:باقي مسند الأنصار (حديث أم سليم رضي الله عنها) ، و الترمذي في سننه:كتاب الطهارة ، باب(ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللاً و لا يذكر احتلاماً) .

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : فَمِمَّا كَفَلَهُ الإِسْلامُ لِلْمَرْأَةِ :حَقُّ التَّعْلِيم ، وذَلِكَ أَنَّهُ فَرَضَ عَلَيْها مِنَ التَّكالِيفِ مِثْلَ ما فَرَضَهُ عَلَى الرَّجُلِ ، كالصَّلاةِ وَالصِّيامِ ، وَأَوْجَبَ عَلَيْها أَنْ تَتَعَلَّمَ مِنْ عُلُومِ الدِّينِ ما تُؤَدِّي بِهِ هَذِهِ التَّكالِيفَ صَحِيحَةً ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ كانَ يُعَلِّمُ النِّساءَ فِي أَيَّامٍ كَما يُعَلِّمُ الرِّجالَ ، وَيُوجِبُ الإِسْلامُ عَلَى المَرْأَةِ أَنْ تَتَعَلَّمَ وَتُزَوِّدَ نَفْسَها بِسِلاحِ المَعْرِفَةِ فِي جَمِيعِ العُلُومِ وَالْفُنُونِ وَالآدابِ اللاَّئِقَةِ بِها ، وَالقادِرَةِ عَلَيها ، فَوَجَبَ عَلَيها أَنْ تَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ ، وَتُلِمَّ بِشَيْء مِنْ عُلُومِ العَصْرِ وَالحَياةِ مِنْ تَرْبِيَةِ الأَطْفالِ التَّرْبِيَةِ الصَّحِيحَةِ العِلْمِيَّةِ بَعِيدَةً عَنِ السَّذاجَةِ وَالْبساطَةِ ، فَهِيَ مَدْرَسَةٌ أَوَّلِيَّةٌ أَساسِيَّةٌ لأَطْفالِها تَعْرِفُ كَيفَ تُقَوِّمُ اعْوِجاجَ الأَحْداثِ وَتَفْهَمُ ما يُناسِبُ مَراحِلَ الطُّفُولَةِ عَلَى اخْتِلافِها وَأَمْزِجَتِها فَأَكْثَرُ أَمْراضِ الأَطْفالِ وَعُقَدِهِمْ النَّفْسِيَّةِ هِيَ مِنْ سُوءِ تَرْبِيَةِ الأُمِّ وَجَهْلِها بِشُئُونِ وَأَحْوالِ الأَطْفالِ ، وَللهِ دَرُّ شاعِرِنَا الشَّاطِرِيِّ إِذْ يَقُولُ عَلَى لِسانِ المَرْأَةِ فِي بِلادِنا:

عَلِّمُونِي فَصَلاحُ النَّشْءِ بِي     وَابْدَءُوا بِي قَبْلَ تَعْلِيمِ الأَبِ
فَأَنا المَدْرَسَةُ الأُولَى وَلا     يَسْلُكُ التِّلْمِيذُ إِلاَّ مَذْهَبِي
وَهُوَ غُصْنٌ ناعِمٌ فِي رَاحَتِي     ناشِئٌ مَشْرَبُهُ مِنْ مَشْرَبِي
وَلَكُمْ فِي عَصْرِ طَهَ أُسْوَةٌ     بِالْنَجِيباتِ بَناتِ النُّجُبِ

أَجَلْ : لا بُدَّ مِنْ تَثْقِيفِ المَرْأَةِ ثقافَةً إِسْلامِيَّةً صَحِيحَةً لِتُسْهِمَ مَعَ الرِّجالِ فِي بِناءِ المُجْتَمَعِ بِقَدْرِ طاقَتِها وَبِحَسْبِ خَصائِصِها وَمِيزاتِها ، يَجِبُ أَنْ نُطْلِعَها عَلَى ما يُسْتَجَدُّ فِي عالَمِ الطِّبِّ مِنْ شُئُونِ الأُمُومَةِ وَالطُّفُولَةِ ، وَإِدارَةِ المَنْزِلِ فَلِجَهْلِ المَرْأَةِ عِنْدَنا وَتَخَلُّفِها نَرَى البَعْضَ مِنْهُنَّ لا يُؤْمِنَّ بِالْعِلاجِ ،وَالْبَعْضُ لا يَأْخُذُ العِلاجَ مِنْ مَصادِرِهِ الحَقِيقَةِ ، وَقَدْ تُعالِجُ أحدهُنَّ أَطْفالَنَا بِطَرِيقَةٍ ساذِجَةٍ فِيها شَيْء مِنَ الخُرافَةِ ، وَالحَقِيقَةُ نَحْنُ نُؤْمِنُ

بِالْعِلاجِ الرُّوحِيِّ إِذا كانَ مَنْ مَحَلِّه الصَّحِيحِ، وَلَكِنْ نِساءَنا يُبالِغْنَ وَيُفْرِطْنَ كَثِيراً فِي هَذه النَّاحِيَةِ بِطَرِيقَةٍ ساذِجَةٍ إِلَى حَدِّ الهَوَسِ ، وَالْبَعْضُ الآخَرُ مِنْ نِسائِنا يُؤْمِنُ بِالتَّطَبُّبِ فَتَراهُنَّ ذاهِباتٍ آيِباتٍ إِلَى الْمُسْتَشْفَياتِ ، وَعِياداتِ الأَطِبَّاءِ تَعُجُّ بِهِنَّ وَيَأْخُذْنَ الوَصْفاتِ الطِّبِّيَّةَ ، وَلَكِنْ لا يَسْتَعْمِلْنَها حَسْبَ إِرْشاداتِ الطَّبِيبِ فَتَكُونُ النَّتِيجَةُ مَعْكُوسَةً .

فَأَعْطَى الإِسْلامُ الْمَرْأَةَ الرَّشِيدَةَ حُرِّيَةَ التَّصَرُّفِ فِي مُمْتَلَكاتِها وَشُئُونِها الخاصَّةِ كالْبَيعِ وَالشِّراءِ وَالإِجارَةِ ، وَلا يَتَوَقَّفُ تَصَرُّفُها عَلَى إِذْنِ أَبٍ أَوْ زَوْجٍ أَوْ غَيرِهِما ، وَلَها أَنْ تُؤَدِّيَ الشَّهادَةَ انْتِصاراً لِلْحَقِّ ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلَها حَقُّ الْمُشارَكَةِ فِي الحَياةِ العَامَّةِ ، ومِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ خَطَبَ النَّاسَ فَقالَ : (( لماذا إِكْثارُكُمْ فِي مُهُورِ النِّساءِ ؟ وَلَمْ تَكُنْ تَزِيدُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَرْبَع مِائَةِ دِرْهَمٍ ، وَأَرادَ عُمَرُ بِذَلِكَ تَحْدِيدَ الْمُهُورِ فَقامَتْ لَهُ امْرَأَةٌ قُرَشِيَّةٌ مِنْ آخِرِ النَّاسِ ، وَقالَتْ: لَيْسَ هَذا يا عُمَرُ ، أَلَمْ تَقْرَأْ قَولَ الله تَعالَى : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[1] فَرَجَعَ عُمَرُ عَنْ رَأْيِهِ ، وَكانَ رَضِيَ الله عَنْهُ وَقَّافًا عِنْدَ نُصُوصِ كِتابِ الله ، وَقالَ قَولَتَهُ المَشْهُورَةَ : أَصابَتْ امْرَأَةٌ وَأَخْطأَ عُمَرُ ))[2].

فَهَلْ وَعَيْنا هَذا نَحْنُ الرِّجالُ ؟ وَهَلْ عَرَفَتْ نِساؤُنا سِيْرَةَ أُمَّهاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسَيِّداتِنا الأَوائِلِ وَهَلْ قَرَأْنَ سِيرَةَ سَيِّدَتِنا خَدِيجَةَ الكُبْرَى وَمَا عانَتْهُ فِي بِدايَةِ رِسالَةِ النَّبِيِّ وَما قَدَّمَتْهُ مِنْ تَضْحِياتٍ بِالْمالِ وَالرَّأْيِ وَالحِكْمَةِ وَمَرارَةِ الحَياةِ ، وَفاطِمَةَ الزَّهْراء وَعائِشَةَ الرِّضا ، فَهُنَّ أَعْظَمُ الأُسْوَةِ الحَسَنَةِ لِنِسائِنا الْيَومَ وَهُنَّ يَعِشْنَ تَخَلُّفاً رَهِيباً

---

(١) النساء الآية ٢٠ .

(٢) أخرج نحوه عن سيدنا عمر الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢ / ١٩٣) .

وَانْحِطاطاً غَرِيباً ، فَهَذِهِ الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِدِّيقِ عائِشَةُ رَضِيَ الله عَنْهَا زَوجُ النَّبِـيِّ صَـلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِيهَا:((خُذُوا نِصْفَ دِيْنِكُمْ عَنْ هَذا الحُمَيْراءِ)) (١) ، كانَـتْ فَقِيهَـةً مُحَدِّثَةً عالِمَةً خَطِيبَةً يَقْصُدُها أَهْلُ العِلْمِ لِلتَّحْصِيلِ العِلْمِيِّ وَالاسْتِفادَةِ مِنْهَا ، فَقَـدْ رَوَتْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفَي حَدِيثٍ فِي مُخْتَلَفِ المَسائِلِ الَّتِي تَدْخُلُ فِيهـا الأَحْكامُ الشَّرْعِيَّةُ ، وَالْعِظاتُ الخُلُقِيَّةُ ، وَالآدابُ النَّفْسِيَّةُ ، وَالأُصُولُ الفِقْهِيَّـةُ ، وَ هَـذا مَعَ ما يَرْوِيهِ الثِّقاتُ أَنَّهَا كانَتْ تَحْفَظُ وَتَفْقَهُ وَتَفَسِّرُ وَلا يَقْتَصِرُ عِلْمُها عَلَى وَعْيِ الكَلِماتِ ، وَفَهْمِ العِبارات فَحَسْبُ، قالَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ رَضِيَ الله عَنْهُ : ما أَشْكَلَ عَلَينَا أَمْرٌ فَسَأَلْنا عَنْهُ عائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا إِلاَّ وَجَـدْنَا عِنْـدَها عِلْـماً وَآرَاءً فِيـهِ نَرْجِـعُ إِلَيْـهِ . بَـلْ وَبِالأَمْسِ القَرِيبِ كانَتْ عِنْدَنا نِسْوَةٌ يصلحنَ للقَضاءِ لَولا أُنُوثَتُهُنَّ .

وَإِذا كانَ لِلْمَرْأَةِ حَقُّ التَّعْلِيمِ ، فَكَذَلِكَ لَهَا حَقُّ العَمَلِ فَنَجِدُ الإِسْلامَ يَـدْعُو المَـرْأَةَ إِلَى الإِسْهامِ مَعَ الرَّجُلِ فِي مَيادِينِ العَمَلِ بِقَدْرِ طاقَتِها وَبِحَسْبِ خَصائِـصِها ، وَيُخاطِبُهَـا بِكُلِّ ما خاطَبَ بِهِ الرَّجُلَ فِي حُدُودِ قُدْرَتِهَا وَكَفائَتِهَا فَهِيَ تُكَمِّلُ الرَّجُلَ فِي الْمُجْتَمَـعِ كَـما تُكَمِّلُهُ فِي الأُسْرَةِ ، وَنَحْنُ لا نُرِيدُ أَنْ تَخْلَعَ المَرْأَةُ عِذارَ الحَياءِ وَالحِشْمَةِ ، وَتَخَرَّجَ تَجُـولُ فِي الأَسْواقِ مُتَبَرِّجَةً سافِرَةً

أَنـا لا أَقُـولُ ذَرُوا النِّـساءَ سَـوافِرَ     بَيْنَ الرِّجالِ يَجُلْـنَ فِي الأَسْـواقِ

وَلَكِنَّ لَهَا وَظائِفُ داخِلَ بَيْتِها ، لِتَرْبِيَةِ الأَطْفالِ فِي البُيُوتِ وَالرَّوْضـاتِ ، وَفِي دُورِ العِلْمِ وَالْمُسْتَشْفَياتِ وَالْمُسْتَوصَفاتِ ، وَفِي الحَدَائِقِ وَالمَزارِعِ ، وَفِي أَعْمالِ الإِبْرَةِ وَالخِياطَـةِ ، وذَلِكَ خَيرٌ لَهَا مِنْ تطْوافِها فِي الشَّوارِعِ وَالأَسْواقِ غادِيَةً رائِحَةً.

(١) قال الحافظ ابن حَجَر العَسْقَلَانِيُّ: لا أَعرف له إِسنَادًا ، ولا روايَةً فِي شَيءٍ مِنْ كُتُبِ الحَدِيثِ إلا فِي النِّهَايَةِ لابنِ الأَثِيرِ ، وَلَم يَـذكُر مَن خَرَّجَهُ ، وَذَكَرَ الحافظ عِمَادُ الدِّينِ ابنُ كَثِير: أَنَّه سَأَلَ المِزِّيَّ وَالذَّهَبِيَّ عَنهُ فَلَم يَعرِفَاهُ. وقال السيوطي في الـدرر لم أقـف عليه ، لكن في الفردوس عن أنس خذوا ثلث دينكم من بيت عائشة انتهى .

أَيُّها الإِخْوةُ الأَعِزَّاءُ : إِنَّ المَرْأَةَ الصَّالِحَةَ هِيَ أَهَمُّ دَعامَةٍ يَقُومُ عَلَيْها المُجْتَمَعُ الصَّالِحُ ، وَصَلاحُ المَرْأَةِ يَكُونُ بِفَهْمِها وَوَعْيِها وَقِيامِها بِواجِباتِها المادِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ ،وَقَدْ وَجَّهَ الإِسْلامُ عِنايَتَهُ التَّامَّةَ لِذَلِكَ ، فَسَنَّ قَوانِينَ وَأَنْظِمَةً مُفَصَّلَةً تَكْفُلُ صِحَّةَ الجِسْمِ وَسَلامَتَهُ مِنَ الأَمْراضِ ؛ لأَنَّ الأُمَّ إِذا مَرِضَتْ قَدْ يَسْرِي مَرَضُها إِلَى أَوْلادِها وَأَطْفالِها فَقَدْ يُدَمرُ جِيلٌ بَشَرِي بِسَبَبِ إِهْمالِها ، وَأَمَّا مِنَ النَّاحِيَةِ النَّفْسِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ فَقَدْ شَرَعَ الإِسْلامُ لَها نِظاماً لإِحْرازِ كَرامَتِها وَشَرَفِها وَهِيَ فِي الحَقِيقَةِ أَعْظَمُ مَعْمَلٍ وَأَرْوَعُ مَصْنَعٍ لإِنْتاجِ البَشَرِ ، وَصَلاحُ الإِنْتاجِ يَعْتَمِدُ عَلَى صَلاحِها المادِيِّ وَالرُّوحِيِّ ، لِذا وَجَبَ تَوْجِيهُ اهْتِمامِنا نَحْوَ العِنايَةِ بِحُسْنِ تَرْبِيَةِ وَتَوجِيهِ المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ ؛ لأَنَّهُ بِصَلاحِها تَصْلُحُ الأُسْرَةُ ، وَإِذا صَلُحَتْ الأُسْرَةُ صَلُحَتْ الأُمَّةُ ، وَمُسْتَقْبَلُ الأُمَّةِ وَسِيادَتُها وَمَصِيرُ الإِسْلامِ وَمَجْدُهُ يَتَوَقَّفانِ عَلَى العِنايَةِ بِتَكْوِينِ جِيلٍ جَدِيدٍ يَشِبُّ عَلَى الطَّاعَةِ وَالإِيمانِ ، وَالتَّقْوَى وَالفَضِيلَةِ ، وَالْعِفَّةِ وَالشَّجاعَةِ ، فالأَزْمَةُ أَزْمَةٌ خُلُقِيَّةٌ نَراها فِي بُيُوتِنا وَمدارِسِنَا ، وَلَنْ يَتَحَقَّقَ هَذا كُلُّهُ إِلاَّ بِالرَّجُلِ المُسْلِمِ حَقًّا ، وَالمَرْأَةِ المُسْلِمَةِ حَقًّا ، فَقَدْ أَصْبَحَ عَلَيْنَا لِزاماً الآنَ أَنْ نَمُدَّ أَيْدِينا إِلَى المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ ، لِنَرْفَعَ مِنْ مُسْتَوَاها عِلْمِيًّا وَأَخْلاقِيًّا وَدِينِيًّا ، وَهُناكَ مُبَشِّراتٌ كَثِيرَةٌ بِالخَيْرِ ، فَبِقَدْر ما رَأَيْنا فِي الماضِي بُعْدَ النِّساءِ عَنْ آدابِ الإِسْلامِ نَرَى فِي هَذِهِ الأَيَّامِ إِقْبالُ الكَثِيراتِ مِنْهُنَّ إِقْبالاً رَائِعاً عَلَى دِينِ الله تَعَالَى وَتَعالِيمِهِ وَما عَلَينا إِلاَّ أَنْ نَأْخُذَ بِيَدِها فِي هَذِهِ الحَياةِ وَتَحْتَلُّ مَقْعَدَها المُعَدّ لَها حَتَّى تُؤَدِّيَ واجِبَها نَحْوَ الله وَالدِّينِ وَالأُسْرَةِ وَالمُجْتَمَعِ وَالْوَطَنِ ، هَذا بَعْضُ ما لِلْمَرْأَةِ المُسْلِمَةِ وَما عَلَيها ، فَهَلْ وَعَيْنا ذَلِكَ ، إِنَّنا وَالحَقُّ يُقالُ كُنَّا وَلازِلْنا فِي هَذَا المَجَالِ بَيْنَ إِفْراطٍ وَتَفْرِيطٍ ، وَزِيادَةٍ وَنُقْصانٍ (( وَخَيرُ الأُمُورِ أَوْسَطُها )) [1] ، وَلْنَفْهَم أَنَّ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن مطرف(٧/ ١٧٩)رقم(٣٥١٢٨) والبهقي في شعب الإيمان عن مطرف( ٥/ ٢٦١) رقم (٦٦٠١) ،وابن سعد في الطبقات الكبرى من كلام مطرف (٧/ ١٤٢) وأبو نعيم في الحلية من كلام قلابة (٢/ ٢٨٦) وذكره الإمام الغزالي في الإحياء مرفوعا قال الحافظ في تخريجه( أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من روآية مطرف بن عبد الله معضلا ) (٣/ ٥٧)

التَّزَمُّتَ وَالغُلُوَّ فِي ناحِيَةٍ ما ينْتِجُ عَنْهُ التَّطَرُّفُ وَالاسْتِهْتارُ فِي هَـذِهِ النَّاحِيَـةِ فَعَلَـيكُمْ بـالنَّمْطِ الأَوْسَطِ فَإِلَيهِ يَنْزِلُ العالي وَيَرْتَفِعُ السَّافِلُ .

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي المُهْتَـدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] وَقـالَ عَـزَّ مِـنْ قَائِـلٍ كَـرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[2]. أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الـشَّيْطانِ الـرَّجِيمِ بِـسْمِ اللهِ الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[3].

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[4]. بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُـمْ فِي القُـرْآنِ العَظِـيمِ ، وَنَفَعَنِـي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْـتَغْفِرُ اللهَ العَظِـيمَ لِي وَلَكُـمْ مِـنْ كُـلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم .

---

قال في كشف الخفاء بعد ذكره(وفي لفظ أوساطها قال ابن غرس ضعيف .انتهى ،وقال في المقاصد رواه ابن السمعاني في ذيل تـاريخ بغداد لكن بسند فيه مجهول عن علي مرفوعا وللديلمي بلا سند عن ابن عبـاس مرفوعـا خـير الأعـمال أوسـطها في حـديث أولـه" دوموا على أداء الفرائض ...ولأبي يعلى بسند جيد عن وهب بن منبه قال إن لكل شيء طرفين ووسطا فـاذا أمـسك بأحـد الطـرفين مال الآخر وإذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان فعليكم بالأوساط من الأشياء، ويشهد لكل ما تقدم قوله تعالى (والـذين إذا أنفقـوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) ،وقوله تعالى( ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا )وقوله (إنهـا بقـرة لا فارض ولا بكر_ وهي الشابة _عوان بين ذلك)(١/ ٤٦٩).

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) النساء آية (١).

(٤) التوبة آية (٧١) .

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَـرَ . اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيـلِ المُحَيَّـا والمَنْظَـرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أما بعدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى ، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

عِبَادَ الله : لَقَدْ سَطَعَ نُورُ الإِسْلامِ ، وَانْطَلَقَ إِلَى العالَمِ ، فَإِذا بِهِ يُبَدِّدُ تِلْكَ الظُّلُـماتِ الَّتِي كانَتْ تَـنْقِصُ مَكانَـةَ المَـرْأَةِ فِي الْجاهِلِيَّـةِ ، فَقـالَ عَـزَّ مـنْ قَائِـل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ فَهِيَ مِن هذه النَّاحِيَةِ سَواءٌ بِسَواءٍ مَعَ الرَّجُـلِ ، بَـلْ رُبَّـما فَضلَتِ امْرَأَةٌ ألافَ الرِّجالِ ، وَيَكْفِينَا مِنْ تَكْرِيمِ المَرْأَةِ فِي الدِّينِ الحَنِيـفِ ، مـا قَـصَّهُ الله عَلَينا فِي مُحْكَمِ آياتِهِ عَنِ المَرْأَةِ المُؤْمِنَةِ ( آسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمَ ) زَوجَةُ فِرْعَونَ الطَّاغِيَـةِ الَّـذِي ادَّعَى الأُلُوهِيَّةَ وَاسْتَعْبَدَ النَّاسَ ، فَوَقَفَتْ ضِدَّهُ وَهَجَرَتْ زِيْنَةَ الحَياةِ الـدُّنْيا ، زِيْنَـةَ المـالِ وَالسِّيادَةِ ، فِي سَبِيلِ إِقامَةِ الدَّعْوَةِ إِلَى الله فَعَذَّبَها فِرعَونُ أَشَدَّ العَذابِ ، فَرُكِزَت المَـسامِيرُ

فِي يَدِيها وَسُمِّرَتْ فِي الأَرْضِ ، فَتَوَجَّهَتْ لِرَبِّها فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، وَسَأَلَتْ رَبَّها فاسْتجَابَ دُعاءَهــــا : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

فالمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ :حَسَنَةٌ فِي الدُّنْيا وَحَسَنَةٌ فِي الأُخْرَى وَهِيَ فِي عَصْرِنا قَلَّ أَنْ تُوجَدَ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ الله ، سُئِلَ الإِمامُ عَلِي عَنْ مَعْنَى الآيَةِ(١) فَقالَ هِيَ الزَّوجَةُ الصَّالِحَةُ .

هُناكَ أَرْبَعَةُ حُقُوقٍ لِلزَّوجِ عَلَى الزَّوجَةِ : وَهِيَ : **أَوَّلاً** : مُلازَمَةُ المَسْكَنِ لا تَخْرُجُ مِنْ مَسْكَنِها إِلاَّ بِإِذْنِهِ وَإِذا خَرَجَتْ بِدُونِ إِذْنِهِ اُعْتُبِرَتْ ناشِزَةً وَالنُّشُوزُ مِنْ كَبائِرِ الذُّنُوبِ ، وَلَعَنَتْها المَلائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ فَما بالُ نِسائِنا الْيَومَ اللاَّتِي تَزدَحِمُ بِهِنَّ الشَّوارِعُ وَالمَجالِسُ ، كَما أَنَّ الكَثِيرَ مِنْهُنَّ يَخْرُجْنَ بِحُجَّةِ التَّعْلِيمِ وَالاسْتِفادَةِ وَلَيْسَ لَها حَقُّ الخُرُوجِ إِلاَّ لِطَلَبِ المَعْرِفَةِ لشَيءٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ لَمْ يَكْفِهَا زَوجُها مُؤْنَتَهُ .

**ثانِياً** : تَسْلِيمُهَا نَفْسَها مَتَى طَلَبَها ما لَمْ يَكُنْ مَعَها عُذْرٌ .

**ثالِثاً** : طاعَتُهُ فِي غَيرِ مَعْصِيَةٍ ، أَمَّا إِذا أَمَرَها بِمَعْصِيَةِ الله تَعالَى ، كَأَنْ أَمَرَها بالتَّبَرُّجِ أَوِ الاخْتِلاطِ بالرِّجالِ الأَجانِبِ فَلا طاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخالِقِ ، قالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ : (( إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولُ عَلَى النِّساءِ فَقالَ رَجُلٌ أَفَرَأَيْتَ يا رَسُولَ الله الحُمْوَ فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ الحُمْوُ المَوتُ)) (٢) وَالحُمْوُ قَرِيبُ الزَّوجِ إِخوانُهُ وَأَعْمامُهُ .

رَابِعاً : مُعاشَرَتُهُ بِالمَعْرُوفِ .

وَوَرَدَ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسلَّمَ أَنَّهُ قالَ : ثَلاثَةٌ لا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ :

---

(١) أي قوله تعالى : ربنا آتنا في الدنيا حسنة ...الآية .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح باب باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة ، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها ، من حديث عقبة بن عامر مرفوعا .

١. الرَجُلَةُ [١] مِنَ النِّساءِ أَيِ المُشْتَبِهَةِ بِالرِّجالِ فِي لِباسِها أَوْ كَلامِها أَوْ مِشْيَتِها ، لَعَنَ الله المُشْتَبِهاتِ مِنَ النِّساءِ بِالرِّجالِ ، وَلَعَنَ الله المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجالِ بِالنِّساءِ .

٢. مُدْمِنُ الخَمْر .

٣. الدَّيُّوثُ: قِيلَ يا رَسُولَ الله مَن الدَّيُّوثُ قالَ : الَّذِي لا غَيْرَةَ فِيهِ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ [٢].

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَلِي ، والمَقَامِ الأَفْضَلِ : سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِي ، وعَنْ رَيْحَانَتَي نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّةِ ، أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ ، وأَبِي عَبْدِالله الحُسَينِ وعَلَى أُمِّهِمَا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ المُخْتَارِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِي عَمَارَةَ الحَمْزَة ، وأَبِي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِيَّةِ العَشَرَةِ المُبَشَّرَةِ ، الَّذِينَ

---

(١)بفتح الراء وضم الجيم وفتح اللام

(٢)أخرجه الطبرانى كما فى الترغيب والترهيب ومجمع الزوائد ، قال المنذرى (٣/ ٧٧) : رواته ليس فيهم مجروح . وقال (٣/ ١٧٨) : رواته لا أعلم فيهم مجروحا وشواهده كثيرة . وقال الهيثمى (٤/ ٣٢٧) : فيه مساتير ، وليس فيهم من قيل إنه ضعيف . وأخرجه أيضًا : البيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٤١٢ ، رقم ١٠٨٠٠) : عن عمار بن ياسر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا الديوث والرجلة من النساء ومدمن الخمر قالوا يا رسول الله أما مدمن الخمر فقد عرفناه فما الديوث قال الذي لا يبالي من دخل على أهله قلنا فما الرجلة من النساء قال التي تشبه بالرجال

بَايَعُوا نَبِيّكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَـعْدٍ وسَـعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيْدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجَلِّيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَـصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُـودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَـا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْـرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .اللَّهُـمَّ آمِنَّـا فِي أَوْطَانِنَـا ، وابْـسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُـسْلِمِينَ . اللَّهُـمَّ أَصْـلِحْ ذَاتَ بَينِنَـا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَـافِ مُبْتَــلانَا ، و أَرْخِـصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَـلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والْمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْـدَاءَ الـدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، واكْتُبِ الـسَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والْمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ .اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْـقِنَا غَيْثَـاً مُغِيثَـاً هَنِيئَـاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ .﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَـــــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ ؛ يَزِدْكُمْ ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# الـمَسَاجِدُ وعِمَارَتُها

## الخُــطْبَــة الأُولَى

الْحَمْدُ لله الـمُوَفِّقِ مَن اجْتَباهُ لِفِعْلِ الخَيْراتِ ، فَدَلَّهُمْ سُبْحانهُ عَـلَى عَمَـلِ المَثُوبـاتِ وَالْحَسنَاتِ ، حَمْداً نَحُوزُ بِهِ رِضاهُ وَالجَنَّاتِ ، وَنَبْلُغُ بِهِ أَعْلا الدَّرَجاتِ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، شَهادَةَ مُعْتَرِفٍ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ ، شاكِرٍ لَهُ جَزِيلَ عَطائِهِ وَنِعَمِهِ ، مُتَخَوِّفٍ مُشْفِقٍ مِنْ شِدَّةِ بَأْسِهِ وَنِقَمِهِ ، سُـبْحانهُ مـا أَحْكَمَـهُ فِي حُكْمِهِ وَحِكَمِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ إِلَى البَرِيَّةِ عُـذْراً وَنُـذراً ، وَأَنْزَلَهُ عَلَيهِ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ذِكْراً ، فَدَعا إِلَى الله سِراً وَجَهْراً ، وَنَشَرَ رَحْمَتَهُ عَلى العالَمِينَ نَشْراً ، حَتَّى صارَ قِلُّ الإِيْمان كُثْراً ، وَعَادَ لَيْلُ البُهْتان فَجْراً ، صَلَّى الله عَلَيهِ وَعَلى آلِهِ وَصَـحابَتِهِ ، وَأَعْظَمَ لَهُمْ أَجْراً.

أَمَّا بَعْدُ : فَأُوْصِيكُمْ عِبادَ الله وَإِيَّايَ بِتَقْوَى الله تَعالَى ، فَإِنَّها عُرْوَةٌ وُثْقَى مـا لَهـا انفِـصامٌ ، وَذرْوَةٌ شامِخَةٌ ما لَها انعِدامٌ ، وَقُدْوَةٌ حَسَنَةٌ يَأْتَمُّ بِها الكِرامُ ، وَجذْوَةٌ تُضِيءُ العُقُولَ وَالأَفْهامَ .

أَيُّها المُسْلِمُونَ : يا أَتْباعَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، إِنَّ الله يُجْرِي عَلَى أَيْدِي المُوَفَّقِينَ مِـنْ عِبـادِهِ عِمارَةَ مَساجِدِهِ وَبِنايتِهَا وَتَوْسِعَتِها وَتَرْمِيمِها ، فَهُمْ بِذَلِكَ كانوا مُوَفَّقِينَ ، وَلِما فِي أَيـدِيهِمْ مِنَ المالِ باذِلِينَ ، وَلِلآخِرَةِ عامِلِينَ ، فاشْتَرُوا الباقِي بالفانِي ، وَباعُوا الدُّنْيا بَيـعَ الهَـوانِ ، وَعَامَلُوا الله فَأَحْسَنُوا مُعامَلَتَهُم ، وَاتَّجَرُوا فِي الآخِرَةِ فَرَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ ، فَحَقٌّ عَلَى الله أَنْ يُجـازِيَهُمْ أَحْـسَنَ الجَـزاءِ وَهُـوَ القَائِـلُ فِي مُحْكَـمِ كِتابِـهِ ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦۗ ﴾ (١).

---

(١) سورة النور من الآية (٣٨).

عِبادَ الله : لا رَيْبَ أَنَّ مِنَ الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تُسَجَّلُ لِلْعَبْدِ المُؤْمِنِ فِي سِجِلِّ حَسَناتِهِ عِمارَةَ بُيُوتِ الله وذَلِكَ بِإِنشائِها وَبِنائِها وَتَوْسِعَتِها ، وَترميم ما تَهَدَّمَ مِنْها ، وَتَنْظِيفِهَا وَتَنْوِيرِها بِالمَصابِيحِ وَالكَهْرَباءِ ، وَتَزْوِيدِها بِالْماءِ وَصِيانَتِها عَمّا لَمْ تُبْنَ لَهُ ، وَإِعْدادِها لِلصَّلاةِ وَالْعِبادَةِ وَالذِّكْرِ ، وَمُدارَسَةِ العُلُومِ وَتِلاوَةِ القُرْآن ، وَالاعْتِكافِ ، وَمِنْ عِمارَتِها قَمُّها وَتَنْظِيفُها وَتَجْمِيرُها وَتَبْخِيرُها بِالرَّوائِحِ الطَّيِّبَةِ الزَّكِيَّةِ ، وَإِبْعادُ ما مِنْ شَأْنِهِ إِيْذاءُ المُصَلِّينَ وَالمُتَعَبِّدِينَ بِها مِنَ الرَّوائِحِ المُنْتِنَةِ ، وَكُلّ ما فِيهِ مَضَرَّةٌ أَوْ إِضرارٌ بِمُمْتَلَكاتِها ، وَمَعْلُومٌ لِلْجَمِيعِ أَنَّهُ لا يَقُومُ بِهَذِهِ الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ إِلا المُوفَّقُونَ المُؤْمِنُونَ بِالله وَاليَومِ الآخِرِ وَمَنْ يَخْشَى الله وَيَتَّقِيهِ ، فَهُوَ بذَلِكَ العَمَلِ يَكُونُ مِنَ الهادِينَ المَهْدِيِّينَ ، المُوَفَّقِينَ لِمَرْضاةِ الله ، كَما قالَ عَزَّ مِنْ قائِلٍ: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ ، وَلِلْعِلْمِ جاءَ ذِكْرُ المَسْجِدِ فِي القُرْآن الكَرِيمِ فِي خمسة وَأَرْبَعِينَ مَوْضِعاً مُوَزَّعَةً بَيْنَ سُوَرِ القُرْآن وَإِنِ اخْتَلَفَتْ المُسَمَّياتِ اللَّفْظِيَّةُ ، وَوَرَدَ فِي فَضْلِ عِمارَتِها فِي الكِتابِ وَالسُّنَّةِ ، وَعَنْ أَئِمَّةِ وَعُلَماءِ الإِسْلامِ مِنَ السَّلَفِ وَالخَلَفِ ما لا يُعَدُّ وَلا يُحْصَى ، كَما وَرَدَ فِي السُّنَّةِ فِيما رَواهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُما ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قالَ :(( مَنْ بَنَى لله مَسْجِداً وَلَو كَمِفْحَصِ قَطاةٍ لِبَيْضِها بَنَى الله لَهُ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ )) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ[١]. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِي رَضِيَ الله عَنْهُ قالَ :قالَ رَسُولُ الله صَلَى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ : (( مَنْ أَخْرَجَ أَذًى مِنَ المَسْجِدِ بَنَى الله لَهُ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ )) أَخْرَجَهُ ابْنُ ماجَة[٢] ، وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قالَ : (( مَنْ

---

(١) مسند الإمام أحمد: (بداية مسند بني هاشم) (مسند عبدالله بن عباس رضي الله عنهما) برقم (٢٠٥٠)

(٢) سنن ابن ماجة : كتاب المساجد و الجماعات ، باب (تطهير المساجد و تطييبها) برقم (٧٤٩).

أَسْرَجَ فِي مَسْجِدٍ سِراجاً لَمْ تَزَل المَلائِكَةُ ، وَحَمَلَةُ العَرْش يَسْتَغْفِرُونَ لَـهُ مـا دامَ فِي ذَلِـكَ المَسْجِدِ ضَوؤُهُ ))[1]. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ الله صَـلَى الله عَلَيـهِ وَسَلَّمَ فِيما رَوَاهُ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَـلَّ: (( قـالَ تَعـالَى : إِنَّ بُيُـوتِي فِي أَرْضِي المَـساجِدُ ، وَإِنَّ زُوارِي فِيهَا عُمّارُها فَطُوبَى لِمَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ زَراني فِي بَيْتِي فَحُقَّ عَلَى المَزُورِ أَنْ يُكْـرِمَ زائِرَهُ ))[2].

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزّاءُ : لَقَدْ أَكْرَمَنا الله تعَالَى وَامْـتَنَّ عَلَينـا نَحْـنُ المُتَـأَخِّرِينَ فِي هَـذا الوَادِي المُبـارَكِ ، إِذْ وَفَّـقَ الله بَعْـضَ الإِخْـوَةِ الوُجَهـاءَ مِـنْ ذَوِي النُّفُـوسِ الأَرْيَحِيَّـةِ ، وَالقُلُوبِ السَّخِيَّةِ لإِشادَةِ المَساجِدِ هُنا وَهُناكَ ، وَبَذْلِ المالِ رَخيصاً فِي عِـمارَةِ بُيُـوتِ الله تَعالَى مِمّا أَصْبَحَ اليَومَ ظاهِرَةً إِسْلامِيَّةً وَطابِعاً مُمَيَّزًا فِي التَّنافُسِ الشَّرِيفِ فِي هَذا المِـضْمارِ ، وَالتَّسابُقِ فِي هَذَا المَيْدان فَإِذا كانتْ عِمارَةُ بُنْيانِ المَساجِدِ اليَـومَ مُتَيَـسِّرَةً وَالحَمْـدُ لله وَقَـدْ أَرَيْناها بِأَعْيُنِنا فَما عَلَينا إلا أَنْ نَهْتَمَّ كُلَّ الاهْتِمامِ كُل فِي مَجالِـهِ بـالِعِمارَةِ الأُخْـرَى العِـمارَةِ الرُّوحِيَّةِ ، المَرْجُوَّةِ المُكمِّلَةِ لِعِمارَةِ البُنْيان وَالجُدْران ، فَمَساجِدُنا تَتَّجِهُ إِلَيها الأَنْظـارُ إِلَى أَنْ تَكُونَ مَدارِسَنا وَمَعاهِدَنا فَهِي مَحَلُّ مُلْتَقَى أَرْواحِنـا وَأَجْـسادِنا ، وَقُلُوبِنـا وَقَوَالِبِنـا ، وَمُنْتَدَى لِتَوحِيدِ صُفُوفِنا وَأَفْكارِنا ، وَ لَـمِّ شَمْلِنا بَعْدَ شَتاتِهِ ، وَجَمْعِ شَعْثِنا بَعْـدَ تَفَرُّقِـهِ ، نَلْتَقِي فِيهَا بِشَبابِنا وَطُلّابِنا وَمُثَقفِينا وَعامَّتِنـا حَيْـثُ تُلْقَـى الـدُّرُوسُ العِلْمِيَّـةُ المُفِيـدَةُ ، وَالعُلُومُ النَّافِعَةُ المَقرُونةُ بِالمَحَبَّةِ وَالمَوَدَّةِ ، وَالمُرْتَبِطَةُ بِالأَخْلاقِ الحَمِيدَةِ وَالتَّواضُـعِ ، لأَنَّ كُلَّ عَلاقاتِنا أَصْبَحَتْ الآن فِي عَهْدِ المادَّةِ الصِّرْفَةِ ، وَارْتِباطاتِنا فِي حَياتِنـا وَمُعامَلاتِنَـا لا

---

(١)رواه الحارث بن أبي أسامة كما بغية الحارث (١ / ٥٣) وأبو الشيخ بسند ضعيف عن أنس ﷺ. كما قاله السخاوي في المقاصد الصالحة

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٩٣) عن كعب الأحبار عن بعض الكتب السماوية و قال : رواه رواه عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره ، و ذكره المناوي في فيض القدير (٢/ ٤٤٥) ، و لكن أخرج الطبراني بسند صحيح عن سلمان ﷺ عن النبـي ﷺ قـال :"مـن توضأ في بيته ثم أتى المسجد فهو زائر الله وحقٌّ على المزور أن يكرم الزائر" وأخرجه ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد عن سلمان موقوفاً

تَعْدُو أَنْ تَكُونَ حُباً لِلْمَظاهِرِ وَالْمَفاخِرِ ، ذاتِ أَغْراضٍ وَمَصالِحَ أَنانِيَّةٍ ، وَأَهْدافٍ لا يَحْكُمُها الإِسْلامُ ، وَلا تَخْضَعُ إِلا لِلْمَعايِيرِ الشَّخْصِيَّةِ الَّتِي نزِنُها دائِماً بِمِيزَان المَصالِحِ الذَّاتِيَّةِ ، فِي حِينِ إِنَّنا نَعِيشُ فِي دَاخِلِ مَساجِدِنا وَجَوامِعِنا إِخْوَةً مُتساوِين ، قَدْ ساوَى بَيْنَنا دِينُنا الإِسْلامِيُّ الحَنِيفُ ، وَرَبَطَنا جَمِيعاً بِرَابِطَته المَتِينَةِ ، حَيثُ تَكُونُ السُّلْطَةُ لله وَحْدَهُ ، وَحَيثُ تَتَلاشَى فِي الصَّلاةِ كُلُّ المَعايِيرِ وَالمَقايِيسِ الاجْتِماعِيَّةِ ، فَتَرَى الابْنَ يَقِفُ بِجانبِ وَالِدِهِ ، وَالمَرْؤسَ بِجانبِ رَئِيسِهِ ، وَالفَقِيرَ بِجَانبِ الغَنِيِّ ، وَالأُمِّيَ بِجانبِ العَالِمِ ، وَالمُثَقفَ بِجانبِ الساذِجِ ، وَالجُنْدِيَّ بِجانبِ قائِدِهِ ، هَكَذَا أَرَادَ الله لَنا أَنْ نَنْسَى رُتْبَتَنا وَمَناصِبَنا وَامْتِيازَاتِنا الاجْتِماعِيَّةِ ، إِخْوَةٌ مُتَساوُونَ مُتَرَابِطُونَ مُتَلاحِمُونَ ، صُفُوفاً مُتَرَاصَّةً كَصُفُوفِنا فِي القِتالِ كَما جاءَ وَصْفُ هَذِهِ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ فِي الكُتُبِ السَّماوِيَّةِ السَّابِقَةِ : (( يُكَبِّرُونَ الله تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَرَفٍ ، يَصُفُّونَ فِي الصَّلاةِ كَصُفُوفِهِمْ فِي القِتالِ )) ، إِذاً ماذا عَلَينا أَيُّها الإِخْوَةُ الأَجِلَّاءُ ، وَقَدْ أَنْعَمَ الله عَلَيْنا بِإِقامَةِ هَذِهِ المَساجِدِ إِلا أَنْ نُحافِظَ عَلَيها ، نَقُومُ بِواجِباتِنا نَحْوَها شُكْراً لله عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ ، وَاعْتِرَافاً بِالجَمِيلِ لِمَنْ وَفَّقَهُ الله وَأَسْداهُ إِلَينا ، وَنَجْعَلُها مَثابَةً لِلْعِبادَةِ وَالذِّكْرِ وَالتِّلاوَةِ ، وَالعِلْمِ النَّافِعِ .

هَذِهِ هِيَ عِمارَةُ المَساجِدِ ، و مِنْ عِمارَتِها صِيانَتُها عَمَّا لَمْ تُنْشأْ مِنْ أَجْلِهِ ، كاتِّخاذِها أَماكِنَ لِلْبَيعِ وَالشِّراءِ مَثَلاً ، وَالمُعامَلاتِ وَالأَحادِيثِ الباطِلَةِ وَالسَّمَرِ الباطِلِ ، أَوِ الدَّعْوَةِ إِلى باطِلٍ مُنْكَرٍ أَوْ تَأْيِيدِهِ ، فَفِي الحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ : (( إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتاعُ فِي المَسْجِدِ فَقُولُوا : لا أَرْبَحَ الله تِجارَتَكَ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ ضالَّةً فَقُولُوا :لا رَدَّها الله عَلَيكَ )) أخرجه الترمذي [1]. و رُوِيَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ صَلَّى الله عَلَيهِ وَعَلَى نَبِيِّنا وَسَلَّمَ مَرَّ بِقَومٍ يَتبايَعُونَ فِي المَسْجِدِ فَجَعَلَ

[1] سنن الترمذي: كتاب البيوع، باب (النهي البيع في المسجد) برقم (١٢٤٢) .

يَضْرِبُهُمْ وَيَقُولُ : ((يا أَبْناءَ الأَفاعِي اتَّخَذْتُمْ مَساجِدَ الله أَسْواقاً هَذِهِ أَسْـواقُ الآخِـرَةِ )) [١] .

كَمَا يَجِبُ عَلَينا أَنْ نُنَزِّه مَساجِدَنا عَما لا يَلِيقُ بِها مِنْ نَجاسَةٍ ، أَوْ ما يُلَوِّثُها أَوْ يُـؤْذِي المُصَلِّينَ وَالمُتَعَبِّدِينَ فِيهَا كالرَّوَائِحِ الكَرِيهَةِ أَوْ بَعْضِ المَأْكُولاتِ الَّتِي يَتَأَذَّى مِنْ رائِحَتِها الَّتِي تَفُوحُ مِنْ أكلِها ، لِلْحَدِيثِ الوَارِدِ عَنْ جابِرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُـولُ الله ﷺ : (( مَنْ أَكَلَ ثَوماً ، أَوْ بَصَلاً فَلْيَعْتَزِلْنا ، أَوْ فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِــدَنا )) [٢].

وَ إِذا كانتْ العِلَّةُ فِي إِخْراجِ ذِي الرَّائِحَةِ الكَرِيهَةِ مِنَ المَسْجِدِ فَفِـي القِيـاسِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤذِي مُجاوِرَهُ فِي المَسْجِدِ يَتَعَدَّى إِلَيهِ الحُكْمُ مِنْ بـابِ أَوْلَى ، مِمَّـنْ يُـؤذِي النَّـاسَ بِبَذَاءَةِ لِسانِهِ أَوْ سُوءِ أَدبِهِ ، وَكَذَا مَنْ كانتْ رَائِحَةُ ثَوبِهِ كَرِيهَـةً قَبِيحَـةً بِـسَبَبِ صَـنْعةٍ أو غيرِها ، أَوْ كان ذا عاهَةٍ مُؤْذِيَةٍ أَوْضارَّةٍ أَوْ مُعْدِيَةٍ مِن بابِ أَوْلَى .

وَيُكْرَهُ رَفْعُ الصَّوتِ فِي المَسْجِدِ أَكْثَـرَ مِمَّـا يَحْتـاجُ إِلَيـهِ المُخاطَـبُ أَوْ كـان فِيـهِ تَشْوِيشٌ عَلَى المُصَلِّينَ ، وَلا يُكْرَهُ رَفْعُهُ لِلتَّبْلِيغِ فِي الصَّلاةِ ، أَوْ تَدْرِيسِ العُلُومِ لأَنَّ ذَلِـكَ مَصْلَحَةٌ مَشْرُوعَةٌ وَرَفْعُ الصَّوتِ وَسِيلَةٌ إِلَيْهـا ، وَاخْتَلَـفَ العُلَـماءُ رَحِمَهُـمُ الله فِي تَـزْيِينِ المَساجِدِ فَكَرَّهَهُ قَومٌ وَقالُوا بِدْعَةٌ مُسْتَحْدَثَةٌ ، وَأَباحَهُ آخَرُونَ ، وَاحْتَجُّوا بِأَنَّ فِيهِ تَعْظِيماً لِشَعائِرِ الله ، وَاللهُ أَمَرَ بِتَعْظِيمِها بقَولِهِ تعَـالَى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ ﴾ الآيـة [٣] ، وَوَرَدَ عَنْ عُثْمانَ بنِ عَفَّان رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّـهُ بَنَى مَسْجِدَ النَّبِيِّ صَلَى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِي خِلافَتِـهِ

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ٢٧٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الأذان باب (ما جاء في الثوم النيء و البصل و الكراث) برقم (٨٠٨) ، و مسلم في صحيحه : كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) باب (باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو نحوها مما له رائحة كريهة عن حضور المسجد حتى تذهب تلك الريح وإخراجه من المسجد) برقم (٨٧٥) .

(٣) النور ٣٦ .

بِالسَّاجِ وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الخَشَبِ المُمْتازِ ثُمَّ حَسَّنَهُ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيهِ أَحَدٌ مِنَ الصَّحابَةِ رِضْوَان الله عَلَيْهِمْ فَيُعْتَبَرُ ذَلِكَ إِجْماعاً عَلَى الجَوازِ .

وَقالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ الله : لا بَأْسَ بِنَقْشِ المَساجِدِ بِماءِ الذَّهَبِ ، وَوَرَدَ عَنِ الخَلِيفَةَ عُمَرَ بْنِ عَبْد العَزِيزِ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّهُ نَقَشَ مَسْجِدَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَبالَغَ فِي عِمارَتِهِ وَتَزْيِينِهِ ، وذَلِكَ فِي زَمان وِلايَتِهِ عَلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ ، قَبلَ خِلافَتِهِ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيهِ أَحَدٌ ذَلِكَ .

اللَّهُمَّ زَهِّدْنا فِي الدُّنْيا ، وَرَغِّبْنا فِي الآخِرَة ، وَبَصِّرْنا بِعُيوبنا ، وَوَفِّقْنا لإِصْلاحِها ، وَزَوِّدْنا بِالتَّقْوَى ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ سَرِيرَتِنا خَيْراً مِنْ عَلانِيَّتِنا ، وَاجْعَلْ عَلانِيَّتَنا صالِحَةً ، اللَّهُمَّ أَلْهِمْنا رُشْدَنا ، وَخُذْ بِنَواصِينا إِلَى ما فِيهِ خَيْرُنا وَصَلاحُنا إِنَّكَ سَمِيعُ الدَّعَواتِ يا رَبَّ العالَمِينَ .

وَالله يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي المُهْتَدُونَ : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ وَقالَ عَزَّ مِنْ قائِلٍ كَرِيمٍ : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ .

أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ .بارَكَ الله لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآن العَظِيم ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ بالآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيم ، أَقُولُ قَولِي هَذا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم .

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَـرَ . اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيـلِ المُحَيَّـا والمَنْظَـرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أما بعدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى ، اتَّقُـوا الله مِـنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : مِمَّا وَرَدَ فِي المَساجِدِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : إِنَّهُ قالَ :((أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى الله مَسَاجِدُهَا وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى الله أَسْوَاقُهَا )) [١] ؛ مَعَ أَنَّ الأَسْوَاقَ لَيْسَتْ كُلُّها شَرَاً ، حَتَّى يَلْحَقَها بُغْضُ الله ، فَفِيهَا يُطْلَبُ الرِّبْحُ الحَـلالُ ، وَالـرِّزْقُ المَـشْرُوعُ لِقَولِـهِ تعـالَى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠ ﴾ [٢].

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه : كتاب( المساجد و مواضع الصلاة )بـاب( فـضل الجلـوس في مـصلاه بعـد الـصبح و فـضل المساجد ) برقم (١٠٧٢).

(٢) سورة الجمعة آية (١٠) .

وَفِي الأَسْواقِ تُقْضَى حَوائِجُ النَّاس ، وَتُتَبادَلُ المَنافِعُ ، غَيْرَ أَنَّها غالِباً ما تَكُونُ مَرْتَعاً لِشَياطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ يَصُولُونَ وَيَجُولُونَ فِيهَا ، إِذْ فِيهَا تَكْثُرُ الغَفْلَةُ عَنْ ذِكْـرِ الله تَعـالى فَلا تَسْمَعُ فِيهَا إِلا كَلاماً بَذِيئاً نابِياً ، أَوْ زُورًا أَوْ بُهْتَاناً ، أَوْ أَيْماناً كاذِبَةً وَلا تَرَى إِلا غِـشَّاً أَوْ خِداعاً ، أَوْ تَزْوِيراً مُنَفِّقاً لِسِلْعَةٍ كاسِدَةٍ ، أَوْ تَرْوِيجاً لِبِضاعَةٍ بائِرَةٍ .

أَما المَساجِدُ فَلا يُسْمَعُ فِيهَا إِلا الخَـيْرُ ، فَهَـذا صَـوتُ مُـؤَذِّنٍ يُرفَـعُ بـالتَّكْبِيرِ وَالشَّهادَتَيْنِ ، وَيُنادِي لِلصَّلاةَ ، وَهَذا تالٍ لِكِتابِ الله تَعـالَى يُرَتِّلُـهُ تَـرْتِيلاً ، يُـشَنِّفُ بِـهِ الأَسْماعَ وَ يَمْلأُ بِهِ القُلُوبَ إِيماناً وَيَقِيناً ، وَهَذا صَوتُ ذَاكِرٍ لله مُبْتَهِلٍ داعٍ يَطْلُـبُ قَـضاءَ حاجَتِهِ أَوْ قَبُولَ تَوْبَتِهِ ، وَهَذا حَـدِيثُ مُرْشِـدٍ وَاعِـظٍ يُـذَكِّرُ النَّـاسَ بـآلاءِ الله وَنِعَمِـهِ ، وَيُحَذِّرُهُمْ بلائَهُ وَنِقْمَهُ ، يَجْبِرُ القُلُوبَ الكَسِيرَة ، وَالخَواطِرَ المَكْسُوفَة ، الَّتِي عثـى عَلَيهـا الزَّمانُ ، أَوْ أَسْرَفَتْ فِي العِصْيانِ ، فَهِيَ تَهْفُوا إِلَى رِضَا الرَّحْمَنِ ، وَتَخَافُ سَخطَهُ وَعَـذَابَ النِّيرانِ ، وَذاكَ عالِمٌ فَقِيهٌ ، أَوْ مُحَدِّثٌ كَبِيرٌ يَشْحَذُ الهِمَمَ ، يُزَوِّدُ طُلابَـهُ بـالعُلُومِ النافِعَـةِ ، وَيَمْلأُ النُّفُوسَ الخاوِيةَ بِالثِّقَةِ وَالمَعْرِفَةِ ، كَيفَ لا وَرَسُولُ الإِسْلامِ ﷺ قَدْ بَشَّرَنا بِكَثِيرٍ مِنَ الفَضائِلِ الَّتِي أَعَدَّها الله لِعُمَّارِ المَساجِدِ وَرُوَّادِها ، فَمِنْ ذَلِكَ [1] مَا رُوِيَ عَـنْ مالِـكِ بْـنِ دِينارٍ رَحِمَهُ الله عن النَّبِيِّ ﷺ قالَ :(( يَقُولُ الله تَعالَى : إِنِّي لأَهـمُّ بِعَـذابِ أَهْـلِ الأَرْضِ ، فَإِذا نَظَرْتُ إِلَى جُلَساءِ القُرْآنِ ، وَعُمَّارِ المَساجِدِ ، وَوِلْدانِ الإِسْلامِ سَكَنَ غَضَبِي )) [2] .

---

(١) و من ذلك ما رواه البخاري و مسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبيِّ صلى الله عليـه وسـلم قـال:" مَـن غَدَا إلى المسجد و رَاحَ أعدَّ الله له نُزَلَه من الجنة كلما غَدَا أو رَاحَ "، و من منها ما رواه مسلم في صـحيحه عـن أبي هريـرة قـال: قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" من تطهَّر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريـضة مـن فـرائض الله كانـت خطوتـاه إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة " ، و منها في ثواب المعتكف في المسجد ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قـال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :".... وإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت تحبسه وتـصلي يعنـي عليـه الملائكـة مـا دام في مجلسه الذي يصلي فيه : اللهمَّ اغفر له اللهمَّ ارحمه ما لم يحدث فيه " .

(٢) ذكره السيوطي في تفسيره الدر المنثور (٤/ ١٤٤) و قال : أخرجه أحمد في الزهد والحكيم الترمذي عن مالك بن دينار ﷺ

ومَا رُوِيَ عَنْ أَبِي أُمامَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ الله صَلَى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ : (( بَشِّرُوا الـمُدْلِجِينَ – أي المَشَّائِينَ لَيلاً – إِلَى المَساجِدِ فِي الظُّلَمِ بِمَنابِرَ مِنْ نُورٍ يَوْمَ القِيامَةِ ، يَفْزَعُ النَّاسُ وَلا يَفْزَعُونَ ))[1] .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تكْرِيماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصَاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَلِي ، والمَقَامِ الأَفْضَلِ : سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِي ، وعَنْ رَيْحَانَتَي نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّةِ ، أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ ، وأَبِي عَبْدِالله الحُسَينِ وعَلَى أُمِّهِمَا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ المُخْتَارِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِي عَمَارَةَ الحَمْزَة ، وأَبِي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِيَّةِ العَشَرَةِ المُبَشَّرَةِ ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيَّكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَةَ والزُّبَيرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْمَنِ وأَبِي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّةِ ، و يَا مُجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّسْ هَمَّنَا .نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا

[1] رواه الطبراني في معجمه الكبير (٨/ ١٤٢) ، و ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣١) و قال عقبه : رواه الطبراني في الكبير وفيه سلمة العبسي عن رجل من أهل بيته ولم أجد من ذكرهما . و قريب منه ما روى أبوداود و الترمذي و ابن ماجة بإسناد صحيح عن بريدة الأسلمي : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" بشِّرِ المشَّائِينَ في الظلم إلى المساجد بالنور التامِّ يوم القيامة " .

مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَـا بالإِسْـلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَـا بِالفَـضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَـا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُـسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَافِرِ الذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُـسْلِمِينَ . اللَّهُـمَّ أَصْـلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبِنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَـانَا ، وعَـافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِـيمَنْ خَافَـكَ واتَّقَـاكَ واتَّبَـعَ رِضَـاكَ يَـا أَرْحَـمَ الرَّاحِـمِينَ .اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُـسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عوناً ومُعِيناً لَـهُ ، واخْـذُلْ مَـنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَـرِّكَ وبَحْـرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ .اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْـقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ عِبَـــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَـزِدْكُمْ ، وَلَـذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# الوقَاية خير من العلَاج

## الخطبة الأُولَى

الْحَمْـدُ لله الَّـذِي أَمَرَنَـا بَالطَّهَـارَةِ وَالنَّظافَـةِ لِـصِحَّةِ الْأَبْـدَانِ ، وَنَهَانَـا عَـمَّا يَجْلِـبُ الأَمْـــرَاض﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾[1] ، وَنَهَانَا عَمَّا يُضْعِفُ الْأَجْسَامَ وَيُفْسِدُ الذَّوْقَ وَالعَقْلَ وَيُغْضِبُ الرَّبَّ وَيُؤْذِي الجَلِيسَ ، وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيـكَ لَـهُ ، أَمَرَنَـا بَالطَّهَارَةِ وَالنَّظافَةِ ، فَشَرَعَ الوُضُوءَ وَالغُسْلَ وَإِزَالَـةَ النَّجَاسَـاتِ عَـنِ الثَّـوبِ وَالْبَـدَنِ وَالْمَكَانِ، وأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ القَائِلُ (( الطُّهُـورُ شَـطْرُ الْإِيـمَانِ ))[2] وَالْمُوصَى إِلَيهِ بِقَولِ الله عَزَّ وَجَلَّ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾[3]

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِـهِ وَأَهْـلِ بَيْتِـهِ الْمُطَهَّـرِينَ بِـنَصِّ القُـرْآنِ الكَـــرِيمِ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾[4] وَعَلَى صَحَابَتِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ الله عَـنْهُمْ وَرَضُـواْ عَنْـهُ ، أُوْلَـٰٓئِكَ فِي جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ .

أَمَّا بَعْدُ : فأُوصِيكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعَالَى ، فَاتَّقُوا الله فِي أَنْفُسِكُمْ وَمَنْ تَعُولُونَ ، وَاتَّقُوهُ فِيمَا تَقُولُونَ وَمَا تَعْمَلُونَ وَمَا تَأْتُونَ وَمَا تَذَرُونَ ، فَإِنَّهَـا وَصِـيَّةُ الله لِخَلْقِهِ أَجْمَعِينَ ، وَعَلَيْهَا الْاِعْتِمَادُ فِي شُؤُونِ دُنْيَاكُمْ وَالدِّيْنِ .

---

(١) سورة المائدة آية( ٦)

(٢) هو جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٢٠٣)(٢ كتاب الطهارة ١ باب فضل الوضوء)رقم(٢٢٣)كما رواه غيره .

(٣)سورة المدثر آية(٤، ٥)

(٤) سورة الأحزاب آية( ٣٣) .

عِبَـادَ الله : يَقُـولُ الله تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾(1).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : مَا مَنَحَ الله الْإِنْسَانَ نِعْمَةً بَعْدَ الْإِيمَانِ بِالله وَتَوحِيدِهِ أَعْظَـمَ وَأَجَـلَّ مِنْ نِعْمَةِ الصِّحَّةِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ ، فَانَّ العَبْدَ مَا أُعْطِيَ بَعْدَ يَقِينٍ خَيْراً مِنْ عَافِيَةٍ ، وَالْمُؤْمِنُ إِذَا أُعْطِيَ عَقْلًا سَلِيمًا فِي جِسْمٍ سَلِيمٍ طابَتْ حَيَاتُهُ وَهَنِئَتْ مَعِيَشتُهُ .

أَجَلْ إِنَّ صِحَّةَ الْأَجْسَامِ وَجَمَالَهَا وَنَضارَتَهَا مِنَ الأُمُـورِ الَّتِـي وَجَّـهَ الإِسْـلَامُ إِلَيْهَـا عِنَايَةً فَائِقَةً ، وَاعْتَبَرَهَا مِنْ صَمِيمِ رِسَالَتِهِ ، وَلَقَدْ كَـرَّمَ الإِسْـلَامُ البَـدَنَ فَجَعَـلَ طَهَارَتَـهُ التَامَّةَ أَسَاساً لَا بُدَّ مِنهُ لِكُلِّ صَلَاةٍ ، وَجَعَلَ الصَّلَاةَ وَاجِبَةً خَمْسَ مَرَاتٍ فِي الْيَومِ ، وَكَلَّفَنَا بَالنَّظَافَةِ لَهَـا ، وَالطَّهَـارَةِ الكَامِلَـةِ بِغُـسْلِ الْأَعْـضَاءِ الَّتِـي تَتَعَـرَّضُ لِلْغِبَـارِ وَالْأَوْسَـاخِ وَالْأَقْذَارِ وَتَكُونُ عُرْضَةً لِلْمَكْرُوبَاتِ وَالجْرَاثِيمِ الَّتِـي تَحْمِـلُ الأَمْـرَاضَ وَالْأَوْبِئَـةَ ، وَفِي بَعْـضِ الْأَحْـوَالِ يَأْمُرُنَـا بِغُـسْلِ الجِـسْمِ كُلِّـهِ غُـسْلًا جَيِّـدًا لحِكْمَـةٍ شَرْعِيَّـةٍ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ ﴾(2) زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ نَدَبَ الشَارِعُ أَغْسَالاً مَسْنُونَةً كَغُسْلِ يَـوم الجُمْعَـةِ وَالْعِيـدَيْنِ ، قَـالَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ : (( إِنَّ هَـذَا يَـومُ عِيـدٍ جَعَلَـهُ الله لِلْمُـسْلِمِينَ فَمَـنْ جَـاءَ الجُمْعَـةَ فَلْيَغْتَسِلْ ))(3) .

---

(1) سورة لقمان آية (٢٠)

(2) سورة المائدة آية (٦)

(3) هو جزء من حديث أخرجه ابن ماجة في سننه (١/ ٣٤٩) (٨٣ ما جاء في الزينة يوم الجمعة) رقم(١٠٩٨) واسناده حسن قاله في الترغيب والترهيب (١/ ٢٨٦)، كما أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٢٣٠، ٢٣١) رقم(٧٣٥٥) ، وغيرهما.

وَقَدْ أَوْجَبَ الإِسْلَامُ النَّظَافَةَ مِنَ الطَّعَامِ بَعْدَ أَكْلِهِ ، فَبَعْدَ أَنْ نَدَبَ إِلَى الوُضُوءِ لَهُ – أيِ النَّظافَةِ وَيَكْفِى فِيهِ غُسْلُ الْأَيْدِي_ أَمَرَ بِأَنْ يَتَخَلَّصَ الْإِنْسَانُ مِنْ فَضَلَاتِهِ وَرَوَائِحِهِ وَآثارِهِ وَهَذَا أَنْقى لِلْمَرْءِ وَأطْيَبَ .

رُوِيَ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ :(( بَرَكَةُ الطَّعَامِ الوُضُوءُ قَبْلَهُ وَالْوُضُوءُ بَعْدَهُ ))[1] – أَيِ النَّظافَةُ المَطْلُوبَةُ- وَتَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأطْعِمَةِ وَمُخَلَّفَاتِهَا عَلَى البَدَنِ ، فَإِذَا تَسَرَّبَتْ هَذِهِ البَقَايَا فِي الأَمَاكِنِ المُتَوَارِيَةِ مِنَ الجِسْمِ كَالأَسْنَانِ ، كَانَ حَقًّا عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَتَنَظَّفَ مِنْهَا، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ (( تَخَلَّلُوا فَإِنَّهُ نَظافَةٌ ، وَالنَّظَافَةُ تَدْعُوَا إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانُ مَعَ صَاحِبِهِ فِي الجَنَّةِ ))[2] .

وَقَدِ اقْتَرَنَتْ نَظافَةُ الوُضُوءِ وَنَظافَةُ الطَّعَامِ فِي هَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، فَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ فقَالَ : ((حَبَّذَا المُتَخَلِّلُونَ مِنْ أُمَّتِي قَالَ : وَمَا المُتَخَلِّلُونَ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ المُتَخَلِّلُونَ فِي الوُضُوءِ وَالمُتَخَلِّلُونَ مِنَ الطَّعَامِ ، أَمَّا تَخْلِيلُ الوُضُوءِ فَالمَضْمَضَةُ وَالإِسْتِنْشَاقُ ، وَبَينَ الأَصَابعِ ، وَأَمَّا تَخْلِيلُ الطَّعَامِ فَمِنَ الطَّعَامِ ، إِنَّهُ لَيْسَ شَيء أَشَدَّ عَلَى المَلَكَيْنِ مِنْ أَنْ يَرَيَا بَينَ أَسْنَانِ صَاحِبِهِمَا

(١)رواه الترمذي في سننه وقال عقبه( لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث قيس بن الربيع وقيس بن الربيع يضعف في الحديث.إ هـ) ( ٤/ ٢٨١) (٣٩ باب ما جاء في الوضوء قبل الطعام وبعده )رقم(١٨٤٦)،وأبو داود في سننه وضعفه (٣/ ٣٤٥) (١٢باب في غسل اليد قبل الطعام )رقم(٣٧٦١)، وأحمد في مسنده (٥/ ٤٤١)رقم( ٢٣٧٨٣)والحاكم في مستدركه (٣/ ٦٩٩) رقم(٦٥٤٦) وفي إسنادهما قيس بن الربيع ، وفي الترغيب والترهيب قال الحافظ : ( قيس بن الربيع صدوق وفيه كلام لسوء حفظه لا يخرج الإسناد عن حد الحسن )،ينظر ترجمته في الكامل في ضعفاء الرجال(٦/ ٣٩) رقم( ٦١٥٨)، تهذيب التهذيب(٨/ ٣٥٠) رقم الترجمة (٦٩٨) .

(٢) الحديث رواه الطبراني في الأوسط (٧/ ٢١٥) رقم(٧٣١١)، وفيه إبراهيم بن حيان قال ابن عدي أحاديثه موضوعة ،قاله في مجمع الزوائد (١/ ٢٣٦)وفي الترغيب والترهيب (رواه الطبراني في الأوسط هكذا مرفوعا ووقفه في الكبير على ابن مسعود بإسناد حسن وهو الأشبه )(١/ ١٠٣) .

طَعَامًا ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي )) [1] وَعِنَايُةُ الدِّيْنِ بِتَطْهِيرِ الْفَمِ ، وَتَخْلِيَـةِ الْأَسْـنَانِ ، وَتَنْقِيَـةِ مَـا بَيْنَهُمَا لَا نَظِيرَ لَهُمَا فِي وَصَايَا الصِّحَّةِ القَدِيمَةِ وَالْحَدِيثَةِ ، قَـالَ رَسُـولُ الله صَـلَّى الله عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ (( تَسَوَّكُوا فَانَّ السِّوَاكَ مَطَهَّرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ مَا جَاءَ نِي جِبْرِيلُ إِلَّا أَوْصَـانِي بِالسِّوَاكِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيَّ وَعَلَى أُمَّتِي )) [2] .

وَهُنَاكَ أَطْعِمَةٌ ذاتُ رَوَائِحَ لَا تَـزُولُ بِـسُهُولَةٍ كَـاللَّحْمِ وَالـسَّمَكِ وَغَيْرِهِمَـا يَجِـبُ الْاهْتِمَامُ بِإِزَالَةِ أَثَرِهِمَا بَعْدَ أَكْلِهِمَا ، وَعَدَمُ الْإِهْمَـالِ ، فَـإِنَّ التَّنَظُّـفَ عَنْهَـا ضَرُورَةٌ لِحِفْـظِ الصِّحَّةِ ، وَضَرُورَةٌ لِحِفْظِ الكَرَامَةِ الخَاصَّةِ ، وَالْآدَابِ العَامَّةِ ، قَالَ رَسُـولُ الله صَـلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ : (( مَنْ بَاتَ وَفِي يَدِهِ رِيحُ غَمْرٍ _ أَيْ زُهُومَةُ اللَّحْـمِ _ ، فَأَصَـابَهُ شَيءٌ فَـلَا

(١)رواه الطبراني في الكبير باللفظ المذكور (٤/ ١٧٧) رقم(٤٠٦)وأحمد في مسنده من حديث أبي أيوب بلفظ (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبذا المتخللون قيل وما المتخللون قال في الوضوء والطعام) رقم (٢٣٥٧٤) وفي الترغيب والترهيب(١/ ١٠٣)(رواه الطبراني في الكبير ورواه أيضا هو والإمام أحمد كلاهما مختصرا عن أبي أيوب وعطاء قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(حبذا المتخللون من أمتي في الوضوء والطعام) ورواه في الأوسط من حديث أنس ومدار الإشارة كلها على واصل بن عبدالرحمن الرقاشي وقد وثقه شعبة وغيره.إ.هـ)وفي مجمع الزوائد بعد أن نسبه إليهما(وفي إسنادهما واصل الرقاشي وهو ضعيف ) ،كما رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس مرفوعا بلفظ (حبذا المتخللون من أمتي ) (وقل عقبه تفرد به محمد ) (٢/ ١٥٩) رقم (١٣٧٥)، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٢٦٧) وفي اسنادهما محمد بن أبي حفص الأنصاري ،قال في مجمع الزوائد بعد أن نسبه للطبراني (وفيه محمد بن أبي حفص الأنصاري لم أجد من ترجمه )(١/ ٢٣٥) وفي فيض القدير٣/ ٣٧٢)(ورواه القضاعي في الثواب وقال شارحه حسن.إ.هـ)ورواه أيضا عبد بن حميد في مسنده (١٠٢) رقم(٢١٧)، والمحاملي في الأمالي (٣٨٦)رقم(٤٤٥) وفي اسنادهما أبو يحيى الرقاشي ،وأبو يعلى في معجمه وفيه أبو محمد بن أبي حفص وراو مبهم (٧٦)رقم(٥٩) ينظر ترجمة واصل في الكامل في ضعفاء الرجال (٧/ ٨٥)رقم(٢٠٠٩)

(٢)رواه ابن ماجة في سننه من حديث أبي أمامة باللفظ المذكور وزاد فيه(... ولولا أنى أخاف أن أشق على أمتي لفرضته لهم وإني لأستاك حتى لقد خشيت أن أحفى مقادم فمي ) (١/ ١٠٦) (٧ باب السواك )رقم(٢٨٩)، والطبراني في الكبير بلفظ ابن ماجة (٨/ ٢٢٠) رقم(٧٨٧٦)، ورواه في مصباح الزجاجة باسناد ابن ماجة وقال عقبه هذا اسناد ضعيف (١/ ٤٣)رقم (١١٧)

يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ ))[1] وَمِنِ احْتِرَامِ الإِسْلَامِ لِلْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ تَحْرِيمُهُ عَلَى مَنْ أَكَلَ ثومًا أَوْ بَصَلًا نَيِّئًا ، أَوْ مَا يُشْبِهُهُمَا مِنَ المَأْكُولَاتِ أَنْ يَحْضُرَ المُجْتَمَعَاتِ ، ذَلِكَ أَنَّ نَتْنَ الْأَفْوَاهِ مِنْ هَذِهِ الْأَطْعِمَةِ يُؤْذِي النَّاسَ ، وَقَدْ أَسْقَطَ الإِسْلَامُ سُنَّةَ الجَمَاعَةِ فِي المَسْجِدِ وَالجُمْعَةِ عَلَى الَّذِينَ أُصِيبُوا بِعِلَلٍ ذاتِ رَوَائِحَ كَرِيهَةٍ فِي أَفْوَاهِهِمْ أَوْ أَجْسَامِهِمْ ، وَأَكْثَرُ مِنْ هَذَا وَذَاكَ الأَمْرَاضُ المُعْدِيَةُ المَوبُوءَةُ .

كَمَا إِنَّ دِينَنَا الحَنِيفَ نَبَّهَ إِلَى تَنْظِيفِ البُيُوتِ وَأَفْنِيَتِهَا وَمَا جَاوَرَهَا مِنَ الفَضَلَاتِ وَالْقُمَامَاتِ وَبَقَايَا الْأَطْعِمَةِ حَتَّى لَا تَكُونُ مَبَاءَةً لِلْحَشَرَاتِ ، وَمَصْدَراً لِلْعِلَلِ وَالأَمْرَاضِ ، بِسَبَبِ مَا يَعِيشُ فِيهَا مِنَ الجَرَاثِيمِ الَّتِي تَنْقُلُ الأَمْرَاضَ ، وَكَذا رَدْمُ المُسْتَنْقَعَاتِ وَمَجَارِي المِيَاهِ الخَارِجَةِ مِنَ المَرَاحِيضِ الَّتِي تُفْسِدُ الجَوَّ بِرَائِحَتِهَا الكَرِيهَةِ ، وَنَتْنِهَا ، فَهَلْ نَحْنُ وَعَيْنَا مَسْئُولِيَاتِنَا وَوَاجِبَاتِنَا تَجَاهَ هَذِهِ المَضارِّ الَّتِي أَحْدَثْنَاهَا نَحْنُ مِنْ صُنْعِ أَيْدِينَا ، فَإِنَّنَا نَحْنُ المُوَاطِنِينَ نَتَحَمَّلُ أَكْبَرَ وَأَثْقَلَ حِمْلٍ فِي هَذِهِ المُهِمَاتِ لأَنَّنَا نَحْنُ المُتَسَبِّبِينَ فِيهَا ، وَنَحْنُ أَوَّلُ المُتَضَرِّرِينَ مِنْهَا ، لِذا وَجَبَ أَنْ نُشَارِكَ فِي إِبْعَادِهَا وَإِزَالَتِهَا مِنْ شَوَارِعِنَا ، وَنُحَمِّلُ الدَّولَةَ وَالمَسْئُولِينَ عَنْهَا عَلَى القِيَامِ بِوَاجِبِهِمْ فَالْبَلَدِيَّةُ الَّتِي تُجْبِي الضَّرَائِبَ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ مِنَ النَّاسِ ، أَيْنَ يَذْهَبُ مَا تَجْمَعُهُ مِنْ مَالٍ كُلَّ عَامٍ يُقَدَّرُ بِالمَلَايِينَ ؟! ،

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( إن الشيطان حساس لحاس فاحذروه على أنفسكم من بات وفي يده ريح غمر فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه)(٤/ ٢٩٨) رقم(٤٨ باب ما جاء في كراهية البيتوتة وفي يده ريح غمر) وقال عقبه (هذا حديث غريب من هذا الوجه وقد روي من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم)،وفي الترغيب والترهيب أنه من طريق سهيل بن أبي صالح حسن (٣/ ١١٠)، كما رواه ابن ماجة في سننه (٢/ ١٠٩٦)رقم(٣٢٩٧،٣٢٩٦)،والطبراني في الأوسط عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من بات وفي يده ريح غمر فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه)(٥/ ٣٢٤)،قال في مجمع الزوائد( رواه البزار والطبراني في الأوسط بأسانيد ورجال احدهما رجال الصحيح خلا الزبير بن بكار وهو ثقة وقد تفرد به كما قال الطبراني )(٥/ ٣٠)،كما رواه في الصغير (٢/ ٨٠) رقم (٨١٦) ، وفي الكبير إلا أنه قال ( فأصابه وضح)(٦/ ٣٥) رقم(٥٤٣٥).

وَنَظْرَةً عَابِرَةً عَلَى شَوَارِعِ مَدِينَتِنَا وَبِخَاصَّةٍ فِي الْأَحْيَاءِ القَدِيمَةِ الْمُكْتَظَّةِ بِالسُّكَّانِ ، تَرى العَجَبَ العُجَابَ هُنَا وَهُنَاكَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّنَا غَيرُ وَاعِينَ ، وَأَنَّنَا مُتَخَلِّفُونَ حَضَارِيًّا كَمَا يَقُولُونَ ، أَمَا تَرَونَ أَكْوَامَ القُمَامَاتِ القَذِرَةِ فِي أَعَزِّ وَأَهَمِّ شَوَارِعِ المَدِينَةِ الْأَثَرِيَّةِ ، وَكَأَنَّ الحَدِيثَ النَّبَوِيَّ الشَّرِيفَ الَّذِي يُعِيبُ عَلَى اليَهُودِ وَيَصِفُهُمْ بَالْقَذَارَةِ وَالْوَسَاخَةِ كَأَنَّمَا هُوَ فِينَا لَا فِي اليَهُودِ ، فَفِي مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ :(( إِنَّ الله طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ ،نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ ، جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ ، فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بَالْيَهُودِ ))[1].

وَنتِيجَةً لِإِهْمَالِنَا نَظَافَةَ بِلَادِنَا ينْتَشِرُ مَرَضٌ خَبِيثٌ مِنَ الْإِسْهَالِ الدَّمَوِيِّ ، كَمَا نَشَرَ هَذَا الخَبَرَ قِسْمُ الرِّعَايَةِ الصِّحِيَّةِ بَالْمُدِيرِيَّةِ ، وَيأَخذُ هَذَا المَرَضُ فِي الْانْتِشَارِ بِشَكْلٍ سَرِيعٍ وَبِخَاصَّةٍ فِي الأَطْفَالِ ، مِمَّا يُهَدِّدُ حَيَاةَ الكَثِيرِ مِنَ النَّاسِ كِبَاراً وَصِغَاراً ، وَمِنْ أَجْلِ الحَدِّ مِنِ انْتِشَارِ هَذَا الوَبَاءِ نَنْقُلُ إِلَيكُمْ هذه المَعْلُومَاتِ التَّالِيَةِ كَمَا جَاءَتْنَا مِنْ وَزَارَةِ الصِّحَّةِ عَبْرَ إِدَارَةِ الْأَوقَافِ وَالْإِرْشَادِ :

١. يَجِبُ الاتِّصَالُ بَالْمُسْتَشْفَى لِطَلَبِ الْمُسَاعَدَةِ الطِّبِّيَّةِ عِنْدَمَا تَحْدُثُ حَالَةٌ

٢. يَجِبُ الحِفَاظُ عَلَى النَّظَافَةِ الشَّخْصِيَّةِ وَالعَمَلِ عَلَى تَحْسِينِ صِحَّةِ البِيئَةِ بَاتِّبَاعِ التَالِي :

أ. تَعْقِيمُ مِيَاهِ الشُّرْبِ بِغَلْيِهَا.

ب. غُسْلِ الْأَيْدِي بِالمَاءِ وَالصَّابُونِ بَعْدَ الخُرُوجِ مِنَ المِرْحَاضِ (بَيْتِ المَاءِ ) وَقَبْلِ إِعْدَادِ الطَّعَامِ .

---

(١) رواه الترمذي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص يرفعه وقال( حديث غريب وخالد بن إلياس يضعف)(٥/ ١١١)( ٤١ باب ما جاء في النظافة) رقم ( ٢٧٩٩)، والبزار في مسنده (٣/ ٣٢٠)رقم(١١١٤) ،وأبي يعلى في مسنده (٢/ ١٢١، ١٢٢) رقم(٧٩٠، ٧٩١) وفي اسنادهما خالد بن إلياس المذكور.

ج. حِفْظُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي وَعَاءٍ مُغَطًّى لِحِمَايَتِهِ مِنَ الجَرَاثِيمِ وَعَدَمِ تَرْكِهِ مَكْشُوفًا لِكَيْ لَا تَتَرَاكَمُ عَلَيْهِ الجَرَاثِيمُ .

د. غُسْلُ الخُضَارِ وَالفَوَاكِهِ غُسْلًا جَيِّدًا قَبْلَ أَكْلِهَا أَوْ طَبْخِهَا .

هـ. التَّصْرِيفُ الصِّحِّيُّ لِلْمُخَلَّفَاتِ الْآدَمِيَّةِ بِرَدْمِهَا أَوْ حَرْقِهَا لِمَنْعِ وُصُولِ الذُّبَابِ إِلَيْهَا .

و. وَضْعُ الرَّمَادِ فِي المَرَاحِيضِ ( المَطَاهِيرِ ).

ز. مُكَافَحَةِ الذُّبَابِ وَالحَشَرَاتِ الضَّارَةِ الْأُخْرَى .

ح. نَصْحُ الأَطْفَالِ بِعَدَمِ شِرَاءِ الْأَطْعِمَةِ المَكْشُوفَةِ مِنَ البَاعَةِ المُتَجَوِّلِينَ فِي الطُّرُقَاتِ وَتَحْتَ المدَارِسِ.

وَنَحْنُ نُضِيفُ إِلَى هَذَا كُلِّهِ أَنَّ الوِقَايَةَ خَيرٌ مِنَ العِلَاجِ ، فَأَيْنَ الوِقَايَةُ مِنَ الأَمْرَاضِ؟ وَعَلَى مَنْ تَجِبُ هَذِهِ الوِقَايَةُ ؟ وَكَيْفَ تَكُونُ الوِقَايَةُ ؟

إِنَّ تُلَوُّثَ البَيْئَةِ هُنَا ،لَيْسَ تَلَوُّثَ البَيْئَةِ هُنَاكَ _أَيْ فِي الْأَقْطَارِ الصِّنَاعِيَّةِ المُتَطَوِّرَةِ_، هُنَاكَ التَّلَوُّثُ مِنَ مَوَادِّ المَصَانِعِ وَالْآلَاتِ وَالزُّيُوتِ المُحْتَرِقَةِ ، وَكَثْرَةِ الغَازَاتِ الضَّارَّةِ مِنَ المَوَادِّ الكِيمَيَائِيَّةِ أَفْسَدَتْ أَجْوَاءَهُمْ ، وَلَكِنْ عِنْدَهُمُ الوِقَايَةُ ،عِنْدَهُمُ المُسْتَشْفَيَاتُ وَالْعِلَاجُ، عِنْدَهُمُ الطِّبُّ وَالْأَدْوِيَةُ، عِنْدَهُمُ المُؤَسَّسَاتُ الْإِنْسَانِيَّةُ وَالْإِسْعَافَاتُ ،وَعِنْدَهُمْ أَيْضًا الوَعْيُ وَالمُسْئُولُونَ السَّاهِرُونَ عَلَى صِحَّةِ البَيْئَةِ وَمَصْلَحَةِ العِبَادِ وَالْبِلَادِ ، أَمَّا نَحْنُ فَمَا عِنْدَنَا؟ وَمَاذا نَمْلِكُ ؟ عِنْدَنَا التَّلَوُّثُ مِنْ نَوعٍ آخَرَ ، ابْتدَأْنَا الدُّخُولَ فِي المَدَنِيَّةِ لَأَنَّنَا عَلَى أَبْوَابِهَا وَلَكِنْ بِدُونِ وَعْيٍ وَفَهْمٍ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا ، عِنْدَنَا إِسْرَافٌ فِي الْاسْتِهْلَاكِ فِي المِيَاهِ مَثَلًا وَلَكِنْ لَا نَعْرِفُ كَيفَ نُصَرِّفُهَا ، إِسْرَافٌ فِي المَوَادِّ الغِذَائِيَّةِ سِيمَا فِي الزِّوَاجَاتِ وَلَكِنْ لَا نُحْسِنُ التَّصَرُّفَ فِي الفَضَلَاتِ ، فَمَاذا يَكُونُ لَو كَانَتْ عِنْدَنَا الصِّنَاعَةُ وَالمَصَانِعُ ؟

اللَّهُمَّ اصْلِحْ لَنَا دِيْنَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا ، وَاصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُـنَا ، وَاصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلِ المَـوتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَـدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] وَقَـالَ عَـزَّ مِـنْ قَائِـلٍ كَـرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[2]. أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

**﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْـدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِـقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ الله لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُواْ الله إِنَّ الله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾**[3] وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِـــلٍ كَـــرِيمٍ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾[4] بارَكَ الله لِي وَلَكُـمْ فِي القُرْانِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَـذَا وَأَسْـتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم .

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣)سورة المائدة آية ( ٧ )

(٤)سورة المدثر آية (١ـ٧)

## الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلَائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَـرَ . اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أما بعدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى ، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَعِزَّاءُ : نَحْنُ قَدْ نُهْمِلُ كَثِيراً فِي الوِقَايَةِ مِنَ الأَمْرَاضِ مَعَ أَنَّ الإِسْـلَامَ وَفَّرَ لَنَا أَسْبَابَهَا بِمَا شَرَعَ مِنَ قَوَاعِد النَّظافَةِ الدَّائِمَةِ ، ثُمَّ بِمَا رَسَمَهُ لَنَا مِـنْ مَـنْهَجٍ لِحَيَاتِنَـا يَلزَمُ عَلَينَا السَّيْرُ عَلَيهِ ، مِنْ ذَلِكَ : أَمْرُنَا بِالْاسْـتِيقَاظِ مُبَكِّـراً ، وَالْابْتِعَـاد عَـنِ الـسَّهَرِ ، وَالِابْتِعَاد عَنْ مَزَالِقِ الشَّهَوَاتِ الجِنسِيَّةِ وَالبَطْنِيَّةِ ، وَأَمَرَنَا بَالِاقْتِصَادِ فِي المَأكَلِ وَالمُـشْرَبِ قَالَ تَعَالَى﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[1]

(١)سورة الأعراف آية (٣١)

وَقَالَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَوْ مَا هُوَ فِي مَعْنَاهُ (( المَعِدَةُ بَيتُ الدَّاءِ وَالحِمْيَةُ رَأسُ كُلِّ دَوَاءٍ ، وَأَصْلُ كُلِّ دَاءٍ البَرْدَاءُ وَهِيَ إِدْخَالُ الطَّعَامِ عَلَى الطَّعَامِ ))[1] .

وَلَا تَنْسَ يَا أَخِي المُسْلِمَ : أَنَّ البُعْدَ عَنِ المَعَاصِي وِقَايَةٌ وَحِفْظٌ مِنَ الأَمْرَاضِ الخَبِيثَةِ ، فَإِذَا وَقَعَ امرؤ فِي مَخَالِبِ المَرَضِ وَجَبَ عَلَيهِ أَنْ يُعَالِجَهُ سَرِيعًا وَبِشَتَّى الطُّرُقِ المُمْكِنَةِ ، وَمِنْ أَهَمِّهَا النَّظَافَةُ وَالاحْتِمَاءُ _أَيْ تَنْظِيمُ الغِذَاءِ_ ، وَالْتِمَاسُ الْأَدْوِيَةِ النَّاجِعَةِ حَسْبَ الْإِمْكَانِ وَالتَّطَبُّبُ ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (( مَا أَنْزَلَ الله مِنْ دَاءٍ إِلَّا وَأَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً ))[2]

وَقَالَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (( إِنَّ الله أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً ، فَتدَاوُوَا وَلَا تداوَوْا بِحَرَامٍ ))[3] ،وَلله دَرُّ مَنْ قَالَ :

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُّ بِهِ * إِلَّا الحَمَاقَةُ أَعْيَتْ مَنْ يُدَاوِيهَ

(١)قال في المقاصد لا يصح رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم بل هو من كلام الحرث بن كلدة طبيب العرب أو غيره نعم روى ابن أبي الدنيا في الصمت عن وهب بن منبه قال اجتمعت الأطباء على أنه رأس الحمية وأجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت، وللخلال عن عائشة (الأزمة دواء) وفي لفظ الأزم ،وهو بفتح الهمزة وسكون الزاي الحمية وتتمته (والمعدة داء وعودوا بدنا ما اعتاد)كشف الخفاء (٢/ ٢٧٩)، وأورد في الاحياء من المرفوع( البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاد )قال العراقي في تخريجه( لم أجد له أصلا)(٣/ ٨٧)،وللطبراني في الأوسط(٤/ ٣٢٩)رقم(٤٣٤٣)،والبيهقي في الشعب(٥/ ٦٦) رقم(٥٧٩٦)عن أبي هريرة مرفوعا (المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم)،وفي اسنادهما يحيى بن عبد الله البابلتي وهو ضعيف)قاله في مجمع الزوائد (٥/ ٨٦).

(٢)رواه النسائي في سننه الكبرى من حديث أبي هريرة مرفوعا (ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء) (٤/ ٣٦٩) رقم(٧٥٥٥)، و الحاكم في مستدركه بلفظ النسائي وزاد (وفي ألبان البقر شفاء من كل داء )قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ) (٤/ ٢١٨) والطبراني في الأوسط (٣/ ٧٥) وزاد في آخره (علمه من علمه وجهله من جهله إلا السام قيل وما السام قال الموت )رقم (٢٥٣٤)،كما رواه فيه أيضا من حديث ابن مسعود مرفوعا (٧/ ١٢١) دون الاستثناء رقم(٧٠٣٦)وغيرهم.

(٣)رواه أبو داؤد في سننه من حديث أبي الدرداء مرفوعا(٤/ ٧)رقم (٣٨٧٤) والبيهقي في سننه الكبرى (١٠/ ٥) وفي اسنادهما اسماعيل بن عياش وفيه مقال .

وَمِنَ الحَمَاقَةِ مَا نَرَاهُ فِي شَوَارِعِنَا العَامَّةِ مِنَ الفَضَلَاتِ وَالْقُمَامَاتِ وَالْقَاذُورَاتِ الْمُنْتِنَةِ ، وَمِيَاهِ البَلَالِيعِ الفَائِضَةِ الَّتِي تَمْلَأُ الجَوَّ تَلَوُّثًا وَوَبَاءً ، تُهَدِّدُنَا بِالأَمْرَاضِ بَلْ قَدْ هَدَّدَتْنَا وَأَصَابَتْنَا بِكَثِيرٍ مِنَ الأَمْرَاضِ الَّتِي اسْتَوطَنَتْ عِنْدَنَا وَاسْتَعْصَى عِلَاجُهَا ، وَالْمُسْتَشْفَيَاتُ لَا تَمْلِكُ مِنَ الأَمْرِ شَيْئًا ، نَوَاقِصُهَا كَثِيرَةٌ فِي الْأَطِبَّاءِ وَالْأَدْوِيَةِ وَالْمُعِدَّاتِ اللَّازِمَةِ ، وَالْبَلَدِيَّةُ لَا يَهُمُّهَا إِلَّا تَحْصِيلُ الضَّرَائِبِ ، وَتَوْزِيعُ الْأَرَاضِي لِمَنْ يَسْتَحِقُّ وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّ ، وَنَحْنُ الْمُوَاطِنِينَ لَا نَعِي جَيِّدًا هَذِهِ المَرْحَلَةَ الَّتِي نَعِيشُهَا وَنَمُرُّ بِهَا ، كَأَنْ لَمْ يَعْنِنَا شَيءٌ بِالمَرَّةِ ، مَعَ إِنَّنَا الخَسْرَانُونَ أَوَّلًا وَأَخِيراً وَنَحْنُ الْمُتَضَرِّرُونَ الْيَومَ وَغَداً وَبَعْدَ غَدٍ ، لَا يَهُمُّنَا إِلَّا المَصَالِحَ الذَّاتِيَّةَ كَأَنْ لَمْ نَعِشْ مَعَ الْآخَرِينَ ، وَلَا تَرْبُطُنَا بِأَحَدٍ صِلَاتٌ ،حَيَاةٌ سِلْبِيَّةٌ وَانْعِزَالِيَّةٌ ، وَالوَاقِعُ لَا يَعْفِينَا مِنْ شَيْءٍ مِنْ مَسْئُولِيَّتِنَا ، كُنَّا بِالْأَمْسِ القَرِيبِ وَالْقَرِيبِ جِدًّا نُسَاقُ سَوقًا قَسْرِيًا لِتَنْظِيفِ شَوَارِعِنَا، وَنَحْنُ الْيَومَ مُطالَبُونَ بِذَلِكَ رَغْبَةً لَا رَهْبَةً، وَطَوَاعِيَّةً لَا إِكْرَاهًا، العَالَمُ الْمُتَحَضِّرُ يُصْلِحُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ وَيُنَظِّمُ حَيَاتَهُ دُونَ اتِّكَالٍ عَلَى أَحَدٍ حَتَّى الدَّولَة .

اللَّهُمَّ تَوَلَّنَا بِولَاكَ وَاحْمِنَا بِحِمَاكَ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يسَارِعُ إِلَى رِضَاكَ ، وَاجْعَلْ وِلَايَتُكَ فِيمَنْ خَافَكَ وَاتَّقَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ الْمُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَلِي ، والمَقَامِ الأَفْضَلِ : سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِي ، وعَنْ رَيْحَانَتَي نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّةِ ، أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ ، وأَبِي عَبْدِالله الحُسَينِ وعَلَى أُمِّهِمَا

الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَـشَرَةِ الـمُبَـشَّرَةِ ، الَّـذِينَ بَايَعُوا نَبِيّكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَـعْدٍ وسَـعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْــمَنِ وأَبِــي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجْلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَـصِيرُنَا و إِلَيـهِ مَـصِيرُنَا ، وعَلَيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلَيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُـودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَـا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْـرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ . اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَـا ، وابْـسُطِ الأَمْــنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُـسْلِمِينَ . اللَّهُـمَّ أَصْـلِحْ ذَاتَ بَينِنَـا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَـافِ مُبْتَــلانَا ، و أَرْخِـصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَـلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْـدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُـسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَــوِّكَ أَجْـمَعِينَ .

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَـانِطِينَ ، اللَّهُـمَّ اسْـقِنَا غَيْثَـاً مُغِيثَـاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَـــــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ ، وَلَـذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# حقوق الجوَار

## الخطبة الأُولَى

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَمَرَنَا بِالبِرِّ وَالصِّلَةِ وَحُسْنِ الجِوَارِ ، وَنَهَانَا عَنِ العُقُوقِ وَالْخِصامِ وَاتِّبَاعِ الهَوَى فِي مُعَامَلَاتِنَا مَعَ الْآخَرِينَ .

وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيك لَهُ ، جَمَعَ عَلَى الخَيْرِ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَجَعَلَ لِلْجارِ حَقًّا عَلَى جَارِهِ وَانْ كَانَ مُخَالِفًا لَهُ فِي الدِّيْنِ ، وأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَعْظَمُ النَّاسِ خُلُقاً ، وَأحْسَنُهُمْ جِوَاراً ، وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَأَسَّوا نَبِيَّهُمْ ، فَكَانُوا نَمَاذِجَ لِلْمَكَارِمِ وَمَثَلًا لِلْوَفَاءِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [1] .

أَمَّا بَعْدُ : فأُوصِيكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى اللهِ تَعَالَى ، فَاجْعَلُوهَا شِعَارَكُمْ فِي مُعَامَلَاتِكُمْ مَعَ أَهْلِيكُمْ وَجِيرَانِكُمْ ، وَهِيَ الحَكَمُ العَدْلُ فِي تَصَرُّفَاتِكُمْ تجاهَ أَصْدِقائِكُمْ وَأَعْدائِكُمْ .

عِبَادَ الله : إِنَّ الْمُسْلِمِينَ فِي نَظَرِ الإِسْلَامِ بُنْيَانٌ وَاحِدٌ ، لَبِناتُهُ أَبْنَاءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَكُلُّ لَبِنَةٍ فِي هَذَا البُنْيَانِ مَا لَمْ تَكُنْ قَوِيَّةً مُتَمَاسِكَةً ، مُرْتَبِطَةً ارْتِباطاً وَثِيقاً بِاللَّبِنَاتِ الْأُخْرَى ، وَإِلَا فَإِنَّهَا سَتُعَرِّضُ البِنَاءَ كُلَّهُ لِلْخَطَرِ ، وَرُبَّمَا لِلْانْهِيَارِ ، وَلَقَدْ عَالَجَ الإِسْلَامُ مِنْ أَوَّلِ يَومٍ مِنْ أَيَّامِهِ أَسْبَابَ الضَّعْفِ وَالتَّفَكُّكِ فِي أَبْنَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الخَيِّرَةِ ، وَدَعَاهَا إِلَى الْأَخْذِ بِوَسَائِلِ القُوَّةِ ، وَجَاءَتْ تَشْرِيعَاتُهُ كُلُّهَا مِنْ عَقَائِدَ ، وَعِبَادَاتٍ ، وَإِخْلَاقِيَاتٍ ، وَمُعَامَلَاتٍ تُؤَكِّدُ هَذَا المَعْنَى فِي الْأُمَّةِ ، وَتَجْمَعُهَا عَلَى كَلِمَةٍ سَوَاءً ، وَكَانَ أَهَمُّ مَا عُنِيَ بِهِ حَقَّ الجِوَارِ وَرِعَايَةَ حُرُمَاتِهِ ، وَالتَّعَاوُنَ

---

(١)سورة لقمان آية ( ٥ )

مَعَهُ ، حِرْصاً مِنْهُ عَلَى سَلَامَةِ هَذَا البُنْيَانِ ، وَحِمَايَةً لَهُ مِنْ كُـلِّ مَـا يُـوهِنُ مِـنْ قُوَّتِـهِ ، وَلِيَمْـضِيَ المُجْتَمَعُ كُلُّهُ إِلَى التَّقَدُّمِ مُتَمَاسِكًا مُتَسانِدًا ، وَالقُرْآنُ الكَرِيمُ يُعْلِنُ أَنَّ أُمَّةَ الإِسْلَامِ أُمَّـةٌ وَاحِـدَةٌ ، وَالْمُؤْمِنُونَ بِهَذَا الدِّيْنِ إِخْوَةٌ دُونَ نَظَرٍ إِلَى لِسَانٍ ، أَوْ لَونٍ أَوْ أَرْضٍ ، بَلْ إِنَّـهُ لَيَنْظُـرُ إِلَى الْإِنْـسَانِيَّةِ عَامَّـةً قَـالَ تَعَـالَى﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ ﴾[1] ، فَمِـنْ حَـقِّ الجَـارِ عَلَى جَارِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي الشَّدائِدِ عَونًا ، وَفِي الرَّخَاءِ أَخًا يَأْسَى وَيَتَأَذَّي لِمَا يُؤْذِيـهِ ، وَيَفْـرَحُ لِمَا يَسُرُّهُ وَيُرْضِيهِ ، يُنَفِّسُ كُرُبَاتَهِ ، وَيَقْضِي حَاجَاتَـهُ ، وَيُـسَانِدُهُ إِذَا اسْـتَعَانَ بِـهِ ، ويَأْخُـذُ بِيَـدِهِ إِذَا أَظْلَمَتْ فِي وَجْهِهِ الحَيَاةُ ، وَيُرْشِدُهُ إِذَا ضَلَّ الطَّرِيقَ ، وَيُهَنِّئُهُ إِذَا أَصَابَهُ خَيرٌ وَيُعَزِّيـهِ إِذَا أَصَـابَتْهُ مُصِيبَةٌ ، عَنْ مُعاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله مَا حَقُّ الجَـارِ عَـلَيَّ قَـالَ: « إِنْ مَرِضَ عُدْتَهُ ، وَانْ مَاتَ شَيَّعْتَهُ ، وَإِذَا اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ ، وَإِذَا افْتَقَـرَ عُـدْتَ عَلَيـهِ ، وَإِذَا أَصَابَهُ خَيرٌ هَنَّأْتَهُ ، وَإِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَّيْتَهُ ، وَلَا تَسْتَطِلْ عَلَيهِ بِالْبُنْيَانِ ، فَتَحْجِبَ عَنـهُ الـرِّيحَ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَلَا تُؤْذِهِ بِقَتَارِ رِيحِ قَدْرِكَ إِلَّا أَنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنْهَا ، وَانِ اشْتَرَيْت فَاكِهَةً فَاهْدِ لَـهُ ، فَـانْ لَمْ تَفْعَلْ فَادْخِلْهَا سِرًا ، وَلَا يَخْرُجْ بِهَا وَلَدُكَ لِيُغِيظَ بِهَا وَلَدَهُ » رواهُ الطَّبَرانِي[2] .

وَقَدْ بَالَغَ الإِسْلَامُ فِي تَحْذِيرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يَرْعَوْنَ حَقَّ الجَارِ حِينَ أَعْلَـنَ أَنَّ المُـسْلِمَ الَّذِي لَا يَهْتَمُّ بِشَأْنِ جَارِهِ وَلَا يَأْلَمُ لِأَلَمِهِ ، وَلَا يُحِسُّ بِإِحْسَاسِهِ ، قَدْ جَافَى خُلُقَ أَهْلِ الإِيمَانِ

---

(١) سورة النساء آية ( ١ )

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير بسنده من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله ما حق جاري علي قال( إن مرض عدته وإن مات شيعته وإن استقرضك اقرضته وإن أعوز سترته وإن أصابه خير هنأته وإن أصابته مصيبة عزيته ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح ولا تؤذه بريح قدرك إلا أن تغرف له منها )(١٩ / ١٠١٤)، وفي سنده أبو بكر الهذلي وهو ضعيف ، قاله في مجمع الزوائد (٨/ ١٦٥) وفي فتح الباري (أسانيده واهية لكن اختلاف مخارجها يشعر بأن للحديث أصلا ) (١٠/ ٤٤٦)

، قَالَ أَكْرَمُ الخَلْقِ ﷺ : « مَا آمَنَ مَنْ بَاتَ شَبْعانَ وَجَارهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ » رَوَاهُ الطَّبَرانِي فِي الأَوْسطِ(١) ، جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فقَالَ يَا رَسُولَ الله اكْسِنِي ، فَقَـالَ : « أَمَا لَكَ جَارٌ لَهُ فَضْلُ ثَوبَيْنِ ؟ قَالَ : بَلَى غَيرُ وَاحِدٍ قَالَ : فَلَا يَجْمَعُ الله بَيْنَـكَ وَبَيْنَـهُ فِي الجَنَّةِ » رَوَاهُ الطَّبَرانِي(٢) وَالبَزَّار . **وَالإحْسَانُ إِلَى الجَارِ** بُرْهَانٌ قَوِيٌّ عَلَى الْإِيمَانِ بـالله عَـزَّ وَجَلَّ ، وَدَلِيلٌ عَمَلِيٌّ عَلَى صِدْقِهِ ، وَالْجَارُ الْمُؤْمِنُ يُحِبُّ لِجَارِهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، وَيَكْرَهُ لَهُ مَا لَا يُحِبُّهُ لِشَخْصِهِ ، قَالَ ﷺ : « إِتَّقِ المَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّـاسِ ، وَارْضَ بِـمَا قَـسَمَ الله لَـكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا ، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَانَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ القَلْبَ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ(٣) .

وَإِذَا كَانَ المَفْرُوضُ فِي الجَارِ أَنْ يَكُونَ بارًّا بِجِيرَانِهِ ، فَمَا أَشَدَّ مَا تَوَعَّدَ بِهِ النَّبِيُ ﷺ أُولَئِـكَ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَى جِيرَانِهِمْ حِينَ قَالَ : « وَالله لَا يُؤْمِنُ ، وَالله لَا يُؤْمِنُ ، وَالله لَا يُـؤْمِنُ قَـالُوا مَنْ يَا رَسُولَ الله ، خَابَ وَخَسِرَ ؟ قَالَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ » رَوَاهُ البُخارِي (٤) .

---

(١)رواه الطبراني بسنده من حديث أنس بن مالك مرفوعا (١/ ٢٥٩) رقم (٧٥١) والبزار واسناد البزار حسن ،قاله في مجمع الزوائد (٨/ ١٦٧)

(٢)في الأوسط بسنده من حديث أنس بن مالك (قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله اكسني فأعرض عنه فقال يا رسول الله اكسني فقال أما لك جار له فضل ثوبين قال واحد قال فلا يجمع الله بينك وبينه في الجنة )(٧/ ١٧٠)رقم (٧٨٥) .

(٣)في سننه( ٤/ ٥٥١) (٢ باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس) رقم (٢٣٠٥) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن فقال أبو هريرة فقلت أنا يا رسول الله فأخذ بيدي فعد خمسا وقال اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب) وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان والحسن لم يسمع عن أبي هريرة شيئا هكذا روي عن أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد قالوا لم يسمع الحسن من أبي هريرة وروى أبو عبيدة الناجي عن الحسن هذا الحديث قوله ،ولم يذكر فيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤)في صحيحه (٥/ ٢٢٤٠) (٢٩ باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه يوبقهن يهلكهن موبقا مهلكا ) رقم (٥٦٧٠).

نَعَمْ فَالْمُؤْمِنُونَ فِي أَخْلَاقِهِمْ كُرَمَاءُ ، وَفِي مُعَامَلَاتِهِمْ سُمَحَاءُ ، ثُمَّ يَقُـولُ صَـلَوَاتُ الله عَلَيهِ وَسَلَامُهُ : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ» وَفِي رِوَايَةٍ« فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1] ، وَخَيرُ الجِيرَانِ عِنْدَ الله خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ ، فَعَنْ عَبْدِ الله بْـنِ عُمَـرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «خَيرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ الله خَيرُهُمْ لِصَاحِبِهِ ، وَخَيرُ الجِيرَانِ عِنْدَ الله خَيرُهُمْ لِجَارِهِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِي[2] .

وَالْمُسْلِمُ الَّذِي يَنْتَسِبُ إِلَى الإِسْلَامِ وَيُؤَدِّي وَاجِبَاتِهِ مَا لَمْ تُثْمِرْ فِي سُـلُوكِهِ الخُلُـقَ الكَـرِيمَ وَالْمُعَامَلَةَ الطَّيِّبَةَ لِلْمُسْلِمِينَ فَلَا خَيرَ فِيهِ وَلَا أَثَرَ لِعِبَادَتِهِ ، وَإِذَا كَانَـتْ المَسَاجِدُ مَحَـلَّ التَّـآلُفِ وَالتَّرَابُطِ بَينَ الجِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ أَصْبَحَ المَسْجِدُ الْيَـومَ عَـامِلًا لِلْخِلَافَـاتِ وَالـصِّرَاعَاتِ اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا مُنْكَرٌ فَأَزِلْهُ ، وَلَقَدْ كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّـةِ مَـثَلًا عَالِيـاً فِي حُـسْنِ الجِوَارِ وَلَو كَانَ لِمُخَالِفِيهِمْ فِي الدِّيْنِ مَا كَانُوا مَعَنَا عَلَى العَهْدِ ، مُتَأَدِّبِينَ فِي ذَلِكَ بِـأَدَبِ القُـرْآنِ حِـــينَ يَقُـــولُ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ ﴾[3].

وَفِي كَنَفِ هَذَا التَّوجِيـهِ القُـرْآنِيِّ عَـاشَ أَهْـلُ الكِتَـابِ مِـنْ مَـسِيحِيِّينَ وَيَهُـودَ فِي جِـوَارِ الْمُسْلِمِينَ يَنْعَمُونَ بِالأَمْنِ وَالطُّمَأْنِينَةِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وأَعْرَاضِـهِمْ وَأَمْـوَالِهِمْ وَعَـلَى مُعْتَقَـدَاتِهِمْ

(١)في صحيحه (١/ ٦٨) (باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان )رقم(٤٧) ، والرواية الثانية في مسلم (١/ ٦٩) رقم (٤٨).

(٢) في سننه وقال حسن غريب (٤/ ٣٣٣)(٢٨ باب ما جاء في حق الجوار) رقم (١٩٤٤)،كما رواه ابن خزيمة في صحيحه (٤/ ١٤٠)، (٣٠ باب حسن الصحابة في السفر إذ خير الأصحاب خيرهم لصاحبه )رقم(٢٥٣٩)وابن حبان في صحيحه (٢/ ٢٧٦)،( ذكر البيان بأن خير الجيران ثم الله من كان خيرا لجاره في الدنيا ) رقم(٥١٨)،وفي( ٢/ ٢٧٧) (ذكر الإخبار عن خير الأصحاب وخير الجيران رقم(٥١٩) وغيرهم.

(٣) سورة الممتحنة آية ( ٨).

،بَلْ وَجَدُوا مِنْ رَحَابَةِ الخُلُقِ،وَسَمَاحَةِ النَّفْسِ ، وَكَرَمِ الْمُعَامَلَـةِ مِـنْ جِـيْرَانِهِمْ الْمُسْلِمِينَ مَـا جَعَلَهُمْ يسَارِعُونَ إِلَى اعْتِنَاقِ الإِسْلَامِ عَنْ حُبٍّ وَيَقِينٍ ، عَـنْ مُجَاهِـدٍ أَنَّ عَبـدَ الله بْـنَ عُمَـرَ رَضِيَ الله عَنهُمَا ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ فِي أَهْلِهِ ، فَلَمَا جَاءَ قَالَ أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا اليَهُودِيِّ ، أَهْدَيتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّـهُ سَيُوَرِّثُهُ » رَوَاهُ أَبُو داودَ وَالتِّرْمِذِيُّ[1] ، وَلَيْسَ الجَارُ فَقَطْ بِالْقَرِيبِ الَّذِي يُلَاصِقُكَ فِي الْمَنْزِلِ ، أَوْ يَكُونُ إِلَى جَانِبِكَ فِي العَمَلِ أَوْ فِي السَّفَرِ فَقَطْ ، فَقَدْ أَتَى رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ « فَقَالَ يَا رَسُولَ الله : إِنِّي نَزَلْتُ فِي مَحَلَّةِ بَنِي فُلَانٍ ، وَإِنَّ أَشَدَّهُمْ إِلَيَّ أَذىً أَقْرَبُهُمْ لِي جِوَاراً ، فَبَعَثَ رَسُو لُ الله ﷺ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَلِيًّا _ رِضْوَانُ الله عليهم _ يَأْتُونَ الْمَسْجِدَ فَيَقُومُونَ عَلَى بَابِهِ فَيَصِيحُونَ ، أَلَا إِنَّ أَرْبَعِينَ دَاراً جَارٌ ، وَلَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ خَافَ جَارُهُ بَوَائِقَهِ » رَوَاهُ الطَّبَرَانِي[2] .

وَكَمْ مِنْ جِيرَانٍ بَيْنَنَا يَعِيشُونَ فِي جَحِيمٍ مِمَّا حَلَّ بِهِـمْ مِـنَ البَغْـضاءِ وَالنِّزَعَـاتِ ؛ لِأَنَّ هَذَا الجِوَارَ لَمْ يَقُمْ عَلَى أُسُسٍ دِينِيَّةٍ بَلْ يَقُومُ عَلَى المَصَالِحِ الْمُتَبَادِلَةِ ، فَإِذَا اخْتَلَّ هَذَا التَّوَازُنُ الهَشُّ فَمَا قِيمَةُ الحَيَاةِ إِنَّهَا القَطِيعَةُ .

إِنَّ الجِوَارَ الصَّالِحَ لَهُ مَكَانَتُهُ عِنْدَ العُقَلَاءِ ، لَا يَعْدِلُونَ بِهِ شَيْئاً ، فَفِيهِ أُنْسُ وَحْشَتِهِمْ ، وَرَاحَةُ بَالِهِمْ ، وَاسْتِقْرَارُ حَيَاتِهِمْ ، وَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الجِوَارِ الشَّخْصِيِّ والْأَفْرَادِ ، وَالأُسَرِ وَالأَحْيَاءِ ، فَأَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ جِوَارُ الشُّعُوبِ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ ، وَالْأُمَمِ وَالدُّوَلِ ، الَّتِي تَرْبِطُنَا

---

(١) رواه أبوداود في سننه(٤/ ٣٣٨)(١٣٢ باب في حق الجوار) رقم (٥٥١،٥٥٢) والترمذي مع ذكر أوله وقال حسن غريب ،وورواه مختصرا دون أوله وقال حسن صحيح (٤/ ١٣٣، ٣٣٢)،(٢٨ باب ما جاء في حق الجوار) رقم(١٩٤٣،١٩٤٢)، وأصل الحديث في الصحيحين فقد أخرجه البخاري في صحيحه(٥/ ٢٢٣٩)،(باب الوصاة بالجار وقول الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا الآية ) رقم (٥٦٦٨، ٥٦٦٩ )،ومسلم (٤/ ٢٦٢٤، ٢٦٢٥)،( ٤٢ باب الوصية بالجار والإحسان إليه)

(٢)في المعجم الكبير (١٩/ ٧٣) رقم (١٤٣)،وفيه يوسف بن السفر وهو متروك قاله في مجمع الزوائد( ٨/ ١٦٩).

بِهِمْ أَوَاصِرُ الدِّيْنِ ، وَالدَّمِ وَاللُّغَـةِ وَالْمَـصَالِحِ الْمُـشْتَرَكَةِ ، يَجِـبُ أَنْ تُحَـلَّ مُـشْكِلَاتُنَا مَـعَ جِيرَانِنَا بَالطُّرُقِ السِّلْمِيَّةِ ، وَبَالتَّفَاهُمِ الْأُخَوِيِّ وَالْجُلُـوسِ جَنْبَـاً إِلَى جَنْـبٍ مَـعَ أَشِـقَّائِنَا بَإِخْلَاصٍ وَمَحَبَّةٍ وَحُسْنِ نِيَّةٍ ، وَلَقَدْ أَثْلَجَ صُدُورنَا فَرَحَاً ، وَقَرَّتْ بِـهِ أَعْيُنَنَـا مَـا تَـمَّ مِـنِ اتِّفَاقٍ مَعَ جَارِتِنَا الشَّرْقِيَّةِ عُمَانَ الشَّقِيقَةِ ، وَسَـتكْمُلُ الفَرْحَـةُ حَقًّـا إِذَا تَـمَّ الْاتِّفَـاقُ مَـعَ الْآخَرِينَ بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ وَالْأُسْلُوبِ ، وَلَنْ يَقِرَّ لَنَا قَـرَارٌ ، كَـمَا هُـوَ الحَـالُ لِغَيرِنَـا إِلَّا إِذَا حُلَّتِ الخِلَافَاتُ ، وَأُنْهَتِ المُشْكِلَاتُ وَأَمِنَ بَعْـضُنَا شَرَّ الـبَعْضِ الْآخَـرِ ، وَسَـادَ العَقْـلُ وَالْحِكْمَةُ، وَالوَاقِعُ أَنَّنَا مَعَ جِيرَانِنَا _ وَكُلُّهُمْ وَالْحَمْدُ لله عَـرَبٌ مُـسْلِمُونَ_ نُكَـوِّنُ أُسْرَةً وَاحِدَةً ، كَالْبُنْيَانِ المَرْصُوصِ ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْـضًا ، يَجِـبُ أَنْ يَتَحَمَّـلَ غَنِـيُّهُمْ فَقِـيرَهُمْ ، وَيُعِـينَ قَـوِيُّهُمْ ضَـعِيفَهُمْ ، وَلَا شَـحْنَاءَ وَلَا بَغْـضَاءَ ، وَلَا ضَـغَائِنَ وَلَا أَحْقَـادَ ، رَبطَنَـا الإِسْلَامُ بِرَابِطَةٍ مَتِينَةٍ ، إِنَّنَا الوَاقِعُ المُتَجَسِّدُ لِلْحَدِيثِ الشَّرِيفِ الَّذِي يَرْوِيـهِ الـنُّعْمَانُ بْـنُ بَشِيرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ يَقُولُ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَـوَادِّهِمْ وَتَـرَاحُمِهِمْ كَمَثَـلِ الجَسَدِ الوَاحِدِ ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بَالـسَّهَرِ وَالحُمَّـى »[1] وَإِلَّا عَلَامَ تُقَامُ النِّزَاعَاتُ الحُدُودِيَّةُ ، وَالْحُرُوبُ الدَّمَوِيَّةُ بَينَ الجِيرَانِ ؟! أَمِنْ أَجْلِ شِبْرِ أَرْضٍ ، أَوْ حِفْنَةِ تُرَابٍ تُدَمَّرُ المُدُنُ بِمَنْ فِيهَا وَمَا فِيهَا ، أَوْ مِنْ أَجْلِ قَطْرَةِ نَفْـطٍ تُـرَاقُ الـدِّمَاءُ البَشَرِيَّةُ غَزِيرَةً رَخِيصَةً ، أَوْ مِنَ الحِكْمَةِ أَنْ يَعِيشَ النَّاسُ عَلَى أَعْصَابِهِمْ فِي خَـوفٍ وَفَـزَعٍ مِنَ الحُرُوبِ وَالْمَجَاعَاتِ .

---

(١) أخرجه البخاري في (٥/ ٢٢٣٨) ، (٢٧ باب رحمة الناس والبهائم ) رقم(٥٦٦٥) بلفظ (ترى المؤمنين في تـراحمهم وتـوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى )، ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٩)( ١٧ بـاب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم )،رقم(٢٥٨٦).

اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَقْتَكَ وَغَضَبَكَ عَنَّا ، يَا مَنْ إِلَيهِ تُرْفَعُ الْأَكُفُّ ، وَتُمَدُّ الْأَيْدِي ضَارِعَةً فَلَا تَرُدُّهَا خَائِبَةً ، وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ ، اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا رُشْدَنَا وَخُذْ بِنَوَاصِينَا إِلَى مَا فِيهِ خَيرُنَا وَصَلَاحُنَا يَا رَبَّ العَالَمِينَ .وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [1] وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [2].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [3]

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وإِيَّاكُمْ بِالْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم .

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) سورة النِّساَء آية (٣٦)

# الخطبة الثانية

الحَمـدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِـمِـينَ ، نَحْمَـدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَـيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْـدِ الله فَـلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَـا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الـصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُـورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ . وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَـشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَـرَ . اللَّهُمَّ صَلِّ و سَـلِّمْ وَبَـارِكْ عَـلَى سَـيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أما بعدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى ، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ (( مَـنْ آذَى جَـارَهُ فَقَـدْ آذانِي ، وَمَـنْ آذانِي فَقَدْ آذَى الله ، وَمَنْ حَارَبَ جَارَهُ فَقَدَ حَارَبَنِي ، وَمَـنْ حَـارَبَنِي فَقَـدْ حَـارَبَ الله )) رَوَاهُ ابْنُ حِبَانَ [1] . وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَـالَ قَـالَ رَسُـولُ الله ﷺ :(( إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لَيَدْفَعُ بَالمُسْلِمِ الصَالِحِ عَنْ مَائَةِ أَهْلِ بَيتٍ مِنْ جِيرَانِهِ البَلَاءَ ثُمَّ قَـرَأَ ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ [2] .

---

(١) أبو الشيخ ابن حبان في كتاب التوبيخ قاله المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٤١).

(٢)رواه الطبراني في الأوسط بسنده من حديث ابن عمر ( ٤/ ٢٣٩) رقم(٤٠٨٠)،دون قوله ثم قرأ...إلخ ) وفيه يحيى بـن سـعيد ابن العطار الحمصي ،وورواه ابن جرير الطبري في تفسيره من حديث ابن عمر (٢/ ٦٣٣)، قال ابن كثير في تفسيره بعـد ذكـر روايـة

إنَّ الإسْلَامَ وَهُوَ يَدْعُو إِلَى ذَلِكَ إِنَّمَا يَرْبِطُ بَينَ أَبْنَاءِ هَـذِهِ الْأُمَّـةِ حِسًّا وَمَعْنًـى ، وَإِنَّ سَعَادَتَهُمْ رَهْنُ تَعَالِيمِهِ السَّمْحَةِ ، وَإِنَّ سَكِينَتَهُمْ وَأَمْنَهُمْ فِي الِاعْتِـصَامِ بِهِـمَا فَالْكُـلُّ مِنَّـا بِجَنْبِهِ جَارٌ بَلْ جِيرَانٌ لَهُمْ حُقُوقٌ وَعَلَيهِمْ وَاجِبَاتٌ وَإِلَّا فَمَا بَالُ بَعْـضِنَا لَا يَحْـتَرِمُ عَلَاقَـةَ الجِوَارِ فَيَخْلُقُ الفِتَنَ وَيُثِيرُ المَتَاعِبَ ، فَهَذَا جَارٌ أَخَذَ مِنَ الشَارِعِ العَـامِّ حَظِـيرَةً « زَرِيبَـةً » لأَغْنَامِهِ أَوْ سَيَّارَتِهِ وَآخَرُ أَقَامَ لَهُ كُشْكٌ ( صَنْدَقَةً ) بِجَانِبِ مَنْزِلِهِ ، وَذاكَ جَعَلَ الشَارِعَ مُسْتَودَعًا لَهُ ، لِأَخْشَابِهِ ، وَآخَرُ أَهْمَلَ بَقَايَا البِنَاءِ مِنْ أَحْجَارٍ وَتُـرَابٍ مُكَوَّمَـا فِي الـشَارِعِ العَامِّ ، وَآخَرُ تَرَكَ مِيَاهَهُ القَذِرَةَ تُمْرِضُ الْأَصِحَّاءَ بَنَتْنِهَا مَعَ العِلْمِ بَأَنَّ هَذِه الشَّوَارِعِ الَّتِـي وَسَّعَ الله لَنَا فِيهَا لَيْسَتْ مِلْكًا لأَحَدٍ بَتَاتًا لَا لَكَ وَلَا لِجِيرَانِـكَ بَـلْ لِلْمُـسْلِمِينَ أَجْمَعِـينَ ، وَالْمَارِّينَ كُلِّهِمْ يَنْتَفِعُونَ بِهَا ، أَنْعَمَ الله بِهَا عَلَينَـا نَحْـنُ الْمُتَـأَخِّرِينَ فِي البُنْيَـانِ بَالْمَـسَاحَاتِ الفَسِيحَةِ ، وَالشَّوَارِعِ الوَاسِعَةِ ، وَالْأَفْيَاءِ الرَّحْبَةِ ، وَلَكِنَّنَا كَفَرْنَـا هَـذِهِ النِّعْمَـةَ فَـصَارَتْ أَحْيَانًا نِقْمَةً وَفِتْنَةً وَمُشْكِلَةً .

اللَّهُمَّ اكْفِنَا شَرَّ الفِتَنِ وَالْمِحَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و انْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُـمْ تَكْـرِيماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَـحْبِهِ ومَـنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ : سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِــي بَكْـرٍ

---

ابن جرير بسنده(وهذا إسناد ضعيف فان يحيى بن سعيد هو ابن العطار الحمصي وهو ضعيف جدا)(١/ ٣٠٤)، ويحيى بـن سـعيد العطار قال فيه يحيى بن معين ليس بشيء وذكره العقيلي في الضعفاء وقال فيه لا يتـابع عـلى حديثـه ولـيس بمـشهور بالنقـل، ينظر ترجمته في ضعفاء العقيلي(٤/ ٤٠٣) رقم الترجمة (٢٠٢٦).

وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِي ، وعَنْ رَيْحَانَتَي نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّةِ ، أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ ، وأَبِي عَبْدِالله الحُسَينِ وعَلَى أُمِّهِمَا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ المُخْتَارِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِي عَمَارَةَ الحَمْزَة ، وأَبِي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِيَّةِ العَشَرَةِ المُبَشَّرَةِ ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيّكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَةَ والزُّبَيرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْمَنِ وأَبِي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّةِ ، و يَا مُجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّسْ هَمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَا بِالعَفْوِ والغُفْرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الجِنَانِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ ، والمُسْلِمِينَ والمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَافِر الذُّنُوبِ و الخَطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِلاد المُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَانَا ، وعَافِ مُبْتَلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ،

ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَـا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْـدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ .

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثـاً هَنِيئاً مَرِيئـاً ، سَحّاً عَامّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَـــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَزِدْكُمْ ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# زيارة القبور وآدابها

## الخطبة الأولى

الحَمْدُ لله عَزِيزُ الجانِبِ ، المَلِكِ القُدُّوسِ القَوِيِّ الغالِبِ ، رَبِّ المَشارِقِ وَالمَغارِبِ ، الباعِثِ الوَارِثِ المانِحِ السَّالِبِ ، أَمَرَنا بِزِيارَةِ القُبُورِ ، وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ الرَّغائِبِ ، وَنَدبَنَا إِلَى مُتابَعَةِ رَسُولِهِ ﷺ فِي كُلِّ مَنْدُوبٍ وَواجِبٍ ، فَقالَ تَعالَى عَلَى لِسانِ نَبِيِّهِ وَحَبِيبِهِ ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[1] نَحْمَدُهُ تَعالَى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾[2] ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ العاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ، ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[3] .وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[4] .وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَمَرَنا بِالخَيرِ كُلِّهِ ، وَنَهانَا عَنِ الشَّرِّ كُلِّهِ ، وَرَغَّبَنا فِي كُلِّ مَطْلُوبٍ ، وَزَجَرَنا عَنْ كُلِّ مَحْذُورٍ ، وَخاطَبَهُ رَبُّهُ بِقَولِهِ تَعالَى ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[5]

---

(١) آل عمران (٣١-٣٢) .

(٢) الملك (٢) .

(٣) آل عمران(١٨٥) .

(٤) غافر(١٩)

(٥) يوسف (١٠٨)

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ المَبْعُوثِ بِالآياتِ الظَّاهِرَةِ ، وَالْمُؤَيَّـدِ بـالْمُعْجِزاتِ الباهِرَةِ ، وَالْقائِلِ صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ : «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُـورِ فَزُورُوهَـا فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ» [1] فالأَمْرُ هُنا لِلْوُجُـوبِ وَقِيـلَ لِلنَّـدْبِ ، صَـلَّى الله عَلَيهِ وسلم وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحابِهِ النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ ، وَالْبِحارِ الزَّاخِرَةِ ، وَعَلَى التَّـابِعِينَ لَهُـمْ بِإِحْسانٍ فِي الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ ، وَالتَّمَسُّكِ بِالـشَّرِيعَةِ الطَّاهِرَةِ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [2]

أَمَّا بَعْدُ : فأُوصِيكُمْ أَيُّها الْمُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى .

عِبادَ الله : زِيارَةُ القُبُورِ سُنَّةٌ مُسْتَحَبَّةٌ ، وَلاسِيَّما قُبُورُ الأَنْبِياءِ وَالأَوْلِيـاءِ وَالـصَّالِحِينَ ، فَإِنَّها تُذَكِّرُ المَوتَ ، وَتُزْهِدُ فِي الدُّنْيا ، وَتُرَغِّبُ فِي الآخِرَةِ ، وَلِذَلِكَ أَمَرَ بِها سَيِّدُ الْمُرْسَـلِينَ ، فَقَدْ كانَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ يَزُورُ أَهْلَ البَقِيعِ مِـنَ الـصَّحابَةِ رِضْـوانُ الله عَلَـيهِمْ ، وَيَقُولُ إذا دخل المَقَابِرَ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَـوْمٍ مُـؤْمِنِينَ أَنْـتُمْ لَنَـا فَـرَطٌ وَإِنَّـا بِكُـمْ لَاحِقُونَ اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ » [3]،وكَانَ رَسُـولُ الله صَـلَّى الله عَلَيْـهِ

---

(١)أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٠١ ، رقم ١٥٧١) ، وقال البوصيرى (٢/ ٤٢) : هذا إسناد حسن .

(٢)البقرة١٣٠-

(٣)أخرجه مسلم في صحيحه( ج: ١ ص: ٢١٨ ) وأبو داود سننه (ج: ٣ ص: ٢١٩ ،٨٣ باب ما يقول إذا زار القبـور أو مـر بهـا ) وابن حبان في صحيحه (ج: ٧ ص: ٤٤٣ ذكر الأمر بالسلام على من سكن الثرى للداخل المقابر ضـد قـول مـن أمـر بـضده رقـم ٣١٧١ ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكـم لاحقون . وزاد ابن ماجه في سننه (ج: ١ ص: ٤٩٣ رقم١٥٤٦ )عن عائشة قالت فقدته تعني النبي صلى الله عليه وسـلم فـإذا هـو بالبقيع فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم لنا فرط وإنا بكم لاحقون اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم. و أحمـد مـسنده (ج: ٦ ص: ٧١ رقم ٢٤٤٦٩ )عن عائشة قالت فقدته من الليل فإذا هو بالبقيع فقال سلام عليكم دار قوم مؤمنين وأنتم لنـا فـرط

وَسَلَّمَ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ كَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ الله بِكُمْ لَاحِقُونَ نَسْأَلُ الله لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ» [1]، وَهَكَذَا يَنْبَغِي زِيارَةُ القُبُورِ.

يا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ : لَيْسَ لِزِيارَةِ المَقابِرِ وَقْتٌ خاصٌّ إِلاَّ ما وَرَدَ فِي يَـومِ الجُمْعَـةِ وَلَيلَـةِ السَّبْتِ لِما يَقَعُ مِنْ حُضُورِ أَرْواحِ المَيِّتِينَ فِي تِلْكَ الأَوْقاتِ ، وَيَحْرُمُ وَطْءُ القُبُـورِ تَعَمُّـداً ، وَالجُلُوسُ عَلَيها ، وَالصَّلاةُ إِلَيها كَما قَرَّرَهُ عُلَماءُ الدِّينِ وَأَئِمَّة الْمُسْلِمِينَ ، وَوَرَدَ عَنْهُ عَلَيـهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ قَولُهُ : « لا تَجْلِسُوا عَلَى القُبُورِ وَلا تُصَلُّوا إِلَيها » [2].

يا عَبْدَ الله: إِذا زُرْتَ قُبُورَ الصَّالِحِينَ ، فَتَذَكَّرْ ما كانُوا عَلَيهِ مِنْ صالِحِ الأَعْمالِ ، وَأَنَّهُمْ كانُوا قَلِيلاً مِنَ الليلِ ما يَهْجَعُونَ ، وَبِالأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ، وَأَنَّهُـمْ الْمُؤْمِنُـونَ الَّـذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِـعُونَ ، وَلِلزَّكـاةِ فـاعِلُونَ، وَعَـنِ اللَّغْـوِ مُعْرِضُـونَ ، وَبِـشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ ، وَلأَماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعُونَ ، وَلِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ ، وَطالِـبْ نَفْسَكَ بِالـسَّيْرِ

---

وأنا بكم لاحقون اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم.والترمذي في سننه( ج: ٣ ص: ٣٦٩ باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر ١٠٥٣ ) عن ابن عباس قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالأثرو قال حديث ا بن عباس حديث حسن غريب

وأخرج النسائي في المجتبى من السنن ( ٩١ / ٤ ،٢٥٨٧٤) عن عائشة رضي الله عنها وفيه قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (ج: ٧ ص: ١٨٨ رقم٣٥٢٠٨ ) عن الحسن قال من دخل المقابر فقال اللهم رب الأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما استغفر له كل مؤمن مات منذ خلق الله آدم .انتهى هذا التخريج نقلاً من تعليقاتي على المسلك السوي .

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب ما جاء في الجنائز ، باب ما جاء فيما يقال إذا دخل المقابر .

(٢)أخرجه أحمد (٤/ ١٣٥ ، رقم ١٧٢٥٥) ، ومسلم (٢/ ٦٦٨ ، رقم ٩٧٢) ، وأبو داود (٣/ ٢١٧ ، رقم ٣٢٢٩) ، والترمذى (٣/ ٣٦٧ ، رقم ١٠٥٠) . وأخرجه أيضًا : ابن خزيمة (٢/ ٧ ، رقم ٧٩٣) ، وعبد بن حميد (ص ١٧٢ ، رقم ٤٧٣) ، وأبو عوانة (١/ ٣٣٢ ، رقم ١١٧٩) ، وأبو يعلى (٣/ ٨٣ ، رقم ١٥١٤) ، وابن حبان (٦/ ٩٣ ، رقم ٢٣٢٤) ، والحاكم (٣/ ٢٤٣ ، رقم ٤٩٦٩) .

عَلَى مِنْوالِهِمْ فِيما يَقُولُونَ وَما يَفْعَلُونَ ، وَما يَأْتُونَ وَما يَذَرُونَ ، لَعَلَّكَ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ يَقُولُ تَعالَى فِي وَصْفِهِمْ ، وَهُوَ العالِمُ بِما كانَ وَما يَكُونُ : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[1] ،

﴿ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ﴾[2] .

وَيُسْتَحَبُّ لِلزَّائِرِ الإِكْثارُ مِنْ قِراءَةِ القُرْآنِ وَالذِّكْرِ وَالدُّعاءِ لأَهْلِ تِلْكَ المَقْبَرَةِ، وَسائِرِ مَوتَى المُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ ، وَأَنْ يُكثِرَ الوُقُوفَ عِنْدَ قُبُورِ أَهْلِ الخَيْرِ وَالفَضْلِ وَيَقُولُ عِنْدَ زِيارَتِهِ ، ما رَوَتْهُ السَّيِّدَةُ عائِشَةُ رَضِيَ الله عَنْها قالَتْ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ إذا أَتَى البَقِيعَ قالَ : « السَّلامُ عَلَيْكُمْ دارَ قَومٍ مُؤْمِنِينَ ، أَنْتُمْ لَنا فَرَطٌ وَإِنَّا بِكُمْ لاحِقُونَ ، اللَّهُمَّ لا تَحْرِمْنا أَجْرَهُمْ ، وَلا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ »[3]، وَما رَوَتْهُ أَيْضاً وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ قالَتْ : كانَ رَسُولُ الله ﷺ كُلَّما كانَ لَيْلَتُها مِنْ رَسُولِ الله ﷺ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ الليلِ إِلَى البَقيعِ فَيَقُولُ : « السَّلامُ عَلَيْكُمْ دارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَأَتاكُمْ ما تُوعَدُونَ غَدًا مُؤَجَّلُونَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ الله بِكُمْ لَاحِقُونَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ »[4].

وَإِيَّاكَ أَيُّها الزَّائِرُ الكَرِيمُ : أَنْ تُقَبِّلَ قَبْراً ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَقِفَ بَينَ يَدَيهِ مُتَأَدِّباً ، كَما جاءَ فِي آدابِ زِيارَةِ أَفْضَلِ خَلْقِ الله ﷺ ، تَزُورُهُ مَيْتاً كَما تَزُورُهُ حَيًّا ، وَلا تَقْرُبْ مِنْ قَبْرِهِ إِلاَّ

---

(١) يونس (٦٢-٦٤)

(٢) الأنبياء (١٠٥)

(٣) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٩٣ ، رقم ١٥٤٦) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (١/ ٢١٣ ، رقم ١٩١) . وأخرجه أيضًا : ابن سعد (٢/ ٢٠٣) ، وأحمد (٦/ ١١١ ، رقم ٢٤٨٤٥) ، وأبو يعلى (٨/ ٦٩ ، رقم ٤٥٩٣) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها .

كَما كُنْتَ تَقْرُبُ مِنْ شَخْصِه الكَرِيمِ لَو كانَ حَيَّاً ، فَمِنْ بـابِ أَولَى تَفْعَـلُ عِنْـدَ زِيـارَةِ قُبُورِ غَيْرِهِ مِنَ الأَنْبياءِ وَالأَوْلِياءِ وَالصَّالِحِينَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الأَدَبُ الإِسْـلامِيُّ الحَقِيقِـيُّ فِي حُبِّ الأَوْلِياءِ ، وَالصَّالِحِينَ ، وَآدابُ زِيارَتِهِمْ فِي ضَرائِحِهِمْ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ انْتِقـاصٌ فِي حَقِّهِمْ ، بَلْ تَكْرِيمٌ لَهُمْ ؛ لأَنَّ اللهَ كَرَّمَهُمْ ، وَحارَبَ مَـنْ عـادَهُمْ ، وَقَـدْ وَرَدَ فِي الحَـدِيثِ القُدْسِيِّ قالَ اللهُ تَعَالَى :« مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُـهُ بِـالْحَرْبِ ، وَمَـا تَقَـرَّبَ إِلَيَّ عَبْـدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَـإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْـصِرُ بِـهِ ، وَيَـدَهُ الَّتِـي يَـبْطِشُ بِهَـا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَـسَاءَتَهُ» [1]، فَيـا خَـسارَةَ مَنْ حَارَبَهُ اللهُ ، وَيا نَدامَـةَ مَـنْ عـادَى أَوْلِيائَـهُ ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[2]، ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾[3] .

أَمَّا مَا قَدْ يَحْصُلُ وَيُرَى فِي بَعْضِ زِيـارَةِ الأَوْلِيـاءِ وَالـصَّالِحِينَ مِـنْ مَنـاكِرَ كـاخْتِلاطِ الرِّجالِ بِالنِّساءِ وَبَعْضِ المَحْذُوراتِ ، وَهِيَ قَلِيلَةٌ فِي بِلادِنا وَالْحَمْدُ للهِ فَيَجِبُ أَنْ تُنْهَـى ، وَأَنْ تُزالَ ، وَلَيْسَ العَيْبُ فِي نَفْسِ الزِّيارَةِ إِنَّما العَيبُ فِيما قَدْ يُرْتَكَبُ فِيها مِنْ أَخْطاءٍ ، بَلْ يَجِبُ مُحارَبَةُ العاداتِ السَّيِّئَةِ .

---

(١)أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٨٤ ، رقم ٦١٣٧) . وأخرجه أيضًا : ابن حبان (٢/ ٥٨ ، رقم ٣٤٧) ،

(٢)فصلت (٣٣) .

(٣)الأنعام (٩٠)

وَإِيَّاكَ أَيُّها المُسْلِمُ المُتَّبِعُ آدابَ الإِسْلامِ أَنْ تُلَـوِّثَ لِسانَكَ الطَّـاهِرَ ، إِذا رَأَيْـتَ مـالا يُعْجِبُكَ ، إِيَّاكَ وَسَبُّ الأَمْواتِ فَقَدْ وَرَدَ فِي صَحِيحِ الإِمامِ البُخارِيِّ رَحِمَهُ الله عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قالَتْ : قالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ : «لَا تَسُبُّوا الْأَمْـوَاتَ فَـإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَـدَّمُوا» [1] وَوَرَدَ فِي سُـنَنِ أَبِي دَاودَ وَالتِّرْمِـذِي ، قَولُـهُ عَلَيـهِ الـصَّلاةُ وَالسَّلامُ : « اذْكُرُوا محَاسِنَ مَوْتَاكُمْ وَكُفُّوا عَنْ مَـسَاوِيهِمْ» [2] ، بَـلْ عَلَيْنـا الإِكْثـارُ مِـنَ الدُّعاءِ لَهُمْ لأَنَّهُ يَنْفَعُهُمْ وَيَصِلُهُمْ ثَوابُهُ ، إِنْ شاءَ الله تَعالَى ، قالَ تَعَـالَى:﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [3] وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ الله عَنْـهُ قـالَ :« مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَجَبَتْ ثُمَّ مَرُّوا بِـأُخْرَى فَـأَثْنَوْا عَلَيْهَـا شَرًّا فَقَالَ وَجَبَتْ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ مَا وَجَبَتْ ، قَالَ هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْـهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ أَنْتُمْ شُـهَدَاءُ الله فِي الْأَرْضِ » [4].

وَيَنْبَغِي لِلزَّائِرِ أَنْ لا يَبْكِيَ جَزَعاً عِنْدَ قَبْرِ مَيْتٍ لَه وَهذا ما نَهى عَنْهُ الشَّرْعُ الـشَّرِيفُ ، فَقَدْ وَرَدَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قالَ : مَرَّ النَّبِيُّ صَـلَّى الله عَلَيـهِ

---

(١)أخرجه أحمد (٦/ ١٨٠ ، رقم ٢٥٥٠٩) ، والبخاري (١/ ٤٧٠ ، رقم ١٣٢٩) ، والنسائي (٤/ ٥٣ ، رقم ١٩٣٦) .

(٢)أخرجه أبو داود (٤/ ٢٧٥ ، رقم ٤٩٠٠) ، والترمذي (٣/ ٣٣٩ ، رقم ١٠١٩) وقال : غريب . والحاكم (١/ ٥٤٢ ، رقـم ١٤٢١) وقـال : صحيح الإسناد . والبيهقي (٤/ ٧٥ ، رقم ٦٩٨١) . وأخرجه أيضًا : ابن حبان (٧/ ٢٩٠ ، رقم ٣٠٢٠) عن ابن عمر مرفوعا .

(٣)الحشر (١٠) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز ، باب ثناء الناس على الميت .

وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقالَ : لَهَا عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : ((اتَّقِي الله وَاصْبِرِي)) [١] ، وَلَكِنَّ الحُبَّ قَدْ يُعَمِي وَيُصِمُّ فَهذِهِ الزَّهْراءُ البَتُولُ فاطِمَةُ بِنْتِ مُحَمَّدٍ رَضِيَ الله عَنْهَا بَعْدَ وَفاةِ أَبِيها عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ كَمْ تَتَمالَكْ نَفْسَها عِنْدَ ما زَارَتْ قَبْرَ وَالِدِها لأَوَّلِ مَرَّةٍ وَقَدْ قَرَّحَتْ عَيْنَيْها الدُّمُوعُ ، فَأَخَذَتْ حَفْنَةً مِنْ تُرابِ القَبْرِ وَجَعَلَتْ تُقَبِّلَها وَتَقُولُ :

ماذا عَلى مَن شمّ تُربة أحمدٍ     أن لا يشمّ مَدى الزمان غواليا
صبّت عَليّ مَصائبٌ لو أنّها     صُبّت عَلى الأيّام صِرنَ لياليا

وَقالَتْ لأَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ الله عَنْهُ وهُوَ يُصَبِّرُها وَيُعَزِّيها قَوْلَتَها المَشْهُورَةَ : (( كَيفَ مَكَّنَكَ قَلْبُكَ يا أَنَسُ ، أَنْ تُسْلِمَ للأَرْضِ جُثَّةَ رَسُولِ الله)) فَشَهِقَ بِدَمْعِهِ دُونَ أَنْ يَجْرَأَ هُوَ أَوْ غَيْرُهُ أَنْ يُعاوِدَ الحَدِيثَ مَرَّةً أُخْرَى .

وَمِنْ آدابِ زِيارَةِ القُبُورِ أَنْ لا يَطَأَها ، وَلا يَمْشِي فِي المَقْبَرَةِ مُتَنَعِّلاً، فَقَدْ رُوِيَ عَنْ بَشِيرِ بْنِ مَعْبَدٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قالَ : بَيْنَما أَنا أُماشِي رَسُولَ الله ﷺ ، نَظَرَ فَإِذا رَجُلٌ بَينَ القُبُورِ عَلَيهِ نَعْلانِ فَقالَ رَسُولُ الله : يا صاحِبَ السَّبْتَيَنِ الْقِ سَبتَيْكَ ( نَوعٌ مِنَ النِّعالِ الجِلْدِيَّةِ ) [٢].

---

(١)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأحكام ، باب ما ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له بواب عن أنس بن مالك يقول لامرأة من أهله تعرفين فلانة قالت نعم قال فإن النبي صلى الله عليه وسلم مر بها وهي تبكي عند قبر فقال اتقي الله واصبري فقالت إليك عني فإنك خلو من مصيبتي قال فجاوزها ومضى فمر بها رجل فقال ما قال لك رسول الله ﷺ قالت ما عرفته قال إنه لرسول الله ﷺ قال فجاءت إلى بابه فلم تجد عليه بوابا فقالت يا رسول الله والله ما عرفتك فقال النبي ﷺ إن الصبر عند أول صدمة

(٢)أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (ج: ١ ص: ٥٢٩ رقم ١٣٨١ )وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ،وابن حبان في صحيحه (ج: ٧ ص: ٤٤١ ذكر الزجر عن دخول المقابر بالنعال رقم ٣١٧٠ ) والبيهقي في السنن الكبرى (ج: ٤ ص: ٨٠ باب المشي بين القبور في النعل رقم ٧٠٠٨ )و النسائي في المجتبى من السنن ( ج: ٤ ص: ٩٦ باب كراهية المشي بين القبور في النعال السبتية رقم ٢٠٤٨ أ)والطحاوي في شرح معاني الآثار (ج: ١ ص: ٥١٠باب المشي بين القبور بالنعال)عن بشير قال بينما أنا أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بن الخصاصية ما أصبحت تنقم على الله قلت ما أصبحت أنقم على الله شيئا كل خير فعل الله بي فأتى على قبور المشركين فقال سبق هؤلاء خيرا كثيراثلاث مرات ثم أتى على قبور المسلمين فقال لقد

يا عِبادَ الله : اعْلَمُوا أَيْقَظَ الله قُلُوبَنا وَقُلُوبَكُمْ مِنَ الغَفْلَةِ ، وَوَفَّقَنا وَإِيَّاكُمْ لِلاسْتِعْدَادِ لِلنُّقْلَةِ مِنَ الدَّارِ الفانِيَةِ ، إِلَى الدَّارِ الباقِيَةِ ، إِنَّ مِنْ أَضَرِّ الأَشْياءِ عَلَى الإِنْسانِ طُولُ الأَمَلِ ، قالَ بَعْضُ السَّلَفِ رَحْمَةُ الله عَلَيهِمْ : مَنْ طآلَ أَمَلُهُ ساءَ عَمَلُهُ ، وَقالَ الإِمامُ عَلِيٌّ كَرَّمَ الله وَجْهَهُ : (( أَخْوفُ ما أَخافُ عَلَيكُمْ إِتِّباعُ الهَوَى وَطُولُ الأَمَلِ ، فَأَمَّا إِتِّباعُ الهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الحَقِّ ، وَأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ )) [1]، وَمَنْ نَسِيَ الآخِرَةَ لَمْ يَعْمَلْ لَها ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ لَهَا قَدِمَ إِلَيها وَهُوَ مُفْلِسٌ مِنَ الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي لا نَجاةَ إِلاَّ بِها ، وَجاءَ

---

أدرك هؤلاء خيرا كثيرا ثلاث مرات فبينما هو يمشي إذ حانت منه نظرة فإذا هو برجل يمشي بين القبور وعليه نعلان فناداه يا صاحب السبتيين ألق سبتيك فنظر فلما عرف الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم خلع نعليه فرمى بهما قال عبد الرحمن بن مهدى كنت أكون مع عبد الله بن عثمان في الجنائز فلما بلغ المقابر حدثته بهذا الحديث فقال حديث جيد ورجل ثقة ثم خلع نعليه فمشى بين القبور قال أبو حاتم يشبه أن تكون تلك من جلد ميتة لم تدبغ فكره صلى الله عليه وسلم لبس جلد الميتة وفي قوله صلى الله عليه وسلم إنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا عنه دليل على إباحة دخول المقابر بالنعال. قال في عون المعبود (ج: ٩ ص: ٣٨ )قال الخطابي خبر أنس هذا( يعني به إنه ليسمع الحديث ) يدل على جواز لبس النعل لزائر القبور وللماشي بحضرتها وبين ظهرانيها فأما خبر السبتيتين الذي مضى فيشبه أن يكون إنما كره ذلك لما فيهما من الخيلاء وذلك أن نعال السبت من لباس أهل التنعم والترفه وأحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون دخوله المقابر على زي أهل التواضع ولباس أهل الخشوع انتهى قال الحافظ في فتح الباري (ج: ٣ ص: ٢٠٦) وأما قول الخطابي يشبه أن يكون النهي عنهما لما فيهما من الخيلاء فإنه متعقب بأن ابن عمر كان يلبس النعال السبتية ويقول أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلبسها وهو حديث صحيح وأغرب ابن حزم فقال يحرم المشي بين القبور بالنعال السبتية دون غيرهما وهو جمود شديد انتهى. انتهى من تعليقاتي على المسلك السوي .

(١) أخرجه البهقي في شعب الإيمان( ٧ \ ٣٦٩ وما بعدها ) موقوفا على سيدنا علي ومرفوعا وفي سند المرفوع علي بن أبي علي اللهبي عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي عن النبي صلى الله عليه وسلم واللهبي هذا ضعيف كما قال الحافظ في الفتح (١ ٢٣٦)وأخرجه أيضا البيهقي مرفوعا من حديث جابر وفي اسناده أيضا اللهبي المذكور وأخرجه ابن أبي شيبة وابن المبارك وأبو نعيم في الحيلة (١\ ٧٦ ) موقوفا على سيدنا علي .ولفظ البيهقي المرفوع الذي من طريق جعفر بن محمد إن أخوف ما أتخوف على أمتي الهوى وطول الأمل؟فأما الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة وهذه الدنيا مرتحلة ذاهبة وهذه الآخرة مرتحلة قادمة ولك؟واحدة منهما بنون فإن استطعتم أن لا تكونوا من بني الدنيا فافعلوا فإنكم اليوم في دار العمل ولا حساب وأنتم غدا في؟؟دار الحساب ولا عمل فإن استطعتم أن تكونوا من الآخرة؟.انتهى هذا التخريج من كتاب تقيد بعض الفوائد وتخريج بعض أحاديث كتاب الموارد .

فِي وَصِيَّةِ الرَّسُولِ صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّم لِابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْـهُ : «كُـنْ فِي الـدُّنْيا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْعابِرُ سَبِيلٍ »[1]، وَيُحْكَى عَنِ ابْنِ عُمَرَ نَفْـسِهِ يَقُـولُ :« إِذَا أَمْـسَيْتَ فَـلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِـكَ وَمِـنْ حَيَاتِـكَ لِمَوْتِكَ »[2]، وَوَرَدَ فِي دُعاءِ الرَّسُولِ ﷺ :« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ دُنْيا تَمْنَعُ خَيرَ الأَخِرَةِ وَأَعوذُ بِكَ مِنْ حَياةٍ تَمْنَعُ خَيرَ المَماتِ ، وَأَعُوذِ بِكَ مِنْ أَكْلٍ يَمْنَعُ خَيرَ العَمَلِ".

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3]وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾[4].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطان الرَّجِيم

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[5] .بارَكَ الله لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْـتَغْفِرُوهُ إِنَّـهُ هُـوَ الغَفُـورُ الرَّحِيم .

---

(١)رواه أحمـد (٤٧٦٤، ٥٠٠٢) والترمـذي (٢٤٣٥، ٢٤٣٦) وابـن ماجـه (٤١١٤) والبيهقـي في الـشعب (٢/ ٣/ ٣٣٩) والعسكري في الأمثال من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ " كن في الدنيا كأنك غريب أو عـابر سـبيل ، وعـد نفسك في أصحاب القور " ورواه البخاري (٦٤١٦) مختصراً .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقائق ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل .

(٣) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٤) سورة النحل الآية (٩٨).

(٥)الحديد (١٦) .

# الخطبة الثانية

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَـدُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْـدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيـكَ لَـهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَـرَ . اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أما بعدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى ، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

أَيُّها المُسْلِمُونَ : نَحْنُ نُورِدُ هَذا الحَدِيث وَماذا يَعْنِي لا كَما يَفْهَمُهُ الآخَـرُونَ ، وَثبـت عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَـلَّمَ حَـدِيثٌ مُتَّفَـقٌ عَلَيـهِ :« لا تُـشَدُّ الرِّحـالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاثَـةِ مَساجِدَ : المَسْجِدِ الحَرامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالمَسْجِدِ الأَقْصَى »[1] ، صَدَقَ رَسُـولُ الله ﷺ ، يَتَّضِحُ مِنْ هَذا الحَدِيثِ المُبارَكِ مَنْعُ شَدِّ الرِّحالِ وَالسَّفَرِ إِلَى أَيِّ مَسْجِدٍ مِنَ المَـساجِدِ مَـا

(١)أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٤ ، رقم ٧١٩١) ، والبخارى (١/ ٣٩٨ ، رقم ١١٣٢) ، ومسلم (٢/ ١٠١٤ ، رقم ١٣٩٧) ، وأبـو داود (٢/ ٢١٦ ، رقم ٢٠٣٣) ، والنسائى (٢/ ٣٧ ، رقم ٧٠٠) ، وابن ماجه (١/ ٤٥٢ ، رقم ١٤٠٩) وابن الجارود (ص ١٣٥ ، رقـم ٥١٢) ، وابن حبان (٤/ ٤٩٨ ، رقم ١٦١٩) عن أبى هريرة مرفوعا .

عَدا المَساجِدِ الثَّلاثَةِ المَذْكُورَةِ آنِفاً ؛ لأَنَّ المَساجِدَ كُلَّها مُتَساوِيَةٌ مِنْ حَيْثُ المَسْجِدِيَّةِ ، وَالاعْتِكافِ فِيها وَالْعِبادِةِ فِيهَا سَواءً إِلاَّ الثَّلاثَةُ فَإِنَّها تَمْتازُ عَنْها فِي أَفْضَلِيَّتِها ، رُبَّما يُنْكِرُ مُنْكِرٌ وَيَقُولُ : لا بَأْسَ بِزِيارَةِ القُبُورِ القَرِيبَةِ مِنَّا فَما بالُكُمْ تَرْحَلُونَ لِزِيارَتِها مَسافاتٍ طَوِيلَةً مُحْتَجِّينَ بِالحَدِيثِ السابق ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذا الحَدِيث لَمْ يَتَعَرَّضْ لِشَدِّ الرِّحالِ لِزِيارَةِ المَشاهِدِ الإِسْلامِيَّةِ ، أَوْ زِيارَةِ الأَنْبِياءِ وَالأَوْلِياءِ وَالصَّالِحِينَ أَحْياءً وَأَمْوَاتاً ، وَإِذا قُلْنَا إِنَّ شَدَّ الرِّحالِ يُمْنَعُ مُطْلَقاً فقد حَجَّرَنا واسِعاً ، وَضَيَّقْنا مُتَّسِعاً فَلا رِحْلَةَ لِزِيارَةٍ وَلا لِتِجارَةٍ ، وَلا لِعِلاجٍ ، وَلا لِسِياحَةٍ وَلا لِطَلَبِ عِلْمٍ ، وَالَّذِي يُفْهَمُ مِنْ هَذا الحَدِيثِ : لا تُشَدُّ الرِّحالُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنَ المَساجِدِ إِلاَّ إِلَى ثَلاثَةِ مَساجِدَ ، الحَدِيثَ ، أَمَّا زِيارَةُ القُبُورِ وَالرِّحْلَةُ إِلَيها وَزِيارَةُ المَشاهِدِ الإِسْلامِيَّةِ فَمَأْمُورٌ بِها كَما جاءَ فِي الحَدِيثِ الآخَرِ : « كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا »[1] وَقَدْ يُفْهَمُ هُنا أَنَّ الأَمْرَ (فَزُورُوها) إِمَّا لِلْوُجُوبِ أَوِ النَّدْبِ ، فَنَسْأَلُ اللهَ تَعالَى أَنْ يُفَقِّهَنَا فِي الدِّينِ ، وَيُلْهِمَنَا رُشْدَنا.

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : كُلَّ عامٍ وَالنَّاسُ هُنا يَتَّجِهُونَ وَيَتَجَهَّزُونَ لِزِيارَةِ نَبِيِّ اللهِ هُودٍ عَلَيهِ وَعَلَى نَبِيِّنا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالتَّسْلِيمِ تَرْتَفِعُ أَصْواتٌ تَحُطُّ مِنْ قَدْرِ هَذِهِ الزِّيارَةِ ، وَتَنْشُرُ الدِّعاياتِ المُضاداتِ ، بَلْ أَخِيراً ظَهَرَ كَتَيِّبٌ صَغِيرٌ عَجِيبٌ غَرِيبٌ فِي أُسْلُوبِهِ وَمَضْمُونِهِ يُحاوِلُ مُؤَلِّفُهُ جاهِداً الانْتِقاصَ مِنْ رِجالٍ فُضَلاءَ وَجَهابِذَةٍ عُلَماءَ ، اعْتَرَفَ لَهُمْ العالَمُ بِالْفَضْلِ وَالسَّبْقِ فِي المَجالاتِ العِلْمِيَّةِ ، نَحْنُ لا نُناقِشُ مُؤَلِّفَ الكِتابِ ، فِي تَأْلِيفِهِ وَمُؤَلَّفِهِ ، فَهُوَ حَقٌّ لَهُ وَلِغَيرِهِ أَنْ يُؤَلِّفَ وَيَقُولَ : ما شاءَ وَفِيما شاءَ ، حُرِّيَةُ الكِتابَةِ

---

(١) قوله هجرا :أي فحشا، وقد أهجر؛ إذا أفحش والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند باقي الأنصار حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه .

وَحُرِّيَةُ الكَلامِ مَكْفُولَةٌ لَهُ وَلِغَيْرِهِ أَنْ يُثَرْثِرَ بِما أَرادَ ، وَحَسْبَ فَهْمِهِ وَإِدْراكِهِ لَكِنْ لا يَجُوزُ لأَحَدٍ كائِنٍ مَنْ كانَ أَنْ يَتَخَطَّى وَيَتَعَدَّى حُدُودَ اللَّياقَةِ وَالأَدَبِ ، بِالتَّجْرِيحِ لِلآخَـرِينَ ، وَيُكِيلُ التُّهَمَ وَالأَكاذِيبَ وَالْمُفْتَرَياتِ جِزَافًا ، يُشَمُّ مِنْها رائِحَةُ الحِقْدِ وَالْبَغْضاءِ:

وَعَيْنُ الرِضا عَـن كُـلِّ عَيـبٍ كَليلَـةٌ     وَلَكِـنَّ عَـينَ الـسُخطِ تُبـدي المَساوِيا(1)

إِنَّنا لا نُحَاوِلُ الرَّدَّ عَلَى ذَلِكَ الكِتابِ الْمُؤَلَّفِ ، تَأْلِيفاً رِكيكاً وَبَعُدَ فيه عن أَخْلاقِيَّـاتِ التَّأْلِيفِ ، إِنَّنا نُشْفِقُ عَلَيهِ وَعَلَى أَمْثالِهِ مِنَ الْمُتَحامِلِينَ الَّذِينَ يُتْعِبُـونَ أَنْفُـسَهُمْ فِي البَحْـثِ وَالتَّنْقِيبِ عَلَى مَثالِبِ الآخَرِينَ ، وَتَتَبُّعِ عَثَـراتِ الْمُـؤمِنِينَ ، أَشْـفِقُوا عَـلَى أَنْفُـسِكُمْ مِـنَ التَّعَبِ وَالضَّنَى وَنَقُولُ لَهُمْ :

يـا نـاطِحَ الجَبَـلَ العـالِي لِيُوهِنَـهُ     أَشْفِقِ عَلَى الرَّأْسِ لا تُشْفِقْ عَلَى الجَبَـلِ

فَلَو أَنَّكَ انتقدتَ ما قَدْ يَحْصُلُ فِي بَعْضِ الزِّياراتِ مِنْ بِدَعٍ فِي الاعْتِقادِ وَهَوسٍ دِيْنِـيٍّ وَإِفْراطٍ مِنْ بَعْضِ السذج وَالْبسطاء ، مِنْ تَقْبِيلِ القُبُورِ وَاسْتِلامِها والتمـسح وَالـصَّلاة إِليها لَكانَ لِكُلِّ حَدَثٍ حَدِيثٌ ؛ لأَنَّ ذَلِكَ قَدْ يَكُونُ مَوْجُوداً وَمُنْتَقَـداً ، وَهَكَـذا أُصِـبْنا بِالإِفْراطِ وَالتَّفْـرِيطِ ، وَبَعُـدنَا عَـنِ الوَسَـطِ وَالاعْتِـدالِ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ (2) وَقالَ الإِمامُ عَلِي كَـرَّمَ الله وَجْهَهُ : «عَلَيكُمْ بِالنَّمْطِ الأَوْسَطِ فَإِلَيهِ يَرْتَفِعُ النَّازِلُ وَيَنْزِلُ العالِي » (3).

---

(1) من البحر الطويل للإمام الشافعي رحمه الله تعالى .

(2)البقرة (١٤٣)

(3)ذكره الإمام الغزالي في الإحياء مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحافظ العراقي في تخريجه (أخرجه أبو عبيـد في غريب الحديث موقوفا على علي بن أبي طالب ولم أجده مرفوعا .إهـ ينظر إحياء علوم الدين مع تخريج العراقي له ( ١/ ٨١).

أَمَّا زِيارَةُ نَبِيِّ الله هُودٍ فَنَحْنُ نَعْتَبِرُها مُؤْتَمَراً إِسْلامِيًّا ، وَتَجَمُّعاً دِينِيًّا ، بَلْ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ كَذَلِكَ لاسِيَّما فِي العَصْرِ الحاضِرِ، اِتَّسَعَتْ وَتَطَوَّرَتْ وَلَيْسَتْ عَلَى مُسْتَوَى الوَادِي أَوْ إِقْلِيمِ حَضرَ مَوتٍ ، بَلْ صارَتْ عَالَمِيَّةً ، يَفِدُ إِلَيها كَثِيرٌ مِنْ أَقْطارٍ إِسْلامِيَّةٍ وَغَيرِ إِسْلامِيَّةٍ ، وَنَرَى مِنَ الوَاجِبِ أَنْ تُطْرَحَ المُحاضَراتُ وَالتَّعالِيمُ وَالإِرْشادَاتُ عَلَى المُسْتَوَى الأَوْسَعِ المُناسِبِ وَمُناقَشَةِ المَواضِيعِ الإِسْلامِيَّةِ المُهِمَّةِ ، بَعِيدَةً عَنِ الخِلافاتِ وَالمَحْسُوبِيَّاتِ وَالأَفْكارِ الضَّيِّقَةِ .

وَعَنِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ رَحِمَهُ الله قالَ : قالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ «أَكُلُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ ؟ قالَوا نَعَمْ يا رَسُولَ الله قالَ: قَصِّرُوا فِي الأَمَلِ ، وَأَثْبِتُوا آجالَكُمْ بَينَ أَبْصارِكُمْ ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ الله حَقَّ الحَياءِ» [1].

وَقالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ :« أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هاذِمِ اللَّذَّاتِ ، فَإِنَّهُ يُمَحِّصُ الذُّنُوبَ ، وَيُزْهِدُ فِي الدُّنْيا»[2] .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَلِي ، والمَقَامِ الأَفْضَلِ : سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِي ، وعَنْ رَيْحَانَتَي نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي

(١)أخرجه ابن المبارك فى الزهد (١/ ١٠٧ ، رقم ٣١٧) ، وأبو نعيم (٨/ ١٨٥) عن الحسن مرسلا.

(٢) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٤ / ١٩٣) : أخرجه ابن أبي الدنيا في الموت بإسناد ضعيف جدا .

شَبَاب أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّـدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِــي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَــا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَـنْ بَقَــيَّةِ العَـشَرَةِ الـمُبَـشَّرَةِ ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَـعْدٍ وسَـعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْــمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجـلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا ، وعَلِيـهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَـا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْـرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْــنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوعِ بِلادِنَـا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَينَـا خِيَارَنَـا ، وأَبْعِـدْ

عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِـيمَنْ خَافَـكَ واتَّقَـاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْـدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثَاً مُغِيثَـاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَـــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَزِدْكُمْ ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# سلَامَة الصدر من الْأَحقَاد

## الخطبة الأُولَى

الحَمْدُ لله الَّذِي لَا تَغِيضُ يَنَابِيعُ فَضْلِهِ ، وَلَا تَضْطَرِبُ مَوَازِينُ عَدْلِهِ ، لَهُ غَيبُ السَّمَوَات وَالْأَرْضِ وَالَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ،﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1]، وَعَدَ عِبَادَهُ الْمُخْلِصِينَ بَالنَّصْرِ وَالتَأْيِيدِ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[2].

وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيك لَهُ ، أَكْمَلَ لَنَا الدِّيْنَ ، بِإِرْسَالِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَأَتَمَّ عَلَينَا نِعْمَتَهُ ، وَرَضِيَ لَنَا الإِسْلَامَ دِينًا ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَحْرِصَ عَلَى دِينِنَا أَشَدَّ مِنْ حِرْصِنَا عَلَى الحَيَاةِ .وأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَصْفَى النَّاسِ قَلْباً ، وَأَرَقَّهُمْ فُؤاداً ، وَأَنْدَاهُمْ يداً ، وَأَكْرَمهُمْ مَحْتِداً ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي جَاءَ بَالإِسْلَامِ سِلْماً وَرَحْمَةً لِلْأَصْدِقَاءِ ، وَشِدَّةً وَحَرْبًا عَلَى الأَعْدَاءِ ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ ﴾[3]، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ سِيرَةِ رَسُولِهِمُ الكَرِيمِ أُسْوَةً حَسَنَةً كَمَا قَالَ لَهُمْ المَولَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ سورة الأحزاب آية (٢١)

---

(١)البقرة (٧٤) .

(٢)سورة الحج آية ( ٤٠ )

(٣) سورة الفتح آية (٢٩)

أَمَّا بَعْدُ : فيا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعَالَى ، فَمَنْ أَخَذَ بِهَا سَـلِمَ ، وَمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا رَبِحَ وَغَنِمَ ، فَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَادِ التَّقْوَى

عِبَادَ الله : إِنَّ الله تَبَارَكَ اسْمُهُ يَنْظُرُ إِلَى العِبَادِ مِنْ خِلَالِ قُلُوبِهِمْ ، فَإِذَا كَانَ الْمَـرْءُ نَقِيًّـا مِـنَ الغِشِّ وَالضَّغِينَةِ ، بَرِيئاً مِنَ الحِقْدِ وَالْغِلِّ وَالْحِسَابِ ، أَقْبَلَ عَلَيهِ بِرَحْمَتِهِ ، وَضـاعَفَ نَـصِيبَهُ ، مِنْ بَرَكَتِهِ ، وَكَانَ إِلَيْهِ بِكُلِّ خَيْرٍ أَسْرَعَ ، أَمَّا إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ مَحْصُوراً فِي مَطامِعِهِ الشَّخْـصِيَّةِ ، يَضِيقُ بِخَيرِ الله عِنْدَ خَلْقِهِ ، وَيَسْتَكْثِرُ نِعَمَهُ الَّتِي أَسْدَاهَا لِعِبَادِهِ ، فَهَيْهَاتَ أَنْ يَصِحَّ لَـهُ عَمَـلٌ ، أَوْ يَنْجَحَ لَهُ أَمَلٌ ؛ لأَنَّ الحَسَدَ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ ، وَالْحَسُودُ لَا يَسُودُ .

الْمُسْلِمُ حَقًّا تَمْتَدُّ مَشَاعِرُ حُبِّهِ ، فَتَعْمِرُ مَا حَولَهُ وَمنْ حَولَهُ ، وَ تَفِيضُ عَلَى الْآخَـرِينَ سَلَامًا وَأَمْنًا ، وَالْجَمَاعَةُ الْمُسْلِمَةُ حَقًّا هِيَ الَّتِي تَقُومُ عَلَى عَوَاطِفِ الْمَحَبَّةِ الْمُشْتَرِكَةِ ، وَالْوُدِّ الشَائِعِ ، وَالتَّعَاوُنِ الْمُتَبَادَلِ ، لَا مَكَانَ فِيهَا لِلْفَرْدِيَّةِ الْمُتَـسَلِّطَةِ ، وَسَـلَامَةُ الـصَّدْرِ فَـضِيلَةٌ تَجْعَلُ الْمُسْلِمَ لَا يَرْبِطُ بَينَ حَظِّهِ الشَّخْصِيِّ مِنَ الحَيَاةِ وَمَشَاعِرِهِ مَعَ النَّاسِ ، ذَلِكَ أَنَّـهُ رُبَّـمَا أَخْفَقَ وَفَشِلَ حَيثُ نَجَحَ وَوُفِّقَ غَيْرُهُ ، رُبَّمَا تَخَلَّفَ حَيثُ سَبَقَهُ آخَرُونَ .

وَإِنَّ الخُصُومَةَ إِذَا نَمَتْ وَاسْتَفْحلَتْ ، وَتَمَكَّنَتْ جُـذُورُهَا وَتَفَرَّعَـتْ أَشْـوَاكُهَا ، أَذْبَلَـتْ زَهَرَاتِ الْإِيمَانِ الغَضِّ النَّضِيرِ ، وَأَذْوَتْ وَمَحَقَتْ مَا يُوحِي بِـهِ مِـنْ حَنَـانٍ وَسَـلَامٍ وَأَمَـانٍ ، وَكَثِيراً مَا تَطِيشُ الخُصُومَةُ وَالنِّزَاعُ بِأَلْبَابِ ذَوِيهَا وَعُقُولِ أَصْحَابِهَا ؛ فَتُؤَدِّي بِهِمْ إِلَى الـشِّجَارِ وَالتَّبَاعُدِ وَالتَّقَاطُعِ ، ثُمَّ الخِصَامِ وَالْعِرَاكِ،وَالصِّرَاعِ، وَعَينُ السُّخْطِ تَنْظُرُ مِنْ زَاوِيَةٍ مُظْلِمَـةٍ ، فَهِيَ لَا تَنْظُرُ إِلَى الفَضَائِلِ وَالْمَحَاسِنِ ، بَلْ تُضَخِّمُ الرَّذائِلَ فِي الجَانِبِ الْآخَرِ:

وَعَينُ الرِضا عَـن كُـلِّ عَيـبٍ كَليلَـةٌ وَلَكِـنَّ عَـينَ الـسُخطِ تُبـدي المَـساوِيا[1]

(١) من البحر الطويل للإمام الشافعي رحمه الله تعالى .

وَقَدْ يَذْهَبُ بِهَا الحِقْدُ إِلَى التَّخَيُّلِ وَالْخَيَالَاتِ وَافْتِرَاضِ الْأَكَاذِيبِ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مِمَّا يَسْخَطُهُ الإِسْلَامُ ، وَيُحَذِّرُ مِنَ الوُقُوعِ فِيهِ ، وَيرَى مَنْعهُ أَفْضَلَ القُرُبَاتِ ، وَدَفْعَهُ أَعْظَمَ المَثُوبَاتِ ؛ لأَنَّهُ مِعْوَلٌ هَدَّامٌ لِلْأُخُوَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ ، وَمَرَضٌ عُضَالٌ يَفْتِكُ بِجِسْمِ الْأُمَّةِ ، فَيَقْضِي عَلَى الحَرْثِ وَالنَّسْلِ ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « أَلَا أُخبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَاتِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ إِصْلَاحُ ذاتِ البَيْنِ ، فَإِنَّ فَسَادَ ذاتِ البَينِ هُوَ الحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّيْنَ» رواه الترمذي (١) .

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْأَعِزَّاءُ : رُبَّمَا عَجزَ الشَّيْطانُ أَنْ يَجْعَلَ مِنَ الرَّجُلِ العَاقِلِ عَابِدَ صَنَمٍ أَوْ طَاغُوتٍ ، وَلَكِنَّهُ _ أَيِ الشَّيْطانَ وَهُوَ الحَرِيصُ عَلَى إِغْوَاءِ الْإِنْسَانِ المُؤْمِنِ وَإِيْرَادِهِ المَهَالِكَ _ ، لَنْ يَعْجَزَ عَنِ المُبَاعَدَةَ بَينَ أَخٍ وَبَينَ إِخْوَانِهِ وَأَصْدِقَائِهِ ، حَتَّى يُشَتِّتَ شَمْلَهُمْ وَيَفُلَّ حَدَّهُمْ ، وَعَنِ المُبَاعَدَةِ بَينَ الْإِنْسَانِ وَرَبِّهِ ، فَيَجْهَلَ حُقُوقَ رَبِّهِ أَشَدَّ الجَهْلِ ، وَهُوَ يَحْتَالُ لِذَلِكَ بِإِيقَادِ نِيرَانِ العدَاوَةِ فِي القُلُوبِ ، فَإِذَا اشْتَعَلَتِ اسْتَمْتَعَ الشَّيْطانُ بِرُؤْيَتِهَا ، وَهِيَ تَحْرِقُ حَاضِرَ النَّاسِ وَمُسْتَقْبَلَهُمْ ، وَتَلْتَهِمُ عَلَائِقَهُمْ وَفَضائِلَهُمْ ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « إِنَّ الشَّيْطانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَيْأَسْ مِنَ التَّحْرِيشِ بِهِمْ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢) .

ذَلِكَ أَنَّ الشَّرَّ إِذَا تَمَكَّنَ مِنَ الْأَفْئِدَةِ وَعَشَّشَ وَبَاضَ وَأَفْرَخَ فِيهَا، تَنَافَرَ وُدُّهَا ، وَانْكَسَرَتْ زُجَاجَتُهَا ، إِرْتَدَّ النَّاسُ إِلَى حَالٍ مِنَ القَسْوَةِ وَالْبَغْضاءِ وَالتَّنَافُرِ وَالتَّدَابُرِ ، وَالْعِنَادِ وَالْفَسَادِ ، يَقْطَعُونَ فِيهَا مَا أَمَرَ الله بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ

---

(١)رواه الترمذي في سننه وقال حديث صحيح(٤/ ٦٣٣) رقم(٢٥٠٩)، وأبو داؤد في سننه (٤/ ٢٨٠)( ٥٨ باب في إصلاح ذات البين رقم(٤٩١٩) وغيرهما.

(٢)في صحيحه (٤/ ٢١٦٦) رقم (٢٨١٢).

إِصْلَاحِهَا ، وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ، وَهُوَ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ، وَاللهُ لَا يُحِبُّ الفَسَادَ ، وَقَدْ تَيَقَّظَ الإِسْلَامُ أَشَدَّ اليَقَظَةِ لِبَوَادِرِ الجَفَاءِ وَالْفُرْقَةِ ، فَلَاحَقَهَا بَالْعِلَاجِ النَـاجِعِ قَبْـلَ أَنْ تَـسْتَفْحِلَ وَتَـسْتَحِيلَ وَتَـصِيرَ إِلَى عَـدَاوَةٍ فَـاجِرَةٍ ، وَشَرٍّ مُـسْتَطِيرٍ ، وَفِتْنَـةٍ هَائِجَـةٍ ، وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ البَشَرَ مُتَفَـاوِتُونَ فِي أَمْـزِجَتِهِمْ وَأَفْهَـامِهِمْ وَأَفْكَـارِهِمْ ، وَأَنَّ الْتِقَـاءَهُمْ فِي مَيَادِينِ الحَيَاةِ الْمُشْتَرَكَةِ قَدْ يَتَوَلَّدُ عَنْهُ ضِيقٌ وَانْحِـرَافٌ ، وَاخْـتِلَافٌ بَعْـدَ ائْـتِلَافٍ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صِدَامٌ وَصِرَاعٌ وَتَبَاعُدٌ ، وَلِذَلِكَ شَرَعَ الإِسْلَامُ مِنَ المَبَادِئِ مَـا يَـرُدُّ عَـنِ الْمُـسْلِمِينَ عَوَادِيَ الْانْقِسَامِ وَالْفِتْنَةِ ، وَمَا يُمْسِكُ قُلُوبَهُمْ عَلَى مَشَاعِرِ الوَلَاءِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ ، فَنَهَى عَنِ التَّقَاطُعِ وَالتّدَابُرِ وَالتَّشَاحُنِ .

نَعَمْ أَحْيَاناً قَدْ يَشْعُرُ المَرْءُ بِإِسَاءَةٍ مُوَجَّهَةٍ إِلَيهِ مِنْ شَخْصٍ مَا أَوْ جِهَةٍ مَا فَيَضِيقُ بِهَا ، وَيَحْـزَنُ لَهَا ، فَيَعْزِمُ عَلَى قَطْعِ حِبَالِ الصُّحْبَةِ وَالأُخُوَّةِ ، وَلَكِـنَّ الله لَا يَـرْضَى أَنْ تَنْتَهِـيَ الـصِّلَاتُ بَـيْنَ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمٍ بِهَذِهِ السُّرْعَةِ إِلَى هَذَا المَـصِيرِ بَـلْ يَجِـبُ أَنْ يَتَرَيَّـثَ وَيَتَـأَنَّى وَيُفَكِّـرَ فِي عَوَاقِـبِ الأُمُورِ وَنَتَائِجِهَا ، وَيَزِنَ الْأَشْيَاءَ بِمِيزَانِهَا ، قَالَ رَسُولُ الله صَـلَّى الله عَلَيـهِ وآلـه وَسَـلَّمَ : « لَا تَقَاطَعُوا وَلَا تدَابَرُوا وَلَا تَحَاسَدُوَا وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا » رَوَاهُ البُخَارِي[1] .

وَيَكُونُ لِزَاماً عَلَى الْمُسْلِمِ الحَقِّ إِذَا حَـصَلَتْ بَيْنَـهُ وَبَـينَ أَحَـدٍ مِـنْ إِخْوَانِـهِ جَفْـوَةً أَنْ يُوَاصِلَهُمْ وَإِنْ قَطَعُوهُ ، وَانْ يُعِيدَ مَعَهُمْ سِيرَتَهُ الأُولَى حَتَّى تَهْدَأَ حِدَّةُ الغَضَبِ ، وَتَكُـونَ القَطِيعَةُ حِينَئِذٍ كَسَحَابَةِ صَيْفٍ عَنْ قَرِيبٍ تَنقَشِعُ ، تَهبُّ عَلَيهَـا رِيـحُ الأُخُـوَّةِ الـصَادِقَةِ

(١)رواه البخاري في أكثر من موضع بألفاظ مختلفة ليس فيها( ولا تقاطعوا ) أولها في( ٥/ ٢٢٥٣)(٥٧باب ما ينهى عـن التحاسـد والتدابر وقوله تعالى ومن شر حاسد إذا حسد )رقـم(٥٧١٧) و مـسلم في صـحيحه(٤/ ١٩٨٦،١٩٨٥)(٩بـاب تحـريم الظن والتجسس= =والتنافس والتناجش ونحوها)رقم(٢٥٦٣) وفي بعض رواياته(لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغـضوا ولا تحاسدوا وكونوا إخوانا كما أمركم الله ).

فَتُبَدِّدُهَا ؛ فَيَصْفُوَ الْأُفُقُ بَعْدَ عُبُوسٍ ، وَتَرْتَاحُ الخَوَاطِرُ بَعْدَ التَّكَدُّرِ وَالنَّكَدِ ، وَالْإِنْسَانُ فِي كُلِّ نِزَاعٍ يَنْشَبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آخَرٍ يَكُونُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ ظالِماً وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مَظْلُومًا ، فَإِنْ كَانَ مُعْتَدِياً ظالِماً لِغَيْرِهِ نَاقِصاً لِحَقِّهِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُقْلِعَ عَنْ غَيِّهِ وَظُلْمِهِ ، وَأَنْ يُصْلِحَ مَا فَسَدَ مِنْ سِيْرَتِهِ ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّهُ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْرِجَ الضَّغَائِنَ وَالحِقْدَ مِنْ قَلْبِ خَصْمِهِ إِلَّا إِذَا عَادَ عَلَيهِ بِمَا يُطَمْئِنُهُ وَيُرْضِيهِ ، وَقَدْ أَمَرَ الإِسْلَامُ المَرْءَ المُسْلِمَ وَالحَالَةُ هَـذِهِ أَنْ يَصْطلِحَ مَعَ صَاحِبِهِ ، وَيُطَيِّبَ خَاطِرَهُ ، وَيُعِيدَ إِلَيهِ الثِّقَةَ الَّتِي نُزِعَتْ بِمَا حَصَلَ ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ» رَوَاهُ البُخَارِي [1] .

ذَلِكَ نُصْحُ الإِسْلَامِ لِمَنْ عَلَيهِ الحَقُّ ، أَمَّا مَنْ لَهُ الحَقُّ فَقَدْ رَغَّبَهُ الإِسْلَامُ فِي أَنْ يَلِينَ وَيُسَامِحَ وَيَعْفُوَ وَأَنْ يَمْسَحَ أَخْطَاءَ الْأَمْسِ بِقَبُولِ المَعْذِرَةِ عِنْدَ مَا يَجِيءُ لَهُ أَخُوهُ مُعْتَذِرًا ، وَرَفْضُ الْاعْتِذارِ خطأٌ كَبِيرٌ ، وَفِي الحَدِيثِ : « مَنِ اعْتَذَرَ إِلَى أَخِيهِ المُسْلِمِ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ كَانَ عَلَيهِ مِثْلَ خَطِيئَةِ صَاحِبِ مَكْسٍ »رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةْ [2] ،وَفِي رِوَايَةٍ : « مَنْ تُنُصِّلَ إِلَيهِ فَلَمْ يَقْبَلْ لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الحَوضَ » رَوَاهُ الطَّبَرَانِي [3] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في أكثر من موضع أولها (٢/ ٨٦٥)(١١باب من كانت له مظلمة عند الرجل ...) رقم(٢٣١٧).

(٢)في سننه (٢/ ١٢٢٥) (٢٣ باب المعاذير)رقم(٣٧١٨)بلفظ (من اعتذر إلى أخيه بمعذرة فلم يقبلها كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس) قال المنذري في الترغيب والترهيب (رواه ابن ماجة بإسنادين جيدين)(٣/ ٣٢٣)، كما رواه الطبراني في الكبير (٢/ ٢٧٥) رقم(٢١٥٦)، وفي الأوسط (٨/ ٢٨٣)رقم(٨٦٤٤) وفي إسناد الأوسط إبراهيم بن أعين ضعيف، قاله في مجمع الزوائد(٨/ ٨١).

(٣)في الأوسط بلفظ(من اعتذر إليه فلم يقبل لم يرد علي الحوض )(١/ ٣٠٦) رقم(١٠٢٩)، كما رواه الحاكم في المستدرك جزءا من حديث وفيه (ومن تنصل إليه فلم يقبل لم يرد علي الحوض ) (٤/ ١٧١) رقم(٧٢٥٩) وفي إسنادهما علي بن قتيبة الرفاعي وهوضعيف، قاله في مجمع الزوائد(٨/ ٨١).

وَبِهَذا الْإِرْشَادِ الْمُبِينِ لِلطَّرَفَيْنِ جَمِيعاً يُحَارِبُ الإِسْلَامُ الْأَحْقَادَ ، وَيَقْتُلُ جُرْثُومَتَهَا فِي المَهْدِ ، وَيَرْتَقِي بَالْمُجْتَمَعِ الْمُؤْمِنِ إِلَى مُسْتَوَى رَفِيعٍ مِنَ الصّداقَاتِ الْمُتَبَادِلَةِ ، أَوِ الْمُعَامَلَاتِ العَادِلَةِ ، وَاعْتَبَرَ الإِسْلَامُ مِنْ دَلَائِلِ الصَّغَارِ وَخِسَّةِ الطَّبْعِ أَنْ يَسْتَوطِنَ الغِلُّ فِي أَعْمَاقِ النُّفُوسِ فَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، بَلْ يَظَلُّ يَصُولُ وَيَجُولُ حَتَّى يَتَفَجَّرَ كَالْبُرْكَانِ الهَائِجِ فَيَلْتَهِمَ الْأَخْضَرَ وَالْيَابِسَ ، وَكَثِيرٌ مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَحْتَبِسُ الغِلُّ فِي أَفْئِدَتِهِمْ ، يَتَلَمَّسُونَ الفُرَصَ ، حَتَّى إِذَا وَجَدُوا مُتَنَفَّساً مُنَاسِباً أَفْرَغُوا مَا فِي نُفُوسِهِم المَرِيضَةِ بِالْحِقْدِ فَلَا يَسْتَرِيحُونَ إِلَّا إِذَا أَرْغَوْا وَأَزْبَدُوا ، وَآذُوا وَأَفْسَدُوا ، رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ قَالَ : «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشِرَارِكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ الله قَالَ : إِنَّ شِرَارَكُمُ الَّذِي يَنْزِلُ وَحْدَهُ ، وَيَجْلِدُ عَبْدَهُ ، وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ ، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالُوا بَلَى إِنْ شِئْتَ يَا رَسُولَ الله ، قَالَ مَنْ يَبْغَضُ النَّاسَ وَيَبْغَضُونَهُ قَالَ : أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالُوا : بلَى إِنْ شِئْتَ يَا رَسُولَ الله ، قَالَ الَّذِينَ لَا يُقِيلُونَ عَثْرَةً ، وَلَا يَقْبَلُونَ مَعْذِرَةً ، وَلَا يَغْفِرُونَ ذَنْباً ، قَالَ أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ الله ، قَالَ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ» رَوَاهُ الطَّبَرَانِي(١) .

وَالْأَصْنَافُ الَّتِي أَحْصَاهَا هَذَا الحَدِيثُ أَمْثِلَةٌ لأَطْوَارِ الحِقْدِ الدَّفِينِ عِنْدَ مَا تَتَضاعَفُ عِلَّتُهُ ، وَتفْتَضِحُ سَوْأَتُهُ ، وَلَا غَرْوَ فَمِنْ قَدِيمٍ أَحَسَّ النَّاسُ حَتَّى فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ أَنَّ الحِقْدَ صِفَةُ الطَّبَقَاتِ الدُّنْيَا مِنَ الخَلْقِ ، وَأَنَّ ذَوِي الْمُرُوءَاتِ يَتَرَفَّعُونَ عَنْهُ قَالَ عَنْتَرَةُ(٢):

**لا يَحمِلُ الحِقدَ مَن تَعلو بِهِ الرُتَبُ ... وَلا يَنالُ العُلا مَن طَبعُهُ الغَضَبُ**

---

(١)رواه الطبراني في الكبير(١٠/ ٣١٨) رقم(١٠٧٧٥) من حديث ابن عباس ، وفيه عيسى بن ميمون وهو متروك ،قاله في مجمع الزوائد (٨/ ١٨٣) .

(٢) من البحر البسيط .

فَكَيفَ بِنَا نَحْنُ الْيَومَ وَنَحْنُ نَعِيشُ صَحْوَةً إِسْلَامِيَّةً،وَحضارَةً وَثَقَافَةً أَلَا يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَكُونَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْ هَذَا الخُلُقِ المَذْمُومِ الَّذِي اسْتَشْرَى دَاؤُهُ فِي مُجْتَمَعِنَا الإِسْلَامِيِّ ، وَانْتَشَرَ لَهَبُهُ كَالنَّارِ فِي الهَشِيمِ ، يَظْهَرُ ذَلِكَ فِي كُلِّ مَجَالَاتِ حَيَاتِنَا ، وَتَبْدُوا ظَوَاهِرُهُ المُؤْسِفَةِ فِي مُعَامَلَاتِنَا ، فِي تَفَاهُمِنَا ، فِي أَحَادِيثِنَا وَفِي مَجَالِسِنَا العَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ بَلْ وَحَتَّى فِي مدَارِسِنَا وَدُورِ العِلْمِ وَالْعِبَادَةِ وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ حَتَّى فِي مَسَاجِدِنَا ، فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا خَدْشًا فِي كَرَامَةِ النَّاسِ الْأَفَاضِلِ وَغَيْرِهِمْ ، وَفِي الحَطِّ مِنْ قَدْرِ أُولِي الفَضْلِ وَالمُرُوَةِ ، كَلَامًا تَلُوكُهُ الْأَلْسُنُ الَّتِي طالَمَا عَصَتِ الله تَعَالَى ، وتَنَاوَلَتْهُ الشِّفَاهُ القَذِرَةُ ، الَّتِي تُنْبِئُ عَنْ أَحْقَادٍ دَفِينَةٍ .

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ :إِنَّ جُمْهُورَ الحَاقِدِينَ تَغْلِي مَرَاجِلُ الحِقْدِ فِي نُفُوسِهِمْ ؛ لأَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى الدُّنْيَا فَيَجِدُونَ مَا يَتَمَنَّونَهُ لأَنْفُسِهِمْ قَدْ فَاتَهُمْ وَامْتَلأَتْ بِهِ أَكُفٌّ أُخْرَى ، وَهَذِهِ هِيَ الطامَّةُ الَّتِي لَا تَدَعُ لَهُمْ قَرَاراً ، وَقَدِيماً رَأَى إِبْلِيسُ النِّعْمَةَ الَّتِي يَتَشَهَّاهَا قَدْ ذَهَبَتْ إِلَى آدَمَ ثُمَّ إِلَى بَنِيهِ ؛ فَآلَى عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَتْرُكَ أَحداً مِنْ بَنِيهِ فِي الدُّنْيَا يَسْتَمْتِعُ بِهَا بَعْدَ مَا حُرِمَهَا، ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[1].

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا وَقَوَالِبَنَا مِنَ الْأَرْجَاسِ وَالْعُيُوبِ ، وَبَصِّرْنَا بِعُيُوبِنَا وَوَفِّقْنَا لِإِصْلَاحِهَا .

(١)سورة الأعراف آية (١٦-١٧)

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [1] وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [2].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [3] .

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم .

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) سورة الحشر آية (١٠)

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِـمِـينَ ، نَحْمَـدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْـدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيـكَ لَـهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَــهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَــهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَــهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَــهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلَائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ . اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .أما بعدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعـالى ، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ : الحِقْدُ غَلَيَانٌ شَيطانِيٌّ يَضْطَرِمُ فِي نُفُوسِ الحَاقِـدِينَ وَيُفْـسِدُ قُلُـوبَهُمْ ، وَالحِقْدُ أَخُو الحَسَدِ وَشَقِيقُهُ بَلْ تَوْأَمُهُ ، فَالحَاسِدُ الحَاقِدُ يُصَابُ بِخَمْسِ عُقُوبَاتٍ مُعَجَّلَةٍ قَبْلَ عُقُوبَاتِ الآخِرَةِ ، أَوَّلُهَا : غَمٌّ وَهَمٌّ لَا يَنْقَطِعُ لَيـلَ نَهَارَ ، الثَّانِيـةُ :مُـصِيبَةٌ لَا يُـؤْجَرُ عَلَيهَا ، الثَّالِثَةُ : مَذَمَّةٌ عِنْدَ النَّاسِ لَا يُحْمَدُ عَلَيهَا ، الرَّابِعَةُ : سَـخَطُ الـرَّبِّ تَعَـالَى ؛ لأَنَّـهُ مُعْتَرِضٌ عَلَى قَدَرِهِ وَقِسْمَتِهِ ، الخَامِسَةُ : يُغْلَقُ عَنْهُ بَابُ التَّوفِيقِ فِي أَعْمَالِـهِ وَأَقْوَالِـهِ ، بَـلْ يُبْتَلَى بِالْفَشَلِ وَالإِخْفَاقِ ، وَلله دَرُّ مَنْ قَالَ :

إِصـبِرِ عَـلى مَـضَضِ الحَـسودِ ... فَـإِنَّ صَـبرَكَ قاتِلُـه
فَالنـارُ تَأكُـلُ بَعـضَها ... إِن لَم تَجِـد مـا تَأكُلُـه

أَيُّهَا الحَسُودُ الحَقُودُ يا مَنْ يَعْتَرِضُ عَلَى قَضَاءِ الله وَقَدَرِهِ ، يَا مَنْ لَا يَرْضَى بِحُكْـمِ الله فِي خَلْقِ الله وَبشَرِهِ ، مَا أَحْمَقَكَ وَأَجْهَلَكَ ، هَوِّنْ عَلَيْنَا وَعَلَى نَفْسِكَ أَيُّهَا الحَاسِدُ المِسْكِينُ ؛ لِأَنَّكَ حَمَّلْتَ نَفْسَكَ مَا لَا تَطِيقُ ، وَحَرَقْتَ قَلْبَكَ أَشَدَّ حَرِيقٍ ، فَهَا أَنْتَ تَعِيشُ فِي أَتْعَسِ حَيَاةٍ وَأَحْرَجِ ضِيقٍ ، فَارْجِعْ إِلَى الله الجَوَادِ الكَرِيمِ ، وَاسَأَلْهُ أَنْ يُطْفِئَ حَـرَارَةَ حَـسَدِكَ ، فَمَا فَرَّقَ النَّاسَ شِيَعاً ، وَصَيَّرَهُمْ مُتَنَافِرِينَ مُتَبَاغِـضِينَ ، إِلَّا الغِـلُّ وَالحَـسَدُ ، وَمَـا ظَهَـرَ الخِلَافُ بَينَ المُسْلِمِينَ حَتَّى ذَهَبَ مَجْدُهُمْ ، وَضَعُفَ جُنْدُهُمْ ، وَاسْتُبِيحَ حَدُّهُمْ إِلَّا حِـينَ انْتَشَرَ فِيهِمْ دَاءُ الحَسَدِ ، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيـهِوآلـه وَسَـلَّمَ : (( دَبَّ فِـيكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ ، الحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ ، هِيَ الحَالِقَةُ لَا أَقُولُ حَالِقَةُ الشَّعْرِ وَلَكِنْ حَالِقَةُ الـدِّيْنِ ، فَاسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ بَالْكِتْمَانِ ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ ))(1) .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و انْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِرَاً وآمِرَاً لَكُمْ تَكْرِيماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

---

(1) الجزء الأول من الحديث أخرجه الترمذي في سننه من حديث الزبير بن العوام مرفوعا (دب إليكم داء الأمم الحسد والبغـضاء هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنـة حتـى تؤمنـوا ولا تؤمنـوا حتـى تحـابوا أفـلا أنبئكم بما يثبت ذاكم لكم أفشوا الـسلام بيـنكم)(٤/ ٦٦٤) رقـم(٢٥١٠) ، والبيهقـي في الكـبرى (١٠/ ٢٣٢)وأحمـد في مـسنده (١/ ١٦٤ ،١٦٧) رقم(١٤١٢، ١٤٣٠) وغيرهم ،وفي الترغيب والترهيب (٣/ ٣٤٧)ومجمع الزوائد بعد أن نسباه للبزار( اسـناده جيد) (٨/ ٣٠)، والجزءالثاني من الحديث:( استعينوا... إلخ ) أخرجه الطبراني في الثلاثة فـرواه في الكبـير (٢٠/ ٩٤) رقـم(١٨٣) وفي الأوسط (٣/ ٥٥) رقم(٢٤٥٥)،وفي الصغير(٢/ ٢٩٢) رقم(١١٨٦)وفي مسند الشاميين(١/ ٢٢٨) رقـم(٤٠٨) مـن طريـق خالد بن معدان عن معاذ مرفوعا (استعينوا على إنجـاح الحـوائج بـالكتمان فـإن كـل ذي نعمـة محـسود )(٣/ ٥٥) رقـم (٢٤٥٥) والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٧٧) رقم(٦٦٥٥) وفيه سعيد بن سلام العطار قال العجلي لا بأس بـه كذبـه أحمـد وغـيره وبقيـة رجالـه ثقـات إلا أن خالـد بـن معـدان لم يـسمع مـن معـاذ)قالـه في مجمـع الزوائـد(٨/ ١٩٥)، وفي تخـريج الإحيـاء للحـافظ العراقي(٣/ ٨٨) (أخرجه ابن أبي الدنيا والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف .إ.هـ)

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَـحْبِهِ ومَـنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ : سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِــي بَكْـرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيـهِ وسَـلَّمَ سَـيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّـدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِــي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَــا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقـيَّةِ العَـشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ ، الَّـذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَـعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْــمَنِ وأَبِــي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجـلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا ، وعَلِيـهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَـا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَــا بِـالعَفْوِ والغُفْـرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِيـرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّــكَ كَـرِيمٌ مُجِيــبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوعِ بِلادِنَـا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلادَ الـمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَـانَا ، وعَـافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَـا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْـدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ .

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثـاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَـــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآءِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَزِدْكُمْ ، وَلَـذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# عهد انحطاط العرب

## الخطبة الأُولَى

الْحَمْـدُ لله الَّـذِي خَلَـقَ فَـسَوَّى ، وَقَـدَّرَ فَهَـدَى ، إِذَا ظَهَـرَ أَعَـزَّ وَقَهَـرَ ، وَإِذَا تَجَـلَّى طاشَتْ لَأَنْوَارِ جَلَالِهِ أَلْبَابُ البَشَرِ .

وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيك لَهُ ، أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِنِعْمَةِ الْإِرْشَـادِ ثُـمَّ أَرْدَفَهَـا بِنِعْمَةِ الإِمْدَادِ ،﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[1] ، وأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بَالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّيْنِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ الهَـادِي إِلَى الـصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، فَبَلَّـغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الأَمَانَةَ ، وَهُوَ القَائِـلُ عَلَيـهِ الـصَّلَاةُ وَالـسَّلَامُ «تَـرَكْتُكُمْ عَـلَى المَحَجَّـةِ البَيْضاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا»[2] .

أَمَّا بَعْدُ : فأُوصِيكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعَالَى ، فَهِيَ وَصِيَّةُ الله لِعِبَـادِهِ ، وَوَصِيَّةُ الرُّسُلِ لأُمَمِهِـمْ ، وَالْعُلَـماءِ الـصَّالحِينَ لِـذَوِيهِمْ وَمُرِيـدِيهِمْ، فَوَرِّثُوهَـا أَوْلَادَكُـمْ وَأَحْفَادَكُمْ ، وَغَذُّوا بِهَا أَطْفَالَكُمْ لِتَكُونَ العَاقِبَةُ الحُسْنَى لَهُمْ وَلَكُمْ .

يَا أُمَّةَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ قَالَ حَكِيمٌ _ وَالْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ حَيْثُمَا وَجَدَهَا الْتَقَطَهَا_ قَالَ هَذَا الحَكِيمُ: أَمْرَانِ لَا يُحَدَّدُ لَهُمَا وَقْتٌ بِدِقَّـةٍ أَوَّلُهُـمَا النَّـومُ فِي

---

(١) إبراهيم (٣٤) .

(٢)هو جزء من حديث أخرجه الحاكم في مستدركه من حديث العرباض بن سارية (١/ ١٧٥) رقم(٣٣١)، وابـن ماجـة في سـننه (١/ ١٦) رقم(٣٤)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٢٦)،وغيرهم، وفي الترغيب والترهيب (رواه ابن أبي عاصم في كتابـه الـسنة بإسناد حسن ) (١/ ٤٧) .

حَيَاةِ الفَرْدِ ، وَالثَّانِي الانْحِطَاطُ والتَّـأَخُّرُ فِي حَيَـاةِ الْأُمَّـةِ ، فَـلَا يُـشْعَرُ بِهـمَا إِلَّا إِذَا غَلَبَـا وَاسْتَوَيَا .

وَالَّذِي يَعْنِينَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ الْآنَ وَيَهُمُّنَا كَثِيراً هُـوَ الـشَّطْرُ الثَّـانِي مِـنْ هَـذِهِ الحِكْمَةِ ، وَهُوَ مَتَى وَكَيفَ بدَأَ الانْحِطَاطُ فِي حَيَاةِ الْأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّة الكُبْرَى ، إِنَّهُ لَحِـقَ فِي قَضِيَّةِ أَكْثَرِ الأُمَمِ ، وَلَكِنَّهُ فِي حَيَاةِ الْأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ بدَا التَّدَلِّي وَالْانْحِطَاطُ أَوْضَحَ مِنْـهُ فِي حَيَاةِ الْأُمَمِ الْأُخْرَى ، وَلَو أَرَدْنَا بَالضَّبْطِ أَنْ نَعْرِفَ الحَدَّ الفَاصِلَ بَـينَ كَـمَالِ هَـذِهِ الْأُمَّـةِ وَانْحِطَاطِهَا لَوَضَعْنَا إِصْبِعَنَا عَلَى ذَلِكَ الخَطِّ التَّارِيخِيِّ الَّذِي يَفْصِلُ بَينَ الخِلَافَةِ الرَّاشِـدَةِ _ أَيِ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الإِسْلَامِ عَهْدِ الرَّسُـولِ صَـلَّى الله عَلَيـهِ وآلـه وَسَـلَّمَ وَالْخُلَفَـاءِ الْأَرْبَعَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُـثْمَانَ وَعَـلِي رَضِيَ الله عَـنْهُم _ وَبَـينَ عَهْـدِ الْمُلُـوكِ المـسْلِمِينَ العَرَبِ وَغَيرِ العَرَبِ ، (( بدَأَ الدِّيْنُ غَرِيباً وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بدَأَ ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّـذِينَ أَحْيَوْا مَا أَمَاتَهُ النَّاسُ ))[1] .

نَعَمْ كَانَ زِمَامُ القِيَادَةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ بِيَـدِ رِجَـالٍ كَـانَ كُـلُّ فَـرْدٍ مِـنْهُمْ مُعْجِزَةً جَلِيلَةً لِحَبِيبِهِمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ ، إِيمَاناً وعَقِيدَةً وعَمَـلاً وَخُلُقـاً ، وَتَرْبِيَةً وَتَهْذِيباً ، وَتَزْكِيَةَ نَفْسٍ ، وَسُمُوَّ سِيْرَةٍ وَكَمَالاً وَاعْتِـدَالاً ، لَقَـدْ صَـاغَهُمُ الرَّسُـولُ صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ صِيَاغَةً وَصَبَّهُمْ فِي قَالَبِ الإِسْلَامِ صَبًّا ، فَكَانُوا أَمْثِلَةً كَامِلَـةً ،

---

(١) أخرجه مسلم وغيره عن عمر رضي الله عنه ،ولفظ مسلم في صحيحه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال( إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها )(١/ ١٣١)( ٦٥ باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وإنه يأرز بين المسجدين)رقم(١٤٦) ، وأخرجه الترمذي (٥/ ١٨ ، رقم ٢٦٣٠) بلفظ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل إن الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وَأَقْيِسَةً تَامَّةً لِلدِّينِ وَالـدُّنْيَا وَالجَمْـعِ بَيْـنَهُمَا ، فَكَـانُوا أَئِمَّـةً يُـصَلُّونَ بَالنَّـاسِ ، وَقُـضَاةً يَفْصِلُونَ فِي قَضَايَاهُمْ ، وَيَحْكِمُونَ بَيْنَهُمْ بَالْعَدْلِ وَالعِلْمِ كَمَا فَهِمُوهُ مِنْ كِتَـابِ الله وَسُـنَّةِ رَسُولِهِ ، وَكَانُوا أَمَنَةً لأَمْـوَالِ المُسْلِمِينَ ، وَقَـادَةً يَقُـودُونَ الجُيُـوشَ ، وَيُحْسِنُونَ تَـدْبِيرَ الحُرُوبِ ، وَأُمَرَاءَ يُبَاشِرُونَ إِدَارَةَ البِلَادِ وَيُشْرِفُونَ عَلَى أُمُورِ الدَّولَةِ وَيُقِيمُونَ حُـدُودَ الله ، وَكَانَ الوَاحِدُ مِنْهُمْ فِي آنٍ وَاحِدٍ تَقِيًّا زَاهِدًا ، وَبَطَـلاً مُجَاهِـداً ، وَقَاضِـياً فَهْـماً ، وَفَقِيهـاً مُجْتَهِداً ، وَأَمِيراً حَازِماً وَسِيَاسِيًّا مُحَنَّكاً ، فَكَانَ الدِّيْنُ وَالسِّيَاسَةُ يُتَمَثَّلَانِ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ وَهُوَ شَخْصُ الخَلِيفَةِ ، وَأَمِيرُ المُؤْمِنِينَ ، حَولَهُ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ تَخَرَّجُوا إِنْ صَحَّ التَّعْبِيرُ مِنْ هَذِهِ المَدْرَسَةِ : المَدْرَسَةُ النَّبَوِيَّةُ ، المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ ، صُبُّوا فِي قَالَبٍ وَاحِدٍ يَحْمِلُونَ رُوحاً وَاحِدَةً ، وَتَلَقَّوا تَرْبِيَةً وَاحِدَةً ، يَسْتَشِيرُهُمْ الخَلِيفَةُ وَيَسْتَعِينُ بِهِمْ ، فَلَا يَقْطَعُ أَمْراً حَتَّى يَشْهَدُوهُ ، فَلَا تَنَافُرَ بَينَ الرُّوحِ وَالمَادَّةِ ، وَلَا صِرَاعَ بَينَ الـدِّيْنِ وَالـسِّيَاسَةِ ، وَلَا تَفْرِيـقَ بَـينَ الـدِّيْنِ وَالدُّنْيَا ، وَلَا تَجَاذُبَ بَينَ المَصَالِحِ وَالمَبَادِئِ ، وَلَا تَزَاحُمَ بَينَ الأَغْرَاضِ وَالْأَخْـلَاقِ ، وَلَا تَنَاحُرَ بَينَ الطَّبَقَاتِ ، وَلَا تَنَافُسَ فِي الشَّهَوَاتِ وَعَلَى المَنَاصِبِ وَالكَرَاسِي .

وَلَكِنْ مِنَ المُؤْسِفِ وَبَعْدَ مُرُورِ الزَّمَنِ ، تَوَلَّى الحُكْمَ مَنْ لَيْسَ لَهُ كُفْءٌ ، وَانْتَقَلَ الحُكْمُ مِنْ إِمَامَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ ، وَخِلَافَةٍ رَاشِدَةٍ إِلَى حُكْمٍ عَضُوضٍ ، وَتَوَلَّى المَنَاصِبَ الخَطِيرَةَ رِجَالٌ لَمْ يَكُونُوا لَهَا أَهْلاً ، وَلَمْ يُوْضَعِ الشَّخْصُ المُنَاسِبُ فِي المَكَانِ المُنَاسِبِ ، فَظَهَرَ بِسَبَبِ ذَلِـكَ ثُلُمَاتٌ فِي صَرْحِ الإِسْلَامِ لَمْ تُسَدَّ بَعْدُ ، وَوَقَعَتْ تَحْرِيفَـاتٌ فِي الحَيَـاةِ الإِسْـلَامِيَّةِ شَـوَّهَتْ كَثِيراً مِنْ مَعَالِمِ الإِسْلَامِ النَّضِرَةِ ، يُعَانِي مِنْهَا المُسْلِمُونَ الكَثِيرَ مِنَ المُنَغِّصَاتِ ، وَالإِسْـلَامُ مِنْهَا بَرَاءٌ ؛ فَالإِسْلَامُ كَامِلٌ ، وَنِظَامٌ مُتَكَامِلٌ ، لَيْسَ بِحَاجَـةٍ إِلَى مَـنْ يُكَمِّلُـهُ أَوْ يُتَمِّمَـهُ ، ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ (١) .

(١) سورة المائدة آية( ٢)

وَلَكِنْ لَمْ يَتْرُكْنَا أَعْدَاءُ الإِسْلَامِ مِنْ أَوَّلِ يَومٍ نَنْعَمُ فِي ظِلِّ هَذَا الدِّيْنِ الحَنِيفِ ، فَتَكَالَبَتْ عَلَيْنَا الأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَمِنْ كُلِّ نَوعٍ بِأَسْلِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَمِمَّا زَادَ الطِّينَ بَلَّةً : أَنَّ العَالَمَ العَرَبِيَّ بَالذَّاتِ قَدْ دَبَّتْ فِيهِ عَوَامِلُ الضَّعْفِ وَالتَّخَلُّفِ وَالجَهْلِ وَحُبُّ الدُّنْيَا ، فَاحْتَلَّ الأَجَانِبُ الوَطَنَ العَرَبِيَّ وَالإِسْلَامِيَّ ؛ فَأَصَابَ المُجْتَمَعَ الإِسْلَامِيَّ انْحِطَاطٌ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْاجْتِمَاعِ ، وَاعْتَلَّ بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَدْوَاءِ وَالأَمْرَاضِ ، وَمَا لَبِثْنَا هَكَذَا حَتَّى فَاجَأَتْنَا أُورُبَّا الصَّلِيبِيَّةُ بِحَضَارَتِهَا وَثقَافَتِهَا ، فَاسْتَعْمَرَتْنَا اسْتِعْمَاراً عَسْكَرِيّاً وَاقْتِصَادِيّاً وَفِكْرِيّاً وَثَقَافِيّاً ، وَمَزَّقَتِ الوَحْدَةَ الإِسْلَامِيَّةَ الَّتِي سَعِدْنَا بِهَا وَسَعِدَ بِهَا العَالَمُ كُلُّهُ مَعَنَا ، وَهَكَذَا اسْتَمَرَّ بِنَا الوَضْعُ ، وَاسْتَطَاعَ العَالَمُ العَرَبِيُّ وَالإِسْلَامِيُّ بِفَضْلِ بَعْضِ الرِّجَال الأَوْفِيَاءِ الأَشِدَّاءِ ، وَبَعْدَ مَعَارِكَ عَنِيفَةٍ وَتَضْحِيَاتٍ كَبِيرَةٍ ، اسْتَطَاعَ طَرْدَ هَؤُلَاءِ المُسْتَعْمِرِينَ وَقَوَاعِدِهِمْ وَرَكَائِزِهِمْ ، إِلَّا أَنَّ الاسْتِعْمَارَ كَعَادَتِهِ إِذَا رَحَلَ يَتْرُكُ مُخَلَّفَاتٍ خَبِيثَةٍ وَتَرِكَاتٍ ثَقِيلَةٍ يَصْعُبُ تَصْفِيَتُهَا ، وَتَنْقِيَةُ الأَجْوَاءِ مِنْهَا ، رَحَلَ عَنَّا الاسْتِعْمَارُ الْأُورُبِّيُّ ، وَتَرَكَ الدَّولَةَ العِبْرَانِيَّةَ كَالخَنْجَرِ فِي جِسْمِ الْأُمَّةِ ، يُهَدِّدُنَا بِهِ عِنْدَ مَا يَشَاءُ ، وَيُؤَدِّبُنَا متى مَا أَرَادَ ، إِنَّ هَذَا الكِيَانَ الغَرِيبَ العَجِيبَ فِي الشَّرْقِ الأَوْسَطِ رَكِيزَةُ الاسْتِعْمَارِ بَعْدَ رَحِيلِهِ مِنْ عَام ١٩٤٨ أَقَامَتْ بَرِيطَانِيَا المُسْتَعْمِرَةُ دولَةَ إِسْرَائِيلَ العَدُوَّةَ حَسْبَ وَعْدِ بَلْفورِ، وَعْدُ مَنْ لَا يَمْلِكُ لِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّ وَمُنْذُ ذَلِكَ الوَقْتِ وَالحَرْبُ سِجَالٌ مَعَ هَذَا العَدُوِّ اللَّدُودِ الحَاقِدِ ، وَالْيَومَ قَدْ بَلَغَتِ الأُمُورُ النِّهَايَةَ ، تَرَكَ لَنَا أَفْكَاراً اسْتِعْمَارِيَّةً ، وَثَقَافَةً أُورُبِّيَّةً تُعَشْعِشُ وَتَبِيضُ وَتُفْرِخُ فِي رُؤُسِ بَعْضِنَا ، مِمَّنِ اسْتَعْمَرَهُمْ ، وَخَلَقَ خُلَفَاءَ لَهُ مِنْ أَبْنَاءِ البَلَدِ يُحَافِظُونَ عَلَى مُخَلَّفَاتِهِ ، بَعْدَ مَا فَصَلَ الدِّيْنَ عَنِ الدَّولَةِ ، فَصَارَ الدِّيْنُ قَابِعاً فِي المَسَاجِدِ فَقَطْ بَعِيداً عَنِ المَحَاكِمِ ، وَالمُعَامَلَاتِ وَشُئُونِ الحَيَاةِ ، وَوُضِعَت قَوَانِينُ وَضْعِيَّةٌ .

فَلْنَأْخُذَ العِبْرَةَ وَالموعِظَةَ مِنْ تَارِيخِنَا ، وَنَحْنُ الْيَومَ فِي أَمَسِّ الحَاجَةِ ، وَقَفَ العَالَمُ فِي القَرْنِ السَادِسِ المِيْلَادِيِّ عَلَى مُفْتَرَقِ الطُّرُقِ إِمَّا أَنْ يَتَقَدَّمَ العَرَبُ وَيُعَرِّضُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَكُلَّ مَا يَعِزُّ عَلَيهِمْ لِلْخَطَرِ ، وَيَزْهَدُوا فِي مَطَامِعِ الدُّنْيَا ، وَيُضَحُّوا فِي سَبِيلِ المَصْلَحَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ بِأَنَانِيَاتِهِمْ فَيَسْعَدَ العَالَمُ وَتَسْتَقِيمَ البَشَرِيَّةُ ، وَتقوم سُوقُ الجَنَّةِ ، وَتَرُوجَ بِضاعَةُ الإِيمَانِ ، وَإِمَّا أَنْ يُؤْثِرُوا شَهَوَاتِهِمْ وَمَطَامِعَهُمْ الفَرْدِيَّةَ عَلَى سَعَادَةِ البَشَرِيَّةِ ، وَصَلَاحِ العَالَمِ ، فَيَبْقَى العَالَمُ فِي حَمَإِ الضَّلَالَةِ وَالشَّقَاءِ إِلَى مَا شَاءَ الله ، وَقَدْ أَرَادَ الله بِالْإِنْسَانِيَّةِ خَيْراً وَتَشَجَّعَ العَرَبُ بِمَا نَفَخَ فِيهِمْ مُعَلِّمُهُمُ الْأَوَّلُ مُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلَيهِ مِنْ رُوحِ الْإِيمَانِ وَالإِيثَارِ وَحَبَّبَ إِلَيهِم الدَّارَ الآخِرَةَ وَثَوَابَهَا ؛ فَقَدَّمُوا أَنْفُسَهُمْ فِدَاءً لِلْإِنْسَانِيَّةِ جَمْعَاءَ ، وَزَهِدُوا فِي مَطَامِعِ الدُّنْيَا طَمَعاً فِي ثَوَابِ الله ، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ الله ، وَأَخْلَصُوا إِلَيهِ العَمَلَ ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

وَالْيَومَ وَقَدِ اسْتدَارَ الزَّمَانُ كَهَيْئَتِهِ يَومَ بَعَثَ الله الرَّسُولَ مُحَمَّدًا ﷺ ، وَوَقَفَ العَالَمُ عَلَى مُفْتَرَقِ الطُّرُقِ مَرَّةً ثَانِيَةً إِمَّا أَنْ يُقَدِّمَ العَرَبُ وَهُمْ أُمَّةُ الرَّسُولِ وَعَشِيرَتُهُ وَأَسَاتِذَةُ العَالَمِ وَرُوَّادُهُ إِلَى المَيْدَانِ ، وَيَبْذُلُوا نُفُوسَهُمْ وَإِمْكَانِيَّتَهُمْ وَمَطَامِحَهُمْ ، وَيُضَحُّوا بِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ رَخَاءٍ وَثَرَاءٍ وَدُنْيَا وَاسِعَةٍ ، وَأَسْبَابٍ مَيْسُورَةٍ ؛ فَيَنْهَضَ العَالَمُ مِنْ عِثارِهِ ، وَتَتَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيرَ الْأَرْضِ ، وَإِمَّا أَنْ يَسْتَمِرُّوا فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنْ طَمَعٍ وَطُمُوحٍ ، وَتَنَافُسٍ فِي الوَظَائِفِ وَالمَنَاصِبِ ، وَفِي التَّفْكِيرِ فِي كَثْرَةِ الدَّخْلِ وَالْإِيْرَادِ ، وَزِيَادَةِ غَلَّةِ الْأَمْلَاكِ ، وَرِبْحِ التِّجَارَةِ

---

(١)آل عمران (١٤٨)

، وَالْحُصُولِ عَلَى أَسْبَابِ التَّرَفِ وَالتَّنَعُّمِ فَيَبْقَى العَالَمُ فِي هَذَا التَّدَهْوُرِ الَّذِي تَرَدَّى فِيهِ مُنْذُ قُرُونٍ ، وَإِذَا عَزَّ العرَبُ عَزَّ الإِسْلَامُ وَإِذَا ذَلُّوا _لَا قَدَّرَ الله _ ذَلَّ .

إِنَّ العَالَمَ لَا يَسْعَدُ وَخِيرَةُ الشَّبَابِ فِي العَوَاصِمِ العَرَبِيَّةِ والإسلامية عَاكِفُونَ عَلَى شَهَوَاتِهِمْ ، تَدُورُ حَيَاتُهُمْ حَولَ المَادَّةِ وَالمعِدَةِ ،

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَة مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَة

وَقَدِ اعْتِدْنَا نَحْنُ العَرَبَ والمسلمين وَبِتَأْثِيرِ الحَضَارَةِ الغَرْبِيَّةِ ، حَيَاةَ التَّرَفِ وَالدَّعَةِ وَالْاعْتِدَادِ الزَائِدِ بَالْكَمَالِيَّاتِ وَفُضُولِ الحَيَاةِ ، وَالْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ وَالْاسْتِهَانَةِ بِمَالِ الله ، وَبِجَانِبِ هَذَا وَذَاكَ تَرَى الجِيَاعَ وَالْعُرْيَ فِينَا وَالفُقَرَاءَ وَالشَّحَّاذِينَ تَغَصُّ بِهِمْ شَوَارِعُ العَوَاصِمِ وَالْمُدُنِ العَرَبِيَّةِ وَالإِسْلَامِيَّةِ مِمَّا تَدْمَعُ لَهُ الْعَينُ ، وَيَحْزَنُ لَهُ القَلْبُ وَتُنَكَّسُ لَهُ الرُّؤُسُ حَيَاءً وَخَجَلًا ، وَأُصِيبَتِ الْأُمَّةُ فِي رُجُولَتِهَا وَغِيرَتِهِمْ ، فَظَهَرَ التَّبَرُّجُ فِي النِّسَاءِ وَمُزَاحَمَةُ الرِّجَالِ فِي كُلِّ شَيءٍ ، وَالزُّهْدُ فِي الحَيَاةِ المَنْزِلِيَّةِ .

هَذَا هُوَ العَهْدُ الَّذِي ازْدَهَرَ فِي الشَّرْقِ طَوِيلاً ، وَتَرَكَ رَوَاسِبَ فِي حَيَاةِ الْأُمَّةِ وَنُفُوسِهَا ، وَفِي آدَابِهَا وَأَخْلَاقِهَا وَاجْتِمَاعِهَا ، وَخَلَّفَ آثَاراً بَاقِيَةً فِي مَنَاهِجِنَا وَمَكْتبَاتِنَا ، إِنَّ هَذَا لَا يُقِرُّهُ عَقْلٌ ، وَغَيرُ قَابِلٍ لِلْبَقَاءِ وَالَاسْتِمْرَارِ فِي أَيِّ مَكَانٍ وَفِي أَيِّ زَمَانٍ ، إِلَّا إِذَا كَانَتِ الْأُمَّةُ مَغْلُوبَةً عَلَى أَمْرِهَا ، أَوْ فَاقِدَةَ الوَعْيِ وَالشُّعُورِ ، أَوْ مَيِّتَةَ النَّفْسِ وَالرُّوحِ ، وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا يُخَافُ عَلَى الْأُمَّةِ وَيُعَرِّضُهَا لِكُلِّ خَطَرٍ ، وَيَجْعَلُهَا فَرِيسَةً لِلْمُنَافِقِينَ ، وَلُعْبَةً لِلْعَابِثِينَ هُوَ فُقْدَانُ الوَعْيِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَافْتِتَانُهَا بِكُلِّ دَعْوَةٍ ، وَانْدِفَاعُهَا وَرَاءَ كُلِ مُوَجِّهٍ ، وَخَضُوعُهَا لِكُلِّ مُتَسَلِّطٍ ، فَلَا تَعْقِلُ الأُمُورَ وَلَا تَضَعُهَا فِي مَوَاضِعِهَا وَلَا تُمَيِّزُ بَينَ الصَّدِيقِ وَالعَدُوِّ ، وَالنَّاصِحِ وَالْغَاشِّ ، وَلَا تَتَّعِظ بَالْحَوَادِثِ ، وَلَا تَنْتَفِعُ بَالْكَوَارِثِ .

إِنَّ الشُّعُوبَ الإِسْلَامِيَّةَ وَالْعَرَبِيَّةَ _وَنَحْنُ جُزْءٌ مِنْهَا_ مَعَ الأَسَفِ ضَعِيفَةُ الوَعْيِ ، فَقَدْ تُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَينِ ، بَلْ أَكْثَرَ ؛ لأَنَّهَا ضَعِيفَةُ الذَّاكِرَةِ ، سَرِيعَةُ النِّسْيَانِ ، فَهِيَ ضَعِيفَةٌ فِي الوَعْيِ الدِّيْنِيِّ ، وَالْوَعْيِ الاْجْتِمَاعِيِّ ، وَأَضْعَفُ فِي الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ ، وذَلِكَ مَا جَرَّ عَلَيهَا وَيْلاً عَظِيماً ، وَشَقَاءً كَبِيراً ، وَسَلَّطَ عَلَيهَا القِيَادَاتِ الزَائِفَةَ وَفَضَحَهَا فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ ، فَصَادَقْنَا الْأَعْدَاءَ ، وَعَادَيْنَا الأَشِقَّاءَ ، فَمَجْهُودُهُمْ الحَرْبِيُّ لِلْمَعَارِكِ الجَانِبِيَّةِ وَالْحُرُوبِ الأَهْلِيَّةِ وَالطَّائِفِيَّةِ وَالْقَبَلِيَّةِ أَكْثَرُ بِكَثِيرٍ مِنْ جُهُودِهِمْ فِي الحُرُوبِ المُقَدَّسَةِ مَعَ الأَعْدَاءِ ، بَلْ لَا نِسْبَةَ بَيْنَهُمَا وَلَا مُقَارَنَةَ فِي تَارِيخِنَا المُعَاصِرِ .

إِنَّ ثَرْوَتَهَا أَصْبَحَتْ مِلْكًا لِأَعْدَائِهَا ؛ لأَنَّهَا عَاجِزَةٌ تَمَامًا عَنِ الْانْتِفَاعِ بِثَرْوَتِهَا الطَّائِلَةِ ، فَبِلَادُنَا أَصْبَحَتْ سُوقاً مَفْتُوحاً لِبَضائِعِ الأَعْدَاءِ ، وَأَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ لأَسْلِحَتِهِمْ المُدَمِّرَةِ الَّتِي نُعِدُّهَا لِبَعْضِنَا البَعْضِ ، فَإِلَى مَتَى أَيُّهَا العَرَبُ المُسْلِمُونَ تَصْرِفُونَ قِوَاكُمْ الجَبَّارَة الَّتِي فَتَحْتُمْ بِهَا العَالَمَ القَدِيمَ بِالْأَمْسِ فِي مَيَادِينَ ضَيِّقَةٍ مَحْدُودَةٍ ، إِلَى مَتَى يَنْحَصِرُ هَذَا السَّيْلُ العَرِمُ فِي حُدُودِ هَذَا الوَادِي الضَّيِّقِ ، تَضْطَرِعُ أَمْوَاجُهُ ، وَيلْتَهِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً ، إِنَّ الطَّرِيقَ إِلَى القِيَادَةِ مُمَهَّدَةٌ مَيْسُورَةٌ لِلْعَرَبِ وَهِيَ الطَّرِيقُ الَّتِي جَرَّبُوهَا فِي عَهْدِهِمْ الْأَوَّلِ ، جَرَّبَهَا أَسْلَافُنَا الصَّالِحُونَ فَاخْتَارَهُمُ الله لِقِيَادَةِ العَالَمِ وَاجْتَبَاهُمْ لِهِدَايَتِهِ .

اللَّهُمَّ اهْدِنَا بِهُدَاكَ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يسَارِعُ فِي رِضَاكَ ، وَلَا تُوَلِّنَا وَلِيًّا سِوَاكَ ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ خَالَفَ أَمْرَكَ وَعَصَاكَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ .

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1] وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾[2].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾[3].

وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[4].

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣)سورة آل عمران آية ( ٢٥٩ )

(٤) سورة آل عمران آية ( ١٠٤_١٠٥ )

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَـدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْـدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيـكَ لَـهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَــهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَــهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دونَـهُ الصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَــهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَــهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَـلَى آلِــهِ وصَـحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أما بعدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى ، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ : وَالْعَاقِلُ مَنِ اتَّعَظَ بِغَيْرِهِ ، إِنَّ أُمَّتَنَا كَمَا تَقَدَّمَ ضَـعِيفَةُ الـذَّاكِرَةِ ، سَرِيعَـةُ النِّسْيَانِ ، لَمْ تَستَفِدْ مِمَّا مَرَّ بِهَا ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ ، وَرَحِمَ الله امْـرأً عـرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ ، مَرَّتْ بَالعَالَمِ الإِسْلَامِيِّ ـ وَنَحْنُ جُزْءٌ لَا يَتجَزَّأُ مِنْهُ ـ كَوَارِثُ وَمِحَنٌ وَاسْتِعْمَارٌ كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ العِبْرَةَ وَالمَوْعِظَةَ الحسَنَةَ .

إِنَّنَا عَاطِفيُّونَ جِدًّا ، سَرِيعِو التَّأَثُّرِ بِغَيْرِنَا _ فِى النّافِعِ وَالضَّارِّ _ ، إِنَّنَا مُقَلِّـدُونَ لِغَيْرِنَـا وَبِطَرِيقَةٍ سَاذِجَةٍ كَالأَطْفَالِ ، إِنَّ أَعْدَاءَنَا اسْتَفَادُوا مِنَّا كَثِيراً مِنْ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ عِنْدَ مَـا

كُنَّا أَسَاتِذَةَ العَالَمِ ، وَنَحْنُ الْيَومَ لَمْ نَسْتَفِدْ مِنْهُمْ وَهُمْ أَسَاتِذَتُنَا إِلَّا القَلِيلَ ، إِنَّنَا نُقَلِّدُهُمْ فِيمَا لَا خَيرَ فِيهِ ، وَهَـذَا عَيْبُنَـا ، نُقَلِّـدُهُمْ فِي القُـشُورِ، فِي لِبَاسِـهِمْ ، فِي ثَقَـافَتِهِمْ ، فِي وَسَـائِلِ مَعِيشَتِهِمْ، وَلَمْ نُقَلِّدْهُمْ وَنَـسْتَفِدْ مِـنْهُمْ فِي عُلُـومِهِمْ، وَصِـنَاعَتِهِمْ وَتَطَـوَّر اقْتِـصَادِهِمْ ، وَوَعْيِهِمْ وَتَعَاوُنِهِمْ وَاتِّحَادِهِمْ ، قَارَنَ أَحَدُ عُلَمَائِنَا الْأَعْلَامُ- رَحِمَهُ الله – بَينَ حَيَاتِنَا وَحَيَـاةِ أَعْدَائِنَا قَائِلاً : إِنَّ أَعْدَاءَنَا الْأُورُبِيِّينَ أَخَذُوا كُلَّ مَحَاسِنِ حَيَاتِنَا مِنْ أَخْلَاقٍ وَصِدْقٍ وَأَمَانَةٍ وَاتِّحَادٍ وَتَعَاوُنٍ وَنَحْنُ أَخَذْنَا كُلَّ مَسَاوِي حَيَاتِهِمْ مِنْ كِذْبٍ ، وَخِيَانَةٍ وَفُرْقَةٍ ، زِيَادَةً عَـلَى ذَلِكَ كُلِّهِ فَقَدْ بَثَّ فِي صُفُوفِنَا الخِلَافَاتِ وَالشَّحْنَاءَ وَالْبَغْضَاءَ فَمَزَّقَتْنَا وَأَضْعَفَتْنَا فَلَا تَكَادُ تَجِدُ دَوْلَتَيْنِ إِسْلَامِيَّتَيْنِ وَالْعَرَبِيَّةَ مِنْهَا بَالْأَخَصِّ عَلَى قَلْبٍ وَاحِدٍ ، وَرَأْيٍ مُوَحَّدٍ إِنْ لَمْ يَكِدْ بَعْضُنَا بَعْضاً ، وَلَمْ يَكْفِهِ هَذَا فَضَرَبَنَا مِنَ الدَّاخِلِ مِنْ دَاخِلِ نُفُوسِـنَا وَفِي صَـمِيمِ كيَانِنَـا ، فَهَا نَحْنُ الْيَومَ فِي وَضْعٍ لَا نُحْسَدُ عَلَيهِ ، وَلَيْسَ لَنَا مِنْ عِلَاجٍ وَلَا مَلْجَإٍ إِلَّا بَالرُّجُوعِ إِلَى الله تَعَالَى وَدِينِهِ الحَنِيفِ ، فَإِنَّهُ لَا يَصْلُحُ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا ، أَلَا وَهُـوَ الدِّيْنُ الإِسْلَامِيُّ ، فَمَنْ طَلَبَ العِزَّةَ مِنْ غَيْرِهِ ذَلَّ ، وَلَقَدْ عَادَ لَنَا بَعْضُ الْأَمَلِ مِمَّا سَمِعْنَاهُ مِنْ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ مِنَ التَّقَارُبِ وَالتَّصَالُحِ بَينَ فَصَائِلِ الشَّعْبِ الفَلَسْطِينِي فِي انْتِفَاضَـةِ الْأَقْصَى وَتَوحِيدِ جُهُودِهِمْ ضِدَّ عَدُوِّهِمْ وَعَدُوِّ الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تكْرِيماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَـحْبِهِ ومَـنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ : سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْـرٍ

وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيـهِ وسَـلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِـي مُحَمَّـدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَـاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَـنْ عَمَّـي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَـعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْــمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا ، وعَلِيـهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَـا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَــا بِـالعَفْوِ والغُفْـرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوعِ بِلادِنَـا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبَنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَـانَا ، وعَـافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَ وَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا

، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإِسْلامَ والمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَوِّكَ أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئاً ، سَحّاً عَامّاً دَائِماً مُبَارَكاً فِيهِ ، نَافِعاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ ؛ يَزِدْكُمْ ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# عوامل النهضة العامَّةِ

## الخطبة الأولى

الْحَمْدُ لله الَّذِي دَعَانَا إِلَى طَرِيقِ الهُدَى وَالرَّشَادِ ، وَهَدَانَا إِلَى خَيرِ مَا هَدَى إِلَيهِ العِبَادَ ، وَجَعَلَنَا خَيرَ أُمَّةٍ بِأَكْرَمِ رَسُولٍ وَخَيرِ هَادٍ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سَنَّ لَنَا مِنَ الدِّينِ مَا فِيهِ صَلَاحُ دُنْيَانَا ، وَسَعَادَةُ أُخْرَانَا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، خَيرُ دَاعٍ إِلَى رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ ، فَكُنَّا بِهِ خَيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ .

اَللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْمُقْتَدِينَ بِهِ ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَتِهِ ، وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِ وَمَنْهَجِهِ ، إِلَى يَومِ الدِّينِ .

أَمَّا بَعْدُ : فأُوصِيكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعَالَى ، فَاتَّقُوا الله فِي أَنْفُسِكُمْ وَمَنْ تَعُولُونَ ، وَاتَّقُوا الله فِيمَا تَقُولُونَ ، وَمَا تَعْمَلُونَ ، وَمَا تَأْتُونَ وَمَا تَذَرُونَ ، وَتَمَسَّكُوا بِحَبْلِهَا المَتِينِ ، وَاعْتَصِمُوا بِعُرْوَتِهَا الوُثْقَى الَّتِي لَا تَنْفَصِمُ وَلَا تَلِينُ .

عِبَادَ الله: يَقُولُ الله جَلَّ جَلَالُهُ فِي مُحْكَمِ آيَاتِهِ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : فِي هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ ، يُحَدِّثُنَا الله جَلَّ وَعَلَا حَدِيثاً رَقِيقاً ، حِينَ يَدْعُونَا إِلَى أَنْ نَسْتَجِيبَ لَهُ وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَانَا لِمَا يُحْيِينَا ، وَالإِحْيَاءُ هُنَا هُوَ الإِحْيَاءُ

---

(١) سورة الأنفال آية ( ٢٤ )

الشَّامِلُ الكَامِلُ ، وَهُوَ النَّهْضَةُ بِأَسْمَى وَأَدَقِّ مَعَانِيهَا ؛ لأَنَّهُ يَشْتَمِلُ عَلَى إِحْيَاءِ الفَرْدِ ، وَإِحْيَاءِ الجَمَاعَةِ المُؤْمِنَةِ ، وَإِحْيَاءِ الأَنْفُسِ البَشَرِيَّةِ الَّتِي أَمَاتَهَا الخُمُولُ وَالْكَسَلُ وَالْخَوفُ ، وَإِحْيَاء الأَرْضِ البُورِ ، وَاسْتِصْلاَحِهَا لِلزِّرَاعَةِ ؛ لِكَي تَأْتِيَ أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ، وَإِحْيَاءُ الزَّمَانِ وَالْوَقْتِ الَّذِي يَذْهَبُ سُدىً ، وَالأَعْمَارِ الضَّائِعَةِ فِي البَطَالَةِ وَالتُّرَّهَاتِ ، وَفُرَصِ الشَّبَابِ الغَالِيَةِ العَزِيزَةِ الَّتِي تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ دُونَ جَدْوَى ، وَتَوْجِيهِهَا إِلَى التَّحْصِيلِ العِلْمِيِّ الجَادِّ ، وَالنَّفْعِ العَامِّ لِلْعِبَادِ وَالْبِلَادِ .

فَالرَّكِيزَةُ الأُولَى وَالدَّعَامَةُ الأَسَاسِيَّةُ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا إِعَادَةُ بِنَاءِ الأُمَّةِ الَّتِي انْهَدَّ بُنْيَانُهَا ، وَالحَضَارَةِ الَّتِي تَدَاعَتْ أَرْكَانُهَا ، وَإِقَامَةِ نَهْضَتِهَا فِي شَيبِهَا وَشُبَّانِهَا ، تِلْكَ الدَّعَامَةُ هِيَ الإِيمَانُ الرَّاسِخُ وَالدِّينُ الَّذِي يَدْفَعُ وَيُنَظِّمُ حَرَكَةَ الجَمَاهِيرِ فِي اتِّجَاهِ التَّقَدُّمِ وَالتَّطَوُّرِ، وَقَدْ أَسْفَرَتْ جُهُودُ العُلَمَاءِ وَالْمُؤَرِّخِينَ عَنْ حَقِيقَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ وَتَارِيخِيَّةٍ لَا شَكَّ فِيهَا هِيَ أَنَّ الدِّينَ صَانِعُ الحَضَارَاتِ ، وَأَنَّهُ مَا مِنْ حَضَارَةٍ قَامَتْ فِي الشَّرْقِ أَوِ الغَرْبِ إِلَّا عَلَى أَسَاسٍ دِيْنِيٍّ وَسَيَظَلُّ هَذَا فِي شَأْنِ الإِنْسَانِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ، بِرَغْمِ مَا يَدَّعِيهِ أَعْدَاؤُنَا عَلَى أَنَّ الدِّينَ مَدْعَاةٌ لِلتَّخَلُّفِ ، وَلَسَوفَ نَجِدُ نَحْنُ الْمُسْلِمونَ أَنَّ الدِّينَ يَمْنَحُ الأُمَمَ قُوَّةً فِي مُوَاجَهَةِ الأَزَمَاتِ الَّتِي تَحُلُّ بِهَا ، وَالْكَوَارِثِ الَّتِي تَنْزِلُ بِدِيَارِهَا ، هَذِهِ القُوَّةُ هِيَ القُوَّةُ الأَخْلَاقِيَّةُ أَوَّلاً ، فَالأُمَمُ الَّتِي تَكُونُ أَخْلَاقُهَا نَابِعَةً مِنْ إِيْمَانِهَا بِاللهِ ، يَتَوَافَرُ لَهَا أَعْظَمُ جَانِبٍ مِنْ ثَبَاتِ الشَّخْصِيَّةِ وَقُوَّتِهَا ، شَخْصِيَّةِ الفَرْدِ وَشَخْصِيَّةِ الجَمَاعَةِ .

فَالأَخْلَاقُ الدِّينِيَّةُ تَقُومُ عَلَى أَسَاسِ الإِيْمَانِ بِالآخِرَةِ وَالْجَزَاءِ الأُخْرَوِيِّ ، وَوُجُودُ هَذَا الإِحْسَاسِ فِي نَفْسِ كُلِّ فَرْدٍ مِنَّا يَخْلُقُ دَافِعاً ذَاتِيّاً وَحَافِزاً خَيِّراً فِي تَصَرُّفَاتِنَا مَعَ بَعْضِنَا البَعْضِ ، لأَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَكُونُ بِطَبْعِهِ أَنَانِيّاً جَشِعاً ، تَدُورُ أَعْمَالُهُ حَولَ ذَاتِهِ ، وَيَسْعَى دَائِماً

لِتَحْقِيقِ مَلَذَّاتِهِ ، لأَنَّهُ يُؤْمِنُ بِحَقِيقَةٍ أُخْرَى هِيَ أَنَّ ثَوَابَ الله خَيرٌ لَهُ وَأَبْقَى ، وَأَنَّ الجَـزَاءَ الأُخْرَوِيَّ هُوَ فِي إِنْكَارِ ذَاتِهِ وَذِكْرِ رَبِّهِ ، وَخِدْمَةِ وَطَنِهِ وَشَعْبِهِ وَمُجْتَمَعِهِ ، وَمِنْ هُنَا تَتَطَـوَّرُ البِلَادُ ، وَتَزْدَهِرُ الحَيَاةُ وَتَنْـتَعِشُ المَـشَارِيعُ العُمْرَانِيَّـةُ ، وَهَـذَا مِـنْ نَتَـائِجِ اسْـتِجَابَتِنَا للهِ وَلِرَسُولِهِ عِنْدَ مَا دَعَانَا لِمَا يُحْيِينَا وَيُسْعِدُنَا ، وَتَلْبِيَتِنَا لِدَعْوَةِ الله سُبْحَانَهُ .

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ إِنَّ الحَقِيقَةَ الكُبْرَى فِي حَيَاةِ هَذِهِ الأُمَّةِ ، وَفِي إِقَامَةِ نَهْضَتِهَا هِـيَ الـدِّينُ أَوَّلاً ، وَمِنْ هَذِهِ الحَقِيقَةِ الكُبْرَى تَبْزُغُ حَقَائِقُ أُخْرَى لَا بُـدَّ لَنَـا مِنْهَـا ، وَيَجِـبُ أَنْ نَعِيَهَـا وَنَفْهَمَهَا وَنَحْنُ نَخُوضُ مَعْرَكَةَ النَّهْضَةِ الشَّامِلَةِ ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ أَهَمِّيَّةَ الأَخْـلَاقِ الدِّينِيَّـةِ فِي بِنَاءِ نَهْضَةِ الأُمَّةِ ، وَبَقِيَ أَمَامَنَا حَقِيقَةٌ أُخْرَى دَعَا إِلَيهَا دِيْنُنَا وَأَكَّدَ عَلَيْهَا أَلَا وَهِيَ العِلْمُ ، الَّذِي يَبْدَأُ مَعَ الإِنْسَانِ مِنَ المَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ ، العِلْمُ الَّذِي يَبْحَثُ فِي صُنْعِ الله ، وَنَـوَامِيسِ كَونِهِ ، وَيَبْحَثُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَفِي السَّمَاءِ وَمَا يَـدُورُ فِيهَـا ، كَـمَا يَبْحَـثُ فِي تَارِيخِ المَاضِينَ وَسِيرَةِ الأَوَّلِـينَ ، وَكَيْـفَ عَاشُـوا ، وَكَيْـفَ بَـادُوا ، العِلْـمُ الَّـذِي يُـوَفِّرُ لِلإِنْسَانِ عَلَى الأَرْضِ الرَّخَاءَ وَالصِّحَّةَ والقُوَّةَ ، العِلْمُ الَّذِي يَكُونُ عَوْناً لِلشَّعْبِ فِي أَيَّـامِ السِّلْمِ ، وَعُدَّةً لَهُ فِي سَاعَاتِ الحَرْبِ وَالشِّدَّةِ ، هَذَا العِلْمُ هُـوَ الدَّعَامَـةُ الكَبِـيرَةُ فِي بِنَـاءِ النَّهْضَةِ وَالْعُمْرَانِ وَهُوَ العِلْمُ الَّذِي حَمَلَهُ أَسْـلَافُنَا ، فَـسَبَقُوا العَـالَمَ فِي مِـضْمَارِ الحَـضَارَةِ وَالتَّقَدُّمِ ، وَخَلَّفُوا لِلإِنْسَانِيَّةِ تُرَاثاً عَظِيماً مِنَ المَعْرِفَةِ وَالثَّقَافَةِ ، أَخَذَتْهُ أُورَبَـا لِتَـصْنَعَ مِـنْ مَعْلُومَاتِهِ حَضَارَةَ القَرْنِ العِشْرِينَ ، بَلْ مَا يُـسَمُّونَهُ بالأَلْفِيَّـةِ الثَّالِثَـةِ ، الَّتِـي تَتَـشَدَّقُ بِهَـا وَتَشْمَخُ عَلَينَا بِمَا حَقَّقَتْهُ مِنِ انْتِصَارَاتٍ رَهِيبَةٍ ، ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [1].

---

(١) سورة يونس آية (٦٢)

فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ : نَحْنُ اَلْيومَ فِي هَذَا المَكَانِ مِنَ العَالَمِ عَلَى أَبْوَابِ نَهْضَةٍ شَامِلَةٍ ، وَعَلَى مَشَارِفِ عَهْدٍ جَدِيدٍ يُبَشِّرُ بِنَهْضَةٍ عِلْمِيَّةٍ وَعُمْرَانِيَّةٍ ؛ لِنُعِيدَ لِلْوَطَنِ مَكَانَتَهُ ، وَنُحَقِّقَ مَا نَصْبُوا إِلَيهِ ، بَعْدَ أَنْ نُضمِّدَ جِرَاحَنَا ، وَنُلِمَّ شَمْلَنَا ، مِنْ جرَاَّءِ الحَرْبِ الطَّاحِنَةِ الَّتِي دَارَتْ رَحَاهَا فِي رُبُوعِ بِلَادِنَا وَأَعْطَتْنَا دَرْساً قَاسِياً مَرِيراً يَجِبُ أَنْ نَأْخُذَ العِبْرَةَ ، لِنَسْتَفِيدَ مِنْهَا فِي مُقتبَلِ حَيَاتِنَا ، وَلِنُقِيمَ بَعْدَ مَسْحِ آثَارِ الحَرْبِ وَالْفِتْنَةِ نَهْضَتَنَا المُرْتَقَبَةَ إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى ، وَنُعِيدَ لِلْوَطَنِ مِنَ الأَمْنِ وَالأَمَانِ وَالاسْتِقْرَارِ وَالطُّمَأْنِينَةِ وَالرَّفَاهِيَةِ ، وَالمَجْدِ وَالرِّفْعَةِ الَّتِي نَنْشُدُهَا ، وَلَقَدْ عَرَضَ الله عَلَينَا مَنْهَجَهُ فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ حِينَ قَالَ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ [1] ، وَمَازَالَتْ آيَاتُ الله تَرِنُّ فِي الآذَانِ ، وَتَقْرَعُ أَبْوَابَ القُلُوبِ وَتُلِحُّ عَلَيْنَا ، لأَنْ نَعُودَ إِلَى كِتَابِ رَبِّنَا، وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا، فَلَيسَ وَرَاءَهُمَا مِنْهَاجٌ لِلْمُؤْمِنِ ، وَلَيْسَ دُونَهُمَا وَسِيلَةٌ إِلَى نَهْضَةٍ ، مَهْمَا بُرِّقَتِ المَذَاهِبُ وَالدَّعَوَاتُ الجَدِيدَةُ المُضَلِّلَةُ ، وَمَهْمَا زُيِّنَتِ الأَفْكَارُ الغَرْبِيَّةُ أَوِ الشَّرْقِيَّةُ فَكُلُّ ذَلِكَ هَبَاءٌ ، وَأَمْرُهُ سَرَابٌ ضَائِعٌ ، ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧ ﴾ [2]

وَاذْكُرُوا دَائِماً أَنَّ النَّهَضَاتِ لَيْسَتْ حَالاً دَائِمَةً لأَحَدٍ مِنَ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ ، فَالنَّاهِضُونَ اَلْيَومَ مُتَخَلِّفُونَ غَداً ، وَالمُتَخَلِّفُونَ الْيَومَ نَاهِضُونَ غَداً ؛ لأَنَّ هَذِهِ هِيَ سُنَّةُ الحَيَاةِ الَّتِي كَتَبَهَا الله أَلاَّ تَتَخَلَّفَ أَوْ تَتبَدَّلَ ، ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [3] ، سُنَّةَ ﴿ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ سورة آل عمران آية( ١٤٠)

---

(١) سورة الأنفال آية ( ٢٤)

(٢) سورة الرعد آية (١٧)

(٣)

وَقَدْ أَشْرَقَتِ الحَضَارَةُ الإِسْلَامِيَّةُ عَلَى هَذِهِ الأَرْضِ المُسْلِمَةِ يَومَ هَبَّ أَسْلَافُنَا مِن نَومِ القُرُونِ لِيَحْمِلُوا رَايَتَهَا ، وَيُضِيئُوا شُعْلَتَهَا لِلْبَشَرِيَّةِ ، فَلَمَّا ضَعُفَتْ أَيْدِيهِمْ عَنْ حَمْلِ هَـذِهِ الرَّايَةِ ، تَقَدَّمَ مَنْ يَحْمِلُهَا ؛ لأَنَّ رَايَةَ الحَضَارَةِ لَا بُدَّ أَنْ تَظَلَّ مَرْفُوعَـةً خَفَّاقَـةً ، وَلَا بُـدَّ أَنْ يُقَيِّضَ الله مَنْ يَحْمِلُهَا مِنْ خَلْقِهِ ، وَنَحْنُ الآنَ بِعَوْنِ الله تَعَالَى نُحاوِلُ اسْتِعَادَةَ هَذِهِ الرَّايَـةِ وَرَفْعَهَا بِاسْمِ الإِسْلَامِ الخَالِدِ ، إِلَى أَنْ يَرِثَ الله الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ، وَلَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِلَّا بِالْعَوْدَةِ إِلَى كِتَابِ الله وَالاعْتِصَامِ بِحَبْلِـهِ المَتِيـنِ ، وَلَمِّ شَـتَاتِ الأُمَّـةِ وَالأَخْـذِ بِالْوَسَـائِلِ المُنَاسِبَةِ لِلزَّمَانِ وَالمَكَانِ ، أَمَّا إِذَا تَخَاذَلْنَا ، وَضَعُفَ إِيمَانُنَا عَـنْ شَرَفِ المَعْرَكَـةِ ، وَاكْتَفَيْنَـا بِالمَقْعَدِ الخَلْفِيِّ ، حِينَ يَحْرِصُ الآخَرُونَ عَلَى مَقْعَدِ الصَّدَارَةِ ، سَـجَّلْنَا لأَجْيَالِنَـا القَادِمَـةِ وَلِلتَّارِيخِ أَنَّنَا لَسْنَا جَدِيرِينَ بِالانْتِسَابِ إِلَى أُمَّة مُحَمَّدٍ ، وَلَسْنَا أَهْلاً لِتَحَمُّلِ أَمَانَةِ دَعْوَتِـهِ ، وَمُهِمَّةِ رِسَالَتِهِ وَحُقَّ فِينَا قَولُ الله عَزَّ وَجَلَّ ، ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾[1] ، وَهَذَا مَا يَتَّهِمُنَا بِهِ أَعْدَاؤُنَا مِـنَ المُسْتَـشْرِقِينَ ؛ لِمَـا يَرَوْنَـهُ فِينـاَ مِـنْ تَخَلُّفٍ وَتَأَخُّرٍ.قَالَ رَسُولُ الله صَلَى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمْ :« إِنَّ هَذَا القُرْآنَ طَرْفُهُ بِيَـدِ الله ، وَطَرْفُهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا ، وَلَنْ تَهْلَكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا »[2] .

وَعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ :« إِنَّ الله قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، أَلَا إِنَّ الله قَدْ فَـرَضَ فَـرَائِضَ ، وَسَنَّ سُنَنَاً ، وَحَدَّ حُدُوداً ، وَأَحَلَّ حَلَالاً ، وَحَرَّمَ حَرَاماً ، وَشَرَعَ الـدِّينَ فَجَعَلَـهُ سَـهْلاً

---

(١) سورة محمد آية ( ٣٨)

(٢) رَوَاهُ الطَّبَرَانِي فِي الكَبِيرِ ٢٢/ ١٨٨) رقم (٤٩١) من حديث أبي شريح الخزاعي قال ( خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله قالوا بلى قال إن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا ) وفي الترغيب والترهيب (إسناده جيد) (١/ ٤١)، وفي مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح،(١/ ١٦٩)،كما رواه ابن حبان في صحيحه (١/ ٣٢٩) (ذكر نفي الضلال عن الأخذ بالقرآن ) رقم (١٢٢).

سَمْحاً وَاسِعاً ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ ضَيِّقاً ، أَلَا إِنَّهُ لَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ ، وَمَنْ نَكَثَ ذِمَّةَ اللهِ طَلَبَهُ ، وَمَنْ نَكَثَ ذِمَّتِي خَاصَمْتُهُ ))[1] .

اَللَّهُمَّ وَفِّقْ وُلَاةَ أُمُورِنَا وَوَفِّقْنَا لِمَا فِيهِ خَيرُ العِبَادِ وَالْبِلَادِ ، وَخُذْ بِأَيْدِينَا وَأَيْدِيهِمْ وَنَواصِينَا وَنَوَاصِيهِمْ إِلَى مَا فِيهِ الصَّلَاحُ وَالْفَلَاحُ وَالنَّجَاحُ إِنَّكَ كَرِيمٌ رَحِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ .وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2] وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾[3].       أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[4].

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ فَيَا فَوْزَ الْمُسْتَغْفِرِينَ .

---

(١)رواه الطبراني في الكبير بسنده عن ابن عباس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال "إن الله عز وجل أعطى كل ذي حق حقه ألا إن الله فرض فرائض وسن سننا وحد حدودا وأحل حلالا وحرم حراما وشرع الدين فجعله سهلا سمحا واسعا ولم يجعله ضيقا ألا إنه لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له ومن نكث ذمتي لم ينل شفاعتي ولم يرد علي الحوض ألا إن الله عز وجل لم يرخص في القتل إلا ثلاث مرتد بعد إيمان أو زان بعد إحصان أو قاتل نفس فيقتل بقتله ألا هل بلغت "(١١/ ٢١٣) رقم(١١٥٣٢) وفيه حسين بن قيس الملقب بحنش وهو متروك الحديث، قاله في مجمع الزوائد (١/ ١٧٢)

(٢) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٣) سورة النحل الآية (٩٨).

(٤) سورة الحج آية ( ٤٠ـ٤١)

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَـدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْـدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيـكَ لَـهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَــهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَــهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَــهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَــهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلَائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ الُمحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَـلَى آلِــهِ وصَـحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أما بعدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى ، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : لَا تَسْتَطِيعُ أَيَّةُ أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ أَنْ تَنْهَض إِلَّا إِذَا مَلَكَـتْ وَسَـائِلَ النَّهْضَةِ الأَسَاسِيَّةِ ، مِنَ التَّمَسُّكِ بِمَبادِئِ الإِسْلَامِ وَأَخْلَاقِهِ العَالِيَـةِ ، وَآدابِـهِ الـسَّامِيَةِ ، وَتَجْنِيدِ كُلِّ الإِمْكَانَاتِ اَلْبَشَرِيَّةِ وَالْمَادِيَّةِ فِي إِطَارٍ وَاحِدٍ مُوَحَّدٍ تَحْتَ إِمْرَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَقِيَـادَةٍ حَكِيمَةٍ تَمْتَلِكُ الحِكْمَةَ وَالْحِنْكَةَ وَالْخِبْرَةَ وَالتَّجْرِبَةَ ، تَجْمَعُ شَتَاتَ الأُمَّةِ ، وَتَرُصُّ صُفُوفَهَا حَتَّى يَلْتَقِيَ الجَمِيعُ فِي مُجْتَمَعٍ مُتَحَابٍّ بِرَوْحِ الله ، مُلْتَقِي عَـلَى شَـعَائِرِ الإِسْـلَامِ ، تَرْبُطُـهُ أَوَاصِرُ الأُخُوَّةِ فِي الله ، وَنَحْنُ اليَومَ فِي هَذَا المَكَانِ مِنَ العَـالَمِ بِحَاجَـةٍ مَاسَّـةٍ وَمُلِحَّـةٍ إِلَى

التَّرَابُطِ الرُّوحِيِّ ؛ لأَنَّهُ أَسَاسُ الحَيَاةِ السَّعِيدَةِ المُطْمَئِنَّةِ ، وَمَصْدَرُ الوحْدَةِ الحَقِيقِيَّةِ الَّتِي نَنْشُدُهَا ، فَلَا بُدَّ إِذاً مِنَ الثِّقَةِ المُتَبَادِلَةِ ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بَينَ الحَاكِمِ وَالمَحْكُومِ ، وَالْقَاعِدَةِ وَالْقِمَّةِ، وَبَيْنَ الأَفْرَادِ وَالجَمَاعَاتِ ، بَينَ العُلَمَاءِ وَأَهْلِ الرَّأْيِ وَالمَشُورَةِ ، لَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يَدَّعِيَ الوِصَايَةَ عَلَى الآخَرِينَ ، مَهْمَا كَانَتْ لَدَيْهِ مِنَ الإِمْكَانَاتِ ، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ الوحْدَةِ ، وحْدَةِ المَحَبَّةِ ، وحْدَةِ المَوَدَّةِ ،وحْدَةِ الخَيْرِ ، وحْدَةِ الإِيمَانِ وَالتَّصَافِي وَالإِيثَارِ ، لَا مَكَانَ فِيهَا لِلتَّمَزُّقِ وَالتَّنَافُرِ وَالتَّبَاعُدِ وَالاسْتِبْدَادِ وَالفَرْدِيَّةِ بِالرَّأْيِ ، وَلَقَدْ هَانَ المُسْلِمُونَ أَفْرَاداً وَهَانُوا شُعُوباً يومَ وَهَتْ أَوَاصِرُ الأُخُوَّةِ بَيْنَهُمْ ، وَضَعُفَتْ رُوحُ الإِخَاءِ وَالتَّنَاصُرِ فِي مُجْتَمَعَاتِهِمْ ، وَسَاءَ ظَنُّهُمْ، وَخَبُثَتْ طَبَائِعُهُمْ ، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ : (( إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ ، وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوانَاً كَمَا أَمَرَكُمُ الله تَعَالَى))[1] ، (( المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ مَالُهُ وَدَمُهُ وَعِرْضُهُ ))[2] .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

---

(١) الحديث في الصحيحين وغيرهما ، أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع مختلفة أولها(٥/ ٢٢٥٣) (٥٧ باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر وقوله تعالى ومن شر حاسد إذا حسد)رقم( ٥٧١٧ )، و مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٥)( ٩ باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها )رقم(٢٥٦٣ ).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٦) (١٠ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله) رقم(٢٥٦٤)، وغيره

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَـحْبِهِ ومَـنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ : سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْـرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيـهِ وسَـلَّمَ سَـيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقـيَّةِ العَـشَرَةِ الـمُبَـشَّرَةِ ، الَّـذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَـعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْــمَنِ وأَبِــي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجـلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا ، وعَلِيـهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَـا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـــا بِـالعَفْوِ والغُفْـرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِيـرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوع بِلادِنَـا خَاصَّةً وسَائِر بِـلاد الـمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبِنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَـانَا ، وعَـافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَـا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْـدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ .

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثـاً هَنِيئاً مَرِيئـاً ، سَحّاً عَامّـاً دَائِمـاً مُبَارَكاً فِيـهِ ، نَافِعاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَـــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَزِدْكُمْ ، وَلَذِكْرُ الله كْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# في المصائب دروس مفيدة [1]

## الخطبة الأولى

الْحَمْدُ لله الْمُتَفَرِّدِ بِعَظَمَتِهِ وَكِبْرِيائِهِ ، لَهُ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ فِي رِقَابِ عَبِيدِهِ وَأَرِقَّائِهِ ، وَنَسْأَلُهُ تَعَالَى التَّخْفِيفَ عَنَّا فِي امْتِحَانِهِ وَابْتِلائِهِ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي أَرْضِهِ وَسَمائِهِ ، شَهَادَةً تَطْمَئِنُّ بِهَا النُّفُوسُ ، وَتَتَطامَنُ لَهَا الرُّؤُوسُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى رَسُولِكَ الأَمِينِ ، قائِدِ الغُرِّ الْمُحَجَّلِينِ ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، وَأَصْحابِهِ الْمُنْتَخَبِينَ ، وَتابِعِيهِمْ المَيامِينِ إِلَى يَومِ الدِّينِ .

أَمَّا بَعْدُ : فيا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعَالَى ، فَإِنَّهَا العُرْوَةُ الوُثْقَى الَّتِي لا تَنْفَصِمُ عُراهَا ، وَتَزَوَّدُوا بِهَا فَإِنَّ خَيرَ الزَّادِ التَّقْوَى ، وَتَحَلُّوا بِحِلْيَتِهَا الَّتِي لا تَخْلَقُ وَلا تَبْلَى .

عِبادَ الله : يَقُولُ الله تَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ القَائِلِينَ : ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [2]

---

(١) لقد ذكر الخطيب هنا حوادث وقعت سابقا كزلـزال تركيا وشرق آسيا فليراعي من يريد أن يخطب بهذه الخطبة فليذكر الأحداث الجديدة إن وجدت لا قدر الله وإلا فليعمم ولا يعين حادثا بخصوصه .

(٢) العنكبوت (١-٣) .

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : إِنَّ لِلْمَـصائِبِ وَالْكَـوارِثِ الَّتِـي تَنْـزِلُ بِالنَّـاسِ ، لَهَـا فِي نَظَـرِ الإِسْلامِ مَفْهُومٌ خاصٌّ وَمَعْنىً مُحَدَّدٌ ، يَفْهَمُهُ كُلُّ مَـنْ لَـهُ بـاعٌ طَوِيـلٌ فِي العِلْـمِ ، وَقَـدَمٌ راسِخَةٌ فِي الإِيْمانِ ، لا تُزَعْزِعُـهُ العَواصِـفُ العاتِيَـةُ ، وَيَقِـينٌ ثابِـتٌ لا تَهُـزُّهُ الأَعاصِـيرُ الهائِجَةُ ، وَهِيَ لَيْسَتْ فِي نَظَرِ الْمُؤْمِنِ دائِماً عَلامَةُ سُخْطٍ مِنَ اللهِ تَعالَى كَما يَعْتَقِدُها بَعْـضُنَا ، كَما أَنَّ النِّعْمَةَ مِنْ مالٍ وَبَنِينٍ وَصِحَّةٍ لَيْسَتْ دائِماً دَلالَةُ رِضًا مِنهُ تَعالَى ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى يُجْرِي النِّعَمَ وَالنِّقَمَ وَالْمَصائِبَ وَالزِّلْزالَ ، وَالْخَيرَ وَالـشَّرَّ ، وَالْفَقْـرَ وَالْغِنَـىَّ ، وَالـصِّحَّةَ وَالْمَرَض ، عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ خَلْقِهِ ، ابْتِلاءً وامْتِحاناً لِيَرَى تَصَرُّفاتِهِمْ حِيالَهَـا ، وَمَـا تُكِنُّـهُ صُدُورُهُمْ مِنْ إِيْمانٍ وَثِقَةٍ ، وَصَبْرٍ واحْـتِمالٍ أَوِ العَكْـسِ ، فـالْمُؤْمِنُ الحَـقُّ يَكُـونُ وَقْـت الشَّدائِدِ صابِراً ثابِتاً راضِياً مُتَقَبِّلاً لِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ الَّذِي لا مَفَرَّ مِنْهُ إِلاَّ إِلَيهِ ، فَلا يَتَذَمَّرُ ، وَلا يَتَبَرَّمُ ، وَلا يَتَشَكَّى مِمَّا نَزَلَ بِهِ ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴾[1] .

وَلَقَدْ جَعَلَ اللهُ الْمُصِيبَةَ كَما نَعْتَقِدُ سُلَّماً لِلارْتِقاءِ الرُّوحِيِّ ، وَتَكْفِـيراً لِلْخَطايَـا وَسَـبَباً لِنَيلِ الدَّرَجاتِ العُلَى ، وَالْحُصُولِ عَلَى الثَّوابِ الجَزِيلِ :

**جَــزَى اللهُ المَـصائِبَ كُـلَّ خَـيرٍ أَفادَتْنَـــا عُلُومًـــا نافِعَـــاتٍ**

وَالْمُؤْمِنُ عِنْدَ مَا تَنْزِلُ بِهِ المَصائِبُ وَالْكَـوارِثُ يَـسْتَرْجِعُ وَيَقُـولُ كَلِمَـةً عَلَّمَنَـا اللهُ إِيَّاهَـا لِنُرَدِّدُهَا عِنْدَ الْمُهِمّاتِ وَالْمُلِمّاتِ فَقالَ تَعَـالَى :﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾[2] ، وَأَرْشَدَنَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَقُولَ فِي مِثْلِ هَذا المَقامِ ، فَقالَ

---

(١) المعارج (١٩) .

(٢) البقرة (١٥٦) .

: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُـولُ مَـا أَمَـرَهُ الله ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ ، اللَّهُـمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ الله لَهُ خَيْرًا مِنْهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ [(1)] .

فَكَلِمَةُ إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيهِ راجِعُـونَ ، إذا آمَـنَ الإِنْـسانُ بِمُحْتَواهَـا وَعَمِـلَ بِمُقْتَـضاها ، وَهَانَتْ عَلَيهِ مَصائِبُ الأَرْضِ قاطِبَةً ، فَهِيَ تَتَضَمَّنُ أَصْلَيْنِ هامَّينِ :

أَوَّلُهُمَا : إِنَّ نَفْسَ الإِنْسانِ الَّتِي بَينَ جَنْبَيهِ ، وَأَهْلَهُ وَمالَهُ وَوَلَدَهُ وَمَنْ حَوالَيْهِ وَما حَوالَيْهِ مِلْكٌ لله وَحْدَهُ ؛ لأَنَّهَا بِمَثابَةِ أَمَانَةٍ وَوَدِيعَةٍ عِنْدَهُ تُعادُ لِمَالِكِهَا الحَقِيقِيِّ مَتَى أَرادَ وَهُوَ الله تَعَالَى :

وَمـا المـالُ وَالأَهْلُـونَ إِلاَّ وَدَائِـعُ     وَلا بُـدَّ يَومًـا أَنْ تُـرَدُّ الوَدائِـعُ

ثانِيهَا : إِنَّ مَصِيرَ الإِنْسانِ نَفْسِهِ وَمَرْجِعَهُ إِلَى الله تَعَالَى عاجِلاً أَوْ أَجِلاً ، وَلا بُدَّ مِنْ أَنْ يُخَلِّفَ يومًا ما كُلَّمَا كانَ فِي حَوْزَتِهِ وَراءَ ظَهْرِهِ وَيَأْتِي رَبَّهُ يومَ القِيامَـةِ فَـرْداً كَـمَا خَلَقَـهُ الله أَوَّلَ مَرَّةٍ ، بِلا أَهْلٍ وَلا مالٍ وَلا عَشِيرَةٍ ، وَلَكِـنْ يِأْتِيـهِ بِالحَـسَناتِ وَالـسَّيِّئاتِ لِيُجـازَى وَيُحاسَبُ عليهَا﴿ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾[(2)] .

فالمُؤْمِنُ إِذا صَبَرَ وَاحْتَسَبَ عِنْدَ نُزُولِ المُصِيبَةِ بِهِ نالَ ثَوابَ الله عَزَّ وَجَلَّ ، فَفِـيمَا رَواهُ البُخارِيُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : «مَا يُصِيبُ المسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُـزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَة يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ الله بِهَـا مِـنْ خَطَايَـاهُ»[(3)] ، وَعَنْـهُ أَيْـضاً :

---

(1) أخرجه مسلم (٢/ ٦٣١ ، رقم ٩١٨) ، وابن ماجه (١/ ٥٠٩ ، رقم ١٥٩٨) .

(2) الأنعام (٩٤) .

(3) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٣ ، رقـم ٨٠١٤) ، وعبـد بـن حميـد (ص ٢٩٨ ، رقـم ٩٦١) ، والبخـاري (٥/ ٢١٣٧ ، رقـم ٥٣١٨) ومسلم (٤/ ١٩٩٢ ، رقم ٢٥٧٣) .

((مَنْ يُرِدْ الله بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ)) [١]، وَسُئِلَ صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ: ((أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً فَقَالَ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ)) [٢].

هَذا ما كانَ مِنْ أَمْرِ الْمُؤْمِنِ عِندَ نُزُولِ الْمُصِيبَةِ، أَمَّا غَيرُ الْمُؤْمِنِ إذا حَلَّتْ بِهِ نازِلَةٌ، أَوْ حَصَلَتْ لَهُ كارِثَةٌ خارَتْ عَزِيمَتُهُ، وَلانَتْ قَناتُهُ، وَتَزَعْزَعَتْ عَقِيدَتُهُ، وَبَدا هَلِعاً قَلِقاً مُضْطَرِباً، وَهَذا الصِّنْفُ مِنَ النَّاسِ هُمُ الَّذِينَ عَرَّفَهُمُ الله بِقَولِهِ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [٣].

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ: لَقَدْ عَلِمَ الجَمِيعُ ما نَقَلَتْهُ وَسائِلُ الإعْلامِ المَسْمُوعَةِ وَالْمَقْرُوءَةِ، وَالْمَرْئِيَّةِ مُنذُ أَيَّامٍ مِنْ فَجائِعَ الزِّلْزالِ الْمُدَمِّرِ الَّذِي حَطَّ بِثُقلِهِ عَلَى شَعْبٍ مُسْلِمٍ، ذَلِكَ هُوَ الشَّعْبُ التُّرْكِيُّ الشَّقِيقُ، مِمَّا كانَ لَهُ أَسْوَءُ الأَثَرِ عَلَى حَياةِ الآلافِ الْمُؤَلَّفَةِ مِنَ البَشَرِ الَّذِين دُمِّرَتْ بُيُوتُهُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، فَأَصْبَحُوا تَحْتَ الأَنْقاضِ مَوتَى وَجَرْحَى ضَحايَا الكَارِثَةِ الْمُرَوَّعَةِ فِي تِلْكَ الْمُدُنِ الْمَنْكُوبَةِ المَنْكُودَةِ، فَكَمْ جَرَّتْ هَذِهِ الفَاجِعَةُ عَلَى مَنْ نَزَلَتْ بِهِمْ مِنْ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٧، رقم ٧٢٣٤)، والبخارى (٥/ ٢١٣٨، رقم ٥٣٢١)، وابن حبان (٧/ ١٦٨، رقم ٢٩٠٧). وأخرجه أيضًا: مالك (٢/ ٩٤١، رقم ١٦٨٤)، وابن المبارك (١/ ١٥٨، رقم ٤٦٤)، والقضاعى (١/ ٢٢٤، رقم ٣٤٤)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ١٤٤، رقم ٩٧٨٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند العشرة المبشرين في مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، والترمذي في سننه في كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء.

(٣) الحج (١١).

شَقاءٍ وَخَرابٍ وَدَمَارٍ وَتَشْرِيدٍ ، وَيُتْمٍ وَتَرَمُّلٍ ، وَمِمَّاً أَعْيا المُنَظَّماتِ مِنْ تَقْدِيمِ وَسائِلِ الإِنْقاذِ وَالإِسْعافِ لِلْمَنْكُوبِينَ ؛ لِصُعُوبَةِ الوُصُولِ إِلَى مَنْ يَسْتَحِقُّ وَانْقِطاعِ الطُّرِقِ وَالْوَسائِلِ ، وَكَمْ تَكُونُ نَتائِجُ ذَلِكَ مِنْ أَمْراضٍ وَتَلَوُّثٍ وأوبئة ، قَدْ تَكُونُ أَشَدَّ مُصِيبَةٍ مِنَ الزِّلْزالِ نَفْسِهِ إِذا لَمْ يَهُبَّ النَّاسُ فِي كُلِّ أَنْحاءِ العالَمِ بِالْمُساعَدَةِ الْمُسْتَعْجَلَةِ ، وَالنَّجْدَةِ لإِغاثَةِ ذَلِكَ الشَّعْبِ ، فَإِنَّ وَقْعَ الكارِثَةِ سَيِّئٌ جِداً عَلَى الَّذِينَ عاشُوهَا ، واصْطَلَوا بنارِهَا ، وَذاقُوا مَرارَتَهَا ، وَعَلَى الَّذِينَ فَقَدُوا الأَهْلَ وَالْمَالَ وَالْوَلَدَ وَأَصْبَحَتْ مَساكِنُهُمْ أَنْقَاضاً وَأَكْواماً ، وَكُلَّ يَومٍ تَتَجَدَّدُ الأَخْبارُ عَنْ فَجائِعَ الكارِثَةِ ، الَّتِي أَقْضَّت المَضاجِعَ ، وَأَوْحَشَت المَرابعَ ، وَأَجْرَتِ المَدامِعَ ، حَتَّى قِيلَ أَنَّ عَدَدَ الضَّحايا بالزِّلْزالِ مِنَ البَشَرِ عَشَراتُ الأُلُوفِ ، وَلا يَزالُ تَحْتَ الأَنْقاضِ أناسٌ كثر ، فَكَيفَ بالجَرْحَى وَالخَسائِرِ المادِيَّةِ ، وَمَعَ هَذِهِ الحَوادِثِ والفَجائِعِ قَلِيلاً ما نَسْمَعْ كَلِمَةَ اسْتِرْجاعٍ :( إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيهِ راجِعُونَ ) لَمْ نَسْمَعْ إِلاَّ طَلَبَ النَّجْدَةِ .

الآنَ يَأْتِي دَورُ الشُّعُوبِ وَحُكُومَتِهِمْ فِي القِيامِ بِواجِبَاتِهِمْ ، كُلٌّ فِي مَجَالِهِ يَعْمَلُ مَا يُمْكِنُ عَمَلُهُ ، وَهَذا امْتِحانٌ عَسِيرٌ لِمَدَى مَشاعِرِهِمْ الإِسْلامِيَّةِ تجاهَ هَذا الشَّعْبِ واخْتِبَارٌ لِلدُّوَلِ وَالشُّعُوبِ الإِسْلامِيَّةِ وَالعالَمِيَّةِ لِمُسْتَوَى مَشاعِرِهِم الإِنْسانِيَّةِ فِي تَقْدِيمِ العَونِ المادِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ ، غَيرَ أَنَّهُ بَلَغَنَا أَخِيراً أَنَّ الشَّعْبَ التُّرْكِيَّ وَقَفَ صامِداً ، إِذْ هَبَّ مِنْ بَعْدِ ذُهُولِهِ مِنْ أَثَرِ الصَّدَمَةِ وَقامَ عَنْ بُكْرَةِ أَبِيهِ بِتَقْدِيمِ ما يُمْكِنُ تَقْدِيمُهُ وَقَامَتِ الدَّولَةُ بِأَجْهِزَتِهَا بِتَقْيِيمِ خَسائِرِ الكارِثَةِ الفادِحَةِ الإِنْسانِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْعُمْرانِيَّةِ ، وَوَضَعَتْ لَهَا البَرامِجَ العِلاجِيَّةَ المُناسِبَةَ كَمَا نَشَطَتْ كَثِيرٌ مِنَ الدُّوَلِ الكُبْرَى العالَمِيَّةِ وَغَيرِهَا ، فَأَسْرَعَتْ بِإِرْسالِ الأَطِبَّاءِ وَالْمُوادِّ الطِّبِّيَّةِ وَالْمُساعَداتِ الإِنْسانِيَّةِ الْمُسْتَعْجَلَةِ ؛ لِلتَّخْفِيفِ مِنْ وَقْعِ المأساةِ .

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : إِنَّ هَذِهِ المَصائِبَ وَالكَوارِثَ موعِظَةٌ وَامْتِحانٌ وَابْتِلاءٌ لِمَدَى أَخْلاقِ وَإِيْمانِ واحْتِمالِ مَنْ نَزَلَتْ بِدِيارِهِمْ ، كَمَا أَنَّهَا امْتِحانٌ وَابْتِلاءٌ وَمَوعِظَةٌ لَنَا وَنَحْنُ لَمْ نَكُنْ مَنْأًى عَنْ مَوقِعِ الكارِثَةِ ، فَقَدْ كانَتْ الكارِثَةُ عِبارَةٌ عَنْ قِيامَةٍ صُغْرَى ، فَقَدْ شَمِلَتْ المُحِيطَ الهِنْدِي مِنْ سُومَطْرا إِنْدُونِيسِيَا حَتَّى التَّيْلانْدَ وَسَرِيلَنْكا وَأَطْرافِ الهِنْدِي وَغَيْرِهَا ، وَلَمَّا كانَ المالُ قِوامَ الحَياةِ ، كانَ بَذْلُهُ بِسَخَاءٍ فِي سَبِيلِ غَوثِ المَنْكُوبِينَ مِنْ أَجَلِّ القُرُباتِ إِلَى اللهِ سُبْحانَهُ ، وَمِنْ أَوْثَقِ أَواصِرِ وَأَسبَابِ التَّوَاصُلِ ، وَالْوُقُوفِ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ مَعَ إِخْوانِنَا فِي الدِّينِ وَالْجِوارِ ، لِنَمْسَحَ دُمُوعَهُمْ وَنُجْبِرَ خَواطِرَهُمْ وَنُضَمِّدَ جِراحَهُمْ ، وَنُعِيدَ البَسْمَةَ إِلَى شِفَاهِهِمْ ، وَالْوَضاءَةَ إِلَى وُجُوهِهِمْ ، وَالسُّرُورَ إِلَى أَفْئِدَتِهِمْ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ، «وَالْمُؤْمِنُونَ كالْبُنْيانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» ، « وَالْمُؤْمِنُونَ كالْجَسَدِ الواحِدِ إِذا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَداعَى لَهُ سائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » ، « وَالنَّاسُ عِيالُ اللهِ وَأَحَبُّهُمْ إِلَيهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيالِهِ » .

أَمَّا مَنْ وَقَفَ وَقْفَةَ المُتَفَرِّجِ مِنَ الدُّوَلِ وَالشُّعُوبِ كَأَنَّما لا يَعْنِيهِمْ مِنَ الأَمْرِ شَيءٌ بَلْ سَخِرَ وَشَمِتَ البَعْضُ بِحُجَّةِ أَنَّ الشَّعْبَ التُّرْكِي شَعْبٌ مُنْحَرِفٌ مُتَطَرِّفٌ فَما نَزَلَ بِهِ مِنْ زِلْزالٍ وَكَوارِثِ يَسْتَحِقُّها فَيَضَعُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ حُكَّاماً مِنْ دُونِ اللهِ فِي أَرْضِهِ عَلَى خَلْقِهِ حَسْبَ فَهْمِهِمْ .

نَعَمْ إِنَّ المُؤْمِنَ الحَقَّ إِذا نَزَلَ بِهِ مُصِيبَةٌ يَسْتَرْجِعُ وَيَعْتَقِدُ اعْتِقاداً جازِماً أَنَّ مَا نَزَلَ بِهِ هُوَ جَزاءُ مَا كَسَبَتْ يَداهُ ، وَأَنَّهُ كَفارَةُ ما اقْتَرَفَهُ مِنْ مَعَاصٍ وَذُنُوبٍ ، هَذا فَهْمُ العُقَلاءِ المُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنْ عَلَى مَنْ حَولَهُ أَنْ يَعْتَبِرَ وَلا يَشْمَتُ ، « لا تُظْهِرِ الشَّماتَةَ بِأَخِيكَ فَيُعافِيهِ اللهُ وَيبْتَلِيكَ »[1]، اللَّهُمَّ لا شَماتَةَ .

---

(١) أخرجه الترمذى (٤/ ٦٦٢ ، رقم ٢٥٠٦) وقال : حسن غريب . والطبرانى (٢٢/ ٥٣ ، رقم ١٢٧) . وأخرجه أيضًا : القضاعى (٢/ ٧٨ ، رقم ٩١٩) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٥/ ٣١٥ ، رقم ٦٧٧٧) ، والخطيب (٩/ ٩٥) عن واثلة بن الأسقع مرفوعا.

اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَقْتَكَ وَغَضَبَكَ عَنَّا ، يا مَنْ إِلَيهِ تُرْفَعُ الأَكُفُّ ، وَتُمَدُّ الأَيْدِي ضارِعَةً ، فَلا تَرُدَّهَا خائِبَةً ، وَلا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَينٍ ، اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا رُشْدَنَا ، وَخُذْ بِنَواصِينَا إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُنَا وَصَلاحُنَا ، واخْلُفِ اللَّهُمَّ عَلَى مَنْ نَزَلَتْ بِهِمْ الْمُصِيبَةُ خَيراً إِنَّكَ سَمِيعٌ مُجِيبُ الدُّعاءِ .

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[2].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[3] .

بارَكَ الله لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم .

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) البقرة (١٥٥) .

# الخطبة الثانية

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَـدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْـدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيـكَ لَـهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَــهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَــهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَــهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلَائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ الْمُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَـلَى آلِــهِ وصَـحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أما بعدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى ، اتَّقُوا اللهَ مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

عِبادَ الله : أَلا مَا أَشَدَّ وَقْعَ الْمُصِيبَةِ فِي النُّفُوسِ ، وَتَكُونُ أَشَدَّ أَلَمَاً وَوَقْعاً عِنْدَ مَا يَتَخَلَّى عَنْهُمْ الأَصْدِقاءُ ، وَيَبْتَعِدُ عَنْهُمْ الإِخْوانُ وَالأَخِلاَّءُ ، وَالْمَرْءُ قَلِيلٌ بِنَفْسِهِ كَثِـيرٌ بِإِخْوانِـهِ ، وَتَتَجَلَّى الأَخْلاقُ الحَمِيدَةُ عِنْدَ الشَّدائِدِ ، وَيَتَّضِحُ الأَصِيلُ مِنَ الْمُزَيَّـف ، وَالـصَّادِقُ مِـنَ الكاذِبِ ، وَالْمُؤْمِنُ مِنَ الْمُنَافِقِ

وَهُناكَ أُمُورٌ أَمَرَنا اللهُ بِهَا ، تَكُونُ عِلاجاً مُفِيداً ناجِعاً لَنَا فيما حَـلَّ بِنَـا تُـسَاعِدُنا عَـلَى تَحَمُّلِ الْمُصِيبَةِ ، أَهَمُّهَا الرِّضَاءُ بِقَضاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ ، حَيثُ لا رَادَّ لِقَضَائِهِ وَلا دافِعَ لِقَدَرِهِ .

واعْلَمْ « أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ »[1] وَهُوَ أَعْظَمُ عَزاءٍ وَسَلْوانٍ لِلْمُؤْمِنِ إذا مَا صَبَرَ واحْتَسَبَ مُصِيبَةً لِوَجْهِ الله تَعَالَى ، رَجَاءَ أَنْ يُخْلِفَهُ الله بِخَلَفٍ صالِحٍ ، خيراً لَهُ مِمَّا فاتَ ، فَإِنَّ الله لا يُخَيِّبُ رَجاءَ راجٍ وَلا أَمَلَ مُؤَمِّلٍ .

وَلْيَعْلَم الإِنْسانُ أَنَّ حَظَّهُ مِنَ المُصِيبَةِ هُوَ مَا قَدْ تَتْرُكُهُ مِنْ آثارٍ في نَفْسِهِ يَتَّعِظُهَا هُوَ وَغَيْرُهُ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[2] ، وَالْعَاقِلُ مَنْ اتَّعَظَ بِغَيْرِهِ ، وَرَحِمَ الله امْرَأً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ ، وَمِمَّا وَرَدَ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ الله إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»[3].

وَمِمَّا يُواجَهُ بِهِ الشَّدائِدَ وَالمَصائِبَ ، الصَّبْرُ وَالاحْتِمالُ ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدَمَةِ الأُولَى فَهُوَ عِلاجٌ مُخَفِّفٌ ، وَدَواءٌ مُلْطِفٌ ، وَهُوَ خُلُقٌ فاضِلٌ مِنْ أَخْلاقِ الإِسْلامِ ، قالَ الإِمامُ عَلِي كَرَّمَ الله وَجْهَهُ : « الصَّبْرُ ثَلاثَةٌ :صَبْرٌ عَلَى المُصِيبَةِ ، وَصَبْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَصَبْرٌ عَلَى المَعْصِيَةِ » . وَلَقَدْ وَعَدَ الله الصَّابِرِينَ بالأَجْرِ العَظِيمِ فَقالَ سُبْحانَهُ وَتَعَالَى ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[4].

---

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد (٥/ ١٨٢ ، رقم ٢١٦٢٩) ، وعبد بن حميد (١/ ١٠٩ ، رقم ٢٤٧) ، وأبو داود (٤/ ٢٢٥ ، رقم ٤٦٩٩) ، وابن ماجه (١/ ٢٩ ، رقم ٧٧) ، وابن حبان (٢/ ٥٠٥ ، ٢٧٢٧) ، والطبرانى (٥/ ١٦٠ ، رقم ٤٩٤٠) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (١/ ٢٠٣ ، رقم ١٨٢) .

(٢)سورة ق (٣٧) .

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠١ ، رقم ٢٣٩٦) وقال : حسن غريب . وابن ماجه (٢/ ١٣٣٨ ، رقم ٤٠٣١) . وأخرجه أيضًا : البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٤٤ ، رقم ٩٧٨٢) ، والقضاعي (٢/ ١٧٠ ، رقم ١١٢١) عن أنس بن مالك مرفوعا.

(٤)الزمر(١٠) .

وَأَخْـبَرَ أَنَّـه مَعَهُـمْ بِهِدايَتِـهِ وَنَـصْرِهِ وَمَعُونَتِـهِ فَقـالَ سُـبْحانَهُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1] وأَخْبرَ أَنَّهُ سُبْحانَهُ يَبْتَلِي بَعْضَ خَلْقِـهِ لِيَمْتَحِنَهُمْ فَقـالَ عَـزَّ مـنْ قائِـلٌ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾[2].

اللَّهُمَّ الْطُفْ بِنَا فِي قَضائِكَ وَعَافِنَا مِنْ بَلائِكَ .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَـحْبِهِ ومَـنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ : سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْـرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيـهِ وسَـلَّمَ سَـيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّـــةِ ، أَبِـي مُحَمَّـدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـــي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـــا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَـاطِـمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَـا خَدِيجَــةَ الكُـبْرَى ، و عَـنْ عَائِـشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُـولِكَ خَـيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَـشَّرَةِ ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيّكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَةَ والزُّبَيْـرِ ، وسَـعْدٍ وسَـعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـــمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

---

(١) البقرة (١٥٣) .

(٢) سورة محمد (٣١) .

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجـلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا ، وعَلِيـهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَـا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـــا بِـالعَفْوِ والغُفْـرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ  الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوعِ بِلادِنَـا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَـينَ قُلُوبنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا  ، و أَرْخِصْ  أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا  فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَـعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْـدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ،  واكْتُـبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ .

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثَاً مُغِيثَاً هَنِيئَاً مَرِيئَاً ، سَحَّاً عَامَّاً دَائِمَاً مُبَارَكَاً فِيهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ (٩٠) ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ ؛ يَزِدْكُمْ ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# قوة الشخصية

## الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ العَلِيِّ الكَبِيرِ ، اللَّطِيفِ الخَبِيرِ ، أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ المُتَوافِرَةِ ، وَاشْكُرُهُ عَلَى آلائِهِ المُتَواتِرَةِ ، حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبارَكاً فِيهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَلَو كَرِهَ المُشْرِكُونَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، دَعانا إِلَى الإِيمانِ ، وَنَدَبَنَا إِلَىَ ما فِيهِ خَيرُنا وَصَلاحُنا فِي الدَّارَيْنِ ، وَأَمَرَنا بِالاعْتِصامِ بِحَبلِ الله المَتِينِ ، وَعُرْوَتِهِ الوُثْقَى الَّتِي لا تَلِينُ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ ، وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ .

أَمَّا بَعْدُ. فأُوصِيكمْ أَيُّها المُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى ؛ فَإِنَّها الحِصْنُ الوَاقِي مِنَ العَذابِ ، وَالدِّرْعُ المَنِيعُ يا أُولِي الأَلْبابِ ، فَخُذُوا مِنْها بِأَوْفَرِ حَظٍّ وَنَصِيبٍ ، وَاحْتَقِبُوها زَاداً لَكُمْ لِلْيَومِ الرَّهِيبِ العَصِيب .

أَيُّها الإِخْوَةُ فِي الله : إِنَّ نُقْطَةَ البِدايَةِ ، بادِئَ ذِي بَدْءٍ فِي تَكْوِينِ المُؤْمِنِ بِالله تَعالَى هِيَ إِيْمانُهُ بِالله وَحْدَهُ ، فَبِهَذا الإِيمانِ تَتَكَوَّنُ مَجْمُوعَةُ العَوامِلِ فِي تَكْوِينِ شَخْصِيَّةِ المُؤْمِنِ ، وَتَجْعَلُهُ ذا سُلُوكٍ مُتَمَيِّزٍ عَنِ الآخَرِينَ غَيرِ المُؤْمِنِينَ ، فَمِنْ ذَلِكَ نَجِدُ أَنَّ النـاسَ يَتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ قَرابَةَ الرَّحِمِ وَالَّدمِ مِنَ الأَسْبابِ الَّتِي تَرْبِطُ بَينَ الفَرْدِ وَالفَرْدِ بِرِباطٍ لا تَنْفَصِمُ عُراهُ ، وَتَفْرِضُ عَلَيهِ نَوْعاً مِنَ البِرِّ وَالتَّراحُمِ بَيْنَهُما ، وَيَأْتِي مَنْطِقُ الإِيمانِ لِيُنْشِئَ لِلْمُؤْمِنِ قَرابَةً أُخْرَى أَقْوَى مِنَ الأُولَى ، وَهِيَ الشُّعُورُ العَمِيقُ بِالأُخُوَّةِ الرُّوحِيَّةِ الَّتِي يَتَرَتَّبُ عَلَيها أَعْظَمُ قَدْرٍ مِنَ البِرِّ وَالأُخُوَّةِ الصَّادِقَةِ المَتِينَةِ بَينَ المُؤْمِنِينَ ، كَما يَنْتجُ عَنْهَا نَوعٌ مِنَ

الـشِّدَّةِ فِي مُعامَلَـةِ الكـافِرِينَ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾[1] ، وَفِي آيَةٍ ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ المائدة(٥٤) .

فالمُؤْمِنُ يَرَى عَـنِ اقْتِنـاعٍ لا تَقْلِيـدٍ أَعْمَـى أَنَّـهُ لَـيْسَ فِي الـدُّنْيا مـا يَعْـدِلُ الإِيـمانَ ، وَلَيسَ لأَحَدٍ سُلْطانٌ عَلَيهِ إِلا لله وَحْـدهِ ، وَقَـدْ أَنْـذَرَ الله سُـبْحانَهُ بَعْـضَ المُـؤْمِنَينَ مِمَّـنْ شَغَلَتْهُم الدُّنْيا وَمَنْ فِيهَا وَما فِيهَا مِنْ أَهْلٍ وَتِجارَةٍ وَمَنـافِعَ شَخْـصِيَّةٍ ، حَتَّـى نَـسُوا الله فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ ، فَأَنْذَرَهُمْ بِالعَواقِبِ الوَخِيمَةِ ، وَوَصَفَهُمْ بِالْفِسْقِ وَالخُرُوجِ عَنْ سَنَنِ المُـؤْمِنَينَ فَقَـالَ :﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[2].

فَهَذا مَوْقِفٌ اقْتَضاهُ الإِيْمانُ ، وَصَنَعَ بِهِ مِنَ المُؤْمِنِ نُمُوذَجاً جَدِيداً لَـهُ مَكانَتـهُ المُتَمَيِّـزَةُ ، وَمَوقِفُهُ المِثالِي ، وَلَهُ تَصَرُّفُهُ المُسْتَقِلُّ ، وَلَهُ سُلُوكُهُ الَّذِي يَعْتَزُّ بِالله الخالِقِ لا بِالمَخْلُوقاتِ .

إِنَّ الإِيمانَ فِي حَقِيقَتِهِ إِعْلانٌ لِلْحَقِّ فِي وَجْـهِ الـضَّلالاتِ المُنْتَـشِرَةِ ، كَـما أَنَّـهُ مَوْقِـفٌ صَرِيحٌ إِزاءَ مَواقِفَ النِّفَاقِ المُسْتَتِرَةِ ، وَقَدْ اسْتَحَقَّ المُؤْمِنونَ العِزَّةَ وَالكَرامَةَ ؛ لأَنَّهُمْ بَرِئُوا مِنَ المُداهَنَةِ ، وَالخِداعِ ، وَالكَذِبِ وَالتَّآمُرِ ، وَهَذِهِ عَوامِلُ ضَعْفٍ فِي شَخْصِيَّاتِ المُنافِقِينَ ، لَقَدْ وَصَفَهُمُ الله فِي المُنافِقِينَ أَبْلَغَ وَصْفٍ حِينَ صَوَّرَ ضَـعْفَهُمْ وَجُبْـنَهُمْ عَـنْ مُواجَهَـةِ الحَقِّ بِالوُضُوحِ وَبِالصَّراحَةِ فَقالَ سُـبْحانَهُ : ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾[3] فَهَـذا الاسْـتِخْفاءُ أَكْـبَرُ دَلِيـلٍ عَـلَى

---

(١) الفتح (٢٩) .

(٢)التوبة (٢٤) .

(٣) النساء (١٠٨) .

انْحِلالِ شَخْصِيَّةِ المُنافِقِ ، الَّذِي يَنْتَهِي بِهِ إِلَى الهَزِيمَةِ ، وَإِلَى الفَشَلِ وَالإِخْفاقِ ، مَهْما بَـدا لأَعْيُنِ الناسِ أَحْياناً أَنَّهُ قَدْ حَقَّقَ نَصْراً ، أَوْ أَحْرَزَ مَغْنَماً ، وَقَدْ يَحْدُثُ أَحْياناً أَنْ تَنْتَشِرَ فِي المُجْتَمَعِ بَعْضُ القِيَمِ المُضَلِّلَةِ ، وَذَلِكَ فِي عُصُورِ الانْحِطاطِ وَالتَّخَلُّفِ ، وَعُهُودِ الاسْتِبْدادِ وَالظَّلامِ ، فَيَكْذِبُ الناسُ بِاسْمِ المَصْلَحَةِ ، وَيُنافِقُونَ بِاسْمِ السِّياسَةِ وَالدِّينِ ، وَيَسْرِقُونَ بِاسْمِ المَهارَةِ وَالشَّطارَةِ ، وَيُفَرِّطُونَ فِي أَعْراضِهِمْ بِاسْمِ المَدَنِيَّةِ وَالحَضارَةِ ، وَيَتَنازَلُونَ عَنْ كَرامَتِهِمْ بِاسْمِ الدِّبْلُوماسِيَّةِ ، وَيَنْسِبُونَ كُلَّ هَذِهِ الرَّذائِلِ إِلَى أَنَّها مِنْ مُسْتَلْزَماتِ العَصْرِ ، وَمِنْ مُقَوِمَاتِ الحَضارَةِ ، والنِّفاقُ كُلُّهُ مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ وَمَرَضٌ اجْتِماعِيٌّ فَتَّاكٌ ، سَواءٌ كانَ بِاسْمِ الدُّنْيا أم الدِّينِ .

أَيُّها المُسْلِمُونَ : لَقَدْ كانَت دَعْوَةُ الدِّينِ إِلَى الفَضَائِلِ ، فِي الأَصْلِ دَعْوَةً إِلَى تَرْبِيَةِ الشَّخْصِيَّةِ القَوِيَّةِ مِنْ مَجْمُوعِ الشَّخْصِيَّاتِ ، الَّتِي تَتَكَوَّنُ مِنْها الأُمَّةُ القَوِيَّةُ النَّاهِضَةُ ، الَّتِي يَعْرِفُ فِيهَا الفَرْدُ قَدْرَ نَفْسِهِ ، وَيَذْكُرُ فِيهَا دائِماً واجِبَهُ ، قَبْلَ أَنْ يُطالِبَ بِحَقِّهِ ، وَلَيْسَ مِنَ المُسْتَساغِ ، وَلا الجائِزِ فِي شِرْعَةِ الإِيْمانِ أَنْ يَحْتَرِفَ أُناسٌ دَعْوَةَ الناسِ إِلَى الوَاجِبِ ، وَهُمْ فِي مَنْأَى عَنْ أَدائِهِ .

إِنَّ مِثْلَ هَذا المَسْلَكِ يُجَرِّدُهُمْ فِي نَظَرِ الدِّينِ ، لا مِنَ الفَضِيلَةِ فَحَسْبُ ، وَلا مِنْ قُوَّةِ الشَّخْصِيَّةِ فَحَسْبُ ، بَلْ يُجَرِّدُهُمْ مِنَ العَقْلِ أَيْضاً ، مَهْما تَظاهَرُوا بِهِ بَيْنَ الناسِ ، وَاسْتَمِعُوا إِلَى قَولِهِ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [1] ، فَقُوَّةُ الشَّخْصِيَّةِ تَدْعُوكَ أَنْ تَبْدأَ قَبْلَ دَعْوَةِ الناسِ إِلَى البِرِّ وَإِلَى الوَاجِبِ بِدَعْوَةِ نَفْسِكَ لِتَكُونَ قُدْوَةً لَهُمْ ، وَإِلا فَهُوَ انْفِصالٌ بَيْنَ قَولِكَ وَعَمَلِكَ ، وَهَذا ما حاوَلَ الدِّينُ بِشَتَّى الوَسائِلِ أَنْ يُنَبِّهَ المُؤْمِنَ عَلَى تَلافِيهِ وَتَجَنُّبِهِ حِينَ دَعاهَ أَنْ يَقُولَ ما

---

(١)البقرة (٤٤) .

يَفْعَـلُ : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[1] ، لِـذا يتَعَـيَّنُ اليَـومَ عَـلَى الجَمِيعِ مِنْ مَـسْئُولِينَ وَمُعَلِّمِـينَ وَمُـرَبِّينَ وَأَوْلِيـاءِ أُمُـورٍ كُـلٌّ فِي مَجالِـهِ وَحَـسْبَ طاقَتِـهِ وَإِمْكاناتِهِ ، أَنْ يُقَدِّمَ الكُلُّ ما مِنْ شَأْنِهِ تَرْبِيَةُ الأَجْيـالِ وَتَكْـوِينُ الشَّخْـصِيَّاتِ ، وَإِعْـدادُ الـشَّبَابِ وَالطُّـلابِ إِعْـداداً كـامِلاً لِمُواجَهَـةِ الحَيـاةِ فِي مُتَطَلَّباتِهـا ، وَسَـعَادَةِ الآخِـرَةِ وَمُسْتَلْزَماتِها ، وَإِذا كانَ الطُّلابُ بِحاجَةٍ إِلَى العُلُومِ عَلَى اخْتِلافِها ، فَهُمْ بِحاجَةٍ أَمَسُّ إِلَى العُقُولِ الَّتِي تَحْمِلُ هَذِهِ الأَمانَةَ ، وَإِلَى الأَفْكارِ الَّتِي تَسْتَوعِبُ ما يُلْقَى إِلَيها مِنْ معَـارِفَ شَتَّى وَعُلُومٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فَأَنْتَ أَيُّها الأَبُ الرَّحِيمُ كُنْ خَيْرَ مِعْوانٍ لأَبْنائِكَ وَفَلَذاتِ كَبِـدِكَ ، الَّذِينَ يَجْتازُونَ مَراحِلَ التَّعْلِيمِ الصَّعْبَةِ ، وَيَتَسابَقُونَ فِي مَيـادِينِ الامْتِحانـاتِ النِّهائِيَّـةِ ، إِنَّهُمْ بِحاجَةٍ ماسَّةٍ جِدًّا إِلَى حَنانِكَ الأَبَـوِيِّ ، وَاهْتِمامِـكَ الـذاتِي ، مِمَّا يَجْعَلُهُـمْ يَعْتَـدُّونَ بِأَنْفُسِهِمْ وَيَثِقُونَ بِها ، وَيَشْعُرُونَ بِـأَنَّ لَهُـمْ كَيَّانـاً مُهِـمًّا ، فَإِنَّـهُ مـا أَخَّـرَ طُلابَنَـا فِي مَجـالِ التَّحْصِيلِ العِلْمِيِّ ، وَأَضْعَفَ شَخْصِياتِهِمْ وَجَعَلَهُمْ إِمَّعَـاتٍ مُقَلِّـدِينَ إِلا إِهْمـالُ أَوْلِيـاءِ أُمُورِهِمْ ، وَتَرْكُ الحَبْلِ عَلَى الغارِبِ . كَوِّنْ أَيُّها الأَبُ صِلَةً بَينَ المَنْزِلِ وَالمَدْرَسَةِ وَالمَسْجِدِ ؛ لِتَكُونَ عَلَى عِلْمٍ تامٍ ، وَدِرايَةٍ كامِلَةٍ ، بِكُلِّ شُئُونِ حَياتِهِمْ وحَلِّ مُشْكِلاتِهِمْ .

وَأَنْتَ أَيُّها المُرَبِّي القَدِيرُ وَالمُعَلِّمُ الخَبِيرُ ، يا مَنْ اخْتِيرَ لِحَمْلِ هَـذِهِ التَّبِعَـةِ[2] ، بَـلْ هَـذِهِ الأَمانَةِ ، بَلِ الرِّسالَةِ المُقَدَّسَةِ ، إِنَّنا نُقَدِّرُ كُلَّ التَقْدِيرِ ما تَقُومُ بِهِ مِنْ عَناءٍ وَمَشَقَّةٍ فِي تَرْبِيَـةِ الجَيلِ ، إِنَّ لَفْتَةً واحِدَةً خَيِّرَةً كَرِيمَةً مِنْكَ قَـدْ تُـصْلِحُ خَراباً ، وَتُقَـوِّمُ اعْوِجاجـاً أَعيـى الأَطِبَّاءَ وَالحُكَماءَ ، كَما أَنَّ بالمُقابِلِ نَظْرَةً خاطِئَةً مِنْكَ غَيْرَ مَسْؤلَةٍ لا قَدَرَ الله تُدَمِّرُ مُسْتَقْبَلَ جَيلٍ بِكامِلَهِ ، وَالوُعَّاظُ وَالمُرْشِدونَ إِنَّهُمْ أَشْبَهُ ما يَكُونُونَ بِحُداةِ القَوافِـلِ وَهِـيَ تَقْطَـعُ

---

(١) الصف (٣) .

(٢) أي المسؤلية .

المَهامَةَ القِفارَ ، وَشَأْنُهُمْ شَحذُ الهِمَمِ وَالعَزائِمِ ، إِذا فَتَرَتْ وَبَثُّ رُوحِ التَّفاؤُلِ وَالأَمَلِ إِذا وَهَتْ ، فَيُخاطِبُونَ العُقُولَ وَالأَلْبابَ ، لا الْعَواطِفَ الهائِجَةَ ، وَالأَحاسِيسَ الجَيَّاشَةَ ، ثُمَّ يَخْمُدُ أَوارُها ، وَتَنْطَفِئُ شُعْلَتُها ، وَتَعْقُبُها العُقَدُ النَّفْسِيَّةُ ، وَالخَواطِرُ المُحِيطَةُ ، وَإِنَّ أَوْلادَنا بَيْنَنا أَكْبادُنا تَمْشِي عَلَى الأَرْضِ ، ما أَجْدَرَهُمْ ، بَلْ ما أَجْدَرَنا نَحْنُ وَمِيئاتُ الأُلُوفِ مِنْ طَلائِعِهِمْ تَتَّجِهُ صَباحَ يَومَ غَدٍ لِيَخُوضُوا مَعْرَكَةَ امْتِحانِ إِكْمالِ المَرْحَلَةِ الثَّانَوِيَّةِ لِهَذا العامِ يَتَّجِهُونَ بِقُلُوبٍ تَزْدادُ نَبَضاتُها ، وَتَتَوالَى خَفَقاتُها ، اُدْخُلُوا قاعَةَ الامْتِحانِ أَيُّها الأَبْناء بِرباطَةِ جَأْشٍ ، وَعَزِيمَةٍ لا تَفتر وَإِيمانٍ بِاللهِ ، تَثَبَّتُوا فِي الإِجابَةِ عَنِ الأَسْئِلَةِ ، لا امْتِحانَ فِي هَذا العَصْرِ إِلا لِلرِّجالِ الصُّبَّرِ فِي مَيادِينِ الحَياةِ ، وَطَلَبَةِ العِلْمِ المُثابِرِينَ ، فِي التَّحْصِيلِ العِلْمِيِّ الجادِّ ، فَكَمْ فُرَصٌ ضاعَتْ ، وَأَوْقاتٌ تَلاشَتْ فِي الذَّهابِ وَالإِيابِ دُوْنَما فائِدَةٍ ، افْحَصُوا الأَسْئِلَةَ جَيِّداً قَبْلَ الإِجابَةِ فَتُذَلَّل صُعُوباتها ، وَتُحَلَّ عُقَدُها ، وَلا تَسْتَخِفَّنَّكَ الأَسْئِلَةُ السَّهْلَةُ فَرُبَّما كانَ السُّمُّ فِي الدَّسَمِ ، سَدَّدَ اللهُ خُطاكُمْ وَوَفَّقَكُمْ إِلَى سُبُلِ النَّجاحِ وَالفَلاحِ ، وَوَفَّقَ مَنْ سَبَقَكُمْ بِالأَمْسِ مِمَّنْ أَكْمَلَ امْتِحانَ إِكْمالِ المَرْحَلَةِ الأَساسِيَّةِ ، وَكَذَلِكَ مِمَّنْ يَقِفُ عَلَى أُهْبَةِ الاسْتِعْدادِ لِدُخُولِ الامْتِحانِ مِنْ طُلابِ الكُلِّيَّاتِ عَلَى اخْتِلافِها ، وَالمَعاهِدِ العُلْيا بِأَنْواعِها .

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : إِنَّ أَوْلادَنا الَّذِينَ تَضُمُّهُمْ قاعات المَدارِسِ وَالمَعاهِدِ ، المُتَرَبِّعِينَ كَراسِيَ العِلْمِ ، هُمْ خُلاصَةُ حَياتِنا وَرَأْسُ مالِنا ، وَهُمْ الأَمَلُ المُرَجَّى ، وَالمَلْجأ وَالمُنْجَى ، عَلَى ما فِي مَدارِسنا وَمَعاهِدِنا مِنْ نَواقِصَ ، وَما عِنْدَنا مِنْ نَقْصٍ وَاعْوِجاجٍ ، إِنَّهُمْ نِتاجُ حَياتِنا ، وَهُمْ نُمُوذَجٌ لَنا فِي طِباعِهِمْ وَأَخْلاقِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ ، وَأَيُّ انْحِرافٍ فِيهِمْ أَوْ عاداتٍ غَيرِ حَمِيدَةٍ إِنَّما وَرِثُوها مِنَ المُجْتَمَعِ الكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ ، إِنَّهُمْ صُوْرَةٌ ناطِقَةٌ ، وَمِثالٌ حَيٌّ لِما فِي داخِلِ مَنازِلِنا ، مِنْ تَخَلُّفٍ وَانْحِرافٍ وَانْجِرافٍ ، لَقَدْ تَغَلَّبَ الهَدْمُ عَلَى البِناءِ ،

إِنَّكَ لا تَجْنِي مِنَ الشَّوْكِ العِنَبَ ، ما يَبْنِيهُ المَسْجِدُ وَالمَدْرَسَةُ مِـنْ أَخْـلاقٍ فاضِـلَةٍ يَهْدِمُـهُ الشَّارِعُ فِي لَحْظَةٍ .

**وَلَـو أَنَّ بـانٍ خَلَفَـهُ هـادِمٌ كَفَـى فَكَيـفَ بِبـانٍ خَلَفَـهُ أَلْـفُ هـادِمِ**

وَاللهَ نَسْأَلُ أَنْ يُصْلِحَ شَبَابَنا الحاضِرَ ، وَأَنْ يُعِيدَ لَنا بِماضِي عَـزائِمِهِمْ العِـزَّ الـسَّالِفَ وَالمَجْدَ الغابِرَ ، وَيُثَبِّت أَقْدامَهُمْ ، وَيُقَوِّيَ إِيمانَهُمْ فِي هَذا الزَّمانِ العاثِرِ ، وَكُونُوا كالْبُنْيـانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً ، وَاقْطَعُوا إِبْرَ الفَسادِ ، وَاخْـدِمُوا الـبِلادَ ،وَانْفَعُـوا العِبـادَ ، وَاجْمَعُـوا شَمْلَ الأُمَّةِ ، تَنْكَشِفُ بِكُمْ الغُمَّةُ ، وَكُونُوا خَيرَ خَلَفٍ لِخَيرِ سَلَفٍ ، وَلا يَجْـرِفَنَّكُمْ سَـيْلُ المَدَنِيَّةِ الجَوْفاءِ فِيمَنْ جَرَفَ ، وَلا تُشْغِلَنَّكُمْ عَنْ أَداءِ واجِباتِكُمْ وسائِلُ الرَّاحَةِ وَالتَّرَفِ ، فَتَنْدمُوا وَ لاتَ ساعَةَ مَنْدَمٍ . نَسْأَلُ الله أَنْ يُسَدِّدَ خُطانا وَخُطَى شَبابِنا وَطُلابِنا ، وَيَأْخُـذَ بِنَواصِينَا وَنَواصِيهِمْ إِلَى ما فِيهِ خَيْرُ العِبادِ وَالبِلادِ إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعاءِ كَرِيمٌ جَوادٌ .

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِـهِ يَهْتَـدِي المُهْتَـدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [1] وَقـالَ عَـزَّ مِـنْ قَائِـلٍ كَـرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [2]. **أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ**

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ [3] .بارَكَ الله لِي وَلَكُمْ فِي القُرْانِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم .

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) الكهف (١٣-١٤)

## الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِـمِينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْـدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَهُ الأَصْوَاتُ ، وَكَلَّتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَهُ الأَحْلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْضِي فِي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ . وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلَّ مَن جَحَدَ به وكَفَرَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أما بعدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى ، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

يا إِخْوَةَ الإِسْلامِ وَالإِيمانِ : لا يَمْتَرِي اثْنَانِ قَطُّ فِي المَقُولَةِ القَائِلَةِ : ( المَدارِسُ مَصانِعُ الرِّجالِ ) ، المَدارِسُ كُلُّ المَدارِسِ ، وَالرِّجالُ هُمْ الرِّجالُ الَّذِينَ يُعْتَمَدُ عَلَيهِمْ فِي حَيَاتِنا الدِّينيةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَلا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَطْمَئِنَّ إِلَى سُلُوكِ شَبابنا إلا بِالتَّرْبِيَةِ الحَسَنَةِ ، وَالتَّوجِيهِ الصَّحِيحِ ، وَالتَّوَجُّهِ لِطَلَبِ العِلْمِ النَّافِعِ ، كَما يَجِبُ عَلَينَا أَنْ نُوَجِّهَهُمْ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ المُنْتِجِ ، وَفِيمَا يَنْفَعُهُمْ وَيَنْفَعُنَا فِي الدُّنْيا وَالأُخْرَى ، فَحُبُّ العَمَلِ شَرَفٌ لا يَعْدِلُهُ شَرَفٌ ، وَإِذا كانَ العَمَلُ مَجْهَدَةٌ فَإِنَّ الفَراغَ مَفْسَدَةٌ ، وَأَبْغَضُ الناسِ إِلَى الله الرَّجُلُ السَّبَهْلَلُ وَلله دَرُّ القائِلِ :

فامْضُوا مَآرِبَكُمْ عُجَالاً إِنَّما ... أَعْمارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ الأَسْفارِ
وَتَراكَضُوا خَيْلَ الشَّباب وَبادِرُوا ... أَنْ تُسْتَرَدُّ فَإِنَّهُنْ عَوار

إِنَّ شَرَّ البِلادِ بِلادٌ يُصابُ أَهْلُها بِالفَقْرِ وَالجَهالَةِ وَالْكَسَلِ وَالخُمُولِ ، وَمِنَ المَناظِرِ المُؤْلِمَةِ أَنْ تَرَى الكَثِيرَ مِنْ شَبَابِنَا أَيَّامَ العُطَلِ المَدْرَسِيَّةِ تَعُجُّ بِهِمْ الشَّوارِعُ وَتَكْتَظُّ بِهِمْ المَجالِسُ ، يَعِيشُونَ عالَةً عَلَى غَيْرِهِمْ ، وَحِمْلاً ثَقِيلاً عَلَى مُجْتَمَعِهِمْ .

أَيُّها الشَّبابُ : احْذَرُوا التَّطَرُّفَ وَالتَّزَمُّتَ ؛ لأَنَّكُمْ شَبابُ الأُمَّةِ الوَسَطِ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾[1] أَيْ عَدْلاً وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ ﴾[2] أَيْ أَعْدَلُهُمْ وَفِي الحَدِيثِ :(( خَيرُ الأُمُورِ أَوْسَطُها )) .

وَقالَ الإِمامُ عَلِيُّ بْنِ أَبِي طالِبٍ كَرَّمَ الله وَجْهَهُ : ( عَلَيْكُمْ بِالنَّمْطِ الأَوْسَطِ فَإِلَيْهِ يَنْزِلُ العالِي وَإِلَيهِ يَرْتَفِعُ النَّازِلُ ) .

وَهُناكَ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ الحَياةَ رِحْلَةٌ مُمْتِعَةٌ مَفْرُوشَةٌ طَرِيقُها بِالوُرُودِ وَالرَّياحِين ، وَلَكِنَّها نِضالٌ وَكِفاحٌ تَتَطَلَّبُ المَزِيدَ مِنَ الصبرِ وَالاحْتِمالِ لِكَي يَجْتازَ صِعابَها ، فَلا بُدَّ أَنْ نَأْخُذَها عَلَى عَواهِنِها ، بِحُلْوِها وَمُرِّها ، وَقَدْ يَنْهَزِمُ الكَثِيرُ مِنَّا لأَوَّلِ وَهْلَةٍ فَيُصابُ بِالإِحْباطِ وَخَيْبَةِ الأَمَلِ .

وَإِذا كانَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ لَدَى الكَثِيرِ مِنْ رِجالِ الأَعْمالِ الَّذِينَ يَعْثُرُونَ فِي طَرِيقِهِمْ إِلا أَنَّها تَبْدُو هَذِهِ الظَّاهِرَةُ واضِحَةٌ جَلِيَّةٌ فِي صُفُوفِ طُلابِنا فِي المَدارِسِ وَالمَعاهِدِ ، تَبْدُو عَلَيْهِمْ رُوحُ التشاؤمِ ، وَخَوفُ الفَشَلِ ، وَالقَلَقِ عَلَى المُسْتَقْبَلِ ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى الحَياةِ بِمِنْظارٍ أَسْوَدَ قاتمٍ ، فَإِلَى هَؤُلاءِ نُوَجِّهُ النُّصْحَ بِأَنْ يَتَدَرَّعُوا بِالإِيْمانِ كُلِّهِ ، وَيُشَمِّرُوا عَنْ سَوَاعِدِ الجِدِّ فِي التَّحْصِيلِ العِلْمِيِّ ، وَالتَّحلِّي بِالصَّبْرِ وَالثَّباتِ :

وَما المَرءُ إِلّا حَيثُ يَجعَلُ نَفسَهُ فَكُن طالِباً في الناسِ أَعلى المَراتِبِ[3]

(١) البقرة (١٤٣)

(٢)القلم (٢٨) .

(٣) ينسب للإمام علي كرم الله وجه ورضي عنه ، وهو من البحر الطويل .

وقال آخر [1]:

**وَمـــا نَيـــلُ المَطالِـــبِ بِـــالتَمَنّي     وَلَكِـــن تُؤخَـــذُ الـــدُنيا غِلابـــا**

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِـراً لَكُـمْ تَكْـرِيماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سـيدنا محمـدٍ نَبِـيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَـلَى آلِـهِ وصَـحْبِهِ ومَـنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ : سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْـرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيـهِ وسَـلَّمَ سَـيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِـي مُحَمَّـدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَـيرِ النَّـاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَـشَرَةِ الـمُبَـشَّرَةِ ، الَّـذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَـعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَـصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّـانُ يَـا ذَا الجُـودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَـا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْـرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِيـرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .

(١) وهو الشاعر أحمد شوقي وهو من البحر الوافر .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُـؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُـسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .اللَّهُـمَّ آمِنَّـا فِي أَوْطَانِنَـا ، وابْـسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوع بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّـفْ بَـينَ قُلُوبِنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَـعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُـسَافِرِينَ فِي بَـرِّكَ وبَحْـرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ .اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُـمَّ اسْـقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

عِبَـــــــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَزِدْكُمْ ، وَلَـذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# كل من عليها فان

## الخطبة الأولى

الحَمْدُ لله الَّذِي لا يُحْمَدُ عَلَى مَكْرُوهٍ سِواهُ ، حَمْداً نَحُوزُ بِهِ مَغْفِرَتَهُ وَرِضاهُ ، سُبْحانَهُ الُمتَفَرِّدُ بِمَجْدِهِ وَكِبْرِيائِهِ ، لَهُ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ فِي رِقابِ عَبِيدِهِ وَأَرِقَّائِهِ ، وَنَسْأَلُهُ التَّخْفِيفَ عَنَّا فِي ابْتِلائِهِ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي أَرْضِهِ وَسَمائِهِ ، شَهَادَةً تَطْمَئِنُّ بِها النُّفُوسُ ، وَتَتَطامَنُ لَها الرُّؤُوسُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى رَسُولِكَ الأَمِينِ ، قائِدِ الغُرِّ الُمحَجَّلِينَ ، سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، وَأَصْحابِهِ الُمنْتَخَبِينَ وَتابِعِيهِمْ المَيامِين إِلَى يَوم الدِّينِ .

أَمَّا بَعْدُ . أَيُّها الُمسْلِمُونَ أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى ، فَإِنَّها العُرْوَةُ الوُثْقَى الَّتِي لا تَنْفَصِمُ عُراها ، فَتَزَوَّدُوا بِها فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ، وَتَحَلَّوا بِحِلْيَتِها وَلِباسِها الَّذِي لا يَخْلَقُ وَلا يَبْلَى ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ ﴾[1] ، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ سورة الطلاق الآية (٢-٣)

عِبادَ الله : يَقُولُ الله تَبارَكَ وَتَعالَى فِي مُحْكَمِ آياتِهِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ سورة العنكبوت الآية (١-٢-٣)

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٦) .

وَقالَ عَزَّ مِنْ قائِلٍ : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ سورة الأنبياء الآية (٣٥)

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءِ : إِنَّ لِلْمَصائِبَ وَالكَوارِثَ الَّتِي تَنْزِلُ بالناسِ لَها فِي نَظَرِ الإِسْلامِ مَفْهُومٌ خاصٌ وَمَعْنًى مُحَدَّدٌ ، يَعْرِفُهُ كُلُّ مَنْ لَهُ باعٌ طَوِيلٌ فِي العِلْمِ ، وَقَدَمٌ راسِخَةٌ فِي الإِيمانِ ، وَيَقِينٌ ثابِتٌ ، وَهِيَ لَيْسَتْ دائِماً عَلامَةُ سُخْطٍ مِنَ الله كَما يَعْتَقِدُ الكَثِيرُ ، كَما أَنَّ النِّعْمَةَ مِنْ مالٍ وَبَنِينٍ وَصِحَّةٍ لَيْسَتْ دائِماً دَلالَةً رِضًا مِنهُ تَعالَى ، وَلَكِنَّ الله تَعالَى يُجْرِي النِّعَمَ وَالمَصائِبَ وَالخَيرَ وَالشَّرَّ وَالفَقْرَ وَالغِنَى ، وَالصِّحَّةَ وَالمَرَضَ عَلَى المُؤْمِنَينَ مِنْ خَلْقِهِ ابْتِلاءً وَامْتِحاناً لِيَرَى تَصَرُّفاتِهِمْ حِيالَها ، وَما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ إِيمانٍ و ثِقَةٍ وَصَبْرٍ وَثَباتٍ أَوِ العَكْسِ فالمُؤْمِنُ الحَقُّ يَكُونُ وَقْتَ الشَّدائِدِ صابِراً مُحْتَمِلاً وَثابِتاً مُتَقَبِّلاً لِقَضاءِ الله الَّذِي لا مَفَرَّ مِنْهُ إِلا إِلَيهِ ، فَلا يَتَذَمَّرُ وَلا يَتَبَرَّمُ وَلا يَشْتَكِي مِمَّا نَزَلَ بِهِ ، ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴾ [1].

وَلَقَدْ جَعَلَ الإِسْلامُ المُصِيبَةَ سُلَّماً لِلارْتِقاءِ الرُّوحِيِّ ، وَتَكْفِيراً لِلْخطَايا ، وَسَبَباً لِنَيْلِ ثَوابِ الله العَظِيمِ ، فالمُؤْمِنُ عِنْدَ ما تَنْزِلُ بِهِ المَصائِبُ يَسْتَرْجِعُ ، ويَقُولُ كَلِمَةً عَلَّمَنا الله إِيَّاها لِنُرَدِّدَها عِنْدَ المُهِمَّاتِ وَالمُلِمَّاتِ ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قائِلٍ : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [2]. وَقالَ مُعَلِّمُنا الأَوَّلُ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فِي هَذا المَقامِ : «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ الله ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ الله لَهُ خَيْراً مِنْهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ [3] ، فَكَلِمَةُ ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ إِذا آمَنَ الإِنْسانُ بِمُحْتَواها ، وَعَمِلَ بِمُقْتَضاها

---

(١) سورة المعارج الآية (١٩ـ٢٢) .

(٢) سورة البقرة الآية (١٥٦)

(٣)أخرجه مسلم (٢/ ٦٣١ ، رقم ٩١٨) ، وابن ماجه (١/ ٥٠٩ ، رقم ١٥٩٨) .

هانَتْ عَلَيهِ مَصائِبُ الأَرْضِ قاطِبَةً ، فَهِيَ تَتَضَمَّنُ أَصْلَينِ هامَّينِ أَوَّلُهُما : إِنَّ نَفْسَ الإِنْسانِ الَّتِي بَينَ جَنْبَيهِ ، وَأَهْلَهُ وَمالَهُ وَوَلَدَهُ وَمَنْ حَوالَيْهِ وَما حَوالَيْهِ مِلْكٌ لله وَحْدَهُ ؛ لأَنَّها بِمَثابَةِ أَمانَةٍ وَوَدِيعَةٍ عِنْدَهُ تُعادُ لِمالِكِها الحَقِيقِيِّ مَتَى أَرادَ وَهُوَ الله تَعالَى :

وَما المالُ وَالأَهْلُونَ إِلاَّ وَدائِعُ وَلا بُدَّ يَومًا أَنْ تُرَدُّ الوَدائِعُ

ثانِيها : إِنَّ مَصِيرَ الإِنْسانِ نَفْسِهِ وَمَرْجِعَهُ إِلَى الله تَعالَى عاجِلاً أَوْ أَجِلاً ، وَلا بُدَّ مِنْ أَنْ يُخَلِّفَ يومًا ما كُلَّما كانَ فِي حَوْزَتِهِ وَراءَ ظَهْرِهِ وَيَأْتِي رَبَّهُ يومَ القِيامَةِ فَرْداً كَما خَلَقَهُ الله أَوَّلَ مَرَّةٍ ، بِلا أَهْلٍ وَلا مالٍ وَلا عَشِيرَةٍ ، وَلَكِنْ يأْتِيهِ بِالحَسَناتِ وَالسَّيِّئاتِ لِيُجازَى وَيُحاسَبُ عَليها﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾[1] فالمُؤْمِنُ إذا صَبَرَ واحْتَسَبَ عِنْدَ نُزُولِ المُصِيبَةِ بِهِ ، نالَ ثَوابَ الله عَزَّ وَجَلَّ ، فَقَدْ قالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فِيما رَواهُ الإِمامُ البُخارِي رضي الله عنه: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ الله بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[2]، وَعَنْهُ أَيْضاً : «مَنْ يُرِدْ الله بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ»[3]، وَسُئِلَ ﷺ :«أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً فَقَالَ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»[4].

---

(١) الأنعام (٩٤) .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٣ ، رقم ٨٠١٤) ، وعبد بن حميد (ص ٢٩٨ ، رقم ٩٦١) ، والبخاري (٥/ ٢١٣٧ ، رقم ٥٣١٨) ومسلم (٤/ ١٩٩٢ ، رقم ٢٥٧٣) .

(٣)أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٧ ، رقم ٧٢٣٤) ، والبخارى (٥/ ٢١٣٨ ، رقم ٥٣٢١) ، وابن حبان (٧/ ١٦٨ ، رقم ٢٩٠٧) . وأخرجه أيضًا : مالك (٢/ ٩٤١ ، رقم ١٦٨٤) ، وابن المبارك (١/ ١٥٨ ، رقم ٤٦٤) ، والقضاعى (١/ ٢٢٤ ، رقم ٣٤٤) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ١٤٤ ، رقم ٩٧٨٠) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند العشرة المبشرين في مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، والترمذي في سننه في كتاب الزهد ، باب ما جاء في الصبر على البلاء .

هَذا ما كانَ أَوْ يَكُونُ مِنْ أَمْرِ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ نُزُولِ الْمُصِيبَةِ بِـهِ ، أَمَّـا غَـيْرُهُ إِذا حَلَّـتْ بِـهِ كارِثَةٌ خارَتْ عَزِيمَتُهُ وَلانَتْ قَناتُهُ ، وَتَزَعْزَعَتْ عَقِيدَتُـهُ ، وَبَـدا هَلِعـاً قَلِقـاً مُـضْطَرِباً ، وَهَذا الصِّنْفُ مِنَ الناسِ هُمُ الَّذِينَ عَـرَّفَهُمُ الله بِقَولِـهِ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[1] .

أَجَلْ يا إِخْوَةَ الإِيمانِ وَالعَقِيدَةِ : جاءَ فِي الأَثَرِ : ( ارْتَحَلَـتْ الـدُّنْيَا مُـدْبِرَةً وَارْتَحَلَـتْ الْآخِرَةُ مُقْبِلَةً وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِـرَةِ وَلَا تَكُونُـوا مِـنْ أَبْنَـاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَاب وَغَداً حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ ) .

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : إِنَّنا نَمُرُّ بِمَراحِل حَياتِنا الدُّنْيَا كَسفرِ عابِرٍ فِي طَرِيقِـهِ إِلَى حَيـثُ يَحُطُّ رِحالَهُ وَيَبْلُغُ آمالَهُ ، وَتُغَيِّرُ الأَحْداثُ نَضارَتَهُ وَأَحْوالَهُ ، إِنَّ الحَياةَ كُلَّها كَطَيفِ حِلْمٍ يَمُرُّ سَرِيعاً ، أَوْ سَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً ، وَفِي هَذا المَقامِ يَقُولُ الحَسَنُ البَـصْرِي رَحِمَهُ الله تَعالَى قَولَتَهُ الشَّهِيرَةَ واصِفاً الدُّنْيا أَبْلَغَ وَصْفٍ فِي أَوْجَزِ تَعْبِيرٍ حَيثُ قـالَ :( مـا رَأَيْتُ حَقاً أَشْبَهُ بِباطِلٍ مِنَ المَوتِ ) ، وَهَذا تَصْوِيرٌ دَقِيقٌ لِمَوقِفِ الناسِ مِـنْ هَـذِهِ الحَيـاةِ وَما بَعْدَها ، فالناسُ مَعَ يَقِينِهِمْ بِأَنَّهُمْ غَيرُ مُخَلَّدِينَ عَلَى وَجْـهِ الأَرْضِ ، وَمَـعَ إِحْـساسِهِمْ بِأَنَّ المَوتَ آتٍ عَنْ قَرِيبٍ لِما يُشاهِدُونَهُ كُلَّ يومٍ فِي بُيُوتِهِمْ وَبُيُوتِ غَيْرِهِمْ مِنْ فَقْدِ الأَهْـلِ وَالأَحِبَّةِ ، وَيَعترِفُونَ بِأَنَّ المَوتَ هادِمُ اللَّذَّاتِ وَمُفَرِّقُ الجَماعاتِ ، إِلا أَنَّهُمْ بِسُرْعَةٍ يَنْسَونَ أَنْفُـسَهُمْ ، فَقَلَّـمَا يُفَكِّـرُونَ فِي غَـدِهِمْ الْمُرْتَقَـبِ ، وَمُـسْتَقْبَلِهم الْمُنْتَظَـرِ ؛ لِيَـسْتَعِدُّوا لَـهُ الاسْتِعْدادَ اللائِقَ بِهِ ، فالمُوتُ واعِظٌ صامِتٌ ، يُغِـيرُ عَلَينـا كُـلَّ يَـومٍ ، فَيُكَـدِّرُ صَـفانا ،

(١) الحج (١١) .

وَيُنَغِّصَ عَيْشَنا ، وَلَكِنَّا لا نَهْتَمُّ بِهِ كَما يَجِبُ ، وَهُنـاكَ واعِـظٌ نـاطِقٌ يُـذَكِّرُنا بـاِلآخِرَةِ وَيُزَهِّدُنا فِي الدُّنْيَا ، وَلَكِنْ لا نُلْقِي لَهُ بالاً ، فَكَمْ قَـرَعَ أَسْـماعَنَا بِزَواجِـرِهِ ، وَصَـمَّ أَذانَنـا بِقَوارِعِهِ ، ذَلِكَ هُوَ القُرْآنُ الكَرِيمُ ، كَلامُ اللهِ الَّذِي لا يَأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِـنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ، فَقَدْ أَفاضَ فِي ذِكْرِ مَشاهِدِ القِيامَةِ وَأَهْوالِ الحَشْرِ وَالنَّشْرِ ، وَصُوَرِ العَذابِ الأَلِيمِ ، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ ، حَتَّى لا يَـذْهَلَ البَـشَرُ وَراءَ مَطـالِبِهِمْ وَمَـآدِبِهِمْ عَنْ يَومِ الحِسابِ وَحَتَّى لا يَسْتَغْرِقُوا فِي آلامِهِمْ وَآمالِهِمْ فَيَنْسَوا المُـسْتَقْبَلَ الأَهَـمَّ الَّـذِي يَنْتَظِرُهُمْ فَقالَ عَزَّ مِنْ قائِلٍ ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾(١) ، ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَالَيْتَنِى كُنتُ تُرَابًا ﴾(٢) ، ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾(٣) ، ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾(٤) .

وَلا يَكُونُوا كالْكَفَرَةِ الَّذِينَ آمَنُوا بِالدُّنْيا الحاضِرَةِ وَكَفَرُوا بِالغَيْبِ وَالدّارِ الآخِـرَةِ ، فَباؤُا بـاِلْبَوارِ فِي صَـفْقَتِهِمُ الخـاسِرَةِ ، ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴾(٥) ، ﴿ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾(٦) .

وَتَذَكُّرُ اليَومِ الآخِرِ لَيسَ تَصَوُّراً خَيالِياً لِيَومٍ بَعِيدٍ ، وَلَكِنَّهُ نَـوعٌ مِـنَ التَّرْبِيَـةِ ، يَقْمَـعُ المُؤْمِنُ بِها طَبائِعَ الشَّرِّ ، وَيَكْبَحُ بِها جِماحَ الغَرائِزِ الدَّنِيَّةِ ، وَيُغْرِي حَوافِزَ الخَيْرِ ، وَيُـشَجِّعُ

---

(١) سورة المطففين الآية (٦)

(٢) سورة النبأ الآية (٤٠)

(٣) سورة المجادلة الآية (٦)

(٤)سورة الحاقة الآية (١٨)

(٥) النازعات(١٠) .

(٦) سورة الإنسان الآية ( ٢٧)

جَوانِبَ الإيمانِ وَالاطْمِئْنانِ ، فالمُؤْمِنُ حِينَ يَلْمَـحُ بِبَـصِيرَتِهِ الثاقِبَـةِ مـا أَعَـدَّ الله لِعِبـادِهِ الصَّالِحِينَ المُؤْمِنِينَ مِنَ النَّعِيمِ المُقِيمِ فِي الجَنَّةِ ؛ يُحَفِّزُهُ الطُّمُوحُ الـشَّرِيفُ إِلَى الظَّفَـرِ بِنِعْمَـةِ الله وَرِضْوانِهِ ، وَحِينَ يَلْمَحُ ما أَعَـدَّ الله لِلْمُجْـرِمِينَ وَالكَفَـرَةِ مِـنَ النَّكـالِ وَالعَـذابِ ؛ يُزْعِجُهُ القَلَقُ ، وَيَفْجَعُهُ الخوفُ مِنْ غَـضَبِ الله وَنِيرانِـهِ ، فَيَكُـونَ سُـلُوكُهُ بَـيْنَ هَـذَينِ الشُّعُورَيْنِ كَرِيماً مُسْتَقِيماً ، بَينَ الرَّجاءِ فِي رَحْمَةِ الله وَنَعِيمِهِ ، وَبَينَ الخَوفِ مِنْ غَـضَبِ الله وَجَحِيمِهِ ، وَالمُهِمُّ هُوَ الاعْتِقـادُ الجـازِمُ وَالاسْـتِيقَانُ مِـنْ أَنَّ الـدَّارَ الآخِـرَةَ حَـقٌّ مِثْـلُ الاعْتِقادِ وَالاسْتِيقانِ بِأَنَّنا مَوجُودُونَ فِي هَذِهِ الدَّارِ ، سَواءً بِسَواءٍ .

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ ، يا أَبْناءَ الأَمْواتِ ، وَيا آباءَ الأَمْواتِ : عَجِيبٌ أَمْرُنا ! ، كَيفَ نَلْهُـو وَالمَوتُ جادٌّ ، أَنَلْهُو وَأَيامُنا تَذْهَبُ ، وَنَلْعَبُ وَالمَوتُ لا يَلْعَبُ ، لَنَأْخُذَ العِـبْرَةَ والادِّكـارَ مِمَّـا حَصَلَ عِنْدَنا فِي الأَيَّامِ القَرِيبَةِ الماضِيَةِ اخْتَلَطَ فِيهَا التَّهانِي بِالتَّعازِي ، بَيْنَما كُنَّـا نَتَبـادَلُ التَّهـانِي بِعِيدِ الفِطْرِ المُبارَكِ، وَكُنَّا مُنْهَمِكِينَ فِي التَّبْرِيكاتِ بِالزِّواجـاتِ وَالأَفْـراحِ ، تُفاجِئُنـا الأَقْـدارُ وَالقَضاءُ الإِلَهِي بِمَـوتِ بَعْـضِ مَـنْ يَعِـزُّ عَلَينَـا ، وَلا رَدَّ لِقَـضاءِ الله ، فَاخْتَلَطَـتْ الأَفْـراحُ بِالأَتْراحِ ، وَالحابِلُ بِالنَّابِلِ ، وَهَذِهِ سُنَّةُ الله فِي خَلْقِهِ ، وَمَشِيئَتُهُ فِينَا :

حُكْـمُ المَنِيَّـةِ فِي البَرِيَّـةِ جـارِي ... مـا هَـذِهِ الـدُنيا بِـدار قَـرار
بَينـا يَـرى الإِنـسان فيهـا مُخـبِراً ... حَتّـى يُـرى خَـبَراً مِـنَ الأَخبـارِ
طُبِعَـت عَـلى كـدرٍ وَأَنـتَ تُرِيـدُها ... صَـفواً مِـنَ الأَقـذاءِ وَالأَكـدارِ
وَمُكَلِّـف الأَيـامِ ضِـدَّ طِباعِهـا ... مُتَطَلِّـب فِي المـاءِ جَـذوة نـارِ
وَإِذا رَجَـوتَ المُـستَحيل فَـإِنَّما ... تَبنـي الرَجـاءَ عَـلى شَـفيرٍ هـارِ
فَـالعَيشُ نَـومٌ وَالمَنِيَّـةُ يَقِظَـةٌ ... وَالمَـرءُ بَيـنَهُما خَيـالٍ سـاري[1]

---

(١) لأبي الحسن علي بن محمد بن فهد التهامي المتوفى سنة ٤١٦ هـ من البحر الكامل .

إِنَّهُ لا مُسْتَقْبَلَ عِندَ الله لِمَنْ لَمْ يَسْتَمدْ مِنْ عُمْرِهِ عِلْماً يَرْقَى بِعَقْلِه ، وَأَدَباً يَسْمُو بِخُلُقِهِ ، وَتَقْوَى تَدْعَمُ عَلاقَتَهُ بِرَبِّهِ ، وَتَكُونُ ذُخْراً عِنْدَ لِقائِهِ تَعالَى .

إِنَّ أَحْسَنَ الكَلامِ لَفْظاً وَوَقْعاً ، وَأَحْلَى البَيانِ سَمْعاً وَنَفْعاً ، كَلامُ مَنْ عَنَتِ الوُجُوهُ لَهُ كَرْهاً وَطَوعاً .

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي المُهْتَدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [1] وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [2].

أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [3].

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم .

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) سورة البقرة الآية (١٥٥_١٥٧)

## الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلَيهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْـدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيـكَ لَـهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَــهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَــهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَــهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَــهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُـلَّ مَـن جَحَدَ به وكَفَــرَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَـلَى سَـيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيـلِ الْمُحَيَّا والمَنْظَـرِ ، وعَـلَى آلِــهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أما بعدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى ، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

عِبادَ الله : خَطَبَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ : أَوَّلَ بِعْثَتِهِ فَقالَ :(( إِنَّ الرَّائِـدَ لا يَكْـذِبُ أَهْلَـهُ "وَالله لَتمُـوتَنَّ كَـما تَنـامُونَ ، وَلَتبْعَـثُنَّ كَـما تَـسْتَقِيظُونَ ، وَلَتُجْـزُونَ بالإِحْسانِ إِحْساناً ، وَبِالسُّوءِ سُوأً إِنَّها لجَنَّةٌ أَبَداً أَوِ النَّارُ أَبَداً )) .

أَجَلْ : إِنَّ البَعْثَ عَقِيـدَةٌ فَـوقَ الـشُّبُهاتِ ، لا تَعْتَرِيهـا الـشُّكُوكُ وَ الرَّيْـبُ ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [1] ، وَأَنَّ الجَنَّــةَ حَــقٌّ ، وَأَنَّ

---

(١) سورة الحج الآية (٧)

النَّارَ حَقٌّ ، وَأَنَّ كُلّما أَخبَرَ بِهِ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ حَـقٌّ ، لِـذا وَجَـبَ أَنْ نعِدَّ الزَّادَ الطِّيبَ ، وَالاسْتِعْدادَ الكامِلَ لِـذَلِكَ اليَـومِ الرَّهِيـبِ ، وَالمَوْقِـفِ العَـصِيبِ ، فَطُوبَى لِمَنْ اخْتارَ الباقِيَةَ عَلَى الفانِيَةِ وَما أحمقَ مَنْ فَضَّلَ الفانِيَةَ عَلَى الباقِيَـةِ ، «وَالكَـيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِما بَعْدَ المَـوتِ ، وَالأَحْمَـقُ مَـنْ أَتْبَـعَ نَفْـسَهُ هَواهـا وَتَمَنَّـى عَـلَى الله الأَمانِيَ» ، وَقالَ أَحَدُ الحُكَماءِ ما مَعْناهُ : ( لَو أَنَّ الدُّنْيا ذَهَبٌ يَفْنَى والآخِرَةُ خَزَفٌ يَبْقَـى لاخْتَرْنا الخَزَفَ الَّذِي يَبْقَى عَلَى الذَّهَبِ الَّذِي يَفْنَي ) ، كَيفَ وَالأَمْـرُ بـالْعَكْسِ بِالنِّـسْبَةِ لِلْمُؤْمِنِ فَإِنَّ الدُّنْيَا خَزَفٌ يَفْنَى وَالآخِـرَةُ ذَهَـبٌ يَبْقَـى ، فاخْتِيـارُ الخَـزَفِ الفـانِي عَـلَى الذَّهَبِ الباقِي حُمْقٌ ما بَعْدَهُ حُمْقٌ ، وَسَخافَةٌ ما فَوقَها سَخافَةٌ .

وَالعَمَلُ الصَّالِحُ مَصْدَرُ الخَيرِ كُلِّهِ ، وَالسَّبَبُ المُعَوَّلُ عَلَيهِ إِذا خَلُصَت النِّيَّةُ ، وَحَسُنَ القَصَدُ ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1] ، ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2] .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنا دِيْنَنا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنا وأَصْلِحْ لَنا دُنْيانـا الَّتـي فِيهَـا مَعاشُـنا ، وأَصْلِحْ لَنا أَخِرَتَنا الَّتِي إِلَيها مَعادُنا ، واجْعَل الحَيـاةَ زِيـادَةً لَنـا فِي كُـلِّ خَـيْرٍ ، واجْعَـل المَوتَ راحَةً لَنا مِنْ كُلِّ شَرٍّ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّها المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِـراً لَكُـمْ تَكْـرِيماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ .

---

(١) المائدة (٢٧)

(٢)سورة ص الآية (٢٨ـ٢٩)

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَلِي ، والـمَقَامِ الأَفْضَلِ : سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِي ، وعَنْ رَيْحَانَتَي نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّةِ ، أَبِي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِي عَبْدِالله الـحُسَينِ وعَلَى أُمِّهِمَا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِي عَمَارَةَ الـحَمْزَة، وأَبِي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيّكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَةَ والزُّبَيرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْمَنِ وأَبِي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّةِ ، و يَا مُجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّسْ هَمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَا بِالعَفْوِ والغُفْرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِي الحَاجَاتِ وغَافِرِ الذُّنُوبِ و الـخَطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِلاد الـمُسْلِمِينَ

اللّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا ، وأَلِّـفْ بَـينَ قُلُوبِنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَـعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .

اللّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الـدِّينِ . اللّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُـنْ عَونَـاً ومُعِينَـاً لَـهُ ، واخْـذُلْ مَـنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ .

اللّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثَاً مُغِيثَاً هَنِيئَـاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَـادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَزِدْكُمْ ، وَلَـذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# لِكُـلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ

## الخُطْبَـةُ الأُولى

الحَمْدُ لله الَّذِي لا يَقْبَلُ إلا طَيِّباً ، جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمالَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظافَةَ ، أَمَرَنا بِالطَّهارَةِ وَالنَّظافَةِ ؛ لِصِحَّةِ الأَبْدانِ وَالأَرْواحِ ، وَنَهانا عَمَّا يَجْلِبُ الأَمْراضَ ، وَيُضْعِفُ الأَجْسامَ ، وَيُفْسِدُ الذَّوقَ وَالعَقْلَ ، وَيُغْضِبُ الرَّبَّ ، وَيُؤْذِي الجَلِيسَ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، أَمَرَنا بِالنَّظافَةِ وَالطَّهارَةِ فَشَرَعَ لَنا الوُضُوءَ وَالغُسْلَ وَإِزَالَةَ النَّجاساتِ عَنِ الثَّوبِ وَالْبَدَنِ وَالمَكانِ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحمداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ القائِلُ: « نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ الناسِ : الصِّحَّةُ وَالفَراغُ » [1] .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسانٍ ، فَرَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ .

أَمَّا بَعْدُ : فأُوصِيكُم أَيُّها المُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى ، القائِلِ جَلَّ جَلالُهُ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [2] ، وَقَالَ جَلَّ فِي عُلاهُ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ سورة النساء الآية ( ١ ) .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الرقاق ، باب(لا عيش إلا عيش الآخرة) رقم الحديث (٥٩٣٣) .

(٢) سورة آل عمران الآية (١٠٢) .

عِبادَ الله : إِنَّ نِعَمَ الله عَلَينا كَثِيرَةٌ وَ جَزِيلَةٌ ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾[1].

أَيُّها المُسْلِمُونَ : ما مَنَحَ الله العَبْدَ نِعْمَةً بَعْدَ الإِيمانِ وَالتَّوحِيدِ أَعْظَمَ مِنْ نِعْمَةِ الصِّحَّةِ وَالسَّلامَةِ مِنَ الأَمْراضِ وَالأَسْقامِ ، فَإِنَّ العَبْدَ ما أُعْطِيَ بَعْدَ يَقِينٍ خَيراً مِنْ عافِيَةٍ ، والمُؤْمِنُ إِذا أُعْطِيَ عَقْلاً سَلِيماً فِي جِسْمٍ سَلِيمٍ طابَتْ حَياتُهُ ، وَهَنِئَتْ مَعِيشَتُهُ ، إِنَّ صِحَّةَ الأَجْسامِ وَجَمالَهَا وَنَضارَتَها مِنَ الأُمُورِ الَّتِي وَجَّهَ الإِسْلامُ إِلَيها عِنايَةً فائِقَةً ، وَاعْتَبَرَها مِنْ صَمِيمِ رِسالَتِهِ ، كَما أَنَّ دِيْنَنا الإِسْلامِيَّ الحَنِيفَ نَبَّهَ وَحَثَّ عَلَى تَنْظِيفِ البُيُوتِ وَأَفْنِيَتِها وَما جاوَرَها ، مِنَ الفَضَلاتِ وَ الْقُماماتِ وَبَقايا الأَطْعِمَةِ حَتَّى لا تَكُونَ مَباءَةً لِلْحَشَراتِ وَمَصْدَراً لِلْعِلَلِ وَالأَمْراضِ ؛ بِسَبَبِ ما يَعِيشُ فِيهَا مِنَ الجَراثِيمِ الَّتِي تَنْقُلُ الأَمْراضَ ، وَكَذَا حَثَّ عَلَى رَدْمِ المُسْتَنْقَعاتِ وَمَجارِي تَصْرِيفِ المِياهِ الخارِجَةِ مِنَ المَراحِيضِ الَّتِي تُفْسِدُ الجَوَّ بِرَوائِحِها الكَرِيهَةِ وَنَتْنِها ، فَهَلْ وَعَيْنا مَا عَلَينا مِنْ مَسْئُولِياتٍ وَواجِباتٍ تجاهَ هَذِهِ المَضارِ الَّتِي أَحْدَثْناها وَنُحْدِثُها نَحْنُ مِنْ صُنْعِ أَيْدِينا ، فَإِنَّنا نَحْنُ المُواطِنِينَ نَتَحَمَّلُ أَكْبَرَ وَأَثْقَلَ حِمْلٍ وَتَبَعَةٍ فِي هَذِهِ المُهِمَّاتِ .

أَجَلْ أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : إِنَّ نِعْمَةَ الصِّحَّةِ الَّتِي يَتَمَتَّعُ بِها الإِنْسانُ لَهِيَ مِنَ النِّعَمِ الكَبِيرَةِ الَّتِي أَنْعَمَ الله بِها عَلَى عِبادِهِ المُؤْمِنَين ، وَلا تُعْرَفُ قِيمَتُها إِلا إِذا حُرِمَ مِنْها الإِنْسانُ ، وَالنَّفْسُ مَجْبُولَةٌ عَلَى حُبِ ما مُنِعَتْ مِنهُ ، فَنَتَمَتَّعُ بِنِعْمَةِ السَّمْعِ وَنَتَمَتَّعُ بِنِعْمَةِ البَصَرِ وَنَتَمَتَّعُ بِكُلِّ الحَواسِ ، إِنَّها لا تُعْرَفُ إِلا عِنْدَ زَوالِها لأَنَّها كَما يُقالُ: ( الصِّحَّةُ تاجٌ عَلَى رُؤوسِ الأَصِحَّاءِ لا يَراهُ إِلا المَرْضَى ) ، وَأَنْتَ أَيُّها الصَّحِيحُ السَّلِيمُ المُعافَى إِذَا

(١) سورة لقمان الآية (٣٠) .

أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ قِيمَةَ هَذَه النِّعَمِ الَّتِي مَنَحَكَ الله إِيَّاها ، فَأَلْقِ نَظْرَةً عابِرَةً عَلَى مَنْ حَوْلَكَ مِنْ ذَوِي العاهاتِ المُسْتَدِيمَةِ مِنَ المَكْفُوفِينَ ، وَالصُّمِّ وَالبُكْمِ وَالعُرجِ وَالمُقْعَدِينَ ، وَمَـنْ ابْتُلِيَ ، أَوْ قُمْ بِزِيارَةٍ مُسْتَعْجَلَةٍ لِعَنابِرِ[1] المُسْتَـشْفَى فَـسَتَجِد كَثِـيرَاً مـن المَـرْضَى عَـلَى أَسِرَّتِهِمْ البَيْضاء وَسَـتَرَى العَجَـبَ العُجـابِ ، والمَوْعِظَـةَ الحَسَنَةَ ، فَـتَرَى مَرِيـضاً يَتَمَلْمَلُ عَلَى فِراشِهِ مِنَ الأَلَمِ لَيْـلَ نَهـارَ ، وَذاكَ مَـرِيضٌ بُـتِرَتْ سـاقُهُ أَوْ ذِراعُـهُ ، وَآخَـرُ مُصابٌ بِمَرَضِ السَّرَطانِ ، أَوِ السُّلِّ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ المَناظِرِ المُؤْلِمَةِ المُزْعِجَةِ وَأَنْتَ مُعافَى مِنْها بِإِذْنِ الله ؛ فَسَتَسْجُدَ لله شُكْراً إِذْ عافاكَ مِنْها ، وَلا يَـسَعُكَ إِلا أَنْ تَقُـولَ فِي نَفْـسِكَ شاكِراً لله: ( الحَمْدُ لله الَّذِي عافَانِي مِما ابْتَلاهُمْ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً )[2]، قُلْهَا سِرَّاً ؛ لِكَيْ لا تَجْرَحَ مَشَاعِرَهُمْ فَإِنَّهُمْ- أَيِ المَرْضَى- حَسَّاسُونَ جِـدًّا وَلَـوْ مِـنْ بَعْضِ نَظَرَاتِ زَائِرِيهِمْ ، وَلَيْسَ بَعِيداً أَنْ تُصَابَ اليَومَ أَوْ غَداً بِمِثْلِ ما أُصِيبُوا ، فَما قِيْمَـةُ الحَياةِ إِذا فَقَدْتَ نِعْمَةَ الإِبْصارِ مَثَلاً ، فَلا تَرَى مَنْ حَوْلَكَ مِـنْ أَحْبابِـكَ ، وَلا تُمَيِّـزُ بَـيْنَ اللَيْلِ وَالنَّهارِ ، وَاللَّونِ الأَبْيَضِ وَالأَسْوَدِ ، وَبَيْنَ القَبِيحِ وَالجَمِيلِ ، وَلَمْ تَـسْتَمْتِعْ بِمَنـاظِرِ الطَّبِيعَةِ الخَلابَةِ ، وَصُوَرِها الجَذَّابَةِ .

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِـزَّاءُ : أَمَرَنا الله تَعَالَى بِالوِقايَـةِ مِـنَ الأَمْـراضِ قَبْـلَ أَنْ تَفْتُـكَ بِنـا ، (وَالْوِقايَةُ خَيرٌ مِنَ العِلاجِ) ، وَإِذا ما دَاهَمَتَنـا الأَمْـراضُ لا قَـدَّرَ اللهُ ، أَمَرَنـا بـالِعِلاجِ وَالتَّطَبُّبِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَفْحِلَ الدَّاءُ ؛ فَيَتَعَذَّرَ الدَّواءُ ، فَقَدْ كـانَ رَسُـولُ الله صَـلَّى الله عَلَيـهِ

---

(١) أي أقسام المستشفى .

(٢) روى الترمذي في سننه: كتاب الدعوات، باب(ما يقول إذا رأى مبتلى) عن ابن عمر و أبي هريرة مرفوعاً :" مـن رأى صـاحبَ بلاءٍ ؛ فقال : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً إلا عُوفي من ذلك البلاء كائناً مـا كـان مـا عاش "، و رواه ابن ماجة أيضاً عن ابن عمر مرفوعاً .

وآله وَسَلَّمَ يَتَداوَى وَيُداوِي غَيْرَهُ وَيَأْمُرُ بِالتَّطَبُّبِ ، وَيَقُولُ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : (( ما أَنْزَلَ الله دَاءً إِلا وَأَنْزَلَ مَعَهُ دَواءً ، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ )) [1] وَقالَ : (( إِنَّ الله أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّواءَ ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَواءً ؛ فَتَداوَوْا وَلا تَداوَوْا بِحَرامٍ )) [2].

وَلَقَدْ أَجادَ مَنْ قالَ :

لِكُلِّ داءٍ دَواءٌ يُسْتَطَبُّ بِهِ    إِلا الحَماقَةَ أَعْيَتْ مَنْ يُداوِيها

وَاللهُ تَعالَى أَمَرَنا بِالعِلاجِ وَالْتِماسِ الدَّواءِ ، وَلا يُعَدُّ ذَلِكَ مُنافِياً لِلتَّوَكُّلِ عَلَيهِ كَما يَتَوَهَّمُ ذَلِكَ مَنْ قَصُرَ باعُهُ فِي التَّعالِيمِ الإِسْلامِيَّةِ ، بَلْ يُعَدُّ ذَلِكَ هُوَ أَساسُ التَّوَكُّلِ عَلَى الله ؛ لأَنَّهُ تَعالَى رَبَطَ الأَسْبابَ بِمُسَبَّباتِها ؛ وَ يَجِبُ عَلَينا اتِّخاذُ الأَسْبابِ ، وَلاسِيَّما الأَمْراضُ المَوْبُوءة الَّتِي تَحْمِلُ الفَجائِعَ [3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده : (مسند المكثرين من الصحابة) (مسند عبدالله بن مسعود رضي الله عنه) رقم الحديث (٤٠٤٦) .

(٢) رواه أبو داود في سننه : كتاب الطب ، باب(في الأدوية المكروهة) رقم الحديث (٣٣٧٦) ، و روى الإمام أحمد و مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:" لكلِّ داءٍ دواءٌ فإذا أُصيبَ دواءُ الداءِ بَرَأَ بإذن الله عزَّ وجلَّ " .

(٣)وَقَدْ حَمَلَتْ إِلَينا وَسائِلُ الإِعْلامِ فِي بِلادِنا وَغَيْرِها بَعْضَ الإِصاباتِ المُزْعِجَةِ بِمَكْرُوباتِ حُمَّى فَتاكَةٍ أَلا وَهِيَ حُمَّى وادِي الصِّداعِ فِي بَعْضِ مَناطِقِ اليَمَنِ ، وَبِالمُناسَبَةِ وَمِنْ هَذا المُنْطَلَقِ فَإِنَّ وَزارَةَ الصِّحَّةِ فِي حُكُومَتِنا الرَّشِيدَةِ وَضِمْنَ جُهُودِها الطِّبِّيَّةِ لِلْقَضاءِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الأَمْراضِ وَحَصْرِها لا سِيَّما الأَمْراضِ السِّتَّةِ الخَبِيثَةِ الَّتِي تُهَدِّدُ حَياةَ أَطْفالِنا وَأَفْلاذَ أَكْبادِنا ؛ وَفِي مُقَدِّمَتِها المَرَضُ العُضَالُ ما يُسَمَّى بِشَلَلِ الأَطْفالِ الفَتَّاكِ ، وَلِلْوِقايَةِ مِنْهُ فَإِنَّ وَزارَةَ الصِّحَّةِ العامَّةِ عاقِدَةُ العَزْمِ عَلَى القِيامِ بِحَمْلَةٍ وَطَنِيَّةٍ شامِلَةٍ لِتَطْعِيمِ الأَطْفالِ ضِدَّ هَذا المَرَضِ فِي كُلِّ أَنْحاءِ الجُمْهُورِيَّةِ عَلَى جَوْلَتَيْنِ ؛ ولِلأَهَمِّيَةِ وَجَبَ عَلَى الجَمِيعِ التَّعاوُنُ فِي إِنْجاحِ الجَوْلَتَيْنِ وِقايَةً لأَطْفالِنا مِنْ هَذا المَرَضِ الخَبِيثِ ، فَإِنَّهُ ما أَصابَ طِفْلاً غَضّاً فِي عُمْرِ الزُّهُورِ إِلا لازَمَتْهُ العاهَةُ الخَطِيرَةُ طِوالَ حَياتِهِ مَشْلُولاً يَمْشِي أَعْرَجَ وَيُصْبِحُ عالَةً عَلَى أُسْرَتِهِ وَحِمْلاً ثَقِيلاً عَلَى مُجْتَمَعِهِ يَشْعُرُ بِالنَّقْصِ عِنْدَ ما يَرَى أَتْرابَهُ وَزُمَلائَهُ يَمْرَحُونَ وَيَلْعَبُونَ وَهُوَ عاجِزٌ عَنْ مُشارَكَتِهِمْ ، وَمَعَ إِيمانِنا القَوِيِّ بِأَنَّ ذَلِكَ المَرَضَ وَغَيرَهُ مِنَ الأَمْراضِ هُوَ بِقَضاءِ الله وَقَدَرِهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَى ، إِلا أَنَّهُ أَمَرَنا بِأَخْذِ الحَذَرِ وَالحِيْطَةِ لِلْوِقايَةِ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ مِنَ الأَمْراضِ لِكَيْ يَنْشأَ أَولادُنا رِجالاً أَقْوِياءَ قادِرِينَ عَلَى نَفْعِ أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِهِمْ وَمُجْتَمَعِهِمْ وَوَطَنِهِمْ وَدِينِهِمْ ؛ وَ (( المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ )) ، كَما يَجِبُ عَلَيْنا أَنْ نَحُثَّ وَنُنَبِّهَ أَهالِينا وَأَقارِبَنا وَجِيرَانِنا عَلَى ذَلِكَ الخطرِ وَنُوَضِّحُ لَهُمْ أَهْمِيَّةَ الوِقايَةِ حَيثُ سَيَقُومُ مَكْتَبُ شُئُونُ الصِّحَّةِ بِالمُدِيرِيَّةِ بِفَتْحِ مَراكِزَ فِي الوَحَداتِ الصِّحِيَّةِ وَمَراكِزَ الأُمُومَةِ وَالطُّفُولَةِ وَفِرَقٍ مُتَجَوِّلَةٍ فِي مَراكِزَ المُدِيرِيَّةِ ، وَسَيَشْمَلُ التَّطْعِيمُ هَذا كُلَّ الأَطْفالِ المُطَعَّمِينَ سابِقاً وَغَيرَ المُطَعَّمِينَ .

وَنُضِيفُ إِلَى هَذا كُلِّهِ أَنَّ الوِقايَةَ خَيرٌ مِنَ العِلاجِ ؛ لأَنَّنا إِذا لَمْ نَنْتَبِهْ إلا بَعْدَ فَواتِ الأَوان إِذاً فَأَيْنَ الوِقايَةُ مِنَ الأَمْراضِ ؟ وَكَيفَ تَكُونُ الوِقَايَةُ ؟ وَعَلَى مَنْ تَجِبُ الوِقايَةُ ؟ هَذِهِ أَسْئِلَةٌ مَطْرُوحَةٌ عَلَيْنا نُطَالَبُ بِالإِجابَةِ عَنْهَا عَمَلِيّاً ، فَإِنَّ تَلَوُّثَ البِيْئَةِ عِنْدَنا هُنا لَيسَ هُوَ تَلَوُّثُ البِيْئَةِ هُناكَ أَيْ فِي الأَقْطارِ المُتَطَوِّرَةِ الصِّناعِيَّةِ ، هُناكَ التَّلَوُّثُ مِنْ مَوارِدَ المَصانِعِ وَالآلاتِ وَالزُّيُوتِ المُحْتَرِقَةِ ، وَالْغازاتِ الضارَّةِ مِنَ المَوادِّ الكِيماوِيَّةِ الَّتِي أَفْسَدَتْ أَجْواءَهُمْ ، وَلَكِنْ عِنْدَهُمْ الوِقايَةُ الكامِلَةُ ، عِنْدَهُمْ المُسْتَشْفَياتُ وَالعِلاجُ وَعِنْدَهُم الطِّبُّ وَالأَدْوِيَةُ ، وَعِنْدَهُمْ المُؤَسَّساتُ الإِنْسانِيَّةُ وَالإِسْعافاتُ ، وَعِنْدَهُمْ أَيْضاً الوَعْيُ ، وَمَعَهُمْ المَسْئُولُونَ السَّاهِرُونَ عَلَى صِحَّةِ البِيْئَةِ وَمَصْلَحَةِ الأُمَّةِ ، أما نَحْنُ عِنْدَنا تَلَوُّثُ البِيْئَةِ مِنْ نَوعٍ آخَرَ ، فَشَوارِعُنا العامَّةُ تَعُجُّ بِالْفَضَلاتِ وَالقُمامَاتِ وَالقَاذُورَاتِ المُنْتِنَةِ ، وَمِياهِ المَجارِي وَالْبَلالِيعِ الفائِضَةِ الَّتِي تَمْلأُ الأَجْواءَ وَباءً وَتَلَوُّثاً ، و تُهَدِّدُنا بِأَخْبَثَ الأَمْراضِ ، بَلْ قَدْ أَمْرَضَتْنا وَأَصابَتْنا بِكَثِيرٍ مِنَ الأَوْبِئَةِ الَّتِي اسْتَوطَنَتْ عِنْدَنا وَاسْتَعْصَى عِلاجُها ، وَمُسْتَشْفَياتُنا كَما نَعْرِفُها لا تَمْلُكُ مِنَ الأَمْرِ شَيْئاً نَواقِصُها كَثِيرَةٌ فِي الأَطِبَّاءِ وَالمُخْتَصِّينَ وَالأَدْوِيَةِ وَالمِعداتِ وَاللَّوازِمِ الطِّبِّيَّةِ ، وَنَحْنُ المُواطِنِينَ لا نَعِي جَيِّداً هَذِهِ المَرْحَلَةَ الَّتِي نَعِيشُها وَنَمُرُّ بِها ، وَكَأَنه لا يَعْنِينَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ بِالمَرَّةِ ، مَعَ أَنَّنا الخاسِرُونَ أَوَّلاً وَأَخِيراً ، وَنَحْنُ المُتَضَرِّرُونَ اليَومَ وَغَداً وَبَعْدَ غَدٍ ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ ، وَمَعَ كَثْرَةِ تَوَجُّهِ النَاسِ إِلَى المُسْتَشْفَياتِ وَالوَحَداتِ الصِّحِيَّةِ وَالمُسْتَوصَفاتِ إِلا أَنَّ الوَعْيَ لِما يَقُولُهُ الأَطِبَّاءُ وَإِرْشاداتُهُمْ وَاسْتِعْمالُ العَقاقِيرِ إِذا لَمْ يَكُنْ بِالطَّرِيقَةِ الصَّحِيحَةِ المُثْلى تَكُونُ النَّتائِجُ مَعْكُوسَةً .

ومِن الوِقايَةِ : الابْتِعادُ عَنِ المَعاصِي وَمَزالِقِ الشَّهَواتِ الجِنْسِيَّةِ وَالْبَطْنِيَّةِ ؛ فَقَد قَالَ عَزَّ منْ قائِلٍ : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [1] ، وَقالَ بعضُ أَطِبَّاءِ و حُكَمَاءِ العَرَبِ : المَعِدةُ بَيْتُ الدَّاءِ وَالحِمْيَةُ رَأْسُ كُلِّ دَواءٍ ، وَأَصْلُ كُلِّ داءٍ البُرَدَاءُ ، وَهِيَ إِدْخالُ الطَّعامِ عَلَى الطَّعامِ .

وَمِما تمس إليه الحاجة في مجتمعنا اليمني افتتاحُ المزيد من المُؤَسَّساتِ الطِّبِّيَّةِ أَوِ المُسْتَوْصَفاتِ الصِّحِيَّةِ ولو عَلَى نَفَقَةِ أَهْلِ الخَيْرِ مِنْ ذَوِي الأَرِيحِيَّاتِ ، وَنُهِيبُ بالْمَسْئُولِينَ والمُواطِنِينَ أَنْ يَبْذِلُوا الغالِيَ وَالرَّخِيصَ وَالنَّفْسَ وَالنَّفِيسَ فِي مِثْلِ هَذِهِ المَشارِيعِ الخَيْرِيَّةِ ؛لإِنْقاذِ ما يُمْكِنُ إِنْقاذُهُ مِنْ إِخْوانِهِمْ مِنْ ذَوِي العاهاتِ المُسْتَدِيمَةِ لِعِلاجِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ وَتَدْرِيْبِهِمْ عَلَى حِرْفَةٍ يَصُونُونَ بِها أَغْراضَهُمْ وَيَحْفَظُونَ بِها مَاءَ وُجُوهِهِمْ ، وَلَيْسَ مِنْ شَرَفِ الإِسْلامِ أَنْ يَظِلَّ هَؤُلاءِ المَكْفُوفونَ ، أَوْ غَيْرهِمْ مِنَ الصَّمِّ وَالبُكْمِ عالَةً عَلَى المُجْتَمَعِ يَشْحَذُونَ فِي المَساجِدِ ، وَيَسْكُنُونَ فِي الشَّوارِعِ ، وَيَقِفُونَ عَلَى الأَبْوابِ أَذِلَّاءَ مُحْتَقَرِينَ ، إِنَّ كَثِيراً مِنَ المُحْسِنِينَ جَزاهُمُ الله خَيرَ الجَزاءِ بَذَلُوا الأَمْوالَ بِسَخَاءٍ فِي مَشَارِيعَ خَيْرِيَّةٍ يُؤجَرُونَ عَلَيها كَبِنايَةِ المَساجِدِ وَتَوسِعَتِها ، وَهَذا لا شَكَّ لَهُ أَعْظَمُ المَثُوبَةِ وَالأَجْر مِنَ الله تَعالَى وَلَكِنَّ عَلَيهِمْ أَنْ يَتَّجِهُوا لِبِنايَةِ دُورٍ لِلْعَجَزَةِ أَوْ مَلاجِئ لِلأَيْتامِ ، أَوْ مَدارِسَ لِلْعُمْيِ وَالبُكْمِ وَالصُّمِّ ، إِنَّ مِثْلَ هَذِهِ المَكْرُمَاتِ الإِنْسانِيَّةِ لَمْ تَحْظَ بَعْدُ بِشَيءٍ مِنَ الاهْتِمامِ مِنْ أَهْلِ الخَيرِ فَكَأَنَّها لا تَعْنِيهِمْ أَوْ كَأَنَّها لَيْسَتْ مُهِمَّةً يُثابُ عَلَيها مَنْ يَبْذِلُ المالَ مِنْ أَجْلِها ، إِنَّها نَظْرَةٌ خاطِئَةٌ .

اللَّهُمَّ أَرِنا الحَقَّ وَارْزُقْنا اتِّبَاعَهُ ، وَأَرِنَا الباطِلَ بَاطِلاً وَارْزُقْنا اجْتِنابَهُ .

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢١) .

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِـهِ يَهْتَـدِي المُهْتَـدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١) وَقَـالَ عَـزَّ مِـنْ قَائِـلٍ كَـرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ (٢).

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ (٣).

بارَكَ الله لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِـيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُـوَ الغَفُـورُ الرَّحِيمِ .

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) سورة الشعراء الآيات (٧٨-٨٣).

# الخطبة الثانية

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَـدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْـدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيـكَ لَـهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَــهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَـهُ الصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَــهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَــهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ . اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أما بعدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى ، اتَّقُوا اللهَ مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ المُسْلِمُونَ : كَثِيراً ما نُفَرِّطُ فِي تَرْبِيَةِ أَطْفالِنا وَنُهْمِلُ وِقـايَتَهُمْ مِـنَ الأَمْراضِ ، مَعَ أَنَّ الإِسْلامَ وَفَّرَ لَنا أَسْبابَها بِما شَرَعَ مِنْ قَواعِدَ النَّظافَةِ الدَّائِمَةِ ، بِما رَسَمَهُ لَنا مِنْ مَنْهَجٍ لِحَياتِنا يَلْتَزِمُ عَلَينا السَّيْرُ عَلَيهِ ، وَنَتِيجَةً لِإِهْمالِ الصِّغارِ كَمْ مِـنْ طِفْـلٍ فَقَـدَ بَصَرَهُ فَلَمْ يَرَى النُّورَ فِي حَياتِهِ ، وَكَمْ طِفْلٍ أُصِيبَ بِالشَّلَلِ فَكانَتْ حَياتُهُ ثَقِيلَةً عَلَى أَهْلِـهِ فَصارَ عالَةً عَلَى الآخَرِينَ ، وَمِنْ فَضْلِ الله عَلَينا نَحْنُ المُتَـأَخِّرِينَ أَنْ أَنْـشَأَتْ لَنَـا الدَّولَـةُ جَمْعِياتٍ لِلْمَكْفُوفِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ ذَوِي العاهاتِ المُسْتَدِيمَةِ تُعْنَى بِـشُئُونِ هَـؤُلاءِ الَّـذِينَ حُرِمُوا نِعْمَةَ البَصَرِ أَوْ نِعْمَةَ الكَلامِ ؛ لِتَرْفَعَ مِنْ مُسْتَواهُمْ فِي الحَياةِ ، وَتَفْتَحَ لَهُمْ المَدارِسَ

وَالْمعاهِدَ الخاصَّةَ وَتُؤَهِّلهُمْ عِلْمِيّاً وَعَمَلِيّاً ؛ فَلِذا رَأَيْنا الكَثِيرَ مِنْهُمْ مِنَ المَكْفُوفِينَ اليَـومَ يَحْتَلُّونَ مَراكِزَ مَرْمُوقَةً فِي شَتَّى مجالاتِ الحَياةِ ، وَيَحْمِلُونَ الـشَّهاداتِ المُخْتَلِفَـةَ العالِيَـةَ ، وَتَرَبَّعُوا كَراسِيَ العِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ ، وَصانُوا ماءَ الوَجْهِ وَالكَرامَةِ ، وَلَمْ يَكُونُوا كَغَيْرِهِمْ عالَةً وَ تِرْكَةً ثَقِيلَةً عَلَى الآخَرِينَ ، وَيْـلٌ لَنـا وَيـلٌ لَنـا إِنْ لَمْ نَنْتَبِـهْ لِهَـؤُلاءِ المُسْتَـضْعَفِينَ الَّـذِينَ يَعِيشُونَ بَيْنَ ظَهْرانِينَا محْرُومِينَ ؛ لأَنَّهُمْ يَشْعُرُونَ بِعُقْدَةِ النَّقْصِ فَيَحْقِدُونَ عَلَينا ؛ لأَنَّنـا لَمْ نُنْصِفْهُمْ بَلْ ظَلَمْناهُمْ وَقَدْ يَنْتَقِمُونَ مِنَّا [1].

وَمِنْ عِنايَةِ الله بِالنَّاسِ : أَنَّـهُ لَو فَقَدَ الإِنْسانُ مَلَكَةً مِنَ المَلَكاتِ المَوْهُوبَـةِ عَوَّضَـهُ الله زِيادَةً فِي غَيْرِها مِنَ المَلَكـاتِ الأُخْـرَى ، فَالَّـذِي فَقَـدَ حَاسَّـة النَّظَـرِ مَـثَلاً يُعَوِّضُـهُ الله بِإِحْسَاسٍ مُرْهَفٍ وَ ذَكَاءٍ ثَاقِبٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُرَاقِبَ ما حَوْلَهُ وَمَنْ حَولَهُ وَيَصْدُقُ عِنْـدَها حَدْسُـهُ .

وَهُنـاكَ نَـماذِجُ كَثِـيرَةٌ فِي تارِيخِنـا القَـدِيمِ وَالحَـدِيثِ مِـنَ المَكْفُـوفِينَ الَّـذِينَ امْتـازُوا بِعَبْقَرِياتٍ فَـــذةٍ مَلَئُوا الدُّنْيا عِلْماً وَحِكْمَةً كالإِمامَيْنِ العَظِيمَينِ الـحَـــدَّاد ، وَالعَطَّاسِ [2] وَغَيْرِهِمْ كَثِيرٌ مِنْ بِلادِنا وَغَيْرِها وَللهِ فِي خَلْقِهِ شُئُونٌ .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

(١) وَمِنَ التَّقالِيدِ الحَمِيدَةِ إِقامَةُ أُسْبُوعِ المَكْفُـوفِينَ فِي بِلادِنـا وَغَيْرِهـا هَـذِهِ الأَيـامِ بِرِعايَـةِ وَزَارَةِ الـصِّحَّةِ العامَّـةِ فِي جُمْهُورِيتنـا وَبِمُساعَدَةِ المُنَظَّماتِ وَالمُؤَسَّساتِ الإِنْسانِيَّةِ الدَّولِيَّةِ ، وَكَمْ تَرَكَ الأَوَّلُ لِلآخِرِ .

(٢) وهما العلامة الإمام عبدالله بن علوي الحداد المتوفى سنة ١١٣٢هـ ، والعلامـة الفقيـه أحمـد بـن حـسن العطـاس المتـوفى سـنة ١٣٣٤هـ رحمهما الله تعالى .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَـحْبِهِ ومَـنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ : سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْـرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيـهِ وسَـلَّمَ سَـيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّـدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِــي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقـيَّةِ العَـشَرَةِ الـمُبَـشَّرَةِ ، الَّـذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَـعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْــمَنِ وأَبِــي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجـلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا ، وعَلِيـهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَـا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَــا بِـالعَفْوِ والغُفْـرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوع بِلادِنَـا خَاصَّةً وسَائِر بِـلادَ الـمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَا ، وَاشْفِ مَرْضَـانَا ، وعَـافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَـا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْـدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ .

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثَـاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَـــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَزِدْكُمْ ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# مَا بَعْدَ الحَرْبِ الطَّاحِنَةِ

## الخطبة الأولى

الْحَمْدُ للهِ لَهُ العِزَّةُ وَالْجَبَرُوتُ ، وَلَهُ جَلَّ جَلالُهُ الْمُلْكُ وَالْمَلَكُوتُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، كَتَبَ العِزَّةَ وَالمنَعَةَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا اعْتَصَمُوا بِحَبْلِهِ ، وَاتَّبَعُوا هُدَاهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ دَعَا أُمَّتَهُ إِلَى الوحْدَةِ ، وَأَبْلَغَهُمْ أَمْرَ رَبِّهِ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ سورة المؤمنون آية (٥٢)

اَللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ عَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

أَمَّا بَعْدُ : فأُوصِيكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعَالَى .

عِبَادَ الله : يَقُولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ القَائِلِينَ : ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ سورة آل عمران آية (١٠٥)

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : المصَائِبُ وَالْمِحَنُ الَّتِي تَنْزِلُ بِالنَّاسِ لَهَا فِي نَظَرِ الإِسْلَامِ مَفْهُومٌ خَاصٌّ ، وَمَعْنًى مُحَدَّدٌ ، يَعْرِفُهُ كُلُّ مَنْ لَهُ بَاعٌ طَوِيلٌ فِي العِلْمِ ، وَقَدَمٌ رَاسِخَةٌ فِي الإِيْمَانِ بِالله لَا تُزَعْزِعُهُ العَوَاصِفُ العَاتِيَةُ ، وَيَقِينٌ ثَابِتٌ لَا تَهُزُّهُ الأَعَاصِيرُ الهَائِجَةُ ، وإِنَّهَا حِكْمَةُ الله فِينَا ، وَسُنَّتُهُ فِي خَلْقِهِ مَا يُجْرِيهِ مِنَ النِّعَمِ وَالنِّقَمِ ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالصِّحَّةِ وَالْمَرَضِ ، وَالْحَرْبِ وَالسِّلْمِ وَالْخَوفِ وَالأَمْنِ ، لِيَرَى تَصَرُّفَاتِنَا حِيَالَهَا ، وَمَا تُكِنُّهُ صُدُورُنَا مِنْ إِيْمَانٍ وَثِقَةٍ وَصَبْرٍ وَثَبَاتٍ ، وَابْتِلَاءٍ وَامْتِحَانٍ وَاخْتِبَارٍ لِمَدَى أَصَالَتِنِا ، وَطِيبِ عُنْصُرِنا ،﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [1] .

(١) سورة المعارج آية (١٩-٢٢) .

وَلَقَدْ جَعَلَ الإِسْلَامُ المَصَائِبَ وَالْمِحَنَ سُلَّماً لِلارْتِقَاءِ الرُّوحِيِّ ، وَتَكْفِيراً لِلْخَطَايَا ، وَسَبَبًا لِنَيْلِ ثَوَابِ اللهِ العَظِيمِ ، فَالْمُؤْمِنُ عِنْدَ مَا تَنْزِلُ بِهِ المَصَائِبُ يَسْتَرْجِعُ وَيَقُولُ كَلِمَةً عَلَّمَنَا اللهُ إِيَّاهَا لِنُرَدِّدَهَا عِنْدَ الْمُهِمَّاتِ وَالْمُلِمَّاتِ ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [1] .

أَجَلْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ : لَقَدْ شَهِدَتْ بِلادُنَا اليَمَنُ الحَبِيبَةُ خِلَالَ الأَسَابِيعِ المَاضِيَةِ حَرْبًا ضَرُوساً شَعْواءَ لَمْ تَشْهَدْ مِثْلَهَا فِي تَارِيخِهَا القَدِيمِ والحَدِيثِ ، كَمَا نَعْرِفُ حَرْباً دَارَتْ رَحَاهَا بِضَرَاوَةٍ بَيْنَ إِخْوَةٍ فِي الوَطَنِ وَالدِّينِ وَالْعُرُوبَةِ ، أَضْرَمَ نِيرَانَهَا أَعْدَاءٌ لِلْبِلَادِ مِنَ الدَّاخِلِ وَالْخَارِجِ وَأَجَّجَ سَعِيرَهَا شَيَاطِينٌ مِنَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ ، فَتَرَكُوهَا تَلْتَهِمُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ، وَتَأْكُلُ الأَخْضَرَ وَالْيَابِسَ ، وَنَحْنُ وَإِنْ كُنَّا هُنَا فِي هَذِهِ المَنْطِقَةِ النَّائِيَةِ عَنْ مُعْتَرَكِ القِتَالِ وَسَاحَاتِ النِّزَالِ ، وَإِنْ لَمْ يَصِلْنَا مِنْهَا إِلَّا غُبَارُهَا وَأَخْبَارُهَا ، وَلَمْ نَشُمَّ مِنْهَا إِلَّا رَوَائِحَ قِتَارِهَا ، إِلَّا إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : (( الْمُؤْمِنُونَ كَالْجَسَدِ الوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى )) [2] وَقَالَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (( الْمُؤْمِنُونَ كَالْبُنْيَانِ أَوْ كَالْبَنَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً )) [3].

وَبَعْدَ أَنْ أَنَاخَتْ عَلَينَا هذِهِ الحَرْبُ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ بِكَلْكَلِهَا ، وَأَصْلَتِ العِبَادَ وَالْبِلَادَ بِلَهَبِهَا وَنَكَالِهَا ، أَخْمَدَهَا اللهُ وَأَطْفَأَهَا بَيْنَ عَشِيَّةٍ وَضُحَاهَا ، وَأَبْعَدَ شَبَحَهَا المَشْئُومَ بِقُدْرَتِهِ تَعَالَى بِسُرْعَةٍ غَرِيبَةٍ وَعَجِيبَةٍ ، وَلَيْسَ عَلَى اللهِ شَيْءٌ بِعَجِيبٍ أَوْ غَرِيبٍ ، وَللهِ دَرُّ مَنْ قَالَ :

دَعِ المَقَادِيرَ تَجْرِي فِي أَعِنَّتِهَا ... وَلاَ تَبِيتَنَّ إِلا خَالِيَ البَالِ
مَا بَينَ طَرْفَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا ... يُغَيِّرُ اللهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالِ

(١) سورة البقرة آية (١٥٦) .

(٢) تقدم تخريجه.

(٣)تقدم تخريجه.

وَأَخِيراً انْتَهَتِ المَعَارِكُ بِقُدْرَةِ القَادِرِ ، وَوَضَعَتِ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا ، وَأُخْمِدَ أَوَارُهَا ، وَلَكِنَّهَا تَرَكَتْ تِرْكَةً ثَقِيلَةً ، وَخَلَّفَتْ آثَاراً وَنَتَائِجَ الله وَحْدَهُ يَعْلَمُهَا ، تَرَكَتْ نُفُوساً مَجْرُوحَةً مُوْجَعَةً مَكْسُوفَةً ، هَؤُلَاءِ أَطْفَالٌ يُعَذِّبُهُمْ اليُتْمُ وَالحِرْمَانُ بِفَقْدِ عَائِلِهِمْ ، وَتِلْكَ أَرَامِلُ بَوَاكِي يَنْدُبْنَ رِجَالَهُنَّ الَّذِينَ سَقَطُوا فِي المَعَارِكِ ، وَهَؤُلَاءِ شُيُوخٌ وَعَجَائِزُ يَنْدِبُونَ حَظَّهُمْ فِي آخِرِ أَيَّامِ عُمْرِهِمْ ، وَهُنَاكَ مَنْ قُطِعَتْ أَوْصَالُهُمْ أَشْلاءَ مِنْ ذَوِي العَاهَاتِ المُسْتَدِيمَةِ فَهَذَا بُتِرَ سَاقُهُ وَذَاكَ قُطِعَتْ ، وَهُنَاكَ مَنْ أَصْبَحَ فِي العَرَاءِ ، يَفْتَرِشُ الأَرْضَ وَيَلْتَحِفُ السَّمَاءَ بِلَا مَأْوى ، وَالخُلَاصَةُ أَنَّ لِلْحَرْبِ نَتَائِجَ مُفْجِعَةً ، وَمُخَلَّفَاتٍ مُفْزِعَةً ، وَسِيَاطاً مُوْجِعَةً ، أَعَانَنَا الله عَلَى اجْتِيَازِ مِحْنَتِهَا ، وَخَفَّفَ عَنَّا مِنْ وَيْلَاتِهَا وَشِدَّتِهَا ، ولَطَفَ بِنَا بِتَخْفِيفِ ثِقَلِهَا وَحِدَّتِهَا ، وَسَاعَدَ وُلَاتَنَا عَلَى تَحَمُّلِ مَسْئُولِيَّتِهَا ، وَأَلْهَمَهُمُ الحِكْمَةَ وَالصَّوَابَ فِيَ حلِّ مُشْكِلَاتِهَا وَمَسْحِ آثَارِهَا ، قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ سَيِّدُ التَّابِعِينَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : ( لَوْ أَنَّ لِي دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً لَوَهَبْتُهَا لِلسُّلْطَانِ ( أَيِ الحَاكِمِ ) لأَنَّ بِصَلاَحِهِ تَصْلُحُ الأُمَّةُ ) [١].

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : والآنَ بِحَمْدِ الله تَعَالَى وَقَدْ وَضَعَتِ الحَرْبُ ، أَوْزَارَهَا ، وَأُخْمِدَ أُوَارُهَا ، عَلَيْنَا نَحْنُ الشَّعْبُ كُلُّ الشَّعْبِ ، كُلٌّ فِي مَجَالِهِ ، وَعَلَى قَدْرِ حَالِهِ ، أَنْ يُقَدِّمَ شَيْئاً

---

(١)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء(٨/ ٩١، ٩٢) بسنده عن الفضيل بن عياض بلفظ (لو أن لي دعوة مستجابة ما صيرتها إلا في الإمام قيل له وكيف ذلك يا أبا علي قال متى ما صيرتها في نفسي لم تجزني ومتى صيرتها في الإمام فصلاح الإمام صلاح العباد والبلاد قيل وكيف ذلك يا أبا علي فسر لنا هذا قال أما صلاح البلاد فإذا أمن الناس ظلم الإمام عمروا الخرابات ونزلوا الأرض، وأما العباد فينظر إلى قوم من أهل الجهل فيقول قد شغلهم طلب المعيشة عن طلب ما ينفعهم من تعلم القرآن وغيره، فيجمعهم في دار خمسين خمسين أقل أو أكثر يقول للرجل لك ما يصلحك وعلم هؤلاء أمر دينهم وانظر ما أخرج الله عز وجل من فيهم مما يزكى الأرض فرده عليهم قال فكان صلاح العباد والبلاد، فقبل ابن المبارك جبهته وقال يا معلم الخير من يحسن هذا غيرك )، وذكره في سير أعلام النبلاء عنه مختصرا (٨/ ٤٣٤).

مَا كَمُشَارَكَةٍ مُتَوَاضِعَةٍ فِي التَّخْفِيفِ مِنْ وَيْلَاتِ هَذِهِ الحَرْبِ المَشْئُومَةِ ، وَأَنْ نَأْخُذَ العِبْرَةَ وَالمَوْعِظَةَ فِي مُسْتَقْبَلِنَا لِنُغَيِّرَ مَا فَسَدَ مِنْ أَخْلَاقِنَا ، وَما وَقَعَ فِي صُفُوفِنَا مِنْ تَمْزِيقٍ ، وَفِي قُلُوبِنَا وَنُفُوسِنَا مِنْ تَنَافُرٍ وَتَبَاعُدٍ وَتَحَاسُدٍ ، وَمَا اعْتَرَانَا مِنْ جَفْوَةٍ وَقَسْوَةٍ ، وَلْنَسْدِلْ سِتَاراً كَثِيفاً عَلَى المَآسِي وَالآلَامِ ، وَلْنَبْدأْ مِنْ جَدِيدٍ فِي حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ تَعْمُرُهَا المَحَبَّةُ ، وَتَسُودُهَا المَوَدَّةُ ، هَذَا إِذَا مَا أَرَدْنَا أَنْ نَحْيَا سُعَداءَ مُطْمَئِنِّينَ آمِنِينَ ، لَا يَخَافُ بَعْضُناَ مِنْ بَعْضٍ ، وَلَا تَتَرَبَّصُ فِئَةٌ بِأُخْرَى ، وَرَحِمَ الله امرأً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ .

وَأَخِيراً لَا بُدَّ أَنْ نَعُودَ إِلَى دِينِنَا الإِسْلَامِيِّ الحَنِيفِ ، الَّذِي دَعَانَا إِلَى الوحْدَةِ النَّقِيَّةِ الصَّافِيَةِ ، لِنُرَبِّيَ أَبْنَاءَنَا وَبَنَاتِنَا وَأَجْيَالَنَا عَلَى هُداهُ ، وَنَكْبَحَ جِمَاحَ شَهَوَاتِنَا النَّفْسِيَّةِ بِقَوَانِينِهِ ، وَنُنَظِّمَ عَادَاتِنَا وَتَقَالَيدَنَا بآيَاتِهِ وَبَيِّنَاتِهِ ، وَنُهَذِّبَ سُلُوكَنَا بِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ ، فَأَوَّلُ الأَسْلِحَةِ وَأَمْضَاهَا لِمُوَاجَهَةِ الأَخْطَارِ هُوَ أَنْ نَعُودَ إِلَى الله ، وَأَنْ نَعْتَصِمَ بِحَبْلِهِ ، ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[1]، عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الخُزَاعِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ: قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله صَلَى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ فقَالَ : « أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنِّي رَسُولُ الله ؟ قَالُوا بَلَى قَالَ: إِنَّ هَذَا القُرْآنَ طَرَفُهُ بِيَدِ الله ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا » رَواهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ[2].

---

(١) سورة آل عمران آية (١٦٠).

(٢) رَواهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي المعجم الكَبِيرِ (٢٢/ ١٨٨) رقم(٤٩١) وفيه:( خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبشروا أليس تشهدون ...) الحديث ،وأخرجه أيضا فيه من حديث محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه مرفوعا (٢/ ١٢٦) و في الترغيب والترهيب( إسناده جيد )(١/ ٤١) وفي مجمع الزوائد( رجاله رجال الصحيح )(١/ ١٦٩)، وفي رواية محمد بن جبير بن مطعم أبو

أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ : وَلْنَعُدْ لِمَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ ، هَذِهِ المَصَائِبُ وَالْكَوَارِثُ امْتِحَانٌ وَابْتِلَاءٌ لِمَنْ نَزَلَتْ بِهِمْ مِنْ إِخْوَانِنَا فِي الوَطَنِ وَالدِّينِ كَمَا إِنَّهَا امْتِحَانٌ وَابْتِلَاءٌ لَنَا ، إِذاً فَلاَ بُدَّ مِنْ عَمَلِ شَيْءٍ تِجَاهَهُمْ وَلَا يَسْتَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَو كَلِمَةً طَيِّبَةً ، ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾[1] ، وَاللهُ فِي عَونِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَونِ أَخِيهِ ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ ، وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه وَسَلَّمَ: (( أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جَزْعًا ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَينًا ))[2] .

وَلَمَّا كَانَ المَالُ قِوَامُ الحَيَاةِ كَانَ بَذْلُهُ بِسَخَاءٍ فِي سَبِيلِ غَوثِ المَنْكُوبِينَ مِنْ أَجَلِّ القُرُبَاتِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ ، وَمِنْ أَوْثَقِ أَوَاصِرِهِ وَأَسْبَابِ التَّوَاصُلِ ، فَلْنَقِفْ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ مَعَ إِخْوَانِنَا فِي الدِّينِ ، وَالْوَطَنِ ، وَالْجِوَارِ ، وَالْعُرُوبَةِ ، وَالإِنْسَانِيَّةِ ، لِنَمْسَحَ دُمُوعَهُمْ وَنُجْبِرَ خَوَاطِرَهُمْ ، وَنُضَمِّدَ جِرَاحَهُمْ ، وَنُعِيدَ البَسْمَةَ إِلَى شِفَاهِهِمْ ، وَالْوَضَاءَةَ إِلَى وُجُوهِهِمْ ، وَالسُّرُورَ إِلَى أَفْئِدَتِهِمْ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[3] ، ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[4].

---

عبادة الزرقي وهو متروك الحديث ، قاله في مجمع الزوائد (١ / ١٦٩)، كما أخرجه ابن حبان في صحيحه من رواية أبي شريح الخزاعي (١/ ٣٢٩) ) (ذكر نفي الضلال عن الأخذ بالقرآن) رقم(١٢٢) .

(١) سورة الطلاق آية ( ٧ )

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) سورة الحجرات آية ( ١٠ ) .

(٤) سورة المائدة آية ( ٢ ).

اَللَّهُمَّ ارْفَعْ مَقْتَكَ وَغَضَبَكَ عَنَّا ، يَا مَنْ إِلَيْهِ تُرْفَعُ الأَكُفُّ وَتُمَدُّ الأَيْدِي ضَارِعَةً ، فَلَا تَرُدَّهَا خَائِبَةً ، وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ ، اَللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا رُشْدَنَا وَخُذْ بِنَوَاصِينَا وَنَوَاصِي وُلَاتِنَا إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُنَا وَخَيْرُهُمْ وَصَلَاحُنَا وَصَلَاحُهُمْ يَا رَبَّ العَالَمِينَ .

إِنَّ أَحْسَنَ الكَلَامِ لَفْظاً وَوَقْعاً ، وَأَحْلَى البَيَانِ سَمْعاً وَنَفْعاً ، كَلامُ مَنْ عَنَتِ الوُجُوهُ لَهُ كَرْهاً وَطَوعاً ، وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي المُهْتَدُونَ ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1] وَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾[2] .

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[3] .

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِيَاكُمْ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم .

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) سورة البقرة آية (١٥٥ـ١٥٧).

# الخطبة الثانية

الحَمَدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتَقِينَ ، ولَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْـدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَـهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْوَاتُ ، وَكَلَّتْ دونَـهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْضِي فِي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُـلِّ مَـن جَحَدَ به وكَفَـرَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيـلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أما بعدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى ، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

عِبَادَ الله : أَلَا مَا أَشَدَّ وَقْعَ المَصَائِبِ فِي النُّفُوسِ ، وَمَا أَمَرَّ مَذَاقَهَا عَلَى مَنْ تَجَرَّعَ كُؤوسَهَا ، وَمَا أَحَرَّهَا عَلَى مَنِ اصْطَلَى بِنَارِهَا ، غَيرَ أَنَّ آلَا مَهَـا تَكُونُ أَشَدَّ وَقْعًا ، وَأَكْثَرَ أَلَماً عِنْدَ مَا يَتَخَلَّى عَنْهُمْ الأَصْدِقَاءُ ، وَيَبْتَعِدُ عَنْهُمْ الإِخْوَانُ وَالأَخِلَّاءُ ، والمَرْءُ قَلِيلٌ بِنَفْسِهِ كَثِيرٌ بِإِخْوَانِهِ ، وَتَتَجَلَّى الأَخْلَاقُ الحَمِيدَةُ ، وَقْتَ المِحَنِ وَالشَّدَائِدِ ، وَيَتَّضِحُ الأَخُ الأَصِيلُ مِنَ المُزَيِّفِ ، وَالصَّادِقُ مِنَ الكَاذِبِ ، وَالمُؤْمِنُ مِنَ المُنَافِقِ .

وَهُنَاكَ أُمُورٌ وَصَفَهَا لَنَا خَالِقُنَا جَلَّ وَعَلَا تَكُونُ عِلاجًا مُفِيـدًا نَاجِعًـا لِمَـا حَـلَّ بِنَـا ، وَتُسَاعِدُ عَلَى تَحَمُّلِ المُصِيبَةِ أَهَمُّهَا: الرِّضَا بِقَضَاءِ الله وَقَـدَرِهِ حَيْـثُ لَا رَادَّ لِقَـضَائِهِ ، وَلَا دَافِعَ لِقَدَرِهِ ، وَهُوَ أَعْظَمُ عَزَاءٍ وَسُلْوَانٍ لِلْمُؤْمِنِ عِنْدَ المُهِمَّاتِ وَالمُلِمَّاتِ ، إِذَا صَبَرَ المُؤْمِنُ ، وَاحْتَسَبَ مُصِيبَتَهُ لِوَجْهِ الله تَعَالَى رَجَاءَ أَنْ يُخْلِفَهُ بِخَلَفٍ صَالِحٍ خيراً لَهُ مِمَّا فَـاتَ ، فَـإِنَّ الله لَا يُخَيِّـبُ رَجَـاءَ رَاجٍ وَلَا أَمَـلَ مُؤَمِّـلٍ ، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (1) .

وَمِمَّا يُوَاجَهُ بِهِ الشَّدَائِدَ وَالمَصَائِبَ الصَّبْرُ وَالاحْتِمَالُ فَهِيَ عِلَاجٌ مُخَفِّفٌ، وَدَوَاءٌ مُلَطِّفٌ ، وَخُلُقٌ فَاضِلٌ مِنْ أَخْلَاقِ الإِسْـلَامِ ، وَحَـافِظُوا أَيُّهَـا الإِخْـوَةُ المُـسْلِمُونَ عَـلَى النِّظَـامِ وَالأَمْنِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الأَحْوَالِ عِنْدَ مَا يَخْتَلِطُ الحَابِلُ بِالنَّابِلِ ، وَعِـنْدَ فَتْرَةِ الانْتِقَالِ وَتَغَيُّرِ الأُمُورِ فَـذَوِي النُّفُـوسِ المَرِيـضَةِ يَـسْتَغِلُّونَهَا فِي الـسَّلْبِ وَالنَّهْـبِ فِي مِثْـلِ هَـذِهِ الظُّرُوفِ ، فَتَزْدَادُ المَآسِي قَسْوَةً ، وَالنِّيرَانُ وَقْدَةً ،كُونُوا عَلَى مُسْتَوَى المَسْئُولِيَّةِ ، وَمَواقِـعِ الرُّجُولَةِ وَالشَّرَفِ ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ (2) .صَدَقَ الله العَظِيمُ .

وَلَاحِظُوا أَبْنَاءَكُمْ مِنَ العَبَثِ بِالأَسْلِحَةِ النَّارِيَّةِ الَّتِي قَدْ تَقَعُ فِي مُتَنَاوِلِ الأَيْـدِي فَإِنَّهَـا الهَلَاكُ وَالدَّمَارُ وَالموتُ ، وَنَحْمَدُ الله أَنْ كُنَّا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِنَـا فِي حِفْـظِ النِّظَـامِ ، وَصِـيَانَةِ المُمْتَلَكَاتِ ، وَعَدَمِ اللَّعِبِ بِالنَّارِ ، ذَلِكَ مِنْ لُطْفِ الله بِنَا وَتَوْفِيقِهِ سُبْحَانَهُ .

---

(1) سورة ق آية (٣٧).

(2) سورة محمد آية (٣١) .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْـبِراً وآمِـراً لَكُـمْ تَكْـرِيماً :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سـيدنا محمـدٍ نَبِـيِّ الرَّحْــمَةِ ، وعَـلَى آلِــهِ وصَـحْبِهِ ومَـنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ : سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِــي بَكْـرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيـهِ وسَـلَّمَ سَـيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّـدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِــي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَــا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقـيَّةِ العَـشَرَةِ الـمُبَـشَّرَةِ ، الَّـذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَـعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْــمَنِ وأَبِــي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجـلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَـصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّـانُ يَـا ذَا الجُـودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَـا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْـرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُـؤْمِنِينَ والـمُــؤْمِنَاتِ ، والـمُـسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و

الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .اللّهُـمَّ آمِنَّـا فِي أَوْطَانِنَـا ، وابْـسُطِ  الأَمْــنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوع بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ

اللّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّـفْ بَـينَ قُلُوبَنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا  ، و أَرْخِصْ  أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايتَنَا  فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَـعَ رِضَـاكَ يَـا أَرْحَـمَ الرَّاحِــمِينَ .اللّهُـمَّ أعِـزَّ الإِسْـلامَ والـمُـسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ . اللّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عونَـاً ومُعِينَـاً لَـهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَـهُ ،  واكْتُـبِ الـسَّلَامَةَ والعَافِيـةَ عَـلَى عَبِيـدِكَ مِـنَ الحُجَّـاجِ والغُـزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ .

اللّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئـاً مَرِيئـاً ، سَحّاً عَامّـاً دَائِمـاً مُبَارَكاً فِيـهِ ، نَافِعاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَـــــــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَزِدْكُمْ ، وَلَـذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# مناصرة المسلمين في البوسنة وَالهرسك

## الخطبة الأُولَى

الْحَمْدُ للهِ القَوِيِّ قَاصِمِ الجَبَابِرَةِ ، الْعَزِيزِ القَاهِرِ قَاهِرِ قُـوَى الـشَّرِّ الْمُكَـابِرَةِ ، سُبْحَانَهُ إِذَا ظَهَرَ أَعَزَّ وَقَهَرَ ، وَإِذَا تَجَلَّى طاشَتْ لأَنْوَارِ جَلَالِـهِ أَلْبَـابُ البَـشَرِ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيك لَهُ كَتَبَ لِنَفْسِهِ العِزَّةَ وَجَعَلَهَا مِنَ أَسْمَائِهِ الحُـسْنَى ، وَغَمَـرَ عِبَـادَهُ الْمُـؤْمِنِينَ بِفَيضٍ مِنْ عِزَّتِهِ فَاعْتَزُّوا ، فَقَالَ فِي مُحْكَمِ آيَاتِهِ ، ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

وأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِمَامَ الْأَعِزَّةِ الْمُتَّقِينَ ، وَقَائِدَ الغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ .

أَمَّا بَعْدُ : فأُوصِيكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْـوَى اللهِ تَعَـالَى ؛ فَإِنَّهَـا الـرُّكْنُ المَتِـينُ ، وَالْحِصْنُ المَنِيعُ الحَصِينُ ، فَتَزَوَّدُوا مِنْهَا بَأَكْبَرِ زَادٍ ، لِتَفُوزُوا بِرِضا رَبِّ العِبَادِ ، يَومَ الحَشْرِ وَالتَّنَادِ.

عِبَادَ اللهِ : إِنَّ عِزَّةَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِزَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ ، فَهُمْ فِي حِينِ اعْتَزُّوا بِهِ أَعَزَّهُمْ وَرَفَعَ شَأْنَهُمْ فِي العَالَمِينَ ، وَمَنْ طَلَبَ العِزَّةَ مِـنْ غَـيرِهِ أَذَلَّـهُ اللهُ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2] .

لِذا حَرَّمَ دِيْنُنَا دِيْنُ العِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَهُونَ أَوْ يَسْتَذِلَّ ، أَوْ يَسْتَضْعِفَ ، أَوْ تُخْدَشَ كَرَامَتُهُ ، أَوْ تُجْرَحَ مَكَانَتُهُ.

---

(١) سورة المنافقون آية (٨) .

(٢) سورة الجاثية آية ( ٣٦ـ٣٧) .

يَا أَتْبَاعَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله : تُطالِعُنَا الأَخْبَارُ صَبَاحَ مَسَاءَ بِمَا يُلَاقِيهِ إِخْوَانٌ لَنَا فِي الإِسْلَامِ مِنْ قَتْلٍ وَتَدْمِيرٍ وَاغْتِصَابٍ وَتَشْرِيدٍ مُنْذُ ( سَنَتَيْنِ تَقْرِيبًا ) فِي البوسَنَةِ وَالهَرْسِكِ ، وَيَجْهَلُ الكَثِيرُ مِنَ المُسْلِمِينَ فِي دِيَارِهِمْ مَا يَحْصُلُ هُنَاكَ مِنَ المَآسِي ، وَالْبَعْضُ يَعْرِفُ وَيَعْلَمُ وَلَكِنَّهُ لَا يُحَرِّكُ سَاكِناً ، أَمَّا المَسْؤُولُونَ مِنْ رِجَالِ السِّيَاسَةِ وَالحُكْمِ يَعْرِفُونَ حَقَّ المَعْرِفَةِ كُلَّمَا يَحْصُلُ أَوَّلًا بِأَوَّلٍ ، فَمَاذا حَصَلَ وَيَحْصُلُ فِي تِلْكَ البِلَادِ الإِسْلَامِيَّةِ يَا هَلْ تَرَى بِمَزِيدِ الأَسَى وَالحُزْنِ نُصَوِّرُ لَكُمْ بَعْضَ التَّصْوِيرِ وَنُوَضِّحُ قَلِيْلاً مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الفَضَائِعِ الَّتِي تُرْتَكَبُ جِهَاراً نَهَاراً تَحْتَ سَمْعِ العَالَمِ وَبَصَرِهِ وَبِمسَاعَدَةِ أَعْدَاءٍ لِلْإِسْلَامِ مِنَ الصَّلِيبِيِّينَ ( الصِّرْبِ ) وَأَعْوَانِهِمْ مِنَ المَسِيحِيِّينَ المُسْتَعْمِرِينَ ، الأَعْدَاءِ الأَلَدَّاءِ .

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: قَبْلَ أَيَّامٍ احْتَفَلَ العَالَمُ الإِسْلَامِيُّ بِعِيدِ الأَضْحَى المُبَارَكِ ، وَقَبْلَهُ يَومُ عَرَفَةَ اجْتَمَعَ بِجَبَلِ عَرَفَاتٍ أَكْثَرُ مِنْ مِلْيُونَي حَاجٍّ ، فَمَاذا حَصَلَ لِلْمُسْلِمِينَ (فِي البوسَنَةِ وَالهَرْسِكِ ) عِنْدَ مَا كَانَ الحُجَّاجُ يَذْبَحُونَ هَدْيَهُمْ فِي مِنَى وَالمُسْلِمُونَ يَنْحَرُونَ أَضَاحِيَهُمْ مُكَبِّرِينَ، فِي نَفْسِ الوَقْتِ يُذْبَحُ إِخْوَانُنَا المُسْلِمُونَ هُنَاكَ كَالنِّعَاجِ بالحَدِيدِ وَالنَّارِ ، وَيُذْبَحُ أَطْفَالُهُمْ عَلَى مَنْظَرٍ مِنْ أَهْلِيهِمْ بَأَيْدِي الأَعْدَاءِ مِنَ ( الصِّرْبِ ) ، وَإِذَا كَانَ التَّجَمُّعُ الكَبِيرُ مِنَ المُسْلِمِينَ لِلْحَجِّ لَا يُسْتَغَلُّ وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ لِمَصْلَحَةِ المُسْلِمِينَ وَمسَاعَدَتِهِمْ وَدَعْمِ المَنْكُوبِينَ ، فَمِنْ أَيْنَ لَنَا غَيْرُهُ ، فَالمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ مُطَالَبُونَ الْيَومَ بِأَنْ يَقِفُوا بِجَانِبِ إِخْوَانِهِمْ البُوسِنِيِّينَ ، بِأَمْوَالِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ وَأَنْ يُعْلَنَ الاسْتِنْفَارُ العَامُّ لإِنْقَاذِ إِخْوَانِهِم ؛ لأَنَّ جُيُوشَ الأَعْدَاءِ الضَّارِبَةِ الضَّارِيَةِ تَكْتَسِحُ أَرَاضِيَهُمْ مَدِينَةً مَدِينَةً ، وَتَسْقُطُ فِي أَيْدِيهِمْ .

أَمَّا رِجَالُ البُوسَنَةِ وَالهَرْسِكِ المُسْلِمِينَ فلَدَيْهِمْ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالْبُطُولَةِ مَا يَكْفِيهِمْ لِصَدِّ أَعْدَائِهِمْ ، بَلْ لِهَزِيمَتِهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ حُوصِرُوا وَمُنِعَتْ عَنْهُمْ الإِمْدَادَاتُ وَالأَسْلِحَةُ ، وَوَقَفَتْ ضِدَّهُمْ الدُّوَلُ الكُبْرَى الَّتِي تَدَّعِي الحَضَارَةَ وَالمَدَنِيَّةَ وَالدِّيمِقْرَاطِيَّةَ وَحُقُوقَ

الْإِنْسَانِ ، وَمَنَعَتْ عَنْهُمْ وُصُولَ المسَاعدَاتِ ، بَيْنَمَا الدُّوَلُ العَرَبِيَّةُ وَالإِسْلَامِيَّةُ عَقَدَتْ عِدَّةَ مُؤْتَمَرَاتٍ بِشَأْنِ هَذِهِ القَضِيَّةِ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تُسْفِرْ بِأَيَّةِ نَتِيجَةٍ تُذْكَرُ ، إِنَّهُمْ _ أَيْ مُسْلِمُوا البُوسَنَةِ وَالْهَرْسِكَ _ بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى المَالِ وَالسِّلَاحِ وَالْإِمْدَادَاتِ الغِذَائِيَّةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ ، بَيْنَمَا نَحْنُ نَتَشَاغَلُ وَنَتَبَاطَأُ فِي مَدِّ يدِ العَوْنِ وَالْمسَاعَدَةِ ، وَالإِسْلَامُ يُنَادِينَا : أَنْ حَيَّ عَلَى الجِهَادِ بَالنَّفْسِ وَالنَّفِيسِ وَالْغَالِي وَالرَّخِيصِ ، وَصَدَقَ الله إِذْ يَقُولُ فِي مُحْكَمِ آيَاتِهِ : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [1] ، بَلْ لَو دُعِينَا إِلَى الجِهَادِ بَالمالِ الَّذِي هُوَ أَقَلُّ مِنَ القَلِيلِ إِلَّا أَنَّنَا قَدْ نَبْخَلُ بِهِ عِنْدَ مَا يُطْلَبُ مِنَّا البَذْلُ فِي سَبِيلِ الله ، فَلَا تَكُونُوا مِمَّنْ حَكَى الله عَنْهُمْ : ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم (٣٨)﴾ [2] .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: فِي صَبِيحَةِ يَومِ عِيدِ الفِطْرِ مِنَ العَامِ المَاضِي(١٤١٢م) وَفِي مَدِينَةِ ( بِيْلِينَا ) صَحَا إِخْوَانُكُمُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى قَعْقَعَةِ سَكَاكِينِ العَدُوِّ الصِّرْبِيِّ وَهُوَ مُجْهِزٌ عَلَيهِمْ لِيَذْبَحَهُمْ ، أَمَّا فِي يَومِ عِيدِ الفِطْرِ فِي هَذَا العَام ١٤١٣هـ أُصْدِرَ بَيَانٌ مِن اتِّحَادِ شَبَابِ الْمُسْلِمِينَ لِجُمْهُوريتَي البُوسَنَةِ وَكُرْوَاتِيَا ( بَيَانًا مُشْتَرَكًا ) جَاءَ فِيهِ : هَذَا هُوَ النِّدَاءُ الْأَخِيرُ مِنْ أَنْصَافِ المَوتَى الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الحَدِيدَ وَالنَّارَ الصِّرْبِيَّة لِتَقْضِيَ عَلَيهِمْ كَمَا قَضَتْ عَلَى إِخْوَانِهِمْ فِي يَومِ عِيدِ الفِطْرِ المَاضِي فِي مَدِينَةِ ( بِيلِينَا ).

(١) سورة النساء آية (٧٧) .

(٢) سورة محمد آية (٣٨) .

وَمِنْ أعْيَادِ الفِطْرِ نَنْتَقِلُ عَلَى أَعْيَادِ الْأضْحَى فَفِي عِيدِ الْأضْحَى مِنَ العَامِ المَاضِي ١٤١٢هـ ، بَلَّ وَفِي يَوم عَرَفَةَ وَالْمُسْلِمُونَ يَسْتَعِدُّونَ لِذَبْحِ ضَحَايَاهُمْ ، قَدَّمَ أَعْدَاءُ الإِسْلَامِ ( الصِّرْبُ ) الْمُجْرِمُونَ لِلْعَالَمِ الإِسْلَامِيِّ النَائِمِ التَّائِهِ أُضْحِيَّةَ العِيدِ ، فَقَدْ جَمَعُوا(٤٧) سَبْعَةً وَأَرْبَعِينَ شَخْصاً مِنْ أَهَالِي قَرْيَةٍ وَاحِدَةٍ تُسَمَّى ( فِيسْ جَرَاءْ ) وَوَضَعُوهُمْ دَاخِلَ سَيَّارَةٍ كَبِيرَةٍ ثُمَّ ذَبَحُوهُمْ وَاحِداً وَاحِداً ذَبْحَ الشَّاةِ ، وَهُمْ يَضْحَكُونَ وَيَسْخَرُونَ بِإِسْلَامِهِمْ وَلَمْ يَكْفِهِمْ ذَلِكَ ، بَلْ أَلْقَوْا بِجُثَثِهِمْ فِي نَهَرِ ( الدِّيرِنَا ) الَّذِي حَمَلَ جُثَثَهُمْ لِكَي يَصلَ بِهَا إِلَى أَهْلِ البُوسَنَةِ صَبِيحَةَ يَوم عِيدِ الْأضْحَى كَهَدِيَّةٍ بَسِيطَةٍ مِنَ الصِّرْبِ لِلْمُسْلِمِينَ ، أَمَّا فِي عِيْدِ الْأضْحَى هَذَا العَامِ ، فَمَا ظَنُّكُمْ بَالَّذِي يَحْدُثُ ؟ فَمِنَ العَامِ المَاضِي إِلَى الْيَومِ يَمُرُّ كُلَّ يَومٍ ثَقِيلاً كَعَامٍ كَامِلٍ لِمَا يُلَاقِيهِ الْمُسْلِمُونَ مِنَ العَذَابِ وَالقَتْلِ وَالْحَرْبِ ، وَيعْجَبُونَ مِنْ إِخْوَانِهِمْ الَّذِين وَقَفُوا بِعَرَفَاتٍ هَذَا العَامَ مَا يَزِيدُ عَلَى مِلْيُونَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَحْسِبُوا لَهُمْ حِسَابًا وَهُمْ فِي مُؤْتَمَرِهِم الإِسْلَامِيِّ الكَبِيرِ ، فَهَلْ تَدْرُونَ مَاذا حَدَثَ هُنَاكَ أَيَامَ العِيدِ ؟ فَفِي مَدِينَةٍ اسْمُهَا (جَرَاجَدَةْ ) وَهِيَ آخِرُ مَعْقَلٍ لِلْمُقَاوَمَةِ الإِسْلَامِيَّةِ ، جَاءتْ الْأَخْبَارُ بِأَنَّ الْأَعْدَاءَ الصِّرْبَ اقْتَحَمُوا خُطُوطَ دِفَاعِهَا ، وَأَنَّ سُكَّانَهَا مِنَ المَدَنِيِّينَ الْأَبْرِيَاءِ يُقْتَلُونَ تَحْت وَابِلٍ مِنَ الرَّصَاصِ وَالنِّيرَانِ ، وَعَدَدُهُمْ مَا يَقْرُبُ مِنْ سِتِّينَ أَلْفًا يُوَاصِلُونَ الفِرَارَ ، وَلَكِنْ أَنَّى لَهُمْ الفِرَارُ وَإِلَى أَيْنَ الفِرَارُ ؟

السَيفُ إن رَكِبوا الفِرارَ سَبيلُهُم　　وَالنِطعُ إِن طَلَبوا القَرارَ مُقامُ[1]

اسْتَمَرَّتْ هَذِهِ المَدِينَةُ تَحْتَ الحِصَارِ حَوَالَيْ عَامٍ وَمِنْهُمْ _أَيْ سُكَّانِهَا_ مَنْ قَدْ مَاتَ جُوعاً إِنْ لَمْ يَمُتْ بَرْداً أَوْ مَرَضاً أَوْ خَوفاً ، وَكَذِباً يَقُولُ مَجْلِسُ الْأَمْنِ _ وهُو لَيس بِمَجْلِسِ أَمْنٍ _ بِأَنَّ المَدِينَةَ المَذْكُورَةَ قَدْ أُعْلِنَتْ مُنْذُ مُدَّةٍ مَدِينَةً آمِنَةً تَحْرُسُهَا قُوَاتُ الأُمَمِ

(١) للشاعر أحمد شوقي من البحر الكامل .

المُتَّحِدَةِ كذْباً وَدَجْلاً ، وَمِثْلُهَا العَاصِمَةُ نَفْسُهَا(سَرَايِيفُو) فَقَدِ اسْتَيْقَظَ سُكَّانُهَا صَبِيحَةَ يَومِ عَرَفَةَ هَذَا العَامِ عَلَى دَوِيِّ المَدَافِعِ الثَّقِيلَةِ وَالهَاوُنِ ، وَالدَّبَّابَاتِ ، وَالإِذَاعَةُ تُحَذِّرُ المُوَاطِنِينَ طِوَالَ اليَومِ بِأَنْ يَلْجَأُوا إِلَى المَلَاجِئِ وَالمَخَابِئِ ؛ لِكَيْ يَبْتَعِدُوا عَنِ الْأَخْطَارِ وَسَقَطَتِ القَذَائِفُ وَالنِّيرَانُ عَلَى الأَطْفَالِ وَالشُّيُوخِ وَالنِّسَاءِ الحَوَامِلِ وَالْعَجَائِزِ وَقَدْ بَلَغَ عَدَدُ الجَرْحَى وَالْقَتْلَى إِلَى مائَةٍ وَسِتِّينَ شَخْصاً ، ثُمَّ زَادَتْ لاوَّلِ وَهْلَةٍ يَومَ العِيدِ

وَأَمَّا مَا حَصَلَ يَومَ عَرَفَةَ وَالْمُسْلِمُونَ هُنَاكَ بِعَرَفَةَ فِي جَمْعِهِم الكَبِيرِ هَذَا العَامِ لَا يَذْكُرُونَ إِخْوَانَهُمْ ، انفَجَرَ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفِ قَذِيفَةٍ مَدَنِيَّةٍ عَلَى مَوَاقِعِ قُوَّاتِ الحُكُومَةِ الإِسْلَامِيَّةِ ، وَظَلَّتِ القَذائِفُ ، ودَوِيُّ أَصْوَات المَدَافِعِ عَلَى أَكْثَرِ بِلَادِ البُوسَنَةِ ، يَتِمُّ هَذَا كُلُّهُ تَحْتَ سَمْعِ العَالَمِ وَبَصَرِهِ ،وَالمُجْتَمَعُ الدُّوَلِيُّ يَشْهَدُ بِأُمِّ عَيْنَيْهِ كُلَّ هَذِهِ الفَظَائِع ، وَكُلَّ يَومٍ يُوَجِّهُ هَؤُلَاءِ المَسَاكِينُ مُنَاشَدَتَهُمْ لِإِخْوَانِهِم العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ وَالجَامِعَةِ العَرَبِيَّةِ ، وَهَيْئَةِ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ ، وَمَجْلِسِ الْأَمْنِ ، وَالمُؤَسَّسَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ العَالَمِيَّةِ ، وَلَكِنَّ مُنَاشَدَتَهُمْ ذَهَبَتْ أَدْرَاجَ الرِّيَاحِ، صَيْحَةً فِي وَادٍ ، وَنَفْخَةً فِي رَمَادٍ ، وَإِذَا اسْتَمَرَّتْ هَذِهِ الحَالَةُ سَتَسْقُطُ _لَا سَمَحَ اللهُ_ جَمِيعُ المُدُنِ البُوسنِيَّةِ فِي أَيْدِي الصِّرْبِ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً ، وَالعَالَمُ يُنَافِقُ وَيَدَّعِي أَنَّهُ يَعِيشُ الدِّيمِقْرَاطِيَّةَ ، وَحُقُوقَ الْإِنْسَانِ ، وَحُكَّامُ المُسْلِمِينَ وَزُعَمَاؤُهُمْ أَقَامُوا المُؤْتَمَرَاتِ هُنَا وَهُنَاكَ ، وَحَتَّى الْآنَ لَمْ يَتَحَقَّقْ أَيُّ شَيءٍ مِمَّا قَرَّرُوهُ وَأُذِيعَ فِي بَيَانَاتِهِمْ الخِتَامِيَّةِ وَهَذَا الَّذِي أَعْطَى العَدُوَّ الفُرَصَ لِيَعْبَثَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً فَإِلَيْكَ يَا رَبِّ المُشْتكَى ، وَبِيَدِكَ وَحْدَكَ يَا إِلَهِي الحَلُّ وَالْعَقْدُ ، فَاشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى الصِّرْبِ وَأَعْوَانِهِمْ ، فَأَرِهِمْ عَجَائِبَ قُدْرَتِكَ ، الَّتِي لَا يُعْجِزُهَا شَيء وَبَطْشَ جَبَرُوتِكَ يَا نَاصِرَ المُسْتَضْعَفِينَ ، وَقَاصِمَ الجَبَابِرَةِ المُسْتكبِرِينَ فَإِنَّكَ قُلْتَ وَقَولُكَ الحَقُّ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ سورة غافر آية (٦٠) .وَقُلْتَ جَلَّ ذِكْرُكَ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ سورة البقرة آية (١٨٦) .

إِنَّ أَحْسَنَ الكَلامِ لَفْظاً وَوَقْعاً ، وَأَحْلَى البَيانِ سَمْعاً وَنَفْعاً ، كَلامُ مَنْ عَنَـتِ الوُجُـوهُ لَهُ كَرْهاً وَطَوعاً .

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِـهِ يَهْتَـدِي الْمُهْتَـدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] وَقَـالَ عَـزَّ مِـنْ قَائِـلٍ كَـرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[2].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾[3] .

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالـذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّـهُ هُـوَ الغَفُـورُ الرَّحِيم .

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) سورة النساء آية ( ٧٥)

## الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إليهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْـدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَـهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْوَاتُ ، وَكَلَّتْ دونَـهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْضِي فِي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُـلِّ مَـن جَحَدَ به وكَفَـرَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أما بعدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى ، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

أَيُّها المُسْلِمُونَ : مُنْذُ فَجرِ التَّارِيخِ وَالإِسْلَامُ يُعَانِي مِنْ أَعْدَاءٍ كُثُرٍ مِنَ الشَّرْقِ وَالْغَـرْبِ ، وَلَكِنَّ الإِسْلَامَ أَسْقَطَهُمْ وَاحِداً وَاحِداً حَتَّى دَانُـوا لَـهُ صَاغِرِينَ ، عِنْدَ مَا انْطَلَقَ المُسْلِمُونَ الْأَوَائِلُ الَّذِينَ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيـهِ ، يَنْشُرُونَ كَلِمَـةَ التَّوحِيـدِ ، وَيَرْفَعُونَ رَايَةَ الله لِيُخَلِّصُوا الْإِنْسَانِيَّةَ مِنَ الظُّلْمِ وَالْاسْتِعْبَادِ .

أَمَّا الْيَومَ وَنَحْنُ المُسْلِمُونَ كَمَا نَحْنُ أُمْتُحِنَّـا بِعَـدُوَّيْنِ لَـدُودَيْنِ شَرِسَيْنِ أَحَـدُهُمَا مَـا يُسَمَّى بِإِسْرَائِيلَ الغَاصِبَةِ الظَّالِمَةِ الَّتِي تَحْتَلُّ ثالِثَ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ ( بيـتَ المَقْدِسِ )

وَغَيْرَهُ مِنْ أَرَاضِي العَرَبِ مُنْذُ زَمَنٍ ، تَسْخَرُ مِنَ العَرَبِ الْمُسْلِمِينَ ، الَّذِينَ أُصِيبُوا بَالشِّقَاقِ وَالْاخْتِلَافِ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَحُرُوبِهِمُ الجَانِبِيَّةِ ، وَخِلَافَاتِهِمُ الْمَذْهَبِيَّةِ وَمَصَالِحِهِمِ الذَّاتِيَّةِ ، كُلُّ هَذَا كَانَ وَالْاسْتِعْمَارُ الغَرْبِيُّ يَحْمِي إِسْرَائِيلَ بِحِرَابِهِ وَأَسْلِحَتِهِ ، وَيَدْعَمُهَا بَالمالِ وَالسِّلَاحِ وَالخِبْرَةِ ، فَإِسْرَائِيلُ تُحَارِبُنَا بِعِدَّةِ أَسْلِحَةٍ ، أَهَمُّهَا شَقُّ عَصَا الوحْدَةِ العَرَبِيَّةِ ، وَبذْر الخِلَافَاتِ وَالنِّزَاعَاتِ الْإِقْلِيمِيَّةِ ، وَسِلَاح الحَدِيدِ وَالنَّارِ الْمُدَجَّجَةِ بِسَبَبِهِ مِنْ قِبَلِ أَعْدَاءِ الإِسْلَامِ الْمُسْتَعْمِرِينَ ، وَالْعَدُوُّ الثَّانِي الصَّلِيبِيَّةُ المَسِيحِيَّةُ العَالَمِيَّةُ الَّتِي تَمْلِكُ العِلْمَ وَالتِّكْنُولُوجِيَا كَمَا يُسَمُّونَهَا _أَيِ الصِّنَاعَةَ الضَّخْمَةَ _ فِي حِينِ تَخَلَّفْنَا عَنْهَا كَثِيراً فَقَدْ سَيْطَرَتْ عَلَيْنَا وَعَلَى بِلَادِنَا وَمَوَارِدِنَا وَاقْتِصَادِنَا حَتَّى أَفْكَارِنَا وَثَقَافَتِنَا ، فَهِيَ الْيَومَ هُنَاكَ فِي البُوسَنَةِ وَالْهَرْسِكِ تَعِيثُ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَتَهْلِكُ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ ، وَتُحَاوِلُ القَضاءَ نِهَائِياً عَلَى إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ هُنَاكَ ، وَعَلَى الإِسْلَامِ نَفْسِهِ الَّذِي يَعْتَبِرُونَهُ خَطَراً عَلَيْهِمْ عِنْدَ مَا يَهِبُّ أَبْنَاؤُهُ ، فَكَمْ ضَحَايَا مُزِّقَتْ ، وَكَمْ دِمَاءٍ سُفِكَتْ ، وَكَمْ أَعْرَاضٍ هُتِكَتْ ، وَكَمْ نِسَاءٍ أُرْمِلَتْ ، وَكَمْ طُفُولَةٍ عُذِّبَتْ ، وَكَمْ مُقَدَّسَاتٍ دُنِّسَتْ ، فَرُحْمَاكَ يَا رَبِّ .

واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ الْمُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَلِي ، والمَقَامِ الأَفْضَلِ : سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِي ، وعَنْ رَيْحَانَتَي نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّةِ ، أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ ، وأَبِي عَبْدِالله الحُسَينِ وعَلَى أُمِّهِمَا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا

، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَـشَرَةِ الـمُبَـشَّرَةِ ، الَّـذِينَ بَايَعُوا نَبِيّكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَـةَ والزُّبَيــرِ ، وسَـعْد وسَـعِيدٍ ، وعَبْدِالرَّحْــمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجـلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَـصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّـانُ يَـا ذَا الجُـودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَـا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْـرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُـؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُـسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوع بِلادِنَا خَاصَّـةً وسَائِر بِـلاد الـمُسْلِمِينَ

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّـفْ بَـينَ قُلُوبِنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَـعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الـدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُـنْ عونـاً ومُعِينـاً لَـهُ ، واخْـذُلْ مَـنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ .

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئـاً ، سَحّاً عَامّـاً دَائِمـاً مُبَارَكاً فِيـهِ ، نَافِعاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَـــــــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَزِدْكُمْ ، وَلَـذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# نحن والأعداء الإسرائيليون

## الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ الَّذِي وَعَـدَ عِبَـادَهُ المُخْلِصِينَ بِالنَّـصْرِ وَالتَّأْيِيـدِ ، فَقَـالَ عَـزَّ مِـنْ قَائِـلٍ : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[1] .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا الله ، وَحْـدَهُ لَا شَرِيـكَ لَـهُ أَكْمَـلَ لَنَـا الـدِّينَ ، بِإِرْسَـالِ سَـيِّدِ المُرْسَلِينَ ، وَأَتَمَّ عَلَيْنَا نِعَمَهُ وَرَضِيَ لَنَا الإِسْلَامَ دِيناً ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَحْرِصَ عَلَيْـهِ أَشَـدَّ مِـنْ حِرْصِنَا عَلَى الحَيَاةِ ، وَأَنْ نُكَافِحَ وَنُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ حِفْظِهِ ، وَالتَّمْكِينِ لَهُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى يَرْضَى عَنَّا ، وَيَهَبَ لَنا التَّوفِيقَ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ المُجَاهِدِينَ ، وَإِمَـام الـصَّابِرِينَ ، أَرْسَـلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المُشْرِكُونَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَـحْبِهِ الَّـذِينَ جَاهَـدُوا فِي الله حَقَّ جِهَادِهِ ، فَأَيَّدَهُمْ وَكَتَبَ لَهُمْ عِـزَّ الـدُّنْيَا وَسَـعَادَةَ العُقْبَـى ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2] .

أَمَّا بَعْدُ: فَأُوْصِيكُمْ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعَالَى ، فَمَنْ أَخَذَ بِهَا سَلِمَ ، وَمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا رَبِحَ وَغَنِمَ ، فَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى .

---

(١) سورة الحج آية ( ٤٠ ) .

(٢) سورة البقرة آية (٥) .

عِبادَ الله : كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَعِيشُونَ حَيَاتَهُمْ وَلَا يَعْنِيهِمْ مِنْهَا إِلَّا طَعَامٌ يُشْبِعُ بُطُونَهُمْ ، وَشَرَابٌ يَرْوِي عَطَشَهُمْ ، وَلِبَاسٌ يَتَجَمَّلُونَ بِهِ فِي غُدُوِّهِمْ وَرَوَاحِهِمْ ، وَرَفَاهِيَةٌ فِي العَيْشِ وَالْمَسْكَنِ وَالمرْكَبِ ، فَتَرَاهُمْ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ جَادِّينَ مُجْتَهِدِينَ ، يُرِيقُونَ مَاءَ وُجُوهِهِمْ فِي سَبِيلِ أَنْ يَحْصُلُوا عَلَى هَذَا المَتَاعِ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا الفَانِي ، وَلَا يُفَكِّرُونَ فِيمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ عِزَّةِ نَفْسٍ ، أَوْ عُلُوِّ هِمَّةٍ ، هَذَا الصِّنْفُ مِنَ النَّاسِ لَا يُفَكِّرُ فِي كَرِيمِ الغَايَاتِ وَلَا يَعْرِفُ مِنْ حَيَاتِهِ إِلَّا إِنَّهُ كَالْحَيَوَانِ الْأَعْجَمِ لَا يَهُمُّهُ إِلَّا الْأَكْلُ وَالْعَلَفُ ، لَا يَفْهَمُ مَاذَا يُرادُ مِنْهُ ؟ وَلَا مَا يُرَادُ بِهِ ؟ وَإِلَى أَيْنَ يَتَّجِهُ بِهِ الرَّكْبُ وَمَا مُهِمَّتُهُ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ ؟ وَمَا الَّذِي يَحْصُلُ حَوْلَهُ وَمَا الْأَحْداثُ الَّتِي تُؤَثِّرُ فِيهِ ، وَيُؤَثِّرُ فِيهَا فِي عَالَمِنَا الوَاسِعِ لَا مِنْ قَرِيبٍ وَلَا مِنْ بَعِيدٍ .

وَهُنَاكَ صِنْفٌ آخَرُ مِنَ النَّاسِ لَا يَرْضَى إِلَّا بِالْحَيَاةِ العَزِيزَةِ الكَرِيمَةِ ، وَيَأْبَى أَنْ يُنْتَقَصَ شَيْءٌ مِنْ كَرَامَتِهِ أَوْ مُرُوءَتِهِ ، يَرْفُضُ العَيْشَ الذَّلِيلَ ، وَحَيَاةَ الدَّعَةِ وَالاسْتِعْبَادِ وَالاسْتِبْدَادِ ، هَذا الصِّنْفُ يَهِبُّ سَرِيعاً إِذَا اسْتُنْفِرَ دِفَاعاً عَنْ مُقَدَّسَاتِهِ وَحُقُوقِهِ ، إِنَّهُ يَحْرِصُ أَشَدَّ الحِرْصِ عَلَى حَيَاةِ الشَّرَفِ وَالْفَضِيلَةِ ، ويضَحِّي فِي سَبِيلِ ذَلِكَ بِالنَّفْسِ وَالنَّفِيسِ ، وَبِكُلِّ رَخيصٍ وَغَالٍ ؛ لأَنَّهُ يَعْتَقِدُ اعْتِقَاداً جَازِماً أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَغَضِبَ الله عَلَيْهِ ، وَهَذَا هُوَ التَّوْجِيهُ القُرْآنِيُّ الكَرِيمُ إِذْ يَقُولُ مُخَاطِباً لَنَا جَمِيعًا : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1] .

---

(١) سورة التوبة آية ( ٢٤ )

وَمِنْ هَذَا الفَهْمِ الوَاعِي لِمَعْنَى الجِهَادِ ، انْطَلَقَ المُسْلِمُونَ الأَوائِلُ الَّذِينَ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا يَنْشُرُونَ كَلِمَةَ التَّوحِيدِ ، وَيَرْفَعُونَ رَايَةَ الله لِيُخَلِّصُوا الإِنْسَانِيَّةَ المُعَذَّبَةَ مِنَ الظُّلْمِ وَالاسْتِعْبَادِ ، وَيَمْضُونَ فِي تَارِيخِهِمْ الطَّوِيلِ يُؤَكِّدُونَ سُنَّةَ الله فِي الْأَرْضِ ، فَكَانَ لَهُمُ النَّصْرُ وَالمَنَعَةُ مَا عَاشُوا لِعَقِيدَتِهِمْ وَلِدِينِهِمْ ، يَسْتَعْذِبُونَ الصِّعَابَ فِي سَبِيلِهَا ، أَلَا فَلْنَقْرَأِ التَّارِيخَ الإِسْلامِيَّ وَلْنَأْخُذِ الدَّرْسَ والْعِبْرَةَ وَنَحْنُ نَعِيشُ ظُرُوفاً قَاسِيَةً لَا نُحْسَدُ عَلَيْهَا ، ظُرُوفاً دَاخِلِيَّةً وَأُخْرَى خَارِجِيَّةً ، فَالدَّاخِلِيَّةُ ما تَعِيشُهُ الأُمَّةُ العَرَبِيَّةُ وَالإِسْلامِيَّةُ الْيَومَ مِن انْقِسَامَاتٍ مُرِيبَةٍ ، وَتَمَزُّقٍ وَشَتَاتٍ رَهِيبٍ ، فِي الفِكْرِ وَالصَّفِّ وَالمَبْدأِ وَالْعَقِيدَةِ ، مِمَّا أَفْقَدَنَا الثِّقَةَ فِي أَنْفُسِنَا ، وَأَنْسَانَا ذاتَنَا وَهَوِيَّتَنَا ؛ فَهُنَّا عَلَى أَعْدائِنَا حَتَّى هُنَّا عَلَى أَنْفُسِنَا ، نَتَفَاعَلُ مَعَ أَنْفُسِنَا وَنَتَآكَلُ ، وَيَكِيدُ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ ، فَضَعُفَ كيَانُنَا، وَلَانَتْ قَنَاتُنَا ، وَاحْتُلَّتْ أَرْضُنَا وَدُنِّسَتْ مُقَدَّسَاتُنَا ، وَابْتُلِينَا بِأَعْدَاءٍ وُصِفُوْا مُنْذُ عُهُودٍ سَحِيقَةٍ بِغِلَظِ الطِّبَاعِ ، وَقَسْوَةِ القُلُوبِ ، فَهُمْ فِي سَبِيلِ أَثْرَتِهِمْ وَمَطَامِعِهِمْ لَا يَرِقُّونَ لِضُعْفٍ ، وَلَا يَتَحَرَّكُونَ لِأَلَمٍ ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّهايِنَةُ الْيَهُودُ الإِسْرائِيلِيُّونَ وَسَادَتُهُمْ مِنَ الأَمْرِيكَانِ وَالْإِنْجِلِيزِ كُلُّ مَا يَهُمُّهُمْ أَنْ يَحْيَوا وِفْقَ مَا يُرِيدُونَ ، وَأَنْ يَصُوغُوا مَا حَوْلَهُمْ فِي القَالَبِ الَّذِي يَشْتَهُونَ ، وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ الصِّياغَةُ فِي اعْتِصَار دِماءِ الآخَرِينَ وَسَحْقِ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ يُسَمُّونَ فِي نَظَرِهِمْ أُمِّيِّينَ إِذْ قَالُوا﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾ [1] وَالأُمِّيُّونَ فِي تَعْرِيفِهِمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ مِنَ العَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ ، فَلَا بَأْسَ أَنْ يَغْتَصِبُوا مَالَهُ وَأَرْضَهُ وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ ، وَهَكَذَا وَصَفَهُمُ الله بِالْقَسْوَةِ يُخَاطِبُهُمْ بِقَوْلِهِ ، ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ سورة البقرة آية ( ٧٤ ) .

(١) سورة آل عمران آية ( ٧٥ ) .

وَتَمَاشِّياً مَعَ هَذَا المَنْطِقِ الحَيَوَانِي الإِسْرائِيلِيِّ المَعْكُوسِ وَمَعَ مَنْطِقِ سادَتِهِم ارْتَكَبَ بَنُو إِسْرَائِيل مُنْذُ عَامِ ١٩٤٨م فِي احْتِلَالِهِمْ أَرْضَ القَدَاسَاتِ وَغَيْرِهَا أَبْشَعَ الجَرَائِمِ، فَكَمْ ضَحَايَا مُزِّقَتْ أَشْلَاءً ، وَكَمْ دِماءٍ سُفِكَتْ بَغَزَارَةٍ ، وَكَمْ أَعْرَاضٍ هُتِكَتْ ، وَكَمْ نِسَاءٍ تَرَمَّلَتْ ، وَكَمْ طُفُولَةٍ عُذِّبَتْ وَيُتِّمَتْ ، وَكَمْ مُقَدَّسَاتٍ دُنِّسَتْ ، وَالْعَالَمُ الْمُتَحَضِّرُ الْمُتَمَدِّنُ الَّذِي يَدَّعِي الوِصَايَةَ وَيَمْلِكُ حَقَّ التَّوجِيهِ يُسْدِلُ سِتَاراً كَثِيفاً ، وَيَغُضُّ طَرَفاً عَنْ كُلِّ مَا حَصَلَ وَيَحْصُلُ ، بَلْ يَقُومُ بِتَأْدِيبِ كُلِّ مَنْ تُسَوِّلُ لَهُ نَفْسُهُ أَنْ يَقِفَ ضِدَّ هَذِهِ الإِجْرَاءَاتِ .

وَالمَعَارِكُ الْيَوْمَ غَيْرُ الْمُتَكَافِئَةِ بَيْنَ رِجالِ الْأَرْضِ الْمُحْتَلَّةِ العُزَّلِ مِنَ السِّلَاحِ مَعَ جَيْشِ العَدُوِّ الْمُدَجّجِ بِالْأَسْلِحَةِ الفَتَّاكَةِ وَالْقَنَابِلِ وَالطَّائِرَاتِ، وَيَسْقُطُ الشُّهَداءُ الفِلَسْطِينِيُّونَ بِالْمِئَاتِ ، وَالْجَرحَاءُ بِالآلَافِ ، وَالصَّمْتُ مُطْبِقٌ عَلَى العَوَاصِمِ العَرَبِيَّةِ ، وَالاحْتِجَاجَاتُ الشَّعْبِيَّةُ تَشُقُّ عَنانَ السَّماءِ تُدِينُهُ كُل مَوْسِمٍ، وَآخَرُ جِرَاحِهَا اغْتِيالُ الشَّيْخِ الوَقُورِ العَلامَةِ أَحْمَدَ يَس رَحِمَهُ الله بِالطَّرِيقَةِ الدَّنِيئَةِ البَشِعَةِ ، وَلَنْ تَكُونَ الْأَخِيرَةُ ، فَهَذِهِ عَاداتُهُم ، فَمُنْذُ قُرُونٍ طَوِيلَةٍ وَالْيَهُودُ يَعِيشُونَ فَسَاداً فِي أَرْجاءِ الْمَعْمُورَةِ ، وَيَحْيُونَ حَيَاةً بَعِيدَةً عَنْ رِضَا الله تَعَالَى وَطُمَأْنِينَةِ النَّاسِ ، فَهُمْ لَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ، وَلَا يَخْدِمُونَ إِلَّا مَطَامِعَهُمْ ؛ لِذَا كَرِهَتْهُمُ الأُمَمُ ، وَتَوَاصَتِ الْأَجْيَالُ الْمُتَعاقِبَةُ بِنَبْذِهِمْ ، ثُمَّ هُمُ الآنَ جَاؤُا وَتَجَمَّعُوا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ ، وَطَرَدُوا سُكَّانَهَا جِهَاراً نَهَاراً لِيَحِلُّوا مَحَلَّهُمْ ، وَتِلْكَ طَبِيعَتُهُمْ لَا تَتَخَلَّى عَنْهُمْ وَلَا يَتَخَلَّونَ عَنْهَا وَالَّتِي اسْتَحَقُّوْا بِهَا لَعْنَةَ الله الْمُتَّصِلَةَ إِلَى قِيامِ السَّاعَةِ، فَمُنْذُ عِشْرِينَ قَرْناً نَدَّدَ بِهِمْ أَنْبِياءُ الله ؛ بِسَبَبِ سِيْرَتِهِمْ الضَّالَّةِ الْمُضِلَّةِ ، فَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّهِمْ ، ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ سورة المائدة آية (٧٨ – ٨٠).

وَاللهُ تَعَالَى أَوْصَى أَتْبَاعَ الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعـاً بِالْوَفَـاءِ وَالـشَّرَفِ فِي مُعَامَلَـةِ الآخَـرِينَ مَهْـمَا اخْتَلَفَ الدِّينُ ، لَكِنَّ بَنُو إِسْرَائِيلَ اسْتَهَانُوا بِهَذَا المَوْقِفِ وَاسْتَمْرَءُوا [1] العُدْوَانَ وَالْغَدْرَ ، فَقَـالَ جَـلَّ شَـأْنُهُ :﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ ﴾ [2] .

وَفِي غَفْلَةِ الزَّمَنِ ، وَفُرْقَةٍ مِنَ العَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ ، اسْتَطاعَ هَؤُلَاءِ الْأَعْـداءُ أَنْ يُقِيمُـوْا لَهُمْ دَوْلَةً تَكُونُ دِرْعاً لِلشَّيْطَانِ وَجِسْراً لِلْاسْتِعْمَارِ ، هَذَا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ أَعْدَائِنَا ، وَنَحْـنُ مَا نَحْنُ العَرَبَ وَالْمُسْلِمِينَ : لَا رَابِطَةَ تَجْمَعُهُمْ ، وَلَا وحْدَةَ تَلُمُّ شَتَاتَهُمْ ، مَا عَدَا إِنَّنَا نَمْلَأُ الدُّنْيَا صُرَاخاً وَعَوِيلاً فِي وَسَائِلِ إِعْلَامِنَا الْمَقْرُوءَةِ وَالمَسْمُوعَةِ وَالمرْئِيَّةِ ، وَنُقِيمُ الْمُـؤْتَمَراتِ ، الْمُؤْتَمَرَ تِلْوَ الآخَرِ،مُؤْتَمَرَات القِمَمِ وَغَيْرِها ، حَتَّى سَئِمْنَاهَا وَسِـئمْتَنَا ؛ لِكَثْرَتِهَـا وَعَـدَمِ جَدْوَاهَا، وَهَذِهِ رِسَالَةٌ نُقَدِّمُهَا لِمُؤْتَمَرِ الجَامِعَةِ العَرَبِيَّةِ الَّـذِي سَـيُعْقَدُ بِتُـونِسٍ بَعْـدَ أَيَّـامٍ ، نَرْجُو أَلَّا يَكُونَ كَسَابِقِهِ ، نَرْجُو أَنْ نَسمَعَ جَدِيداً فِي قَرَارَاتِهِ وَتَوْصِيَاتِهِ ، فِي نَفْسِ الوَقْـتِ اخْتِلَافٌ فِي آرَائِنَا وَتَبَايُنٌ فِي وِجْهَاتِنَا ، وَتَأَثُّرنَـا بِتَـأْثِيرِ المَدَنِيَّـةِ الْغَرْبِيَّـةِ ، فِي حَيَـاةِ الـتَّرَفِ وَالدَّعَةِ وَالاعْتِدَادِ الزَّائِدِ بِالْكَمَالِيَّاتِ وَفُضُولِ الحَيَاةِ ، وَالإِسْرَافِ وَالتَّبْـذِيرِ وَالاسْـتِهَانَةِ بِالْمَالِ العَامِّ إِنَّنَا أَغْنِيَاءُ فُقَرَاءُ ، فَبَيْنَمَا دُوَلُ النَّفْطِ تَعِيشُ حَيَاةَ بَـذَخٍ وَتَـرَفٍ ، نَـرَى مَنَـاظِرَ مُؤْلِمَةً مِنَ الجِيَاعِ وَالْعُرْيِ وَالشَّحَّاذِينَ تَغُصُّ بِهِمْ شَوَارِعُ العَوَاصِـمِ وَالْمُـدُنِ الْعَرَبِيَّـةِ ، لَا فَائِدَةَ إِذَا لَمْ تُسَخَّرِ الثَّرْوَةُ الْعَرَبِيَّةُ الضَّخْمَةُ لِصَالِحِ المَعْرَكَةِ مَعَ العَدُوِّ الحَقِيقِيِّ ، نَحْـنُ لَمْ نَتَّعِظْ بِالمَوَاعِظِ وَالدُّرُوسِ الَّتِي مَرَّتْ بِنَا ، إِنَّ أُمَّتَنَـا ضَـعِيفَةُ الـوَعْيِ وَالـذَّاكِرَةِ ، مُـصَابَةٌ

---

(١) أي استحلوه واستطابوه .

(٢) سورة المائدة آية ( ١٣ ) .

بِالنِّسْيَانِ ، وَلَقَدْ لُدِغَتْ مِنْ جُحْرٍ مَرَّاتٍ وَمَرَّاتٍ، وعَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ الله عَنْـهُ عَـنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : ((لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِـدٍ مَـرَّتَيْنِ ))[1] ، فَمَجْهُودُنَا الْحَرْبِيُّ لِلْمَعَارِكِ الجَانِبِيَّةِ غَيْرِ الْمُقَدَّسَةِ لَا يَتَنَاسَبُ بِمَا نُقَدِّمُهُ لِحُرُوبٍ مَعَ العَـدُوِّ الْحَقِيقِيِّ وَذَلِكَ مِمَّا جَرَّ عَلَيْنَا خَسَائِرَ فَادِحَةً ، وَشَقَاءً كَبِـيراً فَـصَادَقْنا الْأَعْـدَاءَ ، وَعَادَيْنـا الْأَصْدِقَاءَ وَالْأَشِقَّاءَ ؛ فَكَانَتْ حُرُوبُنَا كُلُّهَا مَعَ أَنْفُـسِنَا حُـرُوبٌ أَهْلِيَّـةٌ ، أَوْ طَائِفِيَّـةٌ ، أَوْ قَبَلِيَّةٌ ،أَوْ حِزْبِيَّةٌ ، وَأَصْبَحَتْ ثَرْوَتُنَا مِلْكاً لِأَعْدَائِنَا ؛ لِأَنَّنَا عَاجِزِينَ تَمَاماً عَنِ الانْتِفَاعِ بِهَـا ،وَبِلَادُنَا أَصْبَحَتْ مُحْتَلَّةً وَسُوقاً مَفْتُوحاً لِبَـضَائِع الْأَعْـدَاءِ مِـنْ أَسْـلِحَةِ الـدَّمَارِ وَالمَـوَادِ الاسْتِهْلَاكِيَّةِ التَّافِهَةِ الَّتِي لَا خَيْرَ فِيهَا .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْنَا وَأَصْلِحْ وُلَاةَ أُمُورِنَا ، وَوَفِّقْنَا وَوَفِّقْهُمْ لِمَا فِيهِ خَيْرُنَـا وَخَـيْرُهُمْ وَخَـيْرُ العِبَادِ وَالْبِلَادِ ، وَأَصْلِحْ لَنا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا ، وَأَصْلِحْ لَنَـا دُنْيَانَـا الَّتِـي فِيهَـا مَعَاشُنا ، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا يَا رَبَّ العَالَمِينَ .

إِنَّ أَحْسَنَ الكَلَامِ لَفْظاً وَوَقْعاً ، وَأَحْلَى البَيَانِ سَمْعاً وَنَفْعاً ، كَلامُ مَنْ عَنَـتِ الوُجُـوهُ لَهُ كَرْهاً وَطَوعاً .

---

(١)أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٩ ، رقم ٨٩١٥) ، والبخارى (٥/ ٢٢٧١ ، رقم ٥٧٨٢) ، ومسلم (٤/ ٢٢٩٥ ، رقم ٢٩٩٨) ، وأبو داود (٤/ ٢٦٦ ، رقم ٤٨٦٢) ، وابن ماجه (٢/ ١٣١٨ ، رقم ٣٩٨٢) . وأخرجه أيضًا : ابن حبان ، (٢/ ٤٣٧ ، رقم ٦٦٣) ، والدارمى (٢/ ٤١١ ، رقم ٢٧٨١) ، والبخارى فى الأدب المفرد (١/ ٤٣٥ ، رقم ١٢٧٨) ، والخطيب (٥/ ٢١٨) .

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِـهِ يَهْتَـدِي المُهْتَـدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١) وَقَـالَ عَـزَّ مِـنْ قَائِـلٍ كَـرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ (٢). **أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ**

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَاۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ (٣)

، وَقَالَ تَعَالَى ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ (٤) .

بارَكَ الله لِي وَلَكُمْ فِي القُرْانِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيم ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم .

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) سورة الإسراء آية (٤ـ٨) .

(٤) سورة العنكبوت آية(١ـ٥) .

# الخطبة الثانية

الحَمَدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتّقِينَ ، ولَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْـدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيـكَ لَـهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَــهُ ، وأَعْظَـمَ سُـلْطَانَهُ ، خَـشَعَت لَــهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دونَـهُ الصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَــهُ الأَوهَـامُ ، وحَـارَتْ دُونَــهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُـلَّ مَـن جَحَدَ به وكَفَــرَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَـلَى سَـيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيـلِ الُمحَيَّـا والَمنْظَـرِ ، وعَـلَى آلِــهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أَمَّا بَعْدُ : فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْـوَى الله تَعـالى ، اتَّقُـوا الله مِـنْ سَمَــاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْأَعِزَّاءُ : جَدِيرٌ بِنَا نَحْنُ الُمسْلِمِينَ أَنْ نَقْـرَأَ هَـذِهِ الأَيَّـامِ بِالـذَّاتِ سِـيْرَةَ الفَارُوقِ عُمَرَ ابْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ ، فُتِحَ القُدْسُ عَلَى يَدَيْهِ ، لِكَيْ نَأْخُذَ الـدَّرْسَ الُمفِيدَ مِنْ تَوَاضُعِهِ رَضِيَ الله عَنْهُ ، فَعِنْدَمَا اسْتَتَبَّ لَهُ أَمْرُ الخِلَافَةِ ، أَرْسَـلَ عِـدَّةَ جُيُـوشٍ لِفَتْحِ الشَّامِ بِقَيَادَةِ رِجَالٍ رَبَّاهُمْ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَـلَّى الله عَلَيـهِ وآلـه وَسَـلَّمَ مِـنْ أَمْثَـالِ أَبِي عُبَيْدَةَ : عَامِرِ ابْنِ الجَرَّاحِ ، وَعَمرو ابْنِ العَاصِ وَغَيْرِهِمْ، وَتَمَّ فَتْحُ الشَّامِ ، ماعَـدَا بَيْـتَ المَقْدِسِ ، فَإِنَّهُ اسْتَعْصَى عَلَيْهِمْ ، فَحَاصَرُوهُ مُدَّةً وَلَمْ يَقْتَحِمُـوهُ احْتِرَامـاً لِقَدَاسَـتِهِ ، غَـيْرَ

أَنَّهُمُ اتَّفَقُوْا أَخِيراً مَعَ سَدَنَتِهِ وَحُجَّابِهِ عَلَى أَنْ يُسَلِّمُوْا مَفَاتِحَهُ لِلْخَلِيفَةِ نَفْسِهِ ، فَكَتَبَ قَـادَةُ الجَيْشِ الإِسْلَامِيِّ يَسْتَقْدِمُونَهُ، فَسَافَرَ الفَارُوقُ فِي وَفْدٍ مُتَوَاضِعٍ ، عَلَى بَغْلَتِهِ المُتَوَاضِـعَةِ ، لَابِساً حُلَّتَهُ المُرَقَّعَةَ ، وَلَيْسَ يَصْحَبُهُ وَفْدٌ رَفِيعُ المُسْتَوَى كَمَا يُسَمَّى الْيَومَ مَا عَدا نَفَراً قَلِيلاً وَغُلَاماً لَهُ يَتَعاقَبُ مَعَهُ الرُّكُوبَ فِي الرِّحْلَةِ الطَّوِيلَةِ الشَّاقَّةِ ، وَلَمَّا دَنَا الْفارُوقُ مِـنَ الـشَّامِ قَابَلَهُ القَادَةُ الإِسْلَامِيُّونَ وَقَدْ أَعَدُّوا لَهُ حُلَلاً زَاهِيَةً لِيَلْبَسَهَا عُمَـرُ وَخَـيْلاً مُطَهَّـماً لِيَرْكَبَـهُ بَدَلًا عَنِ البَغْلَةِ ؛ لِيَدْخُلَ القُدْسَ فِي مَظْهَرٍ يَلِيقُ بِهِ كَرَئِيسِ دَوْلَةٍ عُظْمَى حَـسْبَ فَهْمِهِـمْ وَفَهْمِنَا الْيَومَ ، وَلَكِنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ المُتَواضِعَ الْعَادِلَ رَفَضَ كُلَّ ذَلِكَ ، وَقَالَ لَا حاجَـةَ لِي بِهَذِهِ الحُلَلِ ، وَتَكْفِينِي حُلَّتِي ، وَلَا حَاجَةَ لِي بِمَرْكُوبٍ غَيْرَ بَغْلَتِـي ، وَابْعِـدُوْا عَنِّـي كُـلَّ هَذَا ، وَمِنَ الغَرِيبِ الْعَجِيبِ أَنَّ هَؤُلَاءِ القادَةِ وَكُلُّهُمْ مِنْ أَصْحَابِ رَسُـولِ اللهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ ، سَرْعَانَ ما أَثَّرَتْ فِيهِمْ مَدِينَةُ الرُّومَانِ ، وَغَيَّرَتْ فِي حَيَـاتِهِمْ ، وَدَخَـلَ عُمَرُ بَيْتَ المَقْدِسِ فِي مَوْكِبِهِ المُتَوَاضِعِ وَرَاءَ بَطَارِكَةِ[1] الرُّومِ وَرُهْبَانِهِمْ فِي هَيْئَتِهِ فَـأُعْجِبُوْا بِهِ وَأَكْبَرُوهُ ، وَقالُوا لَقَدْ كَانَتْ صِفَاتُ هَذَا الخَلِيفَةِ وَهَيْئَتِهِ كَـمَا جَـاءَ فِي كُتُبِنَـا المُقَدَّسَـةِ ، وَسُلِّمَ لَهُ مِفْتَاحُ القُـدْسِ ، وَمُنْـذُ ذَلِـكَ الْيَـوم أَصْـبَحَ ثَالِـثُ الحَـرَمَيْنِ الـشَّرِيفَيْنِ وَأُوْلَى القِبْلَتَيْنِ ، وَمَحَلُّ مَسْرَى رَسُولِنَا الْأَعْظَمِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيـهِ وآلـه وَسَـلَّمَ ، تَحْـتَ إِمْـرَةِ المُسْلِمِينَ ، خَلِيفَةً بَعْدَ خَلِيفَةٍ ، إِلَّا إِنَّ أَعْدَاءَ الإِسْلَامِ الحَاقِدِينَ لَمْ يَتْرُكُوا الأُمُورَ كَمَا هِيَ ، فَانْتُزِعَ القُدْسُ مِنْ أَيْدِي العَرَبِ مَرَّتَيْنِ ، المَرَّةُ الأُوْلَى فِي غَزْوِ الصَّلِيبِيِّينَ ، واحْتَلُّـوهُ مُـدَّةَ رُبْعِ قَرْنٍ ثُمَّ اسْتُعِيدَ بَعْدَ حُرُوبٍ طَاحِنَةٍ عَلَى يَدِ القَائِدِ المُسْلِمِ صَلَاحِ الدِّينِ الْأَيُّوبِي ، أَمَّـا المَرَّةُ الثَّانِيَةُ حَصَلَ أَنِ احْتَلَّهُ الْيَهُودُ عَامَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَتِسْعمَائَةٍ وَأَلْفٍ مِيلَادِيَّـةٍ ، أَيْ مُنْـذُ

(١) مفرده بطرك وهو مقدم النصارى و رئيس رؤساء الأساقفة و العالم عند اليهود ويجمع أيضا على بطارك .

سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ عَامًا ، وَاللهُ وَحْدَهُ يَعْلَمُ كَيْفَ وَمَتَى يَعُودُ إِلَيْنَا نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ ، وبِأَيِّ طَرِيقَةٍ يُعَادُ ، فَصَلَاحُ الدِّينِ كَمَا نَفْهَمُ اسْتَعَادَ الْقُدْسَ بِاسْمِ الإِسْلَامِ وَالإِسْلَامُ وَحْدَهُ ، وَالْعَالَمُ الْيومَ يَنْظُرُ وَيَنْتَظِرُ كَيْفَ يُعَادُ الْقُدْسُ وَغَيْرُهُ ، وَالْعَدُوُّ هَذِهِ المَرَّة كَشَّرَ عَنْ أَنْيَابِ السِّبَاعِ المُتَوَحِّشَةِ ؛ لِيَفْتِكَ بِالْمُسْلِمِينَ فِي أَرْضِ القَدَاسَاتِ ، فَقُمْنَا بِمُفَاوَضَاتٍ مَعَهُ بِوَاسِطَةِ المُنَظَّمَاتِ الدَّوْلِيَّةِ ، عُقِدَتْ مَعَ العَدُوِّ بِوَاسِطَةِ الهَيْئَاتِ الدَّولِيَّةِ مَجْلِسِ الْأَمْنِ ، وَهَيْئَةِ الأُمَمِ ، فَكَمْ لِقَاءَاتٍ تَمَّتْ مَعَ قِيَادَةِ العَدُوِّ ، وَكَمْ اتِّفَاقَاتٍ أُقِيمَتْ هُنَا وَهُنَاكَ ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ لَا يُلْقِي بَالًا لِلْعَهْدِ وَالمَوَاثِيقِ، إِنَّهُ مِنْ هَزِيمَةِ حَزِيرَانَ ١٩٦٧م اسْتَحْقَرَ الدُّوَلَ العَرَبِيَّةَ وَجُيُوشَهَا وَقادَتَهَا وَشُعُوبَهَا وَلَا يَتكَلَّمُ إِلا بِلُغَةِ السِّلَاحِ وَالْغَطْرَسَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ ؛ لِأَنَّهُ يَتَفَوَّقُ بِأَسْلِحَتِهِ الفَتَّاكَةِ المُدَمِّرَةِ الَّتِي زَوَّدَهُ أَصْدِقَاؤُهُ بِهَا ، وَحَرَّمَهَا عَلَيْنَا ، فالْوَيْلُ لِمَنْ تُسَوِّلُ لَهُ نَفْسُهُ أَنْ يَمْلِكَ سِلَاحاً مُتَطَوِّراً كَسِلَاحِ جَيْشِ إِسْرَائِيلَ ، إِنَّ بِضْعاً وَعِشْرِينَ جَيْشاً عَرَبِيّاً مُدَجَّجاً بِسِلَاحٍ لَا يَسْتَطِيعُ الوُقُوفَ سَاعَاتٍ أَمَامَ جَيْشِ إِسْرائِيلَ وَحْدَهُ، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ إِنَّنَا هُزِمْنَا مِنَ الدَّاخِلِ ، وَصَارَتْ عِنْدَنَا عُقْدَةُ الهَزِيمَةِ والضَّعْفِ ، وَإِلَّا : لِحِسَابِ مَنْ هَذِهِ الجُيُوش الجَرَّارَة ؟! ، وَعَلَامَ تُصْرَفُ أَكْثَرُ مِيزَانِيَّةِ البِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ لِلْقُوَّاتِ المُسَلَّحَةِ ، إِذَا لَمْ تَكُنْ لِلْمَعْرَكَةِ المُقَدَّسَةِ ضِدَّ أَعْدَائِنَا الحَقِيقِيِّينَ وَإِلَّا فَلِمَنْ ؟ سُؤَالٌ حائِرٌ يَطْرَحُ نَفْسَهُ عَلَيْنَا وَبِشِدَّةٍ، هُنَاكَ الْفِدَائِيُّونَ فِي جَنُوبِ لُبْنَانَ مِنْ حِزْبِ الله ، ضَرَبُوا لَنا المَثَلَ الْأَعْلَى فِي كِفَاحِهِمْ ضِدَّ إِسْرَائِيلَ حَتَّى جَنَّ جُنُونُهَا وَفَقَدَتْ صَوَابَهَا وَخَرَجَتْ مِنْ جَنُوبِ لُبْنَانَ مَهْزُومَةً مَدْحُورَةً ، فَلْنُعِدِ الكرَّةَ مَعَهَا فِي القُدْسِ وَفِلِسْطِينَ وِلِنُشْعِلِهَا حَرْبَ عِصَابَاتٍ مُسْتَمِرَّةٍ مُشْتَعِلَةٍ ، نَقُضُّ مَضْجَعَهَا ، وَنُذِلُّ كِبْرِيَاءَهَا ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْـبِراً وآمِـراً لَكُـمْ تَكْـرِيماً :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمـدٍ نَبِـيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَـلَى آلِـهِ وصَـحْبِهِ ومَـنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ : سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِــي بَكْـرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَــــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيـهِ وسَـلَّمَ سَـيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّـدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِــي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَــا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقـيَّةِ العَـشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ ، الَّـذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَـعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْــمَنِ وأَبِــي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجْلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَـصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّـانُ يَـا ذَا الجُـودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَـا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْـرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُـؤْمِنِينَ والـمُــؤْمِنَاتِ ، والـمُـسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوع بِلادِنَا خَاصَّـةً وسَائِر بِـلاد الـمُسْلِمِينَ

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا ، وأَلِّـفْ بَـينَ قُلُوبِنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَـعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الـدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَونَاً ومُعِيناً لَـهُ ، واخْذُلْ مَـنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ .

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئـاً مَرِيئـاً ، سَحّاً عَامّـاً دَائِمـاً مُبَارَكاً فِيـهِ ، نَافِعاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَـــــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَزِدْكُمْ ، وَلَـذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# و لَكُمْ فِـي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَـابِ

## الخُطْبَـــــــةُ الأُولَى

الحَمْدُ لله الذي دَعانا إِلَى طَرِيقِ الهُدَى وَالرَّشادِ ، وَهَدانا إِلَى خَيْرِ ما هَدَى إِلَيهِ العِبادَ ، وجَعَلَنا خَيرَ أُمَّةٍ بِأَكْرَمِ رَسُولٍ وَخَيْرِ هادٍ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ سَنَّ لَنا مِنَ الدِّين ما فِيهِ صَـلاحُ دُنْيانـا ، وَسَعادَةُ أُخْرانا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَـيِّدَنا مُحمـداً عَبْـدُهُ وَرَسُـولُهُ خَـيْرُ دَاعٍ إِلَى رَبِّـهِ بِالْحِكْمَـةِ وَالْمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ ، فَكُنَّا بِهِ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ . اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّد وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْمُقْتَدِينَ بِهِ ، وَمَنْ دَعا بِدَعْوَتِهِ ، وَسارَ عَلَى نَهْجِهِ إِلَى يَومِ الدِّينِ .

أَمَّا بَعْدُ : فأُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى ، فَإِنَّهَـا الحِـصْنُ الحَـصِينُ فِي الـشَّدائِدِ ، وَالرُّكْنُ الرَّكِينُ عِنْدَ حُدُوثِ الْمُهِمَّاتِ وَالْمُلِمَّاتِ وَالمَكَائِد .

يَا أُمَّةَ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الله ﷺ : مَا أَحْوَجَ الْمُسْلِمِينَ اليَومَ – وَنَحْنُ مِـنْهُمْ – إِلَى مَـنْ يَـرُدُّ عَلَيْهِمْ إِيْمانَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ ، وَثِقَتَهُمْ بِماضِيهِمْ ، وَرَجاءَهُمْ فِي مُسْتَقْبَلِهِمْ ، وَما أَحْوَجَهُمْ لِـمَنْ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ إِيْمانَهُمْ بِهَذا الدِّينِ ، الَّذِينَ يَحْمِلُونَ اسْمَهُ وَيَجْهَلُونَ كُنْهَهُ ، وَيَأْخُذُونَهُ بِالوِراثَـةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَأْخُذُونَهُ بِالْمَعْرِفَةِ .إِنَّ الإِسْلامَ عَقِيدَةُ اسْـتِعْلاءٍ وَتَرَفُّـعٍ عَـنِ الـدَّنايا وَالـصِّغارِ ، وَمِنْ أَخَصِّ خَصائِصِها أَنَّهَا تَبْعَثُ فِي رُوْحِ الْمُؤْمِنِ بِهـا إِحْـساسَ العِـزَّةِ مِـنْ غَـيْرِ كِـبْرٍ ، وَرُوحَ الثِّقَةِ فِي غَيْرِ اغْتِرارٍ ، وَشُعُورَ الاطْمِئْنانِ فِي غَـيْرِ تَواكُـلٍ ، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [1] ،﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ سورة البقرة(١٤٢)

---

(١) سورة آل عمران من الآية (١١٠) .

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : لَقَدْ حَرِصَ دِيْنُنا الإِسْلامِيُّ الحَنِيفُ عَلَى أَنْ يَعِيشَ أَتْباعُهُ فِي أَمْنٍ وَأَمانٍ ، وَسِلْمٍ وَسَلامٍ ، وَعنِيَتْ شَرِيعَتُنا الغَرَّاءُ بِبِناءِ المُجْتَمَعِ الإِسْلامَيِّ عَلَى أُسُسٍ سَلِيمَةٍ ، وَأَكَّدَتْ كُلَّ التَّأْكِيدِ عَلَى اسْتِتبابِ الأَمْنِ وَتَمْكِينِهِ ، وَالطُّمَأْنِينَةِ لِلأَفْرادِ وَالجَماعاتِ ؛ لِيَعِيشُوا حَياتَهُمْ فِي أَمْنٍ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَعْراضِهُمْ وَأَمْوالِهِم ، وَسَنَّتْ شَرِيعَتُنا أَفْضَلَ الطُّرُقِ ، وَأَنْجَعَ العِلاجِ ؛ لِمُكافَحَةِ الجَرِيمَةِ أَيّاً كانَ نَوْعُها وَمَصْدَرُها ؛ وَالضَّرْبِ عَلَى أَيْدِي العابِثِينَ بِالأَمْنِ ، وَالمُنْحَرِفِينَ فِي سُلُوكِهِمْ كَيْ يَسْلَمَ النَاسُ مِنْ أَذاهُمْ ، وَيَعِيشُ المُجْتَمَعُ فِي طُمَأْنِينَةٍ وَاسْتِقْرارٍ ، وَقَدْ جَعَلَتْ الشَّرِيعَةُ الإِسْلامِيَّةُ لِكُلِّ جَرِيمَةٍ عِقاباً يَتكافَأُ وَيَتَناسَبُ مَعَ نَوْعِهَا وَخُطُورَتِها وَإِضْرارِها بِالأُمَّةِ ، وَأَهابَتْ بِالمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ أَلَّا يَتهاوَنُوا حُكّاماً وَمَحْكُومِينَ فِي تَنْفِيذِ هَذِهِ العُقُوباتِ الصَّارِمَةِ ، وَأَلَّا تَأْخُذْهُمْ بِالجانِي شَفَقَةٌ وَلا رَحْمَةٌ ، وَلا لَوْمَةُ لائِمٍ .

وَالقُرْآنُ الكَرِيمُ لِمَصْلَحَتِنَا وَحَياتِنَا جَمِيعاً حَدَّدَ العُقُوباتِ فِي أُمَّهاتِ الجَرائِمِ ، وَكَبائِرِ المَعاصِي وَهِيَ الَّتِي يَضْطَرِبُ لَها حَبْلُ الأَمْنِ ، وَيَفْسُدُ المُجْتَمَعُ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ سِتُّ عُقُوباتٍ لِسِتٍّ من أَمَّهَاتِ الجَرَائِمِ وَهِيَ : قَتْلُ النَّفْسِ بِغَيرِ حَقٍّ ، وَالسَّرِقَةُ ، وَقَطْعُ الطُّرُقِ وَالفَسادُ فِي الأَرْضِ ، وَالزِّنا ، وَالقَذْفُ ، وَالْبَغْيُ .

وَهُناكَ عُقُوبتَانِ نَصَّتْ عَلَيهما سُنَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيهِ وآلِه وَسَلَّمَ هما : عُقُوبَةُ الارْتِدادِ عَنِ الإِسْلامِ وَعُقُوبَةُ شُرْبِ الخَمْرِ .

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : كُلُّ يَومٍ تُطالِعُنا الأَخْبارُ وَيَطْرُقُ مَسَامِعَنا مِنْ هُنا وَهُناكَ مِنَ الأَحْداثِ المُؤْلِمَةِ المُزْعِجَةِ ، ما يَقُضُّ المَضاجِعَ ، وَيُسِيلُ المَدامِعَ ، فَهُناكَ قَتْلُ أَبْرِياءَ مِنَ الأَطْفالِ وَالْعَجائِزِ وَالنِّساءِ بِالجُمْلَةِ ، بِطَرِيقَةٍ لَمْ يُسْمَعْ بِها فِي التَّارِيخِ ، حَيْثُ يُذْبَحُونَ

ذَبْحَ الشَّاةِ ، وَهُنا قَطْعُ طَرِيقٍ وَ إِفْسادٍ فِي الأَرْضِ ، وَمُحارَبَةٌ لله وَرَسُولِهِ ، وَاقْتِحامُ المُسلَّحِينَ البُيُوتَ وَالمَخازِنَ وَالطُّرُقاتِ ، وَأَخْذُ الأَمْوالِ وَالأَمْتِعَةِ وَالسَّياراتِ .

وَتُعْتَبَرُ جَرِيمَةُ القَتْلِ العَمْدِ مِنْ أَخْطَرِ الجَرائِمِ وَأَشَدِّها إِخْلالاً بالأَمْنِ ، وَهِيَ مِنْ أُولَى الجَرائِمِ وَالآثامِ الَّتِي يُحاسِبُ الله النَّاسَ عَلَيها يومَ القِيامَةِ قالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وآله وَسَلَّمَ : « أَوَّلُ ما يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يومَ القِيامَةِ فِي الدِّمَاءِ » رَواهُ البُخارِي وَمُسْلِمٌ (١) .

وَقَدْ عَظَّمَ الإِسْلامُ إِزْهاقَ الرُّوحِ الإِنْسانِيَّةِ بِغَيرِ حَقٍّ ، فَجَعَلَ قَتْلَ النَّفْسِ الواحِدَةِ بِمَثابَةِ قَتْلِ البَشَرِيَّةِ جَمْعاءَ كُلِّها فَقالَ سُبْحانَهُ وَتَعالَى: ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (٢).

هَذِهِ نَظْرَةٌ إِسْلامِيَّةٌ إِنْسانِيَّةٌ شامِلَةٌ شَرَعَها الله ، تَقْصُرُ دُوْنَها كُلُّ النَّظَراتِ ، وَالنَّظَرياتِ وَالْفَلْسَفاتِ الشَّرْقِيَّةِ وَالْغَرْبِيَّةِ القَدِيمَةِ وَالمُعاصرَةِ الَّتِي يَتَشَدَّقُ بِها أَعْداءُ الإِسْلامِ ، فَقَتْلُ نَفْسٍ واحِدَةٍ بِغَيْرِ حَقٍّ مَهْما كانَ دِيْنُها وَمَذْهَبُها وَلَونُها كَقَتْلِ النَّاسِ جَمِيعاً ، كَما إِنَّ إِحْياءَ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ بِتَخْلِيصِها مِنَ المُهْلِكاتِ كالحَرِيقِ وَالْغَرَقِ ، وَالجُوعِ وَالمَرَضِ كَإِحْياءِ النَّاسِ جَمِيعاً .

وَالإِسْلامُ يُنْذِرُ قاتِلَ المُؤْمِنِ بِغَيرِ حَقٍّ بِأَشَدِّ العُقُوباتِ يومَ القِيامَةِ ، فَيَقُولُ جَلَّ فِي عُلاهُ : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ سورة النساء الآية (٩٣) .

---

(١) صحيح البخاري :كتاب الديات، باب (قوله تعالى : { و من يقتل مؤمناً متعمداً } ) ، صحيح مسلم : كتاب (القسامة والمحاربين والقصاص و الديات) باب( المجازاة بالدماء في الآخرة وأنها أوَّل ما يُقضى بين الناس) .

(٢) سورة المائدة من الآية (٣٢) .

هَذِهِ أُمُورٌ أَرْبعَةٌ فِي هَذِهِ الآيَةِ أَوْعَدَ الله بِها قَاتِلَ المُؤْمِنَ ، كُلُّ واحِدٍ مِنْها يَقْشَعِرُّ لَهُ البَدَنُ ، ما بَالُكَ إِذا اجْتَمَعَتْ كُلُّها فِي القاتِلِ وَهِيَ : الخُلُودُ فِي جَهَنَّمَ ، ثُمَّ غَضَبُ الله عَلَيهِ ، ثُمَّ لَعْنَةُ الله ، وَأَخِيراً إِعْدادُ العَذابِ العَظِيمِ لَهُ

فَالإِسْلامُ بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مَنْ يَعْتَدِي عَلَى الآمِنِينَ وَالأَبْرِياءِ بِالْقَتْلِ وَإِنْ كانُوا مِنْ أَتْباعِ الأَدْيانِ الأُخْرَى ، مِنَ المُعاهَدِينَ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ ، وَلِهَذا يَقُولُ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : « مَنْ قَتَلَ مُعاهِداً لَمْ يَرِحْ رائِحَةَ الجَنَّةِ ، وَإِنَّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عاماً » رواهُ البُخارِي[1] ، وفِي رِوايَةٍ عند الإمام أحمد[2] « مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ... » .

أَيُّها الإِخْوَةُ المُؤْمِنونَ : وَمِنَ الدَّناءَةِ وَالحُمْقِ أَنْ يُرْخِصَ الإِنْسانُ نَفْسَهُ وَهُوَ غالِي القِيْمَةِ ، فالسَّرِقَةُ وَمَدُّ اليَدِ خِلْسَةً لِمالِ الغَيْرِ وَمُقْتَنَياتِهِ مِنْ حِرْزِ مِثْلِها ، عَمَلٌ مُسْتَهْجَن يَسْتَحِقُّ عَلَيهِ قَطْع اليَدِ ، هَذِهِ اليَدُ الغالِيَةُ ، دِيَتُها خَمْسُمِائَةِ دِيْنارٍ مِنَ الذَّهَبِ ، فَإِذا سَرَقَ بِها رُبُعَ دِينَارٍ فَقَطْ هَبَطَتْ قِيْمَتُها مِنْ خَمْسُمِائَةِ دِيْنارٍ إِلَى رُبُعِ دِيْنارٍ فَقَطْ :

يَدٌ بِخَمْسِ مِئِينٍ عَسْجَدٍ وُدِيَتْ ... مَا بَالُـهَا قُطِعَت فِي رُبْعِ دِينَارِ

عِزُّ الأَمَانَةِ أَغْلَاهَا وأَرْخَصَهَا ... ذِلُّ الخِيَانَةِ فافهَمْ حِكْمَةَ البَارِي

وَقَدْ عالَجَ الإِسْلامُ هَذَا المَسْلَكَ الخَسِيسَ الدَّنِيءَ ، فَقَدْ ضَمِنَ لِلإِنْسانِ العاجِزِ عَنِ الكَسْبِ وَالفُقَراءِ مَعُونَةً تُؤْخَذُ مِنَ الأَغْنِياءِ وَتُرَدُّ عَلَى الفُقَراءِ ، وَأَنَّ الله كَتَبَ فِي مَالِ الأَغْنِياءِ ما يَكْفِي الفُقَراءَ مِنَ الزَّكاةِ وَغَيْرِها ، وَهُوَ الضَّمانُ الاجْتِماعِيُّ لِسائِرِ أَفْرادِ المُجْتَمَعِ ، فَجَرائِمُ السَّرِقاتِ لا يُحْسَمُ شَرُّها إِلا بِتَطْبِيقِ شَرِيعَةِ الإِسْلامِ بِقَطْعِ يَدِ السارِقِ

(١) صحيح البخاري : كتاب الجزية ، باب (إثم من قتل معاهداً بغير جرم) .

(٢) مسند الإمام أحمد (مسند المكثرين من الصحابة) (مسند عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه) .

لِقَولِهِ تَعـالَى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

لَقَدْ أَصْبَحَ اللُّصُوصُ فِي عَصْرِنا الحاضِرِ يُشَكِّلُونَ عِصَابَاتٍ مُسَلَّحَةٍ أَحْياناً ، خَطِيرَةٍ عَلَى الأَمْنِ وَالطُّمَأْنِينَةِ فِي النُّفُوسِ ، وَلَقَدْ أَثْبَتَتْ القَوانِينُ الوَضْعِيَّةُ ، أَثْبَتَتْ إِفْلاسَها إِفْلاساً فاضِحاً فِي إِقْرارِ الأَمْنِ وَمُحارَبَةِ اللُّصُوصِيَّةِ ، فاللِصُّ يُقْدِمُ عَلَى جَرِيمَتِهِ وَهُوَ مُطْمَئِنٌّ إِلَى أَنَّ أَقْصَى ما يَتَعَرَّضُ لَهُ إِنْ وَقَعَ فِي أَيْدِي رِجالِ الأَمْنِ وَهُوَ السِّجْنُ شُهُوراً أَوْ سَنَواتٍ قَلائِلَ ثُمَّ يُطْلَقُ سَرَاحُهُ ، وَمِنَ المُشَاهَدِ أَنَّ السَّارِقَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيانِ يُعَاوِدُ السَّرِقَةَ بَعْدَ الإِفْرَاجِ عَنْهُ ؛ فَيَظَلُّ المُجْتَمَعُ فِي دَوامَةٍ مِنَ الفَوْضَى وَفُقْدانِ الأَمْنِ ، وَلِنَعْلَمَ أَنَّ المُجْتَمَعَ الَّذِي يَتَهاوَنُ مَعَ المُجْرِمِينَ وَالمُخَرِّبِينَ وَيَتَقاعَسُ عَنْ إِنْزالِ العُقُوبَةِ الشَّدِيدَةِ بِهِمْ ، هُوَ مُجْتَمَعٌ حَكَمَ عَلَى نَفْسِهِ بِالهَلاكِ ، وَقَدْ يَظُنُّ بَعْضُ الناسِ أَنَّ إِصْلاحَ المُجْتَمَعِ قَائِمٌ عَلَى الوَعْظِ فَحَسْبُ ، وَلَكِنَّ الوَعْظَ لا يُفِيدُ النَاسَ الَّذِينَ باعُوا أَنْفُسَهُمْ لِلشَّيْطانِ ، وَلا الناسَ الَّذِينَ خَلَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَعالَى : « وَإِنَّ اللهَ لَيَنزَعُ بِالسُّلْطانِ ما لا يَنزِعُ بِالقُرْآنِ » ؛ وَمِنْ ناحِيَةٍ أُخْرَى أَيْنَ هَؤُلاءِ المُجْرِمُونَ مِنَ الوَعْظِ والإِرْشادِ ، إِنَّهُمْ فِي وادٍ ، وَالوَعْظُ فِي وادٍ ، كَما هُوَ مَعْرُوفٌ لَمْ يَكُنْ فِي جَلَساتِ الوَعْظِ إلا النَاسُ الطَّيِّبونَ .

---

(١) سورة المائدة الآية ( ٣٨ ) .

وَإِذا تَكَلَّمَ الفُقَهاءُ : فُقَهاءُ الشَّرِيعَةِ الإِسْلامِيَّةِ عَـنِ الـسَّرِقَةِ فَـإِنَّما يَقْـصِدُونَ الـسَّرِقَةَ الصُّغْرَى الَّتِي يُؤْخَذُ فِيهَا المالُ خُفْيَةً وَبِغَيرِ مُغالبةٍ ، أَمَّا إِذا تَكَلَّمُوا عَنِ السَّرِقاتِ الكُبْرَى كاقْتِحام المُسَلَّحِينَ البُيُوتَ وَالمَخازِنَ وَالطُّرُقاتِ وَأَخْذِ الأَمْـوالِ وَالأَمْتِعَـةِ وَالـسَّياراتِ بِالقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ عَلَى وَجْهٍ يَتَعَذَّرُ مَعَهُ الغَوثُ ، فَعِندَ ذَلِكَ تَخْتَلِـفُ العُقُوبَـاتُ وَتَنْتَقِـلُ إِلَى عُقُوبَةِ الحِرابَةِ وَتُسَمَّى قَطْعَ الطُّرُقِ والإِفْسَادَ فِي الأَرْضِ وَمُحارَبَةَ الله تَعالَى ورَسُولِهِ الَّتِي جَعَلَ الإِسْلامُ عُقُوبَتَهـا أَشَـدَّ العُقُوبـاتِ ؛ لأَنَّ خَطَرَهـا يُهَـدِّدُ الـسَّلامَ العـامَ وَالأَمْـنَ وَالاسْتِقْرارَ ، وَمِنْ عَظَمَةِ دِيْنِنا الإِسْلامِيِّ الحَنِيـفِ أَنَّـهُ تَـصَدَّى لِلْمُجْـرِمِينَ الفاسِـدِينَ وَالمُخَرِّبِينَ العُمَلاءِ وَقُطَّاعِ الطُّرُقِ بِأَقْصَى العُقُوباتِ الصارِمَةِ ؛ لِيَسْتَتِبَّ الأَمْنُ بَينَ الناسِ الَّذِي هُوَ المَطْلَـبُ الأَوَّلُ وَالأَخِـيرُ لِلأُمَّـةِ الَّتِـي تَنْـشُدُ الاسْـتِقْرارَ وَالطُّمَأْنِينَـةَ ، أَمَّـا أُمُّ المَصائِبِ وَأَخْطَر اللُّصُوصِيَّةِ فهْيَ سَرِقَةُ المالِ العام مِنْ خَزائِنِ الدَّولَةِ ، فِي غَفْلَةِ الرَّقابَـةِ وَإِثْراءِ البَعْضِ بِسُرْعَةٍ عَلَى حِسابِ لُقْمَةِ عَيْشِ الشَّعْبِ المِسْكِينِ .

اللَّهمَّ وَفِّق وُلَاةَ أُمُورِنا لِـمَا فيـه خَيرُنَـا وخَـيرُ الـبِلادِ و العِبَـادِ ، ليَـسُنُّوا القَـوانِينَ الصَّارِمَةَ لِدَرْءِ الفَسَادِ و أَسْبَابِهِ و مُسَبِّبَاتِهِ ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ .

إِنَّ أَحْسَنَ الكَلامِ لَفْظاً وَوَقْعاً ، وَأَحْلَى البَيانِ سَمْعاً وَنَفْعاً ، كَلامُ مَنْ عَنَـتِ الوُجُـوهُ لَهُ كَرْهاً وَطَوعاً .

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِـهِ يَهْتَـدِي الْمُهْتَـدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] وَقَـالَ عَـزَّ مِـنْ قَائِـلٍ كَـرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[2].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَـٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3] ، ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[4].

بارَكَ الله لِي وَلَكُمْ فِي القُرْانِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآيـاتِ وَالـذِّكْرِ الحَكِـيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْـتَغْفِرُوهُ إِنَّـهُ هُـوَ الغَفُـورُ الرَّحِيم .

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) سورة المائدة الآية (٣٣) .

(٤) سورة الفرقان الآيات (٦٨-٧٠) .

## الخطبة الثانية

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إلَّا عَـلَى الظَّالِـمِـينَ ، نَحْمَـدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إليهِ ، ونَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْـدِ اللهُ فَـلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُـبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْوَاتُ ، وَكَلَّتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَـلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْـصَارُ ، لَا يَقْــضِي فِــي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ . وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْـدُهُ ورَسُـولُهُ ، سَـيِّدُ الخَلائِـقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ . اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَــمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أَمَّا بَعْدُ: فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى ، اتَّقُوا اللهَ مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءِ يا حَمَلَةَ الإِسْلامِ وَحُماتِهِ : يَقُـولُ الله تَعـالَى : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١)

إِنَّ هَذا القِصاصَ الَّذِي كَتَبَهُ الله عَلَى جَماعَةِ المُؤْمِنِينَ فِي شَأْنِ القَتْلَى تَقُومُ بِهِ الدَّولَـةُ عَـلَى مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً مُتَعَمِّداً بِما يَقْتُلُ عادَةً ، وَهَذا الحَقُّ جَعَلَهُ الإِسْلامُ لأَوْلِياءِ دَمِ القَتِيلِ فَلَهُمْ حَـقُّ القِصاصِ بِقَتْلِهِ وَلَهُمْ حَقُّ العَفْوِ عَنْهُ مَعَ قَبُولِ الدِّيَةِ ، فَإِنْ أَمَرُوا بِقَتْلِهِ كانَ ذَلِكَ حَقاً وَعَدْلاً ، وَإِنْ عَفَوا عَنْهُ كانَ ذَلِكَ إِحْساناً وَرَحْمَةً ﴿ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ (٢).

---

(١) سورة البقرة الآية (١٧٩)

(٢) سورة البقرة من الآية (٢٣٧) .

وَهَذا الْقِصاصُ إِنَّما هُوَ عُقُوبَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ لِلْقاتِلِ ، وَحَقٌّ مُطْلَقٌ لأَوْلِياءِ القَتِيلِ ، يَنْفُذُهُ الحاكِمُ ؛ لِيَكُونَ عِبْرَةً رَادِعَةً لِغَيْرِهِ ، وَعَلَى الحاكِمِ الْمُسْلِمِ الإِسْراعُ فِي التَّنْفِيذِ بَعْدَ التَّحَرِّياتِ وَأَخْذِ الحِيطَةِ ؛ لأَنَّ أَهْلَ القَتِيلِ نُفُوسُهُمْ حَزِينَةٌ حاقِدَةٌ عَلَى القاتِلِ لا تَهْدَأُ حَتَّى تَشْفِي غَلِيلَها بِالانْتِقامِ وَالأَخْذِ بِالثَّأْرِ ، فَيَشْتَدُّ التَّشاحُنُ وَالخِصامُ ، وَرُبَّما انْتَقَلَ إِلَى عَشائِرِهِمْ وَقَبائِلِهِمْ فَيَفْشُوا الفَسادُ وَيَعُمُّ الإِجْرامُ وَهَذا ما يُشاهَدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ البَوادِي : ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾[1] .

وَأَمَّا السَّرِقَةُ فَلا تُقْطَعُ اليَدُ فِيها إِلا إِذا كانَتْ فِي مالٍ فِي حِرْزِ مِثْلِهِ أَيْ مَحْفُوظٍ ، فالْمالُ الضائِعُ ، أَوِ المَتْرُوكُ فِي طَرِيقٍ عامٍ مِنْ غَيْرِ حِراسَةٍ ، وَالتَّمْرُ الَّذِي عَلَى النَّخِيلِ وَالثَّمَرُ الَّذِي عَلَى الأَشْجارِ بِلا حائِطٍ ، وَالْماشِيَةُ الْمُرْسَلَةُ مِنْ غَيْرِ راعٍ وَنَحْوِ هَذا لا قَطْعَ فِيهِ ، وَلَكِنْ يُعَزَّرُ سارِقُهُ ، حَسْبَما يَراهُ الحاكِمُ وَادْرَءُوا الحُدُودَ بِالشُّبُهاتِ ، وَلا عَلَى ما أُخِذَ بِالفَمِ أَيْ لأَكْلِهِ ساعَةَ أَخْذِهِ مِنْ ثَمْرٍ عَلَى شَجَرٍ وَلَمْ يُحْمَلْ مِنْهُ شيءٌ ، وَمَنْ حَمَلَ شَيْئاً غَيْرَ ما أَكَلَ فَعَلَيهِ ثَمَنُهُ مَعَ التَّعْزِيرِ ، وَيَجُوزُ لِصاحِبِ المالِ المَسْرُوقِ إِذا ضَبَطَ السَّارِقَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى القَضاءِ .

وَفِي العُقُوباتِ تَأْدِيبٌ لِلسَّارِقِ إِنْ كانَ عَنْده بَقاءُ مُرُوءَةٍ وَشَرَفٍ ، وَلا عُقُوبَةَ عَلَى السارِقِ الَّذِي يَسْرِقُ بِداعِي الجُوعِ الشَّدِيدِ فَإِنَّ الخَلِيفَةَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ لَمْ يَأْخُذْ أَحَداً ، بِحَدِّ السَّرِقَةِ فِي عامِ الرَّمادَةِ ؛ لأَنَّهُ كانَ عامَ مَجاعَةٍ وَقَحْطٍ .

(١) سورة الإسراء الآية (٣٣) .

وَعَلَيْنا جَمِيعاً أَنْ نَعْرِفَ قَبْلَ أَنْ تُجْرَى الحُدُودُ ، ما الأَسْبابُ الدَّاعِيَةُ إِلَى الجَرِيمَةِ ؛ لِكَيْ نُعالِجَها قَبْلَ وُقُوعِها إِنْ أَمْكَنَ ، عِلاجاً جِذْرِيّاً تَرْبَوِيّاً بِكُلِّ الوَسائِلِ المُمْكِنَةِ وَإلا ( فَآخِرُ دَواءٍ هُوَ الكَيُّ ) كَما يُقالُ «وادْرَءُوا الحُدُودَ بِالشُّبُهاتِ » (1) .

لِلْحاكِمِ المُسْلِمِ أَنْ يُرْسِلَ عُيُونَهُ ( جَواسِيسَهُ ) تَتَعَقَّبُ المُجْرِمِينَ وَتَرْصُدُ حَرَكاتِهِمْ وَتَحَرُّكاتِهِمْ ؛ لِيَأْمَنَ النَّاسُ مِنْ شَرِّهِمْ ، وَتُقْتَلَ الجَرِيمَةُ فِي مَهْدِها قَبْلَ أَنْ تَسْتَفْحِلَ ، وَلَيْسَ لِغَيرِ الحاكِمِ أَنْ يُراقِبَ تَحَرُّكاتِ النَّاسِ وَيَطَّلِعَ عَلَى عَوْراتِهِمْ ما عَدا أَوْلِياءُ الأُمُورِ ، وَلِلْوَالِدِ أن يُراقِبَ أَوْلادَهُ لِيُصْلِحَهُمْ .

واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِراً لَكُمْ تَكْرِيماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَلِي ، والمَقَامِ الأَفْضَلِ : سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِي ، وعَنْ رَيْحَانَتَي نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّةِ ، أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ ، وأَبِي عَبْدِاللهِ الحُسَينِ وعَلَى أُمِّهِمَا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا ، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ المُخْتَارِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِي عَمَارَةَ الحَمْزَة ، وأَبِي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِيَّةِ العَشَرَةِ المُبَشَّرَةِ ، الَّذِينَ

---

(1) روى الترمذي في سننه: كتاب الحدود، باب (ما جاء في درء الحدِّ ) عن عائشة مرفوعاً:" ادرءوا الحدودَ عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلُّوا سبيله فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة" .

بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَـعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْــمَنِ وأَبِــي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَانَ الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَـصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّـانُ يَـا ذَا الجُـودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَـا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْـرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِيـرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُـؤْمِنِينَ والـمُــؤْمِنَاتِ ، والـمُـسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرِ بِـلاد الـمُسْلِمِينَ

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّـفْ بَـينَ قُلُوبنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَـعَ رِضَـاكَ يَـا أَرْحَـمَ الرَّاحِــمِينَ .اللَّهُـمَّ أعِـزَّ الإِسْـلامَ والـمُـسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ .

اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَونَاً ومُعِينَـاً لَـهُ ، واخْـذُلْ مَـنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ .

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثَاً مُغِيثَاً هَنِيئَـاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

عِبَـــادَ الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَزِدْكُمْ ، وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# والأَرْض وضعها للأنام

## الخطبة الأولى

الحَمْدُ لله الَّذِي أَسْبَغَ عَلَيْنا نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً ، وَمَكَّنَ لَنَا فِي الأَرْضِ كُلَّ التَّمْكِينِ ، وَمَلَّكَنا فِيهَا زِمَامَ التَّمْلِيكِ وَهُوَ سُبْحانَهُ ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [1] .

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ بِيَدِهِ مَقالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَمَصائِر الخَلْقِ كافَّةً ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [2] ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الأَمِينُ المُرْشِدُ العَظِيمُ إِلَى مَصالِحِ الدُّنْيا وَالدِّينِ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ المَبْعُوثِ بِالهُدَى وَالحِكْمَةِ ، وَخَيْرِ رَسُولٍ إِلَى خَيْرِ أُمَّةٍ ، صَلَّى الله عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ الأَئِمَّةِ ، وَأَصْحابِهِ أُولِي العَزِيمَةِ وَالهِمَّةِ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسانٍ فِي العَقائِدِ ، وَالأَقْوالِ وَالأَفْعالِ .

أَمَّا بَعْدُ : فأُوصِيكُمْ أَيُّها المُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالَى ، فاتَّقُوا الله فِيمَا اسْتَرْعاكُمْ وَما تَمْلِكُونَ ، وَاخْشَوهُ فِي كُلِّ تَصَرُّفاتِكُمْ وَما تَأْتُونَ وَما تَذَرُونَ ، فَسَتَقِفُونَ مَوْقِفاً صَعْبًا يَومَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونٌ .

عِبادَ الله : يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ جَلالُهُ مُخاطِباً جَمِيعَ عِبادِهِ المُؤْمِنِينِ ، وَمُمْتَنّاً عَلَيْهِمْ بِالخِلافَةِ وَالسِّيادَةِ فِي هَذِهِ الأَرْضِ الطَّيِّبَةِ الوَاسِعَةِ ، مُنْذُ الخَلِيفَةِ الأَوَّلِ أَبِي البَشَرِ آدَمَ عَلَيهِ السَّلامُ وَمَنْ بَعْدَهُ ، بَلْ إِلَى أَنْ يَرِثَ الله الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيها حَيثُ يَقُولُ ، وَهُوَ أَعَزُّ

---

(١) الملك (١٥) .

(٢) الأنعام: (١٠٢)

القَـائِلِينَ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ (١)

، وَقالَ عَزَّ منْ قَائِلٍ كَرِيمٍ : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (٢).

إِنَّ هَذِهِ الخِلافَةَ العُظْمَى ، وَتَعْمِيرَ الأَرْضِ أَمانَةٌ مَنُوطَةٌ بِنا نَحْنُ البَشَر كَلَّفَنـا الله بِهـا حَيثُ قالَ: ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . فَما مُهِمَّةُ الخِلافَةِ هَذِهِ وَما المَقْصُودُ مِنْها ، وَمـاذَا تَعْنِي فِي حَدِّ ذاتِها ؟ إِنَّها كَلِمَةٌ مَدْلُولُها وَاسِعٌ جِدّاً ، وَمُحْتَواها عَظِيمٌ ، وَبِاخْتِصارٍ : أَهَمُّهَـا تَثْبِيتُ قَواعِدِ الإِيْمانِ فِي رُبُوعِها ، وَتَوطِيدِ قَواعِدِ الشَّرِيعَةِ الإِلَهِيَّةِ ، هَـذِهِ الأَمانَـةُ الَّتِـي عَجَزَتْ عَنْ حَمْلِها السَّمَوَاتُ العُلَى ، وَالأَرْضُ بِجِبالِهَا وَسُـهُولِها وَحَمَلَهَـا الإِنْـسانُ ، إِنَّ هَذِهِ الأَمانَةَ الرُّوحِيَّةَ الرَّبَّانِيَّةَ ، أَوَّلُ ما يُرادُ بِهـا هُـوَ تَربِيَـةُ المُجْتَمَـعِ الإِسْـلامِيِّ عَـلَى الإِيْمانِ وَالْعَقِيدَةِ وَالْفَضِيلَةِ وَالأَخْلاقِ العالِيَةِ النَّبِيلَةِ ، ثُمَّ تَأْتِي مَعَ ذَلِكَ الأَمانَةُ العُمْرَانِيَّةُ المادِيَّةُ بِتَعْمِيرِ هَذِهِ الأَرْضِ وَبِتَطْوِيرِ وَسائِلِ الحَياةِ عُمْرانِيّاً إِقْتِصادِيّاً ، وَزِراعِيّاً ، وَعِلْمِيّـاً بِالطُّرُقِ المَشْرُوعَةِ ، وَتَخْتَلِفُ بِاخْتِلافِ الزَّمانِ وَالمَكانِ ، إِنَّها مَسْؤلِيةٌ جَماعِيَّةٌ وَفَرْدِيَّةٌ ، كُلٌّ فِي مَجَالِهِ وَحَسَبِ اسْتِطاعَتِهِ ؛ لأَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَقُومـاتِ الأُمَّـةِ العَزِيـزَةِ الكَرِيمَـةِ ، وَهَـذِهِ الصِّناعاتُ وَالحِرَفُ لَيَسَتْ عَمَلاً مُباحـاً فَحَـسْبُ ، بَـلْ هِـيَ كَـما قَـرَّرَ عُلَـماءُ الإِسْـلامِ الأَماجِدِ ، فُرُوضُ كِفايَةٍ فِي دِينِ الإِسْلامِ ، بِمَعْنَى أَنَّ الجَماعَةَ الإِسْلامِيَّةَ لا بُدَّ أَنْ يَتَـوافَرَ فِي أَهْلِها مِنْ كُلِّ ذِي عِلْمٍ وَحِرْفَةٍ وَصِناعَةٍ مَنْ يَكْفِي حاجَتَها وَيَقُومُ بِشَأْنِهَا ، فَإِذَا حَدَثَ نَقْصٌ فِي جانِبٍ مِنْ جَوانِبِ العِلْمِ أَوْ الصِّناعَةِ أَوِ الزِّراعَةِ لَمْ يُوْجَدْ مَنْ يَقُومُ بِـهِ ، أَثِمَـتْ الجَماعَةُ كُلُّها ، وَبِخاصَّةٍ أُولِي الأَمْرِ وَالشَّأْنِ ، وَأَهْلِ الحِلِّ والعَقْدِ ، وَعَـلَى هَـذِهِ القاعِـدَةِ يَكُونُ مِـنْ فَـرْضِ الكِفايَـةِ عَـلَى المُـسْلِمِينَ ، تَعَلُّـمُ عِلْـمِ الفَـرائِضِ ، وَقِـسْمَةِ الوَصَـايَا

(١)الأنعام:( ١٦٥ ) .

(٢) هود: ( ٦١ ) .

وَالمَوارِيثِ ، وَعِلْمِ الأَنْكِحَةِ وَما يَتَعَلَّقُ بِها ، وَعِلْـمِ الطِّـبِّ بِكُـلِّ تَخَصُّـصاتِهِ ، وَعِلْـمِ الزِّراعَةِ وَالرَّيِّ وَخِبْراتِهِ ، وَعِلْمِ هَنْدَسَةِ العُمْرانِ وَالطُّرُقاتِ وَالشَّوارِعِ ، وَالتَّصْرِيفِ الصِّحِّيِّ لِلْمِياهِ الفائِضَةِ وَالْفَضَلاتِ ، وَعِلْـمِ الاقْتِـصادِ وَالتِّجاراتِ ، وَالعُلُومِ السِّياسِيَّةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ ، كُلُّ هَذِهِ العُلُومِ وَأَمْثالِهَا فُرُوضُ كِفايَةٍ ، إِذا قامَ بِها البَعْضُ مِنَّا سَقَطَ الحَرَجُ عَنِ الباقِينَ ، وَإِلاَّ أَثِمْنَا كُلُّنا ، وَعَلَى الدَّولَـةِ وَالمَسْؤلِينَ المَعْنِيِّينَ ، التَّرْتِيبُ وَالتَّخْطِيط العِلْمِي المَدْرُوس ، وَالاسْتِعانَة بِذَوِي الخِبْرَةِ وَالحِنْكَةِ وَالدِّرايَةِ فِي هَذِهِ المَجالاتِ فَإِنَّهُ ما أَخَّرَنا فِي كُلِّ مَرافِقِ الحَياةِ ، إِلاَّ الارْتِجالُ وَالْعَشْوائِيَّةُ ، وَعَدَمُ وَضْعِ الرَّجُلِ المُناسِبِ فِي المَكانِ المُناسِبِ ، إِذَنْ فَلْنَدْرُسْ تارِيخَ أَجْدادِنا الماضِيِّينَ الَّذِينَ أَقامُوا الحَضارَةَ الإِسْلامِيَّةَ فِي كُلِّ المَجالاتِ العِلْمِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ يَتَحَدَّثُ عَنْها التَّارِيخُ وَيَشْهَدُ لَها وَلَنا الأَعْداءُ ، فَضْلاً عَنِ الأَصْدِقاءِ ، حَتَّى قالَ أَحَدُ عُلَماءِ أورُبّا قَولَتَهُ المَشْهُورَةَ مُعْتَرِفاً بِقَولِهِ : ( لَو لَمْ تَقُمْ الحَضارَةُ الإِسْلامِيَّةُ العَرَبِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ ، لَظَلَّتْ القارَةُ الأَوْرُبِيَّةُ تَسْبَحُ إِلَى اليَومِ مَعَ شُعُوبِها المُخْتَلِفِي النَّحْلِ وَالنَّزاعاتِ ، فِي حَلَكٍ مِنْ ظُلْمَةِ الجَهْلِ وَالْبَداوَةِ ، وَلَمَا ظَهَرَ لِلْمَدَنِيَّةِ الأُورُبِيَّةِ الحالِيَّةِ مِنْ أَثَرٍ فِي الوُجُودِ ) ، وَالحَقُّ ما شَهِدَتْ بِهِ الأَعْداءُ ، وَنَبَغَ المُسْلِمُونَ فِي مُخْتَلَفِ العُلُومِ ، كالطِّبِّ وَالْكِيمِياءِ وَالْفِيزِياء ، وَالرِّياضِيَّاتِ ، وَالْفَلَكِ ، وَعِلْمِ الاجْتِماعِ ، فَضْلاً عَنِ العُلُومِ الدِّينِيَّةِ ، مِنْ عُلُومِ العَقائِدِ وَالتَّوحِيدِ ، وَالفِقْهِ وَالتَّشْرِيعِ وَالأُصُولِ ، وَعُلُومِ السُّنَّةِ ، وَاللُّغَةِ وَغَيرِها.

إِنَّنَا نَحْنُ المُسْلِمِينَ الْيَومَ أَصْبَحْنَا وَقَدْ هُنَّا عَلَى أَعْدائِنا حَتَّى هُنَّا عَلَى أَنْفُسِنا ، وَأَصْبَحْنا كَطِفْلٍ بِيَدِهِ لُؤْلُؤَةٌ قَيِّمَةٌ غالِيَةٌ ، فَأَتَى إِلَيهِ مَنْ يَعْرِفُ قَدْرَهَا فانْتَزَعَهَا مِنْهُ ، وَسَلَّمَه لُعْبَةً بَسِيطَةً ، فاعْتَقَدَ الطِّفْلُ السَّاذِجُ المِسْكِينُ أَنَّهُ هُوَ الرَّابِحُ وَالْفائِزُ .

غَزَانَا الأَعْداءُ بِأَسْلِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ وَبِخاصَّةٍ سِلاحُ الغَزْوِ الثَّقافِي ، وَبَثُّوا فِي نُفُوسِنَا سُمُوماً شَوَّهَتْ تارِيخَنَا المَجِيدَ ، وَأَوْهَمُوا شَبابَنَا وَمُثَقَّفِينَا بِأَنَّ الحَضارَةَ الإِسْلامِيَّةَ لَمْ تَعُدْ إِلاَّ حَضارَةً رُوحِيَّةً خالِصَةً لا تَمُتّ إِلَى الحَضارَةِ المادِيَّةِ بِصِلَةٍ ؛ لِذا صِرْنَا تُجاهَ الحَضارَةِ الحَدِيثَةِ نَجْلِسُ أَمامَ الأُورُبِيِّينَ صاغِرِينَ كالتِّلْمِيذِ أَمامَ أُسْتاذِهِ وَمُعَلِّمِهِ :

يَقُولُونَ فِي الإِسْلامِ ظُلْماً بِأَنَّهُ ... يَصُدّ ذَوِيهِ عَنْ طَرِيقِ التَّقَدُّمِ
فَإِنْ كانَ ذا حَقّاً فَكَيفَ تَقَدَّمَتْ ... أَوائِلُهُ فِي عَهْدِها المُتَقَدِّمِ
وَإِنْ كانَ ذَنْبُ المُسْلِمِ اليَومَ جَهْلَهُ ... فَماذا عَلَى الإِسْلامِ مِنْ جَهْلِ مُسْلِمِ
هَلِ العِلْمُ فِي الإِسْلامِ إِلاَّ فَرِيضَةٌ ... وَهَلْ أُمَّةٌ سادَتْ بِغَيرِ التَّعَلُّمِ[1]

وَبَعْدَ هَذِهِ اللَّمْحَةِ المُقْتَضَبَةِ عَمَّا وَصَلْنا إِلَيهِ مِنْ تَخَلُّفٍ ، وبِالأَخَصِّ فِي مَنْطِقَتِنَا هَذِهِ الوَاسِعَةِ مِنَ اليَمَنِ ، وَكَما هُوَ مَعْلُومٌ لِلْجَمِيعِ أَنَّنا نَقِفُ عَلَى عَهْدِ نَهْضَةٍ شامِلَةٍ وَاتِّجاهٍ لِلاسْتِثْمارِ وَالتَّعْمِيرِ ، أَيّاً كانَ ، سَواءً كانَتْ مِنَ القِطاعِ الخاصِّ أَو القِطاعِ العامِّ لِلدَّولَةِ ، كُلُّ ذَلِكَ يُبَشِّرُ وَيُرَحَّبُ بِهِ ، عَلَى شَرْطِ أَنْ يَكُونَ التَّوزِيعُ عادِلاً ، وَالأَوْلَوِيّاتُ للأَصْلَحِ المُفِيدِ ، إِنَّ التَّعْمِيرَ البُنْيانِيَّ الإِنْشائِيَّ ، وَإِقامَةَ الدُّورِ وَالعَمائِرِ خُطْوَةٌ مُبارَكَةٌ إِذا خَلُصَتْ النَّوايا وَإِقامَةُ المَشارِيعِ الطبيةِ نَحْنُ إِلَيها بِحاجَةٍ ماسَّةٍ ؛ لِنَواقِصِنا الطِّبِّيَّةِ العامَّةِ وَبِحاجَتِنا إِلَى الإِخْصائِيينَ فِي كُلِّ الفُرُوعِ الطِّبِّيَّةِ ، نُشَجِّعُها وَتَتَمَنَّى لَها النَّجاحَ إِنْ شاءَ الله ، وَهُناكَ اسْتِثْماراتٌ أُخْرَى لا نَسْبِقُ الزَّمَنَ فِي الحُكْمِ عَلَيها :

وَكَمْ هُوَ مَعْلُومٌ أَنَّنا ... نَعِيشُ بَينَ العَلْمَنَةِ وَالعَولَمَة
وَهُما نَصِيبَانِا ... اسْتَعْمَرانا امْتَحِنَا بِهِمَا

---

(١) هذه الأبيات من البحر الطويل للشاعر معروف الرصافي .

غَيرَ أَنَّهُ مِنَ الأَهَمِّ قَبْلَ المُهِمِّ وَنَحْـنُ عَـلَى أَعْتـابِ تَطَـوُّرٍ شـامِلٍ : أَنْ نَهْمِـسَ فِي آذانِ هَؤُلاءِ الأَخوةِ المَسْئُولِينَ فِي الدَّولَةِ وَالحُكُومَـةِ مِمَّـنْ لَهُـمْ الأَمْـرُ وَالـشَّأْنُ عَـلَى أَنْ يَكُـونَ التَّوزِيعُ عادِلاً وَمُنْصِفاً ، مُبْتَدِئِينَ بِالأَهَمِّ قَبْلَ المُهِمِّ ، إِذا حَظِـيَ قِطـاعُ البُنْيـانِ وَالتَّعْمِـيرِ وَالتِّجارَةِ العَشْوائِيَّةِ المِزاجِيَّةِ بِنَـصِيبِ الأَسَـدِ مِـنْ رُؤُوسِ الأَمْـوالِ الخاصَّـةِ وَالعَامَّـةِ ، فذَلِكَ إِجْحافٌ وَظُلْمٌ فِي حَقِّ القِطاعِ الذي هُوَ مَصْدَرُ حَياتِنـا وَرِزْقِنـا فِي هَـذِهِ الأَرْضِ المُبارَكَةِ ، أَلا وَهُوَ قِطاعُ الحَرْثِ وَالزِّراعَةِ وَالرَّيِّ الَّذِي أُهْمِلَ مُنْذُ زَمَنٍ ، وَهُوَ أَهَمُّ فَرْضِ كِفايَةٍ أُهْمِلَ وَتَلاشَى أَوْ كـادَ ، إِنَّ كَثِـيراً مِـنْ مَناطِقِنَـا الزِّراعِيَّـةِ ، وَحَدائِق نَخِيلِنـا وَغاباتِهِ ، أَصْبَحَتْ اليَومَ مَساكِنَ شَعْبِيَّةً ، وَكَثِيرٌ مِنْ مَزارِعِنا الْيَـومَ تُهجَـرُ وَتُجَفَّـفُ مِـنَ الزِّراعَةِ ، وَتَصُولُ الفُؤوسُ فِي جُذُوعِهَا صَوْلَةً لا تَعْرِفُ الرَّحْمَةَ ، بَلْ وَالْهَراوَة بِالآلِيَّـاتِ وَالدَّاكْتَراتِ وَالجَرارَاتِ ، لِتُعِدَّها مَساكِنَ ، إِنَّنـا كَـما تَقَـدَّمَ لَـسْنا مِمَّـنْ يُعـارِضُ التَّطَـوُّرَ وَالتَّقَدُّمَ وَالتَّعْمِيرَ أَيًّا كانَ نَوعُهُ وَلَكِنْ لا نُرِيـدُ أَنْ يَكُـونَ عَـلَى حِـسابِ مَـصْدَرِ الـرِّزْقِ وَالْغِـذاءِ وَالـدَّواءِ ، وَاللِّبـاسِ : الزِّراعَـةِ ،﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾[1] ،اقرؤوا القُرْآنَ وَافْهَمُوا مَضْمُونَ ما اشْتَمَلَتْ عَلَيهِ آياتُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ سُورَهِ مُـشِيرَةً إِلَى أَنَّ إِحْياءَ الأَرْضِ بَعْدَ مَوتِها حَقِيقَةً إِنَّما هِيَ الزِّراعَةُ ، فَلا حَياةَ مُسْتَقِرَّةً مُطْمَئِنَّةً إِلاَّ بِإِنْعاشِهَا ، وَنَحْنُ نَعِيشُ التَّوَجُّهَ إِلَى إِنْعاشِ حَدائِقَ النَّخِيلِ وَالسِّدْرِ فِي وادِينَا المُبارَكِ فِي المَهْرَجان ، فاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ قَولَهُ تَعالَى : ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾[2] ، فالأَرْضُ بَسَطَها لأَجْلِنَا وَلِنَسْتَقِرَّ عَلَيها ، وَأَرْسـاها بِالجِبـالِ الشَّامِخاتِ ، وَزَوَّدَنَا فِيهَا مِنْ أَنْواعِ الفَواكِهِ المُخْتَلِفَةِ الأَلْوانِ وَالطُّعُومِ وَالرَّوائِحِ الطَّيِّبَـةِ ،

---

(١) البقرة: ( ٦١) .

(٢) الرحمن : ١٠( – ١٢) .

وَأَفْرَدَ النَّخْلَ بِالذِّكْرِ هُنا لِشَرَفِهِ وَنَفْعِهِ رَطْباً وَيابِساً ، وَأَنْواعِ الحَبِّ مِنَ الحِنْطَةِ وَالْقَمْحِ وَالذُّرَةِ وَسائِرِ ما يُتَغَذَّى بِهِ ، والَّذِي هُوَ عَلَفُ حَيَواناتِنَا ، وَأَنْعَمَ فِيهَا بِكُلِّ مَشْمُومٍ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ مِنَ النَّباتِ كالوَرْدِ وَالفُلِّ وَالياسْمِينَ ، فِي قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1] ، وَقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[2] ، ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾[3] .

أَيُّها الإِخْوَةُ الأَعِزَّاءُ : لَقَدْ كُنَّا نَشْكُو الجَفافَ وَقِلَّةَ الأَمْطارِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ فَتَكَرَّمَ اللهُ عَلَينَا بِرَحْمَتِهِ الواسِعَةِ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ القَرِيبَةِ الماضِيَةِ ، فَإِنَّها قَد انهالَت الأَمْطارُ الغَزِيرَةُ كَأَفْواهِ القُرَبِ ، وَسالَتْ عَلَى أَثَرِها الوِدْيانُ ، وَالشِّعابُ ، فَيا هَلْ تَرَى ، هَلْ نَسْتَفِيدُ مِنْ هَذِهِ الأَمْطارِ ؟ وَهَلْ كُنَّا عَلَى اسْتِعْدادٍ لِاسْتِقْبالِ رَحْمَةِ اللهِ بِما تَسْتَحِقُّ ، أَمْ أَنَّها تَذْهَبُ أَدْراجَ الرِّياحِ كَسابِقَتِهَا مِنَ السُّيُولِ ، هَلْ نَظَمْنا قَنَواتِ المِياهِ وَسَواقِيهَا وَمَساقِيهَا ؟ هَلْ أَقَمْنَا السُّدُودَ لِتَنْظِيمِ الرَّيِّ ؟ ، إِنَّنا مَعَ الأَسَفِ لَمْ نَسْتَفِد الفائِدَةَ المَرْجُوَّةَ فَما نُشاهِدُهُ مِنْ تِلْكَ المِياهِ الغَزِيرَةِ ؛ لأَنَّا لَمْ نُعْطِهَا حَقَّهَا وَلَمْ نَضَعْهَا فِي مَواضِعِهَا المُناسَبَةِ .

اللَّهُمَّ الطُفْ بِنا فِي قَضائِكَ وَعافِنَا مِنْ بَلائِكَ يا رَبَّ العالَمِينَ .

---

(١) يس : ( ٣٣ – ٣٥ ) .

(٢) الأنعام : ( ٩٩ ) .

(٣) عبس : ( ٢٤ – ٣٢ ) .

إِنَّ أَحْسَنَ الكَلامِ لَفْظاً وَوَقْعاً ، وَأَحْلَى البَيانِ سَمْعاً وَنَفْعاً ، كَلامُ مَنْ عَنَـتِ الوُجُـوهُ لَهُ كَرْهاً وَطَوعاً .

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِـهِ يَهْتَـدِي المُهْتَـدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] وَقـالَ عَـزَّ مِـنْ قَائِـلٍ كَـرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[2].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ : بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾[3] .

وقـال تعـالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[4] .

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم .

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩٨).

(٣) الجاثية: ( ١ – ٥ ) .

(٤) الحجر: ( ٢٠ – ٢٢ ) .

# الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ ، ولَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَهُ الأَصْوَاتُ ، وَكَلَّتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَهُ الأَحْلَامُ ، وانْحَسَرَتْ دُونَهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، ولَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلَّ مَن جَحَدَ به وكَفَرَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ الْمُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ .

أَمَّا بَعْدُ: فيا عِبَادَ الله : أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى ، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ .

عِبَادَ الله : عَجِيبٌ أَمرُنا ، نُرِيدُ الرِّزْقَ وَلَكِنْ لا نَبْحَثُ عَنهُ فِي خَبايَا الأَرْضِ ، وَهَبَنا الله جَلَّ جَلالُهُ الأَرْضَ الطَّيِّبَةَ الخَصْبَةَ ، وَالمِيَاهَ الغَزِيرَةَ العَذْبَة ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [1] ، وَلَكِنَّا حُرِمْنا بِسَبَبِ تَقْصِيرِنا الهِمَّةَ وَالْعَزِيمَةَ فِي الزِّراعَةِ المُفِيدَةِ المُنْتِجَةِ بِالطُّرُقِ العِلْمِيَّةِ ، وَاعْتَمَدْنا عَلَى غَيرِنا وَاتَّكَلْنا عَلَى الاسْتِيرادِ مِنَ الخارِجِ نُحِبُّ ما هُوَ جاهِزٌ وَهَذِهِ طَبِيعَتُنا ، حُبُوبُنَا مُسْتَورَدَةٌ ، لُحُومُنا وَأَدْوِيَتُنَا وَآلْياتُنَا مِنْ بُلْدانٍ أَجْنَبِيَّةٍ ، لُحُومُنا مِنْ أَفْرِيقِيه مِنَ

(١) سبأ: ( ١٥ )

الصُومالِ وَالْحَبَشَةِ ، أَلْبانُنَا وَمَذَابِحُنَا كُلُّهَا أَوْ بَعْضُهَا مِنْ هُولَنْدَا وَأسْتَرَاليا وَغَيرِهَا ، صِرْنَا عالةً عَلَى الآخَرِينَ ، تُؤَثِّرُ فِينَا أَمْراضُهُمْ ، كُلَّ يَومٍ نَسْمَعُ عَنْ أَمْراضِ جُنُونِ البقرِ في أُورُبَا ، وَالحُمَّى الصُّداعِيَّةِ وَغَيرِهَا مِنَ الأوبئة ، فالأُمَّةُ الَّتِي لا تَلْبَسُ مِمَّا تَصْنَعُ ، وَلا تَأْكُلُ مِمَّا تُزْرَعُ أُمَّةٌ تَعِيسَةٌ ، وَحياتُهَا ذَلِيلَةٌ ، وَلا تَصْنَعُ قَراراً ، وَلا تَحْمِي دِياراً .

وَإِنَّهَا لنَهْضَةٌ مُبارَكَةٌ أَنْ تَتَّجِه حُكُومَتُنَا الْيَومَ بِالْحَمَلَةِ الأُولَى لِلْغِذاءِ الزِّراعِيِّ فِي بِلادِنَا ، وَهِيَ خَطْوَةٌ جادَّةٌ مُبارَكَةٌ ، وهي فِي الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ طَالَمَا تَمَنَيْناهَا ، كَذا وَجَبَ عَلَى الجَمِيعِ التَّعاوُنُ فِي إِنْجاحِ هَذَا المَشْرُوعِ الْحَيَوِيِّ ، يَقُولُ الله تَبارَكَ وَتَعَالَى فِي آخِرِ الآيَةِ السَّابِقَةِ الآنِفَةِ الذِّكْرِ ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾[1] ، فاللهُ تعالَى يَهَبُ لِعِبادِهِ ما تُنْتِجُهُ الأَرْضُ مِنْ رِزْقٍ وَمَحاصِيلَ ، إِذْ جَعَلَ فِيهَا الحَدائِقَ الغَنَّاء، وَالْبَساتِينَ الفَيْحاءَ ، مِنَ النَّخِيلِ وَالأَعْنابِ وَالْحُبُوبِ وَالثِّمارِ الْمُخْتَلِفَةِ وَلَكِنَّهُ يَرْبِطُ ذَلِكَ بِعَمَلِنَا نَحْنُ فَيَقُولُ ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ فَخَيراتُ الأَرْضِ لا تَأْتِي بِالْهُوَينى وَالتَّمَنِّي .

وَاليَومَ وَقَدْ أُقِيمَتْ مَهْرَجاناتٌ وَنَشاطاتٌ لِشَجَرَتَي النَّخِيلِ وَالسِّدْرِ فِي بِلادِنا وَوادِينَا بِالذَّاتِ ، وَكَمْ كُنَّا نَرْجُو ذَلِكَ سابِقاً وَنَرْجُو الله أَنْ يُحَقِّقَ ذَلِكَ ، وَمَا أَحْسَنَ ما قِيلَ عَلَى لِسانِ حالِ النَّخْلَةِ المَظْلُومَةِ فِي بِلادِنَا[2]:

| | |
|---|---|
| أَنَا فِي القَيظِ لَكُمْ ظِلٌّ ظَلِيلْ | كَمْ مقيلٍ فِي ظِلالِي كَمْ نَزِيلْ |
| أَنَا فِي الوادِي جَمالٌ باهِرٌ | حِيْنَمَا أَشْمَخُ فِي الرَّوضِ الخَضيلْ |
| لِيَ قَدٌّ مُسْتَقِيمٌ حَسَنٌ | بارِعُ القامَةِ عِمْلاقٌ طَويلْ |
| ينعِتُونِي أَنَّنِي عَمَّتُهُمْ | فَلِذا جُدْتُ بَخِيلٍ لا بَخِيلْ |

(١) يس: ( ٣٥)

(٢) هذه الأبيات لصاحب هذه الخطب الحبيب الشاعر الأديب العلامة حسين بن عيدروس عيديد حفظه الله تعالى .

كُنْــــتُ فِي المــــاضِي مَــــعَ آبـــائِكُمْ نعْمُــرُ الأَحْقــافَ جَــيْلاً بَعْــدَ جَيْــلْ

مَحَـضُونِي الحَـبَ مِــنْ عَهْــدِ الـصِّبَا وَأَنــــا أَرْبَــــضُ فِي المَهْـــدِ نقِيَــــلْ

ثَمَــــرِي حُلْــــوٌ غِــــذاءٌ نــــافِعٌ لَـــيسَ فِي الأَثْـــمارِ شَـــبَهٌ وَمَثِيــــلْ

رُطَبِـــــي فاكِهَــــــةٌ مُمْتــــــازَةٌ وَطَعــــامٌ جــــاهِزٌ يُقَــــرِّى النَّزِيــــلْ

باسَــــقُ النَّخْــلِ أتــتْ أَوْصــافُنَا فِي كِتــابِ الله ذُو العَــرشِ الجَلِيــــلْ

وَهَـــضِيمٌ طَلَعُنَـــا يـــا هَـــؤِلا كُلُّــــــهُ طِــــــبٌ دَواءٌ لِلْعَلِيــــــلْ

وَادِيَ الأَحْقــاف يَــا أَهْــلَ النَّهَــى مَــوطِنُ التَّمْــرِ وَمَثْــوَىً للنَّخِيــلْ

وَبِــــهِ طِبْـــتُ مَقامَــــا هانِئــــاً بَــينَ أَهْــلِي فِي المَــسِيلَةْ وَالْــسلِيلْ

إِنَّنِــــي الْيَـــومَ أُنــــادِيكُمْ وَقَــد بَلَـــغَ الـــسَّيلُ الزُّبَـــى إِلاَّ قَلِيــــلْ

شَــمَّرُوا عَــنْ ســاعِدِ الجِـدِ فَـمَا خــابَ شَــعْبٌ جَــدَّ فِي هَــذا الــسَّبِيلْ

فَــامْلَئُوا الــوادِي غِراســاً زَاهِيــاً كَــي نُعِيــدُ ذلَــكَ المَجْــدَ الأَثِيــلْ

وَابْــشِرُوا يَاأَيُّهــا النَّــاسُ ابْــشِرُوا وَعَــلَى البَــشْرى مَعِــي أَلْــفُ دَلِيــلْ

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِراً وآمِـراً لَكُـمْ تَكْـرِيماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمـدٍ نَبِـيِّ الرَّحْــمَةِ ، وعَـلَى آلِــهِ وصَـحْبِهِ ومَـنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِي ، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ : سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِــي بَكْـرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَـــلِي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيـهِ وسَـلَّمَ سَـيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِي مُحَمَّـدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِــي عَبْـدِالله الـحُسَينِ وعَـلَى أُمِّهِمَــا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا

، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَة ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقـيَّةِ العَـشَرَةِ الـمُبَـشَّرَةِ ، الَّـذِينَ بَايَعُوا نَبِيّـكَ تَحْتَ الـشَّجَرَةِ ، طَلْحَـةَ والزُّبَيــرِ ، وسَـعْدٍ وسَـعِيدٍ ، وعَبْدِالرَّحْـــمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَان الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَـنْ هُـوَ نَـصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَـصِيرُنَا ، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفزَعُنَا ؛ اكْشفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّـانُ يَـا ذَا الجُـودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَـا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْـرَانِ ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُـؤْمِنِينَ والـمُــؤْمِنَاتِ ، والـمُـسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَـاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِي الحَاجَـاتِ وغَـافِرِ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ .

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَا خَاصَّـةً وسَائِرِ بِـلادِ الـمُسْلِمِينَ

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّـفْ بَـينَ قُلُوبنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا ، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا ، وَوَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَـعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسْلامَ والمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عونَاً ومُعِينَاً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَوِّكَ أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثَاً مُغِيثَاً هَنِيئَاً مَرِيئَاً ، سَحَّاً عَامَّاً دَائِمَاً مُبَارَكَاً فِيهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

عِبَادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ ؛ يَزِدْكُمْ ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

# الانتفاع بالوقت والاتعاظ بالزمن

## الخطبة الأولى

الحمدُ لله الذَّي جَعَل اللَّيلَ والنَّهارَ خِلْفَةً لمن أَرَادَ أَنْ يتذكَّر أو أرادَ شُكُوراً ، وَنَسأَلُهُ تعالى أَنْ يُبَارِكَ لَنَا في أَيَّامِ حَيَاتِنَا ويهبُنا فيهَا من الـصَّالِحَاتِ حَظَّـاً مَوفُـوراً ، وأَشْهدُ ألاَّ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ أَرْسَلَ رَسُولَهُ محمداً صلى الله عليـه وآلـه وسلم إلى العَالمين بشيراً ونذيراً ، وأشـهدُ أنَّ سَـيِّدَنَا مُحمـداً عَبـدُهُ وَرَسُـولُهُ فكَـانَ دَاعِياً إلى الله بإذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ، اللهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدَنَا مُحمدٍ وَعَـلى آلـهِ وَصَـحبهِ وسَلِّمْ تَسلِيماً كَثِيراً .

أَمَّا بَعدُ : أُوصِيكُم أَيها المُسلِمُونَ ونَفسيَ بِتَقوىَ الله تَعَالى فَإنَّهـا الحَبـلُ المَتِـينُ الَّذي لاَ تَنْفَصِمُ عُرَاهُ ، وَالمَعقِلُ الحَصِينُ الَّذِي لاَ يُضَامُ مَـنْ آوَاهُ ، والـدَّلِيلُ الهَـادِي لِمَنِ اسْتَهْدَى بِهُدَاهُ .

عِبادَ الله : يَقُول الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَهو أَصْدَقُ القَائِلِين :﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾[1]

أَجَل أَيُّها المُسْلِمُونَ : فِي هَذِهِ الآيةِ الكريمةِ يُوجِّهُ اللهُ جَلَّ جَلاَلُهُ إِلَينا رِسَالَةً كَرِيْمَةً رَحِيمَةً غَايةً في الكَرَامَةِ والرَّحْمَةِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ ومضمُونُ هَذِهِ الرِّسَالةِ يُصَوِّرُ إِشْفَاقِ العِنَايَةِ الإلهيَّةِ عَلى عِبَادِ الرَّحمَنِ وَحِرصَهَا عَلى أَنْ يَبْلُغُوا بِعَمَلِهِم

(١) سورة إبراهيم ٣١.

أَقصَى دَرَجَاتِ الرِّضَا ، وَأَنْ يَبذُلُوا الجُهدَ لِيُحَاوِلُوا الاستِفَادَةَ مِنْ كِلِّ ذَرَّةٍ مِن أَعمَارِهِم المَحدُودَةِ القَصيرَةِ مَهمَا طَالَت فِي نَظَرِهِم فِي كَسْبِ رِضْوانِ الله وَمَغفِرَتِهِ بإِقَامِ الصَّلاةِ وبالإنفاقِ السَّخيِّ سِرَّاً وَعَلانيَّةً وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى ذَلكَ بِمَا أُوتُوا مِنْ حُبٍّ للخَيرِ وَإِيمانٍ بالله وَإحْسَاسٍ بِقِيمَةِ الوقتِ الغَاليْ مِنْ أَعمَارِهِم يَقْطَعُونَهُ وَهو يَقْطَعُهُم. فَهُم إذاً حَرِيْصُونَ كُلَّ الحِرْصِ عَلَى طَاعَةِ الله فِي هَذِهِ الفُرصَةِ المُتَاحَةِ لَهم مِنَ الزَّمَنِ ، قَبلَ أَنْ تَفْلُتَ مِن بَينِ أَصَابِعِهِمْ حِيَن تَنتَهِي أَعمَارُهُمْ ويَذْهَب مَعَهَا خِيَارُهُم وَيُوَاجَهَ كُلّ امْرِئٍ بِحَصِيلةِ عَمَلِهِ إِنْ خَيْرَاً فَخَيرٌ وَإِنْ شَراً فشرٌ : ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[1].

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ – وَنَحْنُ نُودعُ عَامَاً يَكَادُ يَنْسَلِخُ نَقُولُ – : كُلُّ مَفْقُودٍ يمكنُ أَنْ نَسْتَرجِعَهُ إلاَّ الوَقتُ فَهو إِنْ ضَاعَ لَمْ يَعُد فِي اسْتِرجَاعِهِ أَمَلٌ ، وَلاَ فِي إِعادَتِهِ وَلَو ثَانِيةً رَجاءٌ ، وَلِذَلِكَ كَانَ الوَقتُ أَنْفَسَ مَا نملِك نَحنُ بَنِي الإِنسَانِ ، وَلَو أَلقَى أَحَدُنَا نَظْرَةً وَرَاءَهُ وَمَا مَرَّ مِنْ حَيَاتِهِ مُنْذُ اللَّحظَةِ الأُولَى التي بَدَأ مِنْهَا السَّيْرَ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ لِيَسْتَعْرِضَ أَيَّامَهُ وَأَعْوَامَهُ المَاضِيَةَ ، فإِنَهُ لاَ يَرَى إلاَّ بِدَايةً غَامِضَةً ، ثُمَّ تَتَجمَّعُ السُّنُون الطِّوَالُ ، وَاللَّيَالِي العِرَاضُ ، فَإِذا بِهَا وَكَأَنَّهَا يومٌ وَاحِدٌ قَصِيرٌ فَلاَ طُولَ وَلاَ عُرضَ ، وَمَا يَستَشْعُرهُ الإنسَانُ في الحَيَاةِ الدُّنيا هُوَ مَا يَستشعرُهُ يومَ القِيَامَةِ عِنْدمَا يُوقَفُ لِلحِسَابِ : ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡ ﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرًا ۝١٠٣ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ

(١) سورة الزلزلة ٧–٨.

(٢) سورة يونس ٤٥.

يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [2].

وَهَكَذَا تَمُرُّ عَلَيْنَا الأَيَّامُ والشُّهُورُ، وَتَكِرُّ عَلَينَا الأَعْوَامُ وَالدُّهُورُ، فَنَغْدُو وَنَرُوحُ، وَنَتعَبُ ونَستريحُ، وَنَنَامُ وَنَسْتَيْقِظُ، وَنَمْرَضُ وَنُشْفَى، وَنُصْبِحُ وَنُمْسِي، وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ وَنحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَنْ يَوْمِنَا وَغَدِنَا، وَنَظَلُّ نَعْبَثُ وَنَسترسِلُ فِي عَيْشِنَا وَكَأَنَّما نَحْنُ نِيَامٌ حَتَّى إِذَا اسْتَرَخَتْ أَجفَانُنَا عَلَى أَعْيُنِنَا وَدَخَل ظَلامُ المَوتِ تَيقَّظنَا مَذعُورِيْن وَالناسُ نِيامٌ فَإذا مَاتُوا انْتبَهُوا، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَقَدْ صَحَونَا بَعدَ فَواتِ الأَوَانِ.

يسر المَرءَ ما ذهبَ الليالي وكان ذهابهن له ذهابا

إِنَّ شَأنَ النَّاسِ مَعَ الدُّنيَا غَرِيبٌ يَلْهُونَ وَالقَدَرُ يَرْقُبهُم، يَمْزَحُونَ وَالقَدَرُ جَادٌّ يَنْسُونَ وَالُمحَاسِبُ لاَ يَنْسَى وَلَو ذَرَّة مِن أَعمَالِهِم فَهي مَحْسُوبَةٌ وَمَكتوبةٌ ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ [3].

إِنَّ المُسْلِمَ الحقَّ يُغَالِي بِالوَقتِ مُغَالاَةً شَدِيْدَةً لأَنَّهُ يَعرفُ حَقَّ المَعْرِفَةِ إِنَّ الوقتَ عُمرُهُ فَإِذا سَمَحَ بِضَيَاعِهِ وَتَرَكَهُ للنُّزَهَاتِ، وَأَمضَاهُ فِي البَطَالاَتِ، عَرَفَ حِينهَا أَنَّ عُمْرَهُ ضَاعَ وَخَسِرَ الدُّنيَا وَالآخِرَة وَلَقَدْ أَجَادَ مَنْ قَال:

فَيَا ضَيْعَةُ الأَعمار تَمْضِي سَبَهْلَلاً ودرَّتها تَغلوا عَلَى أَلفِ دُرَّةِ

---

(١) سورة طه ١٠٣-١٠٤.

(٢) سورة النازعات ٤٦.

(٣) سورة المجادلة ٦.

فَمَنْ اشَغلَ الأيامَ بالخيرِ أَثْمرتْ بخـيرٍ وإلاَّ أَشْـغَلَتْه بِحَـسْـرَةِ

إِنَّ الإنسانَ يَسِيرُ سَيراً حَثِيثاً إلى الله ، وَكلُّ دَوْرَةٍ لِلفُلَكِ تُسْفِرُ عَن صَباحٍ جَدِيدٍ لَيسَتْ إلاَّ مَرْحَلة مِن مَراحلِ الطَّرِيقِ الذي لاَ تَوقُّفَ فِيهِ أَبداً ، بَلْ تُقَرِّبُهُ مِن الآخِرةِ وَتُبعدُهُ عَنِ الدُّنيَا ، وَمِنَ الغَبَاءِ أَن يَظُنَّ المرُء نَفْسَهُ وَاقِفاً وَالزَّمَنُ يَسِيرُ إِنَّه خِدَاعُ النَّظَرِ كَمَا يُقَالُ حِين يُخَيَّلُ لِرَاكِبِ السَّيَّارَةِ السَّرِيعَةِ أَنَّ الأشيَاء حَولَه تَجْرِي وَهوَ وَاقِفٌ .

والإسلامُ دِينٌ يَعْرفُ قِيمةَ الوقتِ ، وَيُقَدِّر خُطُورَةَ الزَمَنِ ، ويُؤكدُ الحِكمَةُ العَالية الغَالية (( الوقتُ كالسَّيفِ إنْ لَمْ تَقْطَعْهُ قَطَعَكَ )) وَيجعَلُ مِن دَلاَئلِ الإيمان وَأَمَاراتِ التُّقَى أَنْ يِعِي المُسلِمُ هَذِهِ الحَقِيقة ، وَيَسيرَ عَلَى مِنْواِلهَا وَهدَاهَا ﴿ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ۝٦ ﴾[1]، وَيَعتبر الإسلام النَّاس الذَّاهِلينَ عَن غَدِهِم الغَارِقِينَ فِي حَاضِرِهم المَسْحُورِينَ بِبَرِيقِ الدَّارِ العَاجِلَةِ وَزَخَارِفَهَا الزَّائِفَةِ يَعْتَبرُهُم قَوماً خَاسِرِيْنَ كُلَّ الخُسْرَانِ سُفَهَآء كُلُّ السَّفَاهَةِ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨ ﴾[2].

وَقَد وَزَّعَ الإسلاَمُ عِبادَاتِهِ الكُبرَى عَلَى أَجزاءِ اليَومِ وَفُصُولِ العَامِ ، فَالصَّلَواتُ الخَمسُ مُوزَّعةٌ فِي اليَومِ بِنِظَامٍ مُحْكَمٍ دَقيقٍ مِنْ مَطْلَعِ الفَجرِ إلى مَغِيْبِ

(١) سورة يونس ٦.

(٢) سورة يونس ٧-٨.

الشَّفَقِ ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[1].

فَاللَّيلُ يَخْلفُ النَّهارَ ، والنَّهارُ يَخْلفُ اللَّيلَ ، وَالأفلاكُ الدَائِرَةُ السَّائِرَةُ في دَوَرَانٍ مُنتَظِمٍ وَسَيْرٍ مُرَتَّبٍ بِحِسَابٍ ، وَربُّ العَالَمِين لَم يَخْلُقْ ذَلِكَ عَبَثاً ؛ وَقَبِيحٌ بِالنَّاسِ أَنْ يَظُنُّوا أَنَّ مَحيَاهُم في هَذا الوُجُودِ العَجيبِ الرَّتِيْبِ سُدىً ، أَنَّ عُمركَ أَيُّها الإنسَانُ هُو رَأسُ مَالِكَ الضَّخِم ، وَلَسَوفَ تُسْأَلُ عَن إنفَاقِهِ وَتَصَرُّفِكَ فِيهِ ، قَال رَسُولُ الله ﷺ : (( لاَ تَزُولُ قَدمَا عَبدٍ يومَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسأَلَ عَن أَربعٍ :عَن عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ؟ وَعَن شَبَابِهِ فَيمَ أَبلاَهُ ؟وَعَن مَالِهِ مِن أَينَ اكتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنفَقَهُ ؟ وَعَن عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيه ؟ ))

إنَّمَا رَأسُ مَالِكَ العمرُ فَأعمُره ... بِفعلِ الجَميل وَالمُكرَمَاتِ
وَاتَّخِذْهُ مَطَّيةٌ تَمْتَطِيهَا ... لِبُلُوغ السَّبيل لِلدَّرَجاتِ

وَمِنْ كَلِمَاتِ الحَسَنِ البَصريِّ رَحِمَهُ الله تعالى : (( مَا مِنْ يومٍ يَنْشَقُّ فَجرُهُ إلاَّ نَادَىْ مُنَادٍ مِنْ قِبَل الحَقِّ : يَا ابنَ آدَمَ أَنَا خَلقٌ جَدِيدٌ وَعَلَى عَمَلِكَ شَهيدٌ فَتزَوَّدْ مِنِّي بِعَملٍ صَالِحٍ فَإنِّي لاَ أَعُودُ إلى يَومِ القِيَامَةِ )) .

وَهَذِهِ الحِكَمُ تَنبَعُ مِنْ رُوحِ الإسلاَمِ وَتَفَقُّهِ تَعاليمِهِ العَظِيمَةِ في الإفَادَةِ مِن الحَياةِ الأُولَى لِلحَيَاةِ الآخِرَةِ الكُبرَى وَإنَّهُ لَمِن فَضِل الله وَدَلائِلَ تَوفِيقِهِ أَنْ يُلهَمَ الرَّجُلُ المسُلمُ استِغلاَلَ كُلِّ سَاعَةٍ مِن عُمْرِهِ في عَمَلِ صَالِحٍ ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[2].

---

(١) سورة الروم ١٧-١٨.

(٢) سورة القصص ٧٣.

وَمِن استِغْلاَلِ الإِسْلاَمِ لِلوقتِ بِأَفضَلِ الوَسَائِل حَثُّـهُ عَـلَى مُدَاوَمَـةِ العَمَـلِ وَإِن كَانَ قَلِيْلاً وَكَرَاهِيَّتِهِ لِلكَثِيرِ المُنْقَطِعِ ، وَذَلِكَ أَنَّ اسْتِدَامَةَ العَمَل الصَالِحِ القَلِيلِ مَعَ مُرُور الزَّمَن وَسَيرِهِ المَوْصُولِ يجعَلُ مِن التَّافِهِ الضَّئِيلِ زِنَةَ الجِبَالِ مِـنْ حَيـثُ لاَ يَشْعُرُ المَرءُ ، وَفي الحديثِ الشَّرِيفِ : ((خُذُوا مِنَ الأَعمال مَا تَطِيقُون فَإِنَّ اللهَ تَعَـالى لاَ يملُّ حَتَّى تملُّوا ، وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعمالِ إِلَى الله مَـا دَامَ وَإِنْ قَـلَّ )) رواه البخـاري ، وفي رِوَايَة : (( سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاغدُوا وَرُوحُوا وَشَيئاً مِنَ الدُّلجَةِ وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبلُغُوا )) رواه البخاري . وَعَن عَائِشَةَ – رَضِي اللهُ عَنْهَا – قَالَت: دَخَلَ عَليَّ رَسُولُ الله ﷺ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِن بَنِي أَسَد ، فَقَالَ : مَن هَذِهِ ؟ قُلْتُ فُلاَنَةُ لاَ تَنامُ اللَّيلَ فَقَالَ : مَهْ عَليكُم مِنَ الأَعمال مَا تَطِيقُون ، وَكَانَ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيه مَا دَامَ عَليهِ صَاحِبَه )) رواه مسلم . وَصَدَقَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّم إِذْ قَـال : (( نِعْمَتَـانِ مَغْبُـونٌ فِيْهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَةُ وَالفَرَاغُ )) رواه البخاري فلنتأمل جيداً .

وَمِنْ محُافَظَة الإِسلاَمِ عَلَى الوَقتِ حَثّه المُسلِمَ عَلَى التَّبكِيْرِ في عَمَلِهِ ، وَرَغْبَتِـهِ فِي أَنْ يَبْدَأَ المُسلِم أَعمالَ يَوْمِهِ نَشِيطَاً طَيِّبُ النَّفْسِ مُكْتَملَ العَزْمِ ، فَإِنَّ الحِرصَ عَـلَى الانِتفَاع مِنْ أَوَّلِ اليَومِ يَستَتْبع الرَّغَبَةَ القَويَّةَ في أَلاَّ يَـضِيعَ سَـائِرُهُ سُـدىً ، لأَِنَـهُ إِذَا أَهمَل المَرءُ أَوَّلَ نَهارِهِ فَاتَهُ آخِرُهُ ، وَنِظَامُ الحَياةِ الإِسلاَمِيَّةِ يجعَـل اليَـومَ مِـنْ الفَجـرِ وَيَكره السَّهَر الذي يُؤَخِّرُ صَلاَةَ الصُّبحِ عَن وَقتِهَا وَفي الحَـديثِ : (( اللَّهُـم بَـارِكْ لِأُمَّتِي في بُكُورِهَا )) رواه أبو داود .

وَمِنَ الغَفْلَةِ وَالحِرْمَانِ أَنْ يَأْلَفَ أَقْوامٌ النَّـوم حَتَّـى الـضُّحَى فَتَطلعُ عَلـيهمُ الشَّمسُ وَهُمْ يَغُطُّونَ في نَومٍ عَمِيقٍ ، عَلَى حِينِ تَطلُعُ عَلَى آخَـرِينَ وَهُـم مُنْهَمِكُـونَ في أَعمالِ مَعَاشِهِمْ ، وَمَصَالحِ مَعَادِهِمْ ، رُوِيَ عَن فَاطِمةَ الزَّهراء البَتُول بنتِ مُحمَّد عَليهِ الـصَّلاةُ وَالـسَّلامُ قَالـت : مَـرَّ بِي رَسُـولُ الله صَـلَّى اللهُ عَليـهِ وَسَـلَّم – وَأَنَـا مُضطَجِعَةٌ مُتَصَبِّحةٌ فَحَرَّكَنِي بِرِجْلِهِ ثُم قَال : (( يَا بُنَيةُ قُومِي إشـهَدِي رِزْقَ رَبِّـكِ وَلاَ تَكُونِي مِنَ الغَافِلِينَ فَإنَّ اللهَ يُقَسِّمُ أَرْزَاقَ النَّاسِ مَا بينَ طُلُوعِ الفَجْـرِ إِلى طُلُـوعِ الشَّمسِ )) البيهقي . إِذْ أَنَّ الجَادِّين فِي أَعمالِهم وَالكُسَالى يَتَميَّـزُونَ في هَـذَا الوَقـتِ فَيعطَى كُلُّ امْرِئٍ حَسْبَ اسْتِعَدادِه مِن خَيرِ الدُّنيا وَالآخِرَة .

أَيُّهَا المُسلِمُونَ : إِنَّ الأزمَانَ تَمرُّ وَالأَحداثُ تَكُرُّ وَنَحـنُ نَنظُـرُ إِلى الأحـدَاثِ مَـــذْهُولِينَ مَدْهُوشِـــينَ ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾[1]. نَرَى العِبَرَ وَالعِظَاتِ مِنْ خَيرٍ وَشَرٍ تَحدُثُ فِيْنَا وَفـيمن حَولَنَـا ومَاحَولَنَـا ، وتُلقـى عَلينَا دُروسَ الحَياةِ ، وَنَذُوقُ السَّراءِ وَالضَّرَّاءِ وَنَجهُـلُ المُتَـصَرِفَ فِيهَـا وَهـوَ اللهُ ، وَإِذا ضِقْنَا بِهَا ذَرعاً لَعنَّا الدَّهْرَ وَمَا جَاءَ بِه وَتَطَيَّرنَا بِالأَيَّامِ وَمَـا سَـاقَتهُ إِلينَـا وَهَـذا ضَربٌ مِنَ الجَهلِ بِالله وَالغَفلة عَنْ أَقَدارِهِ في عِبادِهِ ، قَال رسـول الله ﷺ (( قـال الله تعالى : (( يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار)) أبو داود . أي أن الزمن لا يـصنع بالنـاس خـيراً ولا شراً ممـا يفـرح النـاس بـه أو يحزنون له ، وإنـما يـسوق ذلـك رب الزمـان والمكـان . واللهُ لاَ يَـسُوقُ الأَحـوالَ

(١) سورة النور ٤٤.

المُختَلِفَةَ عَلَى النَّاسِ إلاَّ لحِكم يَتَدَبَّرُونَها إذا عَرَفُوهَا وَعَقَلُوهَا ازْدَادُوا بِالله إيماناً وَبلِقَائِهِ يَقِيْناً ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾[1].

وَالسُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ تَمُرُّ بِهِمُ الأَحْوالُ الحَسَنَةُ وَالسَّيئةُ فَلاَ يَستَفِيدُونَ مِنْ ذَلِكَ شَيئاً وَفِي الحَديثِ : (( إِنَّ المُنافِقَ إِذَا مَرِضَ ثُم عُفي كَان كَالبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ ثُم أَرسَلُوهُ ، فَلَم يَدْرِ لِمَ عَقَلُوهُ وَلَم يَدْرِ لِمَ أَرْسَلُوهُ )) أبو داود . أَجَلْ وَالله لَيسَ بِمُؤمنٍ مَنْ لَم تُهَذِّبُهُ التَّجَارُبُ وَتُقَوِّمُهُ الأَيَّامُ وَهَل تَعْتَرِضُ الآلامُ النَّاسَ إلاَّ لِيَتَعَلَّم بِهَا الجَاهِلُ وَيَصْحُو بِهَا الغَافِلُ وَيَتُوبُ إلى الله مَنْ بَعُدَ عَنْهُ . ولاَ حَولَ ولاَ قُوَّة إلاَّ بالله العليِّ العَظِيم.

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِهِ يَهْتَدِي المُهْتَدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[2] وَقَالَ عَزَّ مَنْ قائِلٍ كَرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[3].أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿

قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾[4] بَارَكَ اللهُ لي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيم ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيم ، أَقُولِي قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمِ.

---

(١) سورة الرعد ٢.

(٢) الأعراف: ( ٢٠٤ ) .

(٣) النحل: (٩٨).

(٤) سورة المؤمنون ١١٢-١١٦.

# الصبر

## الخطبة الأولى

الحَمدُ للهِ وَلِّي الـصَابِرينَ ، وَأَمَـانِ المتَّقِـينَ ، وَمَفْـزَعِ الخَـائِفينَ ، نَحمَـدُهُ تَعَـالَى في السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَوْلانَا بِهِ مِنَ النَّعمَاءِ ، وَأَشْهَدُ أَن لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْـدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ يُمَحص الذين آمنوا ويمحق الكـافرين ، وَأَشْـهَدُ أَن سَـيدَنَا مُحمَّـداً عَبْـدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَيَّدَهُ رَبُّهُ بِقُوَّةِ الصَّبرِ وَاليَقِينِ ، اللَّهُم صَلِّ وَسَلِّم عَلَى سَيِّدِنَا مُحمـدٍ وَعَـلَى آلـهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، وَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعينَ إِلى يَومِ الدِّين.

أَمَّا بَعْدُ : أُوصِيْكُم أَيُّهَا المُسلِمُونَ وَنَفسِي بِتَقوىَ الله وَطَاعَتِهِ فَإِنَّهَا نِعمَ الـزَّادُ لِيَـومِ المِعَادِ ، وَالبَلسَمُ الشَّافي لِكُّلِ قَلبِ صَادٍ ، وَالدَّوَاءُ الحَاسِمُ النَّاجِحُ لِلنُّفُوسِ التَّـي حَلَّـتْ بِهَا الفَجَائِعُ وَالعُيُونِ الَّتِي جَرَّحَتهَا المَدَامِعُ .

عِبَادَ اللهِ يَقُـولُ اللهُ تَبَـارَكَ وَتَعـالى في مُحكَـمِ آيَاتـه: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾[1] العنكبوت .

إِذَا اسْتَحكَمَتِ الأَزَمَاتُ ، وَتَعقَدَتْ حِبَالُهَا ، وَتَرَادَفَتِ الضَّوَائِقُ ، وَطَالَ لَيْلُهَـا ، فَالصَّبرُ وَحْدَهُ هُو الذي يُشِعُ لِلمُسلِمِ النُّورَ الذِيْ يَمشِيْ بِهِ فِي دَيَاجِير التَّخَبُّطِ ، وَمَزَالِـقِ الأَهْوَاءِ وَالفِتَنِ ، وَالصَّبرُ فَضِيلَةٌ يَحتَاجها المُسْلِمُ فِي دِيْنِهِ وَدُنْيَاهُ يَبْنِي عَلَيها أَعمَالَهُ وَآمَالَـهُ وَعَلَى المُسلِمِ أَن يُوَطِّنَ نَفْسَهُ عَلَى احْتِمَالِ المَكَارِهِ ، دُونَ تَذَمُّرٍ أَو ضَجَرٍ ، وَانتظَارُ النَّتَـائِجِ

---

(١) سورة العنكبوت ١-٣.

مَهْمَا بَعُدَتْ ، وَمُواجَهَةُ الشَّدَائِدِ مَهما ثَقُلَتْ ، بقَلْبٍ ثَابتٍ مُؤْمِنٍ لاَ يَتَزَلْزَلُ ، وَعَقْلٌ رَزِينٌ رَاسِخٌ لاَ يَتَزَعْزَعُ بَلْ يَبقَى المُؤمِنُ عِندَ الفِتَنِ مُوقِنـاً بِأنَّ الفَرَجَ آتٍ عَـن قَريْـبٍ بِـإِذْنِ الله وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَقَد أَكَّدَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ ابْتلاَءَ المُؤمِنينَ لاَ مَحِيص عَنْهُ ، حَتَّى يَأخُذُوا أُهبَتَهُم وَاسْتِعدَادَهُم لِلنَّوازِلِ المُتوَقَّعَةِ ، فَإذِا مَا وَقَعَتْ لاَ تُذْهِلُهُم المُفَاجَآتُ وَلاَ تُفقِدُهُم صَوابَهُم المَصَائِبُ الحَادِثَاتُ فَيَنْجَحُونَ في الامْتِحَانَاتِ ، قَال تَعَالَى في أَصْـدَقِ الآيَـاتِ :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾

وَالصَّبْرُ أَيُّها الأَخُوةُ الأَعزَّاءُ مِن صِفَاتِ الرُّجُولَةِ النَّاضِجَةِ ، وَالبُطُولَـةِ الفَائِقَـةِ ، فَإنَّ أَثقَالَ الحَيَاةِ لا يَطِيقُهَا المَهازِيلُ وَلا يَتَحَمَّلهَا إِلاَّ الرِّجَـالُ الأَشِـدَّاءُ الـصُّبَّـرُ . وَعَـلَى سَبيلِ المِثَالِ فَالمَرءُ إِذَا كَانَ لَدَيهِ مَتاعٌ ثَقيـل ، يُرِيـدُ نَقْلَـهُ مِـن مَكَـانٍ إلى مَكَـانٍ آخَـرَ ، لَمْ يَستأجِرْ لِنَقْلِهِ أَطْفَالاً أَوْ مَرضَى أَو خَوَّارِينَ العَزَائِمِ ، وَإِنَّما يَنتَقِي لِذَلكَ الرِّجَالَ الأشِدَّاءَ ، ذَوِي الكَوَاهِلِ الصُّلْبَةِ ، وَالمَنَاكِبِ الشِّدَادِ ، كَذَلِكَ الحَيَاةُ ، لا يَنْهَضُ بِرسَالَتها الكُبرَى وَلا يَنقلُها مِن طَور إلى طَورٍ إلاَّ رِجَالٌ عَمالِقةٌ ، وَأَبطَالٌ صَبَّارُونَ ، أَمَّا الأَقزامُ النَّاقِصُونَ المُتطَاوِلُون فَلاَ مَحَلَّ لَهم إِلاَّ عَلَى هَامِش الحيَاةِ لِيَتفَرَّجُوا وَيُثَرثِرُوا .

وَمَن ثم كَانَ نَصِيبُ القَادَةِ الأَجِلاَّءِ مِنَ العَنَاءِ وَالبَلاَءِ ، مُكَافِئاً لِـمَا أُوتُوا مِـنْ مَوَاهِـبَ ، وَمَا أَدُّوا مِنْ أَعمَالٍ . سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ : أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قَـالَ : (( الأَنبِيـاءُ ثُـمَّ الأَمثَـلُ فَالأَمثَلُ فيُبتَلَى النَّاسُ عَلَى قَدرِ دِينِهمْ . فَمَن ثَخُنَ دِينُهُ اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ ، وَمَن ضَعُفَ دِينُـهُ ضَـعُفَ بَلاَؤُهُ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُصِيبُهُ البَلاَءُ حَتَّى يَمشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيهِ خَطِيئَةٌ )) ابن حبان .

فَاختِلاَفُ البَشَرِ فِي الحَيَاةِ بِاخْتِلَافِ اسْتِعدَادِهِم لمواجَهَةِ مُشْكِلَاتِ الحَيَاةِ وَمسئُوليَّاتِهَا ، قَال حَكِيمٌ : ( لَا تَسْأَلِ اللهَ أَنْ يُخَفِّفَ حِمْلَكَ ، وَلَكِنْ اسْأَلِ اللهَ أَنْ يُقَوِّي ظَهْرَكَ ) هَكَذَا تَكُونُ مَواقفُ الرُّجُولَةِ وَالبُطُولَةِ .

أَيُّها الأَخْوةُ الأَمجَادُ: إِنَّ أمتَنا الإِسلامية وَهيَ تَمرُّ بِهَذِهِ الفَتْرَةِ الصَّعْبَةِ مِنْ حَيَاتِهَا ، وَكَم فَتَرَاتٍ صِعَابٍ قَدْ مَرَّتْ بِهَا ، وَتُواجِهُ هَذِهِ التَّيَّارَاتِ مِنْ حَولِهَا ، وَكَم تَيَّارَاتٍ قَد وَاجَهَتْهَا ، جَدِيرٌ بِهَا وَهي كَمَا هِيَ أَن تَفِيءَ إِلى أَمْرِ الله ، وَأَنْ تَرجَعَ إِلى رَبِّهَا وَتَأْخُذَ مِن الصَّبرِ بِأَوفَرِ حَظٍّ وَنَصِيبٍ ، لأَنَّهُ -أَي الصَّبرُ- خَيرُ وِقَايَةٍ تَقِيهَا مِنْ وَيلَاتِ مَا تُعَانِي ، وَتَدفَعُ عنها صُرُوفَ الحيَاةِ وَشَدَائِدَهَا ، وَتُزَوِّدَهَا بِمَا تَتَسَلَّحُ بِهِ فِي وَجْهِ البَغي وَالطُّغْيَانِ ، وَتَمْنَحهَا أَسْبَابَ القُوَّةِ وَالمَنعَةِ ، لِتكُونَ بِهَا عَلَى قَلبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ فِي مُواجَهَةِ أَعْدَائِهَا أَيّاً كَانُوا وَحَيْثُما كَانُوا وَمِمّن كَانُوا . مَا أَجْمَلَ أَن يَتَخَلَّقَ بِالصَّبرِ شِيبُنَا وَشَبَابُنَا ، كُبَارُنَا وَصِغَارُنَا ، رِجَالُنَا وَنِسَاؤُنَا فِي حَيَاتِنَا الخَاصَّةِ وَالعَامَّةِ ، فَلَا يَستَهوِيْنَا بَريقُ الحَيَاةِ وَالمَدَنِيَّةِ الزَّائِفَةِ فَينسِينَا وَاجِبَاتِنَا وَلَا تُزْعِجُنَا حَادِثَاتُ اللَّيَالِي وَمَا أَكْثَرَهَا فَتَخُورُ قُوانَا ، وَتَلِينُ عَزَائِمُنُا ، وَلَا تَسْتَحِوذُ وَتَسَيْطرُ عَلَينا تَيَّارَاتُ الهَوى وَهيَ مَعولٌ هَدَّامٌ ، فَتَمِيلُ بِنَا عَن الجَادَّةِ وَالطَّرِيقُ الصَّحِيحُ إِنَّ عَلَينَا أَيُّها الأَخْوَةُ الأَمجَادُ أَنْ نُوطِّنَ أَنْفَسنَا عَلَى مُواجَهَةِ كُلِّ الصِّعَابِ وَتَصَارِيفِ الحَيَاةِ مَهمَا كَثُرَتْ وَتَعقَّدَتْ ، حُلوِهَا وَمُرِهَا ، خَيْرِهَا وَشَرِّهَا ، قَلِيلِها وَكَثِيرِهَا بِقُلوبٍ مُؤْمِنَةٍ صَادِقَةٍ صَابِرَةٍ ، وَلْنَفْهَمْ أَنَّ الأَيامَ دُوَلٌ .

إِنَّ الحَيَاة كَما شَاهَدْتها دُوَلٌ — مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ

فَيَومٌ لَنَا وَيَومٌ عَلَينَا ، وَيَومٌ يَسرُّنَا وَيَومٌ يسوؤُنَا ، وَلنتَذكر جَيِّداً أَنَّ هَذِهِ سُنَّةُ الله فِي خَلْقِه ، وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَحوِيلاً ، وَلَن تَجِد لِسُنَّةِ الله تَبدِيلا وَهَو القَائِل لنَا جَلَّ جَلالُه :

﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ

ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[1] إِنَّ وَاجِباً عَلَينا نَحنُ المُسلِمينَ أَنْ نَلْجَأ عِنَّد حُدُوثِ النَّكَباتِ وَوَقُوعِ الكَوَارِثِ أَنْ نَسْتَعِينَ في حَلِّهَا وإزاحتها بالمزيد من الصبر والصلاة اللذين هما نعم العلاج والدواء عند المؤمن ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[2].

عباد الله اعلموا أن مرد الأمور كلها إلى الله عز وجل وأن ما أصاب المرء لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه ، وما أجمل توجيه معلمنا الأول سيدنا محمد ﷺ حين يعلمنا بقوله : (( من أعطي فشكر وابتلي فصبر وظَلم فاستغفر وظُلم فغفر ، ثم سكت فقالوا : يا رسول الله ماله ؟ قال : (( أولئك لهم الأمن وهو مهتدون )) .

واعلموا أنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون وانه ما أعطي احد عطاء خيراً وأوسع من الصبر واذكروا قول الله عز وجل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ سورة آل عمران ٢٠٠.

وعن صهيب الرومي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (( عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له )) مسلم . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (( ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة )) الترمذي .

---

(١) سورة البقرة ١٥٥-١٥٧.

(٢) سورة البقرة ٤٥.

أجل أيها المسلمون ما من فضيلة إلا والصبر دعامتها ولا رذيلة إلا والـصبر هـو الدرع الواقية من شرها كما لا يعرف عظيم إلا كان الصبر زاده الأقوى لذا كـان الـصبر خلق الأنبياء والمرسلين وعلى رأسهم سيد الخلق أجمعين قال تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾[1] . ولقد نهـج سـبيله الخلفـاء الراشـدون والصحابة والتابعون والأسلاف الصالحون ، والتاريخ شاهد على ذلك .

فالصبر أقوى سلاح في حياتهم حققوا به النصر عـلى الحيـاة وعـلى مـا في الحيـاة وأعداء الحياة ومالنا نحن اليوم نعيش بعيداً عنهم .

أليس الصبر سلاح الطالب في معركته مع الجهـل حتـى يـنجح ويحقـق النتيجـة المرجوة أليس الصبر عون التاجر حتى يربح الربح الحلال من كـده واجتهـاده ، ألـيس الصبر عدة الفلاح في معاناته وتحمله الصعاب في إصلاح الأرض وبذرها حتى الحصاد ، والصانع في كفاحه مع الآلة والإنتاج وكذا الطبيب والعالم والداعي إلى الله لا بـد لهـم من التحلي بالصبر والأمة كالفرد فحتى يكون بنيانها قوياً وتتبوأ في الدنيا مكاناً عليـاً لا بد لها من الأخذ لكل القيم والفضائل وتطهير المجتمع الإسلامي من الـدنايا والرذائـل والضرب على يدي العابثين بقيمها ومقدراتها وتقديم أغلى ما عندها حتـى تـستطيع أن تنمي مواردها وتحافظ عـلى كرامتهـا وتـوفر لأبنائهـا كـل أسـباب الرخـاء والـسعادة وتكفيهم ذل المهانة والحاجة كل ذلك ل يكون إلا بالصبر والمصابرة .

أيها المؤمنون : فضيلة الصبر من أعظم الفضائل ومنزلة الـصابرين عنـد الله مـن أشراف المنازل وأسعد الناس من رزق لساناً ذاكراً وقلبـاً شـاكراً وجـسداً عـلى الـبلاء صابراً ، وذلك هو المؤمن الكامل وكان الرسل صلوات الله وسـلامه علـيهم والعلـماء

---

(١) سورة الأحقاف

الصالحون والقادة المصلحون ، ويصبرون على مخالفة قومهم ويتحملون مـن سـفهائهم ما يقولون ، وإذا نسب إليهم ما يكرهون ، قالوا كما قـال يعقـوب لبنيـه : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (١).

إذا صبر العالم على القيام بمهمته في آخر الزمان فقد برئت ذمته وأديت رسـالته ، وإن غضب الشيطان وأهل الطغيان وإذا صبر الفقـراء عـلى حـالهم رزقهـم الله الأجـر والقناعة والتفرغ لطاعة الله تعالى ، وإذا صبر المريض وفعل ما يلزمه من العلاج عجـل له الشفاء وفاز من الله برضاه والوالد إذا صبر على حسن تربية أولاده والعناية بهم نـال منهم البر والإحسان ، وإذا صبر الطبيب على معالجته مرضاة وعاملهم بالرفق فقد قدم خدمة إنسانية إسلامية كبرى يستحق عليها الأجر الجزيل في الدنيا والأخرى ، جعلنـي الله وإياكم من الـصابرين الـذين هـم بـالله معتـصمون ولقـضائه وقـدره مستـسلمون ومسلمون { الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا للهِّ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ } .

والله يقــول وبقولــه يهتــدي المهتــدون ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ وقال عز من قائل كـريم : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ بـارك الله لي ولكـم في القرآن العظيم ونفعني بالآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

---

(١) سورة يوسف ١٨.

# الخطبة الثانية

الحَمَدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتْقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَ أَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُـلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَ بَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا م مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَـرِ ، وعَـلَى آلِــهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

عِبَادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى اتَّقُوا اللهَ مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَــبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

عبـاد الله : قـال تعـالى : ﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ آل عمران صدق الله العظيم . نعم الصبر من حيث هو خلق فاضل عليه مدار الحياة كلها ، وهو على ثلاثة أنواع صبر على الطاعة وصبر عن المعصية ، وصبر على المحن والنوازل .

فأما الصبر على الطاعة فأساسه أن أركان الإسلام اللازمـة تحتـاج في القيـام بهـا والمداومة عليها إلى صبر ومعاناة واحتمال فالصلاة مثلاً فريضة متكررة يقول الله فيهـا : ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا ﴾ طـه . وكـذلك الزكـاة إخراجهـا والقيـام بهـا

وأدائها ليس بالأمر الهين البسيط بل يحتاج إلى ترويض النفس ، وكبح جماحها لأنها تكره صرف المال إلا في كل ما يرضيها لذا وجب توطينها على بذل المال الواجب بسخاء لمن يستحقه وكذلك الحج رحلة متعبة تحتاج إلى كثير من إنفاق المال وتحمل المشاق ولا يقوم بهذه الواجبات وغيرها خير قيام إلا الناس الصُّبَر .

وعُشرة المؤمنين وكسب محبتهم ومودتهم وعدم محاسبتهم على هفواتهم تحتاج إلى الصبر الجميل ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ الكهف . والتواصي بالصبر قرين التواصي بالحق ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ العصر . والصبر عند الصدمة الأولى .

أما الصبر عن المعاصي وهو أساس المقاومة للمغريات المحرمة التي تنتشر بكثرة في طريق الناس وتزين لهم اقتراف المآثم المحضورة وما أكثرها في حياتنا والإقبال على المكاره والإدبار عن الشهوات لا يتأتى إلا لصبور ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات )) مسلم .

والصبر هنا أثر اليقين الحاسم ، والإيمان الحازم إلى ما يرضي الله وهو روح العفاف الذي يحمي المؤمن من أوصار الدنايا ومكر السيئات ﴿ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ الأعراف .

وهناك النوع الثالث وهو الصبر على ما يصيب المؤمن في نفسه أو ماله ، أو منزلته أو أهله وتلك كلها أعراض متوقعة وهيهات أن تخلو الحياة منها وإذا لم يصب أحد بسيلها الطام فلا يكاد يسلم من رشاشها المتناثر . على أن المسلم إذا احتمى بالله ولجأ إليه عند الشدائد فل حدها تضعف جرها ولن تفارق رحمة الله المؤمن ما دام دينه لا يهين ولا يضعف عند الحوادث والأزمات ويقينه لا يزيغ عند الشدائد والملمات ، اللهم

مهما كتبت وقدرت علينا من أمر فأحفظ علينا فيه العقـل والـدين ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ آل عمران .

واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَـدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِـهِ الْمُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِرَاً وآمِـرَاً لَكُـمْ تَكْـرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصَاً مِـنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْـرٍ وعُمَـرَ وعُثْمَـانَ وعَـلِـي ، وعَنْ رَيْحَانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَابَ أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْدِالله الـحُسَينِ، وعَلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْـرَاءِ البَتُـولِ فَاطِمَـةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَةَ ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيِّـكَ تَحْتَ الـشَّجَرَةِ طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَـنْ جَمِيـعِ أَصْـحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَانَ الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجَلِّيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَـصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشُفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَـا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِـالعَفْوِ والغُفْـرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِيَ الحَاجَـاتِ وغَـافِرَ الـذُّنُوبِ و الـخَطِيئَاتِ يَـا رَبَّ العَالَـمِينَ.اللَّهُـمَّ آمِنَّـا فِي أَوْطَانِنَـا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرَ بِـلادَ الـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبِنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَ وَلِّ عَلَينَـا خِيَارَنَـا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءِ مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَـعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْـدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَـنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

عِبَـــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَـذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# المال في نظر الإسلام

## الخطبة الأولى

الحمد لله مالك الملك ، وملك الملوك إليه يرجع الأمر كله (دقة وجله) وعليه فليتوكل المتوكلون ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، عظم شأنه وتعالى مجده وسلطانه ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، بلغ رسالة ربه لخلقه وأقام أمر دينه في أرضه وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، اللهم صل على سيدنا محمد أفضل الصلاة وأجمعها على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله أئمة الدين الطاهرين وأصحابه التقاة الأكرمين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : أيها المسلمون أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى فاتقوا الله حقا تقاته فيا تملكون وما تدخرون قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

عباد الله : يقول الله تعالى في محكم آياته موجهاً لنا توجيهاً نكون بعد سعداء في الدنيا والأخرى ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿٧﴾ ﴾ الحديد .

أيها المسلمون : هذه آية من كتاب ربكم يأمركم أن تؤمنوا بالله ورسوله وأن تنفقوا مما بين أيديكم من نعمه وماله الذي تفضل به عليكم وجعلكم أمناء عليه (لا أكثر ولا أقل) ثم يعدكم إذا استجبتم لأمره أن يضاعف لكم الأجر وأن يجزل لكم الثواب وكثير منا يقرأ هذه الآية الكريمة بل كثيرون يحفظونها وتتردد على ألسنتهم

وأسماعهم مرات ومرات و ومع ذلك لا يحسون بمضمونها الذي أودعه الله في كلماتها ويمرون عليها مراراً سريعاً كأنما لا يعنيهم شيء من أمرها ، أو كأنما هي موجهة لغيرهم .

فالله تعالى يأمر الناس أن يؤمنوا وكثيراً ما نجد أوامر بالإيمان أولاً في آيات كثيرة ، ولكن في هذه الآية يقرن الأمر بالإيمان بالأمر بالإنفاق وهو اتفاق عام واسع لا يقتصر على النصاب المحدد في الزكاة بل يتجاوزه إلى أن يكون المؤمن سخياً كفه ندياً كلما طلب منه البذل ثم جعل الله سبحانه هذه الأمر بالإنفاق من مال وديعة لدينا لا يملكه حقيقة فالمال مال الله وإنما نحن مستخلفون ومؤتمنون عليه مدة معينة من الوقت وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع .

فنحن نعتقد أن بيوتنا ملك لنا وأن ما تحتويه هذه البيوت من متاع وذهب وفضة ونقد هو أيضاً ملك لنا لا ينازعه فيه أحد نحن مستعدون لأن نموت دفاعاً عما نملك ومع ذلك فها هو القرآن يقول لنا ﴿ جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ ﴾ وفي آية أخرى : وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ النور٣٣ . فالقرآن يؤكد أننا في الحقيقة لا نملك ما بين أيدينا وإنما هو أمانة نحن مستخلفون فيها لتدبيرها وإدارة شئونها وإنفاذ أمر الله فيها ، وإذا لم يكن مالنا ملكاً لنا ... فهل كان ملكاً لآبائنا وأسلافنا . كلا فقد كانوا هم أيضاً مستخلفين فيه ، لأن الآية موجهة إليهم كما هي موجهة إلينا ، وقد رأينا بأعيننا بل نرى كل يوم انهم قد استودعوا هذا المال حيناً من الزمن ثم رحلوا وتركوه فلم يأخذوا معهم ديناراً ولا درهماً ولا فلساً خرجوا من هذه الدنيا كما دخلوها صفر اليدين فالله قد استخلفهم في المال إلى حين ثم أقالهم من وظيفة الخلافة عليه لنتولى نحن هذه الوظيفة من بعدهم خلفاً بعد سلف وذلك أيضاً إلى حين ، ثم نرحل نحن عن الدنيا مخلفين ما

استودعنا عليه لأبنائنا وحفدتنا ويتركونه هم كذلك لمن بعدهم من أبنائهم وهكذا دواليه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وما عليها ويومئذ يعلو نداء الحق جل جلاله على رؤوس الخلائق ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ فلا يجيب أحد ويجيب النداء ﴿ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾ ﴾ غافر . تلكم هي الحقيقة يا معشر المسلمين فالإسلام يحدد بكل صراحة علاقتنا بالمال وسمي مالاً لأنه يميل عنك وتميل عنه ، فينبغي أن تكون ملكية مطلقة لأنه هذه الملكية المطلقة تحكمها الأنانية ويقودها الجشع والطمع ويقترن بها على الأقل عدم الثقة بالله وضعف الاستعداد للقائه ، فالمالك الذي لا يحس بأن الله معه في ماله لا يقبل أن يشاركه أحد ملكيته ويحاول أن يجمع المال ولو من غير حله ، وهو لا يؤدي حق الله في ماله ، لأنه لا يثق بالله ولا يتذكر النهاية المحتومة ومثل هذه المالك يؤدي به غناه إلى الفساد والطغيان ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴿٨﴾ ﴾ العلق وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحشر .

طغيان المال وحب الدنيا ، يؤديان بصاحبهما إلى الظلم والتجاوز أحكام الله في تصريف المال وهذا أمر خطير لأن صاحبه أشبه بمن ينازع الله عز وجل سلطانه على الأموال والأنفس والثمرات ، ومن أجل هذا رسم الإسلام صورة علاقاتنا بالمال فجعلها خلافة عن الله ، وجعل المال وديعة بين أيدينا ووسيلة إلى رضوان الله ونتيجة هذه الخلافة عظيمة في سلوك المؤمن فهو إن بقي له المال حمد الله الذي استخلفه ووظفه فيه ، وإن أصابته مصيبة في ماله فضاع أو هلك أو نقص لم يحزن على شيء فاته ، لأن المال مال الله والكون كله ومن فيه وما فيه ملك الله

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الحديد .

فرسول الإسلام عليه أفضل الصلاة والسلام واجه منذ الخطوة الأولى في الدعوة أنانية بعض الناس وحرصهم على التملك الجشع والاستئثار بالطيبات من دون الآخرين فدعاهم إلى السخاء بأموالهم إنفاقاً وبذلاً فإذا أنفقوا في سبيل الله وطابت نفوسهم بهذه النفقة كان لهم أن ينتظروا من الله مضاعفة الأجر واستحقوا ما رتب الله لهم من أجور مضاعفة ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾الحديد .

وقد وضع الإسلام تشريعات عادلة ليس فيها مساس بحرية المالك أو تحد من نشاطه وتملكه كما هو الحال في بعض النظم وليس في التشريع الإسلامي التملك مطلقاً دون قيود ، ووضع حدود للطمع والجشع الذي طالما يسيطر على الإنسان كما هو موجود أيضاً في أنظمة أخرى ولكنه الدين الوسط فلا ضرر ولا ضرار ، ولا إفراط ولا تفريط ومن هذه التشريعات الإسلامية : أن يكون المال من مصدر حلال ليس فيه رباً ولا غش ولا احتيال ولا ابتزاز ولا شبهة قال تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } البقرة . وقال صلى الله عليه وسلم : (( إن اللط طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ المؤمنون٥١ ثم ذكر صلى الله عليه وسلم الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى

السماء يقول : يا رب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك )) مسلم والترمذي .

ومن طيب المال إخراج زكاته وصرفها لمستحقيها فالمتعدي بالصدقة كمانعها قال تعالى : ﴿ وَفِىٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ الذاريات . فإذا توافر المال الحلال الطيب بارك الله له فيه وكان نعمة لصاحبه في الدنيا والآخرة . نعم المال الصالح للرجل الصالح .

ومما يوجبه الإسلام أن يوظف المال لمصلحة الأمة جمعاء وحذر في الوقت نفسه ألا تنشا في المجتمع الإسلامي طبقات متخمة من الأغنياء المترفين وبجانبهم طبقات أخرى من المعدمين الفقراء كما هو الحال في كثير المجتمعات اليوم فالثراء الفاحش والكنز قرين للفساد والطغيان من قديم الزمان قال تعالى : ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ القصص .

وكم في الدنيا الآن من أمثال قارون كنزاً وطغياناً فإن ظنوا أنهم قد ملكوا الدنيا ، فلقد خسروا الآخرة بما كنزوا وبما طغوا وصدق الله العظيم ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ القصص .

ومن وظائف المال في الإسلام إنفاقه في الجهاد ضد أعداء الله وقد اشترى الله منا أنفسنا وأموالنا بثمن غال هو الجنة وهو مالك أنفسنا وأموالنا من قبل الشراء ومن بعده رضينا ذلك أو كرهناه فكان من بالغ لطفه بالمؤمنين قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾

ثم قال :﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ التوبة .

ومن وظائفه أن يأخذ منه صاحبه ويتمتع به التمتع الحلال المباح هو وأهله وعياله دونما إسراف أو تقتير وإن الله يحب أن تظهر آثار نعمته على عبده من ذلك النفقة على أبنائه وأن يهيئ لهم تربية حسنة صالحة من التعليم والصحة والغذاء والمطعم والملبس والمسكن والمركب ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ الضحى كما يصل به أقاربه وذوي رحمه ويقضي به حاجات المعسرين (( من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه )) مسلم وأبو داود والترمذي .

أيها المسلمون : من أجل هذا كله نستطيع القول بأن الإسلام حرر المال من أن يكون حكراً لفرد ، بل جعله موجهاً لمصلحة الجماعة ﴿ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾ الحشر .

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ النحل ٧١ .

فقد كانت أمة الإسلام أمة ربانية سخرت كل ما بين يديها لطاعة ربها مرددة مع نبيها صلى الله عليه وسلم قوله : (( اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وانت الآخر فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر )) .

والله يقول وبقوله يهتدي المهتدون ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ وقال عز من قائل كريم : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ التوبة.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني بالآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

# الخطبة الثانية

الحَمَدُ للهِ رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتْقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَـــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَ أَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُـلَّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَ بَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا م مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَـرِ ، وعَـلَى آلِــهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

عِبَادَ اللهِ: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى اللهِ تَعالى اتَّقُوا اللهَ مِنْ سَمَــاعِ اللَّغْـوِ وفُـضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أما بعد / لقد طبق رسولنا الأعظم ﷺ معنى الخلافة عـن الله في المـال تطبيقـاً رائعـاً وكان ذلك درساً لقنه أصحابه الذين بدأ بهم مجتمع المدينة بعد الهجرة فأسسه عـلى الإيثـار وسخاء النفس والترفع عن عرض الدنيا رغبة فيما عند الله حتى لحظة وفاتـه ﷺ ، روي أنـه كانت عنده سبعة دنانير في مرضه الأخير فقال يا عائشة : ابعثي بالذهب إلى علي ، ثم أغمي عليه ﷺ وشغل عائشة ما به ، حتى قال مراراً ، كل ذلك يغمى عـلى رسـول الله ﷺ ويـشغل عائشة ما به ، فبعث إلى علي فتصدق بها ولم يبق في بيته حين مات شيء .

أيها المسلمون : لقد فهم أسلافنا حقيقة وجودهم كما أراد الإسلام ، وكما علم الصادق الأمين ، وانهم لم يخلقوا إلا ليكونوا عباداً لمن استخلفهم في الأرض فنهضوا بتبعة الخلافة وأدوا أمانتها ولقد سئل إعرابي عنده إبل كثيرة لمن هذه الإبل يا إعرابي ؟ فقال : هي لله تعالى عندي وبهذا الفهم عرفت في الدنيا أمة محمد صلى الله عليه وسلم أمة ترى المال وسيلة لا غاية ومجتمعاً بلا جريمة وبلا نقائض وبلا امتيازات كما نسميه اليوم وهذا مما يعج به العالم الآن ، كانوا امة ربانية سخرت كل ما بين يديها لطاعة ربها فهم يتنافسون في فعل الخيرات ويتسابقون بأموالهم في مرضاة الله تعالى . قال صلى الله عليه وسلم : (( لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله حكمة (أي علماً) فهو يقضي بها ويعلمها )) رواه البخاري .

أجل كان هذا شأن سيطرة الإنسان على المال من أول يوم في عمر الدعوة الإسلامية من قبل أن تعرف البشرية شيئاً عن المفاهيم الجديدة التي يتشدق بها الكثير اليوم عن تأثير رأس المال في الحكم وفي مصاير الشعوب وفي استغلال الإنسان لأخيه الإنسان ، وكان الاتجاه الإسلام صريحاً في توظيف المال لخدمة الأمة والصالح العام وتحريم استعماله أداة في الفساد والإفساد فحرم الربا ، فقال تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ البقرة٢٧٥ . وحرم الرشوة وأكل مال الناس بالباطل فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ البقرة١٨٨ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( لعن الله الراشي والمرتشي والرائش )) وأمرنا بالتصدق في وجوه الخير والبر دونما إسراف وتبذير ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ

ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ الإسراء ، وقال عز وجل في وصف عباده الذين أثنى عليهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ ﴾ الفرقان .

واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِرًا وآمِرًا لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾.اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَلِي، والمَقَامِ الأَفْضَلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِي ، وعَنْ رَيْحَانَتَي نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَابَ أَهْلِ الجَنَّةِ ، أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ ، وأَبِي عَبْدِالله الحُسَينِ، وعَلَى أُمِّهِمَا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ المُخْتَارِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِي عَمَارَةَ الحَمْزَةَ ، وأَبِي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِيَّةِ العَشَرَةِ المُبَشَّرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيِّكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ طَلْحَةَ والزُّبَيرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْمَنِ وأَبِي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ رِضْوَانَ اللهِ تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّةِ ، و يَا مُجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشُفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّسْ هَمَّنَا.نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَا بِالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ

فَرَادِيسَ الـجِنَانِ.اللَّهُـمَّ اغْفِـرْ لِلْمُـؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُـسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِيَ الحَاجَاتِ وغَافِرَ الذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.للَّهُـمَّ آمِنَّـا فِي أَوْطَانَنَـا ، وابْـسُطِ الأَمْــنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوع بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرَ بِـلادَ الـمُـسْلِمِينَ. اللَّهُـمَّ أَصْـلِحْ ذَاتَ بَينِنَـا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبَنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَـافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِـصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَ وَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَـلَ الـسُّفَهَاءِ مِنَّـا ، واجْعَـلْ وِلَايَتَنَـا فِـيمَنْ خَافَـكَ واتَّقَـاكَ واتَّبَـعَ رِضَـاكَ يَـا أَرْحَـمَ الرَّاحِـمِينَ.اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُـسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والْمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِينَـاً لَـهُ ، واخْـذُلْ مَـنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والْمُسَافِرِينَ فِي بَـرِّكَ وبَحْـرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْـقِنَا غَيْثَاً مُغِيثَاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيــهِ ، نَافِعَـاً غَـيرَ ضَـارٍّ.﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾.

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

عِبَـــــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.فَـــاذْكُرُوا اللهَ العَظِــيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَـلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَـذِكْرُ اللهِ أَكْـبَرُ وَاللهُ يَعْلَـمُ مَـا تَصْنَعُونَ.

# مبدأ الشورى في الإسلام

## الخطبة الأولى

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت ، العالم بـما قـدمت أو أخـرت المطلـع عـلى خواطرها حيثما بدأت أو انتهت ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه ، تفـرد بـأمر الخلائق أينما كانت أو تكون ، ودعـاهم إلى أن يتعـاونوا عـلى الـبر والتقـوى فـيما يـأتون أو يذرون وأن يكون أمرهم شورى فيما يقولـون ويفعلـون ، وأشـهد أن سـيدنا محمـداً عبـده ورسوله ، لم ينفرد دون أصحابه برأي ، ولا اتبع حكم الهـوى صـلوات الله وسـلامه عليـه وعلى آله الأئمة الهادين المهتدين وعلى أصحابه المقتفين وتابعيهم ومن تبعهم إلى يوم الدين

أما بعد : فأوصيكم أيها المسلمون ونفسي بتقوى الله تعـالى فاجعلوهـا شـعاركم ودثاركم لتكون ذخراً لكم في معاشكم ومعادكم ونـوراً هاديـاً لكـم في محيـاكم وبعـد مماتكم .

عباد الله : يقول الله تعالى مخاطباً نبيه صـلى الله عليـه وسـلم : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران ١٥٩ .

أيها المسلمون : تكشف هذه الآية الكريمة عن سر من أسرار وحـده المـسلمين ، واجتماع كلمتهم حول النبي صلى الله عليه وسلم ، هو ما اتـصفت بـه شخـصية النبـي صلى الله عليه وسلم من رحمة ورقة قلب وحدب على كل فرد من أمته ، ولو كان النبـي صلى الله عليه وسلم على خلاف ذلك فظاً غليظ القلب لا نفـضوا وتفرقـوا مـن حولـه

ولأنهار بناء الأمة المحمدية من أول لحظة ولما قامت للإسلام قائمة ، وذلكم هو ما عناه الحـق سـبحانه في قولـه : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ التوبة١٢٨ .

ثم إن الله تبارك وتعالى بواسع حكمته يوجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى مـا يحفـظ هذا الاجتماع الشامل والبناء الكامل المتكامـل ويبقـي صـفوف الأمـة الإسـلامية موحـدة متراصة يوجهه تعالى إلى أن يشاور الرسول صلى الله عليه وسلم أصـحابه في الأمـر . فـإذا تمت له المشورة واطمأن قلبه إلى حل معين توكل على الله وأمضى في تنفيذه واهم ما في هـذه العبارة القرآنية ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ آل عمـران . هـي كلمـة الأمـر التـي تـشمل كـل صغيرة وكبيرة من شئون المجتمع ، وتكرر هذا التعبير في آية أخرى تقـرر أن الـشورى مـن صفات المجتمع الكامل المؤمن قال تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ الشورى .

وهذه ملاحظة مهمة فإن الله جلت قدرته وهو العليم بـما يـصلح حـال الأمـة لم بقصر الشورى على شئون الحرب فحسب أو على شـئون الحكـم فقـط أو عـلى شـئون الاقتصاد أو شئون الأسرة أو شئون القضاء بل جعل ذلك كله داخلاً في مفهوم (الأمر) وأوجب فيه الشورى بين المؤمنين ولقد صدق من قال :

وأكثر من الـشورى فإنـك إن تـصب تجد فادحاً أو تخطئ الـرأي تعـذر

وجدير بنا أن نجعل الشورى قاعدة ثابتة في حياتنا وقانوناً يـنظم شـؤوننا عـلى كـل المستويات فالدولة بأجهزتها التي تنظم حيـاة النـاس ، وتعنـى بـشؤون مواطنيهـا لا بـد أن تتخذ مبدأ الـشورى في إدارتهـا للدولـة هاديـاً لهـا ومعينـاً في حـل مـشكلاتها المستعـصية والجماعات والأفراد يرجعون في كل أمورهم لمن هو أدرى منهم وأحسن منهم خبرة وأكثر

تجربة بالحياة وقد استقر اجتماع المسلمين على أن الشورى من قواعد الشريعة الإسلامية وعزائم الأحكام وأجمعوا على أن الوالي الحاكم الذي لا يستشير أهل العلم والدين يعتبر مقصر كل التقصير واجب عزله لأن الله يرشدنا جميعاً إلى أن نأخذ بالشورى حكاماً ومحكومين أفراداً وجماعات شيباً وشباناً ، قال تعالى : ﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ ﴾ الأنبياء٧ . فواجب الحاكم المسلم أن يشاور العلماء فيما لا يعلم من أمور الدين والدنيا كل في مجال اختصاصه ويشاور القادة فيما يتعلق بالسياسة الحربية ويشاور رجال المال والإدارة والاقتصاد فيما يتصل بتدبير مصالح البلاد الاقتصادية وضرورة تطويرها ونهضتها فالأمر كله شورى ، فنظام المجتمع المسلم يوجب على الحاكم أو الوالي أن يستشير ويوجب على المستشار أن يكون أميناً فيما يصدر من مشورة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (( المستشار مؤتمن ))وعلى هذا كان نهج النبي ﷺ وسنته لم يواجه مشكلة من مشكلات المجتمع الإسلامي الأول إلا لجأ إلى أصحابه يضع الأمر بين أيديهم ويطلب منهم رأيهم فعل ذلك في أخطر المواقف التي واجهها مع المشركين في غزوة بدر الكبرى حين أتاه الخبر بمسير قريش فأخبر أصحابه واستشارهم فقال له المقداد بن عمرو وكان من المهاجرين والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك حتى تنتهي إليه ، ثم قال رسول الله ﷺ : (( أشيروا عليّ )) يريد الأنصار فقام سعد بن معاذ وكان من الأنصار فقال أجيب عن الأنصار كأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال أجل قال فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقي منا رجل واحد فقال رسول الله ﷺ: (( سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الحسنيين )) .

فها هو ذا القائد العظيم محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم لا يقـرر أمـراً ولا يدخل معركة إلا بعد أن يستشير كل الناس مهاجرين وأنـصاراً لأنهـم هـم الـذين سيقاتلون ولا بد أن يطمئن إلى صدق عزائمهم وفي مرحلة الاستعداد يـوم بـدر أيـضاً ببدر ولأحد الصحابة ممن عرف الحروب وتمرس بها وهو الحباب بـن المنـذر إن الموقـع الذي اختاره النبي صلى الله عليه وسلم للجيش غير صالح فيمضي للنبي قـائلاً لـه : يـا رسول الله إن كان اختيارك لهذا المكان وحي يالك من الله ليس لنا بعد هذا كـلام ، وإن كان الرأي والمشورة فإنه غير صالح ، فقال بل الرأي والمشورة فأشـار الحبـاب بموقـع آخـر مناسـب فأخـذ الرسـول برأيـه ومـشورته ولقـد كانـت النتيجـة لهـذا الموقـف والاستشارات النصر المؤزر لجند الحق والإسلام على جند البغي والكفر فقد وصفه الله بقوله : ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ﴾ ق . وفي نهاية الغـزوة وبعـد أن وقـع مـن المـشركين أسرى كثيرون نجد النبي يستشير أصحابه في مصيرهم على الوجه الـذي ذكـره القـرآن الكريم في آخر سورة الأنفال لقد بدأت غزوة بدر بالشورى وانتهت أيضاً بالشورى .

أيها المسلمون : لكل منا مشكلات وهي سنة الله في خلقـه والحيـاة وكـل منـا لا يعدم حواليه أن يجد أخاً في الله يهديه إلى الخير والصواب ويشير بالصالح من الأمر كـما أنه قد يصادق الإنسان رجلاً لا يخلص النصح ولا يصدقه المـشورة وعـلى هـذا يتخـير الإنسان أصحاب الدين وذوي التقوى والخلق الكريم والضمير الحي والقلب الطـاهر وأن يتجنب أصحاب الهوى والحمـق وذوي الأحقـاد والأخـلاق الفاسـدة والـضمير الميت والقلب المظلم القـذر ، قـال حكـيم : المـشورة لقـاح العقـول ورائـد الـصواب والمستشير على طرق النجاح واستشارة المرء برأي أخيه من عزم الأمور وحزم التفكير .

أيها المسلمون : إن من الناس من إذا استشرته أمورك بالمعروف ونهاك عن المنكر وحذرك من الظلم والأخلاق الفاسدة ومن الناس شياطين أخبث من شياطين الجن يأمرون الناس بالمنكر وينهونهم عن المعروف ويدفعونهم إلى ظلم الضعفاء من عباد الله والله مطلع على كل شيء فإذا ظلمت عبداً من العباد فاعلم أنك سوف تحاسب حساباً عسيراً أنت ومستشارك الظالم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ إبراهيم٤٢ . وإذا أنصفت عبداً من العباد من نفسك وأعطيته حقه فاعلم أن الله قد أدخر لك مثوبته ورضوانه أنت ومن أشار عليك بالعدل والإنصاف وهذا الموقف ينطبق على كل فرد في الأمة حاكماً كان أو محكوماً فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (( كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته )) رواه البخاري ومسلم ويقول أيضاً : (( ما بعث الله من نبي ولا كان بعده من خليفة إلا له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تألوه خبالاً فمن وقي شرها فقد وقي )) .

يا أتباع محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم هذا هو دينكم الذي أراده الله لكم شرعة ومنهاجاً دستوراً تسير عليه حياتكم ويلتزم به كل مسئول فيكم أياً كان كبيراً أو صغيراً ونلتزم به نحن كلنا في حياتنا العامة والخاصة وكلنا عباد الله والله وحده هو صاحب الأمر ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ الأعراف٥٤ . وقد أراد تعالى لنا أن تقوم الحياة بيننا على أساس الشورى وهي إرادة من الله ومن المعلوم أن البشرية لم تنعم بهذه الروح الشوروية (الديمقراطية) قبل شريعة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين فقد كان الناس قبل الإسلام يعيشون في فوضى ما بين حاكم مستبد منفرد بالسلطة لا يرجع في حكمه إلى نظام أو

استشاره ومحكوم مغلوب على أمره يساق كقطيع الأنعام لإشباع رغبات حاكم طاغوت ، فجاء الإسلام لإنقاذ البشرية فشرع للناس دستور الحرية وأفاقت الدنيا على صوت نظام جديد ، ينادي بحرية الرأي ويمنح الفرد قيمة عظيمة في مجتمعه ويعطي المحكوم سلطة الشورى في مواجهة الحاكم وذلك قبل أن تخرج أوربا على العالم بحضارتها وديمقراطيتها بأكثر من ألف عام وأربعمائة عام .

وها قد انقلب الحال فأصبحنا نحن المسلمين اليوم نتلقى عن أوربا الكافرة دروس الحكم ومبادئ الشورى ونبذنا نظام الشورى التي سنها الله لنا أساساً في محكم كتابه وقرع آذاننا بآياتها في كل لحظة ، وأرسل لنا بخاتم النبيين والمرسلين الذي أعطانا القدوة الصالحة من نفسه وضرب لنا أروع أمثالها وبين لنا خير مناهجها إن حقيقة الشورى الإسلامية لا تنحصر في الشئون السياسية البرلمانية كما هي في أوربا وكما يستحسنها الكثير منا وإنما هي عدالة شاملة لكل نشاط في المجتمع يتناول الفرد والجماعة ولا ريب أن الإسلام لم يحدد شكلاً معيناً للشورى يتم بمقتضاه استفتاء الناس حول أمورهم وذلك يترك الباب مفتوحاً لتطور الحياة وطرق الحكم وأساليب السياسة فالمهم أن يكون الأمر شورى ، على أي وجه كانت هذه الشورى ما دامت استجابة لأمر الله واعتصاماً بحبله .

إن أحسن الكلام لفظاً ووقعاً وأحلى البيان سمعاً ونفعاً كلام من عنت الوجوه لك كرهاً وطوعاً .

والله يقــول وبقولــه يهتــدي المهتــدون ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ وقال عز من قائل كـريم : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾

أعوذ بـالله مـن الـشيطان الـرجيم : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الشورى٣٨-٤٠ بارك الله لي ولكم في القـرآن العظـيم ونفعنـي بالآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكـم مـن كـل ذنـب فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

## الخطبة الثانية

الحَمَدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتْقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إلَّا عَـلَى الظَّالِمِــينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَ أَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُـلَّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَ بَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا م مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَـرِ ، وعَـلَى آلِــهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

عِبَادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى اتَّقُوا اللهَ مِنْ سَمَــاعِ اللَّغْـوِ وفُـضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أما بعد أيها المسلمون : تذكروا دائماً أن مبدأ الشورى قد نال في الإسـلام أعظـم اهتمام في تطبيقه واذكروا هذه الحقائق عن دينكم الحنيف الـذي ارتـضاه الله دينـاً لكـم واحمدوا الله تعالى إذ جعلكم من أهله وألزمكم بالشورى في كل أموركم حتى ألـزم بهـا الرسول المعصوم من الأخطاء صلى الله عليه وسلم فقال له مخاطباً وآمراً : { وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ } مع أنه كان يوحى إليه حكم الله في كل موقف وذلك ليسري الإلزام إلى كـل مسلم مسئول عن عمله وعن رعيته ما دام الدين لم يـستثن حتـى رسـول الله صـلى الله

عليه وسلم ومن هنا قال خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوبكر الصديق يوم تولى أمر المسلمين في خطبته : ( أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أخطأت فقوموني )) فقال رجل في آخر الناس والله لنقومنك بحد سيوفنا فقال أبوبكر الحمد لله أوجد في أمة محمد من يقوم أبوبكر بحد السيف .

لذا وجب علينا أن نجعل الشورى مرجعنا في كل مهمة وملمة في حياتنا في أمور ديننا ودنيانا فما خاب من استشار ولا ندم من استخار ، وفي شئون حكمنا واحتكامنا فالشورى والرجوع إلى استشارة الجمهور من المواطنين ولقد أجاد من قال :

رأي الجماعة لا تشقى البلاد به　　　رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها

وهذه ملكة اليمن العاقلة الحكيمة في جاهليتها وإسلامها (بلقيس) تقول لقومها مستشيرة لهم عندما وصلتها رسالة سليمان عليه السلام تقول لهم :{ مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ } النمل فخلد لها التاريخ هذه المكرمة ليعطي من بعدها درساً في الحكم والشورى لنستفيد منها فرد عليها مستشاروها بقولهم : ﴿ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ النمل٣٣ .

أيها المسلمون إذا علمتم أن الشورى أساس من أسس الإسلام والإيمان بالله وأنها قوام حياة الأمة الإسلامية فالتمسوها كما أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أصحاب العقل وأهل الحل والعقد من ذوي العلم والدين والخبرة وكل في مجال اختصاصه فلا يؤخذ برأي الطبيب في مجال الزراعة مثلاً ولا رأي المهندس في مجال الفقه وإلا كانت النتائج معكوسة .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكره أعانه وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره وإن ذكره لم يعنه )) ومن المشاهد إن كثيراً من ذوي المناصب العلياء أو الدنيا يستشير في أموره المهمة ممن ليس له رأي صائب أو بعض المغرضين فيدله على طرق الضلال ويورطه في المهالك والزلل ومن كان الخراب له دليلاً يمر به على جيف الكلاب .

قال الحسن البصري رضي الله عنه : لو كانت لي دعوة مستجابة لوهبتها للسلطان (أي الحاكم) فإن الله يصلح بصلاحه خلقاً كثيرين .

اللهم وفق ولاة الأمور إلى ما فيه خير العباد والبلاد وخذ بأيديهم ونواصيهم وبأيدنا ونواصينا إلى ما فيه الصلاح والفلاح إنك رحيم كريم مجيب الدعوات .

واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِرَاً وآمِرَاً لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصَاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَلِي، والمَقَامِ الأَفْضَلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِي ، وعَنْ رَيْحَانَتَي نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَابَ أَهْلِ الجَنَّةِ ، أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ ، وأَبِي عَبْدِالله الحُسَينِ، وعَلَى أُمِّهِمَا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ

الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَةَ ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيِّـكَ تَحْتَ الـشَّجَرَةِ طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَـنْ جَمِيـعِ أَصْـحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَانَ الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَـصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشُفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَـا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِـالعَفْوِ والغُفْـرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِيـرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِيَ الحَاجَـاتِ وغَـافِرَ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوعِ بِلادِنَـا خَاصَّةً وسَائِرَ بِـلادَ الـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبِنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَ وَلِّ عَلَينَـا خِيَارَنَـا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءِ مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَـعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَوِّكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئاً ، سَحّاً عامّاً دائِماً مُبارَكاً فِيهِ ، نَافِعاً غيرَ ضارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

عِبَادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ ؛ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# اخْتِيَارُ الأَصْدِقَاءِ

## الخُطْبَةُ الأُولَى

الحَمْدُ للهِ مُؤَلِفِ القُلوبِ عَلَى المَحَبَّةِ وَجَامِعِ النُّفُوسِ عَلَى المَودَةِ فَمَا تَعَـارَفَ مِنْهَـا ائتَلَفَ ، ومِا تَنَاكَرَ مِنْهَا اختَلَفَ ، وَأَشـهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلا اللهُ وَحـدَهُ لَا شَرِيـكَ لَـهُ أَمَرَنَـا بِالترابطِ وَالتآلُفِ ، وَحَذَّرَنَا مِنَ التباعدِ والتنافرِ وَالتَّقَـاطُعِ وَالتَّـدَابُرِ وَأَشـهَدُ أَنَّ سَـيدنَا مُحَمَّداً عَبدُهُ ورسولُهُ ، أَرسَلَهُ بِالآياتِ البَيِّنَاتِ وَوَحَّدَنَا بِأَقوَى الروابطِ والصلاتِ .

اللهّم صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسولِكَ ، الرحمةِ المهداةِ أمرنا وأوصانا بالمحبـة في الله والبغض في الله ، وأرشدنا إلى الطريقة المثلى في اختيار الأصـدقاء والأصـحاب فقـال عليـه الصلاة والسلام : (( المرء على دين خليله فلينظر أحدكم إلى من يخالل )) أبو داود .

أما بعد : أوصيكم أيها المسلمون ونفسي بتقوى الله تعالى واجعلوها دائـماً نـصب أعينكم لأن عليها المدار في معاشكم ومعادكم واختياركم زملائكم وأصـدقائكم وبهـا تميزون بين من يسعى في نفعكم أو ضركم .

عباد الله : يقول الله تعالى في محكم آياتـه : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الزخرف.

عن الإسلام أيها الأخوة الأعزاء كما تعلمون دين محبة وألفـة وتـرابط وائـتلاف يحب التعرف إلى الناس والاختلاط بهم وهذا من تعاليمه وتوجيهاته النبيلة وهو لم يقـم على النفور والعزلة بل جعل الدرجات العاليـة والمقامـات الـسامية لمـن يخـالط النـاس ويفيدهم ويستفيد منهم فقال عليه الصلاة والـسلام : (( المـؤمن الـذي يخـالط النـاس

ويصبر على أذاهم خير مـن المـؤمن الـذي لا يخـالط النـاس ولا يـصبر عـلى أذاهـم )) الترمذي . ومن أجـل هـذا شرعـت الجماعـات وفرضـت الجمعـة ومـن الـذي يقـوم بالواجب نحو الله والناس والدين والوطن إن ذلك لا يقوم به إلا الرجـال المـصلحون الاجتماعيون الذي يحسون بما يجب عليهم ولذا أوجب الله علينا الجمعة والجماعة ، سئل ابن عباس رضي الله عنه مراراً عن رجل يـصوم النهـار ويقـوم الليـل ولكنـه لا يحـضر الجمعة ولا الجماعة ، فقال خبروه أنه من أهل النار )) الترمذي .ذلك إن الإسلام شديد الحرص على أن تكون شعائره العظمى مثابة يلتقي المسلمون عندها ليتعاونوا على أدائها ويستوحوا من جوها الطهور عواطف الود والصفاء والإخلاص العميق وكلما ضـخم العـدد الـذي يـنظم المـسلم مـع إخوانـه تكـاثرت عليـه بركـات الله ، وفي الحـديث : ((... صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده ، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل ، وكلما كثرت فهو أحب إلى الله عز وجل )) أحمد . وفي رواية أخـرى : (( صلاة الرجلين يؤم أحدهما صاحبه أزكى عند الله من صلاة أربعـة تـترى وصـلاة أربعة يؤمهم أحدهم أزكى عند الله من صلاة ثمانية تترى ، وصلاة ثمانية يؤمهم أحدهم أزكى عند الله من صلاة مائة تترى )) الطبراني .

وهذه التوجيهات الإسلامية تشير إلى رغبة الإسـلام في تكثـير سـواد المـسلمين ورؤيتهم حشوداً أو جماعات لا فرادى مشتتين فكل اعتزال عـن الأمـة يكـون خـسارة عليها وإضعافاً لقوتها ، ويفوت عليها جهاد الأمر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر ، إذاً فكيف نختار أصدقائنا والناس طبائع فيهم الذي يهرع المجامع الحافلة بالناس وسرعان ما يتصل بهذا وذاك ويقيم معه علاقات سريعة قبل أن يختبر الآخرين ويستأنس بمن قابله

لأول وهلة ، ومنهم من يقيم حول نفسه سوراً ويعمل بينه وبين الناس سداً منيعاً مـن الحـذر والابتعاد وسوء الظن بالآخرين فيعيش منفرداً منكمشاً على نفسه فكلتا الطبيعتين فـيهما إفراط وتفريط فيقال للأول : خالط الناس ودينك لا تكلمنـه واخـتلط بالنـاس وكـن حكيماً يميز بـين الـضار والنـافع والغـث والـسمين فـلا تغرنـك الابتـسامات الكاذبـة والصداقات الخادعة .

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم

ويقال للآخر النافر من الاختلاط بالآخرين : (( المـؤمن هـين ألـف مـألوف )) فكن هاشاً باشاً ذا انبساط اجتماعي تألف وتؤلف على أن الإسلام لم يوجـب الاعتـزال إلا إذا هاجت الفتن وجب اعتزالها فإذا اضطربت البلاد لاقدر الله وتهاوش أهلها عـلى الدنيا وانتقضت عرى الفضائل فإن مقاطعة الفساد لون مـن إنكـاره وذلـك في حـدود مراتب التغيير التي شرعها الله لخصومة المنكر تغيير اليد فاللـسان فالقلـب وعـلى هـذا نفهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم وقد سئل : أي النـاس أفـضل يـا رسـول الله ؟ قال : (( مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، قيل ثم مـن ؟ قـال : رجـل معتـزل في شعب يعبد ربه )) رواه البخاري ومسلم . ثم إن العزلة والاختلاط لا يمكن أن يكونـا وصفين دائمين للإنسان المسلم بل عليه أن يقسم وقته بين الخلـوة النافعـة والاخـتلاط الحسن ليخرج من الحالين بما يصلح شأنه كله .

وعلى هذا الأساس نتخير الأصحاب وننقـي الأصـدقاء وهـذا معنـى الحـب لله والحب في الله ، إن الإنسان إذا رسخ اليقين في قلبه وخالط الإيمان لحمـه ودمـه أحـسن بحلاوته في مذاقه وأصبح ينظر للأحيـاء قاطبـة والنـاس أجمعـين عـلى ضـوء العقيـدة

الإسلامية التي تحكم تصرفاته ويحب لمبدأ ويكره لمبدأ وهو الحب في الله والبغض في الله لا يحب لشهوة ولا لمصلحة ولا يكره لمجرد عاطفة عابرة تمليها عليه النفس الأمارة بالسوء والشيطان والهوى وقد اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بمشاعر الصداقة النقية الخالصة لله ورغب المؤمنين في إخلاصها لوجه الله لا لغرض دنيء ومآرب سفلى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل قال الله تعالى : (( المتحابون بجلالي في ظلال عرشي يوم لا ظل إلا ظلي )) رواه أحمد . وعن عمر بن الخطاب قال رسول الله ﷺ: (( إن من عباد الله ناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله فخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾))رواه أبو داود .

نعم أثر الصديق في صديقه عميق وصديقك من صدَقَك لا من صدَّقك لذا كان لزاماً على كل امرئ مسلم أن ينتقي أصدقاءه وأخلاءه وأن يبلو حقائقهم ويختبرهم حتى يطمئن إلى أصالتهم (( فالمرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل )) رواه أبو داود . فإن كان هؤلاء الأصدقاء يعينون صديقهم على أداء الواجب وحفظ الحقوق ويبعدونه عن السوء واقتراف الحرام فهؤلاء هم قرناء الخير الذين يجب التمسك بصحبتهم ويحرص على مودتهم والمؤمن مرآة المؤمن يريه عيوبه ليبتعد عنها ومحاسنه ليحافظ عليها وإلا فليحذر الانخداع بمن يزينون له طرق الغواية ويسترسلون معه في أسباب اللغو واللهو كما هو موجود في المجالس .

إن الصديق الطيب يقود صديقه إلى النجاح في الدنيا والفلاح في الأخـرى ، أمـا الصديق الغبي المفتون فهو شؤم على صاحبه وكم من غر نـدم ندامـة كبـيرة عـلى هـذه الصحبة السيئة ، لأنها وضعته على شفا جرف هار فانهار بـه في نـار جهـنم ، إن الطبـاع تسرق الطباع وما أسرع أن يسير الإنسان في الاتجاه الذي يهواه صاحبه فإنها كالعـدوى تسري بسرعة في الأخـلاق كـما تـسري الأمـراض والأوبئـة في الأجـسام وإن عـدوى الأخلاق والطباع السيئة أشد سرياناً وأقوى فتكاً من عدوى الأخلاق والطباع الحـسنة لا ينفع الجرباء قرب سليمة منها ولكن السليمة تجرب .

وتقديراً لهذه الآثار وحماية للأخلاق الحسنة والعادات الكريمة أمر رسـول الله صـلى الله عليه وسلم بتخير الجليس الصالح فقـال : (( مثـل الجلـيس الـصالح كمثـل صـاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه )) رواه أبو داود . إن الصداقة يجب أن تعتمـد عـلى قوة العقائد وسمو الأعمال وخير مـن يـستديم المـرء عـشرتهم ويـستبقي للـدنيا والآخـرة مودتهم أولئك الذين عناهم الأثر : (( من عامل الناس فلم يظلـم وحـدثهم فلـم يكـذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته )) .

فإذا كانت حال الجليس الذي قد تجتمع بع في لقاء عابر في ساعة يـسيرة مـن ليـل أو نهار فكيف بك مع صاحب العمر الذي يخالطك في الـسراء والـضراء إن صـداقة الأتقيـاء الأذكياء ترفع إلى القمة أما صداقة السفهاء الأغبياء فهي منزلق خطير وسريع إلى الحضيض قال تعـالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحۡمَةٌ لِّقَوۡمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الجاثية .

وإذا نشأت الصداقة لله فلن تبقى إلا بالطاعة ولن تزكو إلا بعـد الـصديقين معـاً من النفاق والفساد ، فإذا تسربت المعصية إلى سيرة أحدهما أو سيرتهما تغـيرت القلـوب وتكدرت المحبة والصفاء وفي الحديث (( والذي نفسي بيده ما تواد اثنان فيفـرق بيـنهما إلا بذنب يحدثه أحدهما )) ومن أجل ذلك كان أصـحاب رسـول الله ﷺ يجعلـون مـن التواصي بالحق والتعاون على الخير سياجاً قوياً وحافظاً متينـاً يحفـظ مـا بيـنهم مـن ود ويقربهم من غفران الله ورضوانه ، عن أبي قلابة ﷺ قـال : (التقـى رجـلان في الـسوق فقال أحدهما للآخر تعال نستغفر الله في غفلة الناس ففعلا ، فمات أحدهما فلقيه الآخـر في النوم فقال علمت أن الله غفر لنا عشية التقينا في السوق ) رواه ابن أبي الدنيا .

وينبغي أن يتعارف الأصدقاء حتى يكون تواصلهم عن بينة وأن يـذكر أحـدهم للآخر ما يكنه من إعزاز ومحبة قال رسول الله ﷺ : (( إذا أحب أحدكم أخـاه فليخـبره أنه يحبه )) وعن أنس قال : كان رجل عند النبي ﷺ فمر رجل عنـد النبـي ﷺ فقـال يـا رسول الله إني أحب هذا فقال أعلمته ؟ قال : لا قال فأعلمه فلحقـه فقـال إني أحبـك في الله فقال أحبك الذي أحببتني له ) رواه أبو داود .

وقال رسول الله ﷺ : (( إذا آخى الرجل الرجل فليسأله عـن اسـمه واسـم أبيـه وممن هو فإنه أوصل للمودة )) رواه الترمذي . ولا شـك أن لتجـانس المـزاج وتعـارف الأرواح مدخلاً كبيراً فعالاً في تأسيس الصداقات وتوثيق الأواصر وعرى المحبـة وقـد قيـل ( رب أخ لك لم تلده أمك ) فقد يلتقي الإنسان في زحام الحياة بمن يحسن سرعـة التجـاوب معه والميلان إليه وكـأنما سـبقت المعرفـة بـه مـن سـنين وهـذا مـصداق الحـديث النبـوي (( الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف )) رواه البخاري

إن أخاك الصدق مـن كـان معـك ومـــن يـــضر نفـــسه لينفعـــك

ومـن إذا ريـب الزمـان صـدعك شـــتت فيـــك شـــمله ليجمعـــك

ومن سنن الإسلام في الصداقة التزاور ويجب أن يكون خالية من كل غرض خالصاً لوجه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه مناد طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً )) رواه الترمذي . وفي رواية (( ما من عبد اتى أخاه يزوره في الله إلا ناداه مناد من السماء أن طبت وطابت لك الجنة ، وإلا قال الله في ملكوت عرشه عبدي زار فيّ وعليّ قراه (أي ضيافته) فلم يرض له بثواب دون الجنة )) رواه البزار .

اللهم أهدنا بهداك واجعلنا ممن يسارع في رضاك ولا تولنا ولياً سواك ولا تجعلنا ممن خالف أمرك وعصاك يارب العالمين .

والله يقول وبقوله يهتدي المهتدون ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ وقال عز من قائل كريم : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولاً ﴿٢٩﴾ ﴾

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني بالآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

## الخطبة الثانية

الحَمَدُ للهِ رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتْقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَ أَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُـلَّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَ بَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا م مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ الُمحَيَّا والمَنْظَـرِ ، وعَـلَى آلِــهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

عِبَادَ اللهِ: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى اللهِ تَعالى اتَّقُوا اللهَ مِنْ سَمَــاعِ اللَّغْـوِ وفُـضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أما بعد أيها الأخوة الأعزاء لا تكن صلاتكم فيما بينكم وصداقاتكم إلا مستمدة من روح الإسلام الحنيف وتعاليمه القيمـة مـن تبـادل المنـافع والمعاملـة مـع القريـب والبعيد والعدو والصديق ، والمسلم عليـه أن يحـب النفـع للنـاس كافـة إلا أنـه لنفـع أصدقائه أحب ولما يصلهم من خير أو فرح ، قال تعالى : { وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْـنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } البقرة . وقد اسـتحب رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم تبـادل الهدايا بين الأصدقاء لإدخال الفرح والسرور وإن كانت هدية بـسيطة متواضـعة فقـال

عليه الصلاة والسلام : (( تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدور )) الترمذي غشه ووساوسه وفي رواية (( تهادوا تحابوا )) وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها)) البخاري .

ومن آداب الإسلام الرفيعة أنه لا يحب التكلف والتصنع في تبادل الهدايا والزيارات ما بين الأصدقاء بل رغب في إشاعة البساطة وعدم التكلف والإحراج حتى تكون وسيلة لتسيير الحياة وتخفيف متاعبها وبهذا الصدد يوصينا الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم فيقول : (( خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند لله خيرهم لجاره )) رواه الحاكم .

ان الإسلام أباح لشخص أن يأكل من طعام صديقه كما يأكل من طعام والديه وإخوانه والأقربين منه ﴿ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡ ﴾ النور .

أيها الأخوة الأعزاء كثيراً ما نرى الصداقات والشركات تنهار لأنها لم تبن على أساس من الدين والأخلاق الفاضلة بل أقيمت على الأغراض الدنيئة الدنيوية والمصالح الذاتية الشخصية لقاء حفنة بسيطة من المال الحرام والمتاع الزائف الزائل فصارت هذه الصداقات الكاذبة عداوات وخصومات وانكشفت على حقيقتها وبرزت في الدنيا قبل الآخرة عاراً وشناراً وفي الآخرة تصير ندامة وخسارا .

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق وكان أدرى بالمضرة

ان الإنسان في حالة يسره وأيام رخائه يكثر حوله الأصدقاء المزيفين والأصحاب المنافقين ولكنهم سرعان ما يبتعدون عند حدوث المصائب وفي حالة العسر والشدة .

فـما أكثـر الأخـوان حـين تعـدهم ... ولكـــنهم في النائبـــات قليـــل

أخـــلاء إذا اســتغنيت عـــنهم ... وأعـــداء إذا نـــزل الـــبلاء

فـــلا والله مـــا في العـــيش خـــير ... ولا الـــدنيا إذا ذهـــب الحيـــاء

إذا لـــن تخـــش عاقبـــة الليـــالي ... ولم تـــستح فاصـــنع مـــا تـــشاء

واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِهِ الْمُسَبِّحَةِ بِقُدْسِـهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِرَاً وآمِرَاً لَكُمْ تَكْـرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَـنْ نَـصَرَهُ ، خُـصُوصَاً مِـنْهُمْ ذَوِي القَـدْرِ العَـلِـي، والــمَقَامِ الأَفْـضَـلِ: سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْـرٍ وعُمَـرَ وعُثْمَـانَ وعَـلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَابَ أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْدِالله الـحُسَينِ، وعَلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْـرَاءِ البَتُـولِ فَاطِمَـةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَةَ ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيِّـكَ تَحْتَ الـشَّجَرَةِ طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَـنْ جَمِيـعِ أَصْـحَابِ رَسُولِ اللهِ رِضْوَانَ اللهِ تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجْلِيَ الظُّلْمَـةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَـصِيرُنَا، وعَلِيـهِ تَوَكُّلُنَـا ، و إِلِيــهِ مَفْزَعُنَـا ؛ اكْـشُفْ كَرْبَنَـا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَـا ذَا الجُـودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ

تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِـالعَفْوِ والغُفْـرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَـا مِـنَ العَـذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُـسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ فَـرَادِيسَ الـجِنَانِ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِيَ الحَاجَـاتِ وغَـافِرَ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَـا رَبَّ العَالَـمِينَ. اللَّهُـمَّ آمِنَّـا فِي أَوْطَانِنَـا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرَ بِـلادَ الـمُـسْلِمِينَ. اللَّهُـمَّ أَصْـلِحْ ذَاتَ بَينِنَـا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبِنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَـافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِـصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَ وَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَـلَ الـسُّفَهَاءِ مِنَّـا ، واجْعَـلْ وِلَايَتَنَـا فِـيمَنْ خَافَـكَ واتَّقَـاكَ واتَّبَـعَ رِضَـاكَ يَـا أَرْحَـمَ الرَّاحِـمِينَ. اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُـسْلِمِينَ ، واخْـذُلِ الكَفَـرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِينـاً لَـهُ ، واخْـذُلْ مَـنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَـرِّكَ وبَحْـرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ. اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْـقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئـاً ، سَحّاً عَامّـاً دَائِمـاً مُبَارَكاً فِيـهِ ، نَافِعاً غَـيرَ ضَـارٍّ. ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾. ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

عِبَـــادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾. فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# حب العمل والكسب الحلال

## الخطبة الأولى

الحَمدُ لله الذي خَلَقَ الموتَ وَالحَياة لِيَبْلُوكُم أَيُّكُم أَحسنُ عَمَلاً ، خَلَقَ الخَلقَ لِحِكْمَة فَلَمْ يَتْرُكْهُم وَيخلقهم عَبَثاً ، وَلَمْ يتركهم هَملاً ، فَتَبارَكَ مِنْ خَالِقٍ مُبدعٍ مُتْقنٍ أَوجَدَنا عَلَى ظَهْرِ هَذِهِ البَسِيطَةِ وَجَعَلَهَا لَنَا ذَيْلاً ، وَهَيَّا لَنَا الحَياةَ عَلَى ظَهرِهَا لِنَتَوارَثها أَجيَالاً وَدُولاً ، فَسُبْحَانَهُ عَزَّ وَجَلَّ قَسَّمَ الرِزقَ وَقَدَّرَ الأَجَلَ ، وَلَهُ الحَمْدُ عَلَى مَا كَانَ وَحَصَلَ وَنَسْأَلُه المَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ وَهوَ الذي يُجِيْبُ مَن سَأل وَحَاشَاهُ أَن يُخَيِّبَ لَنَا فِيهِ الأَمَل ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ وَالجُبْنِ وَالبُخلِ وَالفَشَلِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ وَأَمَرَ بِالإِتْقَانِ في العَمَلِ ، وَأَبغض النَاسِ إلى الله الرَجُلَ السَبَهْلَلِ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾[1] وَأَشهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المَبعوثُ بِالهُدَى ، وَالمنقذُ مِنَ الرَّدَى ، أَرْسَلَه مُعَلِماً وَمُرْشِداً وَنَاسِخاً وَمُجَدِداً وَأَوحَى إِليهِ بِقَولِهِ ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾[2] اللَّهُمَ صَلِّ وَسَلِّم عَلَى سَيدِنَا مُحَمَّدٍ القَائِلِ : (( مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامَاً قَطُّ خَيْرَاً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَأَنَّ نَبِيَّ الله دَاود عَلَيهِ السَّلام كَانَ يَأكُل مِنْ عَمَلِ يَدِهِ )) صَلَّى الله عَلَيهِ وَعَلَى آلهِ وَأَصْحَابِهِ السُّعَداءِ بُحُورِ النَّدَى وَنُجُومِ الاهتِداء وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُم بِإحسَانٍ فِيمَا خَفِيَ أَوْ بَدَا وَعَلَى جَمِيعِ

---

(١) سورة الملك ١٥.

(٢) سورة القيامة ٣٦.

المُخَاطَبِينَ بِقَولِهِ تَعَالى : (( رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعموا الصالحات من الظلمات إلى النور )) .

أَمَّا بَعْدُ : عِبَادَ الله أُوصِيكُم وَنَفسيَ بِتَقوىَ الله اتَّقُوا الله فِيمَا تَعْمَلُونَ أَوْ تَترُكُونَ وَرَاقِبُوهُ فِيمَا تَجِدُونَ وَتَكْسِبُونَ وَاعلَمُوا أَنَّ عَلَيْهَا مَدَارُ الأَمْرِ كُلّه دقه وجله ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[1] ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤ ﴾[2] .

عِبَادَ الله : طَلَبُ الرِّزقِ الحَلال فَرِيْضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ وَالسَّعيُ فِيهِ مِمَا أَمَرَ بِهِ القُرْآن وَعَلَّمَهُ وَأَوْجَبَهُ الرَسُولُ صلَّى الله عَليهِ وَسَلَّم وَأَلْزَمَهُ ، وَطَلَب الرزق شَيء قَضَتْ بِهِ الشَرِيْعَة وَحَكَم بِهِ العَقلُ وَحَتمه فَالتَمِس الرزقَ أَيُّهَا المُسلِم مِنْ بَابِ حِلِّهِ وَإِيَّاكَ وَالرزقَ الحَرَام وَهوَ مَا اكتسب مِنْ غَيرِ حِلِّهِ : بِالرِّبَا وَالغُشّ وَالابتِزَازِ وَالتَزْوِيرِ وَالرشوة وَالاحتِيَال .

واحذر مما نَهاكَ الله عنهُ وحَرَّمَه فمتَاعُ هذِه الدنيا قَليلٌ وما أشدَّ مَغرَمَه ومَأثمَهُ فطُوبَى لِمَنْ رَضيَ بِمَا قدَّرَ لَه ربُّهُ وَقسَمَهُ وَعَلِمَ أنَّ الله قد كَتَبَ رِزقَهُ وأجَلَهُ وَعمَلَهُ وهو في بَطنِ امِّهِ جَهلَ ذلك من جهلهُ وَعلمَه مَن عَلِمَهُ ومَهما تكنْ لَك من قوَّةٍ فإنك لا تستطيعُ تغييرَ مَا قدّرَهُ الله ونظَّمَه ﴿ أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ۝٢١ ﴾[3].

(١) سورة الطلاق ٢-٣.

(٢) سورة الطلاق ٤.

(٣) سورة الملك ٢١.

أيها المسلمونَ : لَقد وَرد في القرآنِ الكَريم والـسنةِ النبويـةِ المطهـرةِ أمثِلَـةٌ كَثِـيرةٌ تؤكدُ عمَلَ اليَدِ وإبرازاً لقيمَتِهِ وأثرِه في حَياة الناس وقيمتُه الخطيرة وتضِيفُ أن الأنبياءَ عَليهم السلامُ بأنّهم كانوُا ذَوِي حِرَفٍ وصِناَعَاتٍ برَغم مَسؤوليَّاتهم الكبيرَةِ في الـدعوةِ إلى الله فقد كانوا يكسبونَ قوتَهم بعَرقِ جَبِينهم فهذا رسـولُ الله صَـلَّى الله عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ يقولُ بشَأنِ نبيّ الله داود عليه السلام : ((ما أكلَ أحدٌ طعَاما قط خيراً مِن أن يأكـلَ مِـن عمل يَدِهِ وانَّ نبيَ الله داودَ عليه السلامُ كانَ يأكُلُ مِن عمل يَـدهِ )) وهَـذهِ الإشـارةُ إلى داودَ هي التي وردتْ مُفصلةً في قولِه تعالى (( ولقد آتينا داود منا فـضلا يـا جبـال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في الـسرد واعملـوا صـالحا إني بـما تعملون بصير )) لقد كانتْ مِهنة داؤدَ أنْ يَصنعَ الدُّروعَ والسيُوفَ أشبَهُ بمهنةِ الحدَّادِين في عصرنا الرّاهن وهي من فَضلِ الله عليه حينَ ألانَ لهُ الحديدَ وأقـدَرَهُ عـلى تحويلِـهِ إلى أدَوَاتٍ للحَرب وَالقِتالِ ، كما تكَرَّرَتْ فِي القرآن الكريم الإشَارةُ إلى احترافِ نوحٍ عليـه السلامُ لمهنةِ النجّارَةِ وصـناعَةِ الـسُّفن ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُ ﴾[1].

وأشارَ القرآنُ الكريم أيضا إلَى مُوسى عليـه الـسلام اشـتَغل عنـدَ شُـعيب عليـه السلامُ برعي الغنم ثمانيَ أو عشرَ سِنينَ أجيراً في أرضِ مَديَنَ قبل أن يبعثه الله رسـولاً ، وما من نبي إلا رعى الغنم وبعدَ رعْي الغنم رعْي الأمم كما نعلمُ من سِيرة نبينا محمد ﷺ إنه كانَ يرعَى الغنم في صَدْر شَبابِه الغنمَ بأجرٍ ثم اشتغلَ بالتجارة في مَال خديجـة بنـتَ خويلدٍ التي اختَارَتهُ زَوجاً لها لِما رأت فِيه مِن الأمانةِ والصِّدقِ والإخلاصِ في العملِ .

(١) سورة هود ٣٧-٣٨.

فهؤلآءِ وَهم أقطابُ النبُّوةِ وَأولُوا العَزم من الرُّسُلِ وقد شُرِّفُوا باحترافِ مِهنةٍ يعيشُون على كَسبِها وَيستغنونَ بهَا عن سُؤال النَّاسِ فهذا خيرُ الطَّعام ولا رَيبَ أن هؤلاء الرسل لم يتحوَّلوا بهذه المِهَن إلى أغنياء شرهين جشعِين يجمعون المالَ ويكنزونهُ ، وإنما كان كلُّ ما حصَّلوُهُ وَسيلةً إلى العيشِ الكريم الذي يحفظُ الكرامةَ قبل أن يحفظ الرمقَ ويصُونُ ماءَ الوَجه قبل أن يصَونَ أنفاسَ الحياة .

وَذلك هُو ما حضَّ عليه نبيُنَا محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينَ رَغبَّ أصحابَه في ان يحترفُوا حِرفةً تُغنِيهم عن سُؤال الناسِ فعَن الزبير بن العوَّام رضي الله عنه قال : قالَ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (( لأنْ يأخذَ أحدُكُم أحبُلَهُ فيأتِيَ بحُزْمَةِ حَطبٍ علىَ ظهرِهِ فيبيعَهَا فَيكُفَّ الله بهَا وَجَهَهُ خيرٌ لهُ مِن أن يسأل الناسَ أعَطَوهُ أم منعُوهُ )) .

إنّ الإسلامَ يُحثُّ عَلَى العَمل الشَّريف مَهمَا قَلَّ شانه واستحقرَهُ بعضُ الناس ممن لا يقدَّرُ الأمورَ حقَ قَدْرها فالعملُ في البلديات وكَنسِ القمامة من الشوارع شَرَفٌ وتنظيفُ المَرَاحِيض ودَوْرات المِيَاه شرفٌ والعملُ في الوُرش والمصانِع شرفٌ شرفْ لا يقل عن عَملِ الموظفُّ والطَّبِيب والمهندسِ لأن الحَياةَ مترابطة بعضُها ببعض فإذا أُهمِلَ جانبٌ منها تأثّر واختل الجانبُ الآخر .

الناس للناس من بدو ومن حضر بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

ولَا يَستحقِرَنَّ أحدُكُم من الأَعمَالِ شَيئاً فَهذه حِكمةُ الله تعَالى أنْ يَسَّرَ لِكلِّ حِرْفةٍ من يقومُ بهَا وهوَ مقتنعٌ بهَا يَسعَى إليهَا بِجدٍّ وَنشاطٍ وإلاَّ لَاختلَّ نِظامُ العَالَمِ وارتبكت الحَيَاة وَكلٌّ مُيسرٌ لما خلقَ لَهُ وما دَامَ الهَدَفُ من العَملِ وَاحدٌ لدَى العَالِمِ والمفكّر وَالعَامِلِ والطَّبيبِ والمهندسِ والفلاَّحِ وعاملَ البلديةِ والتَاجرِ فالناسُ متساوُونَ أمَام الدعوة إلى العمل والاحترافِ فلَا يفخر شريفُ الحِرفةِ على وَضيعِ الحِرفةِ لأنهمَا

يعملانِ لِهَدفٍ واحدٍ ومصلحةٍ واحدة وإن كان أفضل في المجتمع فإنما هـو باعتبـارات أخرى ولذَا نجدُ رَسولَ الله ﷺ يقولُ فيما رَواه عنه ابن عمر رضي الله عنه : (( إن الله يُحبُّ المـؤمنَ المحترفَ )) ويقولُ فيمَا روتهُ عنهُ السيدة عائشةُ رضي الله عنها : (( مَن أمْسَى كـالاًّ مـن عَملِ يدِه أمْسَى مَغفوراً لَهُ )) .

أيها المسلمونَ : لقد وَعد الله العَامِلينَ مِنكُم الـذين يَجهـدُون لكـسَبْ عَيـشِهم بـالجَزاءِ الأَوفَى يومَ القيامَةِ فضلاً عما يكسِبُونَ في الدنيا من نِعمةٍ وَستْر فقـال تعـالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[1] والشرطُ الوحيدُ للحصُولِ على هَذا الأجر الربَـاني هو أن نَصْطحِبَ دَائماً النيّةِ الصَّالحةَ ونحتسبَ ما نلقَى من عناءٍ وَمشقةٍ عندَه تعَـالى ونـصبرَ على ما نلقاهُ من تعَبٍ في طريقِ أدَاء العَمـلِ ونـتَحلَّى بـالإخلاصِ والتفـاني في أدائـهِ وَبهـذا نستطيعُ أن نَنالَ الجزَائَين إن شاءَ الله تعالى الجزاءَ العاجلَ في الدُّنيا من صَاحبِ العَملِ نتيجـةً لِعَملِنا هذا والجزاءَ الآجلَ من ربّ الكونِ وخالِقِه المطّلِع عَلَى قلُوُبنا وَنيَّاتِنا وَطهارةِ ضمائِرنا مِن الريَاءِ وَحُبِّ الظهورِ وهذا المعنى هو ما حدَّث به النبي ﷺ فـيما رواه كعـبُ ابـن عجـرةَ رضي الله عنه قال : (( مرَّ على النبيّ ﷺ رَجـلٌ فَـرأىَ أصـحابُ رسـول الله ﷺ مـن جلـده ونشاطِهِ فقالوا يا رسولَ الله : لو كان هَذا في سَـبيلِ الله ؟ فقـالَ رسـول الله ﷺ : (( إن كَـانَ خرَجَ يَسْعَى عَلى وُلدِهِ صِغَاراً فهو في سبيل الله وإن كَانَ خرَجَ يَـسعَى عـلى أبـوين شـيخَين كبيرين فهو في سبيلِ الله وإن كانَ خرجَ يسعَى على نفسهِ يعفُّها فهـو في سـبيل الله وإن كـانَ خرَجَ يَسعَى رِياءً ومفاخرةً فهو في سبيلِ الشيطانِ )) رواه الطبراني

(١) سورة الزخرف ٧٢.

أجل جاء الإسلامُ يأمرُ بالسعي والعمل ويحثُّ على الاكتساب ووضع لِبنَة قوانينَ المُعَامَلاتِ التي يعيشونَ بها آمنينَ مطمئنينَ على دمائِهم واموالهم وأعراضهم واحسابهم وانتسابهم وأخبرَنا أن هذا المالُ قد يكونُ وسيلَةً للوصول إلى الجنَة ومرضاةِ الله تعالى وهو ما إذا اكتسب من حِلٍّ وصرف فيما يرضِي الله بنيةٍ صالحةٍ ، وقد يكون عكسَ ذلك والعياذُ بالله وكانَ السلفُ الصالحُ رضي الله عنهم عَامِلين مكتَسِبينَ لا يَنظُرُ منهُم احدٌ إلى مَا في يَد الآخِرَ ولا يَمنعُهم الدينُ عن الاكتسابِ ، ذُكِر للنبي ﷺ رَجلٌ يصومُ النهارَ ويقومُ الليلَ وقد انقطعَ للعبادةِ فقالَ من يُنفِقُ عليَه ؟ قِيلَ أخُوهُ قالَ النبي ﷺ أخوهُ خيرٌ منه وقال ﷺ : (( لا خيرَ فيمَن لا يحبُّ المَالَ لِيصلَ به رَحمَه ويؤُدِّيَ به أمانتَه ويَستغنِيَ بِهِ عَن خَلق رَبِّه )) وكانَ يقول ﷺ : (( اللهم إني أعُوذ بك مِنِ الكُفرِ والفَقْرِ وعذَابِ القبر )) اللهم اجعلني وإياكم ممن عرف الحقَّ وشهِدَ به وحُبِّبَ اليه الخيرُ وعمل بهِ ، وفقَنَا جميعاً لمُتَابعةِ رُسلِه وكُتبه .والله يقول وبقوله يهتدي المهتدون ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ وقال عز من قائل كريم : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [1] بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني بالآيات والذكر الحكيم .

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيمَ لي ولكم فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

## الخطبة الثانية

(١) سورة يس ٣٣-٣٥.

الحَمَدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتْقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَ أَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُـلَّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَ بَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا م مُحَمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَـرِ ، وعَـلَى آلِــهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

عِبَادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى اتَّقُوا الله مِنْ سَمَــاعِ اللَّغْـوِ وفُـضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أيها المسلمون : قال بعض الحكماءِ ( لأَنْ يجمعَ المرءُ مَالاً لأعدائهِ بعدَ مَوتهِ خَـيرٌ لـه مـن الحَاجَة فِي حياتهِ لأصدقائهِ ) ، وقال آخر ( من حَفِظ دنيـاهُ فَقـد حفـظَ الأكـرَمَين دِينَـه وعِرْضَهُ )، وإذا كانَ العملُ مَجهدَةٌ فإنَّ الفراغَ مفسدةٌ لا سيَما الـشباب لا بُـدَّ أن يقـضيَ أوقاتَ فرَاغهِ في عمل ما ينفعُهُ في دِينه ودنياهُ (( ونعمتان مغبون فيهما كثـير مـن النـاس الصحةُ والفراغُ )) صدق رسول الله وقال حكيم إن الشباب والفـراغ والجـده مفـسدَة للمرء أَيُّ مفسدة تَركَ العمل يدعُو إلى الفقر والمسكنةِ والمهانةِ ولا ترىَ الرجلَ السَّبهللَ (أَي العَاطل) إلاَّ في غَايةِ الضعفِ والبُؤسِ وَالاستكانَةِ مَهمُوماً مغمُوماً ، ولَـيسَ لـه في

الناسِ مَكانةً ومنزلةً قد أتعبَهُ سُؤالُ النّاس وأذلته الاستِدانَةُ والبَطالَةُ لا تنتجُ إلا بغـض صَاحبها وحَالتُه تدعُو إلىَ الزُّورِ والكَذب وَالـسَّرقةِ والخِيانـةِ والغـشّ ولـيسَ لَـهُ عَهـدُ ولاَ ذمَّةٌ ولاَ عَزِيمةٌ ولاَ هِمةٌ ولا أمَانةٌ وظيفتهُ التَسكعُ في الأسواقِ والـشوارِع ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾[1] وقـال تعالى : ﴿ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[2] فالله تعالى هـو الذي يهبُ لعباده ما تنتجه الأرضُ من محاصيلَ وفيرة وجعل فيهـا البـساتينَ والنخيـلَ بدلا من قضائه في مجالسِ اللَّهو ومضغ شجرةِ القـات التـي أكلـت الأخـضر واليـابس لمجرد الاستحسان والتقليد الأعمى . ولكنه تعالى يربط ذلك بعملِنـا نحـن في الأرض واستصلاحها فيقول ﴿ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾فخيرات الأرضِ لم تَهبط علينا من فـوقِ رؤوسِنَا بدون جهد وجـد أو تـأتِي إلينـا بالهُوَيحُـل . نعـم تفـضل الله علينـا ان هيـأ لنـا الظروف وذلل لنا الأرضَ وأقدرنا على العمل ووهـبَ لنـا الـصحةَ والعقـلَ والـذكاءَ والآلة للزرع والسقي فله الحمد والشكر على توفيقه ومنحه كلما نحاتج إليـه بـل علينـا مضاعفةُ الجُهد في الإنتاجِ في كل مجالاتِ الحياةِ كي نحقـق كـلَّ مطلـوبٍ ومرغـوبٍ في أقربِ وقتٍ ممكنٍ وجاء في بعض الآثار : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقـول اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وإنما يـرزق الله العبـاد بعـضهم من بعض ، وأُعجِبَ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يـومَ بنـاءِ مـسجدِه بالمدينـةِ ورَأى أصحابَه كيف يتسابقون ويتنافسُون فِي العمل فهذا عمارُ بن ياسرٍ الصحابيُ الجليلُ رضي

(١) سورة فاطر ١٠.

(٢) سورة يس ٣٥.

الله عنه كان يحملُ على ظهرهِ حجرين وكان غيرهُ يحملُ حجراً حجرا وما ذلك إلا لإدراكهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقيمةِ العملِ في بناء المجتمعِ الإسلامي وإن لنا أيها المسلمون الأسوةَ الحسنةِ والمثلَ الأعلىَ في نبينا محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وأصحابِهِ الكرامِ في أعمالِنا وأقوالِنا وحياتِنا ألا فلنأخذ العبرةَ الحقة من حياتِهم (( إن في قصصهم لعبرة )) وما يذكر إلا أولو الألباب ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (1) فإذا قبِلَ منكم أعمالكُم أدخلكم الجنةَ ﴿ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (2) .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ الْمُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِرَاً وآمِرَاً لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصَاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَلِي، والمَقَامِ الأَفْضَلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِي ، وعَنْ رَيْحَانَتَي نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَابَ أَهْلِ الجَنَّةِ ، أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ ، وأَبِي عَبْدِالله الحُسَينِ، وعَلَى أُمِّهِمَا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ المُخْتَارِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِي عَمَارَةَ الحَمْزَةَ ،

---

(1) سورة التوبة ١٠٥.

(2) سورة الزمر ٧٤.

وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيِّـكَ تَحْتَ الـشَّجَرَةِ طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَـنْ جَمِيـعِ أَصْـحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَانَ الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجـلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَـصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشُفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَـا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِـالعَفْوِ والغُفْـرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِيَ الحَاجَـاتِ وغَـافِرَ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانَنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوعِ بِلادِنَـا خَاصَّةً وسَائِرَ بِـلادَ الـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبَنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَ وَلِّ عَلَينَـا خِيَارَنَـا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءِ مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَـعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْـدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَـنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ

السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثـاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

عِبَـــادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَـذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# القصد والعفاف

## الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ الذي أَسْبغَ عَلَينَا نِعَمَهُ ظَاهِرةً وَبَاطِنَةً ، وَمَكنَّنَا كُلَّ التَمكـين ، أَو مَلَّكَنَـا زِمَـامَ التَمْلِيكِ فِي إِدَارَةِ شُئُونِ الحَيَاةِ ، فَهَـا نَحـنُ نَرفُـلُ في حُلَـلِ الـسَّعَادَةِ الفَـسِيحَة وَنُتَمَتـع بِمَلَذَاتِهَا العَجِيبَة ، وَتُفَاجأ دَائِمًا في مَعرَكَةِ الحَيَاةِ كُلَّ يَـوم بِـالمُبتكَرَاتِ الغَرِيبَـةِ فَـسُبْحَانَهُ جَعَلَ المَالَ عِمَادَ الحَيَاةِ وَأَعَانَ بِهِ الإنسَانَ عَلَى دِيْنِـهِ وَدُنيَـاهُ ، وَحَـذَّرَهُ مِـن الإِسرَافِ فِيـهِ وَالتَّبْذِيرِ كَمَا نَهَاهُ عَن التَقتِيرِ فِيهِ وَالتَقْصِيرِ وَأَمَرَ بِالاعتدَالِ وَالتوسُـطِ في الإِنْفَـاقِ حَيـثُ قَالَ عَزَّ مِن قَائِـل : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ ﴾[1] وَأَشْهَدُ أَن لاَ إِلهَ إِلاَّ الله وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ يَعِزُّ مَن يَشَاءُ وَيَذلُ مَن يَشَاءُ وَهو أَحكَمُ الحَاكِمينَ يَهدِي مَن يَشَاء وَيُضِلُّ مَن يَـشاءُ وَهـو رَبُّ العَـالمين ، وَأَشَـهدُ أن سَيدنا مُحمداً عَبدُهُ وَرَسُولُه الأَمِين ، وَالمُرشدُ العَظِيمُ إِلَى مَصَالِحَ الدُنيا وَالدِين ، وَالمُنَزَّلُ عَلَيهِ في مُحكَمِ الذِّكِرِ المُبِـين ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾[2] وَالقَائِـل صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّم (( إِنَّ الله يَكْرَهُ لَكُم قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثرَةُ السُؤالِ ، وَإِضَاعَةَ المَـالِ )) اللَّهُم صَلِّ وَسَلِّم عَلَى سَيدَنَا مُحمدٍ المَبْعُوثِ بِالهُدَى وَالحِكْمَةِ رَسُول إِلى خَـيرِ أُمـةٍ صـلى الله عليه وآله وأصحابِهِ الأئمِةِ وَالمَوصُوفُونَ بِصِدقِ العَزِيمَةِ وَعُلوّ الهِمَّة وَعَـلى التَّـابِعِينَ لَهُم بِإحسانٍ في العَقَائِدِ وَالأقَوالِ وَالأَفعَالِ .

---

(١) سورة الفرقان ٦٧.

(٢) سورة الأنعام ١٤١.

أيها المؤمنُون : أوَصِيكم وَنفسِيَ بتَقْوَى الله تَعـالَى فـاتَّقوا الله فـيما اسْـترعَاكُم علَيـهِ ومَـا تملِكونَ واخشوَهُ فِي تَصَرُّفَاتِكُم فيما ائِتمنتُم عليه مِن مَالٍ وَوَلدَ فستقِفُونَ مَوقفاً صَعْباً في يومِ لاَ ينفعُ فيه مَالٌ وَلا بَنُونَ للحِسَابِ على النَّقِيرِ وَالقِطميرِ والفتيـل وَلاَ يَغـرَّنكُم مِـنْ هَذِهِ الدنيَا بَرِيقُّها وَلا تَخدَعنكُم بِحَلاوَةِ رَحيقهَا فإنَّها خَدَّاعَـةُ مكَـارَة خَتَالَـةٌ فَتَّالَـةُ كـم مَزَّقتْ من ظلَّ يجمعُهَا وَشَتَّتْ شمْلَ مَن بَاتَ يَحْرُسُها .

عبَادَ الله : نِعَمُ الله عَلى خَلقِه لاَ تحصىَ ولا تُعَدّ وَفضلُهُ الواسِعُ علىَ عبادِه عَظـيمٌ لا يُحَـدُ وَمِنْ جَلائل نِعَمه المالُ والوَلدُ وَصِحةُ العَقل وَالرُّوح وَالجسَدِ ، وَمَن رُزِقَ المال وعَرفَ حَقَ الله فيه وُفّقَ للخَيرِ وَسـعَادَةِ الأبَـدِ ومَـن كَـسَب المـالَ مِـن حِلِّـهِ صَرَفَـهُ فِي وُجُـوهِ البرِّ والإحْسَان وَمَن اكتسَبَهُ مِن غَير حِلِّهِ اسْتعَانَ بهِ عَـلَى الفُـسُوقِ والعِـصْيَانِ وَتَمـادَى بِسَببه في الظْلمِ وَالبَغْي وَالعُدوَانِ والإسرافُ والبخلُ وصفتَانِ مَذمُومَتانِ في كلِّ إنـسَانٍ : يُطيعُ نَفْسَه وَهَـواهُ والـشَّيطانَ ، فَمنـعُ الزَكَـاة وقَطيعَـةُ أرحـام وإسِـاءَةُ إلى الأقَـاربِ والجيرَان وحِرصٌ وَطَمعٌ وَبذَخٌ وأنانية وَطغيَانٌ ومخالفةٌ لقَّولِ رَسوُل الله صَلَّى الله عَلَيْـهِ وَسَلَّم (( كل واشرب والبس وتصدق ما سرف واختيال )) .

وكلُ فَضِيلَةٍ تأتي وَسَطاً بينَ طَرفَيْنِ ممقُوتَينِ طَرفُ فِيه إفراطُ وآخِرُ فيه تَفريطٌ فالاعتدَالُ في نَفقةِ المَالِ فَضِيلَة بَينَ الإسرَاف وَالتقتير والشجاعة فضيلة بين الجبن والتهور مصداقا لقولِه تعَالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾[1]

وهكذَا القَرآنُ يُخاطبُ سَيّدَ المرسَلين الصَّادقَ الأمينَ بقولِه تعالى : ﴿ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا

(١) سورة الفرقان ٦٧.

﴿٢٦ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [1] والواقعُ أنَّ الخِطَابَ عَامٌ لَنَا نحنُ المُسلمينَ وحَاشاه أن يكونَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ مُبذِّراً او بخِيلاً وهوَ المبعُوثُ بِتعَاليمِ هذهِ الشَّريعةِ الغراء وآدَابِ الدِّينِ ورسُول هذهِ الأمَّة المُعتدلةِ الوسَطِ كما قال تعَالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [2] وفي الحديث الشريف : (( خيرُ هذه الأمةِ النمطُ الأوْسطُ يلحقُ بهم التالِي ويَرجِعُ إليهم الغَالِي )) .

أيها المُسلمونَ يا أَتباعَ محمَّدٍ ابن عبدالله ربَّما إنَّنَا اليومَ ونحنُ نَقِفُ عَلَى أعتَابِ مستَقبلٍ يُبشِّرُ إن شاء الله تعالَى بحَيَاةٍ مُزْدَهِرَةٍ بسط علَينا الدُّنيا بِسَاطَهَا وتغمُرنَا بِنعَمِهَا وَخيرَاتِهَا وَليسَ عَلَى الله ذلك ببعَيدٍ وَلكنَّه كما تَعتَقِدُ أَقرَبُ إلينَا مِنْ حَبْلِ الوَرِيْد والذي تخشاهُ لَيسَ الذي يَخشَاهُ الكثيرُ منا هُو الفَقْرُ وَلكنَّنَا نَخَافُ مَا قاله رسولنا المعلم الأول والمربي العظيم في قوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم : (( والله ما الفَقْرُ أَخْشىَ عَليكُم وَلكنْ أَخشَى أنْ تُبسَطَ الدُّنيا عَليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتَنَافسُوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم )) رواه البخاري صدَقَ الله وَصدَقَ رَسُولَهُ . فهَا نَحنُ اليَومَ نتَنَافَسُ وَنتَزَاحَمُ عَلَى الدنيَا ومظاهِرهَا الفَارَغَةِ وَبُرُوقِها الكَاذِبَة وَهيَ لا تزالُ بعيدةً عنَّا تَسْخَرُ مِنَّا فَكيفَ إِذَا أَفَاضتْ بِرِحَابِنا واسْتَقرَّتْ فِي شِعَابِنَا وَنَحنُ كما كنَّا أهلَ المُكابَرَاتِ والمظَاهِرِ وَأهلَ التنافس في المنكَرَاتِ والمنَاكِرِ المُسرْفينَ في البَاطِنِ والظاهر المبذِّرينَ فِي سَبيلِ الشيطان اللعين المكابر البخلاء في سَبيل الله الوَاحِد القاهِر المقتِّرين الأشحَاءِ حينَ

---

(١) سورة الإسراء ٢٦.

(٢) سورة البقرة ١٤٣.

لا مُنَاصِرَ ولا مُؤازِرَ فَلنظرْ بإمْعانٍ وَرويَّة فيما نَحنُ فيه نَجدْ أنفُسَنَا ما بَـينَ مُقـتِّرٍ بَخِيـلٍ حِينَ يَجبُ البـذلُ والعَطـاءُ ، او مُـسْرِفٍ مُبـذرٍ حِـينَ يُطلـبُ منـهُ الاعتـدَالُ في النَفَقَـةِ وَالمَصْرُوفَاتِ نحنُ نُسْرفُ إسَرافاً فَاحِشاً فِي كلِّ تصرفَاتنَا بلَا حِـسَاب المـسرف يَـذهَبُ مَالُه وَيَسُوء حَالُه ويَبغضُهُ أقارِبُهُ وأصْدقائُهُ وَعيَالُهُ فَيصحبُه الأنـذَالُ وَيَخدَعُـهُ المُحتـالُ وَيثني عليه كُلُّ دَجَّالٍ وَالمُسرفُ المُبذرُ يجبُ الحَجرَ عَلَيه لِأَنَّهُ داخلٌ في قَولِه تعَالَى : ﴿ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ ﴾[1] فكم منْ ثَروَةٍ ذَهبَتْ هَدَراً وَمَالٍ كَثـيرٍ تَبـدَّدَ وَبَيـتٍ عَـامرٍ أقفـل نَتيجَـةَ الإسْرافِ وَصرفِ المال في غَيرِ طَائلٍ فَهذا شَابٌ قَضى جُـلَّ شـبَابِه مُغْتربـاً أو متَـنقلاً في البُلدَانِ وَالأَريَافِ لِيَصُونَ دِينه بالزَّواجِ وَيَعفُ نَفسَه فَيتكلَّفُ مِـنْ أجْـلِ ذَلـكَ حَـصيلَةَ شَبَابِه فِي يَومٍ أَوْ يومَيْن لَيسَ منْ أجلِ الزَّواج نفسِهِ وإنَّما يُنْفِـقُ المَـالَ في بَعـضِ العَـاداتِ والتَقَاليدِ التِي فَرضناهَا ولاَ نَزالُ نفرضها عَلَى أنفُسِنَا لِمُجـرَّد المظـاهِر الفَارِغـةِ وَمَـديح بعضِ النَاس المغفلِّينَ البُسَطَاءِ وأشباه الرِّجال ولا رِجَال وهو أبو الزَّوجةِ الفتاةِ المِسكينِ الذِي يَتجرَّعُ المَراراتِ مَرَّاتٍ وَكَرَّاتٍ فِيمَا يُنفقُهُ من تَجْهيزِ بنْته بكَثيرٍ مِنَ التَفاهَاتِ مُقلِّـداً غَيرَهُ فِي العَاداتِ السَّيِّئةِ والتَرَّهاتِ ، ورجَالُ البَلد وأهل الحل والعَقد لا يحركونَ سـاكِنَا ولا يسكِّنُونَ متحركاً وَصَارَ الإسْرافُ عِنْدَنَا مَظهراً حَضارِياً وَصفَةً لِلرُّقـيّ والتمـدُّنِ ، فلا نَخْرُجُ مِن أفرَاحِنـا وأتراحنـا إلا وَقـد ارْتكبتنـا الـدِّيُونُ وَأرهَقنَـا أنفُـسَنا والأهـلَ وَالعِيَالَ . وَنَجِدُ الكَثيرَ من يُكَابِرُ بهَذِهِ المَظاهِرِ الجَوفاءِ بَخِيلاً مُقـتِّراً في جَوانِـبَ أخـرَى عَلَى نفسِه وَعَلى عِيَالِه في النفقةِ اليَوميةِ وَالمشَاريع الخيريةِ لا تَظهرُ علَيه آثارُ نعمةِ الله وَلاَ

---

(١) سورة النساء ٥.

على أهْل بيتِهِ لا في مَلبَسِهِ ولا مَأكلِهِ ولا مَركَبِهِ ، لَيْسَ لَهُ مُشارَكَةٌ ولا يَد بَيضاء في المَجالاَتِ الخَيرِيةِ وَهْوَ يَكنزُ المَالَ وَالثروَةَ الطَّائِلَةَ ، يُقصِّرُ حَتى فِي إِخْرَاجِ الزَّكَاةِ الوَاجبَه من بُخله وَشُحِّهِ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1] فالمُسرفونَ المُبذِرُونَ والبُخَلاءُ المقتّرونَ في نَفقَاتِهم وَمَصرُوفَاتِهِمْ محرُومُونَ ظَالِمُونَ لأنفسهِمْ تَفُوتُهم فُرصُ الخَيرِ وَيَنْدَمُونَ عَلى مَا فاتَهم اليومَ وَغداً ولاَتَ ساعةَ منـدَمٍ يَعَضُّونَ اكفَّهُم حسْرَةً وَنَدامَةً لأنَّهم بَعُدُوا عَنِ الطَّرِيقِ السَّوَيِّ الوَسَطِ فَهُم بَينَ إفْرَاطٍ وَزيَادَةٍ أو تَفرِيطٍ وتَقْصِيرٍ بَعُدُوا عَنِ إرشَادَاتِ الإسْلام وَتَعَالِيم رَبِّ الأنَامِ وهو القائل : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[2] وَهَذَا الكَلامُ قَد يُخطِئُ ذُو النظرِ القَاصِرِ في فَهْمِهِ وقَد يَحسِبُهُ حِرْمَاناً وإبْعاداً لِلمُسلمِ عَنِ الحَياةِ وَحثّاً لَهُ عَلَى تَركِ طَيبَّاتِها وَهَجْرِ مِتعَهَا ومَلَذاتِهَا وَلكِنَّ الإسلامَ بتعَاليمهِ السَّمحَةِ لا يقصُدُ إلى شَيءٍ مِنْ ذلك فإنَّ تَحريَم الحَلال كتحليل الحرامِ سواءً بسواءٍ جَريمةٌ منكرَةٌ وَحقُّ الله عَلَى المسلمِ ألاَّ يَغْلبَ الحَرَامُ صَبرَهُ وَلا الحَلالُ شكرَهُ أمَّا حَقُّه فِي الحياةِ والاستمتَاعُ بخيرَاتها فلا رَيبَ فِيه ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[3] ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[4] .

---

(١) سورة الضحى ١١.

(٢) سورة الإسراء ٢٩.

(٣) سورة الأعراف ٣٢.

(٤) سورة المائدة ٩٣.

والإسلامُ يوصي بارتداء الملابس الجميلة ويكرَهُ للرجل أَن يُبَـاهِيَ بهَـا أو يختَـالَ فرب امرئ لا تُساوى ثيابه درهماً ترجحُ نفسُه الشْرِيفةُ العَظيمةُ بالقَنَاطِيرِ المُقنطَـرةِ مِـنَ الذهَب وَالفضَّةِ قَال رَسولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم : (( رُبَّ أَشْعَثَ أغبَرَ ذِيْ طِمْـرَيْنِ لَو أُقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ )) وَلا يُسْتَنتجَ من هَذا أن الإسلامَ يُحِبُّ المَلابسَ القذرَةَ الرزيةَ ، او يُرحِّبُ بالدَّروَشَةِ المُستكرهَةِ ولُبْسِ المرقَّعَاتِ ، وارتداء الخِـرَقِ البَاليـاتِ كـلاَّ كَـلاَّ . سَأَلَ رَجلٌ عَبدَالله بن عمر رضي الله عَنهما قَائلاً لهُ : (( مَا ألبسُ من الثِّياب ؟ قـال : مـا لاَ يَزْدَريْكَ فِيهِ السُفهاءُ ، وَلا يَعِيبُكَ بِهِ الحكمَاء قالَ : ما هُو ثمنُهُ قال : مـا بَـينَ الخمـسةِ دَرَاهم الى العِشرِينَ دِرْهماً )) رَواهُ الطبراني وهَذا التثمينُ يُلائمُ عـصرَ ابـنِ عمـرَ ورُبَّـمَا يزيدُ علَيه عصرُنا كثيراً

والإسلامُ يُحبُ البسَاطةَ وعَدمَ البَذَخِ فِي هذه النَفقَاتِ رَوَى قيسُ بن حَازمٍ قال : أتينا خَبَّابَ بن الأرَتِّ رضي الله عنه نعُودُهُ وقد اكتوَى سَبعَ كياتٍ في بَطنِـه ، فقـالَ : إنَّ أصْحَابُنا الذينَ سَلفُوا مَضوا ولمَ تنقصْهُم الدُّنيَا وَانَّا أَصَـبْنَا مَـا لا نَجِـدُ لَـهُ مَوضِـعاً إلاَّ التُّرابَ !! وَلو لَا أنَّ النبيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم نَهانَا أَنْ نَدعوَ بالمَوتِ لَدَعَوتُ بِـهِ !! ثـم أتَينَاهُ مَرَّةً أخرَى وهو يَبني حَائطاً لَهُ فَقالَ : إنَّ المُـسْلِمَ يُـؤجَرُ في كُـلِّ شَيءٍ يُنفقُـهُ إلاَّ في شَيءٍ يجعَلُهُ فِي هَذا التُّرابِ )) رواه البخاري ، فَهَذا الـصَّحابيُ الجَليـل كَـانَ يَبنـي فِعـلاً ولكنَّه لحِسَاسِيتِهِ الشَّديدَةِ بوُجُوب الإنفَاقِ في سَبيل الله يعترفُ أن مَـا يَتكلفُـهُ في البنَـاءِ مِن نَفَقةٍ لاَ أجرَ لهُ فيهِ وهو لا أجرَ لهُ فِيه بتاتاً إنْ كَانَ يَبنِي مفاخرَةً ومُكاثرةً وذُهُولاً عَن الآخرَةِ وتَعشُّقاً للدُّنيَا فإنْ كَانَ يَبنيْ مَا يَقِيْهِ ويَكفُلُهُ فَإنَّ أجْـرَهُ فيـه مُـدَّخَر والبِنَـاءُ هُنـا عبادةٌ ، أما الأَثاثُ فحكمُ الإسلامَ فيه مَعرُوفٌ وحَاسِمٌ لَقد قَطَـع دَابِـرَ الـتَّرف دَاخِـلَ حُجُراتِ البَيتِ وكَرَّهَ انتشارَ الطَّنافسَ –الفُرُش والوَسَائِد– وَالزَّخَارفَ فِي نَواحِيهِ قـال رسولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم لمعاذ بن جبل حِينَ بَعثَه إلى اليَمنِ : (( إيَّاكَ والتَّنَعُّمَ فـإنَّ عِبَادَ الله لَيسُوا بِالمتنَعِّمِينَ )) رواه أحمد وَعَن حُذيفَةَ بنَ الـيمَانِ قـال نَهـى رَسـولُ الله أن

نَشرَب في آنيةِ الذَّهبِ والفضةِ وأن نأكل فيهَا وعَن لُبس الحَريـرِ والـدِّيبَاجِ وأن نَجلسَ عليه )) رواه البخاري .

إن التوسط لبُّ الفضِيلة والتوسطَ هُنَا أنْ تملِكَ الحياةَ لتسخِّرها في بُلُوغ المثُـلُ العُليَـا لَا أنْ تملكَكَ الحياة فتسخركَ لدَنايَاهَا ولا أن تُحْرَمَ من الدنيا فَتقعدَ مَلُوماً مَحسوراً إنَّ الله قد نَعى عَلى قَومٍ وَلعَهُم باللذّائذ وافتِتَانَهُم بالمَرَح واللّهو وانحصارَهُم فِي مَطالِبِ الجَسد الدَّنيئَة وَعندما يَلقَون جَزَاؤهم عَلى ذلكَ سَيذكِّرهُم بأنَّ ذَلِكَ لِفُقدَانِهم العَفَافَ والقصدَ وانطلَاقهم مَع الغِوايَة والمُجونِ فيقـول لَهُـم : ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾[1] .اللهم أصلح لنا دينَنَـا الـذي هـو عـصمة أمرنـا وأصلح لنا دنيانَا التي فيها معاشَنَا وأصلح لنا آخرتَنا التي إليها معادنـا واجعـل الحيـاةَ زيادةً لنا في كل خير واجعل الموتَ راحةً لنا من كل شر .

والله يقــول وبقولــه يهتــدي المهتــدون ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ وقال عزَّ من قائل كـريم : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ أعوذ بالله مـن الـشَّيطانِ الـرجيم : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني بالآيات والذكر الحكيم . أقول قـولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

## الخطبة الثانية

(١) سورة غافر ٧٥.

(٢) سورة الأحقاف ٢٠.

الحَمَدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتْقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَـتِمُّ شَيءٌ دُونَـهُ.وَ أَشْـهَدُ أَنَّ سَـيِّدَنَا مُحَمَّـدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلَّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَ بَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا م مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ الُمحَيَّا والَمنْظَـرِ ، وعَـلَى آلِــهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

عِبَادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى اتَّقُوا الله مِنْ سَمَــاعِ اللَّغْـوِ وفُـضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أما بعد أيها الُمسلمونَ : قَالَ الحكماء الاقتصَادُ نِصفُ الَمعِيشة ومَا عَال مَنِ اقتَصَدَ وخَـيرُ الأمور أوساطها ، والفَضيلة وَسطٌ بَين طَرفَينِ ومَا عندَكُم يَنفَدُ ومَا عندَ الله بَاقٍ لَا يَنفدُ وَالسَّعيدُ مَنِ اعْتبرَ بأمْسِه وأصْلحَ يَومَـهُ واسْـتَعدَّ للغَـدِ وَمـنْ تعَـبَ فِي تحـصِيل شَيءٍ لَم يُخْرجْهُ إلا فِيمَا يُشكرُ علَيه وَيُحمَدُ والبَخيلُ بَعيدٌ عنَ الله بَعيدٌ عنِ الجنةِ قَريبٌ مـنَ النَّـارِ وَعَكسُهُ السّخيُّ الجوادُ كما جَاءَ ذلك عن سَيدنا محمد فكونُوا عِبَادَ الله كما وصـفكم الله جَلَّ جلالُهُ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾

وقَولُـــــهُ ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾[1] وقولـــــه تعــــالى ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ ﴾[2].

وروي عن النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم : (( سَيكُونُ رجَالٌ مِنْ أمَّتي يَأكُلُونَ ألوَانَ الطَّعَامِ وَيَشْرَبُونَ ألوَانَ الشَّرابِ وَيَلبَسُونَ ألوانَ الثِّيابِ وَيتَشَدَّقُونَ فِي الكَلَامِ أُولئكَ شِرارُ أُمَّتي )) رَواه الطبراني .

أيهَا الإِخوةُ الأعزاءُ : في هذه الأيام يُجب علَينَا أن نُعيدَ النظرَ في كثير من شئونِ حياتِنا وتصرفاتِنا فارتفاعُ الأسعار الفاحشُ في كل المَوادِ التي نحتاج إليهَا وَالشرَّهُ الذي اعترى الكثيرَ مِنَّا جَعَلنا نَعيشُ في غابةٍ وُحُوشٍ ضاريةٍ يَأكُلُ القَويُّ منَّا الضَّعيفَ وتَجتَاحُ أَسْواقُنا مُضَارَباتٌ لَيْسَت فِي صَالحِ الفُقراءِ بأيّ حَال من الأحْوالِ فنَسمعُ أنينَ البؤسَاءِ تَحتَ هذا الكابوسِ الثقيل منَ الغَلاءِ والابتزَازِ مع هـذا كلِّـه وُصـفْنَا نَحـنُ أبنـاءَ هـذهِ المَدينَةِ بالأشراف في كُلِّ شَيءٍ كَمَا هُو واقِعُنا ففي كُلِّ مَوادنا الاستهلاكية إسرافٌ وتبذيرٌ لقد أسرفْنَا كلَّ الإسْراف في أفرَاحِنَا فِي المَوادِ الغِذائية للمُباهَاةِ والمفَاخَرَة ؟ إسْرافنـا في الأثاثِ الذي لاَ فائدةَ مِنْهُ بل قد لا نستعملَهُ بـالمرَّة ولـو مَـرةً واحـدةَ نُـسْرف حتـى في استهلاكِ الكهرُباءِ والمِيَاهِ فِي أيامنا العاديَّةِ مما كانَ له تأثيرٌ عَلى خَراب بيوتنا وتَلوْث بيئتِنا وانتشارُ الأمراضِ بَيننا والخلاصَةُ إنَّنا نميلُ دائماً إلى الإسراف تحت تأثيرِ عاداتِنا الـسّيِّئة وعشعشت وأفرخت داخل بيوتِنا وأهْلِنا ونُنْشِّئُ عليهَا أبنائَنا وفلذاتِ أكبادِنا . بَينما لـو دُعينا إلَىَ مَشارِيعَ خيريةٍ أَو إنفاقٍ في سبيلِ الله أو مَصلحة عَامة تثَابُ عَليها تَرانَا نهـربُ

---

(١) سورة الأعراف ٣١.

(٢) سورة البقرة ١٩٥.

منها هروب الحُمر المستنفرة التي فرت من قسورة فالدين الإسـلامي الحنيـفُ يُوصـينَا دائما بالاقتصَادِ فِي كُلّ تصرُّفاتِنا وإذا وصَل بالمَرء الإسْرَافُ فِي المَالِ إلى حدٍّ يُخاف عليه ضَياعَ مَالِه يحجرُ علَيه شرعا ويمنعُ من التصرف في مَالِه .

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعـزائم مغفرتـك والعـصمة مـن كـل ذنـب والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم والفوز بالجنة والنجاة من النار .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَـدَأَ فِيـهِ بِنَفْـسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِـهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْـبِرَاً وآمِـرَاً لَكُـمْ تَكْــرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصَاً مِـنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِــي بَكْـرٍ وعُمَـرَ وعُثْمَــانَ وعَــــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَابَ أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْدِالله الـحُسَينِ، وعَلَى أُمِّهِمَــا الزَّهْـرَاءِ البَتُـولِ فَاطِمَـةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَةَ ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيِّـكَ تَحْتَ الـشَّجَرَةِ طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَـنْ جَمِيـعِ أَصْـحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَانَ الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِّيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيـهِ مَـصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشُفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَـا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِـالعَفْوِ والغُفْـرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِيَ الحَاجَـاتِ وغَـافِرَ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانَنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوعِ بِلادِنَـا خَاصَّةً وسَائِرَ بِـلادَ الـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبَنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَ وَلِّ عَلَينَـا خِيَارَنَـا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءِ مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَـعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْـدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَـنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثَاً مُغِيثَـاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَـاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

عِبَـــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَـذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# التربية الإسلامية

## الخطبة الأولى

الحمد لله المنعِم علينَا بالنِّعَمِ الجَليلـةِ المتفـضلِ بمننِـهِ العظيمـةِ الجزيلـةِ وهبَاتِـه الحَـسَنةِ الجميلةِ فنحمدكَ يا الله وحمدُنَا لكَ قلِيلٌ وفضلك علينا عظيم وجليلٌ ، حَمـداً لَـكَ عَـلى نعمةِ الإيْجادِ وشكراً لك على كثرةِ الإمدادِ ونثني عليك بما أوليتَنا من الإرشَادِ ووهبتنـا من الأولادِ والأحفادِ وعلمتَنَا في محكم كَلامِكَ بقولِك ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾[1] .

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ لهُ لَه الملكُ وله الحمدُ ونسألُه أن يمدَّنا بـأموال وبنين وأن يَجعَلَ لنَـا جَنَّـاتٍ ويجعـلَ لنَـا أنْهـاراً ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾[2] وأشهدُ أن سَيَّدَنا محمداً عَبدُهُ ورَسُولُهُ الدَّاعي إليه جَهْـراً وإسَراراً والمنـزِلُ علَيـهِ قَولُـه تعَـالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾[3] والقائـلُ صَـلَّى الله عَلَيْـهِ وَسَلَّم : (( الولدُ من كَسْبِ الوَالِدِ )) وَبعضُ النَّاس لا يزيدُهُ مَالُـهُ وّولـدُهُ إلا خَـسَارَا ، اللهم صل عَلى سَيدِنا محمَّدٍ سَيدِ السَّادَات والمنقذِ منِ الضَّلَالاتِ صَـلَّى الله عليـه وَعـلى آله القَادَات وأصْحَابه الأئمةِ الثقَاتِ وَعلى التَّابعينَ لهُم بإحسَانٍ فِي العَاداتِ والعِبَـادَاتِ وَسَلمْ تَسليماً كثيرا .

---

(١) سورة الكهف ٤٦.

(٢) سورة نوح ١٣.

(٣) سورة التحريم ٦.

عبَادَ الله : أوصيكم وَنفسيَ بتقوى الله فاتَّقُوا الله في أنفسكُم وَما تملكـوُنَ واتقـوُا الله فِي أهلكم ومَن تعُولُون واتقوُا الله فِي أَولَادكُم أفلاذ أكبادكم وَمَن تُربُّـون فَـإنما هـم أماناتٌ وَوَدَائع أنتم عنهَا مسئولونَ وبحفظِها مُطالَبُون ، وما المال والأهلون إلا ودائـع ولا بد يوماً أن ترد الودائع .

أجل أيها المسلمونَ مَن رُزقَ المالَ والولدَ فقد رُزق خيراً عَظيماً وَمَن شكرَ الله على نِعمتِه زَادَهُ مِنها وكانَ الله شاكراً عليماً ومَن صَرَفَ نِعمةَ الله في معصيتِهِ سَلَبهَا عَنهُ وَأذاقَهُ عَذاباً أليماً ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[1] ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ﴾[2] وَمَن أدَّبَ أولادَهُ وأحسَنَ تربيتَهُم كَانَ شاكراً لأنْعُمِ الله مُستَوجباً للمَزِيدِ مِنهَا واسْـألوا الله مِـن فَـضلِه ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾[3].

فعليكَ أيها المسلمُ إذا أَرَدْتَ الذُّرّيَةَ الصالحَةَ أن تَتخَيَر الزوجة الصالحة التـي نـشأتْ في منبتٍ صالحٍ وأسْرةٍ صَالحةٍ كريمةٍ ولَا يغُرَّنكَ المالُ والجـمالُ فابْحـثْ عـنَ ذَاتِ الـدين وذَاتِ الأَخلَاقِ الفَاضلةِ فإنَّهنَ قَلائلُ وَفي هَذَا يقولُ عَليه الصلاة والـسَّلامُ : (( تُـنكحُ المَرأةُ لمالِهَا وَلجَمَالِهَا وَلِدينها فاظفرْ بِذَاتِ الدّينِ تربَتْ يَداكَ )) وقال صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم : (( تخيَّرُوا لِـنِطَفِكُم فـإنَّ العِـرْقَ دَسَّـاسٌ )) وقـال صَـلَّى الله عَلَيْـهِ وَسَـلَّم : (( إيـاكم

(١) سورة الأنفال ٥٣.

(٢) سورة الشورى ٤٩-٥٠.

(٣) سورة الأحزاب ٥٤.

وخضراءَ الدِّمَنِ قيلَ وَمَا خضراءُ الدِّمَنِ قال صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم الفتاةُ الحسناء (الجميلةُ) تنبتُ في المَنبتِ السَّيِّء )) أو كما قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ واخِتيارُ الأم الصالحةَ لِبناءِ الأُسرةِ الكَريمةِ وَالعائِلةِ الشريفَة يُعدُّ بِمثَابَةِ القواعد والأُسُس للبِناءِ فالأمُّ مَدرَسَةٌ أُولَى للطِّفلِ :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

الأم أستاذ الأساتذة الأول أحيت مآثرهم مدى الأفاق

ثمَّ يأتِي بَعدَها دورُ الأبِ (( فالمَولودُ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ وأبوَاهُ يُهوِّدانِهِ أَوْ ينصِّرانهِ أو يمجِّسَانِهِ )) فالتربيَةُ المنزليةُ اليَومَ عنْدمَا تَخَلَّفْنَا لَا تَعْدُو كَونها تَربيةً جِسْمِيَّةً وَحتَّى التربية الجِسْمِيةَ قَد يفرِّطُ فِيها لِجَهلِنَا بالقَواعدِ الصَّحيةِ أمَّا التربيةُ الرَّوحيَّةُ والأخلاَقِيةُ والدِّينيّةُ فتكادُ تَكُونُ مَعدومةً ونحن في نفس الوقت ندعي بأنَّنَا حَملةُ الدِّينِ وحماتُهُ وَوَرثةُ أمجَادِهِ وَبُنَاتُهُ فالبَيت المدرسةُ الأولى ولَا تنجحُ المدارسُ الأخرَى إلاَّ بنَجَاحِ الأُولى فالأبَوان مُرَبِّيَان لَيسَ بالقَول فحَسب وَإنَّما عَملِيًّا يتأثرُ بِهِمَا الوَلدُ أولِ مَا يُمَيِّزُ وتنطَبِعُ شَخْصِيَّاتُهُما في مُخَيلَتِه صَالِحَةً أو طَالِحَةً فَهَاهُم أكثَرُ أطفالنا نَرَاهُم الآنَ فِي المسَّاجد وَالمدَارِس وَالشَّوارِع صُورَةً حيَّةً وأنموذَجاً لأهليهم في أقوَالِهم وأفعَالِهم وسُلوكِهم وانطباعِهم لَا تفِيدُ المدارِسُ والموَاعِظُ والتذكيرُ والبُيوتُ لَا تقوم بِوَاجِبهَا إزاء أبنائِها وَلا تنجحُ المَسَاجدُ والمعَاهِدُ في توجيهَاتِها وَالمجتمعُ والشَّارِعُ يُخرِّبُ ويُفسِدُ :

ولو أن بَانٍ خَلْفَهُ هَادِمٌ كَفَى فكيفَ بِبَانٍ خَلفَه ألفُ هادِمِ

المخربُونَ أَضعَافُ المصُلحِين وَمِنْ مزِيد الأَسَفِ انَّكَ إذا دَخلتَ مَنزِلاً أَوْ مَررتَ بِشَارِعٍ بلْ وإن زُرْتَ مِدرسَةً بل أكبرُ منْ ذَا وذَاكَ لو دَخلتَ مَسْجِداً للعِبَادَةِ لا تَرَى إلاَّ سُوءَ تَربِيَةٍ وَقُبيحَ تَنشِئةٍ وَذِهَابَ الأخْلاقِ وَفسَادَ أذوَاقٍ وَلا تسْمَعُ إلا فَاحِشَ القولِ وَمُنكَر

اللَّفظِ وَالكَلامَ النَّابيُّ مما يندَى لَهُ الجَبِينُ وَيَحَارُ مِنهُ العاقِلُ الفَطِينُ ، والآباءُ يَرَونَ ويَسمعَونَ وَهُم صامتُون أفيجُوزُ شَرعاً أوَعَادَةً أو عَقلاً أن نَعِيشَ كَما تعيشُ البهَائمُ ولاَ نفكِّر إلاَّ في الطَّعامِ وَالشَّرابِ واللَّبَاسِ ، يُضَيِّع مِنَا الخَلَفُ مَا وَرِثهُ مِنَ السَّلَفِ لِجَهلِ هؤلاءِ الأَولاَدِ امجادَ وسَيْرَةَ الآباء وَالأجْدادِ وَنُفَضِّل عَادَاتِ أعدائِنَا على تقالِيدِ آبائِنَا . لقَد ضعُفَ الرِّجَالُ وَكَادَ يكونُ اليأس وَوَالله مَا تَقعُ مَسئوليةُ الأبْناءِ إلا عَلَى كَوَاهِل الآباءِ والأمَّهاتِ وأخْوَفُ مَا يُخَافُ عَلَى الصَّغِيرِ سُكُوتُ مُربيه على قَبِيحِ فِعَالِه وَفُحش لِسَانِه وَاعطَائِهِ مَا يُحبُ واستغراقُهُ فِي اللَّعبِ وَتفضِيلُهُ عَلى اخوانِه ومُرافقةُ الأشْرار في الشَّارعِ والدَّارِ وَعَن المرءِ لا تَسأل وَلكن سَلْ عَن قَرينهِ وَصَدِيقهِ وللبِيئَةِ التي يَعيشُ فِيهَا المَرءُ أثرُها فِي إسَاءَتِهِ أو إحسَانِه ، وَمعلِّمُه الناصِحُ يَستطِيعُ تهذيبَهُ وَرفعَ شأنِه وَإنما الطفلُ شَاشةٌ بَيضاءُ نَظِيفةٌ يَنقُشُ المربِّي مَا يشاءُ عَليهَا من ألوانِهِ ﴿ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ ﴾[1] الأعراف ونعوذُ بالله من أهْل قولِهِ تعَالى ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾[2]

إن الشاشة الصغيرة (التلفزيون) تعمل عملها اليوم في انحراف أفلاذ أكبادنا وهم منهمكون عَلَيها ليل نهارٍ صباحَ مَساء ثقافة الاستعمار ضد الإسلام وَأخلاقه .

هذه هِيَ تربيةُ أولادنا فِي البُيُوتِ وَالمجتمعِ الصَّغير وبعدَ هَذَا يُلحقُ الوَلدُ بالمدرسة وَكلنا يَعْرفُ مَا هِي مدارسنا اليَومَ وَمَا فِيها منْ نواقصَ فيلتَقي الوَلدُ بمئَاتٍ من أمثالِهِ عَدِيمي التربية المُهمَلِينَ في مَنازِلهِمْ فتزدَادُ حَالةُ الطفل سُوءاً عَلَى سُوءٍ وَمَع

(١) سورة الأعراف .

(٢) سورة مريم ٥٩.

تَقدِيرنا للآبَاءِ المدرسين لما يقدمُونَهُ مِنْ عَنَاءٍ وَمَشقَّةٍ فِي تَربيَةِ الجِيلِ وَإصلاحِهِ بِمَّا قد يُؤثرُ عَلى البَعضِ صِحيَّاً وَنفسِياً إلاَّ أن هناكَ قد يُوجَد من المدرسين ممنْ شقِيَ بهذِه المهنةِ وسُيقتْ بِهِ هذه المهنة كما نُسميْها وإلا فهي والله رسالة قبلَ كل شيءٍ يفرطُ في واجبِهِ ومعنى هذا أننا نفرطُ في مُسْتَقبل بلَادنا ألا فَليتَّقِ الله هؤلاء المربُون فِيمَنْ بينَ أيديهم مِن نُفُوسٍ وأروَاحٍ لِأنَهم يُتَاجِرُونَ بها وقد تكون بعضُ المدارس مضيعةً لأفلاذِ الأكبادِ وإذا المعلمُ سَاءَ لحظَ بصرةٍ جاءت على يدهِ البصَائِرُ حُولاً ، وإذَا المُعلِم لم يكنْ عدلاً مَشَى روحُ العَدالةِ في الشَّبابِ ضَئيلا .

وَبعَدَ هَذا أو ذَاكَ يَتوجَّهُ الوَلدُ إلى المَسجدِ بَيْتِ الله تعالَى لِيُغذِّيَ رُوحَهُ العَطشَى وَنفْسَهُ الجدْباء بشيء من الإيمَانِ وَبما يقومُ بِهِ من عِبَادَةٍ وَصَلاةٍ وتِلاوَةٍ وَذكْرٍ وَدُعَاءٍ وبمَا يُقدِّمُ للعُبَّادِ مِن تعَاليمَ دينيَّةٍ وَتوجيهَاتٍ رُوْحيَّةٍ وأَخلاقِيَّةٍ ومَساجدُنا كما نعرفُها يحَارُ (ويضيع) فيهَا العالِمِ الفاهم فكيفَ بالغِرِّ الجَاهِل الذَّي لا يُميِّزُ بينَ النَّافِع والضَارِ فَتراهُ يَسمعُ مَوعِظَةً أو دَرْساً من هَذَا ثم يسمَعُ نَقِيضَ ذلكَ مِنْ آخِرَ ، فهذَا مُرشدٌ يُحِلِلُ وَذلك مُرشدٌ يُحرمُ ، لأَنَّنَا فَقَدْنَا التنسيقَ والنظامَ حتى في أعزِّ الأشياءِ علينا ألاَ وَهْوَ التَّعليمُ الدينيّ يحملُ هؤلاء التبعةَ كاملةً أمام الله والتاريخ نحن والحمد لله خَرَجْنَا من عَهْدٍ كانَ يُحَرِّمُ التعاليمَ الدِّينية بالمرَّة في المدرسَةِ والمَسجدِ عشناها مدة غيرَ قَصِيرةٍ مِنْ الزّمنِ وحمدنَا الله الذي خلَّصنَا وَحدَهُ منْ ذلك العهد دُونَما نقدِّمَ أَيَّ جُهْدٍ في ذَلك والآنَ وَقَدْ مَنَحنَا الله هَذا العَهدَ عهدَ حريةِ الكلمةِ وَحُرِّيةِ الرّأي وَهذه نعمةٌ كبرَى إلا أَنَّنَا مَا شكرنَا المنعمَ عَلَيهَا فهيَ مهدَدَة بالزَّوَال مصداقا لقوله تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧ ﴾ إبراهيم والكفرُ هنا كفرُ النعمة ،

وإذا كنتَ في نعمةٍ فارعها هل من الحكمةِ أن يَلْمِزَ عَالِمٌ عَلى آخرَ أَمَامَ طلبتِه ليَجعلَ مـن نفسِه انه عالِمُ الزمَانِ وَفَارِسُ الميدَانِ الذي لا يُنازِلُ وهـل مـن العَقـل ان نُطلـعَ شـبابَنا البَريُ المُراهِقَ الذي يتطلعُ إلى العلـمِ والمعرفـةِ نطلعـه عـلى خلافـاتِ العُلـماء الأكَـابِر وأقوالِهِم وَمذاهبهم وهو جَاهِلٌ بِمَا اتَفَقُوا عَلَيْه لذَا نسمَعُ كثيراً من شبابنا الغَـير مـتعلم يحطُّ من قدر كثيرٍ من العلماء الأعلام كالإمام الغزالي والشافعي وابن تيمية وابن القـيمْ مثلاً قبلِ أن يعرف ويتعلم ويتفقـه فـالعلم لـيسَ القـراءة والمطالعـة الـسَّطحية وَسـماع المحاضرات وقراءةَ المَجلات والـصّحُف بَـل العلـمُ لا يتحقَّـقُ إلا بالدراسـة والتَّعـب والسَّهر وكما يقالُ العلـمُ بـالتعلمِ والفقـهُ بالتفقـه ولا رَيـبَ إنَّ في مُجتمعنـا كثـيراً مـنَ الأخطَاء يَجبُ إصْلاحُهُا وتصحيحُها لَكنْ عَلَينَا أولاً تَحدِيدُهَا وتَشخِيصُهَا ثُمَّ عِلَاجُهـا وَكيفَ نُعَالِجُها وَمَن يُعالِجُها فَالإِسْلامُ دِينُنَا الحَنيفُ لَيْسَ مِلكـاً لأحَـدٍ وَلَا حِكـراً عَـلَى أحَدٍ فهوَ دِينُ الجمِيعِ وَيَجِبُ أنْ يَغارَ عَليهِ الجميعُ ويُضحِّي من أَجْلهِ الجميع فَلْنَرجْع أيها المسلمونَ جَميعاً إلى حَظيرَته الفَسيحةِ ونَـستَظِلَّ برَايتـه الخفاقَـةِ وَتحـتَ مَظَلَّتـه الوارفَـة إخْواناً مُتحابِّينَ في صُفُوفٍ مُتراصَّةٍ وَقُلُوبٍ مَفتُوحةٍ مَعمورَةٍ بالإيمَان بـالله وَمُـسْترشِدَةٍ بتعاليمِ الإسْلام السَّمحَة والرَّسُولُ الأعظمُ يَحدُونَا وَيدعُونا وَينادِينا بقوله عليه الصَّلاة والسَّلام (( تركتكُم عَلَى المحَجَّةِ البَيضَاءِ لَيلُهَا كنهَارِهَا )) صدق الله وصدق رسوله .

جعلني الله وإيَاكُم ممَّن عَرَفَ الحقَّ وَشهدَ به وحُبِّبَ إليه الخيرُ وَعَمِلَ بـهِ وَوَفقَّنَـا لِمتَابعَة رُسُلِهِ وَكُتُبه .

والله يقــول وبقولــه يهتــدي المُهتَــدونَ ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وقال عز من قائل كـريم : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾

أعوذ بالله من الـشيطان الـرَّجيم : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم وَنَفعني بالآيات والذكر الحكيم . أقـول قـولي هـذا واستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

# الخطبة الثانية

الحَمَدُ للهِ رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتْقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِــينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَـتِمُّ شَيءٌ دُونَـهُ.وَ أَشْـهَدُ أَنَّ سَـيِّدَنَا مُحَمَّـدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلَائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَ بَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا م مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَـرِ ، وعَـلَى آلِــهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

عِبَادَ اللهِ: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى اللهِ تَعالى اتَّقُوا اللهَ مِنْ سَمَــاعِ اللَّغْـوِ وفُـضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أما بعد / أيها المسلمونَ : قَديماً قيل أَشْبَعْ وَلَدَكَ وَأحسِنْ أدبَهُ واَجمَعْ لَه أدباً ولَا تكسبْ لَهُ ذَهَباً وَالأبناءُ وَرثةُ الآباء طَبائع وآثاراً وكَما تُحِبُّ أنْ يَكونَ أولادُكَ فكنْ أنْتَ إقبالاً وإدبَاراً فإنما الوَلدُ سِرُّ أبيهِ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَـٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٍ ﴾ بَعضُ الناسِ لايَهُمه من بَنيهِ إلا أنْ يكُونُوا مُوظَّفينَ أَو تُجاراً أو مُحتَرفينَ يكتَسِبونَ المالَ ولو كانتْ الحرفةُ طبلاً أَوْ مِزمَاراً ولَا يُبَالِي بِهم إذا جَمعُوا المَالَ صَالحينَ كانوا أم أَشرَاراً . أيها الأبُ لاَ يجوزُ لكَ أن تَترُكَ أولادَك هَمَلاً أو تَضعَ لهُم الحبلَ على الغَارِبِ فيقودُهُم إبليسُ وتسُوقهُم الشَّياطِين ، ومن حَقِّهم

عليك أن تختار لهم الأمَّ الصالحة والاسم الحسنَ وأن تُعلمَهم وتُطعِمَهم من الحلالِ الذي وَرثتهُ أو اكتسَبْتَهُ بكدِّ اليَمين وعرقِ الجَبِينِ وَلا تُعلِّمْهم ظَاهِراً منَ الحياةِ الدنيا وَتتركهُم بأمر الدِّينِ جَاهلينَ وفي الواجبِ مقصِّرين وبالحرامِ مُتسَاهِلِين وَفي هُوّةِ الفَسَادِ سَاقِطِينَ وكُلكم رَاعٍ وكُلكُم مَسئولٌ عن رَعِيَّته . كَما جَاءَ عَن الصَّادقِ الأَمين وَاللهُ تعالَى يقولُ لسيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَـٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ ألا فَلْنتنبه لأوْلَادنا وبخَاصَّةٍ إذَا وَصَلوا سِنَّ المُراهَقَةِ أَي قارَبُوا البُلوغَ فإنهُ أخطرُ سِنٍّ يَمرُّ به الوَلدُ فِي حَيَاتِه حَيْثُ يَنفتحُ علَى العَالم من حَولِه وَيَعجَبُ بما يَراهُ ويُحاوِلُ تَقليدَ الآخَرينَ وَيكونُ سَرِيعَ التأثر بهم ويَرى نَفسَهُ رَجُلاً كاملَ الرجُولةِ ، فَعلَينا أنْ نوجهَهُ بحكمةٍ ورَويةٍ وَنُدارِيْهِ فإنَّ هذَا سِنُّ العِنَاد ، وَنحاولَ جَلبَه بالتي هِي أحسَنُ ولَا نَستعملَ معَه الشِّدَّةَ إلا إذَا فشلت كلُّ المسَاعِيْ ، قالَ رسول الله ﷺ : (( مُرُوا أولادَكُم بالصَّلاةِ لِسَبْعٍ واضربُوهُم علَى تركِهَا لِعَشرٍ وَفرِّقُوا بَينَهم فِي المضَاجِع )) فكِّروا في قَولِهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وَفَرقوا بَينهم في المضاجِع لأنَّ الولدَ ذكراً كانَ أو أنثى في هذا السنِّ يقربُ من سِنِّ المُراهقةِ الخطيرِ لذا وجب التفريق بينهم وقت النوم وفي فراش الرقود وهذه هي التربيةُ الحقةُ لأبنَائِنَا وَقال صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم : (( ما نحلَ والِدٌ ولدهُ أفضل من أَدَبٍ حَسَنٍ )) .

وَقالَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم : (( اتقُوا الله واعدِّلوا في أولَادِكُم )) وَكَانَ يمرُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بالصِّبيان فيسَّلِمَ عليهم ليُعلِّمَهم الآدَابَ ، وقال أيضا : (( من عَال ثلاث بنَاتٍ فأدَّبهُنَّ وزَوْجَهُنَّ وأحْسَنَ إليهنّ فلَهُ الجنةُ )) .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَـدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِـهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْـبِرَاً وآمِـرَاً لَكُـمْ تَكْـرِياً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾.اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَـلَى آلِـهِ وصَـحْبِهِ ومَـنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصَاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي، والـمَقَامِ الأَفْـضَـلِ: سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْـرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيـهِ وسَـلَّمَ سَـيِّدَي شَبَابَ أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِـي مُحَمَّـدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْـدِالله الـحُسَينِ، وعَـلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَـيرِ النَّـاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَةَ ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَـنْ بَقِـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ الَّـذِينَ بَايَعُوا نَبِيِّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَانَ الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.اللَّهُمَّ يَا كَاشِـفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَـا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشُفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّـس هَـمَّنَا.نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ

فَرَادِيسَ الـجِنَانِ.اللَّهُـمَّ اغْفِـرْ لِلْمُـؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُـسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِيَ الحَاجَاتِ وغَافِرَ الذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ. اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانَنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوع بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرَ بِـلادَ الـمُـسْلِمِينَ. اللَّهُـمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَـا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبَنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَـافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِـصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَ وَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَـلَ السُّفَهَاءِ مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْـدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَونَاً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَـنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

عِبَــــــــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَـذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# التوبة والاستغفار من الذنب

## الخطبة الأولى

الحمدُ لله غافرِ الذنبِ وقابلِ التوبِ شـديد العقـاب ذي الطـولِ ، أمرَنـا بالتوبـةِ النَّصُوح ليُزكِّينَا بها قلباً وجسماً ورُوحاً ، وأشهدُ أن لا إلـهَ إلا الله وحـدَه لا شَريـكَ لـهُ أمرَنا جَلَّ وعلا بالتوبَةِ ورغبنا فيها ووعدنا بقبولها فقـال تعـالى ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ النـور وأشـهدُ أنَّ سَـيِّدَنَا محمـداً عبـدُهُ رَسُولُ الرَّحمةِ المُهداةِ صَلَّى الله عَلَيه وَسلَّمَ القائلُ : (( كُلُ ابْنِ آدَمَ خطاءٌ وَخَيرُ الخَطَـائِينَ التوابُونُ )) والقائلُ (( التَّائِبُ مِنْ الذنبِ كَمَنْ لَا ذَنبَ لَـهُ )) اللهـمَّ صَـلِّ عـلَى سَـيِّدنَا مُحمدٍ أمَامِ العَابدين وَسَيِّدِ التَائِبين والمُستغفرينَ وَقائِدِ الغُرِّ المُحَجَّلِيْنَ وعلَى آلـهِ الطيبـين الطاهرين وَصَحبِهِ المُقتدين المقتفين ، طريقَهُ المُبين والتَّابِعينَ لَهُم بإحسَانٍ وَتابع التَّـابِعينَ إلى يوم الدِّين وسَلِّم تَسْليماً كَثِيراً .

أَمَّا بَعدُ : أَيُّها المُسلِمُونَ أُوصِيكُم وَنفسِيَ بتَقَوى الله تَعالَى فإنَّهَـا الحِـصْنُ الحَـصِينُ للابتعَادِ عَن سَخَطِ الله وَمَقْتِهِ وَالحِرْزُ المكينُ الوَاقِي مِـنْ غَـضَبِ الله وبطْـشه فـاتَّقوا الله وَتوبُـوا إليـه واسْـتَغفِرُوهُ ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾. نوح

عِبَادَ الله : إنَّ التَّوبَـةَ مـنَ الـذُّنُوبِ مـنْ أَعظَـمِ المُنجِيَـات وَمـن أجَـلِّ القُرُبَـاتِ وَالبَركَاتِ وَمنْ أوْصَلِ الوَسَائِلِ إلَى جمِيعِ الخيرَاتِ فِي الدُّنيَا وَبَعدَ المَماتِ . كَثيراً مَا يـضلُّ

الإنسَانُ الطريقَ ويَنْحَرفُ عَنَ الجَادَّةِ إمَّا بِوَازِعٍ منَ الجَهلِ أو اسْتِجَابَةٍ لِإغـرَاءٍ عَابـثٍ زَائِفٍ أو شَهوَةٍ جَامحَةٍ شَيْطانِيَّةٍ لِأَنَّهُ بَشَرٌ ضَعِيفٌ لأَنَّهُ قَد تَمُرُّ عليه سَاعَةٌ منَ الزَّمَانِ تَنَـامُ فِيهَا قُوَاهُ الروحيَّةُ الخيرَّةُ وَيغْفُو ضَميرُهُ وَتَستيقِظُ غَرَائِزةُ الدُّنيَا فيَسقِطُ فِي الرَّذيلَةِ ويَخِـرُّ صَرِيعَ الهَوَىٰ وَالشَّهوَة وَفِي خِلَالَ هذه المحْنة اختِبَار لِدى إيمانِهِ وقُوَّتهِ فَإنَّ عَلَيه انَ يّذْكُرَ أَنَّهُ لَمْ يُخلَقْ مَلَكاً كَرِيماً وَلَا بَشَراً مَعصُوماً وَإنَّما هُو إنسَان تتَنَازَعُهُ قُوَى الخَيرِ وَالشرِّ فتـارَةً تتغَلّبُ عَلَيه طبِيعَة الخَيرِ الرُّوحيَّةُ فيَـسْمُو وَيَرتفِـعُ وَتَـارةً أخْـرَى تتغلّـبُ طَبِيعَـةُ الـشَرِّ فَيخلدُ إلى الأرْضِ وَيَتَردَّى فِي حماةِ الرَّذيلَـةِ وَعـلَى الإنـسَانِ فِيْ هـذِهِ الحَالـةِ انْ يُـصَحِّحَ اخَطَاءَهُ وَيُعالجَ أمرَاضه وَيغْـسِلَ نَفـسَه مـنَ الأدرانِ وَكُـلُ ذَلـك لا يكـونُ إلاَّ بَالتوبـةِ الصَّادِقة النَّصُوحِ وَلَيسَتْ هي باللِّسَانِ فقط اسْتَغفِرُ الله وَأَتُوبُ إليه منْ غيرِ نَدَمٍ بالقَلب وَمِنْ غَير إقلَاع عَن الذَّنبِ وقَد ذكَر العُلَماءُ رضي الله عنهُم للتّوبةِ ثَلاثةُ شرُوطٍ : الأوَلُ النَّدمُ بالقَلبِ على الذنوب السَّالِفةِ والثَّاني الإقْلَاعُ عَنِ الذَّنْبِ وَمعناهُ أن لَا يَتُـوبَ مِـنْ ذَنْبٍ وهُوَ مُقيم عَلَيْهِ وَمُلازِمٌ لَهُ ، وَالثَّالِثُ العَزمُ الصَّادِقُ عّلى أن لَايَعُودَ إلى الذُّنُوبِ مَـا عَاشَ وَهذِهِ الثَّلاثةُ لَا بُدَّ مِنهَا فِي التَّوبَةِ منَ الذُّنُوب التي تكُونُ بَينَ العبـدِ وَ رَبِّـه ويُـزَادُ عَليهَا شَرطٌ رَابعٌ فِي الذُّنُوبُ التي تكونُ بينَ العبدِ وَبين غَيْرِهِ منَ العبَادِ وَهُـوَ رَدُّ المظَـالِمُ (وذلك لا يكون) فإنْ كانت نفْسيَّة وَجَبَ عَلَيه تمَكِينُ المَظلُومِ مِنَ القَصَاصِ وإنْ كَانَـتْ المظَالِمُ عِرْضيَةً أيْ فِي الشَّرفِ والكرامةِ فيَجبُ طَلَبُ الإحْلَالِ لِمَن ظَلمَـه في عِرْضِـهِ وإن كانَت المظلمةُ ماليةً وجَبَ رَدُّ كُل المَالِ الذي ظلمَه لِصَاحبه .

وَينبغيْ للمؤمن أن يُجـدِّدَ تَوبَتَـهُ في كُـلِّ حَـالٍ وَحَـينَ لأنَّ الـذُّنُوبَ كثـيرَةٌ مِنهَـا الصَّغَائِرُ وَالكَبَائِرُ وَمِنهَا الظاهِرةُ والبَاطِنَةُ فَليُكثِـر مِـن الاسْـتِغفَارِ والتوبَـةِ آنـاءَ اللَّيـل

وَأطرافَ النَّهار . ثُمَّ إنَّ الشيطانَ لَعَنَهُ الله قَدْ يَخْدَعُ بعض الأغبياءِ مِـنَ المُسلِمينَ فيقـولُ لَهُم كَيفَ تَتُوبُونَ وَانتُم لا تعرفُونَ من أنفسكُم الثَّباتَ عَـلى التَّوبَـةِ ، وَيطَالِـبُ المُـذنِبينَ بتَأجيلِ التَّوبَةِ حَتى وَقْتَ الشَّيخُوخةِ ، وَهَذهِ منْ أخبثِ وَسَاوسِ الشَّيطان لأنهُ تُزعجـهُ تَوبةُ المُذنِبِ ولا يُرِيْـدُ لَـهُ إلاَّ أنْ يُفـوِّت الفُـرص وَيَـنغمِسَ فِي الـشَّهَواتِ ، فَـلاَ نأخـذ بتدليسِ إبليس كيف والرَّسُولُ عليهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ يَقُـولُ لنَـا جميعـاً (( مَـا أَصَرَّ مَـنِ اسْتَغفَرَ ولَو عَادَ في اليَوم سَبعِينَ مَرَّةً )) فَعلَيكَ أفْضلُ الصَّلاةِ وَأزكَى التَّسلِيم إذْ بَعثـتَ فينَا الأمَل والرَّجاء يَا رَسُولَ الرَّحمَة وَمن رحْمةِ الله سُبْحانَه أنْ فَتحَ بَابَ الأمَل والرَّجـاءِ أمَامَ المُخطِئِينَ ليَتوبَ مُسِيؤهُمْ وَيَثُوبَ إلَى رُشدهِ شَارِدهُم وَيغفِرُ لَهُم مَا اقترَفُوا من إثـمٍ وَمعصيةٍ قـالَ تعَـالى : ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمـر وَفي الحـديثِ يقـولُ الله تعَالَى : (( يا ابنَ آدَمَ إنَّكَ مَا دَعَوتِني وَرَجَوتني غَفرتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنكَ وَلَا أُبـالي ، يا ابنَ آدمَ لو بلَغَتْ ذُنوبُكَ عَنَانَ السَّماءِ ثم اسْتَغفرتَني غَفَرْتُ لَكَ وَلا أبَالي يا ابنَ آدَم لَو أتيتَنِي بقُرَابِ الأرضِ خَطَايَا ثمَّ لَقِيتَني لا تشرِكْ بِيْ شيئاً لأتيتُك بِقُرَابِهَا مَغفِرةً )) .

أيُّها المسلمونَ : إن فضلَ الله عَلَى عِبَادِهِ عَظيمٌ وَرحمتُـهُ بهـم وَاسِـعَةٌ وأبوابُـهُ بَـينَ أيديْهم مُفتَّحةٌ فهو يَبسُطُ يَدَهُ بالنهار ليَتُوبَ مُسيءُ الليل ، ويَبـسطُ يَـدهُ بالليـل ليَتُـوبَ مُسيءُ النهار ، فعَن أبي موسى الأشـعَريّ رَضيَ الله عَنـه أنَّ رَسـولَ الله صَـلَّى الله عَلَيْـهِ وَسَلَّم قالَ : (( إنَّ الله يَبسُطُ يَدَهُ بالليل ليتوبَ مسيءُ النهارِ ويَبسُطُ يَدَهُ بالنهـارِ ليتُـوبَ مُسيءُ الليل حَتى تطلعُ الشَمسُ من مَغرِبهَا )) .

والتوبةُ لا تعنِي الضَّراعَةَ باللِّسَانِ أَوِ التَّذلُّلَ وَالتَّخشُّعَ الظَّاهِر مِنْ غَير دَليلٍ أَو بُرْهَانٍ ، فَحتَّى تكون التَّوبَةُ صَادِقَةً فَإنَّهُ لا بُدَّ مَعهَا مِنَ العَمل الصَّالِحِ المُقتَرَنِ بِعُمقِ الإخلَاصِ وَقُوةِ اليَقِينِ قال تعالَى ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ وَالعَملُ الصَّالحُ لا يَقفُ عِندَ حَدٍّ أَو نَوْعٍ مُعَيَّنٍ مِنْ صَلاةٍ أو حَجّ أو صِيَامٍ أَو زَكَاةٍ فَحُسنُ الخُلقِ يكفِّرُ الخطَايَا وَالجهادُ في سبيلِ الله يَمحُو الذنُوبَ وَيَرفعُ الدَّرَجاتِ وَالصَّبرُ عَلَى الشدَائِد مُذْهِبٌ للسيّئاتِ وَكثرةُ الاَسْتِغفَار وَذِكرُ الله عَزَّ وجَلَّ من أعظَم مَا يدْفعُ الله بِهِ الشَّرَّ وَيحقّق بِهِ الخَيرَ ويُطهِّرُ بهِ القُلوبَ من دَنَسِ الرَّذِيْلةِ كلُ هذهِ الفضائِلُ يُكرِمُ الله بِهَا عَبْدَهُ وينقّي دَنسَهُ وَيَرفعُ بِهَا قَدرَهُ وَيُذهِبَ عَنْهُ بها رِجْسَهُ ، وَيطهِّرُهُ تَطهيراً ، قَالَ تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ هود إن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال : (( اتَّقِ الله حَيثُما كنْتَ واتْبعِ السَّيِّئَةَ الحَسنةَ تمحُهَا وَخالِقِ النَاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ )) .

أيها المُسلِمُونَ : إنهُ لَعجِيبٌ بَل فَظِيعٌ أن يُبَارِزَ العَبدُ مولَاهُ بالذُّنُوبِ والعِصْيَانِ وَخيره عَليه نَازلٌ صَباحَ مَسَاءَ وأَنْ يَسْتخدِمَ نِعمَهُ فِيمَا يُغضِبُه وَهوَ يُؤمنُ بأنَّ الله تعَالَى قَادِرٌ علَى مَنعِهَا وَحَبْسِهَا عَنْهُ ، وكيفَ يَغفَلُ عَن مَولَاهُ وَنَعمَاؤُهُ تُذكِّرُهُ بِهِ في كلِّ شانِهِ ويَنْسَى نظَرَهُ إلَيه وَهو أَقرَبُ إلَيه مِنْ نَفْسِهِ ، فَليتَّقِ الله امْرؤٌ خَالَطَتْ بَشَاشَةُ الإيمانِ قَلبَهُ ، وَليذْكُرْ أنَّ النَّاقِدَ بَصِيرٌ وَالحسَابَ جد عَسِيرٌ وإلى الله تعالى المصير ولا ينبؤكَ مِثلُ خَبير .

وَلتَعلَمْ أيها المُسلِمُ أنَّ خَوفَ الله وَالرجوعَ إلَيهِ والتَّوبَةَ الخَالِصَةَ الصَادِقةَ هِي عِنْوانُ إيمَانِكَ وَأمَارَةُ الخَشْية للهِ عَزَّ وَجَلَّ خالقك . إنَّ ذكرَ الله عَزَّ وَجَلَّ يَعنِي أنْ لا

يَنسَاهُ العَبدُ في كلِّ شَانٍ من شُئُونه في حَركتهِ وسُكُونهِ وَيقظَتهِ وَمَنَامِهِ وَفراغِهِ وَشُـغْلِهِ فِي لَيلِهِ وَنهارِهِ لَا بُدَّ أنْ يكونَ المؤمنُ في كل وقتهِ فيه ذَاكراً لِمولَاهُ مُوقِناً برَقَابتهِ الدّائمةِ عَلَيـه في كُلِّ مَا يَأتي وَيذرُ ولَقد قَالَ رَسُولُ الله صَـلَّى الله عَلَيْـهِ وَسَـلَّم : (( أفـضلُ الإيـمانِ أنْ تَعلمَ أنَّ الله مَعَكَ حَيثما كُنْتَ )) وَبذلِكَ يُصْبحُ المؤمنُ أهْلاً لِعوَنِ الله في الشِّدَّةِ وَالرخاءِ والعُسْرِ واليُسْرِ ويمنحُهُ منَ الصَّبر مَا يَقهرُ بِهِ الشرَّ في نَفسهِ ، ويَـسْتَأهِلُ لِعَفْـوِ الله عَنـهُ وتَقبُّلِهِ صَالحِ عَملِهِ فَإنَّما يَتقبلُ الله منَ المتَّقِينَ ، أذكُروه دائماً أيها المؤمِنُونَ ، إنَّ اليَومَ عَملٌ بلَا حسَابٍ وَغَداً حسَابٌ بلا عَملٌ ،وانـه إذا كانـت نظـرَةُ الخَلْـقِ إليـكَ تُحجِـزكَ عَـنِ المعصِيَةِ لأنَّكَ تَستَحِي منهُم وَتخجلُ مِنْ أن يَرَوْكَ وأنْتَ ترتكبُ الجرَائِمَ فَما بَالُكَ بالذِي يَرَاكَ وأنتَ مُتَستِّرٌ في خَلْوتِكِ لأنَّهُ يَعلمُ السِّرَّ وَأخفَى وَيعلمُ دَبِيْبَ النَملِةِ الـسَّودَاءِ عَـلَى الصَّخْرةِ الصَّماءِ في الليلةِ الظلماءِ فَهو تعالى جَلَّ جلالُه أولَى بأن تَسْتَحي مِنهُ وتخجلَ مـن أن يَراكَ وأنتَ مُتلَبِّسٌ بِذَنْبٍ . فَأصْلح أيُّها المسلمُ مَـا بَينـكَ وَبَـينَ رَبّـك وَتقـربْ إلَيـهِ بطَاعتِك عَسَى أن يبعثَكَ الله مقاماً محموداً كيفَ لَا وَهو القَائل في الحديث القدسي : (( مَن تقربَ إليَّ شبراً تقربتُ منه ذراعاً ومن تقرَّبَ إليَّ ذِرَاعاً تقرَّبتُ منهُ باعـاً ومـن أتَـاني يمشي أتيتهُ هَروَلةً )) أو كما قال عليه الصلاة والسلام . وقال عز من قائل : ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٧٠﴾ الفرقان وقَالَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم : (( يَا أيُهَا الناسُ تُوبُوا إلَى الله وَاسْتغفرُوهُ فَإنِّي أتوبُ إلَيهِ فِي اليَوم مائةَ مَرَّةٍ )) .

وعن عمرِ بن الخطابِ رضي الله عَنهُ قَالَ : (( قدمَ على رسول الله صَـلَّى الله عَلَيْـهِ وَسَلَّم سَبيٌ (أي أسرى حرب) فَإذَا امْرأةٌ منَ السَّبي تَبحثُ عَن صَبيِّها وكـانَ ضَـائعاً ،

فلما وَجدتهُ أخذته وَألصَقتهُ بِبَطنها وأرضعتهُ فَقالَ لنا رسولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَـلَّم : أَتَرونَ هذهِ طَارِحَةً وَلدَها في النارِ ؟ قلنا لا واللهِ وهي تقدرُ ألاَّ تطرَحهُ ، فَقالَ صَـلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم للهُ أرْحمُ بِعبَادِهِ مِن هَذه بوَلدِهَا )) رواه البخاري ومسلم .

فنستغفرك يا الله من جَميع الذنُوبِ والآثامِ فاغفرْ لنَا وتجاوَزْ عَنا مَا وَقعنَا فِيهِ مِـن ذُنُوبٍ وَأخطَاءٍ وتَخليط وَمَا داخَّلنَا في أعمالنَا من رِياءٍ أو تـصنُّعٍ لغَـيرِك ، او مُباهَـاتٍ أو إعجَابٍ بِنفُوُسِنَا ، ومِن سَائر الذنوبِ سَرِّهَا وَجَهرِهَا كَبيرهـا وصَـغيرِهَا ، ومـنْ يغفِـرُ الذِّنُوبَ إلا الله . ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ آل عمران

والله يقول وبقوله يهتدي المهتـدونَ ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ وقَال عز من قائل كريم : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾

أَعوذُ بـاللهِ مـنَ الـشيطانِ الـرَّجيمِ : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ آل عمران.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني بالآيات والذكر الحكيم . أقول قـولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

## الخطبة الثانية

الحَمَدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتْقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِـينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَـهُ. وَ أَشْـهَدُ أَنَّ سَـيِّدَنَا مُحَمَّـدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَـرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَ بَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا م مُحَمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَـرِ ، وعَـلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

عِبَادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْـوِ وفُـضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أما بعدُ أيها المسلمونَ : الذّنوبُ كَثيرةٌ وَلَا عَاصَم مِنهَا إلا من رَحمَه الله ، فما يَكَـادُ المؤمنُ ان يُفلِتَ مِنْ ذَنب حَتى يَتعرَّضَ لِفتنة بآخَرَ ، والمُصيبَةُ كَل المُصيبَةِ أنَاتُ القُلُوبِ وأمراضُ النّفوسِ المُهلِكةُ كالكبرِ وَالرِّيَاءِ وَالحَسَدِ وَالحِقدِ والغِشّ وَالقَسْوَةِ وحُبِّ الدنيا وحبِّ الجَاهِ وَالغُرُورِ فلا يكادُ الوَاحدُ أنْ يَسلمَ مِنهَا أو من بَعضِها لأنهَا مَعجُونـةٌ فِي دَمِ الإنسَانِ ولَحمِهِ فالابتعَادُ عَن المَعاصِي الظاهَرة مَعَاصِي اليَـدِ واللِّـسَانِ والفَـرجِ وَالعَـينِ وَغيرهَا مِنَ الجَوارِحِ يَحتاجُ إِلَى ترْوِيض النَّفسِ وَالصَّبرِ وَالمُعانَـاةِ ولكـنَّ الـتخلصَ مـنَ أمراض القُلوب أصْعَبُ وأشَقُ فالقلبُ سَيِّدُ الجـوارح لَـهُ صِـفاتٌ محَمـودَة وَمَذمُومَـة كَثِيرةٌ وهو موضعُ وَوعَاءُ العَقَائِدَ والأخلاَقِ والنيّاتِ ولَاسَعادَةً في الـدُّنيَا والآخِـرَة إلاَّ

إذَا طُهِّرَ وَزُكِّيَ مِنَ القَبائحِ والرَّذَائِلِ قال تعالَى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ الشمس.

وإذا كانَت المُهلكاتُ كَثيرةٌ فَإنَّ المُنْجياتِ مِنهَا كَثيرةٌ ومنْ أعظمهَا التوبَةُ الصادقةُ ومَن تَاب تَابَ الله علَيه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ البقرة والإكثَارُ من الاستغفارِ ليس في شهر رجب فحسب ، وليس باللسان فقط ((وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ )) ومَن لَزِمْ الاستغفَارَ جَعلَ الله لهُ من كُلِّ هَمٍّ فَرجَاً ومن كل ضيقٍ مخرجَا ومن المُنجيَاتِ الرَّجَاءُ في الله والخَوفُ مِنَ الله ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ الإسراء وقال علَيه الصلاة والسلام : (( رأسُ الحِكمةِ مَخافةُ الله )) ومن أهم العلاج لهذه الأمراض القَلبيَّة الصَّبرُ على البَلاءِ والشكر على نَعماءِ الله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ البقرة وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ الأنفال وَمِنَ المُنجيَات الزُهدُ في الدُّنيَا ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ الاعلى (( كُن في الدنيا كأنكَ غريبٌ أو عَابرُ سبيلٍ )) .

والتوكلُ على الله من أشَرفِ مَقَاماتِ المُوقنينَ وأعزِّ ثمرَاتِ اليَقين ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴿٨١﴾ ﴾ النساء وقال عليه الصَّلاة والسَّلامُ : (( لَو توكلتُم عَلَى الله حَقَّ توكُّلِهِ لرَزقكم كما يَرزقُ الطيرَ تغدُو خِماصاً وتروحُ بطاناً )) .

والصَّدقُ معَ الله ومُراقَبتهُ مِن أعظم المنجيَات ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ ق اللهمَّ إنا نستغِفرُكَ لذنُوبِنَا ونسألُكَ رحمتك اللهم زدنا علماً وفهماً رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ آل عمران.

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِرًا وآمِرًا لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَلِي، والمَقَامِ الأَفْضَلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِي ، وعَنْ رَيْحَانَتَي نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَابَ أَهْلِ الجَنَّةِ ، أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ ، وأَبِي عَبْدِالله الحُسَينِ، وعَلَى أُمِّهِمَا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ المُخْتَارِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خيرِ النَّاسِ ، أَبِي عَمَارَةَ الحَمْزَةَ ، وأَبِي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِيَّةِ العَشَرَةِ المُبَشَّرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيَّكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ طَلْحَةَ والزُّبَيرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْمَنِ وأَبِي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَانَ الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّةِ ، و يَا مُجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَا ، و إِلِيهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشُفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّسْ هَمَّنَا.

نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْـتِمَ لَنَـا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِـالعَفْوِ والغُفْـرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِيَ الحَاجَـاتِ وغَـافِرَ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوعِ بِلادِنَـا خَاصَّةً وسَائِرَ بِـلادَ الـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبِنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَ وَلِّ عَلَينَـا خِيَارَنَـا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءِ مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَـعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْـدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَـنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثَـاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

عِبَـــادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَـذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# أدب الحديث وعدم المراء

## الخُطْبَةُ الأُولَى

الحمدُ للهِ الجَليلِ شَأنُهُ ، الوَاسِعِ مُلكُهُ وَسُـلْطَانُهُ ، وَهَبنَـا أَلْـسِنَةً نَاطِقَـةً ، لِتكُـونَ بِالحَدِيثِ المُؤدَّبِ المُهَذَّبِ صَادِقَةً ، وَنَشْكُرُهُ بَعدَ ذَلِكَ عَلَى حُسْنِ العَاقِبةْ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَه إِلاَّ الله وَحدَهُ لاَ شَرِيـكَ لَـهُ يَقُـولُ الحـقَّ وَهـوَ يَهْـدِي الـسَبيلَ ، وَأَشهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، مَنْبعُ الحِكمَةِ وَفَصلُ الخِطابِ ، رَفيعُ المَنزِلةِ عَالِي الجَنَابِ ، اللَّهمَ صَلِّ وَسَلِّم وَبَارِك على سَيدنَا محمدٍ وعلى آلهِ وَصَحْبه وَمَنْ تَبعَهُم بإحسَانٍ ، وَهوَ القائل في جَوَامِعِ كَلِمِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : (( لاَ يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّـى يَـستَقِيمَ قَلْبُـهُ ، وَلاَ يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَستَقِيمَ لِسَانُهُ )) والقَائِل عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ : (( مِنْ حُـسْنِ إِسْـلاَمِ المَرءِ تَرْكُه مَا لاَيَعْنِيه )) رواه أحمد .

أَيَّها المُسْلِمُونَ : يَا أَتبَاعَ مُحمدٍ بنِ عَبدِالله ، وَيَا حَمَلَةَ الإِسْـلاَمِ ، أُوصِـيْكُم وَنَفْـسِيَ بِتَقوَى الله تَعَالَى ، فَإِنَّهَا مَا حَلَّتْ بِقَلبِ امْرِئٍ إِلاَّ وَظَهَـرَ أَثَرُهَـا عَـلَى لِـسَانِهِ وَمَـا نَزَلَـتْ بِضَمِيرِ شَخْصٍ إِلاَّ وَبَرَزَ نُورُهَا سَاطِعَاً فِي حَدِيثِهِ وَبَيَانِهِ ، وَكُلُّ إِنَآءٍ بالـذي فِيـهِ يَنْـضَحُ ، كَما أَنَّ كُلُّ لِسَانٍ عَمَا فِي الضَّمِيرِ يُفْصِحُ ، فَمِنْهَا مَا يَفِيضُ بِمَا يُبَشِّرُ ، وَمِنهَـا مَـا يُنْبِـئ عَـن سُوءِ صَاحِبِهِ وَيُفْضِحُ ، نَسَألَ الله أَنْ يُطَهِّرَ نُفُوسَنَا وَقُلُوبنَا وَأَلـسِنَتَنَا مِـن لَغْـوِ الكَـلاَمِ ، وَيُحَلِّيْهَا بِطِيبِ القَولِ ، وَالابتِعَادِ عَما يُؤدِّي إِلى الشِّقَاقِ وَالخِصَامِ فتَكُـونَ العَاقِبـةُ النَّـدمَ وَالمَلام .

عِبَادُ الله : نِعْمَةُ البَيَانِ وَالكَلاَمِ بِاللِّسَانِ مِن أَجَلِّ النِّعَمِ التي أَسبغَهَا الله عَلَى الإِنسَانِ وَكَرمه بِهَا عَلَى سَائِرِ الخَلقِ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾[1] وَعَلَى جلاَلِ النِّعْمَةِ يَعظُمُ حَقُّهَا وَيُستَوجَبُ شُكْرَهَا وَيُستَنكَرُ كُفرُهَا ، وَقَد بَيَّن لَنَا دِينُنَا الإِسلامِيُّ الحَنيفُ كَيفَ يَسْتَفِيدُ النَّاسُ مِن هَذِهِ النِّعْمَةِ المُسْدَاةِ ، وَكَيفَ يَجْعَلُونَ كَلاَمُهُم الذِّي يَتَرَدَّدُ عَلَى أَلسِنَتِهِم لَيلَ نَهَارَ طَرِيقَاً إِلى الخَيرِ المَنْشُودِ ، فَإِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لاَ يَنْقَطِعُ لَهُم كَلاَمٌ ، وَلاَ تَهدَأُ لَهُم أَلسِنَةٌ ، فَإِذَا ذَهَبْتَ تُحصِي مَا قَالُوا وَجَدْتَ جُلَّهُ اللَّغوَ الضَائِعَ ، وَالهَذَرَ الضَّارَّ ، وَمَا لِهَذَا رَكَّبَ الله الأَلسِنَةَ فِي الأَفوَاهِ ، وَلاَ بِهَذا تُقدَّرُ المَوهِبَةُ المُهْدَاةُ ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١١٤ ﴾[2] لَقَدْ عُنِيَ الإِسْلاَمُ عِنَايَةً كَبِيرَةً بِموضُوعِ الكَلاَمِ وَاهتَمَّ اهتِمَامَاً بَالِغَاً بِأَسْلُوبِ الحَدِيثِ وَأَدَائِهِ إِذْ هُوَ وَسِيْلَةٌ لِلتَفَاهُمِ وَالتَعَامُلِ بَينَنَا ، لأَنَّ كُلَّ كَلاَمٍ يَصْدُرُ وَيَبْرُزُ مِن إِنْسَانٍ مَا ، عَلَيهِ حِلْيَةٌ مِن القَلبِ الذي مِنهُ بَرَزَ كَمَا يَقولُ أَهلُ الحِكمَةِ ، وَلأَنَّ الكَلاَمَ الصَّادِرَ مِن إِنسَانٍ مَّا ، يُشِيرُ إِلى حَقِيقَةِ عَقلِ ذَلِكَ الإِنسَانِ وَطَبْعِهِ وَخُلُقِهِ ، وَلأَنَّ طَرَائِقَ الحَدِيثِ فِي جَمَاعَةٍ مَّا تَحْكُمُ عَلَى مُسْتَوَاهَا العَامِّ فَهمَاً وَعِلمَاً وَخُلقاً ، وَرَوِيَّةً وَعَقْلاً ، وَمَدَى تَغَلْغُلِ الفَضِيلَةِ فِي هَذا المُجْتَمَعِ أَو ذَاكَ ، أَو العَكْس وَالعِيَاذُ بِالله مِن خِلاَلِ هَذَا العُضْوِ الصَّغِيرِ الذي بَينَ فَكَّيْكَ يَحْكُمُ لَكَ أَو عَليكَ . فَيَنبَغِي أَنْ يُسَائِلَ المَرءُ نَفْسَهُ قَبل أَنْ يَتَحَدَّث إِلى الآخَرِينَ أَولاً : هَلْ هُنَاكَ مَا يَسْتَدعِي الكَلاَمَ ؟ فَإِنْ وَجَدَ دَاعِياً إِلَيهِ تَكَلَّمَ وَإِلاَّ فَالصَّمْتُ أَولَى وَأَحْسَنُ بِهِ حَيثُ لاَ ضَرُورَةَ لَهُ ، وإِذَا

---

(١) سورة الرحمن ١-٤.

(٢) سورة النساء ١١٤.

كَانَ الكَلاَمُ مِن فِضَّةٍ فَالسكُوتُ مِن ذَهَبٍ ، فَهَذِهِ مِن العِبَادَات الجَزِيلَةِ الأَجْرِ عِنـدَ الله تَعَالَى قَد يَجهَلُهَا الكَثِيرُ مِنَّا ، قَال عَبدالله بن مَسعُودٍ رَضِيَ الله عَنهُ : (( وَالذي لاَ إِلهَ غَـيُره ، مَا عَلَى ظَهرِ الأَرضِ شَيءٌ أَحْوَجُ إِلى طُولِ سِجْنٍ مِن لِسَانٍ )) وَقَـالَ عَبـدالله بـن عبـاس رضي الله عنهما : (( خَمسٌ لَهُنَّ أَحْسَن مِن الدُّهْمِ المُوقَفَةِ (أَيْ الخُيُولِ الجِيَادِ الحِسَانِ للحَـربِ) : لاَ تَتكلَّمْ فِيمَا لاَ يَعْنيكَ فَإنّهُ فَضْلٌ ، وَلاَ آمَنُ عَليكَ الوِزرَ . وَلاَ تَتكلَّمْ فِيما لاَ يَعْنِيكَ حَتَّـى تَجِد لَهُ مَوضِعاً فَإِنَّهُ رُبَّ مُتكَلِّمْ فِي أَمْر يَعْنِيهِ قَد وَضَعهُ فِي غيرِ مَوضِـعِهِ فَـيُعِيبُ . وَلاَ تُـمَارِ حَليماً وَلاَ سَفِيهاً ، فَإِنَّ الحَلِيم يَقْلِيكَ ، وَإِنَّ السَّفِيهَ يؤذِيكَ . واَذْكُر أَخَاكَ إِذَا تَغيَّـبَ عَنـكَ بِمَا تُحِبُّ أَن يَذكُرَكَ بِهِ ،وَاعْفِهِ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يَعفِيكَ فِيهِ . وَاعُمل عَمَل رجُلٍ يَرَى أَنه مُجَـازَى بِالإحسَانِ مَأخُوذٌ بِالإجْرامِ ) .

وَالمُسلِم لاَ يَسْتَطِيع هَـذَا إِلاَّ إِذَا مَلَـكَ لِسَانَهُ وَلاَ يَـسْتَطِيعُ أَنْ يَمْـلِكَ إِلاَّ إِذَا مَـلَكَ نَفْـسَهُ الجَـمُوح

مَـنْ لي بِـرَدِّ جِمَـاح مِـن غَوايَتِهَـا　　　كَـمَا يُـرَدُّ جِمَـاحُ الخَيـلِ بِـاللُجِمُ

وَبِذَلِكَ يُسَيْطِرُ عَلَى زِمَـامِ لِسَانِهِ بِقُـوةِ الإِرَادَةِ فَيكبحُـهُ حَيـثُ يَجِبُ الـصَّمتُ ، وَيَضْبطُهُ حِينَ يُرِيدُ المَقَالَ ، فَلاَ يَقولُ إِلاَّ خَيراً وَلاَ يَتَلَفَّظُ إِلاَّ بِكَلاَمٍ مُهَذَّبٍ مُـؤَدَّبٍ فَـلاَ يَخْدِشُ فِي كَرَامَةِ أَحَدٍ وَلاَ يَطْعَنُ بِهَا في عِرْضِ أَحَـدٍ ، أَمَّـا الـذينَ تَقُـودُهُم أَلـسِنَـتَهُم في الكَلاَمِ البَذِي السَّفْسَافِ الرَّخِيصِ وَجَرْحِ الآخَرِينَ بِمَا يَرمُونَهُ مِن أَلفَاظٍ بَذِيئَةٍ ، أَشبَهُ مَا تكوُنُ بِقَذَائِفَ نَارِيَّةٍ مِن أَفْواهِهِم فَإِنَّهَا قَدْ تَقُـودُهُم إِلى مَـصَارِعِهِم ، وَإِنَّ الحَـربَ أَوَّلُهـا كَلام ، وإِنَّ النَّـارَ مِـن مُسْتَـصغَرِ الـشَّرَرِ ، كَفَانَـا الله وَإِيَّـاكُم شَرَّهَـا وَشَرَرَهَـا ، وَأَكثـرُ الخِلافَاتِ النَّاشِئةِ بَيْنَنَا سَبَبُهَا ثَرثَرةٌ فَارِغَةٌ ، وَكَلاَمٌ لاَ يُحْسَبُ لَهُ حِسَابٌ ، وَأَكثرُ مَا يُنْـشَأ مِن سُوءِ التَّربِيَةِ. أَجَلْ إِنَّ اللِـسَانَ الـسَائِبَ في الكَـلامِ حَبـلٌ مُرخـىً في يَـدِ الـشَّيْطَانِ ،

يُصَرِّفُ صَاحِبَهُ كَيفَ يَشَاءُ ، فَإذَا لَمْ يَمْلِك الإِنسَانُ أَمرَهُ كَانَ فَمُهُ قَذِراً مُلَطَّخاً بِالنِّفَايَاتِ الوَسِخَةِ التي تُلَوِّثُ قَلْبُهُ . فَمِن نَصَائِح رَسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه قَولَهُ : (( عَلَيْكَ بِطولِ الصَّمْتِ فَإِنَّهُ مَطْرَدَةٌ لِلشَّيطَانِ وَعَونٌ لَكَ عَلَى أَمرِ دِينِكَ )) رَواه أحمد .

وَبِقَدْرِ تَنَزُّهِ المَرءِ المُسْلِمِ عَن لَغوِ الكَلاَمِ تَكوُنُ دَرَجَتُهُ عِندَ الله ، فَعَن أَنَسِ بن مَالكٍ رضي الله عنه قَال : تُوُفِّي رَجُلٌ فَقَال رَجلٌ آخَرُ وَرَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يَسْمَعُ –أَبْشِر بِالجَنَّةِ فَقَال رسولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أَوَلاَ تدري ؟ فَلَعَلَهُ تَكَلَّمَ فِيمَا لاَ يَعْنِيهِ ، أَوْ بَخِلَ بِمَا لاَ يَنْقُصُه )) رَواه الترمذي .

وَاللاَّغِي لِضَعْفِ الصِّلَةِ بَينَ فِكرِهِ وَنُطْقِهِ يُرسِلُ الكَلاَمَ عَلَى عَواهِنِهِ فَرُبَّمَا قَذَفَ بِكَلِمَةٍ طَائِشَةٍ تَسَبَّبَتْ في إِهْلاَكِهِ وَبَوارِه ، وَدَمَّرت مُسْتَقبَلَهُ وَقَدْ قِيلَ مَن كَثُرَ لَغَطُهُ كَثُرَ غَلَطُهُ ، وَلَقَدْ أَحسَنَ مَن قَال :

يَمُوتُ الفَتَى مِن عَثْرَةٍ مِن لِسَانِهِ وَلَيسَ يَمُوتُ المَرءُ مِن عَثرةِ الرّجلِ
فَعثرَتُهُ مِن فِيهِ تَرْمِي بِرَأسِهِ وَعثرَتُهُ بِالرّجل تَبرأُ عَلَى مَهْلِ

وَفي الحَدِيثِ : (( إِنَّ العَبدَ لَيَقُولُ الكَلِمة لاَ يَقُولُهَا إِلاَّ لِيُضْحِكَ بِهَا المَجلِسَ ، يَهوِي بِهَا أَبْعَدَ مَا بَينَ السَّماءِ وَالأَرض ، وَإِنَّ المَرْءَ لَيَزِلُّ عَن لِسَانِهِ أَشَدَّ مِمَّا يَزِلُّ عَن قَدَمِهِ )) رواه البيهقي .

أَيّهَا الأُخوةُ المُسْلِمُونَ : إِنَّ الشَّيْطَانَ مُتَرَبِّصٌ بِنَا يُرِيدُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَنَا العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ ، وَأَنْ يَجْعَلَ مِن النِّزَاعِ التَّافِهِ عِرَاكَاً دَامِياً ، وَلَنْ يَسُدَّ الطَّرِيقَ أَمَامَهُ كَالقَولِ الجَمِيلِ وَحُسنِ الكَلاَمِ مَع الأَعَداءِ يُطفِئُ خُصُومَتَهُم وَيَكْسِرُ حِدَّتَهم ، أَو هُوَ عَلَى الأَقَّلِ يُوقِفُ تَطَّور الشَّرِّ وَاسْتِطَارَةِ شَرَرِه ، قَال تَعَالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ

بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ... ﴾(١) .

وَالإِسْلاَمُ يَعْتِبرُ الكَلِمةَ الطَّيبةَ صَدَقةً ، وَيُفْهِمُ الْمُسلِمُ أَنَّ لَدَيهِ كَنْزاً يَنْفِقُ مِنهُ وَلاَ يَخْشَى نَفَاداً عَلَى طُولِ الإِنفَاقِ وَكَثرَةِ البَذْلِ ، أَلاَ وَهوَ الخُلقُ الرَّفيعُ وَالحَدِيثُ العَذْبُ يَقولُ مُعَلِمُنَا الأولُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم : (( إِنَّكُم لَن تَسعُوا النَّاسَ بِأَموالِكم فَلِيَسَعْهُم مِنكُم بَسطُ الوَجهِ وَحُسنُ الخُلقِ )) رواه البزار . بَلْ إِنَّهُ يَرى الحِرْمَانَ مَعَ الأَدَبِ أَفْضَلَ مِن العَطَاءِ مَعَ البَذَاءةِ ((قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ )) وَرُوِيَ عَن أَنسٍ رَضي الله عنه قَال : قَال رجلٌ للنَّبي صلَّى الله عَلَيه وَسَلم عَلِّمْنِي عَمَلاً يُدْخِلْنِي الجَنَّةِ . قَال : (( أَطْعِم الطَّعَامَ ، وَأَفْشِ السَّلاَمَ ، وَصِلِّ بِاللَّيلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلِ الجَنَّة بِسَلامٍ )) .

وَعُظَماءُ الرِّجَالِ مِنَ الْمُؤمِنينَ يَلْتَزِمُونَ فِي أَحْوَالِهِم جَمِيعَاً أَلاَّ تَبْدُرِ مِنْهُم لَفْظَةٌ نَابِيَةٌ وَيَبْتَعِدُونَ عَن كُلِّ مَا يُدَنِّسُهُم مِن سَفْسَافِ الكَلاَمِ ، وَسَيءِ اللفظِ بَينَما صِنفٌ آخَرُ مِن النَّاسِ يَعِيشُ شَرِسَ الطَّبعِ سَيِّء الخُلُقِ لاَ تَردَعُهُ مَكارَمُ أَخلاقٍ وَلاَ مُروءةٍ وَلاَ يُبَالي أَنْ يَتَعَرَّضَ لِلآخَرِينَ بِما يَكْرَهُونَ لِيُشْبعَ رَغْبَتَهُ الدَنِيئةَ وَلاَ يَنْبَغِي وَلاَ يَليقُ لِلرَّجُل النَّبِيلُ الفَاضِلُ أَنْ يَشْتَبِكَ فِي حَدِيثٍ مَعَ هَؤلاءِ وَمِن ثُمَّ شَرَعَ الإِسلاَمُ مُدَارَاةَ السُّفَهَاءِ ، أَخرَجَ الإمامُ البُخَارِي عَن عَائِشَة رَضِيَ الله عَنهَا قَالَتْ : اِستَأذَنَ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّم فَقَالَ : (( بِئسَ أَخُو العَشِيرَةِ )) فَلَّما دَخَلَ انبَسطَ إِليهِ وَأَلانَ لَهُ القَولَ فَلَّما خَرَجَ قُلتُ : يَا رَسُولَ الله حِينَ سَمِعْتَ الرَّجُلَ قُلتَ كَذَا وَكَذَا ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ

(١) سورة فصلت ٣٤-٣٥.

وَانْبَسَطْتَ إِليهِ فَقَالَ : (( يَا عَائِشةُ مَتى عَهِدْتِني فَاحِشَاً ؟ إِنَّ مِن شَرِّ النَّاسِ عِنْدَ الله مَنْزِلَة يومَ القِيَامَةِ مَن تركَهُ النَّاسُ إِتِّقَاءَ فُحشِهِ )) وَهَذَا مَسْلَكُ الرجَال الكِرَام ، فَإِنَّ الرَّجلَ لاَ يَسوُغُ لَه أَن يَفْقِدَ خُلُقهَ مَعَ مَن لاَ خَلاَقَ لَهُم وَلَو أَنَّه شَغَلَ نَفْسَهُ بِتَأدِيبِ كُلِّ جَهُولٍ يَلقَاهُ لأَعْيَتهُ الحِيل مِن كَثْرَةِ مَا سَوفَ يَلْقَى ، وَلِذَلِكَ عَدَّ القُرآنُ الكَرِيمُ في أَوائِلِ الصِّفَاتِ التي يَتحَلَّى بِهَا عِبَادُ الرَّحمَنِ هَذِهِ المُدَارَاةِ الحَكِيمَة ، فَقَال تَعالى : ((وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً )) كَمَا عُدَّ مِن خِصَالِ العُلماءِ الرَّاسِخِينَ هَذَا التَّجَاوزُ الوَاسِعُ عَن الجَاهِلينَ ((وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ )) وَقَد يَكْظُمُ الإِنسَانُ غَيْظَهُ مَرَّةً أَو مَرَّتَينِ بيدَ أَنَّ المُسلمَ الفَاضِلَ عَلَيهِ أَنْ يُطَاوِلَ الأذَى أَكثَرَ مِن ذَلِكَ ، حَتَّى لاَ يَدَعُ الشَّرَّ يُسَيْطِرُ عَلَى المَوقِفَ آخِرَ الأَمر ، فَعَن سَعيد بن المُسيب قَالَ : ( بَيْنَمَا رَسولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم في أَصحَابِهِ وَقَعَ رَجُلٌ بِأَبِي بَكر فَآذَاهُ فَصَمَت عَنهُ أَبُوبَكر ثُمَّ آذَاهُ الثَانِية فَصَمَت عَنهُ ، ثُمَّ آذَاه الثَالِثَة فَانْتَصَرَ أَبُوبَكر رَضي الله عَنهُ ، فَقَامَ رَسُولُ الله صلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّم فَقَال أَبُوبَكرٍ : أَوَجَدتَ عَليَّ يَا رَسُول الله ؟ قَال : (( لاَ ، وَلَكِن نَزَلَ مَلَكٌ مِن السَّمَاءِ يُكَذِّبَهُ بِمَا قَالَ لَكَ فَلَمَّا انْتَصَرتَ ذَهَبَ المَلَكُ وَقَعَدَ الشَّيْطَانُ فَلَمْ أَكُنْ لأجلِسَ إِذَا قَعَدَ الشَّيطَان )) .

وَمُدَارَاةُ السُّفَهاءِ لاَ تَعْنِي قَبُولَ الدَّنِيةِ فَالفَرقُ بَينَ الحَالَين بَعيدٌ ، الأُولَى ضَبْطُ النَّفْسِ أَمَامَ عَوامِلَ الشَّرِّ وَالاستِفزَازِ وَمَنْعها طَوْعَاً أَو كَرهاً مِنْ أَنْ تَسْتَثِيْرَهَا دَواعِي الغَضَبِ ، أَمَّا الأُخرى فَهيَ بَلاَدَةُ النَّفْسِ وَاستِكَانَتُها وَقَبُولُها مَا لاَ يَرضَى بِهِ ذُو عَقْلٍ أَوْ مُرُوءَةٍ . جَنَّبَنَا الله وَإِيَّاكُم مَزَالِقَ اللِّسَانِ وَحَفِظَنَا وَإِيَّاكُم مِن فِتَنِ الشَّيْطَانِ .

إِنَّ أَحْسَنَ الكَلاَمِ لَفظَاً وَوَقْعَا ، وَأَحـلَى البَيَـانِ سَـمْعَاً وَنَفْعَـا، كَـلاَمُ مَـن عَنَـتِ الوُجُوهُ لَهُ كَرهَاً وَطَوعَا .

وَاللهُ يَقُولُ وَبِقَولِـهِ يَهْتَـدِي المُهْتَـدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] وَقَـالَ عَـزَّ مَـنْ قائِـلٍ كَـرِيمٍ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[2].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ الله مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُـؤْتِي أُكُلَهَـا كُـلَّ حِـينٍ بِـإِذْنِ رَبِّهَـا وَيَـضْرِبُ الله الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَـةٍ اجْتُثَّـتْ مِـن فَـوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ )) .

بارَكَ الله لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِياكُمْ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِـيمِ ، أَقُولِي قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُـوَ الغَفُـورُ الرَّحِيمِ.

## الخطبة الثانية

الحَمَدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتْقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِــينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا

(١) الأعراف: ( ٢٠٤ ) .

(٢) النحل: (٩٨).

شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَ أَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلَائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُـلَّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَ بَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا م مُحَـمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَـرِ ، وعَـلَى آلِــهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

عِبَادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى اتَّقُوا الله مِنْ سَمَــاعِ اللَّغْـوِ وفُـضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أَمَّا بعدُ : يَا أَتباع مُحمد بن عبدالله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم مِن الضَمانَاتِ التي اتخذَهَا الإِسلامُ لِصِيَانَةِ الكَلاَمِ عَن النَّزف والهَوى وَالطَيشِ تَحريمُهُ الجَدَلَ وَالمِرَآء ، فَسَدَّ أَبْوَابَـه سَواءً كَان حَقاً أَو بَاطِلاً ، كَي لاَ تَتَمـزّق الآرَاءُ ، وَيَتَـصدَّعُ البِنَـاء ، لأَنَّ كـل طَـرَفٍ فِي الجِدَال قَدْ يَرْكَبُ رَأسه وَيتَعَصَّب لِرَأيِهِ فَتبرز طَبَـائِع العِنَـادِ وَالمُنَاوَشَـاتِ في الحَـدِيثِ ، فَيَكُون حُبُّ الانتِصَار وَالغَلَبَةِ عِنْدَهُم أَهَّم مِن إِظْهَارِ الحَقِّ ، وَالاعترافُ بِالحقِ فَضِيلَة ، وَالإِسلاَمُ يُنَفِّرُنَا مِن أَحْوالِ التَعصُّب لِلرَأيِ وَيَعِـدُّهَا خَطَـراً عَـلَى الـدِّينِ وَأَهلِـهِ، قَـالَ رَسُول الله صلَّى الله عليه وسلم : (( مَن تَرَكَ المِرَاءَ (أي الجدال) وَهو مُبْطِل بُنِي لَهُ بَيـتٌ فِي رَبَضِ الجَنَّة ، وَمَن تَرَكَه وَهو مُحِقٌّ بُنِي لَهُ فِي وَسَطِهَا ، وَمَـن حَـسُنَ خُلقُـه بُنِـي لَـهُ فِي أَعلاَهَا )) رواه أبو داود .

وَالجِدَالُ فِي الدّين ، وَالجِدَال فِي السِّياسَةِ ، وَالجِدال فِي العُلُوم وَالآدَابِ ، عِندَمَا يَتَصَدَّى لَهُ هَذَا النَفَرُ مِن الحَمْقَى الأَدعِيَاء المُتَحَذْلِقِين المُتَشَدِّقِين ، يَفْسُد بِهِ الدِّين وَتَفسدُ

بِهِ العُلُومُ وَالآدَابُ ، فَلاَ دِينَ وَلاَ سِياسةَ وَلاَ عِلمَ وَلاَ أَدَبَ إِذاً . وَلَعلَّ السَبَب في الانهِيَار العُمْرَاني لِلمُسْلِمِينَ هُو التَحَزُّبُ الفِقْهِي وَالانقِسَامُ الطَائِفيُّ وَغَيرُ ذَلِكَ مِمَّا أَصَابَ المُسلمينَ وَأُمَّةُ الإِسلام هُو هَذَا الجَدَلُ المَشئومُ في حَقَائِقِ الدينِ وَشُئونِ الحَيَاةِ . رَوى عَددٌ مِن الصَحَابَةِ رَضِي الله عَنهم قَالُوا : خَرَجَ عَلَينا رَسُولُ الله ﷺ يوماً وَنَحْنُ نَتَمارَى (أَيْ نَتَجَادَل) فِي شَيءٍ مِن أُمُورِ الدِّينِ ، فَغَضِبَ غَضَباً شَدِيْدَاً لَمْ يَغْضَبْ مِثْلَهُ ، اِنتَهَرَنَا فَقَال : (( مَهلاً يَا أُمَّةَ مُحَمدٍ إِنَّمَا هَلَكَ مَن كَان قَبْلَكُم بِهَذَا . ذَرُوا المِرَاءَ لِقِلَّةِ خَيْرِه ذَرُوا المِرَاءَ فَإِنَّ المُؤمِنَ لاَ يُمَارِي ، ذَرُوا المِرَاء فَإِنَّ المُمَارِي قَدْ تَمَتَّ خَسَارَتُهُ ، ذَرُوا المِرَاء فَكَفَى إِثماً أَلاَّ تَزَال ممارياً ، ذَرُوا المِرَاء فَإِنَّ المُمَارِي لاَ أَشْفَعُ لَهُ يَومَ القِيَامَةِ ، ذَرُوا المِرَاء فَأَنَا زَعِيمٌ بِثَلاثةِ أَبْيَاتٍ في الجَنَّةِ فِي رِبَاضِهَا وَوَسَطِهَا وَأَعلاَهَا لمن تَرك المِرَاء وَهو صَادِقٌ ، ذَرُوا المِرَاء فإِنَّ أَولَ مَا نَهَانِي عَنهُ رَبِّي بَعدَ عِبَادَة الأَوْثَان المِرَاء )) رواه الطبراني . وَقَد جَاء في الحِكمَة : إِذَا أَرَادَ الله بِقَومٍ سُوءً ابتَلاهُم بِكَثْرَةِ الجَدَلِ وَقِلَّةِ العَمَل .

وَلَيسَ مِن المِرَاء مَا يَحْصُلُ مَثَلاً مِن مُنَاقَشَاتٍ جَادَةٍ وَبُحُوثٍ عِلْمِيةٍ في قَاعَاتِ الجَامِعَاتِ وَالمَعَاهِدِ بَينَ المُدَرسِينَ وَطُلاَبَهُم مِن أَجلِ التَحّصِيل العِلمِي لأَنَّ الحَقِيقَة بِنْتُ البَحْث كَمَا يُقَال .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَـدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلاَئِكَتِـهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِرَاً وآمِـرَاً لَكُـمْ تَكْـرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصَاً مِـنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِـي بَكْـرٍ وعُمَـرَ وعُثْمَـانَ

وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَابَ أَهْلِ الجَنَّـةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْدِالله الـحُسَينِ، وعَلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْـرَاءِ البَتُـولِ فَاطِمَـةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَةَ ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيِّـكَ تَحْتَ الـشَّجَرَةِ طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَـنْ جَمِيـعِ أَصْـحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَانَ الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجْلِيَ الظُّلْمَـةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلَيهِ مَـصِيرُنَا، وعَلَيـهِ تَوَكُّلُنَـا ، و إِلَيـــهِ مَفْزَعُنَـا ؛ اكْـشُفْ كَرْبَنَـا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَـا ذَا الجُـودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـــا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِيَ الحَاجَـاتِ وغَـافِرَ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَـا رَبَّ العَالَــمِينَ.اللَّهُـمَّ آمِنَّـا فِي أَوْطَانِنَـا ، وابْـسُطِ الأَمْــنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرَ بِـلادَ الـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبِنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَ وَلِّ عَلَينَـا خِيَارَنَـا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءِ مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَـعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْـدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَوناً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَـنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ. اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

عِبَـــــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَـذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# الإخلاص في العمل

## الخطبة الأولى

الحمد لله مُوفِّق عبادِه المُتَّقينَ المُخلصينَ وَمُثبتهمْ بِاليَقينِ وَالتمكيْنِ وَمؤيدِ بِنَصرِهِ المُؤمِنيْنَ ومُرْغِمِ أُنُوفِ المتَذَبْذِبينَ وَالمنَافِقينَ ، وَأشهَدُ أن لا إلهَ إلاَّ الله وَحدَهُ لَا شَريكَ لَهُ ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾ سُبحانَه أكرَمَ الأكرَمِيْن وَالحمدُ لله رَبِّ العَالمين ، وَأشهَدُ أن سَيِّدَنا مُحمداً عَبدُهُ وَرسُولَهُ سَيِّدُ الأنبيَاءِ وَالمرسَلينَ وَقائِد الغُرِّ المحجَّلِينَ ، وَالأُسْوَةُ الحسَنةُ لِلمُخلِصينَ الصَّادِقينَ ، اللَّهُم صَلِّ وَسَلِّم وَبَارك عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلى آلهِ وَصحْبه وَالتَّابِعينَ الَّذِينَ صَدقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيه ، فَكانُوا الهُدَاةَ الرَّاشِدِينَ وَالقَادَةَ المُصْلِحِيْن .

أمَّا بعدُ : أُوصيكُم أيهَا المُسلِمُونَ ونَفْسِيَ بِتَقوىَ الله تَعالَى فإنهـا مَطهِّرة لِلقلوبِ مِنَ الأدْنَاسِ ومُبْعِدَةُ النَّفوسَ عنْ الأَرْجَاسِ وَعَنْ وَسَاوِسِ إِبْلِيسَ الخنَّاسِ وَمَواطِنِ الخَسَارَةِ والإِفلَاسِ .

عِبَادَ الله : يَقولُ الله تعالَى مخاطِباً نبيَّه محمداً صلَّى الله عَليه وسلم : ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الإسلامُ دِينُ الإخْلاصِ والإتْقَانِ فِيْ العَمل أيّ عَمَلٍ كَانَ دِيني أو دُنيويَّ ، وإنَّ الدَّوافعَ التي تَسُوقُ المرءَ المسلمَ إلى العَملِ وَتَدْفَعُهُ إلَى إِجادَتهِ وإتقَانهِ وَتغْرِيْهِ بِتحَمُّلِ التَّعبِ وَالمشقَّةِ فيهِ كثيرةٌ ومتبَاينة .

والإسْلامُ يرْقُبُ –بِعنايَةٍ فَائِقةٍ– مَا يقَارِنُ أَعْمالَ النَّاسِ مِن نِيَّاتٍ ، ومَـا يُلَابـسها مِنْ عَواطِفَ وَانفعَالَاتٍ ، وَما يُرافِقُها مِنْ إخْـلَاصٍ وَحُـسن نِيَّـةِ وَطَويَّـة ، فَقَـدْ يَبـذُلُ الإنسَانُ المَالَ مثلاً لِكَي يَستمِيلَ إليَه القُلُوبَ وَيكْسِبَ محَبَّةَ هَذَا أو ذَاكَ ، وَقد يَبذلُ المالَ ليُجازِيَ بهِ من أَسْدَى إليَه مَعرُوفاً سَابقاً ، أو يَدفعَ شَرَّ معتَدي يُريدُ أنْ يَنَالَ مِنـهُ وَهـذهِ المسَالكُ كُلِها خيرٌ وَكرَمٌ يدفعُ الإنسَانَ إليَهِ شُعُورُهُ بِنَفسِهِ ومَصْلحتِها فحسب .

وَلكنَّ الإسلَامَ لَا يَعتَدُّ بالصَّدقَةِ وَبَذْل المالِ إلاَّ إذَا خَلُصتْ النِّيَّاتُ وَصَـفَتْ مِـنْ شَوَائِبِ النَّفس وأنانيتها و تمحضَتْ للهِ وَحْدَهُ دُونَها تفكيرٍ في المصَالح الذَّاتية ، ومن غَيرِ أثَرَةٍ أو مَنْفَعَـةٍ شَخْـصيَّةٍ لقَـول الله تعَـالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ ﴾ ولتَـــــصْحيح اتجَاهَاتِ القَلب الذي يُخَافُ عَلَيْه من التقلباتِ وما سمي الإنسان إلا لنسيه ولا القلـب إلا لأنه يتقلب ، ولِضمَانِ تَجرُّدِهِ عَن الأهواء وَالانحرَافِ والتبعات قالَ رَسُولُ الله صَـلى الله عَليه وسَلَّم : (( إنَّما الأَعْمَالُ بالنيَّاتِ وإنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوى فَمنْ كَانَتْ هِجرَتُـهُ إلَى الله وَرسُوْلِهِ فَهجرتهُ إلى الله ورسُولهِ ، وَمَن كَانتْ هجرَتُهُ لدُنيَا يصيبُها أو امرأةٍ ينكِحُهَا فَهجرتُهُ إلى مَا هَاجرَ إليه )) رواه البخاري .

أجلْ إنَّ ألوفَ المُسلمِينَ بَلِ الملايينَ يَقطَعُـونَ آلافَ الأميَـالِ والمـسَافَاتِ البَعيـدة لأغرَاضٍ شتَّى وَلكِنْ نِيَّاتهُم مختلفةٌ وبِهَا يُفَرِّقُ بَينَ المُهاجِرِ والمُسافِرِ ، وَإنْ كَانَـت صُـورَةُ العَملَينِ وَاحدَةً سَفَرٌ وَتَعبٌ وَمَشقةٌ في الذِّهَابِ والإيَاب .

إنَّ صَلَاحَ النيَّةِ وَإخْلَاصِ العَملِ للهِ رَبِّ العَالَمينَ يَرْفعانِ مَنْزلَـةَ العَمـل الـدنيَويّ البَحتِ إلَى دَرَجةٍ عَاليةٍ فَيجعَلانِهِ عِبَادَةً لله مُتقبلةً إنْ شَاءَ الله تعالَى .

وإنَّ خفيت الطَّوِيَّةِ وَسُوءَ النيَّةِ يَهْبِطَانِ بالطَّاعاتِ المَحْضَةِ والأَعـمَالِ الدِّينيـةِ إلى الحَضيضِ فَتقلُبُها مَعَاصِيَ شَانئه فَلا يَنَالُ المَـرءُ مِنهَـا بَعـد التَّعـب في أدَائِهَـا إلاَّ الفَـشَلَ والخَسَارَ وعلى سَبيل المثال لا الحصرِ وقد يَبنِي الإنسَانُ قَصْراً مُنيفَ الـشُرُّفاتِ فَـسيحَ الغُرُفَاتِ ، وقدْ يَغرِسُ حَديقةً مُلتَفَّةَ الأشْـجَارِ دَانيـةَ الأَثْـمار وَهـو بـين قَـصْرِه المَشيْدِ وَبُستَانِهِ النَّضِيدِ يُعِدُّ منَ الدُّنيا بَيْدَ أنَّهُ إذا قَصدَ منْ وَرَاءِ بنُيانهِ وَغراسهِ نَفْعَ النَّاسِ كَانَ لَهُ فيهمَا ثَوابٌ غيرَ متطوعٍ وَأجر دَائِمٌ غير مَمنُوع . قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَـلَّم : (( مَن بَنَى بُنياناً فِي غَيرِ ظُلمٍ وَلَا اعتدَاءٍ ، أو غَرَسَ غَرْساً فِي غَيرِ ظُلمٍ ولا اعتدَاءٍ ، كَانَ لَـهُ أجْراً دَائماً جَارياً ما انتفعَ بِهِ –أحدٌ– مِنْ خَلقِ الرَّحمن تَبارَكَ وَتعَالَى )) رواه أحمد .

وقالَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم : (( مَا منْ مُسلمٍ يَغرِسُ غَرساً ، أو يَزرَعُ زَرعاً فَيأكـلَ فِنْه طَيرٌ أوْ إنسَانٌ إلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَـدَقةٌ )) رواه مـسلم . بَـلْ إنَّ اللَّذائِـذَّ التـي تَتَـشهَاهَا النَّفسُ إذَا صَاحَبْهَا النِّيَّةُ الصَّالِحَةُ وَالهَدَفُ النَّبيلُ الشَّريفُ تحوَّلَتْ إلَى قُرُبَاتٍ وَطَاعَاتٍ لله تَعَالَى . فالرَّجُلُ يَأتِيْ أهْلَه (أي يواقع امرأته) يُرِيدُ أنْ يحفَظَ عَفَافَهُ ، وَيصُونَ دِيْنَهُ لَهُ فِي ذَلِكَ أجر كما قالَ الرَّسُولُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَـلَّم (( وَفِي بُـضْعِ أحَـدِكم صَـدَقَةٌ )) وَمَـا يَطعمُهُ الإنسَانُ مِن غذاءٍ لِنفْسِهِ أَو يُطعِمُهُ أولادَه وَزَوْجتَه لَهُ مثُوبَةٌ بنيَّةِ الخَير التي تُقارِنُهُ . فعَن سَعد بن أبي وَقاص الزُّهْري رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قالَ لَهُ : (( إنَّكَ لَن تنفقَ نفقَةً تبتَغِي بهَا وَجْهَ الله إلاَّ أُجِـرْتَ عَليهَـا حَتَّـى مـا تجعلُـه في فَـمِ امْرأتِكَ )) رواه البخاري . وَقَالَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم : (( مَا أطعمتَ نَفْسَكَ فَهـو لَـكَ

صَدَقَةٌ ، وَمَا أَطْعمْتَ وَلَدَكَ فَهو لَكَ صَدَقَةٌ وَمَا أطْعمْتَ زَوْجتكَ فَهو لَكَ صَدَقَةٌ ، وَمَا أطعمْتَ خَادِمَكَ فَهو لَكَ صَدَقَةٌ )) رواه أحمد .

والحَقُّ أنَّ المَرءَ مَا دَامَ قَدْ أسلَمَ لله وَجهَهُ ، وأخْلَصَ نِيَّتَهُ فَإنَّ حَركَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَغُدُوَاتِهِ وَرَوْحَاتِهِ وَنَومَاتِهِ وَيَقَضَاتِهِ ، تُحتَسَبُ خُطُواتٌ إِلَى مَرضَاةِ الله وَجِهَادٌ في سَبيل الله وقد يَعْجَزُ هَذَا أو ذاك عن عَملِ الخَيرِ الذَيْ يَصْبُو إلَيهِ لِقلَّةِ مَالِهِ أو ضعف صِحَّتِهِ وَلكنَّ الله المُطَّلعَ عَلَى خبايَا النفُوسِ وَخَطَراتِ القلُوبِ يَرفَعُ الحَرِيصَ عَلَى الإصْلاحِ إلَى مَرَاتِبِ المُصلِحينَ والرَّاغِبَ في الجِهَادِ إلَى مَراتبِ المُجاهِدِين لأنَّ بُعدَ هِمَّتهم أَرْجَحُ لَديْهِ مِنْ عَجْزِ وَسَائِلهِمْ .

حَدَثَ في غَزوة العُسْرة (أي غزوة تبوك) التي ابتُلِيَ فيها الرَّسُول صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم والصَّحابةُ بَلاءً حسناً أن تقدم إلى رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم رِجَالٌ يُرِيدُونَ أن يُقَاتِلُوا الكُفارَ مَعَهُ وأن يَجُودُوا بأنفُسِهم في سَبيل الله غَيرَ أنَّ الرَّسُولَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم لَمْ يَستَطِعْ تجنيدَهم لعدم وجود النفقة والمركوب لهم فعَادُوا وَفِي حُلُوقِهِمْ غُصَّةٌ لِتخلُّفهمْ عَن مَيادِيْنِ الشرفِ والشَّهادَةِ في سَبيلِ الله وَفيهِمْ نَزلَ قوله تعَالَى : ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ أتَرونَ أنَّ الله يَهْدِرُ هَذا اليَقينَ الرَّاسِخَ ، وَهَذه الرَّغبَةَ العَميقة في التضحيَةِ والجهادِ كَلاَّ ولذَلِكَ نوَّه النبي صَلَّى الله علَيه وسَلم بإيمَانِ أولئِكَ القوم وَإخلاصِهمْ . فقَالَ للجَيش السَّائِر : (( إنَّ أقْواماً خَلَّفنا بالمدينةِ مَا سَلكنَا شِعْباً وَلا وَادِياً إلاَّ وَهُم مَعَنا حَبَسَهُم العُذرُ )) رواه البخاري . إنَّ النيَّةَ الصَّادِقَة سَجلتْ لَهُم ثَوابَ المُجاهِدينَ لأنَّهم قَعَدُوا مُرغَمينَ وَلئِنْ كَانَتْ النيَّةُ الصَّالِحَةُ تَمنَحُ

صَاحبها هَذا القَبُولَ الواسِعَ فإنَّ النيَّةَ الفَاسِدَة المدخولة تُحبِطُ العمَلَ الصَّالِحَ فَيصيرُ بها مَعْـصِيَةً قَـالَ تعَـالَى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾ إن الـصَّلاةَ مَـع الرِّيـاءِ والنِفـاقِ أَمسَتْ جَرِيمةً وَكَذلِكَ الزكاةُ والصدقة إنها إن صَدَرَتْ عَن قَلبٍ سَخِيٍّ منيب لله قُبلتْ وإلاَّ فهي عَملٌ بَاطِـلٌ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٢٦٤ ﴾ إنَّ القَلْبَ الفَقيرَ المقفِرَ مـنَ الإخـلَاصِ لا يَنبـتُ خَـيراً كـالحَجَر الصَّلْدِ المكسُوِّ بالتُّراب لا يخرُجُ زَرْعاً . ألا مَا أعَزَّ الإخلاصَ وَأعظمَ بَركتَـه إنَّـهُ يُخَـالِطُ العملَ القلِيلَ فينميه حَتَّى يَزنَ الجبالَ وَيخلُو منهُ الكثيرُ فَلا يزنُ عِندَ الله هَبَاءَةً ، وَلـذلكَ قال رسولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم : (( أَخْلِصْ دِينَكَ يَكفِكَ العَمَلُ القَليـلُ )) وإنَّ الله تَبارَكَ وَتَعالَى يُقبل عَلَى عبادِهِ الُمخبتينَ الُمخلصِينَ وَيَتَقبلُ مِنهُم مَا يتقرَّبُونَ بِهِ إِلَيهِ ، أمَّا مَا عَدَاء ذَلِكَ مِن زخارفِ الدَّنيَا وَتكلُّفاتِ البَشَرِ فلا قيمةَ لَهُ وَلَا اكترِاثَ بِهِ .

قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْـهِ وَسَـلَّم : (( إنَّ الله لا يَنظـرُ إلَى أجْـسَامِكُم ولَا إلَى صُوَرِكُم وَلكنْ يَنْظُرُ إلَى قُلُوبِكُم )) رواه مسلم ، وفِي قَوله عَليه الصَّلاُة والسَّلامُ : (( إذَا كانَ يَومُ القِيَامَةِ جِيْءَ بالدُّنيا فَيميزُ منهَا مَا كَانَ لله ... وَمَا كَانَ لِغَيرِ الله رُمِـيَ بِـهِ فِي نـارِ جَهَنَّمَ )) رواه البيهقي .

وَيحدثنا التاريخ الإسلاميُّ أن صهيباً لما أراد الهجرة من مكة إلى المدينةِ تصدَّتْ له قريشٌ قائلةً : أتيتنا صُعلوكاً فقيراً فكثر مَالُك عندنَا وبلغت الذي بلغـتَ ، ثـم تُريـد ان

تَخرجَ بمالك ونفسك والله لا يكونُ ذلكَ ، فقال لهم صـهيبُ : أرَأيـتُم إن جَعلـتُ لكـم مالي أتخلُّونَ سَبيلِي ؟ قالوا : نعم قال : فإنني قد جعلتُ لكم مالي كله ، فبلغ ذلك رسولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فقالَ : (( ربحَ صُهيبٌ )) . وفيه وفي أمثالِه نزلَ قولُهُ تعـالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ وأمتُنا الإسلَاميةُ في اوج عِزِّهَا وَمجْدِهَا لَم تبلغْ مـا بلغَـت مِـنَ القـوة وَالهيبَـةِ إلا بفـضل إخلاصِها لله خَالِقِهَا وَلِمَبادِئِهَا وَعقائِدِهَا إخلاصـاً امتـزَجَ بمـشَاعِرِ القُلُـوب وشـغافِهَا وتَطبيقاً لهُ في كلِّ مجَالاتِ الحياةِ نَظَرِيَّاً وَعَمليَّاً إيماناً بأنَّه وَحدَهُ سِـلاحُهَا الـذي لا يُقهـرُ وَعُدتُها التي لا تُهـزَمُ قَـالَ تعَـالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ ﴾ وَعنْـدَمَا هَــبَطَ عِنــدَهَا مُــستوى دَرجــةِ الإخلاصِ تعرَضتْ هذهِ الأمَّةُ الإسلَاميةُ لهَزَّاتٍ عَنيفَةٍ مَزَّقتْ كيَانها وَصَـدَّعتْ بُنيَانهـا واستُعمرتْ أوْطَانُها وَصَدقَ عَليهَا قولُ رَسولِها الأكرم صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: (( يُوشكُ أنْ تَداعَى عَليكُم الأمَمُ كَما تداعَى الأكلة عَلى قَصعَتِها ، قالُوا : أمن قلَّةٍ يا رَسُـولَ الله ؟ قال : بَلْ أنتُم يَومئِذ كَثيرٌ ، وَلكِنكُم غُثاءً كغثَاءِ السَّيل وَليَنـزعَنَّ الله المَهابـةَ مِـنْ قُلُـوبِ أعْدائِكُم وليُلْقِينَّ الله في قُلُوبِكُم الوَهَنَ ، قالُوا ومَا الـوَهنُ يارَسـولَ الله ؟ قـال : حُـبُّ الدُّنيَا وَكراهِيةُ المَوتِ )) رواه الترمذي .

فاتقوا الله عبـادَ الله واعتـصموا بـالله هـو مـولاكم واذكـروُهُ في جَميـع أعمالِكُـم وأحوَالِكُم فهوَ نعمَ المولى ونعمَ النـصير ، واحـذرُوا مـن المنـافقِينَ والمـرائِين والأغـرارِ المخادِعين ، فانهم أضرُّ بالأمةِ وأدْعَى للفُرقَةِ مِن أعدَائِها السَّافرين .

والله يقــول وبقولــه يهتــدي المهتــدونَ ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ وقال عزَّ مِن قائل كـريم : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾

أعــوذ بــالله مــن الــشيطان الــرجيم : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾﴾ بـــاركَ الله لي ولكُم في القُرآن العَظيم وَنَفعني بالآيات والذكر الحكيم . أقولُ قولي هَـذا واسـتغفرُ الله العظيم لي ولكم فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

# الخطبة الثانية

الحَمَدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتْقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِــينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَـتِمُّ شَيءٌ دُونَـهُ.وَ أَشْـهَدُ أَنَّ سَـيِّدَنَا مُحَمَّـدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلَائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلَّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ.اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَ بَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا م مُحَمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَرِ ، وعَلَى آلِــهِ وصَـحْبِهِ الـمَـصَابِيحِ الغُرَرِ.

عِبَادَ الله: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى اتَّقُوا الله مِنْ سَمَــاعِ اللَّغْـوِ وفُـضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أما بعد أيها المسلمونَ الإخلاصُ روحُ العملِ أيِّ عملٍ ديني او دنيويٍّ وَبهِ تَـصيرُ الأَعمَالُ كلُهُا دِيْنيَّة يؤجرُ عليهَا العَامِلُ . فَعلى المعلِّم والطَّالبِ جَميعاً أنْ يتجـردَا للعِلـمْ ، وأن يَنظرا قَبل كلّ شيءٍ إلى المثلِ العُليَا وَالمَصلحةِ العَامةِ والتعلمُ والتعلـيمُ ابتغـاءَ المـالِ وَحْدَهُ وتلَهُّفاً عَلى المنفعَةِ الشَّخصيةِ فَحسب . كما هي حَالـةُ الأُلُـوفِ اليَـومَ مِـن طلبـةِ العِلم والعُلماءِ . هو في الحقيقةِ استهانةٌ بقيمـةِ العِلـمِ وإضَـاعةٌ لِرسَـالَتهِ الجليلَـةِ . قـالَ رسولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم : (( منْ تَعلَّمَ عِلماً مما يُبتَغي بهِ وَجْهُ الله تَعـالَى لَا يَتعلمـهُ إلاَّ ليُصيبَ عَرَضاً مِن الدُّنيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنةِ يَومَ القيَامَةِ يَعني رِيحَهَا )) رواه أبو داود .

وَقد كرَّه الإسلامُ كذلك أن يَطلبَ المرءُ العِلمَ حَتَّى إذا نَبغَ فِيه اسْتكبَرَ بِهِ عَلى النَّـاسِ واتخذَهُ وَسِيلةً للشغب والمراءِ وفي الحديث : (( لا تعلَّموا العِلمَ لتُبَاهُوا بِهِ العُلَماءَ ولا تمـارُوا بِهِ السفهاءَ وَلا تخيَّرُوا بِهِ المجَالِسَ فَمن فَعلَ ذَلِكَ فالنارَ النارَ )) رواه ابن ماجه .

وعَلى المُوظفِ في مكتَبِهِ وَالعَامِـلِ في مَـصْنعهِ والفـلاحِ في مزرعتـه والطبيـبِ فِي مُستشفَاهُ وَالجُنديِّ فِي مَيدَانِهِ والمَرأةِ في بيتها وأسرَتها وَكلِّ ذِيْ مهْنة أو حرفةٍ أَنْ يُخلِـصَ كلُّ واحدٍ فِي مجَالِهِ، ولَمْ يُؤَخِّرْ هذِهِ الأمَّة إلى الحضيضِ وَيجعَلهَا الآنَ في مُؤخَّرةِ الصفُوُفِ إلاَّ عَدَمُ الإخلَاصِ في العَمَل وانتـشَارُ الرِّيـاءِ والمحـسُوبيَّة وَحُـبِّ الـذَّاتِ في أفرادِهَـا وجَماعَاتِها ومن المُؤسِفِ لـهُ حَقـاً أن نَـرى جُمهـوراً مِـنَ المـوظَفِين والعـمالِ والفلاحـين والجُنودِ وأصحَاب الأعمالِ لا يَفقهُونَ إلاَّ منْطِقَ المَالِ وَالمُرتباتِ والتَّرقِيـاتِ وَلَا يقْـصدُ بعَملهِ مَصْلَحةَ العِبادِ والبِلادِ والدِّينِ وَرضَا الله تَعالَى ، وقَد يَهْبِطُ الإنـسَانُ إلَى مـستَوى الدواب والحيوان التي تَعملُ وتتعَبُ فيكونُ عملُهُ لقاءَ راتبه فَحسب بَـل عَـلَى الرَّجُـل العَاقلِ المتدَين أنْ يَرتفِعَ بتفكِيرِهِ وَنَشاطِهِ ويجعلهما لشَيْءٍ أَجَلَّ مِن هَذا وَقَصْدٍ أعظمَ مِنَ المَالِ وَحْدَهُ ، قالَ رسولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم : (( إذَا كَانَ آخِرَ الزَّمانِ صَارَت أمَّتـي ثَلاثَ فِرَقٍ فِرْقَةٌ يَعبـدُونَ الله خَالِـصاً ، وَفِرقَـةٌ يعبـدُونَ الله رِيَـاءً ، وَفِرقَـةٌ يَعبـدُونَ الله ليَستَأكُلُوا بِهِ النَّاس : بِعِـزَّتِي وَجَـلالي مَـا أردتَ بعبَـادتي ؟ فيقـولُ وعِزتِـكَ وَجلالِـكَ استأكِلُ بِهِ النَّاسَ ، قَالَ : لم ينفعك مَا جَمعَتَ انطلِقُوا بِهِ إلَى النار ، ثم يقُولُ للـذِي يَعبـدُ رِياءً بعزَّتي وَجلالي ما أردتَ بِعبادَتِي ؟ قَـالَ : بعزتِـكَ وجلالِـكَ رِيَـاءَ النَـاس ، قَـالَ لَم يَصعَدْ إليَّ مِنهُ شَيءٌ انْطلِقُوا بِهِ إلى النَّارِ ، ثُمَّ يقُـولُ لِلـذي كَـانَ يَعبـدُهُ خَالِـصاً : بعـزَّتي وجَلالي ما أَردتَ بعبَادَتي ؟ قَالَ : بعزَّتِكَ وجلالِكَ أنـتَ أعلـمُ بـذلِكَ مَـنْ أَرَدتُ بِـهِ ، أَرَدْتُ بِهِ ذكرَكَ وَوجْهَكَ قَالَ : صَدقَ عَبْدي انْطلِقُوا بِهِ إلى الجَنَّة )) رواه الطبراني .

اللهم يا من وفق أهل الخير للخير وأعانهم عليه وفقنا للخير وأعنـا عليـه اللهـم لك محيانا ومماتَنا ولك معاشنا ومعادنا فخذ بنواصينا وأيدينا لما تحبُّ وترضَى يـا أرحـم الراحمين .واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَدَأَ فِيـهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّـى بِمَلَائِكَتِـهِ المُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِرَاً وآمِـرَاً لَكُـمْ تَكْــرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْـمَةِ ، وعَلَى آلِـهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصَاً مِـنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي، والـمَقَامِ الأَفْضَـلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِــي بَكْـرٍ وعُمَـرَ وعُثْمَــانَ وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَابَ أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْدِالله الـحُسَينِ، وعَلَى أُمِّهِمَــا الزَّهْـرَاءِ البَتُـولِ فَاطِمَـةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَةَ ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيِّـكَ تَحْتَ الـشَّجَرَةِ طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَـنْ جَمِيـعِ أَصْـحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَانَ الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَـةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَـصِيرُنَا، وعَلِيـهِ تَوَكُّلُنَـا ، و إِلِيــهِ مَفْزَعُنَـا ؛ اكْـشُفْ كَرْبَنَـا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا .نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَـا ذَا الجُـودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَــا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيـبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِيَ الحَاجَـاتِ وغَـافِرَ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَـا رَبَّ العَالَـمِينَ.اللَّهُـمَّ آمِنَّـا فِي أَوْطَانِنَـا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرَ بِـلادَ الـمُسْلِمِينَ. اللَّهُـمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَـا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبِنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَـافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِـصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَ وَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَـلَ السُّفَهَاءِ مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْـدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عونَاً ومُعِينَاً لَهُ ، واخْذُلْ مَـنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُسَافِرِينَ في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثَاً مُغِيثَاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

عِبَـــــادَ الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

فَاذْكُرُوا الله العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَـذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

# الحج وزيارة الحبيب المصطفى ﷺ

## الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل البيت العتيق مثابة للناس وأمنا ، وجعل زيارته والطواف به حجاباً للعبد وحرزاً وحصنا ، وأعلى مكانته على جميع بقاع الأرض حيث أجل المكان الباذخ الأسنى ، فتحن القلوب شوقاً وحباً لذلك المبنى وتسارع وفود الرحمن إليه من كل حدب ينسلون ملبين دعوة ربهم التي رفعها إبراهيم أبو الأنبياء ملبين لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكفر بها الذنوب وتزال بها الكروب وتمحى بفضلها العيوب ويحصل لنا بها المطلوب والمرغوب . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل : (( من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً )) والقائل : (( من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه )) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الأئمة الكرام وصحابته العظام ما حج حاج واعتمر ولبى وحلق ونحر وطاف بالبيت العتيق وقبل الحجر صلاة وسلاماً دائمين متلازمين بدوام ملك الله .

أما بعد : أوصيكم أيها المؤمنون ونفسي بتقوى الله تعالى فإنها نعم الزاد ندخره ليوم الحشر والمعاد فاجعلوها رفيقاً لكم في حطكم وترحالكم وخذوها ربيعاً يسايركم في حالكم ومآلكم .

يا عباد الله : الحج يجدد لنا كل عام ذكرى قصة أبي الأنبياء إبراهيم وابنه الذبيح الأول إسماعيل عليهما أفضل الصلاة والسلام كما جاء بها سيد الأنبياء محمد صلى الله

عليه وآله وسلم إذ أمر الله تعالى إبراهيم الخليل بعد أن سكن بجـوار البيـت العتيـق – الكعبة– وقد اندثر بنيانها على مر الدهور والأزمنة فجـاء مـن أرض العـراق فـاراً مـن النمرود المجوسي وأصحابه وبعد ان ابتلي بقذفه في النار ونجاته {قُلْنَا يَا نَارُ كُـونِي بَـرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ } الأنبياء . ومر بمصر والشام ولله في خلقه شئون وحكـم ، فـترك زوجته السيدة سارة بالشام وأخذ جاريته الصالحة هاجر وابنهـا إسـماعيل وسـافر بهـما حتى أوصلتهم عناية الله العلي القدير إلى مكة المكرمـة حيـث البيـت قـائلاً : {رَّبَّنَـا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَـرَّمِ رَبَّنَـا لِيُقِيمُـواْ الـصَّلاَةَ فَاجْعَـلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ } إبراهيم .

ولما شب ابنه إسماعيل أمرهما الله أن يعيدا بناء البيت {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ الـسُّجُودِ } الحـج . فأقامـا بنـاء البيت ولما ارتفع البناء ارتفع الابن على حجر لكـي يعـلي البنـاء والابـن يـساعده بمناولتـه الحجر وأراد الله أن يكون الحجر الذي ارتفع عليه شأن كبير فجعله مصلى للحجـيج لقولـه تعالى : {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } البقرة .

ولما أتما البنيان بأمر الله وعونه وعنايته أمر الله خليله أن يؤذن في الناس بـالحج أي يعلن بأعلى صوته وأمره بأن يرتفع على الصفاء –جبل أبي قبـيس– وان ينـادي بقولـه : (أيها الناس إن الله بنى لكم بيتاً فحجوه) فقال إبراهيم يا ر ب ومـن لعلـه يـسمع هـذا النداء من هذا الوادي السحيق بين هذه الجبال الجرداء والصحراء البيداء فقال لـه ربـه جل وعلا وهو المطلع على كل شيء سيجيب هذا ال نداء وهو في الحقيقة نـداؤه لخلقـه

أجمعين على يوم الدين كل من وفقه الله تعالى ، قال تعالى : {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْـمَ الله فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ * ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ } الحج .

أيها المسلمون : قبل هذه الأيام المباركات من كل عام تتحرك الهمم وتزداد الأشواق والحنين وتتجه الأنظار صوب البيت الحرام –الكعبة المشرفة–في مكة المكرمة وبقية المشاعر ملبين قائلين : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) . فنرى المسلمين من جميع أصقاع المعمورة يغدون من كل فج عميق ضيوف الرحمن في بيته موفين بعهودهم التي أخذها الله على كل واحد من خلقه العهد والميثاق كما ورد (( إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتاباً ثم ألقمه الحجر الأسود فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ، ويشهد على الكافر بالجحود)) قيل فذلك هو معنى قول الحجاج عند استلام الحجر الأسود في الطواف : (( اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك)) .

وفي الخبر عن ابن عباس رضي الله عنه : (( عن الحجر الأسود ياقوتة من يواقيت الجنة وإن يبعث يوم القيامة –أي الحجر–له عينان ولسان ينطق به يشهد لكل من استلمه بحق وصدق )) وقبله سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم قال إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولو لا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه أي صوته بالبكاء .

وقد أوجب الله الحج على كل مستطيع وهو ركن من أركان الإسلام الخمسة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (( بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله

وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمـضان )) فعـلى كل من يملك الزاد والراحلة ونفقته ونفقة من تلزمه نفقته مدة ذهابه ورجوعـه وجـب عليه الحج ، وتختلف الاستطاعة باختلاف الناس وباختلاف الأزمان والأمـاكن وعـلى كل مستطيع أن يبادر بالحج قبل أن تفوته الفرص (( حجوا قبل أن تمنعوا )) وبشرط أن لا يضيع شيئاً من حقوق الله تعالى لا في سفره ولا في وطنه وإلا كان آثـماً ، فمـن يـسافر للحج ويترك من فرض تعالى عليه نفقتهم ضائعين لا شيء لهم أو في سفره يكون متكلاً على مـسألة النـاس مـشغول القلـب بالتـشوق إلـيهم أو يـضيع شـيئاً مـن الـصلوات المكتوبات أو يقع في شيء من المحرمات مثله كمن يعمر قصراً ويهدم مصراً .

ومن آكد المهمات على الحاج الاجتهاد في أن يكون زاده طيباً ونفقته حلالاً وليحـرص على ذلك فإن الذي يحج بالمال الحرام لا يقبـل الله حجـه وإذا لبـى عنـد إحرامـه يقـول لـه سبحانه لا لبيك ولا سعديك زادك حرام وراحلتك حرام وحجك غير مبرور .

وقد ورد في بعض الأخبار : (( إذا كان آخر الزمان خـرج النـاس إلى الحـج عـلى أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة ، وأغنياؤهم للتجارة وفقـراؤهم للمـسألة وقـراؤهم للرياء والسمعة )) .

وعلى الحاج قبل حجه أن يتعلم فقه الحج من أركان وشروط وواجبات ومحرمات الإحرام وكلما يتعلق بالحج والعمرة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ ويتعلم آداب الحج ومستحباته ومحظوراته حتى يـؤدي أعماله كاملة بالطريقة التي أرادها الله .

وعلى الحاج أن يبادر بالتوبة النـصوح بـشروطها كـي يكـون عملـه عـلى أسـاس صحيح ورد المظالم والاستئذان من الوالدين واسـتئذان الزوجـة مـن زوجهـا وطلـب العفو والمسامحة من الأهل والأرحام والجيران ومن له علاقة به .

ويخرج الحاج في سفره وحطه وترحاله متأدباً متواضعاً لا يقول فحشاً ولا هجـراً ولا يعمل إلا صالحاً ويترك الفضول والدخول فيما لا يعنيـه ولا يجـادل أو يخاصـم ولا ينظر إلى النساء الأجنبيات وكلما يكون سـبباً للوقـوع في معـصية الله { فَـلاَ رَفَـثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ }، وقال صلى الله عليـه وسـلم : (( مـن حـج ولم يرفـث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه )) .

ومن آداب الحج الإكثار من الطواف بالبيت واستلام الحجر الأسود وتقبيلـه مـا وجد إلى ذلك سبيلا والتضلع من ماء زمزم فإنه خير ماء على وجه الأرض كما قال عليه الصلاة والسلام : (( ماء زمزم لما شرب له وإن طعام طعم وشفاء سقم )) .

وإذا تم الطواف يسن الالتزام بـالملتزم وهـو بـين الحجـر والبـاب وهـو موضـع استجابة الدعاء وليلتزق بالبيت وليتعلق بالأستار وليلصق بطنه بالبيت ، وليضع خـده الأيمن عليه وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليصل ركعتي الطواف خلف المقـام وليـصل في حجر إسماعيل ما شاء الله تحت الميزاب ثم يؤدي بقية المناسك والشعائر كـما أرادهـا الله ويستعين بمن يفهمها إذا كان يجهلها . ومن المطلوبـات بـل والواجبـات ان يـسافر الحاج إلى مدينة الرسول طيبة زادها الله تشريفاً وتكريماً لقوله عليـه الـصلاة والـسلام : (( من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي )) أخرجه الطبراني والدار قطنـي ولقولـه أيضاً : (( من حج ولم يزرني فقد جفاني )) ويقـصد مـسجد رسـول الله ﷺ ويـصلي فيـه ركعتين وتحية المسجد ثم يتجه للسلام على الحبيب الأعظم ﷺوصاحبيه أبي بكـر وعمـر ضجيعيه في حجرته فيقف أمام وجهه ويـستدبر القبلـة ، ولـيس مـن الـسنة أن يمـس الجدار ولا أن يقبله بل يقف على بعد أربعة أذرع وهو أقرب للاحترام والتقدير ويقـف ويقول : السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبـي الله ..الـخ الـسلام المعـروف المطلوب . ثم يأتي الروضة المشرفة فيصلي فيها ركعتين ويكثر الدعاء ما اسـتطاع لقولـه

ﷺ: (( ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي )) متفق عليه . ويدعو عند المنبر ويستحب أن يزور أحداً ومراقد الشهداء ويخرج كل يوم لزيارة البقيع ومن به من الصحابة ويزور بقية المشاهد الإسلامية بالمدينة ومسجد قباء وبقية مساجد المدينة .

اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه ، اللهم عليك توكلنا وبك اعتصمنا وإليك توجهنا اللهم أنت ثقتنا وأنت رجاؤنا فاكفنا ما أهمنا اللهم عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك فزودنا بالتقوى واغفر ذنوبنا ووجهنا للخير أينما كنا .

والله يقول وبقوله يهتدي المهتدون ((وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ )) وقال عز من قائل كريم : ((فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ )) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّـنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَللهِّ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني بالآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

## الخطبة الثانية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ ، والعَاقِبَةُ لِلْمُتْقِينَ ، ولَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِليهِ ، ونَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنُهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَهُ الأَصْوَاتُ ، وَكَلَّتْ

دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَــهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَـتِمُّ شَيءٌ دُونَـهُ. وَأَشْـهَدُ أَنَّ سَـيِّدَنَا مُحَمَّـدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلَائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَمَ أَنْفَ كُلِّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا م مُحَمَّدٍ، جَمِيلِ المُحَيَّا والمَنْظَـرِ ، وعَـلَى آلِــهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

أما بعدُ: فيا عِبَادَ اللهِ: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى الله تَعالى، اتَّقُوا الله مِنْ سَمَـاعِ اللَّغْوِ وفُضُولِ الخَـبرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أما بعد : فيا عبـاد الله للحـج فوائـد وحكـم زيـادة عـلى أنـه عبـادة لله ، فالـدين الإسلامي دين اجتماع ومحبة ومودة فسن لنا صلاة الجماعة كل يوم خمس مرات وصلاة الجمعة كل أسبوع وصلاة العيدين في السنة وفرض على كل قادر اجتماعاً عاماً في العمر مرة ألا وهو الحج فيتجه المسلمون من جميع بقاع العالم على اختلاف أجناسـهم وتبـاين لغاتهم شعثاً غبراً خاشعين خاضعين لا فرق بين غنـيهم وفقـيرهم وعـالمهم وجـاهلهم وشريفهم ووضيعهم وعظيمهم وحقيرهم وقد ربطهم الإسلام برابطته المتينة .

ومن فوائده تعويد أبناء الإسلام على الخشونه وتحمل مشاق السفر والحر والـبرد والعطش (( اخشوشنوا فغن الـنعم لا تـدوم )) وفي الحـج تـتجلى الخـلاق الإسـلامية كالصبر واحتمال المشاق والتضحية والإيثار والاحترام والصدق والتواضع .

ومنها تهذيب النفوس لأن أعمال الحج المختلفة تساعد عـلى تطهيرهـا وتكميلهـا لأن في النفوس شيء من الرعونات والأنانية وحب الذات والأثرة فالحج كفيل بان يجد من هذه الخصال الممقوتة التي ورثناها من مجتمعاتنا المتخلفة .

ومنها تعارف المسلمين لأن الحج عبارة عن مؤتمر إسلامي موسع يجمع أنواعاً شتى من مسلمي العالم ففيهم المسلم الآسيوي والعربي والهندي والاندنوسي والملايوي والصيني والروسي والأفريقي النيجيري السنغالي والمريتاني والمغربي والحبشي والصومالي . والأوربي الانجليزي والفرنسي والايطالي والبلجيكي كلهم يجتمعون في مكان واحد سواسية كأسنان المشط ليتعارفوا ويتدارسوا مشكلاتهم ويتبادلوا آراءهم ويتخذوا لها العلاج الناجح ويعود كل واحد إلى بلده مزوداً بالخيرات الدينية والدنيوية وهذا هو المعني بقوله تعالى : { لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ } .

أيها الأخ المسلم : إذا وفقك الله لحجة الإسلام فقد أديت فرضك وإن حاولت الحج مرة أخرى ولم يسعدك الحظ فما عليك إلا أن تحج في أرحامك وأقاربك وجيرانك وفقراء المسلمين فإن الصدقة على هؤلاء في مثل هذه الظروف القاسية من الغلاء الفاحش في الأسعار وكثرة الأطفال طفولة أهملت وعذبت وكم من امرأة رملت والمواساة لهؤلاء المنكوبين أفضل من نفل الحج والعمرة إلا ان النفوس يصعب عليها إنفاق المال إلا في كل ما فيه مظهر وسمعة فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ الْمُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّهَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِهِ مِنْ جِنِّهِ و إِنْسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْبِرَاً وآمِرَاً لَكُمْ تَكْرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ نَصَرَهُ ، خُصُوصَاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَلِي، والمَقَامِ الأَفْضَلِ: سَادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَا أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ

وعَـــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ سَيِّدَي شَبَابَ أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِـي مُحَمَّدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِـي عَبْدِالله الـحُسَينِ، وعَلَى أُمِّهِمَـا الزَّهْـرَاءِ البَتُـولِ فَاطِمَـةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَيرِ النَّاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَةَ ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَنْ بَقِـيَّةِ العَشَرَةِ الـمُبَشَّرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا نَبِيِّـكَ تَحْتَ الـشَّجَرَةِ طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَعْدٍ وسَعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْـمَنِ وأَبِـي عُبَيدَةَ، و عَـنْ جَمِيـعِ أَصْـحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَانَ الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.اللَّهُمَّ يَا كَاشِفَ الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَـةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَـصِيرُنَا، وعَلِيـهِ تَوَكُّلُنَـا ، و إِلِيــهِ مَفْزَعُنَـا ؛ اكْـشُفْ كَرْبَنَـا ، ونَفِّـسْ هَـمَّنَا.نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَـا ذَا الجُـودِ و الامْتِنَـانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَــا بِـالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والـمُـؤْمِنَاتِ ، والـمُسْلِمِينَ والـمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِـنْهُمْ والأَمْـوَاتِ إِنَّـكَ كَـرِيمٌ مُجِيــبُ الـدَّعَوَاتِ ، وقَـاضِيَ الحَاجَـاتِ وغَــافِرَ الـذُّنُوبِ و الـخَـطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَـمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وابْسُطِ الأَمْـنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَـانَ فِي رُبُـوعِ بِلادِنَـا خَاصَّةً وسَائِرَ بِـلادَ الـمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَينِنَا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبِنَا ، وحَسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَافِ مُبْتَـلانَا، و أَرْخِصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَ وَلِّ عَلَينَـا خِيَارَنَـا ، وأَبْعِـدْ عَنَّـا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءِ مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَـعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِـمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْـدَاءَكَ أَعْـدَاءَ الدِّينِ. اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَونَاً ومُعِيناً لَهُ ، واخْذُلْ مَـنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ عَلَى عَبِيدِكَ مِنَ الحُجَّاجِ والغُزَاةِ والمُـسَافِرِينَ في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وجَـوِّكَ أَجْـمَعِينَ.اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثَاً مُغِيثَاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾(١).

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

عِبَـــادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ الـجَلِيلَ ؛ يَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِــهِ ؛ يَـزِدْكُمْ، وَلَـذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

(١) البقرة آية:٢٠١.

# التقوى

## الخطبة الأولى

الحمد لله الذي شرح صدور أهل الإسلام بالهدى ونكت في قلوب أهل الطغيان فلا تعي الحكمة أبدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً فرداً صمداً وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ما أكرمه عبداً وسيداً وأعظمه أصلاً ومحتدا ، وأطهره مضجعاً ومولدا ، وأبهره صدراً وموردا صلى الله عليه وعلى أله غيوث الندى وصحابته ليوث العدا صلاة وسلاماً دائمين متلازمين من اليوم إلى أن يبعث الله الناس غدا .

أما بعد .. أيها الناس : أوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى فإنها وقاية من العذاب وجنة يحتمي بها أولوا الألباب من غضب رب الأرباب لذا فهي خير وصية يوصى بها فأوصى بها الرسل أممهم وحثوهم على الاعتصام بها ، كما أوصى العلماء الأعلام والأئمة الكرام أتباعهم ومريدهم بالتمسك بعروتها الوثقى التي لا انفصام لها ونحن اليوم في عصرنا الراهن أشد ما نكون حاجة إليها وأكثر تلهفاً للارتواء من ينبوعها الصافي والارتشاف من معينها العذب الذي نتعطش إليه ونحن في صحراء الجهالة تائهون وفي مهمة الغواية راتعون ، فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون والتقوى كلمة قليلة الحروف واللفظ موجزة كثيرة المعنى واسعة المدلول وهي امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه بفعل كل ما هو مامور به وترك كل ما هو منهي عنه هذا هو أوجز معانيها وقد فصلها الإمام علي كرم الله وجهه في قوله : ( التقوى هي العمل بما في التنزيل والخوف من الملك الجليل والاستعداد لليوم الثقيل والرضا من الدنيا بالقليل ) وخلاصتها أن يراك

الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك وفيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه كان يقول : (( اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى )) رواه مسلم .

وفيما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : قيل يا رسول الله من اكـرم النـاس قـال : (( أتقاهم )) فقالوا ليس عن هذا نسألك قال فيوسف نبي الله بن نبـي الله بـن نبـي الله بن خليل الله فقالوا ليس عن هـذا نـسألك قـال : (( فعـن معـادن العـرب تـسألوني ؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذ فقهوا )) أي علموا أحكام الشرع .

والقرآن مشحون بالآيات البينات التي جعلها الله لنا سراجاً وهاجاً في ديـاجير ظلمات هذه الحياة ونوراً وضاء يهدي الحيارى إلى سبل السلام ويخرجهم من مـدلهمات الجهالة إلى طريق الهدى والرشاد ألا إننا اليوم يـا معـشر المـسلمين ننـشد هـذه الـضالة المنشودة التي افتقدناها في كـل مجـالات حياتنـا افتقـدناها في عباداتنـا عنـدما صـارت عباداتنا جوفاء لا روح فيها ولا نجد فيها متعـة نرتـاح إليهـا وافتقـدناها في معاملاتنـا (( والدين المعاملة )) فصرنا نتعامـل في حياتنـا معاملـة الوحـوش الكـاسرة والـسباع الضارية فسيطر علينا حب الـدنيا وصرنـا لا نعـرف للحيـاة معنـى إلا في الاسـتغلال والشره والاستنزاف للآخرين وعندما غاب وازع الورع والتقوى فارتفعـت الأسـعار اليوم ارتفاعاً جنونياً لا طاقة للأمة به ولكم الله أيهـا المـساكين والفقـراء أن يرفـع هـذا الحمل الثقيل الذي قصم وهي أعظم محك نمتحن بـه في الحيـاة فـأبو البـشر آدم عليـه السلام أسكنه الله وزوجه حواء عليهما السلام الجنة بعد خلقهما فصارا ينعمان في وارف ظلال أشجارها وعـل ضـفاف جـداولها وأنهارهـا يتمتعـان لذيـذ فواكههـا وأثمارهـا فامتحنهما الله تعالى أول ما امتحنهما في درس اسـمه ((التقـوى)) وهـي امتثـال أوامـره

واجتناب نواهيه فقال تعالى مخاطباً : {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ } ولكنهما رسبا في هذا الامتحان فوسوس لهما الشيطان ليريهما ما وري عنهما من سوآتهما (أي عوراتهما) فقال لهما { مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ} أي حلف لهما {فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ... } وخلاصة القول أنهما لما خالفا ثوب التقوى الصافي الساتر الذي تختفي تحته كل عيوبنا وعوراتنا ، نزع الله عنهما ثوب الحياء والوقار والعفة ولما تابا إلى الله وأعادا لباس التقوى عفا عنهما قال تعالى : {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ } وستظل هذه القاعدة إلى يوم الدين ، فيجب أن نتقي الله فيما نفعل وفيما نترك وفيما نقول فالحاكم والعالم والواعظ والموجه والمدرس والمربي ملزمون إلزاماً أكثر من غيرهم فيما يتلفظون به بين الناس ، وفي جماهير الأمة وشبابها وطلابها وعامتها ممن ألقى إليهم زمام أمورهم وفتحوا لهم مغاليق صدروهم وقلوبهم فإنهم القدوة والأسوة الحسنة بل يجب أن تكون حسنة حتى تكون الثمرة المرجوة قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً } .

والتقوى هي الدواء الناجع والبلسم الشافي للقلوب المريضة والنفوس المكلومة فالحياة كما عرفناها وجربناها عبارة عن حلقات من الغصص لا تنتهي وسلسلة من

المشكلات لا نكاد نخلص من مشكلة حتى ندخل في أخـرى بـل مـشكلات أخريـات وهذه سنة الله في خلقه وطبيعة الحياة منذ كانت ولله در من قال :

ودنيانا متى ما تم شغل بدا　　　　من بعده سبعون شغلا

ولا مخرج لنا من مشكلات هذه الحياة المعقدة والتي زدناها نحن تعقيداً وإحراجاً إلا أن نعرض أنفسنا بالمستشفى الآلهي حيث تضمد الجـراح النفـسية بـضماد التقـوى وتطهر بمائه الطاهر من أدرانه المادية العفنة وتعالج القلوب المكلومة التي انهكتها أعبـاء الحياة وأثقال المعيشة والمعاصي التـي نزيـدها نحـن تعقيـداً عـلى مـا فيهـا مـن أتعـاب وتكاليف ونضع العراقيل من صنعنا في طرقنا بعضنا البعض وليس لنا مـن مخـرج مـن حياة القلق والاضطراب ولا مخلص من دوامة هذه المنغصات إلا برجوعنا إلى حظـيرة الإيمان واليقين والتقوى حيث نعرف بأن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا وما أصـابنا لم يكـن ليخطئنا حيث قال تعالى : { وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ } وقال تعالى : {يا أَيُّهَا الَّـذِينَ آمَنُـواْ إَن تَتَّقُـواْ الله يَجْعَـل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } .

يا عبـاد الله : علينـا أن نتقـي الله تعـالى في أنفـسنا التـي بـين جوانحنـا فنعطيهـا حقهـا ومستحقها ونوجهها إلى ما فيـه خيرنـا في الـدنيا والأخـرى ونروضـها عـلى فعـل الخـيرات والمغيرات لأنها غالباً ما تكون نافرة كالخيل الجموح والجمل الشرود مذللة كالطفـل الرضـيع لا تنفطم إلا بالترويض والمعاناة ونحوها من نفـس أمـارة بالـسوء ميالـة إلى الـدنيا تواقـة إلى الرذائل والمفاسد إلى نفس مطمئنة تعشق الفضائل والمكرمات وتتوق إلى المعالي وأعـلى وأغـلى الدرجات ثم إلى نفس لوامة تكون حارساً أميناً ورائداً وقائداً وهادياً لنـا إلى مـا فيـه سـعادتنا الأبدية وحياتنا السرمدية ولن يكون ذلك إلا بمرافقة التقوى .

وأن نتقي الله في أولادنا وفي أهلينا وفي مأكلنا ومشربنا وفي مسكننا وما نملك وإلا كان ذلك كله وبالاً علينا وحسرة وندامة ، وأن نتقي الله في عملنا وما نذر أو نترك وما نقول أو نفعل فإننا مطالبون دائماً قبل أن يفوت الأوان ونغظ البنان وننـدم ولات ساعة ندم .

اللهم زهدنا في الدنيا ورغبنا في الآخرة وبصرنا بعيوبنا ووفقنا لإصلاحها وزودنا بالتقوى اللهم اجعل سريرتنا خيراً من علانيتنا واجعل علانيتنا صالحة اللهم مغفرتك أسع من ذنوبنا ورحمتك أرجى عندنا من أعمالنا اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه اللهم ألهمنا رشدنا وخذ بنواصينا إلى ما فيه خيرنا وصلاحنا إنك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين .

والله يقول وبقوله يهتدي المهتدون ((وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ )) وقال عز من قائل كريم : ((فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ )) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا الله فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني بالآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

# ( تكملة الخطبة الثانية )

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إرغاماً لمن جحد به وكفر ، سبحانه ما أجل شأنه وأعظم سلطانه خشعت له الأصوات وكلت دونه الصفات وضلت دونه الأوهام وحارت دونه الأحلام وانحسرت دونه الأبصار لا يقضي في الأمور غيره ولا يتم شيء منها دونه ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الخلائق والبشر اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله مصابيح الغرر .

عباد الله : اتقوا الله تعالى من سماع اللغو وفضول الخبر وانتهوا عما نهاكم عنه وزجر واعلموا أن تعالى امركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته المسبحة بقدسه وأيه بكم أيها المؤمنون من بريته من جنه وانسه ، فقال مخبراً وآمراً لكم تكريماً : {إِنَّ الله وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً } .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد الذي أرسلته رحمة للعالمين وشفيعاً للمذنبين فبلغ الرسالة وأدى الأمانة وهدى الله به من الخلق بشراً كثيرا فكان للمستبصرين سراجاً وقمراً منيراً اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد صاحب الحوض المورود والمقام المحمود واللواء المعقود اللهم آته الوسيلة والفضيلة والشرف والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي ودعته إنك لا تخلف الميعاد .

اللهم يا كاشف الغمة ويا مجلي الظلمة يا مـن هـو نـصيرنا وإليـه مـصيرنا وعليـه توكلنا وإله مفزعنا اكشف كربنا ونفس همنا .

اما بعد : من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى غني عن العالمين وان جل جلاله وعـز جاهه لا يناله عمل أو عبادة وإنما يناله التقوى {لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَـا وَلَكِـن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ } وفي هذا المقام يقول عليه الصلاة والسلام : إنما الدنيا لأربع نفر :

عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم فيـه حقـاً فهـذا بأفضل المنازل .

وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته وأجرهما سواء .

وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم ولا يتقـي فيـه ربـه ولا يصل رحمه ولا يعلم لله فيه حقاً فهذا بأخبث المنازل .

وعبد لم يرزقه الله مالا وعلا علما فهو يقول لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فـلان فهو بنيته ووزرهما سواء . .

ويقل عليه الصلاة والسلام : (( اتق الله حيثما كنت وأتبع الـسيئة الحـسنة تمحهـا وخالق الناس بخلق حسن )) ما أسعدنا لو جمعنا بين هـذه المثـل العليـا الـثلاث التـي جمعها الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم في جوامع كلمه وليس الجمع بينهما بالـسهل على من نشأ بعيداً عن روح الإسلام الحقة وعن حظيرة الإيمان الخـصبة فهـذه الـثلاث الخصال الحميدة جمعت السعادتين في الحياتين الـدنيا والأخـرى وإنهـا لكبـيرة إلا عـلى الخاشعين المخلصين المتقين .

أيها المسلمون : احذروا التسويف عن الأعمال الصالحة والتوبة إلى الله تعالى عن الأعمال المحرمة فإن الموت يأتي بغتة (( ولا يغترن أحدكم بحلم الله عز وجل فإن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله )) .

فبادر بالتوبة إلى الله تعالى وإياكم والتكاسل فالعاقل من اتقى الله وبادر بالتوبة والإنابة والرجوع إلى ربه كما قال عليه الصلاة والسلام : (( الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني )) وقال عليه الصلاة والسلام : (( بادروا بالأعمال سبعاً هل تنتظرون إلا فقراً منسيا ؟ أو غنى مطغيا ؟ أو مرضا مفسدا ؟ أو هرما مفندا ؟ أو موتا مجهزا ؟ أو الدجال فشر غائب ينتظر ؟ أو الساعة فالساعة أدهى وأمر )) .

عباد الله : التقوى وصية رب العالمين للأولين والآخرين تجمع كل الخيرات العاجلة والآجلة ليفوزوا بخيري الدنيا والأخرى فقال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله حَقَّ تُقَاتِهِ } هو أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر ، فاستصعب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الأمر { اتَّقُواْ الله حَقَّ تُقَاتِهِ } أي كل التقوى ولن يستطيع العبد ولو كان له ألف ألف نفس إلى نفسه وألف ألف عمر إلى عمره أن يتقي الله حق تقاته ولو أنفق جميع ذلك في طاعة الله ومحابه ، وذلك لعظم حق الله تعالى على عباده ولجلال عظمة الله وعلو كبريائه وارتفاع مجده فجاءت بعدها الآية {فَاتَّقُوا الله مَا اسْتَطَعْتُمْ } مبينة للمراد من الآية الأولى تخفيفاً عن هذه الأمة ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها قال تعالى : {يُرِيدُ الله أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً } وقال تعالى { يُرِيدُ الله بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } .

ولما نزل قوله تعالى (( {للهِّ ما فِي السَّمَاوات وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ الله } شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فجاءوا إليه وقالوا : يا رسول الله كلفنا ما لا نطيق فقال : (( أتريدون أن تقولوا كما قالت بنو إسرائيل سمعنا وعصينا ولكن قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير )) فأنزل الله تعالى بعدها {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } فحكى ذلك عنهم وما بعده من دعائهم بأن لا يؤاخذهم بالنسيان والخطأ وأن لا يحمل عليهم الإصر وبين ذلك عليه الصلاة والسلام بقوله : (( تجوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وما حدثوا به أنفسهم ما لم يقولوا أو يعملوا )) .

فالجنة هي موعد المتقين قال تعالى : {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً } وقال تعالى : {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ } وقال تعالى : {مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ } {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ } {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ } .

اللهم نسألك يا كريم يا حنان يا متفضل يا منان يا ذا الجود والامتنان أن تختم لنا بالإسلام والإيمان وأن تعاملنا بالفضل والإحسان وأن تقابلنا بالعفو والغفران وأن تحفظنا من العذاب والنيران وأن تسكنا بفضلك فراديس الجنان ، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات إنك كريم مجيب الدعوات وقاضي الحاجات وغافر الذنوب والخطيئات يا رب العالمين .

اللهم آمنا في أوطاننا وابسط الأمان والأمن والاطمئنان في ربوعنا وأصلح ذات بيننا وألف بين قلوبنا وحسن منقلبنا واشف مرضانا وول علينا خيارنا وابعد عنا

شرارنا ولاتؤاخذنا بما فعل السفهاء منا واجعل ولايتك فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا أرحم الراحمين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأخذل الكفرة والمشركين اعداءك أعداء الدين اللهم انصر من نصر الدين واخذل من خذله وكن عونا ومعينا له واكتب السلامة والعافية على عبيدك الحجاج والغزاة والمسافرين في برك وبحرك وجوك أجمعين .

اللهم اسقنا الغيث والرحمة ولا تجعلنا من القانطين اللهم اسقنا غيثا مغيثا هنيئا مريئا سحا عاما دائما مباركا فيه نافعا غير ضار .

اللهم صل على نبي الرحمة وعلى آله وصحبه ومن نصره خصوصا منهم ذوي القدر العلي والمكان المعتلي ساداتنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعلى ريحانتي نبيك محمد صلى الله عليه وسلم سيدي شباب أهل الجنة أبي محمد الحسن وأبي عبدالله الحسين وعلى أمهما الزهراء البتول فاطمة بنت الرسول وأمها خديجة الكبرى وسائر أزواج حبيبك المختار وعلى عمي رسولك خير الناس أبي عمارة الحمزة وأبي الفضل العباس وعلى بقية العشرة المبشرة الذين بايعوا نبيك تحت الشجرة طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن وأبي عبيدة رضوان الله تعالى عنهم أجمعين .{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} .

عباد الله : {إِنَّ الله يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} فاذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر .

# التسامح وحق الأقارب

## الخطبة الأولى

الحمد لله العظيم الجليل الكبير المتعال المتفرد بكمال التنزيه والتقديس عـن كـل نقص وتغير وزوال المتصف ببديع الجلال والجمال الخالق المبدع والصانع المخترع جميـع أنواع غرائب المبتدعات وأتقن صنعه ببدائع عجائب المصنوعات ، أحمده حمـد معـترف بتقصيره عن شكره مقر بمخالفته ومقارفة نهيه وعدم امتثال أمره .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعاظم مجده وتعالى قدره سبحانه لا ملجأ ولا منجأ لنا غيره ولقد عمنا وله الحمد تعالى بنوالـه وخـيره ، وأشـهد أن سـيدنا محمداص عبده ورسوله أحسن الناس خلقاً وخلقـا وأصـدقهم عـلى الإطـلاق عمـلاً ونطقا وأطيبهم في أرومته أصلاً ونطقا .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمـد الـداعي للتـسامح والـتراحم حامـل لـواء المحبة والسلام والإسلام والأمن والأمان والاطمئنان صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الظلام وصحبه البررة الكرام وسلم تسليماً كثيراً طيباً على الدوام .

أما بعد : أوصيكم عبـاد الله وإيـاي بتقـوى الله تعـالى فإنهـا الدعامـة الكـبرى للسعادتين في الدنيا والأخرى فمن تمسك بها فاز وسلم ومن اعتمد عليهـا نجـا وغـنـم فهي أس البناء وقاعدته ومصدر الهناء وركيزته فتزودوا منها بالحظ الأوفر وخذوا منها بقسط أكبر .

أما بعد / أيها المسلمون يا أتباع محمد صلى الله عليه وسلم أقيم الإسلام على يد مؤسسه الأول وحامل لواء دعوته محمد صلى الله عليه وسلم بأمر ربـه عـز وجـل أقـام

أول ما أقام بناء المجتمع الإسلامي الصحيح على أسس قوية لا تتزعـزع وعـلى قاعـدة متينة لا تتزلزل فاهتم ببناء صرح المجتمع الإسلامي وذلك ببناء الفرد الذي يعتبر اللبنة الأولى في ذلك البناء ثم من الأفراد تتألف الخلية الأساسية للمجتمـع ألا وهـي الأسرة ومن الأسر يتكون المجتمع ، فإن صلح الفرد والأسرة كان المجتمـع صـالحاً وإلا كـان العكس والعياذ بالله وكلنا ولا شك نطلب السعادة في حياتنـا في داخـل أسرنـا وبيوتنـا أولاً لكي نعيش سعداء مطمئنين تخيم علينا روح المحبة والوئـام وترفـرف علينـا رايـة الصفاء والاحترام بعيدين عن الشجار والخصام والقطيعة والتباعد والانفصام .

ولا ستطيع المرء أن ينسلخ أو ينفصل من مجتمعه بأي حـال مـن الأحـوال لأن هذه سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا والإسلام في تعاليمه القيمة سن لنا قوانين ونظماً تحكم هذه العلاقات الاجتماعية التـي تـنظم حياتنـا ونعيش بها مجتمعين مترابطين جنباً لجنب ما دام كل فراد قام بما يجب عليه نحو الآخرين ، وأعطي حقه المفروض له على الآخرين من أب وأم وإخوان وأخوات وبنـين وبنـات وبقية الأقارب والأرحام ، إلا أن الإسلام ومشرعه الحكيم المطلع على نقصنا وتقصيرنا لأننا بشر ، دعانا إلى التسامح وغض الطرف عن هفوات قد تصدر منا تجاه بعض أهلينا وهو بذلك أولى بالحلم والتسامح وما أجدرنا بتعاليم مرشدنا الأعظـم صـلى الله عليـه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، فقد سأله أحد المـسلمين هـذا السؤال وقال : يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيئون إليّ وأحلم عنهم ويجهلون عليّ فقال الرسول للسائل : (( إن كنت كما قلت فكـأنما تـسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك )) رواه مسلم .

وبهذه التوجيهات وأمثالها يتحدث إلينا الرسول صلى الله عليه وسلم لتبقى روابط الأسر متماسكة لا تمزقها حماقات البعض ممن لا يقدرها حق قدرها ، وها نحن اليوم أيها المسلمون في مجتمعنا هذا المتخلف وأقول متخلف لأننا تخلفنا عن ركب الإسلام وتعاليمه وأخلاقه وبعدنا كثيراً عن دعوته لنا وخوفه علينا من الانسياق وراء عواطفنا وأنانيتنا ترى كثيراً من أسرنا لا تحتكم إلى الإسلام الحنيف في حل مشكلاتها وحل معضلاتها فهذا أب مسكين تقدمت به السن جفاه أولاده الشباب بعد أن رباهم وأفنى جدة شبابه في تربيتهم عندما كانت الحياة قاسية والمعيشة صعبة ، وهذه أم عجوز أرهقتها الأيام العجاف وتربية أبنائها تنكر لها أفلاذ كبدها فتركوها تندب حظها المنكود وأملها الخائب وهؤلاء أيتام عدا عليهم الزمن على مسمع منا ومرأى ولم تتحرك نحوهم مشاعرنا ، وهذه زوجة كالمعلقة نكبت نسبب أدهى من بيت العنكبوت ، وتلك نسوة عوانس أرامل قست عليهن الحياة يعاملن من قبل إخوانهن وأقربائهن معاملة أحقر من الإماء والجواري ، وأولئك أرحام تقطعت وشائج القربى بينهم لأتفه الأسباب ، وهناك جيران يعيشون في جحيم مما حل بهم من البغضاء والنزاعات لأنه هذا الجوار لم يقم على أسس دينية بل قام على مصالح متبادلة كما يقولون فإذا ما أختل هذا التوازن الهش فما قيمة الحياة إنها القطيعة والنزاعات ولم تكن ثمة قيمة للتسامح الإسلامي الأخوي فأين نحن اليوم مما يقوله ويوصي به رسول السلام والإسلام في قوله : (( ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة : أن تصل من قطعك وتعطي من منعك وتعفو عمن ظلمك )) .

ويلاحظ ملاحظة كبيرة انتشار القطيعة بين الأقرباء والأرحام والجيران والأزواج والأخوان في حين غاب من بيننا رجال الإصلاح والصلح الموفقين في حل

المشكلات العائلية ، وافتقدنا رجال الحـل والعقـد المخلـصين بـل ووجـد الكثـير مـن المخربين الفتانين ممن يزيد الطين بلة والنار وقدة ، أو من يقف متفرجاً لا يحـرك سـاكناً ولا يملك من الأمر شيئاً ، فأين نحن من حديث المصطفى المـصلح الأعظـم صـلى الله عليه وسلم : (( إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هـذا مقام العائذ بك من القطيعة و قال نعم أما ترضين أن أصـل مـن وصـلك وأقطـع مـن قطعك ؟ قالت بلى قال الله فذلك لك ، ثم قال صلى الله عليه وسـلم اقـرأوا إن شـئتم : {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُـوا أَرْحَـامَكُمْ * أُوْلَئِـكَ الَّـذِينَ لَعَنَهُمُ الله فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ } متفق عليه .

وقال عليه الصلاة والسلام : (( يقول الله تبارك وتعالى : وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ والمتزاورين فيّ )) أخرجه الإمام مسلم .

وقال أيضاً : (( أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وقرن ما بين الوسطى والـسبابة )) من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام وصام نهاره وغدا وراح شاهراً سـيفه في سـبيل الله ، امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين .

وقال عليه الصلاة والسلام في حق الأرملة : (( الساعي عـلى الأرملـة والمـسكين كالمجاهد في سبيل الله وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر )) .

وقال منبهاً عن حق الجوار : (( كن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره )) متفق عليه . وقال أيضاً : (( والله لا يـؤمن والله لا يـؤمن والله لا يـؤمن ، قيـل مـن يـا رسول الله قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه ، قالوا وما بوائقه ؟ قال : شره )) متفق عليه . وقال أيضاً : (( ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم )) .

وقال صلى الله عليه وسلم في حق التباعد والتقاطع محذراً ومرغباً في التقـارب : (( لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام )) وقال صلى الله عليه وسلم في حق المصلحين بين الناس مخاطبـاً أبـا أيوب الأنصاري : ((يا أبا أيوب ألا أدلك على عمل يرضـاه الله ورسـوله ؟ صـل بـين الناس إذا تباغضوا وقرب بينهم إذا تباعدوا )) .

وبعد أيها الأخوة المسلمون : لقد كنا ولا نزال نحن في بلدنا هذا من اكثـر النـاس ترابطاً وأشدهم تماسكاً من غيرنا في السراء والضراء مما يحسدنا الكثـير وكـل ذي نعمـة محسود ، تجتمع العائلات والأقارب والأرحام في العام عدة مـرات مهنئـين ومبـاركين ومشاركين بعضهم بعضاً في أيام الأعياد والمناسبات هذا عدا أيام الزواجات والتعازي والأتراح ، فلو نظرنا إلى ما نحن فيه من نعمة التآلف والتقارب والـتراوح وشـكرنا الله عليها ، وباركناها وقوينا أواصرها وأضفنا إليها شيئاً من التوجيهات والتوصيات لكنـا من أسعد الناس حياة وأطيبهم عيشاً وأهنأهم بالاً إلا أنه من المـشاهد والملاحـظ وقـد أثرت فينا عوامل الزمن وفيها كثير من الفوائد والفتن تغيرت بعض أحوالنا وتنكـرت علينا أقوالنا وأفعالنا فتقطعت أوصالنا وحلت عرانـا وتفككـت روابطنـا فنراهـا تحـل عروة عروة وتمزق بعض أسرنا تمزقاً عقدة عقدة ولا حول ولا قـوة إلا بـالله ، فـصرنا أكثر الناس تسريحاً وتطليقاً وأشد الناس تباعداً وتقاطعاً وقسوة وعقوقاً وكثر الـشجار وتطاولت ألسن الصغار عـلى الكبـار والجهـلاء عـلى العلـماء والـسفهاء عـلى العقـلاء ولعلكم تحسون وتشعرون بذلك داخل بيوتكم إلا من حفظه الله.

والله يقول وبقوله يهتدي المهتـدون ((وَإِذَا قُـرِئَ الْقُـرْآنُ فَاسْـتَمِعُواْ لَـهُ وَأَنـصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ )) وقال عز من قائل كـريم : ((فَـإِذَا قَـرَأْتَ الْقُـرْآنَ فَاسْـتَعِذْ بِـاللّهِ مِـنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ )) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : {وَاعْبُدُواْ الله وَلاَ تُشْرِكُواْ بِـهِ شَـيْئاً وَبِالْوَالِـدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالـصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً } .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني بالآيات والذكر الحكيم . أقول قـولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

# ( تكملة الخطبة الثانية )

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ، سبحانه ما أجل شأنه وأعظم سلطانه خشعت له الأصوات وكلت دونه الصفات وضلت دونه الأوهام وحارت دونه الأحلام وانحسرت دونه الأبصار لا يقضي في الأمور غيره ولا يتم شيء منها دونه ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الخلائق والبشر إرغاماً لمن جحد به وكفر اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد جميل المحيا والمنظر وعلى آله وصحبه مصابيح الغرر .

عباد الله : اتقوا الله تعالى من سماع اللغو وفضول الخبر وانتهوا عما نهاكم عنه وزجر واعلموا أن تعالى أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته المسبحة بقدسه وأيه بكم أيها المؤمنون من بريته من جنه وانسه ، فقال مخبراً وآمراً لكم تكريماً : {إِنَّ الله وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً } .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد الذي أرسلته رحمة للعالمين وشفيعاً للمذنبين وعصمة للمؤمنين فبلغ الرسالة وأدى الأمانة وهدى الله به من الخلق بشراً كثيرا فكان للمستبصرين سراجاً وقمراً منيراً .

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد صاحب الحوض المورود واللواء المعقود والمقام المحمود اللهم آته الوسيلة والفضيلة والشرف والدرجة الرفيعة وابعثه اللهم المقام المحمود الذي ودعته إنك لا تخلف الميعاد .

أما بعد أيها المسلمون : بعد أن عرفنا ما للوالدين من حقوق كبيرة على الأولاد فكذلك علينا أن نعرف واجبات وحقوق للأولاد على الآباء والأمهات وذلك في القيام بكفالتهم وكفايتهم ما داموا محتاجين وتربيتهم تربية حسنة وتأديبهم بالأخلاق المحمودة والصفات الحسنة والخصال الجميلة وحفظهم وصيانتهم من الأضداد وتحسين أسمائهم وان يختاروا لهم الأمهات المباركات من المنابت الحسنة الصالحة كما قال عليه الصلاة والسلام : (( تخيروا لنطفكم الأكفاء فإن العرق دساس )) وقال صلى الله عليه وسلم : (( إياكم وخضراء الدمن )) قيل وما خضراء الدمن قال : الفتاة الجميلة تنبت في المنبت السيئ )) أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

وليحذر الوالدان كل الحذر من الدعاء على ولدهما العاق فإن ذلك يزيده ضرراً وفساداً وعقوقاً ، وقد يعود بالخسارة عليهما في الدنيا ودعاؤهما مستجاب فينبغي أن يدعوا له ولا يدعوا عليه فقد يصلحه الله ببركة دعائهما فيعود باراً ويبر قرة عين لهما ويفوز بالبر وينجو من العقوق أعاذنا الله منه . وعليكم رحمكم الله بصلة الأرحام وإياكم وقطيعتهم فإنها من أعظم الآثام وعقوبتهما معجلة في الدنيا مع ما يدخره للقاطع في الآخرة من شديد العقاب وأليم العذاب وكذا يعجل ثواب البر والصلة في الدنيا مع ما يدخره الله للواصل من عظيم الثواب وكريم المآب وقد قال عليه الصلاة والسلام : (( أسرع الخير ثواباً البر والصلة وأسرع الشر عقاباً البغي وقطيعة الرحم )).

وينبغي للإنسان العاقل أن يصل أرحامه وإن لم يصلوه ويحسن إليهم وإن لم يحسنوا إليه مصداقاً لقول مربينا الأكبر ومعلمنا الأول صلى الله عليه وسلم : (( ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل هو الذي إذا قطعت رحمه وصلها ))

وقال أيضاً : (( أفضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم الكاشح )) وهو الذي يضمر العداوة لقريبه المحسن .

ألا فليجتهد كل واحد منا في صلة أرحامه ويتصدق على غيرهم قال الرسول صلى الله عليه وسلم (( المتعدي بالصدقة كمانعها )) وورد (( أن من يتصدق على الأجانب مع علمه بحاجة أقاربه إلى صدقته لا يقبل الله صدقته )) (( والصدقة على الأجانب صدقة والصدقة على الأقارب اثنتان صدقة وصلة )) (( منسأة في الآجال مثراة في الأموال )) .

وأما الزوجات فأعطاهن الإسلام حقهن كاملاً غير منقوص فقال تعالى : { وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ } وقال تعالى : { وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ }وقال عليه الصلاة والسلام : (( خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي )) أي نسائي ، فيجب على المسلم أن يكون حسن العشرة مع زوجته لطيف الأخلاق شفيقاً رفيقاً صبوراً على جفائها وسوء أخلاقها كثير المسامحة فيما يجب عليها من الواجبات والحقوق وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ : (( إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي من أي أبواب الجنة شئت )) .

وينبغي على الزوج أن يسامح زوجته بعض المسامحة ولا يستقصي عليها في طلب القيام بالحقوق كلها فيوقعها في الحرج فإن النساء ناقصات عقل ودين والغالب عليهن التساهل والتغافل عن حقوق الأزواج ومن سامح سامحه الله ومن تجاوز تجاوز الله عنه .

اللهم يا كاشف الغمة ومجلي الظلمة يامن هو نصيرنا وإليه مصيرنا وعليه توكلنا وإليه مفزعنا اكشف كربنا ونفس همنا ، اللهم نسألك يا كريم يا حنان يا متفضل

يا منان يا ذا الجود والامتنان ان تختم لنا بالإسلام والإيمان وأن تعاملنا بالفضل والإحسان وأن تقابلنا بالعفو والغفران وان تحفظنا من العذاب والنيران وأن تسكننا بفضلك فراديس الجنان .

اللهم آمنا في أوطاننا وابسط الأمن والأمان والاطمئنان في ربوع بلادنا وسائر بلاد المسلمين اللهم أصلح ذات بيننا وألف بين قلوبنا وحسن منقلبنا واشف مرضانا وعاف مبتلانا وأرخص أسعارنا وغزر أمطارنا وول علينا خيارنا وأبعد عنا شرارنا ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا واجعل ولايتك فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأخذل الكفرة والمشركين أعدائك أعداء الدين اللهم أنصر من نصر الدين وأخذل من خذله وكن عوناً ومعيناً له ، واكتب السلامة والعافية علينا وعلى عبيدك من الحجاج والغزاة والمسافرين في برك وبحرك وجوك أجمعين

اللهم اسقنا الغيث والرحمة ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم اسقنا الغيث والرحمة ولا تجعلنا من المحرومين ، اللهم اسقنا الغيث والرحمة ولا تأخذنا بالسنين ، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات إنك كريم سميع مجيب الدعوات وقاضي الحاجات وغافر الذنوب والخطيئات يا أرحم الراحمين .

اللهم صل وسلم وبارك على نبي الرحمة المهداة وعلى آله وصحبه ومن والاه خصوصاً على ذوي القدر العلي والمكان المعتلي ساداتنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعلى ريحانتي نبيك محمد صلى الله عليه وسلم سيدي شباب أهل الجنة أبي محمد الحسن وأبي عبدالله الحسين وعلى أمهما الزهراء البتول فاطمة بنت الرسول وأمها خديجة الكبرى وسائر أزواج حبيبك المختار وعلى عمي رسولك خير الناس أبي عمارة الحمزة وأبي الفضل العباس وعلى بقية العشرة المبشرة الذين بايعوا نبيك تحت الشجرة طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن

عوف وأبي عبيدة عامر بن الجراح رضوان اللهم انفعنا بسرهم واعصمنا من سبهعم واحشرنا في زمرتهم يا ذا الجلال والإكرام .

أيها المسلمون : اعلموا رحمكم الله إننا نعيش هذه الأيام الفاضلة وهي الأوائل من المحرم وان يطلب شرعاً صوم يومي التاسع والعاشر من المحرم لما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه (متفق عليه ) .

وعن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال : (( يكفر السنة الماضية )) رواه مسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( لئن بقيت إلى قابل ( أي السنة القادمة) لأصومن التاسع مع العاشر )) رواه مسلم .كما يسن في يوم عاشوراء التوسعة على العيال وصلة الأرحام والعطف على الأيتام وزيارة الصلحاء والعلماء وأهل الفضل وعيادة المرضى .{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } .

عباد الله : {إِنَّ الله يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } فاذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر .

# الوحدة والتوحيد

## الخطبة الأولى

الحمد لله موحد قلوب لو أنفق مـا في الأرض جميعـاً مـا ألـف بينهـا ، وجـامع شتات أمة كثرت أحقادها وأضـغانها ، فتراصـت صـفوفها وشـمخ صرحهـا وبنيانهـا وتعزز جنابها وامتد نفوذها وسلطانها ، فنـسأله تعـالى أن يثبـت دعامتهـا ويعـلي شـأننا ويوطد قواعدنا ويقوي أركاننا حتى ترسو سفينتنا على شاطئ بر أمانها وإيمانها .

وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريـك لـه بـشهادة عبـد معـترف بفـضله ونعمـه متخوف من شدة عذابه ونقمه و وأشهد أن شيدنا محمداً عبده ورسـوله الـذي حـذرنا أشد التحذير من عواقب الاختلاف والفرقة ونهانا صلى الله عليه وسلم عن المنازعـات والانقسام المفسد لدين الله ودنيا الناس لقول الله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى الله ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ } .

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك وحبيبك محمد موحد قلـوب المـؤمنين تحـت راية الإسلام وراص صفوف المجاهدين كالبنيان في جيوش الرحيم الـرحمن فخرجـوا تحت علم التوحيد والوحدة كالليوث الضارية ، يجوبـون أصـقاع المعمـورة فـاتحين لا مستعمرين مبشرين ومنذرين هادين مهديين فكـانوا المثـل الأعـلى للوحـدة والتوحيـد والأنموذج الصحيح للتغيير والتجديد ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله سـفن النجاة وصحبه الأئمة الثقاة .

أما بعد : أيها المؤمنون : الموحـدون والموحـدون أوصـيكم ونفـسي بتقـوى الله تعالى واعلموا أن ربكم واحد ودينكم واحد وأباكم واحد ومذهبكم واحـد ومبـدؤكم

واحد ووطنكم واحد وهدفكم واحد وعقيدتكم واحـدة {وَأَطِيعُـواْ اللهَ وَرَسُـولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ } فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون .

أجل أيها المسلمون : إن أهم ما جاءت به الرسل بعـد التوحيـد جمـع الكلمـة ولم شتات أممهم وتسوية صفوفهم (( مثـل المـؤمنين في تـوادهم وتـراحمهم كمثـل الجـسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، والمؤمنون كالبنان أو كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ويد الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النـار )) أو كـما قـال عليه الصلاة والسلام وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

أيها الأخوة الأعزاء : إن النبي صلى الله عليه وسلم من أول يـوم مـن الهجـرة إلى المدينة المنورة آخى بين المهاجرين من مكـة والأنـصار مـن سـكان المدينـة بكـل معـاني الأخوة الإسلامية الصحيحة وقضى على كل خـلاف بـين الأوس والخـزرج وشـحناء وثارات نتيجة الحرون الطاحنة في الجاهلية .

ويفصل التوحيد والاتحاد ظهر المسلمون وانتصروا على أعدائهم مع قلة عـددهم وعدتهم وكثرة عدوهم وعتاده وعناده وفتحوا البلاد وأبعدوا الفـساد وحـرروا العبـاد وأظهروا الإسلام وقهروا الملوك والقياصرة والأكاسرة وصاروا أقوياء وعلماء وأغنيـاء وسادة الدنيا والدين ومـا كـانوا كـذلك إلا باتحـادهم وتعـانقهم وتعـاونهم عـلى الـبر والتقوى وجمعوا أمرهم وصفوفهم وآراءهم فأيدهم الله بالنصر والتمكين قـال تعـالى : {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ } .

ومما لا شك فيه ان الشقاق والاخـتلاف يـضعف الأمـم القويـة ويميـت الأمـم الضعيفة ولذلك جعل الله عظمة الإسلام والمسلمين بعد ما انتـصروا في معركـة (بـدر

الفاصلة) أن يوحدوا صفوفهم ويجمعوا أمرهم غير أنهم لما اختلفوا يوم أحـد وعـصوا أمر قائدهم الأعظم صلى الله عليه وسلم امتحنهم الله بلطمة موجعـة وهزيمـة مفزعـة جزاء انقسامهم وعصيانهم قال تعالى : {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيـدُ الـدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ } .

أيها المسلمون نحن اليوم في هذا المكان من العـالم نحتفـل بمناسـبة الـذكرى ٢٧ لجلاء الاستعمار والذكرى ٥ لقيام الوحدة وبالرغم مما أصابنا من غصص ومحن وابتلاء إلا أننا لا نزال نذكر تاريخنا وأمجادنا إنه لحدث عظيم في حياتنا نحن اليمنيـين ألا وهـو قيام دولتنا الفتية (الجمهورية اليمنية) بعد عناء طويل وجهاد مرير وبعد أن يكاد يسيطر اليأس على الأمل والقنوط على الرجاء هب الرجال المخلصون من أبنـاء الـيمن الـبررة وضحوا بكل مرتخص وغال في سبيل تحقيق هذا الهدف المنشود {قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ } فلك الحمد يا آلهي على هذه النعم ونستعيذك يا رب من ويلات الاختلاف والنقم ونسألك التوفيق للقيـام بحقـك وشـكرك عـلى مـا أوليت وأسديت ووهبت وأعطيت والتوفيق لـشعبنا اليمنـي للمحافظـة عـلى وحدتـه وترابطه وتماسكه لكي يقف سداً منيعاً ضد أعدائه أعداء وحدته وسعادته وهنائه ويـرد كيدهم في نحورهم وشرهم في صدورهم فإنك أنت القوي العزيز مؤيـد المستـضعفين وناصر عبادك المؤمنين .

يا أهل الإسلام كيف تختلفون ودينكم التوحيد والاتحاد وكيف تفترقون وأنتم تعلمون ما في الفرقة من المضرة والفساد ولا تنتشر الفوضى ويختل النظام وتتعطل المصالح إلا بالتفرق في الأعمال والمقاصد والاعتقاد .

الإسلام يدعو دائماً إلى وحدة الرأي ووحدة الفكر ووحدة الكلمة ووحدة الصف . فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه فنقرأ في كل صلاة بفاتحة الكتاب قائلاً : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ{٥} اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ } بضمير الجمع هكذا أراد الله أن نقول ونحن نقرأها منفردين لم نقل ( إياك أعبد وإياك أستعين اهدني الصراط المستقيم ) بضمير المفرد لأن الله تعالى أراد أن ندعوه مجتمعين موحدين فالاتحاد قوة فالاتحاد قوة والاختلاف ضعف .

فانظر يا أخي المسلم إلى قوانين الكون التي سنها الله فيه فالقطرة الواحدة من المطر عندما تسقط بمفردها لا تحرك شيئاً ولا مثقال ذرة من الرمل ولكنها إذا سقطت قطرات المطر مجتمعة تكونت منها السيول الجارفة فتسقي الأرض وتروي المزارع ، وقد تكتسح البيوت والأشجار والأحجار وذلك بفضل تجمعها واتحادها وانظر إلى الخيط الواهي بمفرده ضعيفاً لا يعتمد عليه في ربط شيء ولكنه إذا انضم إلى أمثاله من الخيوط الواهية أضحى حبلاَ متيناً يجر الأثقال وتربط به السفن .

ونحن اليوم في عالمنا الإسلامي الكبير الذي يعيش في حالات من التمزق والافتراق والاختلاف ، بعضها من صنع أيدينا نحن أبناء الإسلام وبعضها من صنع أعدائنا المستعمرين بل إن العدو لا يستطيع أن ينفذ إلى صفوفنا إلا إذا وجد عوناً له من بعضنا ومناطق نفوذ ينفذ إلينا منها ولضعفنا وتفرقنا كلما تخلصنا من عدو ، أو حررنا

منطقة من مستعمر جاء إلينا عدو آخر أو هو نفسه يلبس ثوباً آخر متنكراً في ثوب صديق نحن اليوم نعيش حالة اغتراب في داخل وطننا الإسلامي والعربي لا نملك من أمرنا شيئاً محجور على الكثير منا وكل من أراد أن يتخلص من ربقة الاستعمار عسكرياً كان أو استيطانياً أو ثقافياً أو فكرياً تناوشته جراب الأعداء مستعينة بضعاف النفوس منا الذين لا يهمهم إلا المصلحة الذاتية والمنافع الشخصية .

فالإسلام ينادينا ويستنجد بنا وهو قوي بذاته يدافع وحده في المعركة وينازل أعداءه وأعدائنا واحداً تلو الآخر ويهزمهم واحداً إثر الآخر ونحن نتآكل فيما بيننا ونزعم أننا حماة الإسلام وأنصاره وأهله { وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ } .

أجل الإسلام ينادينا ويهيب بنا أحي حي على الفلاح حي على خير العمل ، أن انفضوا عنكم غبار (التخلف) والفرقة والتمزق فالعالم من حولنا يعيش متكتلاً مترابطاً (سياسياً واقتصادياً وعسكرياً ) ونحن سائرون في غفلتنا وخلافاتنا فهل من مجيب ، غير أننا ومع الاحتفالات بذكرى الوحدة والاستقلال وتأليف الحكومة الفتية الجديدة بالأمس نرجو أن ذلك بالخير والصلاح من رخاء في الأسعار وطمأنينة واستقرار إننا لا نطلب المستحيل سددوا وقاربوا ويسروا ولا تعسروا وإن حكامنا هم من أبناء طينتنا وجلدتنا لسنا نطالب حكاماً من أمثال الفاروق عمر بن الخطاب إن الظروف غير الظروف والمجتمع غير المجتمع أنهم مننا وإلينا وكما تكونوا يولى عليكم وأعمالكم عمالكم .

اللهم إنا نمد أكفنا إليك ضارعين معترفين بتقصيرنا مقرين بذنوبنا وليس لنا سواك أنت وحدتنا بعقيدة الإسلام والإيمان ونحن بأنفسنا فصمنا عراها وأضعفنا

قواها فألهمنا رشدنا وبصرنا بعيوبنـا ووفقنـا لإصـلاحها وزهـدنا في الـدنيا ورغبنـا في الآخرة وخذ بنواصينا لما فيه خيرنا وصلاحنا إنك سميع قريب مجيب الدعوات يـا رب العالمين .

والله يقول وبقوله يهتدي المهتـدون ((وَإِذَا قُـرِئَ الْقُـرْآنُ فَاسْـتَمِعُواْ لَـهُ وَأَنـصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ )) وقال عز من قائل كـريم : ((فَـإِذَا قَـرَأْتَ الْقُـرْآنَ فَاسْـتَعِذْ بِـاللّهِ مِـنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ )) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَـلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني بالآيات والذكر الحكيم . أقول قـولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

## ( تكملة الخطبة الثانية )

أما بعد : فيا عباد الله أوصى حكيم مسلم لأولاده وشرح لهم معنى الوحدة والاتحاد عملياً عندما حضرته الوفاة ليلقنهم درساً لا ينسونه في هذا المعنى فقدم لهم حزمة ما العصي قد اجتمعت عيدانها فعجزوا عن كسرها مجتمعة فلما فك الرباط وفرق العصي أعطى كل واحد عوداً زطلب منهم كسرها فكسروها بسهولة واحداً واحداً وقال حكمته المشهورة موصياً لهم :

كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى خطب ولا تتفرقوا آحادا
تأبى الرماح إذا اجتمعت تكسرا وإذا افترقت تكسرت أفرادا

فعلينا نحن أن نأخذ العبرة من هذه القصة على كل المستويات من الأسر والحارات والأحياء والقرى والمدن والمقاطعات ثم الأقاليم والدول والشعوب والأمة الإسلامية الكبيرة .. الكبيرة بإسلامها وتعاليمها ووحدتها وتراثها وحضارتها ومبادئها وقيمها ثم بثروتها وعددها إن كان في الثروة والعدد خير لأننا لسنا قلة ولسنا فقراء وإنما لضعفنا وتخاذلنا احتقرنا وامتهنا ، ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال ما هو معناه : (( يوشك أن تداعى عليكم الأمم كتداعي الجياع على قصعتها فقال الصحابة أو من قلة يا رسول الله . قال : لا ولكن غثاء كغثاء السيل )) أو كما قال فتأملوا هذا الحديث ملياً وأمعنوا النظر فيه جيداً .

ولم يصب المسلمون اليوم والأمس القريب بما أصابهم من انحلال وتفكك وتخاذل وتقهقر وضعف وهوان إلا عندما فقدوا وحدتهم الروحية ثم وحدتهم السياسية والمادية والاقتصادية والثقافية وعندما فقدنا كل ذلك تنكرت أحوالنا

وتمزقت روابطنا وأصبح الأخوان أعداء والأعداء أصدقاء وانقلبت حياتنا رأساً عـلى عقب ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فالإسلام دين الوحدة كما هو دين الوحدانية وسيظل هذا شعاره إلى يوم القيامـة وكذلك أحكامه كلها تتجه نحو الوحدة سواء في ذلـك أحكـام العبـادات مـن صـلاة وحج وأحكام المعاملات (( وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية ويـد الله عـلى الجماعـة ومن شذ شذ في النار )) .

أجل أيها الأخوة المسلمون : إن الغايـة المثلى لكـل الأديـان الـسماوية وبخاصـة الإسلام هي إحياء هذه الوحدة والمحافظة عليها وإزالة الأحقاد والقضاء عـلى عوامـل الشر والتفرقة والفساد قال تعالى : {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَـثَ الله النَّبِيِّـينَ مُبَـشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى الله الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُـواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }

# الصلاة كما يجب أن تكون

## الخطبة الأولى

الحمد لله الذي سبحت الكائنات بحمده ، وعنت الوجوه لعظمته ومجده تتصاغر أمامه نفوس الجبابرة وتذل له رؤوس الملوك والأمراء صاغرة فسبحانه من إله بيده قلوبنا ونواصينا ، وبين نقف في خضوع راكعين ساجدينا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل الصلاة على المؤمنين كتاباً موقوتاً ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أوصانا وهو في آخر رمق من حياته بقوله : (( الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم )) والذي يقول لمؤذنه بلال عندما اشتد عليه الأمر (( أرحنا بها يا بلال )) وكان يقول في حديثه (( وجعلت قرة عيني في الصلاة )) اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله أساطين الذين وصحابته العباد المتقين وتابعيهم أهل الإيمان واليقين .

أما بعد : أيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى فإنها بضاعة المؤمنين المخلصين الراكعين الساجدين والقائمين القاعدين في صلاتهم خاشعين خاضعين في حضرة الله رب العالمين فأسكنهم بجواره في أعلى عليين وفي مستقر رحمته مع الأنبياء والمرسلين .

يا أتباع محمد بن عبدالله ويا حملة الإسلام والإيمان إن للصلاة في الإسلام منزلة لا تعد لها منزلة أية عبادة أخرى فهي عماد الدين الذي لا يقوم إلا به ، ودعامته الكبرى التي يرتكز عليها . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله .

وهي أول ما أوجبه الله تعالى من العبادات تولى إيجابها تعالى بمخاطبة رسوله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من غير واسطة فيما قاله أنس بن مالك : (( فرضت

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به خمسين ، ثم نقصت حتى جعلت خمساً ثم نودي يا محمد : إنه لا يبدل القول لدي وإن لك بهذه الخمس خمسين )) .

وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ، فيما رواه عبدالله بن قرط قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (( أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح شائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله )) .وهي آخر وصية وصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته عند مفارقته الدنيا ولحوقه بالرفيق الأعلى فجعل يقول : (( الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم )) .وهي آخر ما يفقد من الدين فإن ضاع الدين كله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما نقضت عروة تشبث الناس بالتي يليها فأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة )) .

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يرى أن الله سبحانه يذكر الصلاة ويقرنها بالذكر تارة فيقول تعالى : { إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ } ويقول تعالى : {قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى*وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى } وقال تعالى : { وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي } .وتارة يقرنها بالزكاة فيقول : {وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ } ومرة بالصبر {وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ } وطوراً بالنسك {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ } {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } وأحياناً يفتتح بها أعمال البر ويختمها بها كما في سورة المعارج وفي أول سورة المؤمنون{ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ{١} الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ } .

أجل إن الصلاة واجبة محتمة على المسلم ما دامت روحه في جسده فلا يجوز له أن يتكاسل عنها أو أن بفرط فيها فالمريض يتيمم أن لم يستطع الوضوء ويصلي قاعداً أو بالإيماء إن كان مستلقياً على فراشه ، ونرى اليوم كثيراً عندما يمرض ويرقد في

المستشفى أو في بيته يترك الصلاة بحجة أنه سوف يقضيها بعد شفائه وهذا لا يجوز بـل عليه أن يصلي مهما أمكن ولا قضاء عليه وربما يموت المـريض وهـو تـارك لكثـير مـن الصلوات فلا ينفعه ما أوصى به بقولـه ( وأن يـصلى عنـي بعـد وفـاتي صـلاة شـهر أو شهرين ) فلنتبه لهذه الأخطاء الدنيئة التي نفع فيها دائماً .

والإسلام أمر أتباعه المقاتلين من جند الإسلام في ميادين القتال بالصلاة فلا يجوز أن ينشغلوا عنها ولا يضيعوها ، أو يؤخروها عن أوقاتها بأي حال مـن الأحـوال نعـم رخص الشارع الحكيم قصر الرباعية منها إلى ركعتـين للمـسافر ورخـص جمـع صـلاة الظهر مع العصر والمغرب مع العشاء جمع تقديم أو تـأخير في أوقـات الـسفر والمـرض والمطر وأجاز له في حالة الحرب القيـام بـشتى الحركـات حـال الـصلاة فقـال تعـالى : {حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ للهِّ قَـانِتِينَ*فَـإنْ خِفْـتُمْ فَرِجَـالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ الله كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ } .

ويشدد النكير على الذين يفرطـون فيهـا أو يقـصرون في واجباتهـا وهـدد الـذين يضيعونها فقال جـل شـأنه : {فَخَلَـفَ مِـن بَعْـدِهِمْ خَلْـفٌ أَضَـاعُوا الـصَّلَاةَ وَاتَّبَعُـوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً } وقال : {فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ*الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ }

ولأن الصلاة من الأمور المهمة الكبرى التي تحتاج إلى هداية خاصة سأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يجعله هو وذريته مقيماً لها فقال : {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الـصَّلاَةِ وَمِـن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء } .

ثم إن للصلاة صورة ظاهرة وحقيقة باطنة لا كمال الصلاة ولا تمام لها إلا بإقامتها جميعاً ، فإما صورتها الظاهرة فهي القيام والقراءة والركوع والـسجود وغـير ذلـك مـن

الأركان والـشروط ، وأمـا حقيقتهـا الباطنـة مثـل الخـشوع وحـضور القلـب وكـمال الإخلاص والتدبر والتفهم لمعاني القراءة والتسبيح .

وظاهر الصلاة حفظ البدن والجوارح وباطن الصلاة حظ القلب والسر محل نظر الحق تعالى من العبد أعني قلبه وسره .

ومن المحافظة على الصلاة والإقامة لها كمال الطهارة في الثوب والبدن والمكان ، قـال عليه الصلاة والسلام : (( الطهور مفتـاح الـصلاة )) وفي حـديث آخـر (( الطهـور شـطر الإيمان )) فينبغي المحافظة على الواجبات والسنن في الوضوء والطهارة دونـما وسوسـة ولا إسراف ، فإن الوسوسة في الطهارة والصلاة من عمل الشيطان يلبس عـلى مـن قـل علمـه وضعف عقله كما قال بعض السلف : الوسوسة من جهل بالسنية ، أو خبال في العقل ومن المحافظة على الصلاة المبادرة بها في أول مواقيتها في ذلك فضل عظـيم وهـو دليـل محبـة الله وعى المسارعة في مرضاته ومحابه و قال عليه الصلاة والسلام : (( أول الوقـت رضـوان الله وآخره عفو الله وإن العبد ليصلي الصلاة ولم يخرجها من وقتها ولما فاته من أول الوقت خـير له من الدنيا وما فيها )) وقبيح بالمؤمن أن يدخل عليه وقت الـصلاة وهـو عـلى شـغل مـن أشغال الدنيا فلا يتركه ، وأما تأخيرها عن وقتها فغير جائز وفيه إثم . والأذان والإقامة مـن شعائر الصلاة تتأكد المحافظة عليها وفيهما طر للشيطان ، لقوله عليه الـصلاة والـسلام : (( إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان )) الحديث .

وينبغي للمصلي أن يكون همه في الصلاة مقصوراً على إقامتها وتأديتها كما أمر الله فإن الصلاة مع الغفلة وعدم الخشوع والحضور لا يقع فيهـا ، قـال الحـسن البـصري رحمـه الله تعالى : كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع ، وفي الحديث النبوي (( لـيس

للعبد من صلاته إلا ما عقل منها وإن المصلي قد يصلي الصلاة فلا يكتب لـه منهـا سدسـها ولا عشرها )) أي لا يكتب له منها إلا القدر الذي كان حاضراً مع الله خاشعا له .

فانظروا رحمكم الله إلى جلالة قدر الـصلاة وعظـم فـضلها وقـد قـال عليـه الـصلاة والسلام : (( مثل الصلوات الخمس مثل نهر غمر على بـاب أحـدكم يقتحمـه في كـل يـوم وليلة خمس مرات ، أفترون ذلك يبقي من درنـه شـيئاً ؟ قـالوا : لا )) وقـال عليـه الـصلاة والسلام : (( الصلاة إلى الصلاة كفارة لمـا بيـنهما إذا اجتنبـت الكبـائر )) وقـال الله تعـالى : {وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْـلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُـذْهِبْنَ الـسَّـيِّئَاتِ ذَلِـكَ ذِكْـرَى لِلذَّاكِرِينَ } .

ومن المحافظة على الصلاة وإقامتها أن تصلى في جماعة وفي المسجد لأن الصلاة في جماعة تفضل على صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة كما ورد في الحديث النبـوي . فـإن التخلف عن الجماعة من أوصاف المنافقين قال ابن مسعود رضي الله عنه : ( لقـد رأيتنـا وما يتخلف عنها –يعني صلاة الجماعة– إلا منـافق معلـوم النفـاق ، ولقـد كـان يـؤتى بالرجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يهادى بين الرجال من الكبر حتى يقـام في الصف ) وقال عليه الصلاة والسلام : (( من سمع النداء فارغاً صحيحاً فلـم يجـب فلا صلاة له )) وقد هم بإحراق بيوت أقوام عليهم بالنار كانوا يتخلفـون عـن صـلاة الجماعة )) كما ورد في الحديث .

فإياك أيها المسلم أن تتخلف عن صلاة الجماعة لغير عذر مصوغ لـك يمكنـك أن تعذر به بين يدي الله علام الغيوب ، وإن بدأ لك القعود في بيتك لأمر فيه خير وصلاح لك في دين أو دنيا فاخرج إلى المسجد أوقات الصلاة لتصليها في جماعة أو خذ إليك من يصلي معك في بيتك ولو واحداً حتى تسلم من الحرج وتفوز بالثواب ، قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : (( ألا أدلكم على ما يمحو الله بـه الخطايـا اسـباغ الوضـوء عـلى

المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط )) وقال عليه الصلاة والسلام : (( بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة )) .

اللهم وفقن لما تحبه وترضاه اللهم عليك توكلنا وبك اعتصمنا وإليك توجهنا اللهم أنت ثقتنا وأنت رجاؤنا فاكفنا ما أهمنا اللهم عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك فزودنا بالتقوى واغفر ذنوبنا ووجهنا للخير أينما كنا .

والله يقول وبقوله يهتدي المهتدون ((وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ )) وقال عز من قائل كريم : ((فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ )) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ* فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ* أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني بالآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

## ( تكملة الخطبة الثانية )

أما بعد / فيا عباد الله تسوية الصفوف من إقامة الصلاة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( إن الله لا ينظر إلى الصف المعوج )) وقال صلى الله عليه وسلم :

(( لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم )) وكان عليه الـصلاة والـسلام إذا أقيمت الصلاة يمر بين الصفوف يمـسح بيـده الكريمـة صـدور المـصلين ليـسويهم في صفوفهم وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمر بدرته بين الصفوف ويقرع بها أقدام الذين يتقدمون أو يتأخرون ، ومن عظيم أوصاف هـذه الأمـة التـي وردت في الكتـب السماوية القديمة أنهم يصفون في صلاتهم كصفوفهم في القتال كأنهم بنيـان مرصـوص ولو يعلم الناس ما في الأذان والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يـستهموا (أي يقرعـوا) عليهما لا ستهموا ، ولا جماعة للصف الثاني حتى يتم الـصف الأول وتخطـي الرقـاب والمرور بين يدي المصلي من أعظم الذنوب وأكبر الآثام وفي الحـديث النبـوي الـشريف (( لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين ... خـيراً لـه )) وقـال أيضاً : ((إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره فـأراد أحـد أن يجتـاز بـين يديـه فليدفعـه مـا استطاع فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان )) وقال أيضاً : (( ليليني منكم أولو الأحـلام والنهى ومن سبق إلى مباح فهو احق به ، ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات )) .

واتقوا اله عباد الله وسووا بين صفوفكم يرحمكم الله وصـلوا صـلاة مـودع فإنهـا تكسب المرء سكينة النفس وتطبعه بطابع خلقي جميل وتجعل المقيم لهـا المحـافظ عليهـا رضي النفس حسن الخلق عضواً نافعاً في المجتمع الذي يعيش فيه والصلاة هي الوسيلة لتطهير النفس من بعض الأخلاق الموروثة من بيئتنا.

وإلى هذا تشير الآية { إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً{١٩} إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً{٢٠} وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً{٢١} إِلَّا الْمُصَلِّينَ{٢٢} الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُـونَ} وقـال عز من قائل كريم : { إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ ..} .

ثم إن الإسلام حبب في صلاة الجماعة ورغب فيها وأوجـب صـلاة الجمعـة كـل أسبوع واجتماع أهل الحي في اليوم خمس مرات مع اجتماعهم يوم الجمعة اجتماعاً أوسع مدى لا شك أن ذلك يقوي الروابط الاجتماعية ويشد أواصر الصلات بـين المـسلمين ويشعر كل واحد بأنه أخ لكل من في المسجد وأنه مساو له فلا فرق عنـد الله بـين غنـي وفقير ولا بين عظيم وحقير ولا بين رئيس ومرؤوس ولا بين أبيض وأسود فهـم أمـام الله تعالى وفي حضرته إخوة متساوون كأسنان المشط .

فنسألك اللهم أن تجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ويوفقنا لعمل الـصالحات قبـل المـمات ولأداء الـصلوات المكتوبـات عـلى الوجـه الأكمـل بجميـع المستحبات .

# الإيمان بالجزاء الأخروي

## الخطبة الأولى

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت ، المجازي لها بما عملت المحصي عليها ما قدمت وأخرت ، رافع السماء وبانيها وساطح الأرض وداحيها ومثبتها بالأطواد في نواحيها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وإليه المصير والمرجع في كل الأمور ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أخرج الناس من الظلمات إلى النور ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وأصحابه إلى يوم البعث والنشور .

أما بعد : أيها المسلمون أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى فهي الحصن الحصين من غضب الجبار والحرز المكين من عذاب النار والركن الركين الذي يعتمد عليه يا أولي الأبصار فخذوا منها زاداً في سفركم إلى دار القرار .

عباد الله : يقول الله تعالى في محكم آياته : {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ }وقال جل شأنه : {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } وجاء في الأثر : (( ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الدار المقبلة ولا تكونوا من أبناء الدار المدبرة فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل )) صدق الله وصدق رسوله .

أيها المؤمنون نحن نمر بمراحل حياتنا الدنيا كسفر عابر في طريقه إلى حيث يحط رحاله ويبلغ آماله وتغير الأحداث نضارته وأحواله ، إن الحياة كلها كطيف حلم يمر

سريعاً ، أو سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء قال رسول الله ﷺ : (( تركت فيكم واعظين صامتاً وناطقاً فالصامت هو الموت والناطق القرآن )) .

قال الحسن البصري رضي الله عنه قولته المشهورة واصفاً الدنيا أبلغ وصف في أوجز تعبير حيث قال : ( ما رأيت حقاً أشبه بباطل من الموت ) وهذا تصوير دقيق لموقف الناس من هذه الحياة وما بعدها فالناس مع يقينهم بأنهم غير مخلدين على وجه الأرض ومع إحساسهم بأن الموت آت عن قريب لما يشاهدونه كل يوم في بيوتهم وبيوت غيرهم من فقد الأهل والأحبة ، ويعترفون بأن الموت هادم اللذات ومفرق الجماعات إلا أنهم بسرعة ينسون أنفسهم فقلما يفكرون في غدهم المرتقب ومستقبلهم المنتظر ليستعدوا له الاستعداد اللائق به

إن الحياة لثوب سف نخلعه          وكل ثوب إذا رث يخلع

فالموت واعظ صامت يغير علينا كل يوم فيكدر صفانا وينغص عيشنا ولكنا لا نهتم به كما يجب وهناك واعظ ناطق يذكرنا بالآخرة ويزهدنا في الدنيا ولكن لا نلقي إليه اهتماماً وكم قرع أسماعنا بزواجره وصم آذاننا بقوارعه ذلك هو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فقد كرر القرآن الكريم الإنذارات بيوم القيامة فقال تعالى : {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} وقال تعالى : {إِيَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً} {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ} {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ} وقد أفاض القرآن الكريم في ذكر مشاهد القيامة وأهوال الحشر والنشر وصور العذاب الأليم والنعيم المقيم حتى لا يذهل البشر وراء مطالبهم ومآربهم عن يوم الحساب

وحتى لا يستغرقوا في آلامهم وآمالهم فينسوا المستقبل الأهم الـضخم الـذي ينتظـرهم عند الله ، ولا يكونوا كالكفرة الذين آمنـوا بالـدنيا الحـاضرة وكفـروا بالغيـب والـدار الآخرة فباءوا بالبوار في صفقتهم الخاسرة وقـالوا أئنـا لمـردودون في الحـافرة ائـذا كنـا عظاماً نخرة {إِنَّ هَؤُلَاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً } فالناس نيـام فـإذا ماتوا انتبهوا .

وتذكر اليوم الآخر ليس تصوراً خيالياً ليوم بعيد ولكنـه نـوع مـن التربيـة يقمـع المؤمن بها طبائع الشر و يكبح بها جماح الغرائز الدنيئـة ويغـري حـوافز الخـير ويـشجع جوانب الإيمان والاطمئنـان فـالمؤمن مـن حـين يلمـح ببـصيرته مـا أعـد الله لعبـاده الصالحين المؤمنين من النعيم المقيم في الجنة يغريه ويحفزه الطمـوح الـشريف إلى الظفـر بنعمة الله ورضوانه ويلمح ما أعد الله للمجرمين والكفرة من النكال والعذاب يزعجـه القلق ويفجعه الإشفاق من غضب الله ونيرانه فيكـون سـلوكه بـين هـذين الـشعورين كريماً مستقيماً أي أنه يعيش بين الرجاء في رحمة الله ونعيمه وبين الخوف مـن غـضب الله وجحيمه والمهم هو الاعتقاد الجازم والاستيقان من أن الدار الآخرة حق مثل الاعتقـاد والاستيقان بأننا موجودون في هذه الدار سواء بسواء .

عباد الله المؤمنين إننا سننتهي من هذه الدار حتماً وستنقضي هذه الـدار يومـاً مـا ، فهل كن خلقنا تسلية وعبثاً ، ومقامنا فيها فترة كانت سدى ، {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّـمَا خَلَقْنَـاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } إنه لا مستقبل عند الله لمن لم يستفد من عمره علـماً يرقـي بعقله وأدباً يسمو بخلقه ، وتقوى تدعم علاقته بربه ، وتكون ذخراً عند لقائه .

إن الله تعالى ماجد عظيم وإن كماله الأسنى لا ترقى إلى كنهه العقول مهـما بلغـت من المقدرة والاقتدار لأنـه سـبحانه فـوق مـستوى إدراكهـا لأنهـا أي العقـول ناقـصة

بطبيعتها فلا تدرك كمال الله جلت قدرته إلا في الفكر في سر خلقـه وإتقـان صـنعه وفي كل شيء له آية تدل أنه الخالق إن سـبحانه أوجـدنا نحـن البـشر تفـضلاً منـه وأعطانـا وملكنا ما على ظهر هذا الكوكب الضيق أي الأرض فرصة خطيرة لو أحسنا استغلالها وانه سبحانه لم يمنح الخلود في جواره الكريم إلا لمن ينتهزون هذه الفرصة فتـسمو بهـم أعمالهم وأحوالهم للصعود إلى الرفيق الأعلى ، إن الله المجيد لا يقبل إلى جواره المجرمين إن الله العليم لا يقبل إلى جواره الجهلة إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً {إِنَّ الَّـذِينَ كَـذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ } .

فعلى الإنسان أن يعلم علم اليقين أن عمـره المحـدود القـصير وإن طـال في هـذه الدنيا الفانية إذا لم يكن وسيلة للترقي في مدارج الفـضائل والـشرف فلـن يكـون غـده مشرق فالجنة التي وعد الله بها المتقين الصالحين لا تتسع للئيم ولا مهـين وغـذا لم يكـن الإنسان على حظ من اليقين والإيمان والفضيلة فلن يجد بها منزلاً .

لما استكبر بها إبليس طرده الله منها شر طرده وقال له سبحانه :{قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ } ولما غفل أبونـا آدم عـن حـق ربه ووهنت في الخير عزيمته أخرجه الله منها هو وزوجته حواء وعرفهما الله عـز وجـل وعرف ذريتهما من بعدهما أن للجنة مستوى خاصاً من التقـوى والكـمال الخلقـي مـن فقده لم يبق لها أهلاً وليست الجنة له محلاً {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى } .

فمن بقيت في نفسه آثار من شر وأدركه المـوت ولم يتطهـر منهـا بالتوبـة والإنابـة حبس عن شاطئ الآخرة ولم يدخل جنة ربه على تلك الحال ، قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : (( يخلص المؤمنون من النـار فيحبـسون عـلى قنطـرة بـين الجنـة و النـار ، فيقـتص لبعضهم من بعض مظالم كانت في الدنيا حتى إذا هذبوا وتقوا أذن لهـم في دخـول الجنـة ))

فمن لم يطب ويستو وينضج في الدنيا انتظرته جهنم لتكمل له مـا نقـصه وتعـوض مـا فاتـه {أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ* كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ} .

خلق الإنسان من أصول فيها كدر وكثافة وهوان من حمإ مسنون (أي طين منـتن متغير) ثم من نطفة أمشاج وأمامه في الدنيا فـسحة مـن الأجـل ينبغـي أن يـستغلها في تطهير نفسه من الأكدار والكثافة والهوان حتى يصبح مؤهلاً للحاق بـالرفيق الأعـلى ، فإذا جاءت رسل ربه لنقله إلى الدار الآخرة صدق فيه قول الله تعالى : {الَّذِينَ تَتَوَفَّـاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} إن هناك أقواماً تشم في أعمالهم نتن الطين المتغير (الحمإ المسنون) وتلمح في أخلاقهم كدره وسـواده هـؤلاء ليسوا أصحاب الجنة مهما زعموا وأملوا .

يعقد الإسلام صلة وثيقة بين فعل الخير في الدنيا وما يعقبه من سعادة في الآخـرة كما يعقد الصلة نفسها بين اقتراف الشرور واستحقاق العذاب الأليم فالمجرم لا بـد أن يلقـى عقوبتـه وان يواجـه الجـزاء مـن جـنس العمـل {إِنَّ الله لاَ يُـصْلِحُ عَمَـلَ الْمُفْسِدِينَ*وَيُحِقُّ الله الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ} وعندما يلتقي العصاة يوم القيامة ويحاول كل فرق منهم إلقاء التبعة على الآخر ليتخلص من الـذنب ويفـر مـن العقـاب عندئذ يقرع آذانهم صوت الحق جل جلاله {قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَـدَّمْتُ إِلَـيْكُم بِالْوَعِيدِ*مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} أما المحسن لا يتخلـف عنـه وعـد الله الحق ولا تنقص مكافأته على صالح ذرة {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُـوا الـصَّالِحَاتِ لَهُـمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ *خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ الله حَقّاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} .

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التـي فيهـا معاشـنا وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا في كل خـير واجعـل المـوت راحة لنا من كل شر يا أرحم الراحمين .

إن أحسن الكلام لفظاً ووقعاً وأحلى البيان سمعاً ونفعاً كلام من عنت الوجوه له كرهاً وطوعاً . والله يقول وبقوله يهتـدي المهتـدون ((وَإِذَا قُـرِئَ الْقُـرْآنُ فَاسْـتَمِعُواْ لَـهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ )) وقال عز من قائل كريم : ((فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْـتَعِذْ بِـاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ )) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنـزَلَ رَبُّكُـمْ قَـالُواْ خَـيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ* جَنَّـاتُ عَـدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآؤُونَ كَذَلِكَ يَجْـزِي الله الْمُتَّقِـينَ* الَّـذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَّن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَـاء مَـا يَحْكُمُـونَ* وَخَلَـقَ الله السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ* أَفَرَأَيْتَ مَـنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ الله عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ الله أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني بالآيات والذكر الحكيم . أقول قـولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

## ( تكملة الخطبة الثانية )

أما بعد / عباد الله خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أول بعثته فقال : (( إن الرائد لا يكذب أهله والله لتمـوتن كـما تنـامون ولتبعـثن كـما تـستيقظون ، ولتجـزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً إنها لجنة أبداً أو لنار أبداً )) .

أجل إن البعث عقيدة فوق الشبهات لا تعتريها الشبهات لا تعتريها الشكوك والريب {وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ الله يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ } وإن الجنة حق والنار حق وكلما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم حق ،لذا وجب علينا أن نعد الزاد الطيب ولاستعداد الكامل لذلك اليوم الرهيب والموقف العصيب من العمل الصالح من الهدى والتقى والعفاف فطوبى لمن اختار الباقية على الفانية وما استحق من فضل الفانية على الفانية ((والكيس (أي الفطن العاقل) من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني )) وقال أحد الحكماء من الصالحين ما معناه : ( لو أن الدنيا ذهب يفنى والآخرة خزف يبقى لاخترنا الخزف الذي يبقى على الذهب الذي يفنى كيف والأمر بالعكس بالنسبة للمؤمن فإن الدنيا خزف يفنى والآخرة ذهب يبقى )) فاختيار الخزف الفاني على الذهب الباقي حمق ما بعده حمق وسخافة ما بعدها سخافة .

والعمل الصالح مصدر الخير كله والسبب المعول عليه إذا خلصت النية وحسن القصد { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ الله مِنَ الْمُتَّقِينَ } {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ* كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ } .

أيها المسلمون الموت حق والبرزخ حق والجنة حق والنار حق الموت باب وكل الناس داخله .

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والعصمة من كل ذنب والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ولا هماً إلا

فرجته ولا حاجة هي لك رضاً ولنا فيها إلا صلاح قضيتها ويسرتها لنا يا أرحم الراحمين .

فكم شيعنا وكم لحدنا ولم نتعظ ويموت راعي الضأن في كوخه ميتة جيلانوس في طية غير أن موت والمصلحون والصالحون والعلماء والفضلاء ثلمة في الدين وفقد مؤثر لعمرك ما الرزية فقد مال ولا فرش يموت ولا بعير ولكن الرزية فقد الشخص يموت بموته خلق كثير إن فقد العالم لا يعوض إلا بإيجاد البدل والخليفة بعده وإلا فهو مصيبة ما بعدها مصيبة فإنا لله وإنا إليه راجعون .

# النظافة والتجمل

## الخطبة الأولى

الحمد لله الذي لا يقبل إلا طيباً ، ولا يرفع إليه إلا العمل الصالح جميل يحب الجمال نظيف يحب النظافة ولا يأمر الخلق إلا بما يعود عليهم بالمصالح أحل الحلال من الطيبات وحرم الخبائث والقبائح نحمده تعالى على نعمة الإسلام حمد المعترف المادح ، ونشكره عز وجل أمرنا بالطهارة والنظافة لصحة الأبدان والأرواح والقرائح وما يجلب الأمراض ويفسد الذوق ويضعف العقل ويغضب الرب ويؤذي الجليس إلا قباحة المنظر وخبث الروائح { مَا يُرِيدُ الله لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شرع الوضوء والغسل وإزالة النجاسة عن الثياب والأبدان ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل : (( الطهور شطر الإيمان )) والموحى إليه بقول الله جل ذكره {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ } اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأهل بيته المطهرين بنص القرآن الكريم { إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } وعلى صحابته المطهرين من الذنوب والأدران وعلى الصحابة والتابعين وعلى التابعين لهم بإحسان من أهل الإيمان فرضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك في جنات مكرمون.

أما بعد : أوصيكم أيها المسلمون ونفسي بتقوى الله تعالى فاتقوا الله في أنفسكم ومن تعولون ، وما تملكون واتقوا الله فيما تقولون وما تعملون وما تأتون وما تذرون

فإنها وصية الله لخلقه أجمعين وعليها الاعتماد في شئون دنيانا والدين فتمسكوا بحبلها القوي وعروتها الوثقى التي لا انفصام لها .

عباد الله : يقول الله تعالى وهو أصدق الصادقين : {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} .

أيها المسلمون : ما منح الله الإنسان نعمة بعد الإيمان والتوحيد أعظم من نعمة الصحة والسلامة من الأمراض والأسقام فإن العبد ما أعطي عقلاً سليماً في جسم سليم طابت حياته .

إن صحة الأجسام وجمالها ونضارتها من الأمور التي وجه الإسلام إليها عناية فائقة ، واعتبرها من صميم رسالته ولقد كرم الإسلام البدن فجعل طهارته التامة أساساً لا بد منه لكل صلاة وجعل الصلاة واجبة خمس مرات في اليوم وكلفنا بالنظافة لها ، والطهارة الكاملة بغسل الأعضاء التي تتعرض للغبار والأوساخ والأقذار وتكون عرضة للمكروبات والجراثيم التي تحمل الأمراض والأوبئة وفي بعض الأحوال يكلفنا بغسل الجسم كله غسلاً جيداً لحكمة شرعية عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ، قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ} فالوضوء والغسل نظافة إلزامية على المسلم زيادة على ذلك ندب الشارع أغسالاً مسنونة كغسل يوم الجمعة والنظافة والتطيب له ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( غسل يوم الجمعة واجب –وجوب ترغيب وندب– على كل محتلم ، وسواك وعيش من الطيب )) وفي حديث آخر (( إن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين فمن جاء الجمعة فليغتسل )) .

وقد أوجب الإسلام النظافة من الطعام بعد أكله فبعد أن ندب إلى الوضوء له — ويكفي فيه غسل الأيدي –أمر بأن يتخلص الإنسان من فضلاته وروائحه وآثاره وهذا اتقى للمرء وأطيب روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (( بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده )) أي النظافة المطلوبة وتختلف باختلاف الأطعمة ومخلفاتها على البدن ، فإذا تسربت هذه البقايا في الأماكن المتوارية من جسم الإنسان كان حقاً على المسلم أن يتنظف منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( تخللوا فإنها نظافة والنظافة تدعو إلى الإيمان والإيمان مع صاحبه في الجنة )) وقد اقترنت نظافة الوضوء ونظافة الطعام في هدي النبي صلى الله عليه وسلم فعن أبي أيوب قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (( حبذا المتخللون من أمتي قليل ، وما المتخللون يا رسول الله ؟ قال : المتخللون في الوضوء والمتخللون من الطعام أما تخليل الطعام فمن الطعام إنه ليس شيء أشد على الملكين من أن يريا بين أسنان صاحبهما طعاماً وهو قائم يصلي )) .

وعناية الدين بتطهير الفم وتجلية الأسنان وتنقية ما بينهما لا نظير لها في وصايا الصحة القديمة والحديثة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب ما جاءني جبريل إلا أوصاني بالسواك حتى خشيت أن يفرض عليَّ وعلى أمتي )) وقال أيضاً في حديث آخر (( لقد أمرت بالسواك حتى خشيت أن أدرد )) أي تسقط أسناني من شدة الدلك )) .

وهناك أطعمة ذات روائح لا تزول بسهولة كاللحم والسمك وغيرها يجب الاهتمام بإزالة آثارها بعد أكلها وعدم الإهمال فإن التنظف منها ضرورة لحفظ الصحة ، وضرورة لحفظ الكرامة الخاصة والآداب العامة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(( من بات وفي يده ريح غمر فأصابه شيء فلا يلـومن إلا نفـسه )) والغمـر زهـو مـن اللحم .

ومن احترام الإسلام للفرد والمجتمع تحريم على من أكل ثوماً أو بصلاً نيئاً أو مـا يشبههما من المأكولات أن يحضر المجتمعات ، ذلك أن نتن الأفـواه مـن هـذه الأطعمـة يؤذي الناس المخاطبين ، وقد أسقط الإسلام سنة الجماعة في المسجد عمن تنـاول هـذه المواد ، كما أسقط الجماعـة والجمعـة عـلى الـذين أصـيبوا بعلـل ذات روائـح كريهـة في أفواههم أو أجسامهم ، وأكثر من هذا وذاك الأمراض المعدية الموبوءة ، ويـوصي ديننـا الإسلامي الحنيف أتباعه أن يكونوا ذوي مناظر حـسنة وهيئـة كريمـة ، والحـق ذلـك بآداب الصلاة ، قال تعالى : {يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ } .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم المسلمين أن يعنوا بهـذه الأمـور التـي يحسبها الكثير أنها غير مهمة ويحب عليـه الـصلاة والـسلام أن يبـدو المـسلم في سـمته وملبسه وهيئته جميلاً مقبولاً ، قال عليه الصلاة والسلام : (( من كان له شعر فليكرمـه )) وعن أبي قتادة قلت : يار سول الله إن لي جمة (شعر الرأس) أفأرجلها ؟ قال : ((نعـم وأكرمها )) وعن جابر بن عبد الله قال رأى النبي صـلى الله عليـه وسـلم رجـلاً رأسـه شعث فقال : (( أما وجد هذا ما يسكن به شعره )) ورأى آخر عليه ثياب وسخة فقـال : (( أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه )) .

وليس من الكبر أن يظهر الإنسان بمظهر حسن في ثيابه وهيئته ، قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يدخل الجنة من كان في قلبـه مثقـال ذرة مـن كـبر )) فقـال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة فقال صـلى الله عليـه وسـلم : (( إن الله جميل يحب الجمال )) وفي رواية أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني أحب الجمال وقد أعطيت منه ما ترى حتى أحب أن يفـوقني أحـد بـشراك نعـل ! أفمـن

الكبر ذلك يا رسول الله ؟ قال : (( لا ولكن الكبر بطر الحق وغمط الناس )) وعن البراء قـال كان رسول الله ﷺ مربوعاً وقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت شيئاً أحسن منه قط )) .

وقد امتد هذا التطهير والتجمل من أشخاص المسلمين إلى بيوتهم وطـرقهم فـإن الإسـلام نبـه إلى تنظيـف البيـوت مـن الفـضلات والقمامـات حتـى لا تكـون مبـاءة للحشرات ومصدراً للعلل والأمراض وكان اليهود يقصرون في هـذا الواجـب فحـذر المسلمون من التشبه بهم . روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (( إن الله تعالى طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود )) وإماطة الأذى شعبة من شعب الإيمان وقـد اعتـبر هـذا العمل الخفيف الجليل صلاة مرة وصدقة مـرة أخـرى ففـي الحـديث : (( حملـك عـن الضعيف صلاة وإنحاؤك الأذى مـن الطريـق صـلاة )) وفي حـديث آخـر (( .. بكـل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة ويميط الأذى عن الطريق صـدقة )) أي إزالـة الأذى من حجر أو شوك أو نجاسة أو ما شابه ذلك .

أيها المسلمون : إن عناية الإسلام بالنظافة والصحة جزء من عنايته بقوة المسلمين المادية والأدبية فهو –أي الإسـلام-يتطلـب أجـساماً تجـري في عروقهـا دمـاء العافيـة ويمتلئ أصحابها فتوة ونشاطاً ، فإن الأجسام المهزولة لا تطيق عبئاً والأيدي المرتعـشة لا تقدم خيراً ونحن اليوم ف أمس الحاجة إلى هـذه القـوة البدنيـة للـدفاع عـن الـدين والوطن وتعمير البلاد وإقامة صروح الحضارة المرجوة والله تعالى يحثنا على ذلك بقولـه : {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْـلِ تُرْهِبُـونَ بِـهِ عَـدْوَّ الله وَعَـدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ الله يَعْلَمُهُمْ } .

وقد فر الإسلام أسباب الوقاية من الأمراض بما شرع من قواعد النظافة الدائمـة ثم بما رمه للمسلم من منهج لحياته يلتزم السير عليه فهـو يـستيقظ مبكـراً ويبتعـد عـن

السهر ويتحامى مزالق الشهوة ويقتصد في أطعمته ويستعف في معيشته وسيرته ويجدد نشاطه بالصلوات كل يوم والصوم في كل عام شهرا .

ولا تنس يا أخي المسلم أن البعد عن المعاصي وقاية وحفظ من الأمراض الخبيثة فإذا وقع امرؤ في مخالب المرض وجب عليه أن يعالجه بشتى الطرق ، ومن أهمها النظافة والاحتماء والتماس الأدوية الناجعة والطب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء )) وقال عليه الصلاة والسلام : ((إن الله أنزل الداء والدواء )) وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام )) كل داء دواء يستطب به إلا الحماقة أغبت من يداويها .

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه يا رب العالمين

والله يقول وبقوله يهتدي المهتدون ((وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ )) وقال عز من قائل كريم : ((فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ )) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : {يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ* قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الله الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني بالآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

## ( تكملة الخطبة الثانية )

أما بعد : أيها المسلمون : إن رسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يعرفنا يوم القيامة بميزة فينا نتميز بها عن سائر الأمم فقال عليه الصلاة والسلام : (( إن من أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل )) وأرشدنا عليه الصلاة والسلام إلى أن الوضوء هو طهارة ونظافة طريق إلى تكفير الذنوب ومحو الخطايا فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام قوله : (( ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط )) .

وروي عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك )) .

ويحثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً على الوضوء لأنه طريق الصلاة حتى نقف بين يدي الله في أكمل زينة . روي عن أحمد عن أبي أسامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (( إذا توضأ الرجل المسلم خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه فإن قعد قعد مغفوراً له )) .

ومن وسائل الوقاية المحكمة ضد الأمراض المعدية ما شرعه ديننا الحنيف من قضاء الحاجة (التغوط والتبول ) في أماكن معزولة كي لا يتلوث بها الهواء والماء فنهانا من قضاء الحاجة في المياه الراكدة والجارية والطرق العامة ومحل جلوس الناس

واستراحاتهم ، فعن معاذ رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم : (( اتقـوا الملاعن الثلاث : البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل )) والشخص الذي يـتخلى في الطريق العامة ساقط المروءة فهو يأتي فعلاً يثير الاشمئزاز والتقزز قـال رسـول الله ﷺ : (( من آذى المسلمين في طرقهم وجبت لعنتهم )) وفي رواية (( من غسل سخيمته عـلى طريق من طرق المسلمين فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين )) .

وقياساً على ذلك أو ما يقاربه ما تراه اليوم في كثير من شوارعنا العامة من الفـضلات والقاذورات والقمامات المنتنة ومياه البلاليع الوسخة الفائضة التـي مـلأت أجواءنـا تلوثـاً وروائح منتنة تهددنا بالأمراض والأوبئة ، بل أننا لو لا حظنا أننا قد أصبنا فعـلاً بكثـير مـن الأمراض التي استوطنت واستعص علاجها في حين نقص العلاج والدواء والوقاية وعـلى مسمع ومرأى من ولاة الأمر . اللهم إن هذا منكراً فأزله .

أيها الأخوة : كنـا بـالأمس القريـب والقريـب جـداً تـساق سـوقاً قربـا كنظـف شـوارعنا ونحـن اليـوم مطـالبون بـذلك رغبـة لا رهبـة وطوعيـة لا إكراهـاً النـاس المتحضرون يصلحون أنفسهم بأنفسهم ألم يأن لنا أن نتعاون لإصلاح بلادنا ونقـوم بـما يمكن القيام به من عمل جماعي لتحسين أحيائنا وتنظيفها من الأقذار والقمامات أينكم يا أهل الحل و العقد أين العقـلاء أيـن العلـماء والمثقفـون والحكـماء والمهندسـون أيـن الأغنياء والعمال والشباب الواعي ..... أن حي على العمل الجماعي المنظم .

# استقبال عام وتوديع آخر

## الخطبة الأولى

الحمد لله الذي لا يعز من عاداه ولا يذل من والاه ولا يخيب من لاذ بـه ودعـاه ، لـه الملك كله وله الخلق كله وله الأمر كله يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء بيده الخـير وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الخالق الرازق الكـريم المتعال ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المـصطفى ونبيـه المجتبـى عمـر عمـره كلـه جهادا وكل أوقاته إصلاح وإرشاد اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آلـه وأصـحابه الذي بذلوا نفوسهم وأموالهم في الجهاد طلباً لمرضاة الله وهداية للعباد .

أما بعد فيا عباد الله : أوصيكم ونفسي بتقوى الله رب العالمين ، فغنها وصيته تعالى لعباده أجمعين الأولين والآخـرين فإنـه لا قبـول لعمـل بـدونها {وَ إِنَّـمَا يَتَقَبَّـلُ الله مِـنَ الْمُتَّقِينَ} وقال عز من قائل : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } .

أيها الأخوة في الله ونحن نودع عامـاً ونـستقبل عامـاً عـلى الأبـواب واقفـاً عـلى الأعتاب يقول الله تبارك وتعالى مخاطبـاً جميـع المـؤمنين { الْيَـوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِيـنَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً } الإسلام عقيـدة وشريعـة وعمـل ودين يتطلب من المسلمين أن يعملوا لدنياهم وأخراهم فهو يريدهم أن يكونوا أقويـاء أصحاء سادة ويريدهم أن يكونوا شجعاناً فيما يقولـون ومـا يفعلـون لا يخـشون في الله لومة لائم ، وليست الشجاعة مقصورة على الحروب والمعارك ، فإن الدعوة إلى الحق في علم ضال شجاعة والدعوة إلى الإصلاح في أمة منحرفة شجاعة والاستمساك بالعقيدة

الصحيحة مهما أوذي صاحبها شجاعة والدفاع عن الدين أو العرض أو الجار المضطهد شجاعة وكلمة حق عند سلطان جائر شجاعة وإنما تعد الشجاعة فضيلة لأنها مجازفة بالحياة والحياة أغلى ما يملك الإنسان .

أما الجبن فإنه رذيلة لأنه رضا بالمذلة وإيثار للسلامة على الحق وعلى الكرامة ونذير باستمرار الضعف والتخلف والفوضى .

أجل أيها الأخوة المسلمون : إن الإسلام عقيدة استعلاء من أخص خصائصها أنها تبعث في روح المؤمن بها إحساس العزة من غير كبر وروح الثقة في غير اغترار وشعور الاطمئنان من غير تواكل وإنها تشعر المسلمين بالتبعة الإنسانية الملقاة على عواتقهم تبعة الوصاية على هذه البشرية في مشارق الأرض ومغاربها وهدايتها إلى الدين القيم والطريق السوي وإخراجها من الظلمات إلى النور بما آتاهم الله من نور الهدى والفرقان {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ} .

وكذلك كان وكنا فلم تعرف الدنيا دوراً من أدوار التاريخ أكمل وأجمل وأزهر في جميع مجالات الحياة من أدوار التاريخ الإسلامي فقد تعاونت فيه قوة الروح والأخلاق والدين والعلم والأدوات المادية في تنشئة الإنسان الكامل وفي ظهور المدنية الصالحة كانت حكومة من أكبر حكومات العالم وقوة سياسية تفوق كل قوة في عصرها وتسود فيها المثل الخلقية العليا وتحكم معايير الأخلاق الفاضلة في حياة الناس ونظام الحكم وتزدهر فيها الأخلاق والفضيلة ويساير الرقي الخلقي والروحي اتساع الفتوح وتحسن علاقة الفرد بالفرد والفرد بالجماعة وعلاقة الجماعة بالفرد كما لم يحلم الإنسان بأرقى منه ولم يكن إلا بسيرة الرجال الذين يتولون الحكم وبعقيدتهم وتربيتهم وخطتهم في الحكم

فكانوا أصحاب دين وأخلاق عالية كانوا أعفة أمناء خاشعين متواضعين حكاماً كـانوا أو رعايا أو جنوداً يصف شيخ من عظماء الروم جنود المسلمين فيقـول : إنهـم يقومـون الليـل ويـصومون النهـار ويوفـون بالعهـد ويـأمرون بـالمعروف وينهـون عـن المنكـر ويتناصفون فيما بينهم ، وقال آخر : هم فرسان بالنهار رهبان بالليل حتى قال هرقـل : والله لبطن الأرض خير من سطحها مـن مقابلـة هـؤلاء ، ويقـول ثالـث : أمـا بالليـل فرهبان وأما بالنهار ففرسان يريشون النبل ويبرونها ويثقفون العنا لو حدثت جليسك حديثاً ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر .

إن هذا النوع الإنساني وهذا الرعيل من أتباع محمـد صـلى الله عليـه وسـلم كـان خليقاً بأن يسعد البشر في ظله وتحت حكمه وأن يسير بقيادته سديد الخطا رشيد الغايـة مستقيم السير وأن يعمر ويطمئن العالم في دوره وتخصب الأرض وتأخذ زخرفها كـانوا خير القائمين على مصالحها حارسين لها .

هذا ما كان من أمرنا في الماضي الذي سعدنا به وسعد معنا العـالم نـذكره ونجـتره ونستمتع بذكرياته ونحن رافعين رؤوسنا فخـراً واعتـزازاً عـلى منابرنـا وفي محاضراتنـا وندواتنا شعراً ونثراً ولكان اليوم ونحن ما نشعر بغـضاضة وخجـل تطـأطئ رؤوسـنا استحياء أمام ذلك التاريخ الحافل بالمكارم والأمجاد صاغرين ولسان الحال تقول :

**لم يبق شيء مـن الـدنيا بأيـدينا إلا بقيـــة دمـــع في مآقينـــا**

**كانــت منازلنــا بــالعز شــامخة لا تشرق الشمس إلا في مغانينـا**

**وكان أقصى مني نهر المجزة لـو من مائه مزجت أقـداح سـاقينا**

**حتى غدونا ولا جاه ولا نشب ولاصـــديق ولا خـــل يواســـينا**

واليوم وقف العالم على مفترق الطرق واستدار الزمان كهيئته يوم بعث الرسول صلى الله عليه وسلم إما أن نتقدم ونحن أمة الرسول وعشيرته إلى الميدان ونغامر بالنفوس والإمكانيات والمطامح ونخاطر بما فيه من رخاء وثراء ودنيا واسعة وفرص متاحة للعيش وأسباب ميسورة فينهض العالم من عثاره ، وتتبدل الأرض غير الأرض وإما أن نستمر فيما نحن فيه من تخلف وتشتت وتمزق والحصول على أسباب الترف والتعلم فنبقى فيما نحن فيه .

إن العالم العربي والشرق الأوسط له أهمية كبيرة في خريطة العالم السياسية والاقتصادية والإستراتيجية وذلك لأنه وطن أمم لعبت أكبر دور في التاريخ الإنساني وهو موطن الرسالات السماوية والمقدسات الإلهية وقلب العالم الإسلامي النابض يتجه إليه روحياً ودينياً ويدين بحبه وولائه ومن ناحية أخرى شرقنا العربي الإسلامي يحتضن منابع الثروة الاقتصادية الكبرى –الذهب الأسود-النفط الذي هو دم الجسم الصناعي والحربي اليوم ولأن موقعه الجغرافي حيث يكون صلة بين الشرق الأقصى والمغرب ولأن فيه الأيدي العاملة والعقول المفكرة والأسواق التجارية والأراضي الزراعية وفيه الجزيرة العربية بمركزها الروحي وسلطانها الديني والحرمين الشريفين والأراضي المقدسة واجتماع الحج السنوي الذي لا مثيل له في العالم ، وآبار البترول الغزيرة . كل ذلك قد جعل العالم العربي محط أنار الغربيين المستعمرين وملتقى أطماعهم ومطامحهم وميدان تنافس لقياداتهم لذا ترانا وقد تحررنا في الظاهر من الاستعمار إلا أنه تأصلت جذوره فينا وظهرت آثاره عندنا فغرس هذه الجرثومة إسرائيل في قلب العروبة والإسلام وبقي يدعمها ويغذيها وينميها ، وما هذه الغيوم المتلبدة في سماء الشرق الأوسط

وهذه التطورات والتغيرات السريعة التي تفاجئنا كل يوم بل كـل سـاعة وسـائل الإعـلام العالمية على اختلافها بإسقاط نظام أو احتلال أو استسلام دولة أو تغيير أعلام بهذا الـسرعة المريبة وبهذا التهافت الخطير مثله كما جاء في المثل العربي :

إني وقتيلي سليكا ثم أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر

إنها حركات مشبوهة تتساقط بعض الأنظمة تباعاً خوفاً من العصا الغليظة التـي بيد المعلم . وتحت شعار الديمقراطية والعولمة والعلمنة وحقوق الإنسان والحريـة كـل هذه الحركات والتطورات تحصل في العواصم العربية والإسـلامية والله أعلـم مـا رأي الشعوب والقواعد العريضة ما رأي علـماء الإسـلام الأكـابر الـذين أصـيب كثـيرهم بالوجوم والسكوت وأخرس البعض الآخر والـساكت عـن الحـق شـيطان أخـرس . فإسلامنا بطبيعته رسالة سماوية إلهية يم يـترك فـضيلة إلا جـاء بهـا ولم يـترك رذيلـة إلا وحذر منها ، فهو دين العدالة أو ما يسمونها بالديمقراطية بلغتهم ويؤيد العلم والتعلم والتطور العلمي وجاء في التنزيل {الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ{٤} عَلَّـمَ الْإِنـسَانَ مَـا لَمْ يَعْلَـمْ } ويؤمن بل يحث على حقوق الإنسان بعد حقوق الله تعالى لم يعتد على أحد كائنـاً منكـان فتحت جيوش الإسلام كثيراً من بلاد أهل الكتاب وكـان أمـراء الجيـوش الإسـلامية يوصون جندهم بالا يقتحموا دور العبادة من كنائس وما فيها من رهبان وأحبار ونحن اليوم لا نعادي اليهود لأنهم يهود بل نعاديهم ويجب أن نعـاديهم بـل ونحـاربهم لأنهـم استحلوا أرضنا ودنسوا مقدساتنا واستهانوا بحرماتنا ولم نعاد المسيحيين لأنهم نصارى مسيحيين بل لأنهم مستعمرين متكبرين غير عادلين في أحكامهم وعـدم إنـصافهم لنـا من أعدائنا الحقيقيين وتدخلهم في مناهجنا المدرسية وطلابنا وطالباتنا كـل يـوم يقـدم

علينا من أوربا وفود رجالاً ونساء باسم السياحة والاطلاع على تراثنا وتاريخنا يجوبـون شوارعنا وأسواقنا لا يعترضهم معترض ولا يعاكسهم معاكس ولا يـسمهم سـوء ولا تمتد إليهم عين ولا ي وبخاصـة عنـدنا في محافظتنـا حـضرموت نعتـبرهم ضـيوفاً وأن أساءوا كل ذلك استجابة وتمشياً مع التعاليم الإسلامية وما يـسمونها حقـوق الإنـسان ويطلق على العام الجديد عندنا في اليمن عام السياحة انه شر لا بد منـه إلا أنهـم أخـيراً تجاوز بعضهم آداب الزيارة والسياحة وتدخلوا فيما لا يعنـيهم فظهـر في بعـض أريافنـا وفي أحراش البوادي جماعات مبشرة بالمسيحية بأسـاليب ملتويـة وبطـرق منطويـة ف جماعات من السذج البسطاء يـأتون إلـيهم كمـساعدين أو أطبـاء معـالجين كالـصليب الأحمر هذا حاصل في حين لم يرتفع صوت الداع أو نقد لناقد ، فرحماك اللهم إن الأمـر جلل والخطب نزل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حـسبنا ونعـم الوكيـل نعم المولى ونعم النصير .

والله يقول وبقوله يهتدي المهتـدون ((وَإِذَا قُـرِئَ الْقُـرْآنُ فَاسْـتَمِعُواْ لَـهُ وَأَنـصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ )) وقال عز من قائل كـريم : ((فَـإِذَا قَـرَأْتَ الْقُـرْآنَ فَاسْـتَعِذْ بِـاللّهِ مِـنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ )) .

أعوذ بالله من الشيطان الـرجيم : {أَمْ نَجْعَـلُ الَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الـصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ * كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْـكَ مُبَـارَكٌ لِّيَـدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ } .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني بالآيات والذكر الحكيم . أقول قـولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

# ( تكملة الخطبة الثانية )

يخاطبنا زعيم بقوله : أيها العرب المسلمون : إلى متى تصرفون قواكم الجبارة التي فتحتم بها العالم القديم في ميادين ضيقة محدودة ؟ وإلى متى ينحصر هـذا الـسيل العـرم الذي جرف بالأمس بالمدنيات وحكومات الروم والفرس فاحتضنوا هذه الـدعوة مـن جديد وتفانوا في سبيلها {وَجَاهِدُوا فِي الله حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَـيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِـاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ } .

وبالمناسبة إليكم أيها المسلمون نموذجين من تاريخنا الإسلامي القـديم ومـوقفين عظيمين نوردهما هنـا للادكـار والعـبرة لا للافتخـار والتـبجح عـلى المنـابر والخطـب فالظرف لم يعد صالحاً للفخر والتغني بالأمجاد ونحن ما نحن اليوم

١) أرسل سعد بن أبي وقاص قائد الجيش الإسلامي أرسل ربعي بن عـامر إلى رسـتم قائد جيوش الفرس وأميرهم فدخل عليه ربعـي في ديوانـه وقـد زيـن بـالنمارق والـزرابي واللائي والجواهر وعلى رأسه تاج وقد جلس على كرسي من الـذهب فـدخل عليـه ربعـي بثيابه الرثة وهو يحمل ترساً ورمحاً وهو راكب فرساً وداس بها على بساط رسـتم ثـم ربطهـا ببعض الوسائد وأقبل عليه بسلاحه ودرعه فقال له الحرس : ضع سلاحك فقال لهـم إني لم آتيكم إلا بطلب من سيدكم فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرقها فقال لـه رسـتم مـا جاء بكم ؟ في استحقار فقال له ربعي : الله تعالى ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العبـاد إلى عبادة الله تعالى ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام وخـرج ثـم قامت المعركة وكان النصر المؤزر للمسلمين على الفرس .

٢) حصل في عهد المعتصم العباسي المقيم ببغداد العراق حصل في بلاد الروم في بلدة تسمى عمورية أن لطم علج رومي امرأة قرشية فصاحت بصرخة بقولها وامعتـصماه وأيـن هي من المعتصم وأين المعتصم من عمورية مسافة طويلة إلا أنه بلغ المعتصم صرخها فقـال : لبيك يا خالة لبيك فجهز جيشاً لن تعرف الأرض مثلـه وجعـل في مقدمتـه الخيـول البلـق وقاد اللجيش بنفسه حتى وصل عمورية وحاصرها مدة واستعصت عليه وكان جماعة مـن المنجمين الدجالين فاستشارهم المعتصم فنصحوه بعد مـا ضربـوا أخماسـهم في أسداسـهم قالوا له لن تفتح عموية إلا بعد أن ينضج العنب والتين فاهتم المعتصم وخاف على الجـيش من الملل والإحباط إذا طال بهم الانتظار وكان حينها موجود الشاعر المبرز أو تمـام الطـائي فأنشد قصيدته البائية المشهورة مطلعها :

الـسيف أصـدق أنبـاء مـن الكتـب  في حـده الحـد بـين الجـد واللعـب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في  متـونهن جـلاء الـشك والريـب

فهجم المعتصم على عموية وفتحها وأدب ذلك العلـج ومـن يـستحقوا التأديـب وصدق الله وكذب المنجمون وإن صدقوا .

# الخطبة الثانية

الحَمَدُ لله رَبِّ العَالَـمِـينَ ، والعَاقِبَـةُ لِلْمُتَّقِـينَ ، ولَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَـلَى الظَّالِمِــينَ ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتَوبُ إِلِيهِ ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا ، مَـنْ يَهْدِ اللهِ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فَـلَا هَـادِيَ لَـهُ ، وأَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا اللهِ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَأْنَـهُ ، وأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ، خَشَعَت لَـهُ الأَصْـوَاتُ ، وَكَلَّـتْ دَونَهُ الصِّفَاتُ ، وضَلَّتْ دُونَـهُ الأَوهَامُ ، وحَارَتْ دُونَـهُ الأَحْـلَامُ ، وانْحَـسَرَتْ دُونَـهُ الأَبْصَارُ ، لَا يَقْـضِي فِـي الأُمُورِ غَيرُهُ ، وُلَا يَتِمُّ شَيءٌ دُونَهُ.

وَ أَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، سَيِّدُ الخَلائِقِ والبَشَرِ ، أَرْغَـمَ أَنْـفَ كُـلَّ مَن جَحَدَ به وكَفَــرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّمْ وَ بَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا م مُحَمَّدٍ، جَمِيلِ الُمحَيَّا والمَنْظَـرِ ، وعَـلَى آلِــهِ وصَحْبِهِ الـمَصَابِيحِ الغُرَرِ.

عِبَادَ اللهِ: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى اللهِ تَعالى اتَّقُوا اللهِ مِنْ سَمَــاعِ اللَّغْـوِ وفُـضُولِ الخَـبَرِ ، و انْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ و زَجَرَ.

أما بعد : فيَا عِبادَ اللهِ إِنَّ الدَّقَائِقَ وَالثَّواني في حَياةِ الأُمَمِ وَأَعَمارِ الأفـرَادِ لهَـا وَزنٌ وَحِسَابٌ فَالسَّنَواتُ وَالشُّهورُ وَالـسَّاعاتُ الطَويلـةُ لَيستْ فِي حَقِيْقَتِهَـا سِـوى دَقَـائِقَ وَثَوانٍ ، وَضَياعُ الدَّقائقِ وَالثوانِي ضَـياعٌ لِتلـكَ الـسَّاعَاتِ بَـلْ الـسَّنَواتِ التـي يَنْقَـضِي بِمُرُورِهَا عمرُ الإنسانِ :

دقــاتُ قَلـــبِ المَــرءِ قَائِلــةً لَــهُ　　　إِنَّ الحَيَــــاةَ دَقــــَائِقٌ وَثَــــوَانِي

كَمْ مِنَ السَّاعَاتِ وَالأيامِ وَالسِّنين تَضِيعُ في حَيَاتِنَا وَحياةِ أُمَتِنَـا في اللَّهْـوِ وَالنَّـومِ وَالكَسَل وَالفَوضَى وَالثَّرثَرة دَاخِلَ البيوتِ وَخَارِجَها عَلَى الشَّوارِعِ وَفي مَقـرِّ العَمَـلِ في الدَّوائرِ وَالمَكَاتِبِ وَالمصَانِعِ وَحَتَّى المَدَارِس والمسَاجِد نَحنُ نُـضيّع الوَقـتَ مجَانَـاً بِـدُونِ مُقَابِل بَلْ نَخْسَرُهُ فِي الدُّنيَا وَنخسرُهُ فِي الأُخْرَى عَلَى حِينِ يَسْهَرُ أَعْدَاؤُنَا وَيَكْدَحُونَ فِيـهِ وَلاَ تَفُوتهُم دَقِيْقَةٌ وَلاَ ثَانِية مِن أَجلِ تَحْصِيلِ أَسبَابِ القُوةِ ، وَمِن أَجْلِ فَرضِ سَـيْطَرَتِهِم عَلَى مَصَائِرِنَا نَحْنُ العَرب وَالمُسلِمين .

أَمَّا نَحْنُ فَنُضَّيعُ السِّنِينَ تِلَو السّنين وَلاَ نَحُسُّ بِمُرُورِهَا وَلاَ نَحْـسُبُ لَهـا حِـسَاباً فَالزَّمَنُ جُزءٌ مِنْ تَقدُّمِهِم وَنَجَاحِهِم لأَنَّهُم عَمَرُوهُ وَاسْتَفَادُوا مِنـهُ ، كَـمَا أَنَّـهُ أَي الـزَّمنِ جُزءٌ مِن ضَيَاعِنَا وَفَشَلِنَا لأَنَّنا أَهْمَلنَاهُ وَضَيعنَاهُ .

نَحـنُ المُـسلمُونَ مَـأمُورُونَ بِالمُحَافَظَـةِ عَـلَى الوَقـتِ وَأَن نَعْمَـلَ أَلـفَ حِـسَابٍ وَحِسَابٍ كَما جَاء فِي نُصُوصِ عَقِيْدَتِنَا ، وَفِي سُلُوكِ أَسْلاَفِنَا وَفِي شَـعَائِر دِيْنِنَـا الحَنِيْـفِ ، فَالمُؤمِنُ المُسلمُ وَقتُهُ كُلّهُ مَعْمُورٌ وَمُنَظمٌ . كَما أَنَّ المُؤمِنَ بِالتِزَامِهِ أَوامـرَ دِينِـه وَإِحـسَاسِهِ بِقِيمةِ الزَّمَنِ مِنْ حَولِه يعتبرُ نَموذَجاً ممُتَازاً في صِحتِهِ ، وَفِي قُوَتِه وَفي سُـلُوكِهِ وَفِي تَربيتِـهِ لأَهْلِهِ ، وَفِي عَلاَقَاتِهِ بِإخوَانهِ وَفي أَدَائهِ لِوَاجِبهِ ، وَفي صِدْقِهِ في مُعَامَلاتِـهِ ، وَفي اطمئنانـه المرتسم على وجهه ، وَفي رِضَا نَفْسِهِ الذي يَشعُّ مِنْ عَيْنَيهِ وَيَفِيضُ عَلَى كُـلِّ مَـن حَولَـه . ولأَنَنا مَدعُوُّون جَمِيعَاً إِلى أَنْ نَكون كَأسلافِنَا فَهماً لِلدِّينِ ، وَتَطبيقاً لأَحكَامِه ، وَاتِـصَافاً بِأخلاقِه وَآدَابِه .

أَنتَ (يا أخي) أيها الفرد المُسلمُ مَدعُو اليومَ لِتكـونَ نَمُوذَجـاً تَتَمَثَّـلُ فِيـهِ أَوامِـرَ دِينِكَ أَنتَ لَستَ أَقَلَّ مِنْ أَيِّ فَردٍ في صُفُوفِ أَعَدائِكَ بَلْ إِنَّكَ خَيرٌ مِنهُ بِالعَقِيدةِ وَالإِيمَانِ

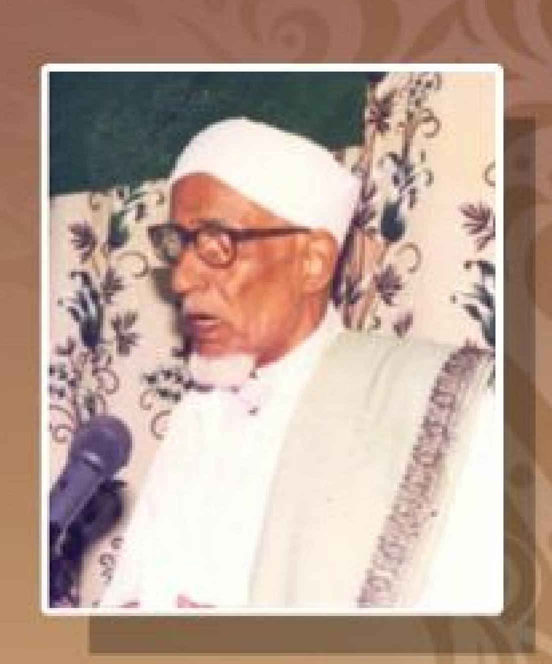
وَهوَ أَقَلُّ مِنكَ بِالكُفرِ وَالطغيَانِ ، فَحَاوِلْ أَنْ تُحـوِّل وَقتـكَ إِلى عَمَـلٍ مُثمـرٍ وَإِلى إِنْتَـاجٍ صَالحٍ مُفيدٍ ، وَإِلى نِظَامٍ نَاجحٍ يَعُودُ عَليكَ وَعَلَى أُمتِكَ بِالخَيرِ وَالصَّلاحِ وَالتوفِيقِ .

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ تَأمَلُوا جيداً وَاتَعِظُوا مِمَّا حولَكُم مِنَ الأَحدَاثِ فَكَمْ وُلـد في العَـامِ الذي نَعِيشُه مِنْ عَظِيم ، وَكَمْ مَاتَ فِيهِ مِن زَعيم ، وَكَم وُلِّي فِيهِ وَعُزِلَ مِن حَكِيمٍ وَلَئيم ، وَكَم غَنِي فِيهِ مِن فَقِير وَافْتَقَر فيهِ مِن غَنِي كَبِير ، وَسَقَطَ مِن زَعِيم ، كَـم عَـزَّ مِـن ذَلِيـل وَذَلَّ مِن عَزِيز ، وَحَوادثُ الزَّمَانِ لاَ تُحصَى بِحُسبَان ، وَرَبُّك الرَّحمَنُ كُلَّ يَومٍ هُو فِي شَأن ، فَعَّالٌ لِمَا يُرِيد ، وَهوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ ، يَرْفَعُ قَومَاً وَيَضَعُ آخَرِين ، فَيُؤتِي المُلكَ مَـنْ يَـشَاءُ وَيَنزَعُه عَمَّنْ يَشَاء وَيَعُزُّ مَن يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَن يَشَاءُ ، وَبِيَدِهِ وَحْدَهُ التَقدِيمُ وَالتَأخِيرُ .

واعْلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَى أَمَرَكُمْ بِأَمْـرٍ بَـدَأَ فِيــهِ بِنَفْـسِهِ ، وثَنَّــى بِمَلَائِكَتِـهِ المُـسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ ، وَ أَيَّـهَ بِكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِن بَرِيَّتِـهِ مِنْ جِـنِّهِ و إِنْـسِهِ ؛ فَقَالَ مُخْـبِرَاً وآمِـرَاً لَكُـمْ تَكْــرِيماً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾.اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْــمَةِ ، وعَـلَى آلِــهِ وصَـحْبِهِ ومَـنْ نَـصَرَهُ ، خُصُوصَاً مِنْهُمْ ذَوِي القَدْرِ العَـلِـي، والـمَقَامِ الأَفْـضَـلِ: سَـادَاتِنَا وأَئِمَّتِنَـا أَبِــي بَكْـرٍ وعُمَرَ وعُثْمَـانَ وعَــــلِـي ، وعَنْ رَيْحَـانَتَي نَبِيِّـكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيـهِ وسَـلَّمَ سَـيِّدَي شَبَابَ أَهْلِ الجَنَّــةِ ، أَبِي مُحَمَّـدٍ الـحَسَنِ ، وأَبِــي عَبْـدِالله الـحُسَينِ، وعَـلَى أُمِّهِمَــا الزَّهْرَاءِ البَتُولِ فَاطِمَةَ بنتِ الرَّسُولِ ، و عَنْ أُمِّهَا خَدِيجَـةَ الكُبْرَى ، و عَنْ عَائِشَةَ الرِّضَا، و سَائِرِ أَزْوَاجِ حَبِيبِكَ الـمُخْتَارِ أُمَّهَاتِ الـمُؤْمِنِينَ ، وعَنْ عَمَّي رَسُولِكَ خَـيرِ النَّـاسِ ، أَبِـي عَمَـارَةَ الـحَمْزَةَ ، وأَبِـي الفَضْلِ العَبَّاسِ ، وعَـنْ بَقِــيَّةِ العَـشَرَةِ الـمُبَـشَّرَةِ الَّـذِينَ بَايَعُوا نَبِيِّـكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ طَلْحَةَ والزُّبَيـرِ ، وسَـعْدٍ وسَـعِيدٍ ، و عَبْدِالرَّحْــمَنِ وأَبِــي عُبَيدَةَ، و عَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله رِضْوَانُ الله تَعَالَى عَنْهُم أَجْمَعِينَ.اللَّهُمَّ يَا كَاشِـفَ

الغُمَّـةِ ، و يَا مُـجلِيَ الظُّلْمَةِ ، يَا مَنْ هُوَ نَصِيرُنَا و إِلِيهِ مَصِيرُنَا، وعَلِيهِ تَوَكُّلُنَـا ، و إِلِيـهِ مَفْزَعُنَا ؛ اكْشُفْ كَرْبَنَا ، ونَفِّسْ هَـمَّنَا.نَسْأَلُكَ يَا كَرِيمُ يَا حَنَّانُ ، يَا مُتَفَضِّلُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجُودِ و الامْتِنَانِ ، أَنْ تَخْتِمَ لَنَا بالإِسْلَامِ والإِيمَـانِ ، وأَنْ تُعَامِلَنَا بِالفَـضْلِ والإِحْـسَانِ ، وأَنْ تُقَابِلَنَـا بِالعَفْوِ والغُفْرَانِ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا مِنَ العَذَابِ والنِـيرَانِ ، وأَنْ تُسْكِنَنَا بِفَـضْلِكَ فَرَادِيسَ الـجِنَانِ. اللَّهُمَّ اغْفِـرْ لِلْمُـؤْمِنِينَ والـمُــؤْمِنَاتِ ، والـمُـسْلِمِينَ والـمُـسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ إِنَّكَ كَرِيمٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وقَاضِيَ الحَاجَاتِ وغَافِرَ الذُّنُوبِ و الـخَطِيئَاتِ يَا رَبَّ العَالَــمِينَ.اللَّهُـمَّ آمِنَّـا فِي أَوْطَانَنَـا ، وابْـسُطِ الأَمْــنَ و الأَمَـانَ و الاطْمِئْنَانَ فِي رُبُوعِ بِلادِنَا خَاصَّةً وسَائِرَ بِـلادَ الـمُـسْلِمِينَ. اللَّهُـمَّ أَصْـلِحْ ذَاتَ بَينِنَـا ، وأَلِّفْ بَينَ قُلُوبنَـا ، وحَـسِّنْ مُنْقَلَبَنَـا ، وَاشْـفِ مَرْضَـانَا ، وعَـافِ مُبْتَــلانَا، و أَرْخِـصْ أَسْعَارَنَا و غَـزِّرْ أَمْطَارَنَا، وَ وَلِّ عَلَينَا خِيَارَنَا ، وأَبْعِدْ عَنَّا أَشْرَارَنَا ، ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَـلَ السُّفَهَاءِ مِنَّا ، واجْعَلْ وِلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ واتَّقَاكَ واتَّبَعَ رِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.اللَّهُمَّ أعزَّ الإِسْلامَ والـمُسْلِمِينَ ، واخْذُلِ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِينَ ، أَعْدَاءَكَ أَعْـدَاءَ الـدِّينِ. اللَّهُـمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وكُنْ عَونَـاً ومُعِينَـاً لَـهُ ، واخْـذُلْ مَـنْ خَذَلَـهُ ، واكْتُـبِ الـسَّلَامَةَ والعَافِيـةَ عَـلَى عَبِيـدِكَ مِـنَ الحُجَّـاجِ والغُـزَاةِ والمُسَافِرِينَ في بَـرِّكَ وبَحْـرِكَ وجَـوِّكَ أَجْمَعِينَ.اللَّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ والرَّحْـمَةَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثَـاً مُغِيثَـاً هَنِيئَاً مَرِيئَـاً ، سَحَّاً عَامَّـاً دَائِمَـاً مُبَارَكَاً فِيـهِ ، نَافِعَاً غَيرَ ضَارٍّ.

عباد الله ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَـنِ الْفَحْـشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَـذَكَّرُونَ** ﴾ فَـاذْكُرُوا اللهَ العَظِـيمَ الــجَلِيلَ ؛ يَـذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِـهِ ؛ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.



# المؤلف في سطور

* هوالعلامة الأديب الشاعر المشارك في العلوم الحبيب حسين بن عيدروس بن أحمد عيديد ..

* ولد بوادي عيديد تريم عام ١٣٣٥هجرية الموافق ١٩٢٦م ..

* درس بمدرسة جمعية الأخوة والمعونة ومنها تخرج ، كما درس برباط تريم في عهد شيخه الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري ..

* أقام بمدينة قسم (القريبة من تريم) لمدة خمس سنوات مدرساً بصحبة الحبيب العلامة عبدالقادر بن أحمد السقاف ، ثم عمل مديراً لها لثلاث سنوات أخرى ..

* حج بيت الله الحرام عام ١٣٦٧ هـ ، ومكث بجدة سبع سنين مدرساً بمدرسة الإصـلاح ، ثم عاد إلى الوطن ، فعينّ مدرساً في دوعن سنتين ، ثم نقل إلى قسم عاماً واحداً ، ثم إلى وسطى الشحر عام الاستقلال ٦٦/١٩٧٦م ثم نقل إلى تاربة ، ثم إلى تريم عامين ، ثم إلى المكلا ، ثم إلى ثانوية سيؤن ، ثم استقر أخيراً بمسقط رأسه تريم مدرساً بثانوية تريم لعشر سنين حتى تقاعد عام ١٩٨٩م .

* عينّ مدرساً في كلية الشريعة جامعة الأحقاف من عام ١٤١٦ للهجرة حتى وفاته أي مايقارب ١٥ عاماً . قام بخطبة الجمعة في مسجد جده مولى عيديد بعد تجديده وافتتاحه عام ١٩٩٠ م حتى وفاته ..

* أقام دروساً عديدة في مساجد وزوايا تريم في الفقة واللغة والتفسير والأدب.

* انتقل إلى رحمة الله تعالى في شهر ربيع الأول ١٤٣١هجرية وشيعته تريم في موكب مهيب بعد أن قضى حياته مدرساً ومعلماً وواعظاً وداعياً ، وتخرّج على يديه كثير من الطلاب في شتى بقاع اليمن رحمه الله رحمة واسعة ..